إحياء فقه الدعوة

بوارق العراق

رؤية للقضية العراقية من منظور إسلامي

محمد أحمد الراشد



الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ — ٢٠٠٦م

دار الأمة - الرياض، المملكة العربية السعودية

- رسائل في الفقه الدعوي الجهادي والسياسي ...

... إلى كل عراقي يلتزم منهجية الإيمان

- فيها بيان المبتدأ...

وخبر النفس الإصلاحية ..

وصفة عُصبة الاستدراك ...

- وفيها شرح سُلطة البشائر...

وهندسة السيطرة النفسية ..

وجوامع الأخلاق السياسية ...

- من أجل أن نبني العراق ... معاً

- ثمَّ هي خطوات ضمن محاولات إحياء فقه الدعوة ...

- نقدمها لشباب الصحوة الإسلامية ...

في العالم أجمع ...

فهرست بوارق العراق

●

مُـــقـدمـــة

حِينَ توالت رسائلي ومقالاتي عن " **الحملة الجهادية السياسية العراقية المعاصرة المباركة** " : برزت فكرة جمعها في كتاب واحد يحفظها من الضياع والنسيان ، ويوصل خبرها إلى جيل الصحوة الإسلامية العالمية العريض الواسع ، ليقتدي ويفهم أسرار العراق ، وإلى أجيال قادمة يلزمها أن تحيط بأحوال القضية العراقية زمن الاحتلال الأميركي من جميع جهاتها : **فكان عنوان "بوارق العراق" جامعاً لمعادلات الجهاد العراقي وأسسه الفكرية وأخلاقياته ومنطلقاته الخططية** .

● ومما يليق أن ننبه له : أن فصول هذا الكتاب **كما أنها تمثل مجموعة كُتَل "موضوعية" متكاملة : فإنها تمثل جانباً من "تاريخ" الجهاد العراقي وتطور وعي المجاهدين والراصدين له ، ونظرات الذين يقدمون الرؤى التخطيطية لتجويده وتنميته وتجانسه مع المستجدات والمواقف الطارئة والأعمال المزاحمة** ، ولذلك كان الحرص على ترتيب فصول الكتاب وفق تواريخ كتاباتها في الأغلب ، والأسبقية الزمنية لظهورها ، **لإتاحة مجالٍ لرؤية الخط البياني لتسلسل المعاني وعملية تراكمها وتطور الفكر الجهادي العراقي خلال ما يقرب من أربع سنوات**، منذ قُبيل الحرب وإلى حين تشكيل الحكومة العراقية الدائمة ، مع ملاحظة أن الكتاب يحوي كَمّاً واسعاً من دقائق إحياء فقه الدعوة ، تأصيلاً وشرحاً ، ومثل ذلك من الإشارات النفسية والتحليلات السياسية العامة ، وأهم ما في ذلك : أن المؤلف **يُعبّر عن التزام منهجية جهادية وسطية لا تُغرب في**

التأوّل ، وتبعد عن التشنج والمبالغات ، وتقيم توازناً مع العملية السياسية المصاحبة الموازية للقتال ، وذلك مكمن أهمية هذه الدراسات والرؤى المتئدة الخالية من الجزاف والظنون الخيالية .

● مع ملاحظة أني أودعت في هذا الكتاب فصولاً كنتُ نشرتها في كتاب محلي لم يتعدَّ حدود العراق بعنوان " صحوة العراق " ، ورأيت أن تجانس معانيه مع كتلة "**بوارق العراق**" يسوّغ إلحاقه بها ، بسبب المدى العالمي الذي يُراد لهذه البوارق .

● ومما تجدر الإشارة إليه أن كتاباً آخر قيد الإعداد يجمع عشر افتتاحيات لمجلة " المنتقى " سيوفر المعنى المحلي التكميلي لهذه الدراسات الجهادية ، من خلال التركيز على وصف نشاط الأحزاب الشيعية بالدرجة الأولى ، وهجمة المخابرات الإيرانية على العراق ، وبعض خبر الأكراد ، وعلاقة كل أولئك بالاحتلال الأميركي ، وهي كتلة معلومات مساعدة توضح نوع البيئة الصعبة التي تنشط فيها المقاومة ، وملاحظات حول مؤثرات غير مباشرة في الجهاد ، ولكنها ليست من حيثيات الجهاد ذاته .

● **وإنما انبغت هذه العقلانية الواقعية لهذه الفصول وقلّت فيها آثار العاطفية الحماسية : لأن المؤلف عراقي عاش داخل العراق خلال تطور قضية الاحتلال ،** يصحو وينام على أنغام الصليات والانفجارات ، ويسمع ويرى ويعاني مباشرة ، **لا كمِثل غريب آخر تُروى له الأمور رواية ، ولا يعرف جذور المجتمع العراقي ومحركات السياسة فيه : كما أن المؤلف يحتل مكانة قيادية وتربوية في العمل الإسلامي جعلته خبيراً في القضية العراقية ، وتجتمع عقول الناس وتقاريرهم وإفاداتهم وملاحظاتهم لديه ، وما هو بكاتب إعلامي تميل به رياح الأخبار والظنون ، و " لُغة الراشد " الوصفية والتأصيلية والتحليلية : أصبحت فناً معروفاً ومَعْلماً متميزاً** ، وحفاوة جمهرة تلامذته في العالم الإسلامي كله بما يكتب هي التي

شجعته على جمع مقالاته ورسائله الجهادية في هذه المدونة الجهادية السياسية الشاملة ، حفظاً لها من الضياع والنسيان لو بقيت متناثرة ، **ولتكون كتاباً منهجياً مختاراً ضمن السياقات التربوية لدى الفصائل الجهادية ، أينما كانت ، ومتى مارست ، وأن تكون مَنجماً معنوياً تستمد منه محاولات التعبئة النفسية ، ومرجعاً فقهياً يعين المجتهدين على توازن الإفتاء** .

● وقد وصفتُ هذه " اللغة " في مقالة سابقة في العدد الأول من مجلة " الرائد " العراقية ، ورأيتُ ضرورة (تسويق الفكر الجاد الهادف في قالب من السهولة والسلاسة والأُسلوب اللطيف ، عبر تقديم المعنى الصارم في ثنايا اللفظ الجميل ، وتحبيب العزائم من خلال رُخص الأدب ، ومزج المنطق العقلاني الصلد بالدغدغات العاطفية اللينة ، مداراة لطبائع النفس الزكية إذا اطمأنت فأبردت القلوب بنبضات الإيمان والرفق والمودة والإيثار والأخوّة وحُسن الظنون ، وعَزَلَته عن حرارة جمرات الحسد والاستئثار وسوء التأويل) .

والقضية العراقية بالذات تحتاج هذا القلم الإيماني واللغة الحُرّة ، لأن طرائق " صدام " تركت آثاراً سلبية (حتى أصاب سوق الفكر العراقي فقرٌ مدقعٌ شديد ، وطرأ جَزْرٌ بعيد الانحسار عن شاطئ الفقه الشرعي والفكر الإسلامي ومعاني الأدب والتحليل التاريخي ، وراجت المداهنة وكلمات المديح الجوفاء ، وانتشر الفن الأصنامي المروّج للعبودية والطاعة العمياء ، حتى نشأ جيل عراقي ليست له مواكبة لرؤى جيل الأمة الإسلامية ، وخمدت الأحاسيس والعواطف ، وانحسر الشعور التنموي والتطويري ، وذبلت التطلعات الإبداعية التجديدية ، وصار " الزعيم الأوحد " مركز دائرة الحياة العراقية ، منه فقط تنطلق الأفكار ، وتظل فوق النقد ، وإليه تعود معززة بالتأييد المطلق) .

● **ولكنْ مما يفتح أبواب الأمل بإمكان حصول استدراك أن (جيل العراقيين اليوم يقف تائباً آيباً من المغامرات الفكرية والسياسية إلى رحاب الإسلام الحنيف** والمعاني الحضارية الإيمانية ، وأصبح يقبل العتاب والنقد ويريد اليد الحانية التي تمسح على رأسه وصدره برفق وتشير نحو السبيل ، **ومن هنا يرشح القَدَرُ الفكرَ الإسلامي المعاصر ليقوم بهذا الدور النقدي) ، و "بوارق العراق" جزء من هذه العملية الفكرية النقدية فهو مجموعة دراسات بلسان صريح وبحث حُرّ لترسيخ قواعد التجريب الجهادي والنهي عن المنكر السياسي ، ليأتمّ بذلك كل مجاهد .**

(والفكر الإسلامي العراقي لا يسعه التغنّي بأمجاد الماضي فقط إذ تغوص أقدام كل عراقي في الطين ، ولا يليق له أن يحلق في آفاق التعميم فقط ويذهل عن وصف خصوصيات الأحوال العراقية المرهقة ، **وفي الساحة العراقية اليوم : فكرٌ انفصالي ، وعنفوانٌ قومي ، وانغلاق طائفي ، وتوترات شعوبية ، وميل إلى ولاية الفقيه ، ونكران للجهاد ، وتهمة إرهاب ، ومذهب تكفير ، وليس أمام جميع ذلك مذهب واحد متجانس في التفكير ، بل شتات من الردود والخواطر التي لا تجمعها نظرية شاملة) ، وبإمكان لمعات "بوارق العراق" أن تكون مركز استقطاب للتحليلات التي تتجمع لتُكوّن الخلفية المنطقية التي تصاغ وفقها نظرية العمل العراقي .**

□ **والمجموعة الإسلامية العراقية المجاهدة** للاحتلال العراقي على تنوّع فصائلها، **والمجموعة القيادية الدعوية التي تُضيف إلى الجهاد ممارسة سياسية ولها وعي** تجريبي متراكم : **مجموعتان تتكاملان في الأداء ، وتتوازيان في الدرب ، ولهما قلب واحد ، وعقل مشترك ، وأحرى بهما أن يستمتعا معاً بومضات "بوارق العراق".**

و "**الراشد**" يرجو أن يكون قد أدّى بعض واجب البِشارة والنِّذارة ...

في الزمن ..... الصعب ... □□□

دراسة شرعية وسياسية للقضية العراقية

صدرت قُبيل الغزو الأميركي للعراق في ٢٨ / ٢ / ٢٠٠٣ م
ونُشرت عبر مواقع الانترنيت

❑❑ الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على أول المجاهدين نبينا محمد سيد العرب والعجم ، وعلى آله وصحبه الميامين أجمعين ، الذين قاتلوا تحت لوائه ونصروا دين الله ، وعلى التابعين لهم بإحسان ، ممن كانوا لهم جنوداً في فتح الفتوح ، وعلى من اهتدى بهديهم وعمل مثل عملهم الجهادي إلى يوم الدين ...

أما بعد :

● فإن القضية العراقية قد أصبحت شديدة التعقيد بعد قبول العراق لقرار الأمم المتحدة بالتفتيش عن أسلحته وسجلاته وكشف أسرار المتعاملين معه ، ومع أن حيثيات القرار ونصوصه شديدة القسوة والانحياز إلى الرؤية الأميركية وتؤدي إلى نفس نتائج الحرب من استسلام الحكومة العراقية التام للرغبات الأميركية وفقدان الاستقلال وتدمير الأسلحة : إلا أن أمريكا ما زالت على وتيرةٍ عنيفة من الدعوة للحرب وتصعيد الأمور والتعبئة النفسية لشعبها وتكثيف الدعاية **والحملة الإعلامية التي تهدف إلى غسل أدمغة جميع الشعوب وإقناعها بحقٍ موهوم لأمريكا في التوكل عنهم للتدخل في تدمير أي دولة تشاء** ، مما يجعلنا نرجح حصول الحرب ترجيحاً جازما ، **تحت غطاء من القرار الدولي المنتزع بطريقة ملتوية** عبر تأثير إرهاب جميع الدول وتهديدها ، أو بدون غطاء دولي .

● وهذه الدراسة الشرعية السياسية لا تحاول أن تضيف جديداً إلى الفتاوى الصريحة المتكاملة لكبار علماء الإسلام في العصر الحاضر ، أصحاب الفضيلة الشيوخ الأساتذة : عبد الكريم زيدان ، ويوسف القرضاوي ، وعبد الله قادري الأهدل ، وفيصل مولوي ، ومَن جرى مجراهم وأفتى بمثل ما أفتوا به من حرمة

التعاون مع الحملة الأميركية ، وإنما تحاول تقريب فتواهم من نيل الإجماع بإضافة صوت آخر ، وحث مَن لم ينطق بعد من علماء الشرع على إفتاء مثيل يحصل به الإجماع ، فيتأكد المعنى ، ثم تجديد إسماع قول الشرع لجمهور المسلمين مرة بعد مرة ، وبصيغات عديدة ، ليرسخ في القلوب ، والاستشهاد بشواهد واقعية طرأت على القضية خلال الشهور الثلاثة الأخيرة بعد صدور الفتاوى المذكورة ، ورد شبهات المتأولين الذين يجوزون لأنفسهم التعاون ، **مع إضافة لمسة عراقية خاصة إلى المنطق الفقهي والسياسي المتداول ، مستمدة مما نعلم من طبيعة العراقي وخصوصية بعض جوانب القضية العراقية ، ربما تغيب عن غير العراقي .. ثم في هذه الفتوى زيادة حوار صريح مع المعارضة العراقية يؤسس الكثير من المعاني الخاصة النسبية في منطق التحريم والاحتياط تحتاجه المعاني المطلقة التعميمية الواردة في فتاوى العلماء ، وتكون تفسيراً لها يوضحها ويؤكدها** ، وذلك هو الذي حركني للقول والمشاركة رغم وفرة القول المبارك الذي ورد في فتاوى شيوخي الأفاضل ، ولذلك فإني سوف لا أكرر إيراد النصوص الشرعية التي وردت في إفتاءات شيوخي ، وإنما أركز على بيان الموازنات الشرعية وعلى الأحوال العراقية .

● وواضح أن السبب الذي تتستر وراءه أمريكا من زعمها إزالة صدام يختلط بالمصالح الأميركية المحضة الهادفة إلى فرض هيمنتها وسيطرتها العسكرية والأمنية والسياسية والثقافية والاقتصادية على المنطقة العربية كلها وبقية العالم الإسلامي، تبعاً لخططها الإستراتيجية التي حددت مفهومها للنظام العالمي الجديد والعولمة ذات القطب الواحد ، وبذلك تظهر خطورة الأمر في الميزان الشرعي ، بل وفي الميزان الإنساني العام ، وموازين القانون الدولي : **أنه عدوان أُمة على أُمة ، ودولة على دولة ، وقوي على ضعيف ، ويزيد الوصف الشرعي على ذلك أنه عدوان بلد كافر على بلاد إسلامية ، وفيه تحريض لدول كافرة أخرى على فرض هيمنتها الاستعمارية بدورها على شعوب إسلامية ترزح تحت سطوتها ،**

فقد سارعت روسيا إلى الإعلان عن تدابير قمعية جديدة في الشيشان ، وبدأت الهند التحرش بباكستان وبالمسلمين وقادتهم في كشمير وغيرها ، كل ذلك تحت غطاء التحرش الأمريكي ، مما يجعل الفتوى ظاهرة الأدلة وتامة المنطق في حِل وتسويغ دفاع دولة العراق عن نفسها ، ووجوب مساعدة دول العالم الإسلامي لها بحدود الاستطاعة ، وتحريم تعاون أي دولة إسلامية أو فرد مسلم مع أمريكا في حربها هذه .. ويزيد الأمر وضوحاً أن هدف أمريكا المعلن هو إزالة الأسلحة العراقية الهجومية المتقدمة ، والتي تشكل تهديداً لإسرائيل ، مما يكشف عن **قيام أمريكا بهذه الحرب ، في جانب منها ، وكالة عن إسرائيل** ، خوفاً من احتمالات المستقبل.. والذي نفهمه أن امتلاك هذه الأسلحة إنما هو حق من حقوق أمة الإسلام مثلما هو حق الأمم الأخرى ، وارتباطها بالمصالح الشخصية لحاكم يصنعها هو ارتباط وقتي لا يلغي ملكية الأمة لها ، كما أن سوء استعمال الحاكم لها إنما هو سوء قليل في مقابل فوائد جزيلة يمكن أن تجنيها الأمة في صراعها مع إسرائيل .

● ولا تطمع هذه الفتوى أن تغيّر الموقف التحالفي لتركيا مع أمريكا ، فإن قرارها لا تغيره موعظة ، ولا الموقف الرخو لكل دول العالم العربي والإسلامي التي تمشي على استحياء وتنكر بنبرة خفيضة ، إذ الأمر أكبر منها ، وقد أبدت الولاء لأمريكا في الأول وفتح بعضها للجيش الأمريكي القواعد ، فما تستطيع البراء في الآخر ، **ولكن مطمح هذه الفتوى أن توقظ بعض الحميّة في رجال مجموعتين اختلط عليهما الأمر اختلاطاً شديداً** مزج الحق بالباطل ، فصعب التمييز :

□ **المجموعة الأولى : رجال المعارضة العراقية الشيعية ومَن حالفهم من العلمانيين العرب عبر مؤتمر لندن** ، فإنهم ارتضوا العمل المشترك مع أمريكا لإزالة صدام ، وذلك خطأ كبير ، ويستبدل ظلماً بظلم ، والظلم الأمريكي سيكون مرهقاً للعراق ، وطويل المدى بالقياس إلى سيطرة صدام ، **والطريق**

الإسلامي الأصيل في التغيير السياسي يكمن في تعليم الشعب طريق التضحية ونيل حقوقه وإن طال الوقت ، وشأننا مع الحاكم شأن داخلي ، وإن كانت الاستعانة ضرورة فأحرى أن تكون بحكام بلاد الإسلام وجمهور المسلمين ، وليس عبر دولة كافرة تهمها مصالحها الاستعمارية ، **وكان أجدر بالمعارضة أن تقتدي بالمواقف الاستقلالية العفيفة لجماعة الإخوان المسلمين وطريقتهم في الجمع بين معارضة الاستبداد والبراءة من أمريكا** ، والتوكل على الله تعالى في جعل طريق الشعب إلى الحرية قصيرا ، وإدارة النزاع عبر حمل هوية فكرية ذاتية مستنبطة من عقيدتنا الإسلامية وشرعنا الحنيف ، فلعل هذه الفتوى تكون فيها ذكرى لهذه المعارضة فتنتبه إلى مخاطر التعاون مع دول استعمارية ، فتكون إفاقة ، ويحصل استيعاب لتجارب في بلاد أخرى جثمت أمريكا فيها على صدور الشعوب ، محتجة بالنجدة ، بل ليس في خطب الرئيس بوش ما يشير إلى أنه ينجد أهل العراق ويغير الحكم برؤية ديمقراطية تنتظرها المعارضة ، وإنما هو يركز على خلع صدام وتنصيب جنرال أمريكي يواصل منع صناعة السلاح العراقي المتطور ، وما كان الأمر خافياً على قادة المعارضة ، لأنهم في غمرة التعاون غير المتحفظ مع أمريكا **أعلنوا استعدادهم ، إذا استلموا الحكم من اليد الأميركية ، لتحجيم قدرات العراق العسكرية ، وإبرام الصلح مع إسرائيل ، وأن يطبقوا سياسات التطبيع ، وتلك أخطر نتائج هذه الحرب ، لأنها توفر الغطاء الأمني الذي تحتاجه إسرائيل عبر تحجيم الجيش العراقي وإلغاء صناعاته للسلاح المتطور** والدخول في خطة السلم .

□ **والمجموعة الثانية : الإخوة الأكراد في المعارضة العراقية ، من الحزبين العلمانيين ومن حالفهم من بقية العلمانيين وحتى التجمعات الإسلامية الكردية،** عبر مؤتمر لندن أيضاً ، فإنهم في غمرة عشقهم لاستقلالهم ، وفي ثنايا استذكارهم لبطشٍ نالهم من صدام : أذنوا أن تكون أرض كردستان منطلقاً للجيوش الأميركية وقاعدة ارتكاز لاستعمار العراق ، وهذا قرار سياسي يحفه الخطأ من

جميع وجوهه ، **وأخطر ما فيه أنه مجازفة تؤدي إلى انفصام العلاقات الاجتماعية داخل كتلة الشعب العراقي بعد الانفصام السياسي مع الحكومة** ، وسيكون ذلك شرخاً اجتماعياً يتعمق بمستوى ما للجوانب النفسية والمعنوية من عمق في تكوين ذاكرة الشعوب ، ومَن وافق من قادة الأحزاب الكردية على الحرب ورحّب بها فقد ارتكب مخاطرة تنال المستقبل الكردي قبل غيره .. هذا فضلاً عن أن توقيت الخطوة الاستقلالية يأتي في الزمن غير المناسب ، وبوسيلة حربية استعمارية تدمر كل العراق وتقتل وتعيق الملايين من أبناء الشعب ، والثمن بشع وضخم جداً وأكبر بكثير من سلعة الاستقلال المشتراة من الأمريكان ، والنشيد القومي الكردي سينشد على أنغام آهات ملايين الأيتام والمعوقين والمرضى بأمراض مزمنة ، أو أنين الفقراء الجائعين الذين سيحرمون الزراعة وأموال النفط معاً ، والقومي الكردي الذي يرى في ذلك انتقاماً لما جرى من ظلم حكومي في كردستان ويتشفى بذلك : لن يكون مصيباً ، إذ المؤمن يربأ بنفسه عن مثل هذا الشعور الثأري ، **والخطأ لا يعالج بالخطأ** ، وهو إحساس طارئ في الساحة الكردية ، فللأكراد تاريخ ناصع البياض مليء بصفحات الشرف في الوفاء لقضايا الإسلام العامة ، بها نلهج ولها نذكر وننشر قبل الأكراد أنفسهم ، وهي من مفاخرنا الإسلامية العامة التي رفعت رؤوسنا من قبل ، ومنها نستمد ضوابط المواقف الصحيحة أمام الهجمة الأميركية الحاضرة .

● **وانطلاقاً من مثل هذا الاعتزاز العربي بالمساهمات الكردية : أرسل مؤسس جماعة الإخوان المسلمين الإمام الشهيد حسن البنا برقية إلى الحكومة العراقية سنة ١٩٤٥م أثناء الثورة البارزانية يناشدها أن تحل القضية الكردية عبر الحوار وتحقيق المساواة ورفع الظلم لا عبر السلاح والقمع ، والبرقية منشورة في مجلة الإخوان المسلمين ، وتعتبر وثيقة عظيمة الدلالة تبين بوضوح كامل براءة الإخوان وأجيالهم وقياداتهم المتتالية بمصر والعراق والعالم من أي شعور سلبي تجاه إخوانهم الأكراد ، وقيامهم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفي**

الوثيقة إشارة جازمة إلى عراقة وقدم الوعي السياسي لـدى الإخـوان ، وحيويـة الفكر السياسي الإسلامي الدعوي في أيام قديمة لم تكن القضية الكردية خلالها قد اشتهرت بعد ، ثم زار وفد من قيادة الإخوان في العراق أواسـط الـستينات المـلا مصطفى البارزاني ، وشرح له بصراحة الحرج المستولي على الإخوان من الموافقة على انفصال كردستان انطلاقا من مفهومهم الشرعي في وجـوب وحـدة الأمـة ، ولكنهم يقرون بوجـوب مـنح الحقـوق الـسياسية واللغويـة والإداريـة والتراثيـة لكردستان وتقرير حصة في الميزانية مناسـبة ، **وأبدى الملا مصطفى آن ذاك تفهمـاً لاجتهاد الإخوان وشكرهم وصرح بأنه يود أن لو كان مجرد شرطي في الحكومـة الإسلامية الـتي يـدعو لهـا الإخـوان إن قامـت** .. واسـتمر الإخـوان في العـراق والخليج على سنة الوفاء هذه ، وكانت المساعدات الإنسانية الإغاثية في السنوات الأخيرة التي قدمها الإخوان لكردستان مباشرة أو بالواسطة أكبر دليل على صدق توجههم والروح الإيجابية التي تسيطر عليهم في التعامـل مـع القـضية الكرديـة ، فكم من مسجد بنوه أو يتيم كفلوه أو دواء عالجوا به ، وليست تلـك مِنـّـة ، بـل إعلام لمن لا يعلم بالمحركات الإيمانية التي تحرك الإخوان .

● **لكن جوانب الباطل والظلم مهما اتضحت في هذه الحرب فإنها عنـدي لا تحمل على الفتوى بفرضية حمل كل مـسلم للـسلاح والمـشاركة في الـدفاع عـن العراق ، كما ذهب المفتون ، وذلك لعدم توفر جانب الأمن الجهـادي ، ووقـوع المجاهد بين محنتين إذا جاهد : محنة ملاقاة العدو الأمريكي ، ومحنة التصرفات غير الموزونة ولا المنضبطة بمعيار أو خطة ، التي يمكن أن يبديها صدام نفسه وأعوانـه من منـتسبي حزب البعث والمخابرات ، فإن الغوغائية هي الغالبة ، والقياس على السوابق يشير إلى احتمال المجازفة ، والعدوان على شخصية المجاهد المنجـد الحُـر الذي تحركه الحركات الإسلامية للدفاع عن أرض الإسـلام ومـصالح المـسلمين ومكتسبات الأمة ، ويأبى الغوغائيون إلا أن ينحرفوا بها نحو تمجيد الاسـتبداد ، وقد يلقى المجاهد رَهَقاً ويصادف التفافاً عليه ، ولرجحان توقع ذلك أرى تجـويز**

مشاركة المسلم متطوعاً في هذه الحرب في الصف العراقي ، من دون إيجاب ذلك، وتسويغ تأخر مَن يتأخر ، والاستسلام للقدر الرباني إذ هو يجري في مجاريه ، أينما ستستقر ، لانعدام "الأمن الجهادي" ، ثم يكون لواذ الخطباء والوعاظ والكتّاب السياسيين بالإنكار القولي إذا استطاعوا ، واعتصام سواد المسلمين المستضعفين بالإنكار القلبي على أمريكا ونظامها العالمي ومَن يحالفها ويعينها ، وليس ذلك مما نزهد فيه أبداً ، فأن هذا الإنكار أول خطوات الاستدراك الواعي والرد المخطط الطويل النَفَس على الظلم الأمريكي وعلى الحكام المستبدين معا ، والتربية الفردية على موجب عقيدة التوحيد وأصول الشرع المبين هي نقطة الانطلاق ، وعلى أساسها يكون العمل الإسلامي الدعوي الجماعي المنظم ، والتحالف العريض من أجل التغيير ، **والمؤمن يفتأ يرنو إلى الحرية ، ويسير نحوها، لكنها لن تُهدى إليه من دولة تنافس من أجل النفط ، ولا عبر استخذاء لإسرائيل في صورة سِلم ، ولا عبر طموحات رئيس أمريكي يغامر بمستقبل بلاده ويدخل حرباً من أجل رشاوى وعمولات بليونية تغدقها عليه وعلى فريقه الأمني شركات النفط ومعامل السلاح ، والجهاد العيني الذي أفتانا به السادة العلماء أراه يكون بعد الحرب ، لدفع الاحتلال وإجلاء المستعمر عن بلادنا إذا انتصرت أمريكا ولم يستطع الجيش العراقي وأهل العراق المقاومة ، وأما أثناء الحرب فإني أخشى أن تكون مزاجية صدام أخطر على المجاهدين من نوايا الجنرالات الأمريكيين ، أو أن تكون فوضوية الحزبي البعثي أو العميل المخابراتي أضر من حقد الجندي الأمريكي .**

ويشهد لصواب اجتهادي هذا في التوقف عن القول بعينية الجهاد على غير أهل العراق أننا لا نعلم استجابة جمهرة للفتوى العينية وذهابها للجهاد حتى الآن، مما يدل على أنهم يعلمون ما في ذلك من مجازفة ، بينما الإيمان ما يزال عامرا في قلوب كثير من الناس والاستجابة للجهاد الواعي ممكنة ، قياسا على ذهاب الألوف إلى الجهاد الأفغاني الأول .

● والتأمل البسيط يجعل الهدف الحقيقي من الحرب مفضوحاً ، **فإن إزالة صدام لا تستدعي حرباً** ، ولم يبق عنده شيء من سلاح دمار شامل ، **وإنما هو النفط الذي يغري** ، فإن دراسات الخبراء تشير إن أن الاحتياطي النفطي العراقي هو أكبر احتياطي في العالم ، خلافاً لما يعلن من أن احتياطي أرامكو هو الأكبر ، وكادت فرنسا وألمانيا أن تحصلا على امتياز حقل مجنون العملاق في أواخر الثمانينات ، ففوتت أمريكا الفرصة عليهما عبر إغراء صدام باحتلال الكويت ثم الانقضاض عليه ، وبدلت حرب الخليج الثانية جميع الخوارط والتراتيب القديمة ، وفرضت أمريكا نفسها عالمياً كقطب أوحد لا معارض له ، وأرخصت أسعار النفط بما يحفظ مصالح ميزانيتها ، حتى قال بعض خبراء النفط العرب أن ما فقدته البلاد العربية عبر الثمن النازل عن المقدار الواجب اللائق يقدر بأكثر من ألف وخمسمائة مليار دولار خلال هذه السنوات الأخيرة بعد تحرير الكويت ، ثم هي أمريكا تندفع اليوم لإكمال سيطرتها على نفط العالم بعامة ونفط العراق والخليج بخاصة ، وتجعل ذلك ركناً في خطتها الإستراتيجية المقدمة إلى الرئيس بوش الابن قبل انتخابه بستة أشهر ، إذ أن العالم بعد سبع سنوات من الآن سيستورد من العراق فقط ربع كمية الاستهلاك اليومي ، ومن الخليج نصف الكمية ، فإذا أخذنا في الاعتبار أن نفط إيران معني من قبل أمريكا أيضاً ، ونفط الجزائر وليبيا والسودان : فإن اعتماد العالم في المستقبل سيكون بصورة تامة على النفط العربي إلا قليلا ، ومن الأسرار التي لا يعلمها إلا قليل من الناس **أن أمريكا قد اكتشفت من قبل أن السودان كله يطفو فوق بحيرة من النفط ، لكنها لم تستخرجه وتركته ليكون الاحتياطي الرئيس إذا اضطربت أحوال الخليج وأغلقت قناة السويس** ، وفي خطتها أن تستخرجه وتبني أنبوباً يوصله إلى سواحل غرب أفريقيا ليشحن إليها بحرية عبر المحيط بعيداً عن المضايق ، فجاءت حكومة الإنقاذ الإسلامي في السودان وتحدت الإرادة الأميركية واستخرجته قبل أوانه الذي حددته الإستراتيجية الأميركية ، ومن ثم كان الغضب الأمريكي على

السودان ، **وبعد إنجاز حربها واحتلال العراق سيكون أول بلد تصب عليه غضبها هو السودان** ، لوقف عمليات الاستخراج والاحتفاظ بنفط السودان كاحتياطي مستقبلي فقط يوفر لها الطاقة .

● **كذلك تشير دراسات الخبراء إلى أن أمريكا لا تريد احتكار نفط العراق فحسب ، بل واستخدامه كسلاح سياسي فعال ليس تجاه دول العالم الثالث فقط، بل وتجاه دول أوربا الكبرى أيضاً بحرمانها من شرائه إذا كانت تشاكس أمريكا وتتمرد ، وهذا هو بعض سر الموقف الفرنسي الألماني الرافض للحرب** ، ثم تؤكد الأخبار أن أقطاب الإدارة الأميركية : بوش ومن قبله أبيه وجده ، وديك تشيني ، ورامسفيلد ، وكونداليزا رايس : كلهم لهم شركات نفطية ستذهب لها بعض حصص نفط العراق والخليج ، وأفصح سقوط الطائرة الإغاثية في باكستان قبل أيام عن عمل خفي لوضع هندسة مرور أنابيب النفط والغاز من آسيا الوسطى عبر أفغانستان وصولاً إلى الخليج ، مما يعتبر الهدف الرئيس من غزو أمريكا لأفغانستان ، واستترت من أجله بستار مكافحة الإرهاب بعد أن أغرت ومكّنت الشباب المتحمس من تنفيذ عمليات اختطاف الطائرات ودك أبراج نيويورك ، ثم عادت تولول وتطبق خططها الاستعمارية تحت غطاء مقاومة الإرهاب ، وحري أن ننظر إلى ما في ثنايا قصة الطائرة من امتلاك جمعية إغاثية غربية لها ، فقد أصبح جزء من العمليات الاستخبارية التجسسية يطبق في بلادنا تحت مظلة الإغاثة ، كالذي كان ويكون من إعانة حركة تمرد جنوب السودان باسم الإغاثة الإنسانية وتوزيع السلاح هناك بطائرات الإغاثة .

● **وقد صرح بوش بأن آبار النفط العراقي ستكون وديعة عند أمريكا لحساب الشعب العراقي** ، فأعاد إلى ذاكرتنا مَثل إيداع الشحم لدى القط .

وفي القصص أن الأسد استعان بالذئب والثعلب في يوم صيد ، فصادوا جملاً وغزالاً وأرنبا ، فضحك الثعلب وقال بفضول : قد جاءت النسبة قدرية واضحة التناسب : فالجمل لمولانا الملك ، والغزال للذئب ، والأرنب لي .. فلطمه الأسد

وأسال دمه على وجهه ، وألتفت إلى الذئب يستشيره ، فقال الذئب : بل الجمل تأكله الآن أيها الملك ، وأُحب لك أن تتلهى عصراً بين الوقتين بالأرنب ، ثم يكون عشاؤك الغزال فإنه أخف على المعدة عند النوم . فابتسم الأسد وقال : هذه هي الحكمة بعينها ... من أين تعلمتها ؟ قال : رأيتها في الكتاب الذي كتب بالمداد الأحمر ، يعني وجه الثعلب الدامي .

فوديعتنا لدى الملك بوش لن تقسم إلا كذلك ، ودروس أمريكا لشعوب الأرض هي الكتاب البليغ الفصيح الأحمر ، وستسيطر على العراقيين أحزان وآلام نتيجة سعة التدمير ، وكثرة القتلى وجريان الدماء ، والأمريكي المنتصر سيتصرف بزهو وخيلاء وتكبّر ، ويتبجح علانية ، وستدون مكتبة واسعة من كتب سطرت بالمداد الأحمر التهديدي لكل البشرية ، وليس كتاباً واحداً .

وهذه بريطانيا حاربت في فوكلاند قبل عشرين سنة تحت شعار توريد الديمقراطية إلى الأرجنتين ، وهي الآن تستنبط النفط من تلك الجزيرة النائية التي عجب السذج من اهتمام بريطانيا بها ذاك اليوم ، **وصار المثل الفوكلاندي واضحاً في قيادة حروب النفط بشعارات التباكي على الديمقراطية .**

● **لكن التأمل يدلنا على أن هذه الأهداف النفطية والسياسية التي تريد أمريكا الوصول إليها عبر الحرب تعتبر ثانوية بالنسبة إلى الهدف الرئيس الأهم المتمثل في محاولة تحطيم العراق وجيشه وتدمير البنية الصحية والنفسية المعنوية للشعب العراقي بحيث يعجز عن دخول حرب مع إسرائيل ، فأمريكا تقوم بهذه المهمة نيابة عن إسرائيل ، إذ اليهود يجدون في التلمود أن خراب دولتهم الثانية هذه سيكون على أيادي جند أُولي بأس شديد يخرجون من أرض بابل كما خرج نبوخذ نـُصّر** الذي خرب دولتهم الأولى قبل آلاف السنين وساقهم أسرى ، وإنما صممت أمريكا مواصفات حصار العراق وامتداد وقته بحيث تحصل حالة سوء تغذية في عموم الشعب طويلة الأمد تؤدي إلى وهن عام وإحداث طفرة وراثية تنتج المرض المنغولي وأنواع الإعاقة والتخلف إلى درجة يضمر معها الذكاء

وعموم مستلزمات الأداء الحربي لشعب العراق وتحصل حالة انكفاء عام واهتمام بالآلام ، فينام اليهود عندئذ بأمان ، ولكن الله سلّم ، وشاءت حكمته أن يكون التمر الكثير في العراق أفضل غذاء غني بأنواع المعادن والفيتامينات ، فأنجد أهل العراق ، وفشل الحصار في تحقيق هدفه ، وصار تحطيم هذا الشعب الجسور من مهمات الحرب الاستعمارية الأميركية الجديدة ، بحيث صممت لنشر الموت الذريع في هذا الشعب الأبي ، أو الإعاقة الدائمة ، عبر استعمال آلاف الصواريخ والقنابل الذكية الليزرية وقنابل أخرى تسمى قنابل المايكرو ويف تعطل جميع الأجهزة الالكترونية وتحرق جلود الناس ، وربما استعملت أمريكا الأسلحة النووية والقنابل النيوترونية ، كما صرح رامسفيلد وزير دفاعها ، لنشر الإعاقة فيمن تناله إشعاعاتها ، مما يؤيد الشكوك في أن الحرب إنما تراد لتحطيم الشعب والبنية الصحية والطاقات الصناعية والزراعية ، وحرق النخيل الذي يتحدى التجويع ، ثم تتولى خطة إفقار العراق على المدى الطويل إتمام المهمة الشريرة ، وتحول مياه أنهاره إلى إسرائيل فتيبس الحقول ، وتحول أثمان نفطه إلى إطفاء الديون وسداد العقوبات وكلفة الحرب ، فتكون الكارثة الصحية ويحصل الانهيار المعنوي ، وإنما ملاذنا رحمة الله تعالى لعباده المستضعفين ، والثقة به : أنه يدافع عن الذين آمنوا ، ويثأر للمظلوم ، مع العلم أن مدير برنامج الغذاء العالمي قد صرح أمس بأن المتوقع أن الحرب ستصيب ما بين خمسة إلى عشرة ملايين عراقي بنقص الغذاء ، وأن جمعيته لا تستطيع إلا مساعدة تسعمائة ألف فقط .

● وإمعاناً في الاحتياط وفي تحقيق الأمن الإسرائيلي بصورة تامة : **تجنح الخطة الأميركية إلى استثمار الانتصار الحربي القادم لإجبار الحكومة العراقية العميلة التي سينصبونها على انتهاج ثلاثة مناهج سلبية تمنح لإسرائيل أمنها** :

○ **أولها : الاعتراف الرسمي بإسرائيل** ، وعقد معاهدة على غرار معاهدات السلام التي وقعها السادات وغيره ، والقبول بالتطبيع السياسي والاقتصادي والاجتماعي مع اليهود ، وبذلك تتوفر حماية دائمة لإسرائيل وفق القانون الدولي

وأنظمة الأمم المتحدة وحلف الناتو تمنع العراق من شن حرب في المستقبل على إسرائيل أو ألحاق أي نوع من الأذى بها مهما صغر ، وذلك يعني تعطيل فريضة الجهاد والمفاصلة الإيمانية الواجبة تجاه أخبث الكفار .. **ويتضمن هذا الحال نزع الهوية الإسلامية للشعب العراقي عبر المناهج الدراسية والتلقين الإعلامي الكثيف ، وغرس تربية غربية جاهلية بديلة أمريكية الأنماط والأذواق ، وفرض هزيمة معنوية وفرض شعور يأس واستسلام للعدو** .. والجدير بالذكر أن رسائل كونداليزا رايس مستشارة الأمن القومي الأمريكي إلى أقطاب المعارضة العراقية اشترطت عليهم صراحة وجوب الاعتراف بإسرائيل ، وقبلت المعارضة ذلك .

○ **ثم ثانياً : تسريح الجيش العراقي ، وبعثرة خبرته القتالية التي تراكمت عبر حربه مع إيران بخاصة ، وتشتيت معادنه القيادية ، ونزع أسلحته** ، ومنع احتمالات تطويرها ... وهذا شرط واضح أيضاً في رسائل مستشارة الأمن القومي قبلته المعارضة ، وفيه ما فيه من توفير الأمن لإسرائيل ، بل جميع حكام العرب بلا استثناء يلوكون نصيحة للعراق تحثه على التنفيذ الكامل لقرار الأمم المتحدة رقم ١٤٤١ ونزع أسلحة الدمار الشامل ، وكأنهم يخاطبون إسرائيل ، وكان المستشار الألماني شرويدر أحرص منهم على قول الحق ، فأوجب في خطابه أمام البرلمان الألماني نزع أسلحة الدمار من جميع الشرق الأوسط ، ويعني بذلك القدرات النووية الإسرائيلية .

وحيث يرد ذكر كونداليزا هذه : يتذكر كل عراقي مثقف رسائل مس بيل ، الجاسوسة الشهيرة التي رافقت حملة الجنرال مود لفتح العراق وأشرفت على تكوين الحكومة العراقية الأولى من عناصر مثيلة لعناصر المعارضة الحالية ، فالتاريخ يعيد نفسه .

○ **والثالث : تقسيم العراق ، فوراً بلا مقدمات ، أو على مرحلتين ، عبر تكوين الفيدراليات التي يتطور أمرها بعد سنوات إلى استقلال** ، وينصرف الأكراد حينئذ إلى ترسيخ قواعد دولتهم الوليدة وتوسيعها ويحدث منهم تنصل

من سيرة صلاح الـدين الأيـوبي ، ويعفـون أنفـسهم مـن أي مـشاركة في جهـد إسلامي قادم يحاول تحرير فلسطين ، ويحتجون بالضرورة والضعف وأولوية تحرير بقية كردستان في تركيا وإيران وسوريا ، **وسيكون منهم وفاء للمعاونة التي أبدتها إسرائيل للقضية الاستقلالية الكردية وللروابط التي أقامها الملا مصطفى البارزاني معها خلال زيارته الشهيرة لإسرائيل ، بحيث أن الدولة الكردية ستكون مأسورة إلى ذلك الجميل اليهودي** ، واليوم نجد ألـسنتنا معقولـة عـن مـصارحة الأخـوة الأكراد بأكثر من هذا ، لأن ظلماً بشعاً نالهم من صدام والذين قبله ، وأصـبحت القضية الكرديـة شـائكة ، إذ بينمـا ترتفـع الـدعوات الحقـة لرفـع الظلـم عـنهم ومنحهم الحقوق السياسية والإنسانية ، والتي نؤيدها ونراها أساسـاً مـدنياً يـدعم الأساس الإيماني الذي تقوم عليه روابط الأخوة بين شـعوب الأمـة الإسـلامية : تختلط هذه الدعوات بـشوق كـردي عـارم يحـدوهم نحـو الاسـتقلال ، **والميـزان الشرعي الذي نزن به أمورنا السياسية يقضي بوقف نزيف تقطيع أوصال الأمـة الإسلامية الواحدة ، ومنع تكوين الدول على أساس قـومي ، ممـا يجعلنـا اليـوم نجفل من تقسيم العراق ، ومنح الاستقلال للأكراد بقرار أمريكي وتحت سـيطرة استعمارية تهدف إلى تحقيق الأمن الإسرائيلي عبر تقطيع أوصال العراق** ، وقول الإخوة الأكراد حين دفاعهم عن توجههم بأن المنطقة مقسمة أصلاً علـى أسـاس قومي أرادته معاهدة سايكس بيكو وحرم من ذلك الأكراد فقط : هو قول ترفضه المعايير الشرعية أيضاً ، لأن الخطأ لا يقلد ، بل يبقى أمراً سلبيا نحاول تعديلـه مـا استطعنا ، ومعاهدة بوش بلير الحالية إنما هي صيغة جديدة لجريمة سايكس بيكو ، والتاريخ يعيد نفسه ، والواجب أن نتنصل منهما معاً ، وأن نرفع شـعار مـا بقـي موحدا على وحدته ، والدعوة إلى لم شمل ما فرقته السياسات الاسـتعمارية مـن قبل ، وتوحيد الأمة ثانية ، **وكما أننا دعاة الإسلام العرب ننكر على العلمـانيين والقوميين الذين بين ظهرائينا من أبناء جلدتنا ونطـالبهم بـالتزام مـنهج القـرآن وفكر الإسلام وروابط الإيمان ، ونقول لهم بصراحة أنهم على خطأ : فأن دعـاة**

الإسلام الكرد عليهم التمرد على ردود فعل النكبات التي وقعت على الشعب الكردي ودعوة علمانيي الأكراد وقومييهم إلى التزام الحكم الشرعي في وحدة الأمة الإسلامية ، والتحول إلى بذل جهد مشترك مع جميع دعاة الإسلام العرب وغيرهم لإقامة حكم إسلامي عادل يمنع التظالم القومي ويعيد إلى كردستان الابتسام بعد مسلسل الأحزان .

وليست بقية قصة التقسيم التي تضع هندسة تكوين دويلة شيعية في جنوب العراق بأقل خطراً على الأمن الإسلامي وتوفيراً للأمن الإسرائيلي ، إذ أن هذه الدولة الوليدة بأياد أمريكية ستنشغل لدهر طويل بتمتين الروابط مع إيران ، وبتصفية حسابات تاريخية ، وتنصرف عن قضية تحرير فلسطين بالضرورة ، ويبقى الجهاد ضد إسرائيل مهمة دويلة وسط العراق فقط ، المكبلة بمعاهدة السلام ، وبالفقر والأمراض ، والتي لا جيش لها أصلا .

وبذلك تتضح خدمة خطة التقسيم وتسريح الجيش وتقنين السلام لعملية تحطيم الشعب العراقي جسدياً ونفسياً كركن من أركان الإستراتيجية الأمنية الإسرائيلية كما رواها قبل ما يقرب من نصف قرن الصحفي الهندي كارنجيا في كتابه " خنجر إسرائيل " نقلاً عن بعض رؤساء الدول وقادة إسرائيل أنفسهم .

□ ومع جسامة هذه الأهداف في الاستيلاء على النفط الوافر وتدمير الشعب العراقي وتوفير الأمن الإسرائيلي : يوجد في المخطط الأمريكي أبعاد أخرى عديدة :

● **منها بُعد الاستنزاف المالي والإفقار الطويل الأمد ، فعلى العراق أن يدفع عقوبات مالية للكويت وغيرها** تزيد على مائتي مليار دولار ، وأن يدفع لأمريكا نفقات الحرب القادمة التي تبلغ أكثر من مائتين وسبعين مليار أخرى ، ولو أُضيفت لها مديونيات العراق لروسيا وغيرها : **يكون عليه أن يدفع أكثر من خمسمائة مليار دولار مع فوائدها** ، مما يجعل ثلاثة أجيال عراقية قادمة أو أربعة تعيش تحت خط الفقر المدقع وبلا أمل ولا عمل حتى نهاية القرن الحادي

والعشرين ، ويزداد الضرر عبر سريان الاستنزاف إلى الدول العربية التي أعلنت البنوك فيها فقط أنها ستخسر ستين مليار دولار بسبب الحرب ، وكل ذلك يشكل كارثة إنسانية لم تقع في الحياة البشرية بهذا الحجم عبر طرق الضغط السياسي الدولي ، وما من سبب سوى القدَر المكتوب على أهل العراق أن يكونوا هم الذين يهدمون هيكل سليمان الثاني ويفتحون القدس ويـُتبرون علو يهود تتبيراً ، وخطة الإفقار تزيدنا إيماناً بذلك ، لتكون المعجزة أتم : أن قوماً فقراء يفتح الله على أيديهم الفتوح بلا سلاح وتكنولوجيا متقدمة ، بل بفداء الأرواح وعمق التصميم وشدة الإرادة وصلابة التحدي ، ويفعل الله ما يشاء .

● ومنها البعد التدميري للزراعة ، **فإن أمريكا تريد تعميم استخدام الحنطة كسلاح ضغط على جميع الأمم** ، مارسته بنجاح في إسقاط الإتحاد السوفيتي ، وتمارسه اليوم تجاه مصر حيث لا تفرغ بواخر الحنطة الأميركية حمولتها في الموانئ المصرية إلا بعد فراغ المخزون المصري واضطرار القاهرة لتقديم تنازلات سياسية والقيام بدور السمسار لتسويق الطلبات الأميركية لدى الحكومات العربية ، وكانت أمريكا سنة ١٩٩٠ م قد منعت دولة جزيرة العرب من إنتاج الحنطة ، في قصة شهيرة . وكما ثبت أن إسرائيل بعد معاهدة كامب ديفيد قد استخدمت مجالات التعاون الزراعي مع مصر لتدمير النظام الزراعي المصري الموروث وإفساد التربة وتسميم الأسمدة من أجل تجويع الشعب المصري وتسويق الحنطة الأميركية : فإن تدميراً أمريكياً لمنتوج الحنطة العراقي يوشك أن يكون ، **لطعن خطة الأمن الغذائي العراقي والتحول إلى الاعتماد على الحنطة الأميركية التي لن تكون بغير ثمن سياسي جديد مع كل شحنة تصل الميناء** ، وسيزداد السوء بتدمير النخيل ، رمز العراق ، ومحور الأمن الغذائي العراقي ، لتمكين الطفرة الوراثية أن تجد لها مسرباً عبر سوء التغذية ونقص المعادن في الغذاء .

● **والبُعد المائي أيضاً : والماء بند رئيس في الخطة الأمنية الإسرائيلية** ، فهي برغم تفوقها العسكري توشك أن تختنق عطشاً ، وسيتبع احتلال العراق احتلال

سوريا أو إجبارها على توقيع معاهدة صلح مع إسرائيل يكون من أهم بنودها السماح بمد القنوات أو الأنابيب عبر أراضيها من تركيا إلى إسرائيل لنقل معظم مياه الفرات ودجلة لها ، وكنا نعجب من مضي تركيا قدما في خطة بناء السدود المائية ، وما كنا ندري أنها تنتظر مثل هذه الحرب التي تفتح لها مجال بيع الماء إلى إسرائيل ، ومع الأسف فإن الحزب الإسلامي الذي وصل إلى الحكم في تركيا قد سقط في أول امتحان واجهه ، وسمح بانتشار القوات الكافرة في أراضيه لغزو بلد مسلم شقيق ، وسيبيع الماء لاحقاً إلى إسرائيل ، ولو كان رؤساء هذا الحزب حكماء لمنعوا أمريكا ، والشعب يؤيدهم ، ولصاروا أبطالاً ، لكنهم قدموا الولاء لكافر مقابل عشرين مليار دولار فقط ، لا يبارك الله بها ، ولو أبدوا صلابة وخلعهم الجيش عن الحكم لصاروا من كبار الأبطال لدى الأمة كلها ، ولعادوا لاحقاً إلى الحكم بإجماع من الشعب ، ولكن خدعتهم دعاوى السياسة الواقعية وأوهام وجوب المسايرة لأمريكا ، فزايد عليهم حزب الشعب التركي ، الأمريكي الولاء والعِرق والهوى والتمويل ، وأصبح يبيع الوطنية ويبشر بالسلام إذ هو الحزب العميل الخياني .

● **ثم البعد الثقافي ، بإشاعة النموذج الأمريكي والفلسفة المادية التي ابتنى عليها المجتمع الأمريكي الحاضر ، وستلغى المدارس الإسلامية ، وتبدل مناهج التربية المدرسية كلها ، وكانت معاهدة كامب ديفيد قد أتاحت تخريج ثلاثة آلاف طالب دكتوراه مصري بمنح دراسية من جمعيات صهيونية أمريكية تركتهم يؤمنون بالسلام والتطبيع ، وتحقق بذلك اختراق يهودي كبير لفئة المثقفين المصريين الذين وقفوا مواقف بطولية واعية ضد التطبيع بقيادة الإسلاميين** ، وهؤلاء الذين خرجتهم المنح الدراسية الصهيونية مدخرون لأحداث هذه النقلة الثقافية التي تريد أمريكا تطبيقها بعد الحرب في العراق وعموم العالم العربي ، والمخفي أعظم من المعروف ، والمظنون أن قمعاً لكل الحركات الإسلامية ستمارسه المخابرات

الأميركية ضمن ترويج هذا النموذج الثقافي الكفري ، وتـتم محاصـرة كـل داعيـة وعالم ومفكر وباحث وأديب ، ويسود زمن النكِرات والخونة والمهازيل .

● **وكل هذه الترديات المالية والزراعية والثقافية ، والعطش والجوع والمرض : ستتيح لإسرائيل بلوغ منزلة " العلو الإفسادي الكبير " التي أخبرنا عنهـا القـرآن ،** وسنرى منها مشية الخيلاء والكبرياء ، وذلك قدر رباني ينبغي أن تبلغـه إسـرائيل ويحل في عالم الواقع بوضوح ، ليأذن الله لعباده الذين أترضى أن يجوسـوا خـلال الديار ، ويدمروها ، ويرى مَن هنالك من مسلم وكافر وعد الله تعالى ، وأنه صار وعداً مفعولا ، فالحرب وجميع أبعادها : هي مقدمـة لهـذا الوعـد الـذي لابـد أن يكون .

● **ومن خلال سرد الحقائق وانكشاف الخطط الأميركية يصبح مـن الواضـح جداً أن تعاون أي مسلم مع هذه الحملة الاستعمارية هـو مـن الحـرام القطعـي الذي لا مجال للتأول فيه ،** سواء كان ذلك بالقتال مع الأمريكان ، كما هو شـأن لواء بدر المسنود من إيران ، أو اللواء الكردي الـذي تم تدريبـه مـن قبـل ضـباط أمريكان ليكون طليعة الزحف الأمريكي في الجبهـة الـشمالية ، أو قتـال الجـيش التركي بمعية الجيش الأمريكي ، أو كان بنوع من أنـواع الخـدمات اللوجـستية أو المحلية التي تقدمها الكويت وبعض البلاد العربية وتركيا ، **بل حتـى الميـل القلـبي وتمني انتصار أمريكا : كل ذلك يدخل في دائرة الحرام ، كما هي فتوى العلماء ، وبقولهم أقول .. وتقديم الغطاء السياسي للغزو الأمريكي عبر مـؤتمر المعارضـة العراقية الذي انعقد في لندن وينعقد الآن ثانية في أربيل : يعتبر المنزلة الوسطى في هذا الحرام ، تقع بين القتال والتمني ، فمن اقـترف ذلـك عالمـاً بأبعـاد الـسياسة وخفاياها فقد ارتكب إثمـاً مبينـاً وذنبـاً غليظـاً تؤكـد قواعـد الفكـر الـسياسي الإسلامي حرمته القطعية ، ومَن حَشَر نفسه بسذاجة وعفوية مع العامدين فهـو بحاجة إلى توبة واستغفار من خطأ مجزوم به ، وهـدى الله دعـاة جماعـة الإخـوان المسلمين إلى براءة مـن تعـاون مـشبوه ، وتمـذهبوا بمـذهب الاسـتقلال والتميـز**

والاستعلاء الإيماني في يوم الاختلاط وضجيج الصيحات الثأرية وحشرجة المضايق الطائفية والشعوبية ، وقد اقترب دعاة الإخوان من المعارضة العراقية ، يدفعهم حسن الظن وتأولاً في إسماعها كلمات الحق الذي يؤمنون به ، فوجدوا أن أمرها ليس في يدها ، بل بيد السفير الأمريكي المبعوث لها ، وبيد الفتاة الشرسة والنحسة كونداليزا رايس ، فارتد الدعاة سريعاً يلوذون بعفافهم وفكرهم النقي وأُسلوبهم السياسي الناصع البياض ، وأبوا أن تتلوث جماعة الإخوان بشيء مما في الساحة من غبار وجراثيم تنخر أصل القلوب والنوايا من بعد ما حرفت العقول ، واسترجعت الجماعة مواقفها التاريخية المشرفة ضد الحصار والتقسيم والطائفية والثأرية ، فثبتت بحمد الله على منهجها القديم الجديد في موالاة المؤمنين والبراءة من الكافرين .

ولئن أوهمت المعارضة نفسها بوهم تكوين حكومة من أحزابها ورجالها بعد انتهاء الحرب فإن هذا الخيال أصبح مفنداً تماماً بتأكيدات الإدارة الأميركية أنها ستعيّن جنرالاً يحكم العراق سنوات عديدة ، ويختار لجنة صغيرة معه تحكم العراق حكماً عسكرياً عرفياً ، ويكون من ضمنهم جنرال تركي يمنع استقلال الأكراد .. **والمفروض أن تعي المعارضة هذا الدرس جيداً وتتوقف عن خداع أتباعها بعدما تبين لها أنها كانت مجرد أداة لتحقيق غطاء سياسي لمشروع الحرب الأميركية عبر مؤتمر لندن واجتماعات واشنطن التي سبقته واجتماع أربيل الحالي، لكنها لم تفعل ، لأنها تعتمد على الأموال الأميركية ، وبعض عناصرها مربوط استخبارياً وأمنياً ، والتفلت محال** ، وكانت هناك بدايات ومقدمات جعلت التزام نتائجها أمراً لا مناص منه ، واستمرار الارتباط حتمي ، وإلا انكشف سِر وانكسر ضلع ، ووجدت المعارضة نفسها أسيرة محبوسة في نطاق الولاء الذي بذلته دون وعي سياسي ، فضلاً عن وعي حضاري يجب أن ترتكز عليه القرارات المصيرية ، فضلاً عن وعي إيماني شرعي باعتبارهم مسلمين يخاطبهم القرآن بجهاد وعزة ، وقد أبطلت صراحة الإدارة الأميركية مزاعم

المعارضة العراقية الواثقة بها ، وهناك اليوم يأس تام من أن يكون لأحزاب المعارضة أي دور في الفترة الانتقالية التي قد تطول ، **ورجع الأمر في النهاية إلى صواب جماعة الإخوان المسلمين في العراق وأرجاء العالم في رؤاها التي توقعت فيها استبداداً جديداً يمارسه الجنرال الأمريكي حاكم العراق العام** ، وأولى بالمعارضة أن تيأس وأن تعترف بخطأ التقدير والتدبير ، وكان أبشع ما في هذا الخطأ : التوافق مع المنطق الكويتي الحكومي الزاعم تمكين الجيش الأمريكي من تحرير شعب العراق ومنحه الديموقراطية ، دون النظر إلى القتل الذريع والإعاقة الواسعة التي تصاحب هذا العطف الكاذب عبر حرب لئيمة قد يصل أمرها إلى استعمال القنابل النيوترونية ، وصدق أحد المراقبين في التنبيه إلى أن من الحب ما قتل ، كما قال الشاعر قديما ، وإن مَن أعان على قتل مسلم هو في الحكم الشرعي مسرف في الإثم ومحروم من رحمة الله ، فكيف بمن سيعين على قتل مئات ألوف أو ملايين ؟

● **إن نقطة ضعف المعارضة العراقية تكمن في أنها رهنت القضية العراقية لدى أمريكا** ، وباتت تعتقد اعتقاد أنور السادات في أن تسعة وتسعين بالمائة من الحلول هي في السلة الأميركية ، ونزلت مرتبة العلاقة مع أمريكا من منزلة التفاوض المفترض إلى مرتبة التبعية وحسن الاستماع للسفير الأمريكي لدى المعارضة ، **وفي هذا ما يؤسس في المفهوم الشرعي حالة ولاء لكافر تخالف قواعد الإيمان ، وتحول التفاوض إلى تفويض** ، وفي آخر تصريحات السيد محمود عثمان ، أحد أقطاب المعارضة الكردية مساء يوم ٢٤ / ٢ / ٢٠٠٣ في قناة ANN الفضائية فيما ينقله عن القيادات الكردية أن تأجيل اجتماع المعارضة في أربيل لأكثر من أسبوعين إنما هو بسبب عدم وصول الطرف الأمريكي ، وأنه هو الطرف الأهم في الاجتماع لا الأحزاب العراقية الأخرى ، وأن الأكراد يريدون التباحث مع الأمريكان مباشرة ، وبخاصة في موضوع إشراك تركيا في الترتيبات الأمنية وفي الحكم القادم وامتلاكها حصة من نفط العراق ثمناً لتعاونها ،

والأكراد في حرج من ذلك شديد ، وانطلى عليهم المقلب الأمريكي ، وعلى بقية المعارضة ، ولم تتضمن كلمة السفير الأمريكي زلماي خليل زاده بالأمس في صلاح الدين أية وعود للمعارضة واضحة ، والمفروض أن يتوب الجميع من هذا الاعتقاد بولاية أمريكا على قضيتهم ووصايتها على العراق ، وخير للمعارضة أن تستقل عن أمريكا ، وأن تعارض الحرب ، وتسعى إلى انتزاع الحقوق عبر طرق ذاتية ، لو كان رجالها يفقهون ، والاعتراف بالخطأ فضيلة ، والتوكل على الله أولى ، ولهم في خطة استقلال "الإخوان المسلمون" أُسوة حسنة إذا كانوا يريدون الإنصاف وتجنيب الشعب المتعَب منذ مدة طويلة ويلات حرب جديدة ماحقة ، وإذا كانت هذه التدبيرات المستقلة أضعف من أن تمنع الحرب فليؤمنوا بأن الدنيا تؤخذ غلابا ، **وليستعدوا لمرحلة مقاومة ودفاع فيما بعد الحرب ، معتصمين بالإيمان ، وساعين إلى عراق موحد تحت راية حكم إسلامي ، لأن الجيش الأمريكي محروم من الصبر على ضرائب سجال الحروب ، وإنما يتقن الحرب السريعة فقط عبر تفوق السلاح ، فإذا كان هناك قتل جندي واحد في اليوم فإن القيادة توشك أن تعلن انسحابها ، وإنما نقتدي بتجارب الأمم ، والله يبارك عمل المجاهدين إذا صدقت نياتهم ، ويجعل القليل كثيرا ، والضعيف قويا ، والجيل السياسي الحاضر قد نسي بركات هذه الموازين الإيمانية ، وذهل عن معنى العزة الإسلامية ، وهو بحاجة إلى مثل هذه الموعظة التي ترجعه إلى الأصالة وإلى المنهج القرآني في العمل السياسي ، والنظر إلى مدلول الفقه ، والتفرقة بين الحلال والحرام ، وتحدوه إلى التزام البراء من الكافرين ، ولا يحق لأي كبير من رجال المعارضة مهما سطع نجمه أن يكون فوق هذه الموعظة ويسوم سعره غاليا ، بل الكبير صغير إذا تجاوز الشرع وارتكب المعاصي السياسية** ، وما كانت أحكام الشرع والتزامات الإيمان لتحرج أحداً وتعقله عن تحقيق المصالح السياسية لبلاده بالحسنى ، لأننا حين نأمر بالتزام الموازين : نأذن في نفس الوقت بإتباع فقه الموازنات ، وما فيها من التفاف وتملص ، وفي الفقه مرونة ، ولكن ذلك إنما

يسوغ لمن يفاوض من موطن المكافأة ، وليس لمن يلغي أفكاره ويصير تابعاً ويرتضي غزو الكافر لبلده ويقدم الغطاء السياسي لحروبه ، والقلب الحي العامر بالإيمان يميز الفرق ما بين السيرتين ، ويستروح لتأويل مخرّج على قواعد الشرع ، ويشمئز من منطق التبعية وفلسفة استضعاف النفس ، **والعلماني بعيد عن إدراك هذه المعاني ، والطائفي أبعد ، ويجعل القومي التعاون مع الشيطان ضرورة مرحلية ، وفاز بلذة السكينة القلبية وثبات المنهج الجهادي : مؤمن يشعر بالأخوة الإسلامية العامة ويجرد أعماله " في سبيل الله " وابتغاء مرضاته ، والفقه لا يسمح أبداً لمعارض أن يفسد في الأرض عبر الحرب وتمكين الكفار بمقابل التخلص من نظام ظالم مهما بلغ ظلمه** ، وجميع ما ارتكبه صدام من قتل وظلم وعدوان لن يبلغ عُشر ويلات الحرب الأميركية ، والمصالح التي فوتها صدام على الشعب العراقي وعلى الأمة لن تبلغ أيضاً عُشر الأضرار النفطية والاقتصادية والمعنوية التي تنويها أمريكا تجاه العراق والمنطقة والأمة جمعاء ، **والمزايدات الجزافية التي ترتكبها المعارضة ليست بشيء ، ولا لها من الحكمة سند ، وإنما هي تدور بين تنفيسات ثأرية ، أو مصالح شخصية ، ويبقى منهج الاستقلال عن الكافر الغازي والظالم المستبد معاً في الوقت الواحد هو المنهج الأصوب الأطهر ، وقد سلكه " الإخوان المسلمون العراقيون " بشجاعة ، وكل مخلص مدعو إلى إقتداء ، وقامة " الإخوان " الفارعة هي القامة الوحيدة المنتصبة في الساحة بلا طائفية ولا قومية ، وذلك امتياز في محيط منحاز** ، أحرى أن يفهمه عقلاء العراق ويسلكوا سبيل الإخوان ورؤاهم وإشاعة فكرهم السياسي وتحليلهم لأسباب الحملة وحلولهم للمعضلة العراقية ومناداتهم بمذهب الاستقلال والعفاف في يوم الاختلاط وسطوة الكافر ، والعراقي الأصيل يأبى مصافحة الكافر المستعمر ، وكما سلك آباؤنا تجاه الجنرال البريطاني المستعمر " مود " ينبغي أن نسلك ، وكما ثار آباؤنا ينبغي أن نثور على الاحتلال الأمريكي .

● ومن منطق بعض أطراف المعارضة أنها تدعو إلى إنقاذ العراق من صدام بأي ثمن ، وليأت بعده من يأت !!

وهذه صيحة مظلوم ناله الإحباط ونفذ صبره ، وهو قول يرده الفقه وتنكره موازين الشرع ، لأن الموازنة تبدي أن الظالم صدام مهما بلغ أقل ضرراً من جنرال أمريكي يحكم العراق وينفذ أوامر بوش ، ويمتص رحيقنا ، ويسرح جيشنا ويقسرنا على الصلح مع إسرائيل ويطبّع حياتنا مع يهود ، وينشر الفساد ، ويبدل مناهج المدارس إلى ما يوافق مصالحه ، ويجعل العراق منطلقاً لتغيير الحكومات العربية والمجاورة إلى حكومات أكثر تبعية لأمريكا وأعتى في محاربة الدعوة الإسلامية .

والذي يقول مثل هذا القول ممن هو في داخل العراق لن يكون لقوله ميزة ، كما يتبادر إلى ذهن المستعجل ، يظن أنها شهادة مكتوٍ بنار الظلم تمثل حقيقة الوضع ، بل هي هدر ، لأن الناس في الداخل في شبه سجن ، حيث لا جرائد ولا وثائق ولا سماع للقنوات الفضائية إلا قليلا ، وهم لا يعلمون أسواء الخطة الأميركية : فنتأول لهم أنهم في ظرف صعب يجنح بهم إلى الإغراب والتمني غير الواعي ، ولا مساغ لترجيح قولهم على موازين الشرع ، والفكر السياسي الإسلامي لا يشهد لهذه الاستغاثة ، وإنما يزال ظلم صدام بطرق أخرى غير الحرب .

● ومن الخطأ المحض جنوح المعارضة إلى القول بأن استقلالها عن أمريكا لا يمنع أمريكا من ضرب العراق ، وأن الأمر ما دام كذلك فإن الأفضل أن تكون ضمن الحملة وعلى علاقة بأمريكا . فهذا منطق سياسي بحت يبالغ في الواقعية لا يشهد له تاريخ الاستعمار الذي يضع مثل هذه المعارضة في موضع التابع المأمور فقط ، فوق أنه مناقض للمفهوم الشرعي في النهي عن المنكر والجهاد ، **فلو أن كل منكر لا نستطيع دفعه نكون معه لتمَّ نحت التطبيقات العملية للأوامر الشرعية شيئاً بعد شيء إلى درجة أن نكون داجنين لا مدججين ، وتابعين للكافر والفاسق**

إذا كان هو الأقوى سلاحاً ومالاً وأثرا ، ولكنه صراع قدَر السوء بقدر الخير هو الطريق الإيماني الذي نؤمر به ، فالحرب لا نقدر على دفعها كلياً ، فندفعها جزئياً بالامتناع عن تقديم الغطاء السياسي لها أو بعض الغطاء ، وبالعفاف والبعد عن المستعمر ، ليبقى العِرق الجهادي نابضا ومفهوم الإنكار سائداً وحياً إلى يوم آخر يتمكن فيه جيل بعدنا من القيام به ، وهذا هو الإنكار بالقلب لمن يتدبر ، فشعور القلب لا يدفع المنكر ، ولكنه يُبقي صاحبه متوثباً ، ويُبقي القضية حيّة في الضمير، بينما التعاون مع المنكر القوي الفارض لنفسه يجعل المتعاون قانعاً بالحال وتسري إلى قلبه سلبيات عديدة تنسيه معنى الثورة والجهاد تدريجاً .

● ومَن الذي يضمن أن مطالب المعارضة ستجد طريقاً إلى التنفيذ ويبني عليها نظام الدولة الجديدة ؟ هذا افتراض مجرد ، ويومها بعد إزالة صدام ستُبنى الدولة بقرارات أمريكية بحتة ، وسيجيء طاغية آخر بديل ، أمريكي الولاء ، ينفذ ما تراه أمريكا ، هذا إذا لم يكن جنرالاً أمريكياً يشدد القبضة لسنوات عديدة ، وفي لجان الكونغرس الأمريكي في ١٢ / ٢ / ٢٠٠٣ تم التصريح بأن الإدارة الأميركية سوف لا تسمح للمعارضة الخارجية بالتدخل في شؤون النظام الجديد ، وبذلك ينهار السبب الذي استندت إليه المعارضة في تعاونها مع أمريكا ، وسوف لن تستطيع الأطراف العراقية أن تفرض قدراً من إرادتها ، إذ القياس على تاريخ الاستعمار يُبدي التشاؤم ، وستبذل أمريكا جهوداً وتقدم ضحايا ، فلماذا تعطي للمعارضة حق القرار ؟ وللعلم ، فإن في التقرير الذي قدمه محمد جمال عرفة إلى موقع "إسلام أون لاين" على الإنترنت نقلاً عن مجلة أمريكية متخصصة صدرت قبل يومين أن رامسفيلد اختار الجنرال المتقاعد جاي جارنيز ليكون الحاكم المدني للعراق بعد الحرب ، وهو جنرال مقرب من صقور الإدارة الأميركية ، ومن اللوبي الصهيوني الأمريكي ، ومن حزب الليكود الإسرائيلي ، وله ارتباطات بالمعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي "جينسا" ، وكان آمراً لوحدة صواريخ باتريوت الأميركية في إسرائيل خلال حرب تحرير الكويت ، وتولى بعد ذلك قيادة

الدفاع الصاروخي والفضائي ، وكان لـه دور في عمليـة الانتـشار في كردسـتان ، ويملك شركة لصناعة الصواريخ تستفيد من نفوذه ، ويحيـل إليهـا طلبـات شـراء الصواريخ ، في قضايا مفضوحة ساعدت إدارة بوش على إغلاقهـا ، وفي التقريـر تفصيل لكل ذلك واسم المجلة والكاتب .

ومن التدليس قول المعارضة أن التغيير سيكون مهمة عراقية بدعم أمريكـي ، فهذه مغالطة مكشوفة ، لأن تعداد الجيش الأمريكي الغازي يصل إلى ربع مليون، وتظاهره جيوش حليفة له بريطانية وغيرها ، بينما لا يصل عدد المقاتلين الأكـراد ولواء بدر إلى ٥ ٪ من حجم القـوات الغازيـة ، فلـيس هـو دعـم ، **بـل الجـيش الاستعماري الكافر هو المنفـذ للحـرب ، والعراقـي تـابع صـغير الحجـم جـداً مسلوب الإرادة** يدور في فلك الأوامر الأميركية وما من حولٍ له ولا قوة .

●● أما بعد : فإن المفروض أن تبدي جميع الحركات الإسلامية أنواع المـساندة للمواقف الرسمية الفرنسية والألمانية والبلجيكيـة الرافـضة للحـرب ، واسـتثمار معطيات هذا الرفض بمهارة ، ثم التشجيع للمواقف الشعبية الأوربية والأميركيـة والعالمية ، والتي عبرت عنها المظاهرات المليونية في كثير من العواصم ، لأن هـذه المواقف نستفيد منها لقضيتنا العراقية ، وربما تؤدي إلى تحجـيم أضـرار الحـرب ، والأهم من ذلك : أنها بدأت بلورة وبناء قطب دولي ثان منافس لأمريكـا ، هـو ضروري لكبح جماحها وإنهاء انفرادها ، ويناقض مفهوم النظـام العـالمي الجديـد وخطط العولمة ، فقد برز طرف جديد ينافس واشنطن ويقود تكـتلات أخـرى في آسيا والعالم الإسلامي وبعض دول العالم الثالث التي تعاكس الكبريـاء الأميركيـة وحلفها الاستراتيجي مع إسرائيل ... وخـبراء الـسياسة ، مـسلمهم وكـافرهم : يجمعون اليوم على أن الغرور الأمريكي سيتضاعف ويسعى إلى إفقار العـالم كلـه ما لم ينشأ هذا القطب الـدولي الثـاني الـذي يتحـدى ، ومـن الـلازم أن تعـضد الحركات الإسلامية هذا التوجه مهما شابته شوائب مصالح فرنسا أو غيرها مـن الدول الممثلة له ، وفقاً لميزان الشرع في الموازنة بين المصالح والأضرار ، والحرص

على التخلص من أكبر الضررين باحتمال أدناهما ، **والأمة الإسلامية تعيش حالة ضعف سياسي وعسكري واقتصادي ، ومن حسن السياسة أن تكون هناك منهجية متدرجة توصل إلى موقع قوي عبر التفافات ومناورات وتحالفات تتيح لها تخفيف القبضة الأميركية ، وتبقى تكرر محاولات التفلت إلى حين حصول الانكفاء الأمريكي يوماً من الأيام ، وهو قادم بإذن الله ، تشير إليه قوانين التاريخ وظواهر سقوط الحضارات ، وتؤكده مشاكل الجريمة والمخدرات والتردي الأخلاقي ، وبداية انحدار المؤشر الاقتصادي بعد بلوغه الذروة ، وأهم من ذلك كله : شيوع كراهية أمريكا وانتشار وعي سياسي كاشف لأسوائها وجرائمها لدى معظم شعوب الأرض ، ثم الله تعالى جبار منتقم ، نحسن الظن به أنه يرحم المستضعفين** ، وكم من آهات أرامل وأيتام ومرضى ، ويبطش بالجبابرة الظلمة وطبقة الساسة المرابين الحارسين لمصالح البنوك والاحتكارات العالمية المالية وجشع الشركات النفطية وسطوة الشركات العابرة للقارات ولا أخلاقية صنّاع السلاح الذين يؤججون الحروب عمداً من أجل المال ، وليس هذا هو قولنا فقط، بل هو الوعي الجديد الذي يسود أوساط أحزاب الخضر في أوربا ، وهي القناعات التي تستولي اليوم على أفكار وتحليلات معظم الأحزاب الليبرالية واليسارية في العالم أجمع ، ومعظم النقابات العمالية والاتحادات الطلابية ، والتي شهدت لها المظاهرات الضخمة في أرجاء العالم ، وأنتجت فكراً سياسياً يمكننا أن نشترك فيه على سواء ، يرفض العولمة والقطب الواحد ... بل حتى الجيوش الأوربية أصبحت رافضة لمنطق الحروب العدوانية ، وظهر ذلك جلياً في اجتماع حلف الناتو ، ويقال أنه ليس في الجيش البريطاني جنرال واحد يؤيد موقف بلير ، وهم يرفضون الحرب جميعاً ، وإنما يعاندهم بلير ويصر على الحرب استجابة لمصالح شركة النفط البريطانية التي وجه رئيس مجلس إدارتها رسالة إليه بهذا المعنى . بل وحتى داخل أمريكا تتعاظم المعارضة للحرب ، وقبل شهرين كانت ٩٥ ٪ من رسائل المواطنين إلى أعضاء الكونغرس تعارض الحرب .

وبالأمس حصلت مليون مكالمة هاتفية من المواطنين الأمريكيين المعارضين عطلت خطوط هواتف الحكومة كلها ، **وكان المفترض أن تساعد الدول العربية والإسلامية على نشوء هذا القطب العالمي الثاني المعاكس للطموح الأمريكي العارم ، وأن ترعى بذرته الأوربية النامية ، لكن حكامنا قَعَدَ ويقعد بهم العجز والحياء** ، ولم ينتصروا حتى لأنفسهم ، إذ أن الخطة الأميركية صنفتهم على أنهم حكام انتهت أوقات لياقتهم للاستمرار في الحكم ، وأنه يجب استبدالهم ، كما يتم رفع المعلبات التي تنتهي صلاحياتها للاستعمال من رفوف البقالات ، فهم يعلمون بأن مسلسل التغيير سينالهم قريباً ، وصرح وزير الخارجية الأمريكي كولن باول بذلك ، وأن خارطة المنطقة ستتغير بما يحقق المصالح الأميركية ، ولكن حكامنا يحدوهم رجاء أن تتنزل عليهم رحمة الاستثناء الواشنطني الشيطاني إذا هم بالغوا في الطاعة وجددوا العهد وضاعفوا إذلال شعوبهم وضيقوا الخناق عليها ، وكان بإمكانهم أن يكونوا أقوياء بأوربا ، وأن تكون أوربا قوية بهم ، لأن الحرب ستكون ذات تأثير مباشر على أوربا كلها ، اقتصادياً وأمنياً ، وهي مستعدة لتحالف يمنع عنها الأذى الأمريكي وشرر الحرب المتطاير ، وصارحت الحكام العرب بذلك ، فأبوا إلا نفورا ، وقعدت بهم هممهم وآثروا مصالحهم الشخصية رغم أن أمريكا ستخلعهم قريباً .

هذا ، والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

□ **وما يدرينا ؟ لعل إثخاناً ينتظر جنود أمريكا في العراق فيكون منهم الانكفاء** ، فقبل أيام وقف الجنرال الأمريكي المتقاعد الذي كان قائداً للحملة الجوية على العراق سنة ١٩٩١م منتقداً دعوى رامسفيلد بأن الحرب قد تستغرق أسبوعين أو ثلاثة ، وسخر من ذلك وتحدث عن اختلاف الظروف اليوم عما كانت عليه ، وأن الحرب ستكون طويلة ، وأن على العوائل الأميركية أن تتوقع فقدان الكثير من أبنائها .

وبالله اعتصام المستضعف المقهور ، هو مولانا ، وهو أرحم الراحمين ❑❑❑

" أصل هذا الفصل محاضرة أُلقيت بمدينة اولتن في سويسرا
أثناء الحرب ... لذلك بقيت لغته لغة حديث مسترسل "

❑❑ نحاول في هذا الفصل بإذن الله تعالى بعد أن نستعرض بعض المقدمات للكلام عن معركة بغداد والبصرة أن ننثني إلى ذكر بعض الموازين الفقهية في معرفة كيفية تأسيس العمل الجهادي ، وهل هذا العمل الجهادي الذي في العراق هو عمل كامل الأوصاف الإسلامية أم لا ؟ وواضح أنه ليس بالعمل الجهادي الكامل لذلك **نحاول أن نضع وصفاً لهذا العمل الجهادي النموذجي في العُرف الإيماني كيف يكون ، بحيث أننا نستدرك على المستقبل ، ونكون على بيّنة من أمرنا في هذه الحرب أو غيرها من مواطن العالم الإسلامي التي تتعرض للعدوان .**

فأقول وبالله التوفيق :

أن المؤمن في مثل هذه الأيام مطالبٌ بأن يعتصم بالسكينة الإيمانية ، وأن يطلب السبل والأساليب والأسباب التي تتنزل عليه بها السكينة والطمأنينة ، بحيث يغدو قلبه مطمئناً إلى أن الله ﷻ يرحم عباده المؤمنين ، والجامع في ذلك قول الله ﷻ في سورة البقرة: (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون) ، فهنا في هذه الآية في تتمتها يكمن ما نقوله من تنزّل السكينة : (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) ، **فمن قال إنّا لله وإنّا إليه راجعون خالصاً من قلبه مستشعراً معنى ما يتلو : أنه يفوّض أمره إلى الله ﷻ وأن الله هو الكفيل بتوفيق المؤمنين : فإن الله ﷻ يصلي عليه وينزّل الرحمة عليه ، بمعنى أن قلبه سيُملأ سكينة وطمأنينة ، وآن ذاك سيتاح له أن يبصر دربه على شكل واضح ، وتأتي الهداية الربانية فوق ذلك وابتداءً (أولئك هم المهتدون) ، يهديه كيفية التصرف والسياسة التي تليق لموقفه .**

هذا أمرٌ يليق لكل مؤمن أن يرجع إليه كل ما أصابته مصيبة ، والحرب القائمة على العراق اليوم هي من أكبر المصائب التي تواجه الأمة في عصرها هذا ، لذلك يليق لكل مؤمن أن يعتصم بكل استرجاع ليُهدى سبيله ولتتنزّل الرحمة في قلبه **بإذن الله** ﷻ .

● مما أفزعني وهزّني خلال هذه الأيام الأخيرة : منظر عظيم فيه موعظة لكل من سوّلت له نفسه خلال بداية الحرب أو قبلها أن يرحّب بالعدوان الأميركي ، ويتأوّل له أنه نوع من تحرير العراق ، ونوع من الديمقراطية ، ونوع من مساعدة أميركية للشعوب المستضعفة .. هذا المنظر كان من تقرير عن مدينة الناصرية ، وكان هناك ذكر لأمر من القتال وهدم البيوت والعطش ، وكل ذلك محتمل ويصيب الأمم جميعاً ، ولكن كان كهلٌ كبير سرد ما هنالك من أمور من العنت والضيق والعطش وأمثال ذلك ، حتى قال : والأدهى من ذلك أنهم يفتشون نساءنا ويكشفونهن ، فلم يستطع الصبر على مثل هذه الرواية وبكى وأجهش بالبكاء بصورة واضحة هزّت الضمير .. **فالمفروض أن يعرف كل من هنالك في الساحة من المتأولين : أننا نجلب على أمتنا أناساً من الظلمة الفسقة ، وليس فقط هو ظالم ، ليس يريد أن يمتص الثروة ، ليس يريد أن يساعد إسرائيل فقط ، ولكنه فاسق يريد أن يعتدي على نسائنا بحجة التفتيش عن الأسلحة ، وهذا في عُرف المسلم كبير** ، والشعوب التي ما زالت تعيش على نوع من القبلية والعائلية والحياة الخاصة الإيمانية يزيدها ذلك نفوراً، فأن يُعتدى على مليون دولار من أموالك يمكن أن تصبر ، ولكن أن يعتدى على عرضك هذا شيء كبير ، هذا لوحده وبكاء الرجل يدل على أن قيمنا الإسلامية ما زالت حية موجودة ، وأن هؤلاء يريدون إذلالنا ويريدون طعن شرفنا عامدين متعمدين ، فإن لم يكن عامداً متعمداً فأقل الأوصاف من هذا الجندي أنه على غير هدى وعلى غير معرفة بديننا ، **وأنهم قوم سفهاء ليسوا من الظالمين فقط ، وإنما هم سفهاء سيحكموننا** ، وهذا المنظر يمكن أن يكرر بصورة أخرى، ولهذا ينبغي أن نعظ أنفسنا وأن نقول

لكل من تأوّل للأميركان ولكل هذا الغزو والعدوان : نقول له : اخسأ فأنت على ضلال .

● كون هذه الحرب التي تخوضها أميركا لمصلحة إسرائيل يتأكد يوماً بعد يوم ، اليوم وهو من الأيام الأخيرة توضح شيء من ذلك أن من أوائل الأمور التي ستكون ما بعد الحرب هو التفكير بإحياء خط النفط الجاري من كركوك إلى حيفا مما كان في الزمن القديم قبل أكثر من خمسين سنة حيث يجري النفط العراقي إلى ميناء حيفا ، فلما احتلت الأرض المقدسة توقف ضخ النفط ، واليوم يريدون إحياء ذلك ، **يقال أن الأنبوب ما زال صالحاً للضخ وهذا دليلٌ واضح على أن الحرب إنما تقام لمصلحة إسرائيل** ، وقد ذكرت في دراستي في الإنترنت في مثل هذا المعنى أن البعض انساق وراء التحليلات التي تقول أن النفط هو وراء الحرب وان عين أميركا على النفط ، وهذا صحيح ولكن ليس هو السبب الأول ، السبب الأول هو محاولة إضعاف العراق لئلا يحارب إسرائيل، **إنما تقوم هذه الحرب بطلب من إسرائيل ، لأنها تخاف من أجيال العراق** ، لأنهم يجدونه في التوراة مكتوباً عندهم أن الجيش الذي يدمرهم ينطلق من أرض بابل ، فكانت هذه السلسلة من الحصار ، وما قبل الحصار والآن هذا العدوان .

● **ولا شك أن القضاء على القضية الفلسطينية سيكون هو الخطوة اللاحقة ما بعد احتلال العراق ، وأن هذه الانتفاضة المباركة قد غيرت كثيراً من الموازين وأنزلت إسرائيل من عليائها ، وأربكت اقتصادها ، وأخافت أهلها** ، فهاجروا منها راجعين إلى البلاد الغربية ، وجرأت المسلمين على فعل مماثل ، الانتفاضة قامت بأدوارٍ كبيرة حتى الآن ، ولهذا يمكن أن تكون أول الأعمال بعد الاستيلاء على العراق هو التفرغ لعملية إنهاء الانتفاضة ، وما مجيئهم بمحمود عباس الذي ينتمي إلى الفئة البهائية المارقة إلا مقدمة لتنفيذ هذه الخطط لتسكيت هذه الانتفاضة ، وكان أول ما تولى أن يجتمع بممثلي حماس والجهاد ليقنعهم بإنهاء الانتفاضة وطبعاً لم يستجيبوا له ، فسيكون الاستهداف لهم هو أول الأعمال لهذا

الرجل الخائن الذي عرفناه في قضية أوسلو كيف باع كل قضيته بثمن بخس ، بـل بلا ثمن أصلاً، واليوم قد وضع في موضع التنفيذ ليبيع القضية ثانيةً بدون ثمن ، **وما خارطة الطريق التي يتحدث عنهـا الـبعض إلا وثيقـة الاستـسلام الأخـير ، وليس فيها من بركة ولا من خير ولا من شيء نافع للفلسطينيين بتاتاً كمـا قـال أهل الخبرة** ، وإنما هي وثيقة استسلام ، ومما أعجـبني خـلال هـذه الأيـام **دراسـة نشرها الشيخ سفر الحوالي أحد ثقات العلماء بمكة** ، وهي وثيقة جيدة كتبها في تحليل هذه الحرب وأنها تـُراد لترويض الانتفاضـة بالدرجـة الأولى وأنهـا لخدمـة إسرائيل ، وأتى من خلال شرح كثير واستكشاف لأقوال صحفيين يهود وغربيين بأربعين صفحة من الحجم الكبير ، وهذه الدراسة جيدة وأحيلكم إليها والانتبـاه لها وترويجها بين شباب الصحوة الإسلامية ، فهي دراسة جيدة بحمد الله تعالى ..

● هناك في بعض مواقع الإنترنت وفي قناة المنـار منظـر واحـد يعظنـا بموعظـة كبيرة : أن جندياً إسرائيلياً بسلاحه يركض وراء ولد عمـره ثـلاث عـشرة سـنة ، وحتـى يتعـب الولـد فيقـف ويلـتقط حجـراً وينقلـب الموقـف علـى الجنـدي الإسرائيلي، **ويبدأ الجندي اليهودي بـالهرب والولـد الفلـسطيني المـسلم يـركض وراءه ، وكان من أعظم المناظر ، لحظات قليلة تدل على نفسية اليهودي وأنـه لا يقاتل إلا من وراء جُدر ، وأنه جبان** ، وأن وصفه الذي روّج له الإعلام إنما هـو وصف كاذب ، هؤلاء الشبان الصغار بالحجـارة اسـتطاعوا أن يروّعـوا اليهـود ، فالأمر قريب بإذن الله تعالى ، لأن من أمامنا جبان ، ليس اتكالهم إلا على الـسند الأميركي ، إذا زال السند الأميركي يزول ما هنالك ، وإسرائيل تبقى أضعف من ضعيف ، وهذا الذي أشرنا إليه في الدراسة الأولى أننـا **نحـاول أن نجعـل أميركـا تنكفئ على نفسها ، ومتى ما انكفأت سوف لا تساعد إسرائيل بالصورة الحالية** ، وعند ذلك يكون المجال الكبير مفتوحاً أمامنا .

● أقول وبالله التوفيق: أننا وما زلنا منذ بداية العدوان نـُحسن الظن بالله تعالى ونتعلق بالأمل وعلى ثقة بأن الله ينصر عباده ، ونعتصم بعسى ولعل ، وهذا هـو

الذي أنطقنا بالموازين التي قلناها وبذكر بشائر النصر والفرح لكل حدث يحدث لصالحنا ، تسقط طائرة أو يقتل جندي أميركي فنبدي الفرح ، هذا هو ما يليق للمؤمن ويليق له أن يستبشر ، ولكنْ واجب علينا نحن دعاة الإسلام أن ننظر بعين فاحصة : هل أن كل ما يحدث رغم كل هذه المقدمات المشجعة وثبات العراقيين أكثر من أسبوعين حتى الآن أمام الغزو هو نموذج الصورة النهائية التي نحاول أن نوجدها طاعةً لله ولأوامره ؟ أم هناك شيء من الخلل يدعونا لأن ننتبه له ، لأننا أمام معركة ربما تكون طويلة ، والحرب هذه واستعمار العراق أو انتصار الجيش الأميركي على العراق ربما يكون ويحدث ، لكنها صفحة واحدة أولى من صفحات الحرب ، **في الحقيقة هناك صفحة ثانية ستكون فيها المقاومة ، هناك صفحة ثالثة ستكون فيها امتدادات الحرب إلى أقطار أخرى** ، وتكون مرة ثانية تجربة مكررة في بلد آخر أو أكثر من بلد ، لذلك هي صفحات طويلة ومن هنا يؤذن لنا أو يجب علينا أن نعرف ما هي صفات هذا الجهاد ، ومن أين يكون الخلل ، يعني لما نقول : **إن هذه المعركة اليوم التي تقوم في العراق في جانبها العراقي ليست نموذجية** ، إذن ما الخلل الذي فيها حتى نتجنبه ؟ ستكون أقوالنا هذا اليوم لتحليل هذه القضية ليكون لنا عبرة فيما سنذكر ، ونُهدي وعياً إلى مجاميع الصحوة الإسلامية ، حتى يستدركوا استدراكاً على بينة وحتى يخوضوا جهادهم على وعي ، فيكون جهادهم الجهاد الواعي المثمر بإذن الله تعالى .

● **أصل هذا الخلل الموجود هو الظلم الذي تميز به صدام خلال سنوات حكمه** وأنه انفرد بالرأي ، وكان لا يشاور أحداً ولا يتيح للعاملين إلى الإسلام مجالاً ، بل أكثر من ذلك كانت يده سريعة إلى السيف ، ويوقع القتل بالآخرين مما ولّد صورة أو واقعاً بالأحرى من عزوف الناس عن التأييد له بالتأييد المطلق لكي يكون فعلاً رمزاً وقائداً لهذه العملية الجهادية ، القول الجهادي الذي يقوله اليوم هو قولٌ متأخر ، يرد على لسانه ذكر الآيات ويحث المسلمين على الجهاد بينما هذا قول جديد لم يكن عليه بناء الدولة وبناء الحزب وبناء ما كان من نشاطات

كثيرة ، **بل الحروب التي أقامها سابقاً لم تكن على بينة وإنما ارتكب فيها عدواناً على الآخرين ، كقضية الكويت التي كان في غنى عن إثارتها يوم ذاك ، وأوردته المهالك وأوردت الأمة المهالك أيضاً** ، فهو استدراك في الحقيقة متأخر وليس بعمل أصيل يمكننا أن نطمئن له ، وهذا الذي يجعلني أتخوف في " دراستي " من أن يذهب المجاهد منا الذي هو أشبه بالملائكة ويضع نفسه في العراق ليقاتل من خلال خطة غير معروفة تماماً ، ومن خلال احتمالات أنه حتى لو أن صدام قد تاب فإن من معه من المجاهدين ومن المقاتلين الذين يعاونونه ربما لا يبصرون هذه المعاني الإسلامية والإيمانية لكي يرتقوا في مستوى قراراتهم وقيادتهم لأجزاء المعركة إلى المستوى الذي يؤمن " الأمن الجهادي " للمقاتل المسلم المجاهد من شباب الإسلام ، يقال : هذا يفت في العضد : هذا نوع من التخذيل ولكن في الحقيقة المعركة الحالية ما هي إلا صفحة واحدة من صفحات كثيرة ،حتى لا نغشّ أنفسنا ، **لأنه ما بدأ باعوجاج ، سوف ينتهي أيضا باعوجاج** ، والذي نأمله ويمكن أن يكون : أن تطول أيام المعركة بحيث يحدث نوع من الاستنزاف للقوة الأميركية وأن يؤدوا ضريبة كبيرة ، كأن يقتل منهم ألف أو أكثر من ذلك ، لو حصل هذا القتل الذريع في الجيش الأميركي لا شك أنه سيسلب الأميركان معنى الانتصار السياسي وتكون ضريبة باهضة لاحتلال العراق ، **أي قد يحتلوا بغداد في النهاية ، لكن النصر يكون باهتاً وشبه معدوم** ... كيف يكون معدوماً : أن الشعوب الأخرى التي يمكن أن تتعرض لعدوان من مثل هذا سيتعلمون الدفاع والإثخان في الأميركان ، ومعنى ذلك أن الشارع الأميركي سيتفجر أمام كثرة الدماء ، وآن ذاك سيحجمون عن عمليات مثيلة في بلادٍ أخرى ، تضع بغداد حداً لعدوانهم على الآخرين وتنتفض شعوب ، من هنا تكمن أهمية معركة بغداد إذا تمت وفق ما يقوله العراقيون ووفق ما نأمل من أنها ستكون معركة طويلة الأمد ، الحقيقة أنا أعتقد أنها ستكون فيها مدة متوسطة على الأقل إن لم تكن طويلة ، والسبب أن هذه المدينة الجبارة ليست مثل بقية العراق هذه ليست النجف ،

وليست حتى البصرة ، النجف طبعاً ١٠٠٪ هم من الشيعة **والمعروف أن المعارضة الشيعية قد تنازلت لأميركا كثيراً ونسقت مع أميركا ولذلك روّضت أهالي النجف وكربلاء والمدن الشيعية الأخرى ، روّضتهم وجعلتهم يؤمنون بجدوى التعامل مع الغزو الأميركي ، لذلك هذه المسألة مقرونة بالفتوى التي أصدرها السيد السيستاني كبير علمائهم ، وهذه الفتوى تقول بوضع السلاح والحياد وعدم القتال** وهي وإن نفتها الحكومة العراقية فإنها صحيحة وصادرة ، وقد بلّغ الشيعة أنكم إذ رأيتم فجوة فالأصل في الموقف الشيعي هو التعاون مع الجيش الأميركي أو على الأقل الحياد وعدم الحرب ، هذا الوجه الذي في هذه المدن ، البصرة طبعاً ليست شيعية كاملاً يمكن ٧٠ ٪ شيعة و٣٠ ٪ سنة ، لكن الكثرة الشيعية تجعل المسألة صعبة .

استطاعت الحكومة أن تحفظ الأمر أكثر من أسبوعين في البصرة ثم يبدو أن خللاً حصل أو تعاوناً من الجمهور الشيعي مع هذه القوة الغازية ، والدليل على ذلك أن الناس يتفرجون على الدبابات وهي تتقدم ولا يقاومون ، فهذا الأمر بهذا التفسير يعلل كيف تعامل الجيش الأميركي بسهولة مع قضية النجف وكربلاء والبصرة والمدن الشيعية الأخرى ، **أما في بغداد فالوضع يختلف ، بغداد مقسومة فيها شيعة وسُنة ، ولكن الأكثرية من أهل السُنة**، وحتى الشيعي الذي هناك ربما عنده من التفاعل مع القضية الوطنية أكثر مما موجود في المناطق الأخرى لكونها مدينة ثقافية وعاصمة ، والحوار مع أهل السُنة والعيش المشترك يبدل معايير كثيرة، لهذا أهل بغداد سوف لا يقفون الموقف الحيادي في هذه المعركة وإنما سيحاولون أن ينالوا من الجيش الأميركي المتقدم وتكون مقاومة كبيرة والله أعلم ، وهذا ما أظنُّه سيقع ، ولذلك نقول ستكون معركة كبيرة، العامل الثاني الذي أشرت له أن هذه الحرب ستكون مكلفة للأميركان ، اليوم يقال أن الحرارة هي ٣٨° ونحن لا زلنا في أوائل الشهر الرابع .. فكيف إذا طالت إلى شهرين وجاء الصيف الحقيقي الذي تقترب فيه درجة الحرارة من الـ ٥٠°؟

اليوم قيل أن معـدل مـا يـشرب الجنـدي الأميركـي سـت قنـاني ذات اللـتر والنصف ، لما تكون قرب الـ ٥٠° جزمـاً سيـشرب عـشرين لـتراً وأكثـر ، هـذه ضريبة كبيرة ستترتب عليهم لإدامتهم لهذا الشيء ، ليس فقط قضية الشرب، بـل حتى أنهم يشعرون بصداع ، يشعرون باضطراب في المعـدة ، يـشعرون بـالتقيؤ ، لأنهم ما تعودوا ذلك، ولهذا فالظرف الذي ستكون فيه المعركة هو لـصالح أهـل بغداد وضد الجيش الأميركي وهذا عاملٌ من عوامل النصر بإذن الله تعـالى ، بـل حتى موسم العواصف الترابية الرملية ما يزال ... **آخر ما كشف عنه اليوم : أنهم وبعد ما أرادوا تأسيس حكومة عميلة من قبل سارق البنك أحمد الجلبي ، أن يقيم حكومة عراقية في البصرة تحكم بقية أنحاء العراق الذي تحت السيطرة الأميركية ، هذا الأمر تقوم به وزارة الدفاع رامسفيلد ومجموعته** ، أما "باول" والبيت الأبيض فهم لا يوافقون على هذا السارق لأنه معروف أنه رجل لا قيمة له داخل العراق ولا يثق به أحد وصورته مـشوّهة ، الإنتربـول يطـارده لأنـه سـرق ٢٠٠ مليـون دولار من بنك البتراء في الأردن كيف يكون رئيساً للحكومة ؟! لذلك من المتوقع أن هذا الخلاف يستعر بينهم ، ومثل هذه المسائل الجزئية قد ترونها بـسيطة لكنهـا في العرف الديمقراطي الأميركي كبيرة. وهـذه المـسألة مليئـة بالمفاجئـات ، اليـوم محمد علي هلال ، القائد المصري ، قـال: إلى اليـوم الحـرب لم تبـدأ ، هـذه كلـها مقدمات الاحتلال ، المعركة هي معركة بغداد، قال : الخطة العراقية صحيحة مائة بالمائة حتى اليوم ليس فيها أي مجال للنقد ، والدفاع ينبغي أن يكون الـدفاع عـن بغداد ، لأن الجيش العراقي محروم من الحماية الجوية لذلك من غـير المنطقـي أن يخرج ، وكان الشاذلي تكلّم بمثل ذلك وحـذّر الجـيش العراقـي مـن الخـروج إلى خارج بغداد ، لأن المعركة معركة بغداد ، لهذا نأمل وبـالله التوفيـق ومنـه النـصر والله أرحم الراحمين لعلّ في هذه المعركة ما يصدّ أميركا وتنكفئ على نفسها [1] .

(١) حصلت خيانة في قيادة الحرس الجمهوري بددت الآمال ، ثم أن الأميركان ضربوا المطـار بقنبلـة غـير تقليديـة ، لعلها نيترونية ، قتلت آلافاً من الجيش العراقي ، فاختل التوازن ، وحسموا المعركة من خلال حرب غير أخلاقية .

□ ومع ذلك لما قلناه أن القضية الجهادية قضية أوسع علينا أن نتعرف على بعض الموازين في فقه الدعوة التي تحدد : كيف نتعامل مع القضية الجهادية ؟ كيف نؤسس عملاً جهادياً ؟ من نحن ؟ ما هو فهمنا للإسلام ؟ ما هي هذه المعايير الجهادية ؟ عندي عشارية في ذلك - اصبروا معي بارك الله بكم - بعد اكتمالها تبدو الصورة أوضح مما في بدايتها وفي سرد أجزاء منها ..

● **الميزان الأول في هذا نستله من وجوب تأسيس معنىً في قلب المسلم يحدوه إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويجعله يصمم على ذلك ويحتل هذا المعنى مساحة قلبه بأجمعها** ، وفي ذلك حوارٌ له معنى كبير بين أحد التابعين رأيته منقولاً في تفسير ابن كثير يبين أن أمر الدين شديد ، وأن الأمانة ثقيلة ، ويوضح هذا الحوار الفقهي حجم هذا الأمر ، قال التابعي :

(**هلك من لم يأمر بالمعروف وينهَ عن المنكر**) .

وأنتم ترون معي هذا قول صحيح ، الذي لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر فهو هالك بالمعنى الإيماني ، لأننا علمنا أنه من أسباب إبادة الأمم الماضية أنهم (كانوا لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه) ... **لكن يعترض عليه ابن مسعود** : أنك تكتفي بمثل هذا الأمر الضئيل ، **هذه منزلة هي أدنى الإيمان** ، قال ابن مسعود في الرد عليه في الحوار :

(**هلك من لم يعرف قلبه معروفاً ولم ينكر قلبه منكراً**) .

شرح ذلك الفرق بين أنك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر أو أن تؤسس في قلبك معنى الأمر بالمعروف ويحتل كل قلبك أيضاً معنى النهي عن المنكر ، أقول: التابعي هنا يأخذ بأدنى الإيمان، ويسهل الأمر على نفسه وعلى المسلمين فيتحرك متأخراً ، **بعد حصول الطامة ينكرها ، فينكره ابن مسعود ويعلمه بأن الأمر أكبر وحساس ويستلزم رفضاً قلبياً ونفوراً عاجلاً بأن يبادر المسلم إلى تأسيس أشكال المعروف وإظهارها ورفع أبنيتها ، وإلى غرس الكراهة الواعية للمنكر في دواخل النفس قبل وقوعه وغزوه لدارنا ، وهذه خطة ينوء بحملها فردٌ** ، وتعجز عنها

مجموعة أصحاب قلائل يتناصحون ، **وإنما يتكفل بها عملٌ دعويٌ واسعٌ يلتزم العزائم ويتوسل بالتخصص والمنهجية** ، ويتمكن من استشراف المستقبل ، ليستعد بما يليق ، ويكبت الشر إذا لاح شبحه ، فهذه المسألة في الحقيقة ، يعني قول التابعي في ذلك (يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر) هذا أدنى الإيمان ، هذا مفترض لأي واحد أن يفعله ، لكن ما هو أكبر منه حجماً أن الحساسية تؤسس في القلب معنى المعروف ، وهذا المعنى يحتل القلب ابتداءً - يتربى القلب بمعنى ثانٍ - ، إنه ليس عمل جوارح وينطلق القلب لما تتضح الصورة المريعة .. كلا .. **أنه عمل قلبـي مع أدنى تسربات المنكر ولو كان قليلاً** ، ولو كان بشكل ليس بالمرئي ، لا يمكن حتى بالعدسة المكبرة أن تشخصه ، في تلك المرحلة ينبغي على المسلم أن يكون قلبه حساساً لتمييزها ، **معه المكبرة التي يرى فيها صغير النـُذر ، يرى صغير الانحرافات ، فينكرها** ، هذا المعنى في الحقيقة هو المعنى الدعوي الذي نقول ، **الدعوة ترصد نفسها لإصلاح حال الأمة** ، ترصد نفسها رقيبة على الأمة، ترصد نفسها رقيبة على الحكام ، **اعوجاج الأمة واعوجاج الحكام كله ينقد بالأمر الدعوي ، ثم تجمع طاقات هؤلاء وتوظفها في عمل الخير ، المقايـيس الدعوية تري أدنى الانحراف** ، ومن هنا **فإن الرهط الدعوي هو الوحيد الذي يؤذن له ويمكن أن يبدي أثراً في مسيرة الحياة** ، في مسيرة معركة الإسلام مع الجاهلية قبل نزولها بدارنا ، اليوم لو تفتش بالمعايير الحديثة هل هو إنكار قلبي يكون هكذا أو يكون توسل بالوسائل المتاحة ؟ مدنياً نرى وجوب التوسل بالتخصص لأن أمر المجتمع اليوم كبير وصعب ونتعامل مع دول كافرة ومتقدمة ، فليس يودع الأمر إلى بعض المرتجلين أو إلى غير أهل التخصص بل يكون هناك تخصص ، أكثر من ذلك أن تكون هناك جمهرة مستعدة للتنفيذ لما يقوله أهل التخصص ، أكثر من ذلك هناك استشراف للمستقبل ، الحرب الأميركية هذه : لم أنا أنتظر حتى يغزى داري كي أقاتلهم ؟ **لم لا يكون استشرافي للمستقبل بشكل مبكر بحيث أعرفهم حين خططوا لها** ؟ كل الدراسات اليوم تقول أنه خطط لها

من قبل عشرين سنة وأنها ليست هي بنت اليوم وإنما دراسات وخطط تراكمت ، وحتى عرضت على كلينتون فرفضها ، لأنها لم تنضج ، اليوم جاء هذا الفريق ليتبناها وينضجها ، إذن لو كانت عندي الدراسات المستقبلية والاستشراف للمستقبل فسوف استعد لما ينبغي ، وإن كانت استعداداتي مثلومة ، **لأن الدعوة تستشعر ولكن الحكام يمنعون ، ولأن الحكام لا يستشعرون : فقدوا الشعور بحاضرهم ، فكيف يمكنهم أن يستشعروا المستقبل وهو غيب ؟** لكن مع ذلك فالصواب يبقى هو الصواب والطريقة الدعوية تبقى هي الأساس ، هذا هو المفهوم الدعوي الذي ينبغي أن نركز عليه ، ولو نرى اليوم المعركة : هل كان من الاستشعار شيء من هذا ؟ **هل رُبيت قلوب أهل العراق على تمييز المعروف والتعلق به وتمييز المنكر والإنكار له ؟ لم يحدث شيء من هذا .. لذلك معركتنا في بدايتها الأولى حصل فيها خلل** ، والخلل هذا واضح والاستدراك يبدأ من ها هنا ، اليوم الأميركان ربما يحتلون العراق ، المعركة التي ستحدث ينبغي أن استعد لها ، لا كالاستعداد الصدامي الذي كان فوضوياً ، **ولكن بالاستعداد الدعوي الإسلامي الذي يربي القلوب قبل أن يقذف بها إلى المعركة ، يربيها على المعروف وإنكار المنكر** ، وهذا لفظ صغير في حجمه كبير في معناه ...

إذن ينبغي أن نستأنف من جديد ، ينبغي أن نعد لمعركة أخرى من البداية بالطريقة القديمة : بتأسيس تربية قلبية تعرف المعروف وتنكر المنكر ، وهذا أحد وجوه النقص في المعركة الحالية التي تخاض ..

● **أمر آخر وميزان آخر ما يمكن أن اسميه أصل المدنية** : لماذا خلق الإنسان ؟ لاشك أن العـبادة أصـلٌ في خلق الإنسان (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ، العبادة هذه هي البداية وهي النهاية للوجود الإنساني ، **ولكن ما بين ذلك أُريدَ للمسلم أن يستعمر الأرض** ، أن يكون هناك شيء من التحدث بنعمة الله تعالى ، كيف تتحدث بنعمة الله ؟

خلق لك هذا الزرع ، خلق لك المعادن ، خلق لك العقل ، فيمتزج هذا العقل مع وجود المعادن مع وجود العلم والتعليم الرباني لك ، كلها بالإلهامات ، ربما يلهم الإنسان ليؤسس المدنية والحضارة ويكون آنذاك أوعى في عبادة ربه ، **ليس الساذج في عبادته كمثل الواعي ، ليست عبادة الفقيه كمثل عبادة الرجل العامي الذي يتلقى الأمر تلقياً تقليدياً ، العالم يجتهد ويبدع ، بينما العامي من الناس يمشي خلف أولئك ويتلقى الأمر من القيادات الفقهية الفكرية فيكون مقلداً ، ولهذا كلما توسعنا في توعية عموم الناس بدورهم الإنساني كلما كانت معركتنا أكثر وعياً** ، يعرف ماذا يريد ، ليست هي العبادة الساذجة بل العبادة الواعية ، ويحضرني هنا شيء من أقوال الصحابة ﷺ يساعدنا في فهم هذه القضية ، مذهب ابن عباس يرى أن الصناعة أصل المهمة الإنسانية ويقول ﷺ في قولٍ وجدته في تفسير ابن كثير : (ثلاث أشياء نزلت مع ابن آدم لما أنزل إلى الأرض :

- **السندان** : آلة الحداد ..
- **والكلبتانِ** : التي يمسك بها الحديدة ..
- **والميقعة** : يفسرها ابن كثير بالمطرقة ..) .

دلالة على أن الصناعة هي أصل في المهمة الإنسانية ، وقد شرحت ذلك في كتابي (منهجية التربية الدعوية) وأثر إيحاءات الصناعة على الجهاد ، وأنا لست آبه لتمحيص قوله أهو رأي محض أم رواية عن السابقين من الأمم السابقة ؟ قد قاله وتبناه ، والصحة واضحة في قوله ، اهتم أنا بتصريحه بأن الأداء الحضاري العمراني ركن في الحياة الإسلامية ، **وأن التعامل الإنساني مع الحديد هو قرين الإيمان .. فإذا هبطت جبهةٌ ساعة في سجود ، فإنه يؤذن ليدٍ ساعة ثانية أن ترتفع بالمطرقة** ، فإن آدم قد أمر بالعبادة والتوحيد ، ثم جيء له بالمعدن ليبني ، **وتلك هي منهجية الأذان الجهادي على نغمات رنين السندان وإنذارات المياقع** ...

● ويصدق هذا القول محاضرة حاضرنا بها الأستاذ د. زغلول النجار في بيان إعجاز القرآن في قول الله ﷻ : (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) ، قال وهو

أستاذ جيولوجيا وهو عميد كلية العلوم لأكثر من ربع قرن ورئيس جامعة وأخذ شهادة الدكتوراه من أميركا فلا يقول قولاً إلا صحيحاً : (**ثبت بالجيولوجيا أن الكواكب السيارة ليس بها حديد ، وكانت الأرض منها سابقاً ، وأن الحديد أنزل إنزالاً بعد خلقها**) ، بعدما صارت كرة وأخذت مكانها في السماء أنزل لها الحديد مثل المطر ينزل من الكون العميق فيضرب الأرض ثم ترسب كبقع كما نعلم ، **لذلك قول الله تعالى : (وأنزلنا الحديد) قول هو على لفظه ، كما ينزل المطر من السماء نزل الحديد مطراً إلى الأرض ، ونحن نعلم أن أساس المدنية التي نعيش اليوم فيها كله قائم على الحديد** ، ولولا الحديد لما كانت المدنية على هذه الشاكلة ، **هذا يصدق قول ابن عباس من أن أصل المسألة الإنسانية هو العمل العمراني المدني الحضاري** ، تعال وانظر الحديد أين كان يستعمل في الدول العربية وفي بغداد التي نريد منها الصمود الآن ؟ كان الحديد تصنع منه أبواب الحديد الكبيرة ليوضع خلفها المسجون ، **وتصاغ من هذا الحديد بالمطرقة والسندان القيود التي تقيد أهل الحرية وعاشقي الحرية** ، وتصنع من هذا الحديد السلاسل متينها ورقيقها التي توضع في أرجل عشاق الحرية ، **لذلك أصل معركتنا الحضارية قائم على خطأ** ، ما قام حديدنا في بلادنا الإسلامية على إنشاء هذه الحضارة والمدنية ، **وإنما صار حديدنا ممثلاً باب سجن وزنزانة وممثلاً بقيد في اليد أو قيد في الرجل وبسلاسل تفضح ما هنالك ، هل هكذا تبدأ المعركة الجهادية ؟** في بدء المعركة الجهادية هناك خطأ آخر إذ لم تعرف القلوب المعروف ولم تنكر المنكر ، زادت : أن هذه القلوب قد سجنت ، لذلك ينبغي لنا أن نعود إلى الرؤية الصحيحة لاستثمار منح الله ﷻ من المال والأنعام والمعادن والعلوم التطبيقية ، وأن نستخدمها لإنشاء مدنية صحيحة ، آنذاك يرجى لنا أن نقول : نحن في الطريق الجهادي الصحيح ، ومرة أخرى أقول : هذا عنوان صغير لمعنى كبير : كيف تعمل هذا العمل الحضاري الكبير مشروح في كلام الدعاة والمفكرين الإسلاميين ، وارجع إلى كلامهم لتعرف كيف تسلك في هذا الدرب ؟

لذلك لابد لنا من استدراك ثانٍ بعد الاستدراك الأول ، أن نصحح معادلتنا ، وأن نجعل قومنا يحاولون التجريب والتنفيذ والتوغل في الدرب المدني الحضاري ليؤذن لنا أن نكون – بإذن الله – على الدرب الجهادي الصحيح ... وإلا فإن **الظالم لا يكون فرداً واحداً ولابد له من أعوان** (إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ) .. هناك جنود ، ففي الساحة أناس ظلموا واليوم يريدون أن يجاهدوا ومن دون توبة واضحة، هذا الأمر يحتاج إلى نظرة عميقة ويحتاج إلى توبة ويحتاج إلى استئناف درب جديد يريهم **أن الطريق المدني الحضاري هو الطريق وليس طريق كبت الحريات** ..

● **درس آخر في هذه المسألة أننا نعلم أن أصل حركة الحياة التدافع ، والخير والشر ما داما في تحديات ، فهناك حقيقة التضاد في الحياة هي التي ميزت الناس إلى صنفين (ونفس وما سواها ۞ فألهما فجورها وتقواها)** ، النفس الإنسانية هي ميدان كل هذه المشاهد التي نراها ، قضية الحرب والعدوان ، قضية الحضارة، قضية التاريخ من بداية الحياة الإنسانية إلى اليوم هي معركة بين متضادين : خير وشر ، أراد الله بحكمته أن تكون كذلك لتتحرك الحياة ، فأن نأتي نحن خارج هذا التدافع نفهم دورنا لا ينبغي لنا ، بمعنى أننا مع أي معسكر : معسكر الخير أم مع معسكر الشر ، هي ليست مسألة قتال فقط ، القتال هو وجه من وجوه التحديات، إنما هو شر وخير في هذه الأرض ، دائماً وفي كل وجوهها : النفسية والمعنوية والفكرية والاقتصادية والعلمية البحتة واللغوية ، **في كل شيء هناك تضاد بين نقيضين ، على هذا قامت حركة الحياة** ، لذلك نقول : إن معركتنا لا ينبغي أن تجرد أنها معركة جهادية فقط ، بل هي **معركة حيوية عامة** ، مطلوب منا أن نتقن أمرنا في كل جبهات المعارك ، فأمريكا اليوم لما استأسدت وقالت أنا صاحبة النظام العالمي هل جاءت بالجندي فقط ؟ أين التكنولوجيا التي كانت وراء سلاحه ؟ ما قصة هذا السلاح ؟ كيف وجد هذا السلاح ؟ : وُجد بعمل طويل وبشغف وبتفكير وبسرقة الأفكار من الأمم الأخرى حتى حصل لها هذا

التفوق بالسلاح ، إذن العلم التطبيقي - فيزياء وكيمياء وغيرها - هي طريقنا .. **مسألة أخرى : الاقتصاد** : هل جاءها الغنى فجأة مثل من يموت مورثه ويرث التركة فجأة ؟ كلا .. أيضاً هي تنمية متدرجة وكيف استولت على مقدرات الشعوب واقتصادها وكيف عكفت على إسناد الدولار ، قصة الاقتصاد قصة أخرى طويلة أين نحن منها أيضاً ، **كذلك القصة الحضارية النفسية المعنوية ، الحرية التي فعلوها لأنفسهم** ، أنت الآن ترى أن تاريخ أميركا قد بدء من أكثر من مئتي سنة كدولة مستقلة ، **انظر وثيقة الاستقلال** - أنا رايتها نسختها الأصلية معلقة في واشنطن وعندي نسخة منها - كيف نصوا على حرية الإنسان وحقوق الإنسان والديمقراطية التي عندهم بحيث نتج منها ما نتج من استثمار العقول ، **بينما انظر دولنا العربية والإسلامية ما أن يعلموا أن فلاناً عنده فكرٌ وعنده إبداع حتى يضيق عليه ، فالنتيجة أن يهاجر إلى الخارج - إن لم يقتل ويسجن -** ، قيل لي وأنا في أميركا من أهل الاختصاص أن ٦٠٪ من الاختراعات التي تسجل في أميركا هي لأناس جاؤوا من وراء الحدود وتجنسوا بالجنسية الأميركية أو درسوا في أميركا ، لـمَ كان ذلك ؟ لوجود الحرية قبل كل شيء ، لوجود نظام التعليم العالي الماهر ، لوجود مكافأة على ذلك ...

إذن معركتنا حيوية بنطاقها العام ، وهذا لا يأتي به فرد ولا صيحة زعيم يقول: فلتعش بلادنا وتسقط أميركا ، وبالهتافات يخدع الموجودين ، **إنما يقوم بعمل دعوي ينفد إلى عروق الحياة جميعاً** ، إلى جذورها جميعاً بحيث تكون معركتنا حيوية فعلاً وليست معركة قتالية فقط ، وهذا الأمر أكرر : عنوان صغير لمعنى كبير ، طالعوا في الكتب التي ألفناها وألفها غيرنا ، ليست مسألة الجهاد والقتال مسألة ارتجالية ، فترى أناساً ليس عندهم حرية وليس في ذهنهم الفكر الجهادي وإنكار المنكر وليس عندهم الصناعة والتجارة والعلم التطبيقي ثم تقول لهم : تعالوا جاهدوا ؟ نعم ، تكون معركة يستشهد فيها ويحتل مكانه في الجنة ولكن لا يؤثر في الواقع الموجود ولا يزحزح أميركا وغيرها من الظالمين من مواقعهم لأنه

أتى أمره بنقصان وليس بتمام ووفاء ، من هنا تكون معركتنا بالميزان الثالث من الموازين الدعوية هي معركة حيوية ، معركة حياة بكاملها على أساس أننا ننطلق من الخيرية الإسلامية ..

● **وميزاننا الرابع في معركتنا أن الفكر الصحيح هو سيد الموقف اليوم ، نحن لا ندعو إلى عاطفيات بل إلى فكر صحيح يقود هذه المعركة وهو الفكر الشرعي التأصيلي الأصولي** ، فالواعظ الذي يستثير الحماسة يؤثر تأثيراً حسناً ، لكن هو تأثيره المؤقت ، أما المفكر فهو الذي نطلبه اليوم ، الفكر هو الذي يقود المعركة ، **وعندي أن هذا الفكر يتوزع في ثلاثة جوانب متساوية ليؤثر فعلاً في ما نريد من المعركة** ..

○ **الأول : شروط التجميع الناجح للمجاهدين** ، هذه هي قصة القصص في العمل الدعوي : أن البعض يدعون ويقولون : نريد تأسيس دعوة ، ولكن يأخذ من هنالك بالساحة ، **وبدون أن يربيهم ، ومن دون أن يميز من هو أفقه من غيره، ومن هو أكفأ من غيره ، ومن هو أذكى من غيره ، فيكون هنا ما يسمى بالتجميع العاطفي أو الارتجالي** ، وشيء من هذا حدث في بلاد كثيرة ، ولكن التجميع الواعي هذا هو المطلوب ، بحيث تتخير العناصر ، فيكون كل صاحب علم أو ذكاء أو إبداع في جانب هو المتولي للعمل ، ودرجات هذا التولي من القائد الأعلى إلى أعوانه إلى درجات أقل ثالثة ورابعة وعاشرة وأقل من ذلك ، **كل هؤلاء ينبغي أن يكونوا على سُنة الاختيار وليس على العمل الارتجالي** ، الناس في الساحة كثير ، ولكن منهم من لا يصلح إلا أن يكون تابعاً ، نحن لا نستغني عن أحد ولكن نقول: إنما تدار المعركة بالعقلاء الحكماء أصحاب النظر والقلب السليم والنجابة والأصل العائلي الشريف ، أشياء كثيرة تدل على أن هذا الرجل يوثق به ، وقد اجتاز القنطرة ، وأنك (ترسل حكيماً ولا توصه) كما في المثل ، فالحكيم هو الذي يتصرف بحكمته في الموقف المفاجئ ، أو حين الإشكال يتصرف بما يليق ، لذلك لا حاجة لتوصيته بأشياء كثيرة ، لكن إذا كان ساذجاً فإنك مع

كل معركة ومع كل جزئية لابد أن تطيل له النصيحة والتعليم ، وكما يقول البارودي :

وإذا عزمت فكن بنفسك واثقا

فالمستعز بغيره لا يظفرُ

إن لم يكن للمرء من بدهاته في

الخطب هادٍ خانه من ينصرُ

واحذر مقارنة اللئيم وإن علا

فالمرء يفسده القرين الأحقرُ

ومن الرجالِ مناسبٌ معروفةٌ

تسخو مودتها ومنه المنكرُ

هذا موطن الاستشهاد ، **الرجال لهم مناسب معلومة** ، نور الصدق في جبينه تراه ، وإذا تكلم لهجة الصدق تراها ، وإذا استشير تجد أن العلم والحكمة تأتي من فيه ، ولكن منهم منكر أينما توجِّه لا يأتِ بخير ، هو في عداد المسلمين ولكن لا يمكن أن يوثق به ، لذلك هناك تفريق ، **هناك شروط** ، **هناك تمييز وعملية اصطفاء وانتقاء واختيار** ، ليست المسألة مثل شيخ قبيلة يقول لقبيلته : ليأخذ كل واحدٍ سلاحه يهجم معي ، صالحهم وطالحهم ، جبانهم وشجاعهم ، الأمر ليس كذلك بل لدينا شروط في العمل الدعوي حتى يؤثر .

فانظر إلى عقل الفتى لا جسمهِ

فالمرء يكبرُ بالفعالِ ويصغرُ

الفعال هي التي تجعل الواحد كبيراً أو صغيراً ، فيا ترى اليوم القادة في المعركة وأمثالهم هل هم على هذا الميزان ؟

فلربما هزم الكتيبة واحدٌ

ولربما جلب الدنيئة معشرُ

انظر إلى تلك الفدائيتان العراقيتان كيف أنهما أقسمتا بالمقدسات بالله وبالقرآن أن تستشهدا فذهبتا إلى الموت ركضاً بغير زادِ ، وكانت منهما المأثرة عند سدّ " حديثة " ، وقتلتا بعض المارينز باستشهادهنّ ، **وبالعكس مثل معشر المعارضة العراقية الذين اجتمعوا في لندن وأثاروا الشعارات وغيرها ، واليوم تمخض الجبل فولد فأراً ، حتى الجيش الأمريكي يلفظهم لا يريد معاونتهم ولا يريد لهم ذكراً في المعركة حتى لا يطالبوهم بثمن ، لذلك جلبوا الدنيئة وهم معشر كثر** ، وفيهم الشيخ فلان والدكتور فلان ولكن ما قالوا شيئاً :

فاختر لنفسك ما تعيش بذكره

فالمرءُ في الدنيا حديثٌ يُذكرُ

هذه الأيام هي حديث لما بعدها ، اختر لنفسك أيها الداعية المسلم ماذا تكون؟ هل تنساك الأيام ولا يذكرك أحد أم أنك تخلد في التاريخ الإسلامي كما خُلد الأبطال ؟ كما أننا ندرس اليوم التاريخ ونقول : فلان من الأبطال ، وفلان قاتل وفلان انتصر في المعركة الفلانية ، خُلد ذكرهم ، شباب الإسلام في مثل هذه المسألة اليوم في موقع الخيار ، شاهد القول هنا أن الناس ليسوا سواسية ، وأن الذي يتصدى للجهاد أنواع ، لذلك أُقدّم من له فقه وعقل ونسب وحكمة ، والآخر تابعٌ ، أنا لا أقول نزهد بأحد من المسلمين ، كل مسلم يرصد لهذه المعركة، لكن **المراتب القيادية المتقدمة إنما هي حكر لمؤمن فقيه عاقل شريف** ..

○ **الأمر الثاني : التربية الجهادية ، الجهاد لا يؤدى بدون تربية** ، ليست التربية الجهادية التي يقولها فقط في الإذاعة أو يسمعها أيام المعركة ، ينبغي أن تكون نافذة حتى لصغيرنا ، حتى في كيفية صيحاته وألعابه ، تربية عميقة كان قد انتبه لها لسان الدين بن الخطيب – الفقيه الأندلسي الوزير المعروف – ، فله بيتان يمدح فيهما العرب ، وليس في هذا أمر قومي ولكن يمدحهم بأنهم حملة الإسلام وكيف علموا الجهاد لغيرهم ، يقول :

جيـران بيـت الله والعـربُ الأُلى   أضـحوا على قنن النجوم قعودا

مراكبهم عالية مع النجوم السوامي ، ساروا نحو المعالي فبلغوها ، كيف ؟

تخذوا السيوف تمائماً لوليدهم   والحرب ضئراً والسـروج مهودا

يعني أرضعوهم الحرب إرضاعاً ، وكما يكون للطفل مهد تهزه له أمه فإن السرجَ يكون مهداً ، هذا وصف رائع وجميل ولكن فيه ضريبة علينا كبيرة ، إذ **كيف وصل العرب الأوائل أولئك إلى المعاني الانتصارية إلى الجهاد** وسيادة الدنيا كما قال : وصلوا إلى مراتب النجوم ؟ بمثل هذا ، **السيف يكون تمائم لوليدهم ، والحرب هي التي ترضعهم وتداريهم ، ماذا يعني في يومنا هذا ؟ يعني حصول انقلابٍ في طريقة الحياة ، ليست هي الميوعة ، ليست هي الخدر ، ليست هي الأغاني** ، ولا الفديو كليب ولا الأشياء التي يقولونها اليوم والتي فيها الطريقة المجونية والتي تتعمد الإذاعات والفضائيات والمجلات أن تكون في الساحة دون غيرها لكي تحرف طبيعة التربية ، وكان أجدادنا على تلك التربية التي سمعناها ، يتخذون السيوف تمائم لوليدهم ، ويحاربون ويجاهدون ، و (نصرت بالرعب من مسيرة شهرٍ) .. لذلك قد يظن البعض - وأنا قد رأيت هذا عند بعض الواهمين من أقارب الدعاة أو من الدعاة الجدد - يقول أنه في مثل هذه الأيام إنما القول قول السياسة والوعي السياسي ، ومن عرف ذلك ولاك لسانه بالسياسة هو الذي يعرف طريق الانتصار ، كلا .. أنا أقول أن الأمر أكبر حتى في تلك القضية التي يقولها أهل المواعظ التي تسمعها وملّ البعض من سماعها ، لا توجد معركة بدون تربية جهادية منذ نعومة أظفار أبنائنا .. ثم ندعو الكبير الذي فاته الأمر إلى التوبة، وما أقرب التوبة من العبد ، والله يزين التوبة مرة بعد مرة في كتابه العزيز، وهناك قصص التائبين ، لذلك لا نزهد بمثل هذه المواعظ ، ولا نزهد بقول أحد ينهى عن مثل هذه الميوعة وأمثالها ، بل هي جزء من خطتنا الاستدراكية ، وجزء من الفكر الإسلامي الصحيح الأصولي .. **لأن البعض أصبح تغريه عوالم السياسة وما فيها ، يفهم أن الإسلام سياسة فقط ، حتى في المسألة الجهادية يغفل**

عن هذه الأوليات والبدايات ، فهذا من تمام الفكر ، فلهذا قلت أن الفكر هو سيد الموقف..

○ **المسألة الثالثة : أن نعالج أمرنا بالسر ، أن نعالج أمرنا بالتخطيط والتنظيم ،** قول الشعراء والحكماء بأن المعالجة بالسر هو في الحقيقة عنوان لأمور كثيرة فيها التخطيط الحسن ، فيها معرفة المنهجية ، فيها أشياء من الأمور التخصصية بحيث أن أمرنا لا يكون ارتجالاً ، ولا يكون بالعاطفة فقط ، وكما يقول البارودي ثانية :

وعالج السر بالكتمان تحمده
فربما كان في إفشائه الزللُ
ولا تكن مسرفاً غراً ولا بخلاً
فبئست الخلة الإسراف والبخلُ
ولا يهمنك بعض الأمر تسأمه
لا ينتهي الشغلُ حتى ينتهي الأجلُ
واعرف مواضع ما تأتيه من عملٍ
فليس في كل حين يحصل العملُ
فالريث يحمدُ في بعض الأمور كما
في بعض حالاته يُستحسن العجلُ

هذا مَعْلَمٌ بارزٌ من معالم التخطيط السليم ، يأتيك الآن أحد الشباب المتحمس الذي قاتل في الأفغان قليلاً ويقول لك : السلاح السلاح ، الضرب الضرب .. ليست دائماً تكون المسألة كذلك ، **أحياناً يكون الريث هو الصواب وهو الذي يؤدي إلى النتيجة الحسنة ، ليست دائماً لدينا القتال من أجل القتال ،** كما يقال : الأدب من أجل الأدب ، سواء كانت هذه الرصاصة هادفة أم طائشة، **وما أكثر الرصاص الطائش هذا اليوم بين شباب لا يحسنون معاني الجهاد ،** ولذلك قال الإمام البنا – رحمة الله عليه – في تصنيفه الناس : ليس كل مسلم أو

داعية مجاهد ، بل هناك من يجاهد ومن لا يجاهد ، ثم ليس كل مجاهد على صواب ، فهناك من يجاهد على بينة من أمره وخطة صحيحة ، **وهناك من يجاهد جهاداً فوضوياً ، لذلك ينبغي أن نحارب هذا الجهاد الفوضوي وأن نفطم الألسن عن القول الجزاف والدعوات والهتافات التي لا معنى لها : الهدم الهدم ، الدم الدم**، رأينا مثل هذه الشعارات ، ونكون عند حسن ظن الدعوة الإسلامية في الخطو الموزون وفي المرحلية والتتابع ...

هذا هو الأدب المأثور فارضَ بهِ   علماً لنفسك فالأخلاق تنتقلُ

الأخلاق يمكن أن تكتسبها إن لم تكن عندك ، يعني أن تربى على ذلك ، هنا يدعوك إلى أن تربي الآخرين على مثل هذه ، لذلك نقول : هذه المسألة هي مسألة تعليمية - مسألة المنهجية ومسألة الفقه الصحيح في القتال وكيف نخطو خطواتنا - هذه إنما تورث وليست هي بالمسألة الميؤوس منها ، وما أحوج دعاة الجهاد اليوم إلى التخطيط الصحيح ...

● **وخامساً أقول : أن الجهاد والحديد بالأيدي المتوضئة هو الصحيح ، الجهاد اليوم هو عنوان المرحلة القادمة من عمر الدعوة الإسلامية ، وُصفت الدعوة في بعض مراحلها بأنها في مرحلة التأسيس ، ثم وصفت بأنها في مرحلة الانتشار ، ثم وصفت أنها في مرحلة الصحوة ، ثم وصفت أنها في مرحلة التخصص والبناء المؤسسي ، اليوم تدخل الدعوة طوراً جديداً بهذا العدوان الأميركي الذي لن يقتصر على العراق بل سينتشر إلى بلدان كثيرة ، تسلك الدعوة في مرحلة جديدة هي المرحلة الجهادية** ، علينا أن ندرب أنفسنا عليها ، علينا أن نعي هذا الواجب الثقيل الذي وضعتنا الأيام فيه ، وأن الحديد الذي فيه بأس شديد وأنزله الله إلى الأرض من دون الكواكب السيارة إنما أنزل لمثل هذا اليوم كما أنزل إلى داود عليه السلام ، وفي أيادي محمد ﷺ ، والصحابة ﷺ ، **هذا يوم جديد في حياة الأمة ينبغي أن نبدأه ، ولكن بالأيدي المتوضئة لا بالأيدي التي فيها تلوث أو سبق لها أن كبّلت مؤمناً عاشقاً للحرية ، لهذا أيها الأخوة مرحلة ما بعد احتلال بغداد إنما**

هي مرحلة مهمة ، حيث يبدأ الجهاد الواعي ، أنا أعتبر أن الجهاد اليوم هو مرحلة الجهاد غير الواعي ، ومع ذلك سيؤسس شيئاً ننتفع منه ، سلباً وإيجاباً ، الإيجاب هو قصص بطولة تذكر ، هو إثخان في هؤلاء الأميركان ، هو نوع من التوعية لنا ، هذا كله من الإيجاب ، والسلب هناك أمور ذكرناها ننتفع منها لمعركة أخرى أتم ، لمعركة يمكن أن تصاغ بتأنٍ للرد على الوجود الأميركي بالخطة الصحيحة والمنهجية الصحيحة ، أول ما ينبغي أن نعرفه أن مهمة الدعوة صارت هي مهمة الجهاد التي يسميها إقبال في بيت له (مهمة الجلال) :

ولنغمةً من دون نارٍ نفخةٌ   ما الحُسنِ إلا بالجلالِ يُحاكُ

هذا شيءٌ رائعٌ أيها الإخوة ، قاله إقبال :

ما الحسنُ إلا بالجلالِ يُحاكُ

محاسننا عديدة الوجوه : **تربيتنا بحمد الله حَسَنَة** ، معادننا نظيفةٌ نقية ، **فِكرُنا حَسَنٌ يشُعُّ صوابا** من أيِّ الوجوهِ نظرته ، **ولكن إنما هو الجلال الذي يجعله بهذا الحُسْن ، والهيبة هي التي تجعله نافذاً** ، هذا الصواب الفكري إنما ينبغي أن يلتحم ويحاك - مثل اللحمة والسداة - بالجلال وباهيبة وبـ (نُصِرتُ بالرعب) والروح القتالية الجهادية ، هنا أستطيع أن أزعم آنذاك - أنا الداعية المسلم - أني داعيةٌ حقاً ، أقول فيُسمَعُ قولي ، وأُهَدّد فيخاف المهَدَّد ، أما من دون سلاحٍ ومن دونِ جهادٍ فالمسألة فيها كما ذكرها شَائبة من أنها نفخةٌ وتهديد ، فربما تسمعُ الرعد ولكن لا تسمع بعده فعلاً ولا تلمس واقعاً .

من هنا أيها الإخوة .. أنا أفهم أن المرحلة القادمة هي مرحلة الجهاد الصحيح، مرحلة ما بعد بغداد ، **في ظنّي أن الصور المثلى التي يمكن أن تكون عليها هذه العملية الجهادية القائدة القائمة في العراق هي صورة الانتفاضة الفلسطينية المباركة الحاضرة ، فإنها صورة رائعة أذكت عامل الاستشهاد ، الجميع يتشوق إلى الجنة** ، خمسون ألف مقاتل استشهادي سُجِّلوا في قائمة حماس ينتظرون دورهم الواحد بعد الآخر ، شيء ابتدعته الانتفاضة الفلسطينية وأوجدته في أدب المعارك

وفنّ المعارك لم يكن موجوداً ، **وفنٌّ في الجهاد جديد ، وعملٌ إبداعي ، لذلك ما أحرى أهل العراق أن يتبعوا هذا السهم وأن يسيروا على طريق الانتفاضة ،** آنذاك ستُزَلزَل الأرض من تحت المحتلين ، لذلك فإن هذه المعركة ستكون فيها عوامل أخرى غير مجرد القتال تساعدها ، منها المسألة المعنوية وإذكائها ، ومنها النشر الإعلامي ، والتعاون مع غير المسلمين في أوربا وغيرها من الذين ينصرون هذا الحق العراقي كما نصروا الحق الفلسطيني ، وأشياء أخرى من كيفية الاحتيال على المصائب ، وحتى المسألة المالية والاقتصادية والنفسية ، **فينبغي أن نبدأ من الآن ومبكراً ، لا ننتظر بدء المعركة** .. متى يكون إطلاق الرصاص ، لكن كلّ من يُحسِنُ شيئاً من دعاة الإسلام ومَن قاربهم من أهل الصلاة الخيرين ينبغي أن نوظفه في المعركة ويقول لنا ماذا يستطيع أن يقدم من فكر يخدم المعركة ، **وأولهم أطباء النفس وعلماء النفس والذين يدرسون علم النفس في الجامعات على** امتداد العالم الإسلامي أجمع ، أنا أخاطبهم كأول رهطٍ أن يدرسوا النفسية الأمريكية ويدرسوا النفسية العراقية ويدرسوا نفسية كل مسلمٍ ومؤمن ثم يقترحوا علينا أشياء من هذا القبيل .. ماذا نفعل ؟ كيف نُحطم النفسية الأمريكية ؟ نفسية الجندي المقاتل أو نفسية من يُعينه من الساسة ، لاشك أن كل مؤمن يحس بشيء من هذا المعنى ، لكن أهل الخبرة وأهل الاختصاص قولهم أدق وينبغي أن يُجمعوا رأيهم ، بل حتى لو استطاعوا أن يأتمروا مؤتمراً بعد ذلك ليزودونا بشيء من مثل هذا .. كذلك أنا أوصي أهل العراق اليوم الذين يقاتلون أن يُخفوا الـ (R.P.G.) الذي بأيديهم فإنها ستكون السلاح الأول في المعركة ، كما هي الآن فيما يبدو ، وعندنا أخبار أن الحكومة العراقية قد وزعت مئات الألوف من هذه الـ R.P.G. التي هي قنبلة صغيرة بسيطة التصنيع ، حتى العراق يُصَنّعها وبلاد أخرى ، لكنها حين تُرمى من مكانٍ قريبٍ على الدبابة تُشعل فيها النار ، لأنها تُحدث لثانية أو ثانيتين عشرة آلاف درجة مئوية ، **فأنا أرى بحدود ما عندي من نظر أن هذا سيكون هو السلاح الأول في المعركة القادمة ،**

لذلك ينبغي أن يُخفوه ، يدفنوها أو يخفوها في البيوت ، بشكل من الأشكال التي هم أعرف بها ، لأنها ستخدم يوماً ما ، وهي أهم من البندقية ، لأن البندقية تقتل الواحد والاثنين ، بينما هذه تقتل الجمهرة وتنسف الدبابة ، هذا كأمر ثـاني ، ثـم في مثل هذه المسائل جمع المال وإسناد المجاهدين لأن المجاهدين سينطلقون من فقر ، والانتفاضة الفلسطينية رأينا فيها كيف تهـدم إسـرائيل البيـوت ، ومـن حـسنات صدام التي كانت أنه يدفع لكل أهل بيت يُهدم مبلغاً كبيراً ، أدناه كما يُقال عشرة آلاف أو عشرين ألـف دولار ، وكـل شـهيد يـسقط يـدفع لعائلتـه عـشرة آلاف دولار، ولذلك إذا كوفئ المرء يندفع أكثر بلا شك ،و" كاد الفقر أن يكون كفراً " ، **فمسألة تجميع المال ووضع رصيد لمعركة الغد ينبغي أن نفكـر بهـا ، لا يُـكَلف بذلك عراقي محاصر من قبل خمس عشرة سنة وزادته هذه الحـرب فقـراً ، وإنمـا يُـكلّفُ به أهل الخليج وأهل نجدٍ وأهـل الحجـاز وأمثـالهم مـن الـذين في أوربـا وأمريكا من أغنياء المسلمين وأصحاب الرواتب الحسنة ، هؤلاء كلهم دورهم في معركة الإسناد المالي أمر مؤكد وكبير ، مـن الآن ينبغـي أن تبـدأ هـذه العمليـة التجميعية للمال ورصد شيء لما سيكون** ، وكـذلك التربيـة والـوعظ والإرشـاد يقوم به المفكرون المسلمون ، إلى الآن عندنا تعابير وقصائد عامـة عـن الجهـاد أو قصائد تاريخية ، اليوم كل أديب مسلم وكل مفكـر مـسلم ينبغـي أن يـضع أدبـه وفكره في خدمة المعركة ، **ينبغـي أن تؤلـف قـصائد مـن قبـل الـشعراء** ، مئـات القصائد ، ومـا أجمـل القـصيدة الـتي قرأتهـا اليـوم لـلأخ الـشاعر عبـد الـرحمن العشماوي ، قصيدة طويلة يُشكَر عليها جزاه الله خيراً وزاده الله فصاحةً ، قصيدةٌ رائعة ، وهناك قصيدة أخرى يقال قـد ذكِـرت هـذا اليـوم في تمجيـد مـن أسـقط الأباتشي هذا الفلاح لعائض القرني جزاه الله خيراً وزاده الله فصاحة ، فالمطلوب مئات القصائد من ذلك والتي تتحدث لا بالمعنى العام بل بالمعنى النسبي الجهادي الواقع الآن ، تمجيد المعارك ، تمجيد البطولات فإنها جـزء مـن المعركـة ، كـذلك أهل الفكر : جميع المؤلفين في فقه الدعوة وأمثالها ينبغـي أن يـساهموا في توضـيح

معنى الجهاد ، توضيح الجانب السياسي من هذه المعركة ، والجانب الاقتـصادي ، توضيح الارتباط بين القضية الفلـسطينية والقـضية العراقيـة ، فينبغـي أن يكـون هناك فكر كامل موضوع للمجاهدين حتى ينطلقوا عن بينـة وقناعـة وشـجاعة ، وهكذا **فإن سلسلة من الأعمال ، هذه بعض عناوينها العامة ، ينبغـي أن تكـون لتبدأ المعركة** ، وبحمد الله تعـالى فـإن " الحـزب الإسـلامي العراقـي " و " الإخـوان المسلمون " قد أفصحوا بوضوح عن نيتهم في استمرار الجهاد وفي مقاومة المحتـل ، صدرت عن الحزب ، وهذا اليوم هنـاك مقابلـة في " إسـلام أون لايـن " مـع أحـد قيادات الحزب الإسلامي الأخ الأستاذ أياد السامرائي فإنه قد قـال بوضـوح أنـه يرى بها الأمور ولهذا فهو يرى مقاتلة المعتدين الكافرين المحاربين فرض عينٍ على كل مسلمٍ غيور على أهله ووطنه مهما كان موقفـه مـن النظـام الحـاكم ، وتـابع السامرائي : أنه ومن هذا المنطلق السابق رغم معارضتنا العنيفة للنظام فقد أعلنـا كحزب منذ البداية رفضنا القاطع للعدوان على أرضنا وشعبنا وطالبنا إخواننا في العراق وفي كافة الأقطار الإسلامية أن يقفـوا صـفاً واحـداً في مواجهـة المعتـدين المحاربين ، واعتبر أياد أن ما يحدث في العراق هو مقاومة حقيقة للغزاة المعتدين لا يشارك فيها النظام وحده ولكن يشارك فيها الجميع حتـى مـن الـذين كـانوا قـد هجروا البلاد فقد عادوا ليدافعوا عنها ، وشدد أياد الـسامرائي علـى أن الحـزب يدعو المسلمين للتكاتف لـرد العـدوان ، فمثـل هـذه الخطـط الجهاديـة واضـحة ومعلنة .

● **سادساً : هذه الخطـوة الجهاديـة القادمـة قـد تجعـل التقـسيم وارداً** ، فمـع الأسف أن جمهور الشيعة يتحركون بنوع من التوتر ، ويفهمون أن الحكم الـسابق كان ظالماً لهم ، وأنه حتى الحكومات التي سبقته بل التاريخ كله كـان ظالمـاً لهـم ، لذلك يريدون الاستقلال ، وتنفس الـصعداء كمـا يقولـون .. **مـن هنـا ابتـدأت خطتهم التي مفادها التعاون مع الأمريكان ، هذا رأي المعارضة الشيعية وحتى ما حصل من إفتاء السيستاني كما ذكرت الأنباء ، هنا يكمن الخطر : أننا لو حاربنا**

في الوسط - بغداد وما حولها وإلى الموصل - ، وهي المناطق السنية ، فقد لا يكون الجناح الجنوبي مشاركاً في المقاومة والجهاد ، فالشيعة لا يريدون المشاركة في الجهاد كما فعل أسلافهم ، ذلك أنه في سنة ١٩٢٠ لما ثار أهل العراق : ثاروا سنة وشيعة ، فالشيعة بعضهم أيضاً كان مع البطولات السنية في درء ذاك الاستعمار ، اليوم نحن في شك ، فإذا لم يثوروا ولم تنبض منهم نابضة جهادية تقول بوجوب الاستدراك على تفريط المعارضة وأنهم سيقاتلون الأمريكان ، فإن الجهاد سيكون في قلب العراق وجسمه الأوسط من دون الجناح الجنوبي ، وهذا مكمن الخطر ، إذ أننا ربما نستقل أو نجد الانسحاب من الأمريكان ، ولكن في الجنوب سيبقى أثرهم ولا نستطيع التدخل هناك لأنها ليست أرضنا بل أرض الشيعة في الأغلب، **ومثل هذا عند الأكراد** فإنه حتى اليوم فإن التصريح الكردي واضح ، حيث قال: **إن قوات البيشمركة هي جزء من التحالف وتأتمر بإمرة القيادة الأمريكية** ، وهذا ما كنا نود ألا يحصل وأن يعيَ الأكراد دروس الماضي ، سبحان الله ، ولكنهم أخطأوا مرة أخرى ، **ليست هذه قومية فيها عداوة للكردي ولا هي إنكار لما ناله من الظلم ، ولكن ما هكذا تعالج الأمور ، فالخطأ لا يُعالج بالخطأ** ، وضعوا أنفسهم اليوم ضمن الخطة الأمريكية بمعنى أن العراقيين الآخرين ، وخاصة العرب من أهل السنة ، سينظرون إلى أنهم عاونوا في مجيء الاستعمار الأمريكي.. هنا يكمن الخطر ، فلو ثرنا نحن في الوسط والأكراد لا يثورون : فسيكون الجناح الشمالي قاصراً أيضاً عن مواكبة الجهاد ، **فهي مسألة من أعقد العقد ، وأنا أدعو كبار قادة الإسلام والمفكرين والعسكريين المصلين أن يمنحونا فكراً يعلمونا فيه كيف نسلك مع مثل هذه المعضلة** ، معضلة أن الوسط قد يثور من دون الجناحين .. كيف نتعاون في هذه الحالة ؟ في الحقيقة هي حالة معقدة ليست هينة أن تفتي بها على أي وجه دون ضرر ودون سلبية ، ولكننا نأمل أن الدعوة الإسلامية في كردستان ، وهي دعوة قوية بحمد الله ، يمكنها أن تؤدي دوراً في التوعية ، ويمكنها أن تشارك في تأسيس فكر جهادي يقنع بالتحول

إلى معركة جهادية ضد الأمريكان ، نأمل ذلك ولسنا نزهد بعقـلاء وتكـتلات في المجاميع الشيعية ، أنهم ينظرون بعين المصلحة الإسلامية العليـا ، فينتفـضوا علـى المعارضة وعلى دعاة التعاون مع الأمريكان ، ويؤسسوا مـذهباً جهاديـاً آخـر في الجنوب يكون عوناً للجهاد في المنطقة العربية السنية إن شاء الله ... لـسنا نزهـد ، وقـد أنتجـت المجـاميع الـشيعية في القـديم أو في الحيـاة الحاضـرة القريبـة بعـض المجاهدين ، **وكانت مني في شبابي بيعة لنواب صفوي رحمـه الله** ، وكـان بعمامتـه الشيعية مؤمناً بالجهاد ، وبالوحدة مع باقي الأمة الإسلامية ، وعاطفتـه جياشـة ، وأدى واجبه ضد عملاء الاستعمار ، الشاه والسافاك وغيرهم ، **وهو وجماعته ممن مهدوا لظهور الثورة الإيرانية** التي علمنا من نفذها ، ولكن يجهل الناس مَن كـان جذرها، **والذي أذكاها وأوقد شعلتها الأولى نواب صفوي رحمة الله عليه** ، فلسنا نيأس ولنا أصدقاء من هذا الجمهور الشيعي نظنهم سيـسارعون إلى الجهـاد بـإذن الله .

● **سابعاً : هناك خطر على هذه العملية الجهادية فـالبعض يـدعو ، كمـا ورد اليوم على لسان وزير الخارجية الألمانيـة : أن يجـيء جنـود الأمـم المتحـدة بعـد الحرب إلى العراق ليكونوا هم أهل النظام بدل الجيش الأمريكي** ، وتلقـف بـاقر الحكيم منه ذلك وأصبح يردده الآن ويطلب مجيء جنود الأمم المتحدة ، وهذا في الحقيقة أمرٌ مُحَيّر وعلى أي وجهيه رأيته تجد فيه ضرراً ، لمـاذا ؟ **لأن الأمريكـان إذا انسحبوا وجاء جنود الأمم المتحدة فإنهم سينفذون المطالب الأمريكية والخطة الأمريكية** أو خطة حتى من معهم مـن حلفـائهم مـن الأوربـيين ، فـإن الموقـف الألماني أو الفرنسي كان صحيحاً ضد الحرب ، ولكنـه فيمـا بعـد الحـرب وأيـام السلم سوف لا يعبر عن مصالحنا كاملة ، هم لهم رؤاهم ولهـم مـصالحهم الماليـة والاقتصادية ولهم فلسفتهم التي ينطلقون منهـا ، لهـذا فـنحن أمـام جنـود الأمـم المتحدة الذين ينفذون الإرادة الأمريكية ولكن بدماءٍ غير أمريكية ، مـا موقفنـا ؟ أنقاتلهم من أجـل أن يكـون الاحـتلال الأمريكـي والـسياسة الأمريكيـة ملغيـة

وجالية؟ أم لا نقاتلهم هنا وتكون العملية الأمريكية هي الجارية ؟ فهذا أمر في التخطيط للمعركة محيّر وليس سهلاً ، **لأن هؤلاء ربما يكون فيهم الجندي المسلم** ، فسيأتون بجنود من اندونيسيا وباكستان وتركيا ، فما الحل هنا ؟ وكيف تُقاتل المسلم أيضاً ؟ فهذه المسألة أكبر ، فلو قلنا بجواز مقاتلة إيطالي وبولندي وغيرهم ممن سيأتون بهم ، لكن كيف تقاتل المسلم والنهي موجود ، وما هو فقه الإفتاء ، فهذه معضلة ، وهل أنه من الصواب مقاتلة هؤلاء ، جنود الأمم المتحدة ، أم من غير الصواب ، كافرهم ومسلمهم ، **هنا يأتي دور المفكريين المسلمين أن يبتدعوا لنا حلاً صحيحاً لا يعتدي على أحد من الدول** ، ويحفظ علاقاتنا الحسنة بألمانيا وفرنسا وغيرها ممن يساند القضية العراقية وهي ضد الخطة الأمريكية ، ثم بنفس الوقت نحفظ مصالحنا الجهادية ونمنع أمريكا من الاستمرار في العراق : إنها معضلة أخرى تحتاج إلى حلٍّ وأهل الفكر وخبراء السياسة هم الذين سيفتون فتواهم في هذه القضية .

● **ثامناً : إن التنسيق العالمي ضد الجيش الأمريكي بل وضد خطة العولمة الأمريكية أصبح واجباً ، وليست المعركة معركة العراق فقط وإنما هي معركة البلاد التي تستهدفها السياسة الأمريكية** ، سواءً بالاحتلال ، كسوريا أو إيران أو السودان أو ربما حتى بلاد أخرى ، أو ليس على أساس الاحتلال بأن تكون مُعرّضة للغزو الاقتصادي الأمريكي ، أو الغزو السياسي ، بحيث تُمسخ هويتها السياسية أو الثقافية ، لذلك فالمعركة هي أكبر من معركة العراق : معركة خطة أميركية شاملة تريد أن تنفذها في العالم ، وفي العالم الإسلامي بصورة خاصة ، فكيف ندرأ عن أنفسنا ضرر هذه الخطة التي هي متعددة الوجوه ؟ هذا عنوان صغير لواجب مستطيل منوع من أنواع الأداء الذي يجعل جميع الساحة الإسلامية متهيئة ومتحدية للوجود الأمريكي ولهذه الخطة الماكرة ، خطة العولمة والقطب الواحد ، كيف نعمل ؟ أنا لا أستطيع أن أحدد الآن ، عندي في ذهني بعض المعالم العامة لمثل هذه المسألة ، **ولكنه واجب المخططين المسلمين أن يثيروا كل**

إمكانيات التحدي والمقاومة في العالم الإسلامي ، وأن ينسقوا بينها وأن يهدوها طرفاً من الوعي الذي يتوصلون له والتربية القيادية والتربية الجهادية ، فتتنوع كما قلت : في بعض الأماكن جهاد قتالي ، وفي بعض الأماكن جهاد اقتصادي وفي بعض الأماكن جهاد تربوي وفكري ضد الخطة الماكرة في مسخ هويتنا الإيمانية الإسلامية ، القضية أوسع من أن تحتويها محاضرة ، تحتاج إلى تفكير طويل ، وتحتاج إلى مؤلفات ، ولكن نشير إلى أهميتها ، وبلا شك فإن أي نقطة من النجاح نسجلها في أي قطر من هذه الأقطار الإسلامية **ستتجمع وتتراكم وتترسب مع نقاط أخرى مثيلة لتكون زخماً يبطل مفعول أو بعض مفعول هذه الخطة الأمريكية ، بمعنى أننا نستطيع بإذن الله لو عملنا على هذا الأساس في كل العالم الإسلامي أن نجعل أمريكا تتضرر وتتكفؤ على نفسها ، لأن المسألة هي مسألة نفس إنسانية أولاً وآخراً ، إنهم يألمون كما تألمون ، ليس فقط الألم من جراح في الحرب ، بل حتى في الدأب والتفكير فيمكرون ويمكر الله ، ثم الله تعالى يعلم مكره هذا عباده الصالحين فتتفتق أذهانهم عن إبداعات في كيفية إنزال أمريكا عن عرشها هذا** ، لهذا لا نزهد أيها الإخوة بمثل هذا الكلام لأن الحرب المعادية لأمريكا ، أو لنقل التحدي المتنوع الأداء ضد أمريكا قتالياً أو اقتصادياً أو تربوياً أو نفسياً : إذا كان في آن واحد في كل البلاد سيؤتي ثمراته ويجعل الوجود الأمريكي آنذاك يهتز ، لأن طلبات البنتاغون أو خطابات الرئيس الأمريكي تتجمع كلها لتتمثل في تصرف الجندي الأمريكي أو الأديب الأمريكي أو السياسي ، فليس كل ما يريده بوش أو يريده البنتاغون يحصل ، فكم وكم من جندي يخاف ؟ كما قلنا عن الجندي الإسرائيلي الذي كان يطارد الولد الفلسطيني فوقف الولد وأخذ الحجارة بيده فهرب الجندي الإسرائيلي وأصبحت القصة معكوسة ، هذا بسلاحه يهرب وهذا خلفه بحجره ، ما المانع أن تتكرر مثل هذه القصة مع آخرين وآخرين ، إن لم تكن بهذه الطريقة فبطرق أخرى ، وبذلك يكون الانكفاء ، **مع أنه ليس كل الشعب الأمريكي مع العولمة فنرى شطراً منه**

ضد الحرب وضد التدخلات وضد الجرائم الإنسانية ، واليوم بالذات وجَّه أكثر من مائة أديب أمريكي خطاباً إلى بوش مكتوباً يدعونه إلى ألا تكون أمريكا هي صانعة الشر في الأرض ، وجزماً أنهم قد أسندوا هذا التوجه بقصائد وخطابات ومقالات وغيرها ، فلازال التحدي حتى في أصل أمريكا كبيراً ، وقد أسمينا كثيرين ، حتى في أمريكا ، ممن يكتبون ضد هذا التوجه الاستعماري ، وقلنا أن الفيلسوف (**تشومسكي**) الذي هو يهودي الأصل ولكنه معادٍ لإسرائيل وللسياسة الأمريكية قد تكلم هو ومجموعته ، أمثال إدوارد سعيد ، وله وعيٌ جيد في هذا الباب ، وهشام شرابي وآخرين مجموعهم عشرة ، وقد أدوا دوراً جيدا ، **لذلك فإن مسألة التحدي التي نقولها أبعد من أن تكون حربية ، أبعد من أن تكون وعظية ، أبعد من أن تكون اقتصادية ، فهي أيضاً ثقافية وسياسية وإعلامية ونتعاون فيها مع كلّ محبٍ للحرية في العالم أجمع ، ليس شرطاً أن يكون مسلماً ، بل نتعاون مع المسلم والكافر** ، المهم أن تنتشر هذه الخطة على المساحة الواسعة ، مساحة العالم الإسلامي ومساحة الجاليات أيضاً ومساحة الخيرين أو أصحاب العرق الذي لا يزال ينبض بنوع من محبة الخير في العالم أجمع .

● **تاسعاً : تشجيع الجهد العالمي الذي أنهيت القول فيه** ، ليس على سبيل التعميم ، ولكن هناك أشياء مخصوصة إذا علمنا كيف ننميها وكيف نتخذها منبراً فتخدمنا ، وأضرب من آخر الأمثلة في ذلك ما حدث خلال هذه الأيام ..

الأمر الأول : القناة الإيطالية التي تبث ضد الحرب واسمها (قناة ضد الحرب) وهي ممولة بأموال الإيطاليين أنفسهم ، خمسة ملايين يورو تبرعوا بها من مقاطعة واحدة ، وتعتمد على المحطات الأخرى ، فتأخذ من الجزيرة ومن غيرها ، ولكنهم قالوا : نحن بصدد أن نتخذ لنا برامج خاصة ومصورين خاصّين في المعركة وغيرها .. هذا جهدٌ فوق الجيد ، وجهد صحيح يلتقي مع مطالبنا وإرادتنا ، وهم الذين أظهروا في هذه المحطة ما كان من مؤتمر الأطفال ، هم أطفال يحاكمون أمريكا ، فهذا عمل من الأعمال التي يمكن أن نساندها بالقول ،

أو ببرنامج ، أو بإبداء رأي ، أو صورة وبكل شيء ممكن أن يكون ، وعنوانها واضح لمن يريد أن يساند في ذلك .

المثل الثاني : موقع وزارة الخارجية السويسرية على الإنترنت ، وزيرة الخارجية واسمها (ميشلينا راي) هذه وزيرة جيدة تكره الحرب القائمة وتنتصر للعراق ، وهزها ما كان من مناظر قتل المدنيين والأطفال والبؤس الذي حصل في العراق ، إضافةً إلى شعورها بأن سويسرا مكلفة بالحفاظ على تنفيذ اتفاقيات جنيف السلمية وحول الأسرى وحول الحروب والصليب الأحمر وأشياء من هذا، لذلك جعلت ضمن موقع الوزارة مجالاً لصور ومآسي الحرب وأسماء الضحايا وأشياء أخرى كثيرة ، ونجحت فيه ، وهو عملٌ تُشكَر عليه الحكومة السويسرية ويعتبر نموذجاً لطاقات موجودة لدى الغرب للتعاون معنا ، فاليوم مثلاً لم أسمع **رأي وزيرة الخارجية السويدية في الحرب على العراق** ، وإلا فإنها في الانتفاضة الفلسطينية وقفت موقفاً جيداً ، وحين قدمت إلى البرلمان السويدي طلباً بأن يقاطعوا البضائع اليهودية الإسرائيلية ولم تنجح في حصول التصويت الكافي وقفت على المنصة في البرلمان وقالت : أنا سأقاطع بنفسي إن لم تقاطع الحكومة وأجعل من نفسي قدوة لآخرين ، فاقتدى بها عشرة من نواب البرلمان وقاطعوا البضائع الإسرائيلية ، مثل هذه اليوم أظنها واقفة أيضاً ضد التوجه الأمريكي في الحرب ضد العراق ، وآخرون غيرها ، كما أقول نحن ننبه إلى جنس هذه الأعمال ولا نستطيع أن نستقصي ، وهذا خبر هذه الأيام وما يدرينا ما ستتفتق عنه الأيام القادمة من قنوات أخرى وصور ومجلات وتصريحات وأعمال خيرية يمكن أن نكون ضمنها ونوجهها لتصرف في المكان الصحيح في العراق .. وأشياء مماثلة أيضا ، **فهو نوع من أنواع العمل في إتمام عمليتنا الجهادية والتمهيد لها وإسنادها ينتصب كمَعْلم تاسع في جوامع الفقه الدعوي الحاضر** .

● **عاشراً: شرعية جهادنا واستمدادها من سور القرآن الكريم ووجوب وضوح ذلك في أذهان جميع الناس** من إخواننا المسلمين من أهل العراق ومن

أهل غير العراق ، وأن مستندنا الشرعي أو موقفنا الجهادي المصر علـى التحـدي هو مشروح بكفاية في القرآن الكريم ، وقد قلت ذلك سـابقاً وأجملـت لمثـل هـذا المعنى "كيف نتعامل مع هذه الحقائق في القرآن الكريم" لكل زمن ولكـل مرحلـة ما يناسبها من أننا نشدد على صنفٍ مـن آيـات القـرآن الكـريم ولـسنا هـاجرين للقسم الآخر بل تالين له ، ولكن نبرزه ، **القرآن الكـريم فيـه مـن آيـات الجهـاد مقدار كبير وأمثلها سورة القتال (سورة محمد ﷺ) وآيات كـثيرة في آل عمـران وفي البقرة وفي غيرها ، والتي تتضافر جميعاً لإبداء الأدب الجهادي ومعناه ، هـذا يجب أن يبرز جداً لكل مسلم اليوم ، أهل القرآن وأهل العلم الشرعي ينبغي أن يدندنوا حول هذه الآيـات ويُكثِـروا منهـا اليـوم بعـد إذ أراد الكـافر طـمـسها وإبعادها ، وعلى درجة سواء مع هذه : ذم اليهود ، كـم مـن آيـة في القـرآن في فضح بني إسرائيل وفي ذمهم وفي إبداء عوار مسلكهم نفسياً ، وفي أحكام الحلال والحرام ، وفي قتالهم ، وفي كل شيء ؟ وأننا موعـودون بأننـا سننتـصر علـيهم ،** لذلك وكعمل مكافئ ينبغي ، وقد بينا الارتباط بين المعركة العراقيـة والانتفاضـة الفلسطينية ، أن يكون الارتباط من خلال عرض آيات القـرآن الـتي تكـون ضـد اليهود ، نعرضها كجملة واحدة مع ما نعرض من آيات الجهاد ، **وبذلك تؤسَـس لنا الشرعية الكاملة أولاً في قلوب المسلمين ، وثانياً نخاطـب الأمـم الأخـرى أن تفهمنا أننا ننطلق مـن رؤانـا الإسـلامية الدينيـة ولا يمكـن أن نـذوب في التيـار الأمريكي ، وإنما هو واجب رباني ، وهكذا تشهد لنا هـذه العمليـة آنـذاك بـأن الشرعية ليست هي الشرعية الدولية وإنما شرعيتنا هي الشرعية الربانية ، هذا أمر في غاية الأهمية لأن بعض الدعاة وقعوا في المنزلق وفي الفخ لمـا وجـدوا مجلـس الأمن يمانع التصعيد نحو الحرب ، فظلوا يشددون على مسألة الـشرعية الدوليـة ويكررونها وأشياء من مثلها** ، ولا بأس أن تشدد عليها طالمـا أنهـا في صـالحك ، ولكن ينبغي أن تذكر ما هو قبلها من الشرعية الربانية ، فالله هو الذي أعطانا هذا الحق أننا نحن أهل الإيمان نقاوم الكفر ونقاوم الشرك ونقـاوم العـدوان ، و(أُذِنَ

للذين يُقاتَـلونَ بأنهم ظُلِموا) ، مأذونٌ .. لنا : هـذا أمـر ينبغـي أن تـدور عليـه خطتنا في هذا الباب .

❑ **هذه الأمور العشر هي جوامـع الفقـه الجهـادي الـدعوي** ، وهـي أسـاس نظرتنا لمرحلة ما بعد بغـداد ، فنبـدأ بتأسـيس عُـرف المعـروف وإنكـار المنكـر في القلوب ، ونؤمن بأن الحديد قد أنزله الله لنا ليكـون صـناعةً وحـضارةً ودفاعـاً ، وثالثاً : أن أصل حركة الحياة التـضاد والتـدافع ، ونحـن حلقـة في حلقـات هـذا الصراع لن تنفك عنه ، فهي سُـنّة ماضية ، ونحن جزء من هذا التـاريخ الماشـي ، ثم إن الفكر الصحيح هـو سـيد الموقـف وينبغـي علـى ذلـك أن تكـون شـروط التجميع صحيحةً واضحة ، وتربية جهادية حتى لأطفالنا ، .ثم أن نعالج الـسر ، ونتخذ الخطة الحسنة ، وأن تكون المنهجية في الخطو الموزون ، وهو عنوان صـغير لخطة كبيرة يكون فيها الفكر الشرعي التأصيلي هـو الأسـاس، ثـم أن ننتقـل إلى عملية جهادية فعلية ، ويكون الحديد في الأيدي المتوضئة كما كان وجـوب المـال في الأيدي المتوضـئة ، فـاليوم وجـوب وجـود الحديـد في الأيـدي المتوضـئة ، لا الأيدي الـمُخَـلّطة ، وإن حسننا إنما يُحاك بالجلال كما قـال إقبـال ، وأن تكـون انتفاضتنا على غرار الانتفاضة الفلسطينية المباركة ، وقد طلبنا مـن كـل صـاحب علم من المسلمين أن يبدأ بتقديم مقترحات لإنجاح هذه الحملـة الجهاديـة ، لكـن تخوفنا أن يكون التقسيم وارداً ، لعدم نفرة الجناح الجنـوبي والجنـاح الـشمالي في العراق ، وتخوفنا أن ينشأ خطر من مجيء الأمم المتحدة إلى العراق بديلاً عن جنود أمريكا تنفيذاً للمطالب الأمريكية والخطة الأمريكيـة ، وطلبنـا حـلاً إبـداعياً مـن المفكرين والقادة والسياسيين يُتحِفونـا بـه ، ورأينـا أهميـة التنـسيق العـالمي ضـد الجيش الأمريكـي ، وتـشجيع الجهـد العـالمي في ذلـك ، كمثـل القنـاة الفـضائية الإيطالية أو الموقع السويسري على الإنترنت ، ثـم إن شـرعيتنا لا نـستمدها مـن الشرعية الدولية وإنما مـن الـشرعية الربانيـة ، ثـم الله غالـب علـى أمـره وأملنـا نـستمده مـن القـدر والعقـاب الربـاني لأمريكـا ، وتبقـى الأمـور خـارج إطـار

الإنسانيات ، وكل هذا اتخاذ أسباب ، وكل هذا نحن مطالبون به ، ولكن لا نعتمد عليه ، **نعتمد على انتقام سيحل بهؤلاء الأمريكان ، والله ﷻ هو الذي سيُحِله بهم ، ناطحات سحاب أمريكا هذه موجودة في قول الفقهاء لما أشاروا إلى معنى الآية الكريمة : (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوةً وآثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) .. قال ابن كثير : (أي أثروا في الأرض من البنايات والمعالم والديارات) .. وهذه أبرز حضارة أمريكا ، ناطحات السحاب العالية** ، التي يفاخرون وبها ومنها ينطلقون أنها رمز أمريكا اليوم ، يقول ابن كثير : ومع هذه القوة العظيمة والبأس الشديد - سلاحهم وصواريخهم - أخذهم الله بذنوبهم ، وهي كفرهم برسلهم ، فهؤلاء قوم كفار وتبقى المسألة هي مسألة معركة بين كفر وإيمان ، والله ﷻ ناصر عباده المؤمنين ... فمهما علوا وأثروا في الأرض فعليهم أن ينظروا ماذا كان من سالف الأمم التي تجبرت وطغت وأثرت في الأرض ، بادوا وعاقبهم الله وسيكون العقاب أيضاً ، **هذا الحديث هو حديث تحذيري لأحدٍ لا يتخذ الأسباب ، لكن إن اتخذنا الأسباب كاملة وأطعنا الشرع واستعدت القوى الإسلامية فآنذاك ترفع يدها إلى الله ﷻ داعيةً أن يُنزِل غضبه على هؤلاء ، وما ذلك على الله ببعيد** ، ألا ترون كم من طفلٍ رضيعٍ أوذي ؟ وكم من امرأة قتلت جنب رضيعها ؟ ألا ينتقم الله لمثل ذلك ؟ ثم هذا العراقي من أهل الناصرية الذي بكى بالأمس وهو يذكر تكشيف جنود المارينز لنسائه : ألا ينتقم الله لأعراض أهل العراق التي تُهان هكذا ؟

كلا .. بل الله ﷻ ناصر عباده المؤمنين ، وإنّا بإذن الله تعالى لعلى الدرب ، وقلوبنا معلقة بالله تعالى ، **ندعوه أن يهب لنا الصواب والوعي ، وأن يهب لنا البأس الشديد ، وأن يجعلنا شهداء** في قافلة شهداء المسلمين الطويلة ، **وأن نوَرّث هذا المعنى الجهادي إلى جيلٍ يلينا** □□□

" أصل هذا الفصل كان أيضاً محاضرة ألقاها المؤلف بمدينة أُولتِن في سويسرا بعد أربعة أيام من سقوط بغداد ، ولذلك جاء الفصل خالياً من الصنعة ، وبقيت لغته هي لغة الحديث لا الكتابة ، رغم تعديلات جرت على ألفاظ وسياق الكلام ، وأهمية الأفكار الواردة فيه أنها تؤكد على وجوب الهوية الإسلامية للمقاومة العراقية ، ووجوب فهم الدور الدعوي في السياسة وعموم القضية العراقية من خلال ظواهر علم حركة الحياة كما وردت في تأصيلات الراغب الأصفهاني وغيره "

❑❑ قَدَرُنا اليوم بعد سقوط بغداد أن نواجه احتمالات تقسيم العراق ، ولا ندري ما الذي يكون ، والتقسيم شرٌ بلا شك ، لأنه تفكيك للأمة التي ينبغي أن تكون واحدة، وهذا الشَّر ينبغي أن يُقاوم بقدر خير الوحدة ، **والحفاظ على وحدة العراق أمرٌ صعبٌ اليوم في مثل هذه الأحوال التي تأجّجت فيها العاطفة الطائفية الشيعية التي تقوم بالانتحاء جانباً عن أهل السُنة لتكوين دولة شيعية ، أو عاطفة الأكراد الذين يريدون الاستقلال عن بقيّة العرب** ، والأمر صعب ، ولكن نستطيع أن نقول أن مبدأنا الإيماني الأصيل : هو مقاومة قدر الشر بقدر الخير ما استطعنا ذلك، وأنّنا لا نستسلم لهذه الأمور ، ونحاول ثم نحاول .

● **مع أن أمامنا أياماً عصيبة قد تمتد إلى عشرات السنين** ، فإن آخر ما قالت به الأخبار هذا اليوم عن مصادر البنك الدولي أن كلفة إعمار العراق ستبلغ ٦٠٠ مليار دولار خلال عشر سنوات ، وأن المساهمة العراقية ربما تكون ٢٠ مليار دولار سنوياً ، أي مجموعها ٢٠٠ ملياراً ، فمن أين ٤٠٠ مليار أخرى ؟ هل هي بشكل ديون ؟ أم بشكل آخر ؟ **أنا أظن أنها ستكون بشكل ديون من البنك الدولي للعراق حتى تكون مجرد فوائد هذه الديون هي إرهاق لمستقبل العراق يمتد إلى قرن كامل أو أكثر** ، فيقدمون ٤٠٠ مليون على مدى العشر سنوات ، لو تقول أنّ فوائدها حتى لو أنت فرضت الفوائد ٥ ٪ أو ٤ ٪ فهذه ٢٠ مليار دولار سنوياً ، فمن أين يأتي العراق بـ٢٠مليار دولار كفوائد ؟ هذه السياسة

الاستعمارية معروفة من يوم بدأت مع الخديوي إسماعيل الذي عمل أُبهة لنفسه وأقام أشياء من البذخ ، فأعطت بريطانيا الأموال بسخاء ، وأظن شاركت فرنسا بذلك أيضاً، بسخاء أعطوه كل ما أراد، ثم من بعدِ اكتشف هو ومَن خَلَفَهُ أنّهم لا يستطيعون أداءها ، وكانت معالجة أمور الديون عملية مُرهقة ، بعدها حل الاستعمار وحصلت الوصاية ، ولكن قبل الاحتلال بدأت بأن عملوا لجنة تشرف على الميزانية المصرية من أجل ضمان أموالهم وفوائد أموالهم .

هذه القصة مكررة في بلادٍ أخرى ، وإلى الآن عدد من دول العالم الثالث ترزح تحت ثقل : لا أقول الديون ، وإنما فوائد الديون ، والقصة في الجزائر واضحة ، فالجزائر لا تستطيع وفاء ديونها وإنما فقط تعالج فوائد هذه الديون ، والدين التركي بلغ أكثر من ١٠٠ مليار دولار ، والدين المصري بلغ في آخر التقارير ٤١مليار دولار ، وقبل أربعة أيام كشفوا عن ذلك ، وما خفي أعظم مما لا نعلمه عن بقية البلاد ، فالعراق أمام مثل هذا الأمر الصعب أيضاً إذا نظرنا إلى مستقبله ، حتى لو كان موحداً ، حتى لو كان بعيداً عن الاحتلال : فإنهم نجحوا في تدميره وفي إفقاره وفي جعله تابعاً لمدةٍ طويلة للسياسة الاستعمارية .

● الله ﷻ هو الذي يتكفل برحمة عباده ، لا ندري الآن كيف يُتملص من مثل هذه المضايقات التي فعلوها ، **ليست المضايقة العسكرية فقط وإنما المضايقة الإفقارية المالية وأمور أخرى من احتمالات التقسيم العرقي والتقسيم الطائفي** ، ولكن الله أرحم الراحمين ، وعلينا أن نحسن الظن بالله ﷻ ، وأن نتقبل هذه الحقيقة المُرّة بأن نعمل عملنا الذي يُرجى أن يكون موافقاً للشرع وطلباً لمرضاة الله ، فإذا كنا على مثل ذلك يُرجى أن الله ﷻ يهدينا طريق الصواب ويعلمنا طرق السياسة الحكيمة في معالجة مثل هذه النكبات الكبيرة .

● ولابد من أن أقول أن النكبة كبيرة وأن الأمر معقد ، وليست المسألة أنه جندي مارينز واقف أمامنا يمكن أن نجاهده ، **بل الأمر يستدعي خطة شمولية ونظرة عميقة وأشياء من الدراسات والتحليلات لنعرف كيف نسلك بالعراق إلى**

شاطئ السلام مرةً أخرى ، وأقول ذلك لأن العراق هو بالمقام القيادي بين أقطار الأمة الإسلامية ، فهو يقوم بدورٍ قيادي إذا نظرنا إلى مجمل وضع الأمة الإسلامية ، فلا يصح أن يُترك لقدره السيئ هذا ، بل نحاول أن ننتشله ، وتكون المهمة ليست مهمة أبناء العراق فقط وإنما مهمة جميع الدعاة والمخلصين من أبناء الأمة الإسلامية أينما كانوا ، لتعود مرةً أخرى القابليات العراقية إلى وضع نفسها في خدمة هذه الأمة .

● **نحن لا نستسلم وإنما تقودنا نفضة القلب الطموح ، فإن الغاية تجذب ، والوعي يدفع ، ولكل قلب غرام** ، فهذه الحالة مهما كانت سيئة تجعلنا ننتفض ونجدد حيوية قلوبنا للخروج من هذه الأزمة الكبيرة ، لأننا دعاة ، **وللداعية هَمّ ينسيه ما حوله** .. الداعية يفكّر بطريقةٍ أخرى ، ليس بطريقة السياسي العادي الذي تأتيه بعض الأحداث فتُغلق نفسه ، ويكون من المتشائمين ، ويجيز لنفسه آنذاك القعود ،كلا ، بل كما قال الشاعر :

ولِيْ شأنٌ طويتُ عليه همَّي وكُلُّ فتىً له همٌ وشأنٌ

فهموم الداعية : دعوية إسلامية إيمانية إصلاحية ، ولذلك يتجرد لمثل هذه الهموم ، ولا يسأل نفسه ما يسأله العامّي من حيازة مالٍ ورَغَد وجلوس على تل ، ويترك الناس في نزاعهم وصخبهم وما هنالك .. ربما تنصحُه أمُّه بالقعود جانباً .. ربما تنصحه زوجته أيضاً بالتشبه بالناس في قعودهم ، **لكنَّه في عالمٍ آخر ، وقد تعفّف عن المنصب السُفلي ، وجمع أذياله يرفعها أن تتدنس ، إلا أن يطبع في درب الإصلاح أثرَ قدمه ، ومدّ أصبعه إلى لوحة الحرية يضيف لوناً ، هذه لوحة الحرية : لوحة رسمتها الشعوب الإنسانية جميعاً ، ليست فقط الإسلامية ، هناك معنىً قائم في كل نفسٍ بشرية : أنّها ترفض القيود ، ترفض حكم الغير ، تريد أن تكون حرَّة ، ثم يجيء الإسلام ويجيء الإيمان يعتق القلب من كلّ أسر آخر** ، يضيف إلى هذا المعنى الفطري الإنساني معنىً آخر مضاعفاً ، فالمسلم يطلب الحرية بشكلٍ أكثر مما يطلبها غير المسلم ، لوحة الحرية لوحة

خالدة أضافت شعوبٌ كثيرة إسلامية وغير إسلامية إلى ألوانها وخطوطها الشيء الكثير ، **ثم يحاول اليوم الداعيةُ المسلم أن يضيف لوناً في لوحة الحرية هذه ، فهو يُظهر الإيجابية والمبادأة ويفتش عن مسالكُ التقدم ، ويأبى أن تأسِرُه صعوبة أو أن تخذلُه الآلام** ، نعم كُلُّنا نتألّم للحالة ، نرى الجندي المارينزي يقف في شوارع بغداد ويتعدى على مساجدها ، وبالأمس قُصف مسجد أبي حنيفة بصاروخ ، وأمثالُ ذلك ، كُلُّنا يتألّم ، ولكن الداعية يبقى فوق الآلام ، **ولو استرسل المؤمنُ مع ذكريات المحنِ والنكبات لاستهلك نفسه** ، لكنَّه مدعُوٌّ إلى أن يتحلى بالصبر ، وإلى الانشغال بالجِدِّ على طريقةِ من يقول:

● فسنِّي ضاحكٌ والقلبُ دامي ●

نعم ربما القلب فيه ألم ، لكن المسلم الداعية بخاصَّة : يبتسم : علَّ ابتسامه هذا يوصلُه إلى شيءٍ أكبر ، ليس الابتسام التصنُّعي بل من التصنُّع ينتقل إلى مرحلة أخرى : أن يتطبَّع بهذه الطبيعة ، طبيعة أن يكون فوق الآلام وأن يتجلَّد وأن يصبر وأن يرمِّم الشرخ الذي حدث ، فبقاءُ القلب دامياً فيه مواصلةٌ لاستهلاكه ، **ولكن يُوشِكُ التجلُّدُ والابتسام إذا استمرا : أن يتجاوزا بالمؤمن ذكريات المصاعب ويفتح باب التفاؤل من جديد ليستلمه الطموح ، فتدفعُه الشجاعة ، فتتعاون هذه الصفات الإيجابية كُلِّها على إحداثِ تقدُّمٍ واثقٍ في طريقِ صناعةِ الحياة ، وعلى سَنَن الإبداع** ، وطرائق ضرب كل مثال مناسبٍ لذوي الرنو نحو المعالي، فيستوي الإسلام حاكماً في أرض الواقع ، ويستوي أبناء الإسلام مجاهدين لهؤلاء الكفار الغزاة ، أملنا ذلك ، وينبغي أن نعرف مهمَّتنا في تربية أنفسنا على هذه المعاني الكبار ، وَوُصِف نبيلٌ بأنه (**كان منهاجاً للأمور المشْكِلةِ**) ، وهذا من كلام القدماء يصفون أحد نبلاء المسلمين (**إذا ما تناحى ذوو الألباب باللائمة**) ، وجدته في كلام حكماء المسلمين الأولين ، أقول : وهذا الوصفُ يحتاجُه الداعية المسلم وبه وبما فيه من إيجابٍ يكونُ نيلُ المراد ، **فإن**

المشكلة إذا جبهت عُصبَةً تنوي أمرا ، كان أقرب شيءٍ للعجزةِ أن يعقـدوا مأتمـاً يتقاذفون فيه التـُهم ، وإنْ من شريكٍ فيهم إلا ويدَّعي البراءةَ وينسبُ إلى قرنائـه أسباب التعكير ، فيكون : نوعُ صخبٍ مـن بعـده جـدل ، مـن بعـده يـأس ثـم انفضاض ، هذا يمكن أن يحدث الآن .

● قائل يقول : نحن تقاعسنا عـن العمـل ، وكـان بالإمكـان أن نعمـل عمـلاً دعوياً لمنع حكومة الكويت أن تفسح المجـال للأميركـان ، لكنَّنـا لم نعمـل ، آخـر يقول : هذا كان خارج مستطاعنا ، آخـر يقـول : فلنجاهـد ولـــمَ لم نقاتـل ؟ إذا انهزم صدام لــمَ لم نأخذ نحن الدور بسرعة ؟ هذا يمكن أن يكون فيه كلامٌ كـثير ، ولكن الحقيقة : دعاة الإسلام الـخُلَّص والذين يُرجى منهم التعاون خـلال هـذه النكبة الكبيرة ينبغي أن يكونوا فوق مثل هـذا الـتلاوم ، وأن يكونـوا مثـل هـذا النبيل ، كيف إذا تنحّى ذو الألباب باللائمة : يكونُ منهاجـاً يُعلِّم كيـف يـسلُك الداعية أو المستدرِك ، **الألمعيُّ يُعرضُ عن كل ذلك ويميلُ إلى تحليلٍ وتأمُّلٍ ليدرك موطن الثغرة التي دلَف منها الفشل ليستأنف ، ويبقي الوتيرة النابضة ، وهو يعلمُ أنَّ الإخفاق الأول لا يكونُ بالضرورة نهايةً ، وإنما يستدعي الحالُ ترميماً وتركيباً تعبوياً أكثر مُلائمةً لحقائقِ الواقع ، والنجاحُ قريبٌ من دائبٍ يثقُ بنفـسه وحِفـظِ هِمم أصحابه مصونةً أن يستهلكها تلاومهم ، وهذا ما نحاولَ أن نفعله .**

● **فإنَّ التحليل المتأنـّي يُرينا ما كان سبباً وراء مثل هذا التردّي ، والذي على رأسه وأظهر الأسباب : هو وجود رجل فاسق في الحكم معه عصبة من الفـسقة يحكمون بالظلم ، هذا أساس هذه المحنة التي حصلت بالعراق ، ومنها تتفرع كـل المسائل الأخرى وكل الأسباب الأخرى** ، وهذه الـصورة مكـرَّرة في بلـدٍ آخـر ، مُكرَّرة في أكثر من بلد إسلامي ، فإذا عرفنا وحلَّلنا ما حلَّ بدارنا ، وسنأتي علـى بعضِ التقعيد والموازين الشرعية والموازين العقليـة والفلـسفية لهـذه الأمـور ، إذا عرفنا ذلك : فما أقرب طريق الاستدراك .. والآخـرون علـيهم أن يعرفـوا أو أن يستوعبوا درس العراق فيستدركوا قبل فوات الأوان ، عسى ولَعَلَّ .

لهذا أيُّها الأخوة نحن نقول : أنَّـك **ينبغي أن لا ترجو موقفاً صُلباً جهادياً من فاسقٍ وظالم** ، وإن الأمور إنما يفعلها من يقدِّمُ خيراً أو يقدِّم شيئاً إيجابيـاً واضـحاً في العقل السليم ، هذا الأمر تستوي فيه حتى الأمم الأخرى ، **انظر مثلاً كيف أن النتائج لمن يقدِّم : هذا الذي في "بكين" عاصمة الصين ، قبل سنوات لـمّا وقـف في الميدان الأحمر الكبير أمام الدبَّابة يتحدَّاها** ، وفي هذه الأيام تخرج صورة في قناة الجزيرة ضمن الفواصل التي يعملونها ، فيبدونه واقفاً بحيـث أنّ الدبابـة تنحـرف عن طريقها ، ويقف مرَّةً أخرى ليتحدَّى الدبابة، وبموقفه ذاك تشجَّع الناس وكان طلب الحرِّية التي لا زالت آثاره إلى الآن بادية بعد عشر سنوات من تلك الحادثة ، وتبدّل وضع العنفوان الذي كـان في الـصين .. كـان حزبـاً شـيوعياً كـالأحزاب الشيوعية الأخرى يسجن ويقتل ، ولكن بدأ عهد بعد ذلـك مـن محاولـة تخفيـف هذه القبضة الحديدية ، وإعطاء صـورة للعـالم أن الـصين تبـدَّلت ، وفعـلاً اليـوم ليست كما كانت هي الصين الشيوعية الأولى ، هناك انفتاح ، هناك تحـرر ، لكـن كيف حدث هذا ؟ هذا كان أحد الطلاب المسلمين في الصين ، والصين فيها أقلية إسلامية ١٠٠مليون مسلم أو أكثر ، وأعتقد أنه الآن في أميركا ، وقد يكون فَعَـلَ هـذا بالاتفـاق مـع الأميركـان، أو الأميركـان حـاولوا احتـواءه وتبنِّيـهِ وأخـذوه للدراسة في أميركا ، لكن مرَّت الحادثة علـى أيِّ تأويـلٍ نريـد أن نقـول ، **مـرَّت الحادثة كشاهد على أنَّ النتائج لمن يقدِّم ويقف الموقف البطولي** ، فهـذا يتحـدى بصدره هكذا وأمام الدبابة والدبابة تنحـرف .. وهنـاك مواقـف أخـرى : اليـوم مواقف رجـال حـمـاس إخوانـنا في فلسطين في الـركض إلى الـشهادة ، تـسجيل ٥٠ ألف شاب على استعداد للعمليات الاستشهادية لدى حماس .

انظر مثلاً كشاهدٍ آخر على أنَّ النتائج لمن يقدِّم : ما حـدث في أفغانـستان مـن احتلال أميركي ، والذي جاء بهذه الصورة ، كأنَّ الناس مستغربة كيف حـدث ، فأنا كنتُ في زمن الجهاد الأفغاني القديم في الثمانينات قد **قرأتُ تقريراً كتبه أحد الأخوة المجاهدين من أصحابنا ممن كان مع أحمد شاه مسعود ، يقاتل في جبهتـه ،**

يقول فيه : هناك أكثر من خمسين شخصية من الخبراء من الغرب من أوربا وأميركا مع شاه مسعود يقومون معه ويقعدون وينامون ويشاركون في المعارك آنذاك ، وهؤلاء هم الذين يوجهونه ، وهم الذين جعلوا الدعاية الكبيرة له وركزوا أخبار البطولة عليه ، وأنّه هو البطل وهو رأس الجهاد ، لمعنىً أُريد ، وما كان الغرب ولا الأميركان بغائبين عن ميدان المعركة من ذلك الوقت المبكر ، فهم يخططون لمثل هذا اليوم ، في ذلك اليوم أرادوا ما أرادوا من تحقيق النصر السريع بما يؤمِّن انهيار الاتحاد السوفيتي ، وقد حصل ذلك ، ولكن ليس ذلك فقط ، استمروا لأن القضية ليست هي قضية السوفيت ، القضية هي قضية كيفية وقوع أفغانستان في اليد الأميركية أو اليد الاستعمارية ، النتائج لمن يقدِّم ، أكثر من خمسين خبيراً ورجلاً عسكرياً وسياسياً مع أحمد شاه مسعود : أمْرٌ له دلالته ، وإن ما نراه اليوم من نتائج إنما سبقتها تمهيدات طويلة .

● ثم هذه التخطيطات الإستراتيجية التي حدثت في القرن الماضي وأوجدت أشياء من العدم ، تخطيط اليهود لإقامة دولتهم ألا يعظُنا ؟ كيف اجتمعوا في بازل وقرّروا قيام دولتهم وقامت بعد خمسين سنة ، إذاً هناك تخطيط وعمل وحصول شيء من الإصرار على تنفيذه ، حتى وصلوا .. **كذلك ما كان من النظام العالمي الجديد والتفوق الأميركي** ، هل حصلت هذه المسألة هكذا اليوم ؟ بل هذا خبر عمل أميركي قديم من قبل ٧٠ أو ٨٠ سنة ، وقد تطور أمرهم ، **فأول مشاركة شاركوا فيها كانت في آخر سنة من الحرب العالمية الأولى : أرسلوا ثلة من الجيش الأميركي إلى فرنسا** ، فكان أول وجود للأميركان خارج محيط أميركا ، ثم بعد ذلك استولوا على مؤتمر الصلح بقوتهم المالية وقوتهم الدعائية ، لأنه كان هناك تقسيم للبلاد ووضع مبادئ جديدة لطريقة التعامل مع الأمم ، وكان رئيسهم ويلسون آنذاك هو النجم المتألق في تلك الآونة في **مؤتمر فرساي وفيه كان إقرار دولة اليهود وتحصيل وعد من الملك فيصل بعدما أنهى تعاونه مع لورنس بأن يسمح بقيام دولة إسرائيل** ، وكان يبدو من خلال الحضور الأميركي أن هذا هو

هدفهم الرئيس آنذاك ، ثم بعد ذلك تمددوا قليلاً قليلاً حتى إذا جاءت الحرب العالمية الثانية شاركوا فيها بشكل مباشر ، ثم كان بعد ذلك التفوق بالقنبلة الذرية التي امتلكوها ففرضوا إرادتهم حتى على أوربا ، وصارت القصة بعد ذلك كما نعلم عن طريق المعونات الاقتصادية وغيرها ، مشروع النقطة الرابعة ومشروع مارشال ، **ثم بعد ذلك جاءت حرب النجوم** ، حتى الوصول إلى القمر هو حلقة في سلسلة النفوذ وإرهاب الناس ، لأنه من يأت بهذه المقدرة وبهذه المعجزة سيخاف منه الناس ، تماماً مثل الذي حدث اليوم ،كيف أن ما حدث في العراق هو درس لكل أحد ، سيهددون البلاد الأخرى وأننا نفعل بكم ما فعلنا بصدام ، فيرتهب ، وقد كان الصعود إلى القمر مثل هذا الشيء ، وأروي لكم هذه القصة التي مرت بي : مرة امتحنني أبي وقال : ماذا ترى في معنى إرسال الرئيس الأميركي بحجارة من حجارة القمر إلى كل رئيس في العالم ؟ قلت: يفتخرون بإنجازهم العلمي ، قال: إذاً أنتم لا تفهمون ، إنهم يقولون له : لو أنك هربت منا وتعلقت بالقمر نستطيع أن نأتي بك ، هذه الحجارة تنطق ، مع إنها حجارة ، **ولكن لسان حالها يقول ذلك ، ثم جاءت حرب النجوم ، ثم جاءت حرب الخليج ، حتى وصلنا القمة في مثل هذا المخطط اليوم ، وإنهم ما جاؤوا هكذا بعملية فجائية ولا جاءوا بدون تخطيط ولا رأوا ثغرةً ولجوا منها ، بل تخطيط استراتيجي بعيد المدى .**

هذا كُلُّه لا نقولُه لإخافةِ أنفسنا بل نقولُه للاتعاظ ، والعملية اليوم لردٍّ هذا العدوان هي عملية يمكن أن تأخذ بُعداً استراتيجياً ، علينا أن نبدأ ، وبحمد الله أقول **أن الدعاة قبل هذه الأحداث قد بدأوا الاستدراك الإستراتيجي** ، وهذا واضح في خطط الدعوة وفي فكر الدعاة ، لكن غير الدعاة هم الذين خذلوا الأمة من العلمانيين الذين لم يستوعبوا الدرس وخاضوا فيما خاضوا فيه من ارتجالات وصيحاتٍ منكرة لم نحصل منها على شيء وعانينا ما عانينا اليوم ، وإلا فالأمر في التصور الدعوي واضح من قبل خمسين سنة أو أكثر في غاية الوضوح ، وننتظر

من الناس توبةً وأن يضعوا أكفّهم في أكفِّ الدعاة ليستدركوا على أنفسهم ، وقد رأيت (**المكنكارتا**) **التي هـي وثيقـة الحقـوق الـسياسية في بريطانيـا** في المتحـف البريطاني في لندن ، وأنا من المغرمين بالذهاب إلى المتاحف ، ورأيت شـيئاً كـثيراً وعظني ، وثيقة المكنكارتا هـذه وثيقـة لإعـلان حقـوق سياسـية للنـاس أسَّـست الديمقراطية الحديثة من قبل ٣٠٠ سنة أو أكثر في بريطانيا ، **ثم رأيت في واشـنطن أيضاً في دار الأرشيف الأميركي الوطني الدستور الأميركـي معروضـاً ، ووثيقـة حقوق الإنسان وعليها تواقيع الرؤساء أو الساسة الأميركان ، وأنت لو تنظر فقط إلى هاتين الوثيقتين وأثرها في تحصيلِ الحرية أو الإقرار بالحرية للنـاس وتحـصيلِ جهود كل الناس في الحملة الـتي يُريـدونها لـصالح أميركـا أو لـصالح بريطانيـا لَتـُدرك أنَّ هذه الخطة الإستراتيجية التي قلناها بُنيت ليست فقط من حاكمٍ وإنمـا بُنيت من الأُمَّة كُلِّها التي تعارض هذا الحاكم ، فهناك نوع من اندماج بين الحاكم والمحكوم .. لِـمَ يُبدي المحكوم مثل هذه الحماسة ؟ لأنَّه نال حقوقهُ والحاكم عَرف كيف يتعامل مع هؤلاء من أبناء الأمة ، لَمَّا تـُعطي الحق وتَرفع الظُلم : لا عذاب ولا مخابرات ولا اغتيالات ولا مشانق ولا إفقار ولا تهجير : فالناس كلها تريـد مصالحها ومصالح الأُمة ، لذلك المسألة ليست هـي مـسألة تخطـيط فقـط ، إنمـا مسألة إعطاء الحريات ، مسألة إصلاح سياسي ، ونحن اليوم قد نكون بـارعين ، نـُخطط ونضع من الناحية الدعويـة فكـراً دعويـاً ، لكـنَّ مـا يُفتقـد هـو المنـاخ السياسي ، لـمَّا تـُفتقد الحريات : لا يكون هناك مجال لتحصيلِ طاقات النـاس لوضعها في هذا التيار الذي ينبغي أن يكون سائراً بقوة ، لذلك عملية الإصلاح السياسي هي عملية ضرورية أيضاً ، وهي الخلفية التي تنبثق منها كل هذه الخطط وكل قضايا الاستدراك التي نتحدثُ عنها** ، ونظـرة إلى واقعنـا في الـبلاد العربيـة والإسلامية يرينا تخلف هذه البـلاد عن إدراك هذا الإصـــلاح الـسياسي ، ومـن هنا : القضية أبعد من أن تكون استعمار العراق وانهيار صدام وكيفية الاستدراك بعملية جهادية ، القضية تكون بمنهج للحياة شامل ، منهج حضاري يشمل جميـع

ما هنالك من أمور الحياة ، كيف نحاول أن نعالجها بنوعٍ من المعالجة الـتي تـضمن السير في الطريق الـصحيح ، في الناحيـة الـسياسية ، في الناحيـة الاقتـصادية ، في الناحية المعنوية والإعلامية والنفسية ، مسائل كثيرة بمـا فيهـا وعلـى رأسـها نحـن كمؤمنين : الناحية الأخلاقية ، كيف ترسل إلى الجهاد وإلى ساحات الوغى جنوداً ليسوا بمؤمنين بعقيدة التوحيد كما يريـدها الله ﷻ ، أو إن كـانوا مـؤمنين ليـسوا بمتقين ، عندهم فسق وخمر وزنا ، فالناحية الأخلاقية بمنظورنا الدعوي قبـل هـذا وهذا .

● **فالمسألة هي مسألة إصلاح شامل ومسألة رؤيـة حـضارية تامـة** ، وبمقابـل الاستعداد الاستراتيجي الغربي ، سواء كان اليوم بالشكل الأميركـي أو بـالأمس بالشكل البريطاني الاستعماري وما زال يـصاحبه ، أو حتـى بالـشكل الفرنـسي الذي ذقنا منه الويلات ، وإن بدا في المعركة الأخيرة يتكلم من خلال مصالحه بمـا يحفظُ بعض المصالح لنا أيضاً ، وفي جانبنا نحت استراتيجي من كثيرٍ مـن ظـواهر الجِدِّ أو ظواهر الأخلاق أو مسائل من هذا القبيل ، أُريد أن أروي بعض خبرهـا على عجالة ، وأُورد بعض الصور التي يمكن أن تعظنا : كيـف أنـه بمقابـل ذلـك البناء يكون عندنا هدم ، **تبدأ المسألة من أيام محمد علي باشـا الكـبير** وعنـدنا في العراق كان أيضاً داوود باشا ، فإنه بعد الثورة الفرنسية وحصول التقدم إلى مصر وما حصل من استعمار أولي وتماس بعض الحكام آنـذاك مـع الحـاكم الفرنـسي نابليون أو من خَلَفه بعد ذلك بشكل مـن الأشـكال ، أي مـع خطـة الاسـتعمار وليس شخصاً واحداً : بدأت دغدغة أحلام بعض الطامعين بكراسـي ، ووصـل بهم الأمر إلى اتفاق ليس مع محمد علي باشا فقط بأن يحكم بشكلٍ من الأشـكال فيه تحدٍّ للدولة العثمانية والفتّ في عضُدها ، بل وسيَّر جيـشاً وصـل إلى أنطاكيـا وإلى أكثر منها في محاولة لغزو الدولة العثمانية في خطة شـجَّعه عليهـا الاسـتعمار وبنى له جيشه الذي كان بالتقنية الفرنسية آنذاك ، وربما حتى بالأموال الفرنسية ، **ولا يعلم الناس أن قصة مثيلة كانت في نفس الوقت في نفس الأيام تعاد في بغداد**

من قبل داوود باشا الذي حكم بغداد ، وهو من مماليـك الكـرج ، وهـؤلاء الآن تسمى بلادهم جورجيا ، وهم نصارى أخذ منهم الجيش العثماني بعض الأسرى والأطفال ، وكانوا يُركزون على الأطفـال ليجعلـوهم مـن الجنـد الانكـشارية في الدولة العثمانية ، ثم بعد ذلك ترقَّى وتوصَّـل إلى أن يحكـم العـراق ، ولـما صـار والياً درَّب جيشاً عراقياً من خلال الضباط الفرنسيين ، وأعطوه السلاح وأمـدُّوه بكل شيء ، على أساس أن محمد علي باشا يزحف من جهة الشام وداوود باشـا يزحف من جهة العراق ليستولوا على الدولة العثمانية .

القصة قديمة وهذه المسائل موجودة في كتب التاريخ لكنّنا لا نعرفها ، أو نعرف مسألة محمد علي باشا ولا نعرف مسألة داوود باشا التي هي أخفى ، تَبَعاً لـشيوع الثقافة بواسطة كتب التاريخ التي تركز علـى الجانـب المـصري ، لكـن لم يتوصـل داوود باشا إلى مراده لأن الله لم يرد آنذاك ، إذ جعل طاعوناً سنة ١٨٣٠م يضرب جيشه فماتوا بالطاعون ، وما نجا منهم أحد ، وذهب هو تائبـاً بعـد ذلـك وصـار خادماً في المسجد النبوي الشريف ، وهناك تعبير عند الصوفية أن يتفل بعضهم في حلق الآخر ليوَرِّث الطريقة ، نقول : تفلوا في حلوقهم أيضاً ، كيف هذا ؟ محمـد علي باشا الكبير كان مع تطلعاته مسلماً يحكـم بمـا يمليـه عليـه أصـله الإسـلامي وليس بالغ السوء ، **لكن دسّوا له قساً اسمه (انطون خوري) من أهل حلـب** ، جاء إلى محمـد علـي باشـا وقـال لـه : أنـت لا تعلـم الـسياسة ، **وهنـاك كتـاب مكيافيللي أترجمه لك وتطبِّق ما فيه** لتعرف كيف يكون الأمر السياسي ، فأول من ترجمَ كتاب الأمير هو رجل كنيـسة ، وكـان مترجمـاً في الحملـة الـنابليونية قبـل ذلك ، **ثم أعطى الترجمة لمحمد علي باشا وقال : هذا دسـتورك ، هـذه خطتـك : هكذا تفعل** !! طبعاً من محمد علـي باشـا تنتـشر إلى آخـرين **حتـى صـار كتـاب مكيافيللي هو وثيقة الحكم في البلاد العربيـة الإسـلامية** ، فالقـضية فيهـا إفـساد متعمد وأمر قديم ليجنوا ثمرته اليـوم .. ثـم نـرى مثـل هـذا في تقـارير للـسفير الفرنسي في القنصلية الفرنسية في بغداد سنة ١٨٦٠م ، نشرها سفير فرنـسي جـاء

إلى بغداد سنة ١٩٦٠م بمناسبة مرور مائة سنة عليها ، وقال : وجدت عندي في القنصلية تقارير قديمة لسلفي مرَّ عليها قرن كامل فصارت تاريخاً ، وأريد أن أتحف الناس بها ، فنشرها في كتاب وتُرجم من قِبَل أكرم فاضل إلى العربية ونُشِر في العراق .

ولو نفحص هذا الكتاب لتجد فيه طامَّات كبيرة في إفساد الناس، مثل امرأة فرنسية عاهرة تأتي إلى بغداد تصاحب شيوخ القبائل وتحاول أن تغريهم ، فالقنصل الفرنسي يعترض ويكتب إلى وزارة الخارجية يقول : هذه أسقطت سمعة فرنسا وهذه امرأة مومس ، وسمعة فرنسا أصبحت في التراب ، ويطلب الإذن له بإجلائها ، **تُجيبه الحكومة الفرنسية تقول له : دعها وشأنها فإنها مأمورة ، وإنها تعلم ما تفعل** ، هذا في سنة ١٨٦٠م في كتاب مطبوع ، ففهمنا كيف أن خطة الإفساد قديمة .

كذلك ما رواه محمد محمد حسين في كتابه الرائع الجيد "الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر" وبيَّن كيف تبدلت موازين الناس واصطلاحاتهم وأفكارهم خلال قرن ، من التربية التي أتت بواسطة مؤلفين وشعراء وسياسيين لتصْرِفَهم من الوحدة الإسلامية الجامعة إلى القوميات وإلى الوطنيات وإلى شعارات أخرى مناهضة للشعور الإسلامي الإيماني التوحيدي الأولي ، والكلام كله موجود بوثائق وبقصائد ، واقرؤوا هذا الكتاب لمحمد محمد حسين ، وهو من أساتذة الأدب في مصر ، رحمه الله .

وخذ مثلاً آخر : أنا قرأت في مذكرات جمال باشا العثماني ، ويسمى بالسفاح ، لأنه قتل بعض العرب الذين تعاملوا مع السفارة الفرنسية في أول الحرب العالمية الأولى ، وقُتل بعد الحرب سنة ١٩٢٠ أو ١٩٢١م ، قتله الأرمن ، لأنه أوقع بهم وقعة الأرمن المشهورة ، وقد كتب مذكرات وهي الآن مطبوعة بالعربية ، يقول : "بعد إقصاء السلطان عبد الحميد أصبحت حاكماً عسكرياً لاسطنبول ، **بعد أسبوع واحد من الانقلاب سُجِّلت عندي حوادث تحرُّش**

بالنساء من قِبل شُبَّان سُفهاء يقفون في الطرقات ، وهذا لأول مرَّة يسجل في تاريخ الدولة العثمانية " .

إذاً كانت هذه الانقلابات والتحولات السياسية ليست هي تحولات سياسية فقط بل هي تحولات تراد أيضاً لإحداث هذه النقلة الأخرى الخُلقية إلى الأسوأ ، لسنا نقول ذلك ، هو يقول هذا في مذكراته وهو حاكم عسكري ، وهو من أهل الانقلاب ، أي من جماعة الاتحاد والترقي .

● ومن رواياتي أني لما كنت شاباً كان يجالسنا أحد حفَّاظ القرآن ، اسمه " ملا هادي " ، وهو أعمى يصلي في مسجد أبي حنيفة في الأعظمية ببغداد ، ويقرأ القرآن وله راتب من الأوقاف ،فكان يُحدِّثنا فيقول : " كنتُ أدخل بيت الجادرجي ، أحد البيوتات البغدادية التي أصولها تركية ولها وجاهة وغنى ، وصار من أبنائها كامل الجادرجي ، أحد رجال السياسة العراقية البارزين منذ الثلاثينات ، وكنتُ أدخل هذا البيت على عادة العراقيين لأنهم يعملون ختمات على أرواح أمواتهم ويستعينون بالعُميان حتى لا يكون على النساء حرج ، فحصل الاحتلال في تلك الأثناء ، وهذا الكلام سنة ١٩١٧م ، فقالت لي أمّ كامل الجادرجي : إن الإنكليز سيدخلون ويبدؤون الاستعراض من جهة باب المعظَّم فاصطحبتني لترى استعراضهم وقاموا بالاستعراض أربعة أربعة في عدة صفوف ، كما هو مشهور في صورة تاريخية ، **وكانت أمّ الجادرجي فرحة بهذا الاحتلال ، فأخذت " الملَبَّس " وهي قطع من الحلوى الصغيرة ، ونثرتها على رؤوس الجنود الإنكليز وهي تهلهل ونساء معها فرحاً بقدوم الإنكليز** .

في مثل هذا البيت من بين جناح مثل هذه الأم : حصل بزوغ نجم هذا السياسي " كامل الجادرجي " ، إذاً فإن ما نراه اليوم من ترحاب من بعض العناصر العراقية المتأولة بتأولاتٍ قومية بالأميركان ، ما هو بالأمر الجديد ، وهناك من يتعاون مع هؤلاء المستعمرين ، مثل ما ترى أنت ظاهر البدن ليس فيه مرض ، ولكن بالتفتيش وبالأشعة ينكشف أن في أصل الكبد هناك نوع من النخر ،

فالبدن كُلُّه معلول ولا ترى أنت ، علّةً كاملة في داخله ، هناك علّة أيها الأخوة أبعد من أن تكون نشأت هذا اليوم ، هناك علّة في الأمة لأنها ابتعدت منذ ذلك اليوم .

وفي سنة ١٩٢٨م **تتولّى السفارة الأميركية ببغداد عملية ترويج السفور بين النساء** ، وتطلب من بعض العوائل أن تكون متعاونة معها .

● إذاً هذا الحذاء المارينز الخبيث النجس الذي وطأ أرض بغداد الشريفة يُنجّسها ما هو ابن هذا اليوم إنما هو ابن ٧٥سنة ، خطة ماضية في طريقها ، وعندما نقول هذه المسألة ليس لتحقيق إنجاز بحثي وإنما لِنَدُلّ على **أن الاستدراك لا يكون هامشياً ، ولا يكون عاطفياً ، ولا يكون بفورة غضب ، الاستدراك ينبغي أن يكون عميقاً بمستوى عمق هذا التخريب الذي حصل العراق** ، لذلك أميركا تنخر في الجسم العراقي ليس اليوم ، وما الجهاد الذي ندعو له بأن نقف الآن أمام الاحتلال ونقتل الجنود المارينز إلا صورة من مائة صورة أخرى علينا أن نفعلها ، أخاطب بذلك أهل العراق لأنهم كانوا سبب هذه المشكلة ، هم الذين صفَّقوا لصدام ، هم الذين كانوا بالأمس قبل أربعة أيام يقولون بالروح بالدم نفديك يا صدام ، أليسوا من أبناء جلدتنا ومن أهلنا وابن عمي وابن خالي وابن عشيرتي ؟ فإذاً : الخطأ كبير ، والداء أصيل ، والسوسة تنخر من قديم الزمان في هذا الجسم العراقي ، وعلى ذلك **لا يصح أن نستدرك استدراكاً عادياً ونقول أنه مجرد جهاد على أي يد من يكون ، لا ، المسألة بحاجة إلى أخلاق ، بحاجة إلى فكر ، بحاجة إلى إيمان ، بحاجة إلى خطة شاملة في ذلك** ، فإن الأيام تكشف لنا عمق هذه الهجمة .

● وقد قلنا قبل قليل : من ذلك الوقت : الملك فيصل الأول قال بإيجاد الدولة اليهودية ، وكان طارئاً على السياسة من أهل مكة ، ولم يكن بعد قد صار ملكاً على العراق ، كان ملكاً على سوريا نصبّوه آنذاك ، فأعطاهم الصَّك الخياني بأن تكون هناك دولة إسرائيل ، وهذا السادات عندما ذهب إلى إسرائيل سنة ١٩٧٨م

وخطب بالكنيست وقدم نفسه وقال : " افتخر بأني أول عربي يعترف بالحق الإسرائيلي اليهودي : أجابه بيغن في الخطاب الآخر الجوابي قال: **كلا ، بل أنت الثاني** ، مع احترامنا وتقديرانا لخطوتك ، **ولكن الملك فيصل هو الأول** " .

يتفاخرون ، وفي أمثالِ هذه القصص دليلٌ على أن الإفساد قديم وشامل ومتنوّع ولذلك لا يمكن لاستدراكنا إلا أن يكون متنوعاً .

● أيها الأخوة .. هذا يُرجعنا إلى أصلِ ما نراه من الاستدراك ، **وإن استدراكنا يبدأ بالاستدراك الإيماني حتى قبل الاستدراك الفكري الإسلامي وقبل أحكام الحلال والحرام** ، وقد قلت في بعض قولي عن الهندسة النفسية في رسالتي " نحو المعالي ": " أن هناك هندسة للنفس ، وأنت هناك تقابل بين الاجتهاد في الفقه والاجتهاد في الإيمانيات ، وكما أنه في الفقه والحلال والحرام الناس تجتهد والعلماء يدلون باستنباطات جديدة : فهناك في الإيمان أيضاً اجتهاد واستنباطات جديدة ، وكان من جملة التدليل على ذلك مذهب البخاري في التفويض لله وأنه أرجح من الدعاء ، والتفويض أن تؤمن بأن الله ﷻ قادرٌ على كلِ شيء وبحكمته أراد أقدار الشر ، فتستسلم مذعناً له أن يرفع عنك هذا القدر بقدر خيري وأن ينصرك على عدوِّك بعد أن تتخذ الأسباب وتعمل بها ، **ومثل هذا الإحساس يتطلب في الحقيقة الإيمان العميق بالقدر ويكون جزء منه من الإلهام** ، يعني يلهم المرء مثل هذا المعنى ، والله ﷻ يضع في قلبه سكينة وطمأنينة أن ما حدث من قدر إنما هو من حكمة الله ﷻ ، فاستسلم للقدر ، وصارعه ، ولكن أن تعلم أن الله أراده لحكمة، وجزء منه يكون بفقهٍ وبتصنّع وبتعلّم ، وينتُج من كثرة النظر في التاريخ ، وسماع قَصص الدول والجماعات التي بادت وتعاقبت على الحكم ، وقَصص الظلم والعدل ، وبكثرة ما تقرأ من التاريخ وقيام الدول وقعودها والمذاهب وقيامها وقعودها ، ستعرف خبراً كثيراً **تطمئن به نفسك إلى أن ما يجري في الأرض جميعاً هو من قدر الله ، وأنه ما تسقط من ورقةٍ إلا بقدر الله ، وما من حبة في باطن الأرض إلا يعلمها الله ، لذلك الإنسان هو أكبر من هذه الحبة**

وأكبر من هذه الورقة التي تسقط ، فإذاً هـذا الإنـسان بقـدر الله ﷻ يُـصيبُه مـا يُصيبُه ، فتستسلم للقدر بقلبٍ موقنٍ أن هنـاك حكمـة ربانيـة ، وإن كـان حكـم الحلال والحرام الذي يظاهر الحكم الإيماني يقول لك بأن تجاهد وتقاتل وأن تدفع قدر الشر وبقدر الخير ، فالمسألة فيها امتزاج العلمين ، ونحن نتقدَّم بالعلم الإيماني والعلم الفقهي، وأقول ذلك تأكيداً لما ذكرته من أن أمرنا مبتـدؤه الأمـر الإيمـاني وتوحيد الله ، وفهم منطلق الإصلاح ، **والمقاومة الجهادية للاسـتعمار الأميركـي إنما تكون عن طريق هذا الإيمان** .

● **هذا يقودنا إلى أن نفهم أن آخر التجارب القومية التي رأتها الـبلاد العربيـة والإسلامية : كانت فاشلة** ، وخذ مثلاً القومية التركية وكيف فعلت عـن طريـق أتاتورك بالبلد حتى أوصلته إلى هذه الحالة من التأخر ومن التبعيـة للغـرب ، أنـا رأيت صوراً في سـنة ١٩٧١م مـن أبـشع الـصور يـوم اسـتقلال بـنغلادش عـن باكستان بمعونة هندية كافرة ، والله كان استغلال هذه المسألة القومية البنغالية مـن أبشع الأمور حيث قُـتل الباكستانيون الشرقيون وخلّدت الـصور منـاظر القتـل ، ومَن يشأ يرجع إلى تلك الجرائد والمجلات في تلك الأيام ، وكل هـذا القتـل لمجـرد أن يكونُ ليس من قومهم ، لـيس بنغاليـاً ، وإنمـا هـو قـادم مـن أرض باكـستان الأخرى ، أخوهم بالإسلام ، ولم يكن من رجال الحكومة ، بل مجرد أن يكون من عامِّة الناس : كان يُقتل شَرَّ قتلة ويمثَّل فيـه ، ورأينـا كيـف فعلـت بالنـاس هـذه القوميات .

● وهذا العراق في سنة ١٩٥٩م لـمّا صارت الثورة علـى الملكيـة وجـاء عبـد الكريم قاسم واستعان بالشيوعيين ومكنَّهم ، رأينا ما فعلـوا : **٣٦٠ مـن أفاضـل أهل الموصل أكثرهم من الخزرج من ذرية الأنصار قُتِلوا** ومُثِّـل بهم أشدَّ التمثيل من قبل هؤلاء الشيوعيين .

في كركوك التي هي مدينة مخلَّطة فيهـا تركمـان وعـرب وكـرد : قـام الأكـراد الشيوعيون آنذاك بقتل ٧٠ من أشراف التركمان والتمثيل بهـم وتعلـيقهم علـى

الأشجار وعلى أعمدة الكهرباء وعلى البيوت ، بنت من الموصل اسمها حَفصة قاومت الشيوعيين ، فعرّوها من ملابسها وعلَّقوها من ثدييها على عمود الكهرباء حتى ماتت ، هناك صور كثيرة الناس لا تتداولها ، حتى لما جاء حزب البعث أمرهم ميشيل عفلق قال : لا تنشروا هذه الصور لأنها تضرُّ الصف التقدمي في العراق ، لأننا مهما عاديناهم فإنهم يَبقَونَ من جملة الصف التقدمي .

● أريد أن أقول أن الأمَّة لا تتَّعظ والشعب العراقي لا يتعظ ، اليوم بعد هذه التجارب المريرة التي حصلت في العراق مع الشيوعية ، وإذا بالصورة هي الصورة نفسها ، من سقوط في الفوضوية وفي التعذيب والنكبات ، هذا الذي أقوله من باب التدليل على أن منطلقنا الإيماني الذي قلناه نحن بحاجة له وإلاَّ ستستمر الحالة ، اليوم نحن نزيح الجندي الأميركي وعلى قول نتّحد الجميع في هذه الإزاحة ، نعم مؤمن وغير مؤمن ، وثم من يحكم ؟ يأتي آخر ليبطش بالناس كما بطش صدام وتكون مرَّة ثانية هذه التجارب ، لذلك كفى أيها الأخوة ، وجب أن نجهر بصراحة بمنطلقنا الإيماني وبأن هذا حد من الحدود التي لا يمكن أن نتجاوزها ، يكفينا سذاجةً ، يكفينا قولاً أنه ما اتفق المحكوم مع الحاكم في سبيل درء هذه الهجمة ، أيُّ حاكم هذا ؟ **أليس حكام العرب هم الذين مهَّدوا لهذا الغزو الأميركي ؟ أليست الصواريخ والطائرات انطلقت من أراضيهم ؟ أليست إذاعاتهم وفضائياتهم وجرائدهم كانت هي التي تمهِّد لهذا الغزو الأميركي ؟** فالمبتدأ الإيمان ، هذا الذي نقوله ، وإلاَّ سَنكرّر التجربة ثانية ونتجرع العلقم ، بعض الأخوة يعيبونني على أنني لم أكتشف أن صدام ليس بجاد ، وإنما اعتصمنا بعسى ولعلّ ، فعلاً أنا أقول اعتصمنا بذلك وتأوّلنا وكنّا في ذلك مخطئين .

كان المفروض أن نعترف أو نكتشف أن صدام لا يأتِ منه خير لأنه ظالمٌ وكفى ، كم وكم من أُناسٍ ماتوا من خلال التعذيب ؟ والله إننا لنحفظ قَصصاً من هذه التعذيبات لو قيلت لتشمئِزُّ منها النفوس ، كان الذين يموتون بالتعذيب لا يقبرونهم بل يضعوهم في أوانٍ زجاجية مملوءة بالتيزاب ويجعلون الجسد

الـميّت واقفاً حتى يأكل التيزاب لحمه وعظامه ، وعـدد مـن هـؤلاء موضـوعين مثل المتحف ، فإذا عذّبوا أحداً جديداً بكل أنواع التعذيب فلم يعترف : يأتون به إلى المتحف ويقولون له : يكـون مـصيرك هكـذا إن لم تعـترف ، فـيرى الأجـساد الموضوعة في التيزاب فينهار ويعترف بكل شيء ، هذه صورة من عشرات الصور من التعذيب الذي كان يمارس ، ثم نقول هذا سيكون مجاهـداً !! نعـم ، نحـن في الحقيقة كُنّا تربويين في مثل هذه المسألة فنقـول للنـاس عـسى ولعـلَّ ، ولكـن أن نصدق الأمر فهذا شيء أظن أننا أخطأنا فيه ، فإلى متى يخطـئ الواحـد وإلى متـى نكرر هذه القَصص ؟ كلامي يوجّـه إلى عمـوم الأمـة وإلى عمـوم النـاس ثـم إلى العراقيين أن كفانا تصديقاً للحزبيات البغيضة ، لا بدَّ أن يكـون شـعارنا إسـلامياً وعملنا ومنطلقنا إيمانياً ، وأن نعلم أن للأعمال تعاقبا ، كما وعظ أحدهم فقال : (اعلم أن للأعمـال جـزاء ، فاتـقِ العواقـب ، وأن للأمـور تــعاقباً فكـن علـى حذرٍ) ، لو كان جنود صدام يعرفون أنه سيحلّ مثل هـذا اليـوم لَــما فعلـوا مـا فعلوا ، لكنهم كانوا يظنون أنه كما رفع شعاراً في أوّل مجيئه وقال : " جئنـا لنبقـى إلى الأبد " .. فالقلب الخالي من الإيمان يصدّق مثل هذه المزاعم ولا يدري أن الله ينتقم من الظالم بالظالم ، **وتكون الأمة ضحية أيضاً لأنها تواطأت أو تواطأ بعضها مع هذا الظالم ، ذلك قانون رباني ، وهي دعوة للعدل ، هذه رؤية العواقب ، فإن الأمور لها تعاقب ، دعوة للعدل وإنصاف الـنفس والغـير ، لكنهـا حـديث عـن ظاهرة من ظواهر الحياة الكبرى أنه لا استقرار للعالم ولا دوام ، بل الأيام دولٌ ، وهناك تعاقب ويد من بعد يد ، والتعاقب مرتبط بقانون العواقب ، وأن الكـون كُلُّه خاضعٌ لرقابة إلهٍ يُجازي بالإحسان إحساناً وبالسوء تنكيداً** ، ويـشاء مبـصرٌ لهذه الحكمة أن يستقيم لتدوم الحال ، لكن أنى له ذلك والموت ينتظـره ؟ ويـأتي من بعده ولدٌ أو تلميذٌ لم يعرف الأيام ، هنا نقطة المسألة إن لم تكن هنـاك تربيـة ، ولم تفركه المعاناة ، فيكون أقربَ إلى فتورٍ في الخـير ، وينــثلم حزمـه فيطـرأ عليـه خطأ وخلل ، فيخضع لقانون العواقب من بعد ما نجا سلفُهُ من الـسلب ، فتعـود

يده أضعف ، فيقطف الموروث منه طارئٌ ، أي هو يرث أشياء من أبيه أو من سلفه ، فيأت طارئ يقطفها من يديه ، لأنه ما تربى على أصل الإيمان ، والاستدراك لم يحصل ، وعمل بلا فقه ، فتتغير الأحوال ، وهكذا ما تزال الحياة محكومةً بقانون التعاقب ، إنما مدة أطول من مدة ، وعنفٌ يصاحب التغيير أهون من عنفٍ .

● أيها الأخوة، هذا الأمر لماذا يتكرر ؟ لماذا عدم الاتعاظ بالعواقب ؟ لماذا تضيع التجارب من الناس ؟ **لأن القضية ليست قضية عقلية وإنما قضية نفسية أيضاً ، ومن خلال مزاحمة النفس لمدلول العقل تكون النكبات ، وتكون الاعوجاجات التي تبدأ بسيطة ثم تكون كبيرة كالزاوية المنفرجة** : يزداد البعد شيئاً فشيئاً ، وأحياناً تكون تصورات ساذجة عند هذا الذي يُريد أن يسوس الأمة أو يُنشئ حزباً أو يُنشأ جماعةً أو يزعم أنه من المفكرين ، وفي غفلةٍ من فهم نفسه يجد نفسه قد وصل إلى الفلوات وإلى الأماكن الخالية من العقل من دون أن يدري ، لأن المسألة ليست عقلية وإنما طبيعة النفس الإنسانية التي ما زالت هي سر من أسرار الله ﷻ لا أحد يُدركها إلا أن يعتصم بالإيمان ويُذعن قلبه إذعاناً تاماً للموازين الإيمانية بحيث لا يسأل لِمَ وكيف ، لأن الحكمة الإيمانية لا نميزها أحياناً والقدر غير معروف ، فينبغي للمؤمن أن يفهم ذلك ، وأن يوقن بأنّ القضايا أحياناً لا تفسر بعقل ، **ولهذا نقول : الإيمان هو الاستسلام التام لمقتضيات الفقه ، وذلك هو الأساس في نظرتنا** ، وأضرب لكم مثلاً تحليلياً أردت أن نقيس عليه ما يحدث في الأحزاب والجماعات والاستدراكات ، ولحزبٍ ربما ينشأ غداً يزعم أنه يريد أن يعالج الانتكاس العراقي بطريقة هي نفس طريقة صدام أو نفس طريقة الشيوعيين ، نقول له : قف عندك ، وافهم أن القضية قضية إيمانية كما يزعمها دعاة الإسلام ، لا كما تدعيه أيها العلماني .

أقول: أن نستوعب قَصص الحركة الحيوية التي شاهدها جيلُنا من صعود مغمورين إلى سُدة الحكم .. فمن هو صدام ؟ صدام كان يتيماً يقطع الطريق بين

محطة قطار تكريت والبلدة ، ففي بعض الليالي التي لا يكون فيها حرس يقف على الطريق ، والناس الذين يأتون من بغداد يفتشهم ، فيأخذ منهم ما جلبوا لأنفسهم من هدايا أو لأولادهم ، وينتقي ما يريد ، وذلك تحت التهديد بالمسدس أو بالعنف .. كان قاطع طريق وقاتلاً بالأجرة ، ولكنه أصبح يقود حزباً .. فصعود مغمورين إلى سدة الحكم وهبوط أحزاب إلى الحضيض بعد تألقٍّ ، وتموّل فقراء وافتقار أغنياء ، كل هذه الأشياء يجب أن نلحظها لمحاولة استيعابها لنفقه الأمثلة السلطوية واندماج أرواح جندها بها ، **وليس أبعد في ذلك من مثالٍ وجدتُه خارج القضية العراقية ، لكنه في المؤدى النفسي واحد : مثال " علي دينار " يوم أقام دولته في أقصى غرب السودان قبل قرن** ، وذلك كان في أعقاب الحركة المهدية ، وهذه المنطقة قريبة من حدود تشاد ، وهم زنوج وليسوا عرباً ، ولكنهم من المسلمين ، والمعروف عندنا أن جماعة المهدي السوداني قاتلوا بالحِراب وبالأسلحة البدائية وتغلبوا على الحكم التركي ثم على الإنكليز من بعد ذلك ، **وبعدها تسربت لدينار بنادق من الطراز الحديث وبنى لنفسه قلعة ، وأخذ يزين فرسه عندما يركبه ليبدو بنوع من الهيبة ويلبس الملابس التي تليق بالأمراء** ، فصار لأول مرّة نموذج حاكم في تلك المنطقة ، وبدء يُشعر أتباعَه بأن هناك شيئاً لا يفقهونه بعدما كانوا لا يعرفون غير الحربة والأسلحة البدائية ، وإذا بهم الآن يحملون البندقية ويلبسون الزي الأبيض الموحد ، وكانوا من قبل على الفقر وبالإزار فقط ، **وأيُّ فردٍ من جنوده كان يتخيل ما تخيله هنتكتن من نهاية التاريخ** ، هذا الفيلسوف الأميركي الذي يقول أن التاريخ انتهى ، وأن أميركا وصلت إلى قمة العالم ، واستبداد أُبّهة علي دينار ومنظره حين تحيط به عشرات البنادق الحديثة بقلب الجندي الزنجي الذي لم يرَ من قبل سوى الحربة والرمح : **كان يزيده غراماً بالإنجاز ويتحدث عن " ملك الدنيا وزعيمها الأوحد " علي دينار** ، وهذه المقالة أخذتها من أحد أبرع الصحفيين السودانيين : الأستاذ حسين خوجلي ، والأستاذ حسين له تعقيب على : كيف أن هذا الجندي كان يفهم أن

" نهاية الدنيا مُلك علي دينار وأن دولته هي القمة في العالم " وهو في ركن وزاوية منسية لا أحد يأبه لها .

قيمة مثل هذا المثل الساذج : **أنك لفهم الحركة الحيوية وكيف تتحرك الحياة وما قوانينها وما الذي يؤثر بها : لا تستطيع أن تكتشفها من قصة هي نقطة واحدة عائمة ليس لها طول ولا عرض ، لأنها تبقى نقطة ليس لها حتى في الخيال تصوّر كما في الناحية الهندسية الرياضية ، بل لا بد من نقطة ثانية تمنح علاقة هندسية تأذن لك بالمقارنة ورؤية الفروق** ، ولا يكون النظر تامّاً أيضاً حتى لو كان هناك خط مع النقطة الثانية إذ يبقى الأمر غير مجسم ، **ولا تُعرف حركة الحياة إلا بنقطة ثالثة فوقية تكعّب الأمر ويكون مجسماً ، إلا ببعد ثالث يتيح التكعيب وتجسيد الحياة** ، وتاريخ دولة علي دينار هو تاريخ ما أهمله التاريخ .

" فاشر " من هي ؟ نصفكم لا يعرفون أن مدينة اسمها فاشر بعد قرنٍ من دولته ، وليس هو غير نقطة هامشية خفيفة الوزن ، ولكنها مع ذلك **ضرورية لرسم نسقٍ تدرجيٍّ منطقيٍّ متتابع تفهم به قصة الاستعمار الأميركي الجديد للعراق** ، بعد ما يقرب من قرن من دولة علي دينار ، ومن حرب الخليج التي سبقتها وقيام إسرائيل وقصف الاستعمار البريطاني والفرنسي والروسي لأقطار الإسلام كلها ، نزولاً إلى يوميات شركة الهند الشرقية التي بدأت منذ أربعة قرون تحاول أن تتدسّس عبر الاقتصاد والتجارة لتهيمن سياسياً ، ثم هيمنت فعلاً ، وعندنا في العراق وكلاء لشركة الهند الشرقية منذ ١٦٦٧ يتعاملون معهم وبعدها كان التعامل السياسي ، حتى صار ما صار من وجود عوائل متعاونة مع الإنكليز ، حتى فيما وراء السياسة ، ومتعاونة حتى في تسفير بناتهم عن طريق السفارة الأميركية ، وهذا مثبت في وثائق وتقارير محفوظة في دار الأرشيف الوطني بواشنطن .

أقول : وفقيه الحياة : أي الذي يريد أن يعرف كيف تتحرك الحياة إذا كان لا يجلس عند جندي لعلي دينار لما كان يحلم ويعصف بأفكاره الخيال وتجمح به

التصورات البدائية ، فإنه لا يؤذن له أن يحيط بالخطة الإستراتيجية الأميركية في السيطرة على موارد النفط العالمية كلها بالشكل الذي همس بها مجلس الأمن القومي في إذن بوش الساذج ، تأتي كونداليزا رايس ويأتي بيرل الذي استقال الآن ، والذي هو أبوهم الروحي كما يسمّونه يهمسان ، فيفغر فاه بوش فَرِحاً ، وابتسامته وفغر فاهِ هي نفسها ابتسامة وفغر جندي من جنود علي دينار قبل قرن ، ذاك الأسود الزنجي ، هذا من هذا ، ضحكة جندي علي دينار وضحكة بوش وضحكة آخرين هي نفس الضحكة .. لماذا ؟ لا يفتأ المحلل يربط ما بين كل نقطتين وحادثتين حيويتين ، وعشرات نقاط أخرى ، ونماذج وأمثلة لحركة الحياة وقوانينها وانسيابها الهادئ أو تفجّرها الصاعق ، فبغفلة من الناس تجري الأمور من تحت أرجلهم كما يقول القائل وهم لا يدرون ، أو أحياناً يكون الصاعق ، مثل ما تفجرت الصواريخ على بغداد بالألوف قبل أيام ، وتُصبح بالمقابل أيضاً مع مثل هذه القصص : **أسوار قصر الأئمة بصنعاء ، ثم قلعة شيوخ أبو ظبي نقطتان لقياس الحاضر والمستقبل** .. أين صار هذا الإمام الذي كان بسيطاً وليس عنده شيء ، وعلى الطريقة الرجعية كان يحكم اليمن ؟ نشأت أشياء جعلته في خبر كان ، وقلعة أبو ظبي صارت مدينة عامرة حديثة .. **وقلعة آل الصباح في الكويت التي كانت أيضاً قلعة بسيطة ، معها قلعة الشيخ خزعل في المحمرة بالأهواز ، ذَهَبَ في خبر كان أيضاً ، بينهما افتراق رغم تجاوزهما** ، الكويت والمحمّرة قرب البصرة سواء ، لماذا هذا صار في قمة الغنى وذاك نسيه الناس حتى ورثة الشيخ خزعل وحفدته هم من عامّة الناس ويعيشون في الخليج فقراء ، **في ظني لأن آل الصباح قبلوا الخيانة وهذا لم يقبل الخيانة** ، والدليل على ذلك : زوجته مشهورة بصورة مع نمرٍ كان قد ربّاه في بيته ، ولربما من طريقة تعامله مع النمر تأسس له شيء من أخلاق النمور ، فأُقصي هذا وأُقيم هذا ، أُقيم المتخاذل الخائن وحُجر على من يَحُس بنوع من النمورية ، وألحقوه بإيران ولم يعط الاستقلال ، **ويعلم خبرهما من مصيرهما المختلف وأثر خضوعهما لمحصلات**

القوى الاستعمارية والإقليمية فإن إيران هي التي كُلفت بأن تبطش بالشيخ خزعل وأخذت بلاده وأنهت إمارته ، وأتت بعدئذٍ قصة الشاه وقصة التعاون مع الغرب ، وإن كان الشاه أيضاً أتاه اليوم الذي يُخلع فيه باليد الغربية لأنه تجاوز مقداره وأراد أن يستولي على نفط الخليج مثل ما فعل صدام ، لكن عاجلته أميركا فخلعته بالثورة الإيرانية المعروفة .

من يرى مصيرهما المختلف واثر خضوعهما لمحصلات القوى الاستعمارية والإقليمية : يؤذن له أن يفهم دينامك حركة الحياة ، هذه الديناميكية التي نريد أن نفهم قوانينها من النظر في مثل هذه المسائل ، ما الذي جعل الساذج جندي علي دينار يفرح بخياله ؟ إنها : نفسُه ، وما الذي جعل بوش الآن يفرح بخياله ؟ إنها : نفسُه ، هي النفس ، هي سر الأسرار ، وكل التبدلات قائمة فيها ، ولذلك منها تكون التبدلات ، وهناك نوع من التداخل بين الموازين والقواعد التي نفهم بها الأحداث ، لأن زماننا هو آخر الزمان وقانون حركة الحياة يعمل عملاً غير كامل ، بل تزاحمه حقائق آخر الزمن التي يُريد الله بها أن تكون تعبيراً عن غضبه على عامة المسلمين لتقاعسهم عن الجهاد والنهي عن المنكر والتراخي في حمل الأمانة ، ويكون ذلك بطول إرهاقهم بالظلم من الظلمة كما رأينا ، وأما في القرون الخالية فما كان الظلم يدوم مثل هذه المدة المستطردة الطويلة ، وكانت قوانين حركة الحياة تعمل ، وعلينا أن نأمل بأن القدر الرباني يبني حياتنا اليوم على نمط فيه بعض المخالفة للنمط القديم ، والأمر مرتبط بالمعركة مع اليهود ومعركة الهرمجدون ، ومن يخطط لها من الغربيين مثل بوش ظاناً أنه سيُنصر : كاذب ولا دليل على ذلك ، أو ولا نص حتى في كتبهم السماوية المحرفة إلى أنهم سيُنصرون ، بل النصر لنا بإذن الله ﷻ ، ويكون أمر الإيمان ظاهراً لمدة .

وإذا أراد أحد أن يقول أن مثل هذا الكلام فيه مخالفة للمنهجية العلمية فله ذلك ، أما أنا فألوذ بمنهجية الفهم الإيماني وبقصة الفصل الأخير من الحياة الإنسانية وقوانينها ، وفيها بعض المخالفة للقوانين العامة لحركة الحياة ، وسأقول

قولاً لبعض العلماء يشرح مثل هذه المسائل وأني لست بالمبتدع فيهـا ولا بالـذي يقول قول الخرافة ، لكن أقول استناداً إلى بعض حقائق العلم في الفيزياء في كتابي منهجية التربية فصل الفيزياء الدعوية : **هناك في فيزياء الكم مبدأ أساسي يقول : أننا لا نستطيع أن نصف حركة الإلكترون والدقائق الذرية وموقعهما وصفاً دقيقاً تاماً ، وإنما هو وصف إجمالي ليـس بالقـياس الدقيـق ، كما هو مبدأ هايزنبيرغ في "الارتياب" و "عدم التأكد" ، هذا الأمر أنا أعتقد أنه يصلح لفهم موقعنا اليوم في حركة الحياة** وعلاقتها بآخر الزمان واختلال الموازين وأظن أننا نقترب من ذلك ، قضية اختلال القياس في هذه المسألة أنا أشبهُه بهذه القضية الفيزياوية من أنك لا تعرف حركة الإلكترون أو خصائصه الأخرى معاً ، يقال أنه يـستدير الإلكـترون يميناً وشمالاً وإلى فوق ، ويكون في مدار معين ، ويقفز إلى مدار آخر كلمـا أرادوا قياس زخمه أو اتجاهه ، صَعُبَ الأمرُ على الفيزياويين ، ولذلك يقولـون : نحـن لا نستطيع القياس الدقيق إنما نعرف وصفاً عاماً للحالة ، أنا أصفها بمـا يقـرب مـن هذه المسألة : هناك أمور تكتفي بنوع من المؤشـر ، هـذا الغمـوض اليـوم جعلتـه أميركا أساساً في سياساتها ، وأثره ليس أقل من آثار الصواريخ الـتي تـدمّر ، **وإن من يقرأ السياسة الأميركية ويطلع عليها يرى أن هذه السياسة متعمدة لتدع الدنيا في حيرة** ، ما الذي يريده الأميركان هل يريدون استعمار العراق أم سينسحبون ؟ هل وراءها ضرب لسوريا وإيـران أم لا ؟ هـل سيـستعلمون جنـودهم في إدامـة ذلك أم يأتوا بآخرين ؟ هل النفط غايتهم ؟ هل ارتباطهم بإسرائيل يمكن أن يناله شيء من الانثلام ؟ **غموض كامل هو جـزء مـن الخطـة الحربيـة الأميركيـة ، أو بالأحرى من خطة التفوق الأميركي ، هو الغموض ظهير للخطة الحربية ، سياسة الغموض هذه نجحت إلى حدٍ كبير في توهيم العالم ، لكن أنـا أقـول : ربمـا نحـن نستطيع أيضاً أن نتملص من الغموض بأن نفترض أدنى الاحتمالات أن أميركـا كل أحوالها رديئة ، وكل أحوالها سيئة ، وكل تأويلاتنا للسياسة الأميركية سيئة ،** إذاً ما يضرنا بعد ذلك أننا نتعامل مع سوءٍ كلي مـن أميركـا بـأي صـورة تـصور

وبأي خطة تسمى ، وبأي طريقة سعت ، كله سواء ، فافتراضنا أن كل ما تأتي به أميركا هو سيء هو المنجاة من هذا الغموض الذي يريدون أن يحل بنا في هذه الحالة ... وما أقوله قد يكون عسراً على الفهم ، لكنه واضح لأهل التجربة الدعوية ، لأن هناك من الساسة ومن المفكرين الواقعيين الذين يسمون أنفسهم واقعيين مَن يقول : نرضى بَحلٍ مع أميركا أحسن ، نحاول الوصول فيه إلى المنتصف ، نصف لنا ونصف لهم .. **باسم السياسة الواقعية يريدون بيع التراث ، والانسحابية ، ويريدون إبطال الجهاد ، لكن نحن نقول : نتملص من ذلك بأصلٍ نضعه في خطتنا الدعوية بأن تُفترض أن كل أميركا سيئة** ، أما قرأتم خبر هذا الذي أُريد إعدامه في زمن أتاتورك ؟ فانقطع به الحبل فقال :كل جاهليتكم رديئة حتى حبالكم ، والقصة مروية أيضاً عن عمر المختار رحمه الله ، فكل الجاهلية رديئة ، وكل ما هنالك من أميركا رديء ، بهذا الافتراض يزول سلاح الغموض الذي تحاربنا به أميركا ، وعندنا اعتصام بحمد الله بشريعةٍ واضحةٍ غرّاء ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

● **بهذا أيها الإخوة نستطيع أن نفهم مداخلات النفس كيف تكون ، أن نتذكر إذ نحن لم نبدأ بعد بجهاد ضد الأميركان : أن علمنا بحركة الحياة سوف لا يصل إلى درجة الإحاطة التامة والكمال المستقصي ، وإنما هي المقاربة والتسديد ودرجة بين العلم والجهل ، والسبب أن الحياة في صورتها المتطورة المدنية أصبحت واسعة جداً شديدة التعقيد ، ضخمة في حجمها ، والعقل البشري يبقى محدوداً** ، فلا يستطيع المراقب الواحد أن يُحصي قوانين حركتها وظواهرها مهما استعان بأهل الاختصاص ، ويبقى المختص أعلم وأدرى بتفصيل ما هنالك في الحقل الذي اختص به ، فالاقتصادي أعلم بالاقتصاد ، والحربي أدرى بالحرب ، والاجتماعي أخبر بالمجتمع ، والسياسي كذلك ، ولكنه أقرب الناظرين إلى حركة الحياة ، لأنه يتعمد الشمول والاستعانة بجميع العلوم ، لكنه يظل أيضاً تحت سطوة قدر النقصان عن التمام ، المكتوب على كل إنسان ، ولولا ذلك لما ظهرت أخطاء

العباقرة عند الحكم في الظاهرة التي يكشف عنها التاريخ ، وهي ظاهرة توجب المشاورة ، هناك أصحاب عقول كبيرة ومع ذلك لـمّا حكموا وقعوا في أخطاء كبيرة ، إذاً كيف أن عقله كبير وعبقري ثم يخطأ الخطأ ؟ هناك تناقض في المسألة ، **السبب هو أنه يستحيل الإتقان التام ، لماذا ، إذا افترضنا أن العقل الذكي النشط يصل إلى إحاطة فأين تذهب سلبيات النفس واهتزاز القلب ووساوس الشيطان؟ وحديث الدواخل ، أي في داخل النفس ، إنك أنت الأحقّ فلماذا الإقرار للمنافس ؟** حديث يأتيه : أنت صاحب حق ، إذاً استتب ، إذاً كن دكتاتوراً ، إذاً كن سلطوياً !! هذا منافس لا تدع له مجالاً !! أنت الأحق وإنك أنت الأعلم فلم إشراك الغير ؟ المسألة مسألة مستبدٌ عادل مثل ما يسمي نفسه ، وإنك أنت الأعلى فكيف تتنازل ؟ فيرى نفسه في قمة ، فكيف يهبط إلى درجة غيره ، وإني قد نظرت مليّاً ، ولزمت عند التأمل الصبر ، **فوجدت أن حركة الحياة لو كان طابع العقل فيها فقط لتناوش الإنسان الكمال من مكان قريب ، ولكمل من الناس كثير ، ولكنها أحوال النفس تنازع مذاهب العقل ، فتجنح إلى غرورٍ ومنافسات بل وإلى ظلم ورعونات ، والعبقري يبقى بين أقداره المعنوية محبوساً ، وتخونه حرارة الفؤاد أن يستلذ ببرودة الفكر** ، فهنا لما يستشيط غضباً ، ويكون ما يجعل فؤاده يغلي ، ولربما يُذيب الغليان أجمل البلورات التي بلورتها ومضات العقل النابضة من مركزه إذا بلغت أقصى زخمها عند أقطارها ، ومضات هذا العقل تبلور عنده أشياء ، بمعنى صارت بلورة ، صارت شيئاً واضحاً وعنده خطة وعنده ميزان : تأتي خلجات النفس ، هنا وساوس الشيطان تتدخل فيتعكر كل ما هنالك ، لأن المسألة ليست مسألة عقل ، المسألة مسألة قلب أيضاً ، **ولهذا القضية ينبغي أن تُقاس كل مسائل العقل بكل خلجات النفس وأطوارها** ، ومن هنا نفهم الموقع ، حتى الهندسة ربما ، وحتى المسائل العلمية الفيزيائية تتدخل في فهمنا لمسائلنا وحياتنا وموقعنا ، اضرب مثلاً في ذلك ، عن الحقيقة الإيمانية وأن لها صلة بكل العلوم والتوصيف ونوع ارتباط ، وليس هو اجتماع

معرفة إنسانية من لغة وتاريخ وعلامات منطق فقط أو معادلـة فيزيـاء وكيميـاء ، وإنما حتى النسب الرياضية والعلاقات الهندسية أحياناً هي عوامل تحديد للحقيقة وتبيين وتشكيل ، ولكن المستعجل لا يفطن إلى ذلك ، انظر مثلاً لذلك : القـرب أو الابتعاد ، واحد قريب من شيء وواحد بعيد عنه ، كمؤشر هندسي وصـفي ، أنت تصف الواحد بأنه قريب من الشيء أو بعيد عنه ، أو حقيقة معينـة قريبـة أو بعيدة : هذا التشبيه أوّله الله تعالى في عدد من الآيات ، وأضـاف بعـض الفقهـاء إضافة ، وهـو إيحـاء دوران محيط الـدائرة حـول مركزهـا الثابـت ، آل إلى إيحـاء الابتعاد ، لتتكون صورة تفهيمية شارحة لمقدار تعـاظم الـضلال ، وورد ذلـك في رؤية " الراغب الأصفهاني " أحد سلفنا الصالح فقال : " الظلم هو الانحـراف عـن العدل " ، ولذلك حُدّد بأنه وضـع الـشيء في غـير موضـعه المخـصوص ، ثـم **إن العدل يجري مجرى النقطة من الـدائرة ، فتجاوزهـا مـن جهـة الإفـراط عـدوان وطغيان** وإليه الإشارة بقوله تعالى : (قد ضلوا ضلالاً بعيداً) ، فالبعد هنـا عـن بعض جوانبها جَوْر ، والظلم أعمّ الأسماء ، ولما كان الظلم تـرك الحـق الجـاري مجرى النقطة من الدائرة صار العدول عنها إما قريباً وإما بعيداً ، فمـن كـان عنـه أبعد كان رجوعه إليه أصعب ، ولذلك قال تعالى : (وَيُرِيدُ الـشَّيْطَانُ أَن يُـضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا) ، فاستعمل الوصف الهندسي هنا لبيـان مكـان ضـلالهم أو واقـع ضلالهم ، وهو تنبيه أن الشيطان متى أمعن بهم في البعد من الحق صـعب علـيهم حينئذٍ الاهتداء ، ولأجل من فعل بهم الشيطان ذلك قال تعالى : (أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيد) ، مثل هذا الشرح يعني **أن البعد في الضلال ما هو بمجـاز ، بـل هو بعد هندسي حقيقي يجعـل رحلـة الأوبـة صـعبة** ، لهـذا أيهـا الأخـوة هنـاك مفكرين علمانيين ارتكـسوا في ضـلالتهم العلمانيـة ، مـرة ظهـروا لنـا بالـصورة الشيوعية ، ومرةً ظهروا لنا بالصورة البعثية ، ويريدون أن ينهضوا مـن جديـد في صورة أخرى مكررة ، **هؤلاء ضلوا ضلالاً بعيداً ولذلك نرفضهم ونعتصم بقولنا الشرعي وما عندنا من إيمان ، ونعتصم بطريقنا الإسلامي** .

● لفهم حركة الحياة مرة أخرى أقول : أن هذا الباطل أحياناً يكسب وقت الصدمة : أنه يستدل بالشيء الغريب المناهض للفقه ، الشيء الذي ليس عليه أمر الشرع ، لا يستطيع أن يناقش الإسلام وان يأتي بإبطال الإسلام ، ولكن بالشبهات يهدم ما هنالك ، فإلى أن يفيق هؤلاء الذين تنطلي عليهم الشبهات يكون هو قد حكم وتنعّم وترفل ، بعدئذٍ إما أن يُفيق هذا الذي صَدَمته هذه الصدمة الفكرية أو يأتي أحدٌ آخر يُزيح هذه الصدمة لتعقل العقول مرة ثانية وتهتدي ، فكسب الوقت استعمله الشيوعيون واستعمله صدام ولا نريد أن يستعمله آخر ، أقول : في هذه المعركة ، معركة الحجج والبراهين والفكر ، قد يتوقف الحق عن التقدم زمناً يسيراً ، لا لنقصٍ في البرهان ، وفي الهندسة الدائرية التي قالها الراغب الأصفهاني ، بل لنقصٍ في الجمهور المتلقي السامع ، في إن يكون النقص أنهم لا يفقهون أمر الإسلام ، يَغُشُّه المجادل والمحتال والحاكم الذي يريد العلمانية ، فينطلي عليه الأمر ، فيحتاج الأمر إلى وقت لإعادة التفهيم والصياغة ، ولكي ينكشف الزيف عبر الواقع العملي ، **وتكمن في كل ذلك عندئذٍ قصة قانون من قوانين حركة الحياة أسمِّيه "كسب وقت الصدمة ما بين أحداثها وافتضاحها" ، والذي فعله صدام يريد بوش أن يفتعله الآن ، كسب وقت الصدمة ، بوش بعنفوانه ، والتأصيل الفلسفي الذي استعمله : هذا الذي يقول أن الحضارة قد وصلت إلى نهايتها ، وأن أميركا قد تربعت على عرش العالم ، وهذه نهاية العالم : يريد كسب وقت الصدمة ، فنحن ما بين تمويه الأميركي الذي يستعمل الصدمة ، وبين علماني آخر يريد غير طريق الإيمان للتحرر من أميركا ، فيكسب وقت الصدمة أيضاً ، يغشُّ الأمة بطريقه الآخر ،** ولا ندري ماذا سيُسميّه الآن .

● ونحن كمسلمين عندنا آيات بينات واضحة ، عندنا حق واضح ، لذلك يسعى العلماني الآخر لإفساد هذه الحجة ، وذلك أسهل من سبيل المعارضة ، يعني حجج الأمم المتحدة وقانونها الذي أعرض عنه الأميركان وتجاهلوا ذلك ،

أو الإنكار العالمي في كل العالم ، فالعالم يريد شيئاً وقلة عفنة في البنتاغون يريدون شيئاً آخر ، هذه حجج أيضاً تضاف إلى الحجج الشرعية التي عندنا ، فسبيل ذلك : إنكار هذه الحجج أسهل من سبيل المعارضة ، لهذا يتحرر الجدِل الخصيم ، فهو لا يستطيع أن يأتي بحجة تنفض حجتنا الإيمانية إنما يحاول إفسادها فقط ، وذلك أن الإفساد هدم وهو سهل ، والإتيان بمثله بناءٌ وهو صعب ، **فإن الإنسان كما يمكنه قتل النفس الزكية وذبح الحيوانات وإحراق النبات ولا يقدر على إيجاد شيء منها : يمكنه إفساد حجة قوية بضرب من الشُبه المزخرفة ، ولا يمكنه الإتيان بمثلها** ، ولأجل ما قلنا دعا الله ﷻ الناس في الحجج إلى الإتيان بمثلها لا إلى السعي في إفسادها فقال تعالى : (فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ) ، وقال تعالى : (قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ) ، فرضي أن يأتوا ما فيه مشابهة له وإن كان ذلك مفترى ، فمن هنا مسألة إفساد الحجة كظاهرة من ظواهر الحياة إنما تراد لكسب وقت الصدمة والتدليس على الناس حتى إذا نشأ جيل آخر يعي هذه المسألة عالجوه بصدمة أخرى ، وهكذا ، **ولكن المعتصم بالإيمان يفلُّ سحر هؤلاء السحرة أصحاب الصدمات** ، هذا يجعلنا نتمسك مرةً أخرى ، وأقول : إذ نحن نبني طريق الاستدراك الصحيح وندعو إلى التوبة الصحيحة وإلى فهم واستيعاب الدرس الأميركي الذي حصل ، وأن المسألة أبعد من أن تكون مقاومة جندي فقط : أقول مرة أخرى **أن مبدأ أمرنا : طاعة الشريعة ، وهي النقطة المركزية التي يبدأ منها القياس ، وأما من ينحرف عن الشريعة فهو أظلم ظالم** ، يقول الراغب الأصفهاني صاحب " الذريعة إلى مكارم الشريعة " : ولما كانت الشريعة مجمع العدالة ومنبعها : صار من امتنع عن التزامها وانتظامها أظلم ظالم ، ولهذا قال ﷻ : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُ) ، هذه الآيات نحن نتلوها ونقرؤها ، ولكن إذا أتينا إلى مجال سياسي نحن كدعاة وكمسلمين ونرى خطأ يرتكبه آخر بأن لا يتبع الشريعة وقد وصفه الله بأنه بعدم اتباعه للشريعة صار ظالماً : نحاول أن نتجاوز ونقول لنجمع الصف ، المسألة

الوطنية هي الأولى ، المسألة القومية الجامعة هي الأولى ، أصبحت وسوسة في الصف الإسلامي أحياناً ، تنسيهم هذه الآيات الصريحة ، وقال تعالى : (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ) ، يعني هذا الحزب الذي هو مجموعة مبتدعات تعارض الحكم الشرعي أليس هو من هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب ؟ فكيف تذهب هذه الموازين ونضعها جانباً بالتأولات ؟ ولكون الكفر ظلم قال تعالى : (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا) ، فقَابلَ المؤمن بالظالم هنا ، ثم قَابل أيضاً المادة القرآنية التي هي شفاء للمؤمنين ، **وأنه من يُرد أن يعالج حال الاستعمار يعالجه بالإيمان ، وليس أن يعالجه بفكرٍ آخر كافر أو علماني ، أقول فهذه المقابلة بين الإيمان والظلم وبيان التنافر المؤكد بينهما إنما هي تأسيس لوضع في الحياة يمكن أن يُتخذ كأصلٍ لتأسيس علاقة وكنقطة مركزية منها تبدأ معرفة الأبعاد ، لذلك فإن هذه المقابلة هي جزء من معرفة حركة الحياة ، وأردنا اكتشاف قوانينها : كونها المنطلق وحَدُّ الرصد ، فأحياناً نحن ننسى أنفسنا ، وعندما يأتك أحد بعد كل هذه الدروس يعاند ويأبى إلا غروراً ، ويأبى إلا علمانية مع ما عندنا من دروس من الحزبيات السابقة المنهارة : أكون قد غششت نفسي إذا قبلت بهذه الأمور التي مآلها بعدئذٍ إلى نفس مآل : " نفديك بالروح يا صدام " ، ثم تفيق على لا شيء ، وإذا الدبابات دخلت المدينة وإذا الشرف قد مُسَّ** ، لذلك أيها الإخوة أنا فهمي للمسألة أن نخرج من الإشارة التربوية في تسمية الجاهلية العامة إلى وجوب أن نعلّم الناس أن للشيطان إغراء ووسوسة ، **فنخرج إلى تخصيص بعد التعميم** ، وأن الإلقاء الشيطاني أوجد ديناً أو أدياناً جاهلية محددة المعالم والأوصاف والأحكام والقواعد تقابل الإسلام ، تسمى شيوعية وتسمى بعثية وتسمى باسم آخر لا ندري الآن ماذا سيبتدعوه لنا ، والاستعمار الأميركي لكي يديم نفسه سيأمر بابتداع هذا الحزب الجديد الذي يكيد الناس أيضاً في أفكاره ثم لا شيء ، هذه ليست فقط ردة فعل ساذج

ستكون ، **أنا أفهمها أنها جزء من الحرب وجزء من الاستعمار : أن الأميركان يقولون لبعض الواهمين أوجدوا هذا الدين الجديد بصورة حزبٍ آخر يلهي عن الدين القويم ، فالنقطة عند ذلك لا تكون مبهمة بل نقطة تفصيلية من نمط للحياة إلى آخر ، ومن ولاء إلى ولاء ، ومن براء إلى براء ، ولذلك نحن ندعو إلى مقاومة إسلامية ، إلى ثورة إسلامية ، إلى " جهاد إسلامي " وليس إلى " عمل سياسي " تقاذفه أفكار فلان وفلان من المنظرين والمفكرين الذين تروج لهم الدعاية وتجعل أسماءهم كبيرة ولامعة ولكن الحقيقة جوفاء وفارغة** ، ولمثل هذا "تنشأ المعاني الدعوية السياسية كجزء مكمّل للحكم " إذا أراد أحد أن يحكم ، وأن يعترف بأننا على طريق الصواب ، وانه إذا أراد أن يخلص فعليه أن يستعين بنا .

يقول الراغب الأصفهاني : أشرف أصول الصناعات : " السياسة " ، وهي أربعة أضرب :

الأول : سياسة الأنبياء ، وهم يحكمون على الخاصة والعامة ، على ظاهرهم وعلى باطنهم .

الثاني : الولاة ، الحكام ، حكمهم على ظاهر الخاصة والعامة دون باطنهم .

الثالث : الحكماء ، وحكمهم على باطن الخواص ، يعني متداولي التأصيل الفقهي والنظر الشمولي التعميمي .

الرابع : الفقهاء والوَعَظة ، وحكمهم على بواطن العامة ، من أنهم يحاولون قذف الإيمان في قلوب العامة .

● يقول الراغب : واشرف هذه السياسات الأربعة بعد النبوة : إفادة العلم وتهذيب الناس به ، وينطبق على اثنين : إما أن يكون الحكيم الأصولي ، أو الواعظ الذي يقترب من الناس ويعلمهم أصول الإيمان وأبجديات الإخبات ، وإن لم ينصرف معنى الحكماء إلى الفلاسفة الذين تقلص وجودهم اليوم بعد شيوع المعرفة بين الناس فإنه ينصرف إلى أهل الفكر والمقارنات والموازنات المصلحية والتحليلات النفسية ، والذي يقوم به اليوم هم مخضرمو الدعاة

ومفكروهم الـذين يقـدمون فكـراً إسـلامياً أصـيلاً واضـحاً متكـاملاً ، وبـذلك يكونون هم العنصر الـمُكمّل لمجموعة السياسيين الحاكمين المعبّر عـنهم بـالولاة ، **ولأن هذه الصنعة الفكرية التحليلية أصبحت هي الصنعة الدعوية فإن ذلك يعني أن الدعوة صارت الجزء المكمّل للحكم** ، ونحن ندلي بالفكر والتقعيد : إذاً نحـن نكمّل هذا الحاكم ، لأن الحاكم قد يكون عارياً عن هذه النظرة الفكرية الشاملة ، وبهذه الصفوة الفكرية يرى الحكمُ نفسَه ويميز صورته وينقـدها ، هـذا المفـروض الذي أن يكون ، ولذلك يُفترض أن يحرص على وجودها ويجعلها مصدر إمداده بالرجال ، يُربيهم ليوم الكريهة ، صدام لو كان مُتخذَ شيء لجعل دعـاة الإسـلام هم الذين يوكلون بالدفاع عن بغداد بدل هـذا الهتّــاف الـذي يــهتف : بـالروح بالدم ، ولكان أمر الحرب أمراً آخراً ... تنبه لها في الشهر الأخير وقال : الجهـاد ، وبدا يتلو الأشعار الجهادية ، أما قبل ذلك لم يكـن الأمـر كـذلك ، **وتكـون هـذه المجموعة هي الواسطة بـين النـاس تخـاطبهم وتـشرح مـذهب الممارسـة وأبعـاد القرارات وتوجهات الحكم ، ثم في عملية معاكسة تترجم خلجات ضمائر العامة وترقبها وترفعها إلى السلطة ، فيكون الانسجام بين الـسلطة وحاكميهـا ويكـون الوضع الأمثل في استــثمار الطاقـات ، فـإن أدرك رجـال الـسياسة هـذه الميـزة الدعوية ، وأخلصوا لها : فذلك هو الإيمان السياسي في أبهى حالاته ، ويُشكرون عندئذٍ على ذلك ، يميناً ويساراً لا نكاد نجد أحداً من يفعل هذه المـسألة ، كلـهم تنكروا لمثل هذا الحق ، فإن تنكّر الحاكمُ وألغـى الـدور الـدعوي وتجـاوز عليـه بإنشاء حزب يواليه ومخابرات تـُعذب ، على مذاهب المنفعة والتبعيـة العميـاء ، ووضع الأحكام الشرعية في غير مواضعها ، فذاك هو الضلال الـسياسي الـذي يكون بدعة وفساداً غليظاً ، وقد يصل إلى الكفر المحض ، بحسب درجاتهم .**

● وهكذا يكون أداء الفقيه عنصراً من صُلب العمل السياسي ، أداؤنـا نحـن مطلوب لكي تكون السياسة صحيحة ، وهذا ينبغي أن يفهمه الجميع ، وأن نفهم أنفسنا ونرشح أنفسنا بدل الآخرين ، وإذا تطوّر فـصار جماعيـاً أي لـيس فقيهـاً

واحداً ، وظهر أداءٌ متجانس لمجموعة فقهاء تربطهم خطة واحدة : فقد قام المعنى الدعوي ، ويكون الأداء الدعوي عنصراً من صلب العمل السياسي ، ولن يستطيع حاكم أن يلغيه ، وإذا ألغاه فقد حكم على نفسه بالخروج عن طريقة حركة الحياة ، فيصول زمناً ثم يؤول إلى التلاشي إذا فاصَلَته الدعوة ، ويظلُّ قانون حركة الحياة يفرض نفسه ، (فاعلم أن للأمور عواقبها) ، ما تدع أحداً وإن توهم وقال ، لذلك أيها الأخوة : هؤلاء العلمانيون وهؤلاء الظلمة أمثال صدام وحواشي صدام الذين لا يزالون في الحكم هنا وهنا : عملوا على تفسيق الناس ، ونحن دورنا الدعوي اليوم يأتي لتبييض قلوب الناس ، واستعملُ التبييض لأنها مهمة أتباع الأنبياء ، مهمة الحواريين ، وللنص ، يقوم بذلك منهم الحواريون الذين نفروا مع عيسى عليه السلام ، قال بعض العلماء كما قال الراغب الأصفهاني : إنما سُمي الحواريون بذلك لأنهم طهروا نفوس الناس بإفادتهم الدين والعلم ، من قولهم : " حوّرتُه " أي بيضتُه ، وما روي أنهم كانوا قصَّارين ، فكان الحواريون قصّارين يبيضون قلوب الناس ، وقد اسودت قلوب الناس اليوم أو شابتها الشوائب ، سودتها أوهام الشيوعية وتقليد أنماط مادية أميركية ، نحن نريد اليوم معاداة الأميركان والجهاد ضد الأميركان ، والأوهام المادية الحالّة في ديارنا هي كما قلنا كانت من آثار الاستعمار الفكري ، ومن درس في الغرب نقل لنا أفكاراً مادية لجون ديوي الفيلسوف الذي ابتنت على ماديته التربية الأميركية كُلُّها ، وكم من أستاذ جامعة يقول بذلك في ديارنا وصحفي يقول بذلك ، المادية الأميركية في ديارنا ، إذاً هل نحن نقاتل الجندي المارينز ولا نقاتل المادية الأميركية التي جاءت قبله لتمكنه من موقفه الاحتلالي هذا ؟ ليس غير دعاة الإسلام الذين يُبيّضون هذه القلوب المسودّة والحال الأسود ، هنا الحواريّون المعاصرون القصّارون ، نحن الحواريّون ، نحن دعاة الإسلام اليوم **وقد بقيت أذيالُنا طاهرة على طول المدى في زمن التلوث السياسي الذي جاءت به خُطط السلام والتطبيع ، حين تلوثت أجيال من الصحفيين**

وأساتذة الجامعات وحملة الدكتوراه وآخرين من الناس الذي يتاجرون حتى وصل النخر إلى جيل من التجار ورجال الأعمال الذين يتعاملون مع إسرائيل ويُروّجون للخطة الاقتصادية الإسرائيلية ، وبالأمس قبل يومين كانت هناك إحصائية أن كذا مليار دولار من أموال عربية مستثمرة في بورصة تل أبيب تضررت ، هذا ليس قولنا أيها الإخوة ، هذا قول الأخبار وعلى شاشات التلفاز ، فالأمر حاصل بأكثر مما تتصورون وبأكثر من كونها سلعة ، حتى رؤوس الأموال العربية تذهب إلى إسرائيل .

ومن أكبر المعاني الإسلامية التي نتميز بها عن الأحزاب : **أن وجه الدعوة يُشرق أمام الناس أجمعين يريد لهم المحاسن والمصالح** ، كما قيل لبعض الحكماء : هل من جود يُعمُّ به الورى ؟ يعني جوداً تكون المنفعة منه على عامّة الناس ، قال : نعم : أن تُحسن خلقك وتنوي لكل أحدٍ خيراً ، أقول : تحسين أخلاقكم ، ثمّ واجهوا الناس بمواجهة الخيرية بلا عصبية ولا طائفية ولا قومية ولا محسوبية ولا استغلالية ولا استعلائية ، بل نحن أهل النجدة للمستضعفين ، غيرنا مرتكس في شيء من هذا : إما قومي ، إما علماني ، إما بدعي : إلا نحن بحمد الله : ما عندنا مثل هذه الأشياء التي تتثاقل بالناس إلى الأرض ، ونحن نسير على سَنن الإخاء لجميع الساعين نحو الحرية ، **ثم نحن قادة الحياة الذين اكتشفوا ما هناك من تغريرٍ وإلهاء واستدراج فحرصوا على أن يستقيم لهم المخرج** ، بل حتى تجاه أميركا في الحقيقة نحن نضمر لها الخير ، نحن لسنا أعداء الشعب الأميركي أو أعداء الحضارة الأميركية ابتداء بدون أن يكون هناك تمييز ، نحن أعداء لما تأتي به الحضارة من أشياء منافية للخلق ومنافية للإيمان وللأديان ، منافية للحق الذي ينبغي أن يُشاع بين الناس ومن ظلم الشعوب ، أما أننا نؤيد حوار الحضارات فنعم ، ولِمَ لا نحاور هذه الحضارة الأميركية للوصول إلى غرس طبعات إيمانية فيها ، إذ الحق عندنا ولا نخاف من ذلك ، يعني حتى تبليغ الأمم الأخرى الذي كان من واجبات الملوك ، يقولون : على كل ملك من ملوك

الإسلام أن يبعث سفراء إلى أمم الكفر يعلمونهم دين الإسلام ويبشرونهم ، حتى آخر السلاطين السلطان عبد الحميد رحمه الله خبره مشهور أنه أرسل مجموعة علمية من فقهاء الإسلام إلى اليابان البوذية التي فشت فيها النصرانية قليلاً ، ليعلّموهم الإسلام ، ولكن بعد السلطان عبد الحميد ومجيء هذه الحكومات الهزيلة والحكّام العلمانيين نُسِيَ هذا الدور ، فنحن لسنا ضد أي بلد ، حتى مع أميركا يمكن أن نحاور هؤلاء الشعب أو المفكرين بالحسنى ونعرض إسلامنا ، **ولكن هناك ظلم يوجب تغييراً ، نُغير حفنة قليلة من جلاوزة البيت الأبيض والبنتاغون ووزارة الخارجية يحجبون الحقيقة عن عموم الناس ، لهذا نحن ندافع عن أنفسنا** ، مَثَل أضربُه في أن هذا الذي نتمناه غير حاصل وأن الأمور تسير بالعكس ، وأن كل الحكام لا يفهمون بأننا دعاة إصلاح : من خلال نقلين من أرشيف أصنعه لنفسي ، ففي مجلة الوطن العربي الصادرة يوم ٢٣/ ٢/ ١٩٨٩م كلام لزكي بدر وزير الداخلية المصري ، لتفهموا أننا قدمنا أنفسنا للحكومات بأن نتعاون ونكون نحن الوجه الفكري والأداة التقعيدية للأمور الحضارية وما تحتاجه الدول في كل شيء ، فمنهم السلطة ونحن فقط نرشدهم ، ولكنهم أبوا ، انظر ماذا يقول : (من صلب المتطرفين في بلدنا على سبيل الحصر (الإخوان المسلمون) و (الشيوعيون) ، أما الإخوان المسلمون فهم ليسوا بمسلمين ولكنهم أطلقوا على أنفسهم هذا اللقب ظلماً وعدواناً على الدين الإسلامي ، الإخوان المسلمون فئةٌ ضالة لا تعرف الله ولا الرسول ، وذلك منذ أنشأها الشيخ حسن البنا – يعني جمال عبد الناصر كان يقول قولاً أخف من هذا ، يقول : الإمام البنا أنشأ عملاً سليماً ثم انحرف به مَن بَعده – ، ولم تكن هذه الفئة أبداً جمعية شرعية تبغي الله ورسوله ، وأنا هنا لا أفتري ولا أدعي أو أخالف ضميري لأن هؤلاء الذين ماتت ضمائرهم لا يؤلمهم الوخز بالأبر ، وسيطر الإخوان المسلمون على بعض الشباب الضائع في الجامعات ، والذين يمكن إغراؤهم بالنقود ، ومعهم عدد من السفهاء والحقراء من أعضاء هيئة

التدريس المنتمين إليهم ، أقولها في منتهى الوضوح : إن القتل والبتر والـضرب في عين المليان هو الوسيـلة لهـؤلاء الـذين يتخـذون الإرهـاب وسـيلة ، ولا وسـيلة غيرها ، **الضرب في سويداء القلب هو الحل الوحيد** للإرهابيين ، أنا رجـل أمـن قديم ولي وجهات نظر أقولها بصراحة : إنـه مـن الخطـأ الفـادح أن نتعامـل مـع هؤلاء بالحوار ، من يستحق الحوار نحاوره ، ومن يتحاور بالـسلاح نتحـاور معـه بالسلاح ، وأوكد أن وسيلتي هي العنف مع العنـف .. يقـول : إن أحـد رؤسـاء الجامعات الكبرى في القاهرة بل رئيس أكبر جامعـة يقـف مكتـوف الأيـدي بـل مؤيداً للمشاغبين الإرهابيين داخل جامعته ، شباب متمـرد يوزعـون المنـشورات ويخلون بالنظام ، مما اضطر العميـد إلى فـصلهم ، ويـأتي رئـيس الجامعـة ونائبـه يطالبان بإعادة الطلبة ، فقمت باعتقال هـؤلاء الطلبـة المـشاغبين ، فهـدد رئـيس الجامعة بالاستقالة ، وهذا لا يهمني ولا يعـني لـي شـيئاً إطلاقـاً ، وأنـا شخـصياً أتصوّر أن هذه الفئة باتت الآن تحتضر أو كما يُقال : " كالطير يرقص مذبوحاً مـن الألم " ، أراهم كالكلاب المسعورة مع اعتـذاري للكـلاب ، وقـد يكـون الخنـازير تشبيهاً أقرب) .. هذا قول زكي ، أما تلميذه الذي خلفه اللواء محمد عبد الحميد وعرفته الصحافة أول مرة بأنه شيخ العرب لأنه أحـال قـضايا النـاس إلى المحـاكم وحلها بالحسنى ، فيـقـتفي أثره ويقول في جريـدة الخـليج يـوم ١١/ ٥/ ١٩٩٠ : (من يظن أني شيخ العرب ورجل طويل البال وطيب يخطـئ كـثيراً ، أنـا تلميـذ زكي بدر ، أولاً السيد زكي بدر رجل أمني من الدرجة الأولى ، تحمّل مسؤوليات في فترة عصيبة عقب أحداث الأمن المركزي سنة ١٩٨٦ وهو أستاذي ومدرسي ، وبالفعل تعلمت منه الكثير وعملـت معـه طـوال عـامي ١٩٨٦-١٩٨٧ كمـدير للأمن .. قد أختلف معه في الأسلوب ، **أما بالنسبة لـسياسة الـوزارة فهـي ثابتـة ومرسومة في إطـار سـياسة الحكومـة** ، وأنـا أحـدث وزيـر في الـوزارة وأطبـق سياستها ، وليس من أسلوبنا هدم ما عمله من سبقنا ولا أكون محمد عبد الحميـد لو تنكرت لأستاذي زكي بدر ، **نعم أضرب من يـستحق الـضرب بالمليـان** ، أنـا

لست بشمشون ، أنا منفذ للقانون اضرب في المليان ، مش بس في سويداء القلب بل **أحزم وأعصر عصراً ، ومن يخطئ : أكسر رقبته وأشقه اثنين وبالقانون)** ..

هذه أقوال وجدتها في أرشيفي في هذه المسألة ، نحن نقدم أنفسنا كحواريين نبيض قلوب الناس أصحاب فكر مُكمّل لأداء الحكومة السياسي ، ونرشدها ، ثم نقابل بمثل هذا ، وما زلنا نقابل في كثير من البلاد ، فماذا يكون إلا أن تيأس مما هنالك وتتبع الطريق الجهادي ، ولكن ليس التهوري !! هو شأن الإنسان قبل أن نكون مسلمين :

كلما أنبتَ الزمانُ قناةً ركّب المرء في القناة سِنانا

هذا قول الشاعر ، القناة هي غصن مستقيم ، فكلما رأى الإنسان أن هناك قناة قد نبتت : يركب لها السنان ، هذه الآلة الحادة في طرف الرمح حتى تكون قاتلة ، هذا شأن البشر .. لماذا الكل يركبون هذه القناة إلا أنا المسلم الداعية أكون مبالغاً في السلمية ؟ هذه الحالة منظر من مناظر حركة الحياة ينبغي أن نلتفت لها لتكتمل صورة حركتها ، **الاستعداد الحربي وجمع أسباب القوة فعلٌ إنساني خالد لا ينقطع ، فالكل يُركّب الأسنة ، فلماذا أنا فقط أكون مسرفاً في سلميتي ؟** لست بالمتهور ولا أقول بمعركة جانبية ، ولكن قد قال الحكماء ومنهم المامون ، وقد كان حكيماً وفقيهاً ، وتربية الرشيد ، ويبقى رغم اعوجاجه وارثاً لتلك الحكمة الرشيدية .

(ليعلم الكبير منكم أنه إنما عَظُم قدره بصغار عظّموه ، وقويت قوته بضعاف أطاعوه) ، وجدت هذا في كتاب لطف التدبير للخطيب الإسكافي ، **وهذا قول عظيم أيها الإخوة وفيه خطة متكاملة ، خطة تربوية استدراكية ، متى يكون الكبير كبيراً ؟ متى يكون بوش كبيراً ؟ متى يكون صدام كبيراً ؟ : حينما يرى ضعافاً يقولون له : نعم أنت القوي ، فيصفقون له** ، ويكون ، لهذا هذه المسألة هي درس إنساني خالدٌ متكرر ، ولهذا وقياساً على ذلك : الظالم راجت سلعته عند سُذجٍ صدقوه ، على اختلاف أنواع الظلمة في البلاد العربية والإسلامية ،

نعم : **ما إن يسمع بجنود الغرب وأميركا حتى يمتلئ رعباً ويصاب بإسهال** ، أسدٌ عليَّ وفي الحروب نعامة ..

● لهذا أيها الإخوة علينا أن نفهم هذه القصص الحيوية وأن نعلم أننا نحن بانتظار قدر رباني ، والقدر الرباني مستمر ، ولكن لنفهم كيف تتحرك الحياة لنكون من صنّاع قدر الخير ، وآتي بمسالتين شرحهما الراغب الأصفهاني وأوجد أساساً جيداً لمعنى انتظار القدر وكيف يُغير القدر الشر بالقدر الخير .. علماء الإسلام والوعاظ مع الأصوليين ، **إن للراغب الأصفهاني رؤية لقانون تغير الحياة في حالة شيوع الفساد والرذائل في الناس ، وهذا الفهم يشكّل نظرية أخرى مغايرة** لكن مقاربة لما قلناه ، جوهرها أنه يرى تقسيم الحالات إلى ثلاث مراتب وفقاً لحجم ضلال الناس أجمعين ، حاكمهم ومحكومهم ، ويسمي القانون الحاكم لهذه الظاهرة " **عادة الله** " بمعنى القانون أو بمعنى القاعدة ، عادة الله في الذين ترددوا في الرذائل حتى فسدت أخلاقهم ، مثل حالتنا ، فسقة عجزة غشاشة غرضهم إشاعة كل شيء من المنكر ، هذا هو التردي عنده ، وقد تركوا تعاطي الإحسان والأفضال فيما بينهم فلا يأتونها لا خلقاً ولا تخلّقاً ، ولا رياءً ولا سمعة ، ولا رغبة ولا رهبة ، فصاروا في تعاطي الشر سواسية حتى عدمت فيهم الفضيلة ، هذا كله قول الراغب يصور أن الناس شاع فيهم الفساد والفسوق والرذائل ، يقول : هنا تنقسم الحالة إلى ثلاث مراتب نحن بحاجة إلى ان نفهمها ، يقول : **إن بقي في نفوسهم اثر لقبول الخير – يعني مع فسوقهم – ولكن هناك شيء قليل من هذا – : أنشأ الله من يهديهم باللسان والسيف الـمُحق** ، كبعثة النبي ﷺ في العرب لما بقي فيهم من اثر الخير من تعظيم الشهر الحرام والبيت الحرام ، يعني العرب كانت فيهم بقية من الأخلاق ، لذلك رحمهم الله بالسيف الحق وهو سيف النبي ﷺ يقتل الكافر ويقتل المعاند ، وجاء هذا السيف يستعمل فقط ضد المارقين ، **وهو سيف عدلٍ وليس بسيف بغي** ، هذه الحالة الأولى التي يمكن أن تكون هي الوسط فيما أراها ، التي يرتكب فيها الناس الرذائل ولكن في غير

إسراف ، أقول ويبقى فيهم الإنصات للموعظة وقبولها ، وعندئذ يكون منهج الإصلاح مستنداً إلى دين الإسلام ، والإكثار من تفهيم براهينه وطرائقه وحلاله وحرامه ، **في مهمة علمية فكرية وعظية تظل تتوسع حتى تتمكن من حيازة السيف المُحق** ، سيف العدل ، لأنه بدون سيف يبقى صاحب الضَلال ذا عنفوان ، ولكنه سيف حق ليس سيف ظلم وباطل ، فاليوم يكون منهج الإصلاح هكذا : تفهيم براهين وقرائن ، ولكن نسعى للسيف المُحق الذي أشار إليه هذا الحكيم الراغب ، طلب الحكومة السياسية التي تُتيح حمل هذا السيف ، لكن عن طريق البرلمان ، وبطريق الحرية ، بطريق الانتخابات والتصويت ، إذا عوملنا بسواء مع الآخر ، فإذا ركب الحاكم عقله وأبى إلا نفوراً : نعم نجالده بالسيف ، لكن وصولنا بالطريق المُحق ، وبالطريق الانتخابي الشوروي يجعل معنا السلطة ، وهي المشار إليها بالسيف ، فنحكم الناس بالسيف الحق ، وأخذ البقية الذين لم يرتدعوا بالرهبة والسطوة ، وهو سيف عادل رحيم لا يخرج من غمده إلا عند الضرورات ودلالات تشير إليها الموازنات المصلحية ، لكن وجوده في يد العالم المسلم يُجفل الناس عن الشر ويجعلهم يحسبون حسابه لو لمع خارج الغمد ، **وحال الأمة الإسلامية اليوم أشبه ما يكون بهذه الحالة الأولى التي وصفها الراغب الأصفهاني ، ومنهج الدعوة الإسلامية المعاصرة في أغلب البلاد مشتق من هذه التقريرات** ، فإن أبناء الأمة قد قارفوا ، لكنهم عما قريب يثوبون عن نصحهم الدعاة ولو وجدوا المساجد وكتب الفكر الإسلامي ومنابر الإعلام الإيماني ومحاضن التربية الجهادية الجدية ، **وجموع هذا المنهج الإصلاحي يُشكل نمطاً من أنماط حركة الحياة ، ومعادلته هي: "شيوع الفسق بين المسلمين مع بقية خير واستعداد للاتعاظ = انتشار دعوة إسلامية إصلاحية تصل إلى السلطة عبر عمل سياسي" ، وبهذا نستطيع أن نقرر أن وجود الدعوة المعاصرة هو وجودي قدري يريده الله بحكمته لأن بقية الخير في نفوس الناس تجعل الله يرحمهم بحاكم مسلم عالم رحيم السيف .**

أقول : إن وجودنا اليـوم كـدعوة في كـل أصـقاع الأرض في كـل بـلاد العـالم الإسلامي هو وجود قدري رغم أنف من يُعاند ، قدري لأن حال الأمـة هـي أن الضلال قد شاع والفساد الأخلاقي قد كثُر لكـن لم يـستغرق مئـة بالمئـة ، هنـاك نفوس يمكن أن تستجيب ، هناك مـسجد والنـاس يلجئـون إليـه ، هنـاك محـاكم شرعية ، هناك من المعروف الإسلامي الشيء الكثير ، لذلك لا يؤاخذ الله الأمـة بشيء أكـثر من ذلك ، إنه يريد أن يصل السيف الحق إلى الحكـم لـيردع الفـسقة الفجرة ، **لكن هناك حالة أخرى تكلم عنها الراغب الأصفهاني يقول : وإن قـل فيهم أثر قبول الخير سلّط الله عليهم سيفاً جائراً** كما قال تعالى : (وَكَذَلِكَ نُـوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانواْ يَكْسِبُونَ) عاملهم بما عامل به بنو إسرائيل حينما سلّط عليهم نبوخذ نصّر وقد ذكر في قوله تعالى : (فَإِذا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَـا بَعَثْنَـا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَـانَ وَعْـدًا مَّفْعُـولاً) ، هذه هي المرتبة الثانية ، المقارفة تكون فيها أكثـف وأشـنع – أي مقارفـة الـشر – ولكن هناك بصيص من نور ، كما سألت واحداً في الصين وهو مسلم ، قلت له: ما علامة إسلامك ؟ قال : أنا لا آكل لحم الخنزير ، يعني عنده روابط تربطـه مـع الإسلام في أنه يفهم أنه لا يأكل لحم الخنزير ، فالله يعاملهم ، لأن هناك بصيص ، وليس استغراقاً مئة بالمئة ، لكن أقل من الحالـة الأولى فيعاملـهم بـسيف جـائر ، وهو الذي حصل من صدام ، صدام لو أردنا وصفه هـو سـيف مـن سـيوف الله العقابية عاقب به أهل العراق بعقوبة أمدها ٣٥ سنة علّهم يتوبون ، ولهـذا اليـوم نحن نطالبهم من خلال فقه القصة أنْ قد اتـضحت لكم أيهـا الـشعب العراقـي القضية فتوبوا إلى الله ، لا تنفروا إلى مقاومة الاحتلال من نظـراتٍ علمانيـة ، بـل انطلقوا من نظرة إسلامية ، وضعوا أيـاديكم في أيـادي دعـاة الإسـلام ، وصـور أخرى من الظلم غير السيف قد حصلت : أحياناً النقود أو الثروة التي عند الناس يلفّون بها التبغ ويشربونها سكائر لأنها لا قيمة لها ، مثـل الـدينار العراقـي قبـل صدام وفي أوائل عهد صدام ، كان الدينار العراقي ثلاث دولارات ونصف ، ثـم

آخر شيء قبل حصول المعركة كان الدولار بألفي دينار واستمر على ذلك منذ سنوات ، هذه اندونيسيا لما ضلّت أرسل الله لها " سوروس " فاشترى النقود بأجل بثمنٍ مغر لكل من يُبدل بالدولار ، فانهارت البورصات وانهارت النقود وخرج هو الرابح بعد ذلك لمّا حان الأجل ، وصارت أيضاً في ماليزيا هبطت إلى النصف ، في اندونيسيا صرّفت الدولار الواحد بألفين ومئتين في سنة ١٩٩٧ ولـمّا حصلت مسألة سوروس أصبح الدولار الواحد أحد عشر ألفاً واثني عشر ألفاً ، وقس على ذلك من أمور أخرى تجعل ذَهَبَ الناس تُراباً ، أليست هذه عقوبة ؟؟ ليس عقاب الله للمسيء إلا بأن يُقتل ، بل وارتفاع البركة من أموال الناس عقاب أيضاً .

● **يقول الراغب الأصفهاني : المرتبة الأخيرة : ينعدم منهم اثر القبول بتاتاً ، ليس هناك حتى من يتعفف عن لحم الخنزير** فيعاقبهم الله بالطوفان والجراد والقُمّل والضفادع ، وأقول : اليوم الأمم الأخرى عقابها – والله أعلم – القنبلة الذرية .. يعني أليست هذه مما تفني البشر ؟ لكن الحمد لله لا زالت الأمة في خير وسعة أن الطغيان والفجور فيها لم يستوعب الجميع ، لذلك موجود فيها أهل مساجد ، موجود فيها أهل فضل ، موجود فيها بيوتات شرف ، لكن هناك فساد منتشر ، فاقرب التصورات أن يكون هناك عمل دعوي يُصلح الناس ويعيدهم إلى ما كان عليه السلف الصالح ، **هذه الأنماط التحليلية التربوية يُرجى أن تؤسِس تأصيلاً لمعنى وجود الدعوة وكيفية الاستدراك لحل مشكلة العراق الحالية .**

● **هناك شيء آخر يُكمّل موازين أخرى ، التأثير في العامة من الناس للإصلاح** ، يأتي الراغب الأصفهاني فيه بقولٍ جيد ، يقول : هذا الأمر لا يقوم به الحكماء والأصوليون وأصحاب الفكر الإسلامي المتقدم ، لأن هؤلاء فيهم نوع من الارتقاء عن مستوى العامة ، فالعامة لا يفهمونهم ، وجودهم ضروري لكنهم لا يستطيعون تفهيم طبقة أخرى أقل منهم كفاءة في المستوى العقلي ،

وليس هذا شتيمة ، لكن الله قسّم الأرزاق وقسّم الأخلاق **وقسّم العقول أيضاً** والذكاء ، **فيلزم وجود طائفة أخرى من العلماء ، ولكن لم تبلغ مستوى التأصيل ، لم تبلغ مبلغ التحليل ، إنما يقومون بدور الوعظ في الناس ويقومون بإشاعة هذه المعاني ممزوجة بالعاطفة** ، وعلى طريقة ما يقوله أهل المنطق : أنت أعلم مني وأنا أفصح منك ، فهنا أيضاً هؤلاء الأصوليون أعلم منهم ، ولكنهم أفصح من الفقهاء أصحاب الأصول وأليق لإبلاغها إلى الناس .

يقول : هؤلاء علينا أن نتنبه لهم ، أن يكونوا مادة إصلاح الناس ، المثل في ذلك مثل الوزير والملك ، الملك بمقامه الراقي ونظره الشمولي لا يفهم إلا ما يتحدث به وزراؤه الذين هم من أفاضل الناس ونبلاء المفكرين ، لكن الوزير لابد أن تكون فيه خصلتان : خصلة من العقلية التحليلية الشمولية النقدية التأصيلية التي يفهم فيها كيف يُخاطب الملك ، والخصلة الأخرى أن يفهم كيف يُخاطب عامّة الناس الذين هُم عامة ورعاء ، وعزيمتهم أقل ومفاهيمهم وإدراكهم أقل ، ولابد أن تكون فيه هذه الخصلة الثانية ، **وهؤلاء هم الوعّاظ** ، لذلك يقول : الإصلاح ينبغي أن يكون في الطرفين **والعملية التنفيذية يجب أن تكون على الوعّاظ** .

لهذا أيها الإخوة نحن أردنا بمثل هذا التأصيل الآن أن نقدم الأساس التأصيلي الفلسفي لمحاربة الاستعمار الأميركي ، وقد وضعنا سابقاً الوصف الأصولي لمعركتنا ، ثُم على الوعّاظ أن يقوموا بدور تجييش الناس ، بدور إثارة هؤلاء الناس ضد المارينز وضد أمثالهم ، وهذه مهمة كل داعية مسلم في أنحاء الأرض ، والواعظ ليس هو كل من لبس عمامة فقط ، وإنما كل داعية قد حمل شيئاً من علم الدعوة وأصبح مؤهلاً لأن يكون جندياً في هذه المعركة يؤجّج مشاعر الناس وينمّي العاطفة ، لتكون كلمة الله هي العليا .

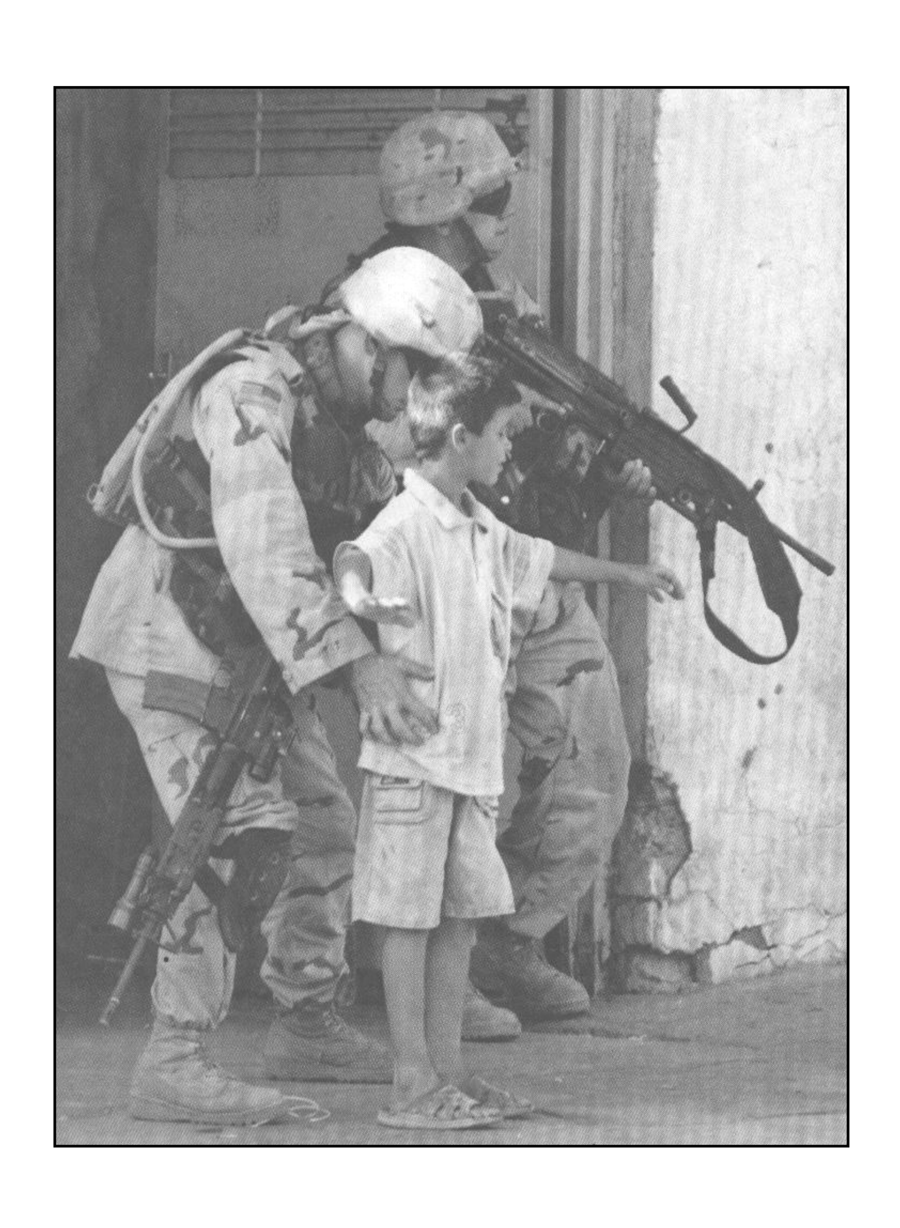
وبهذه الرؤية الإبداعية للراغب الأصفهاني يتضح لنا سبب عزوف كثير من المخلصين الأمناء عن الفكر المتقدم والرؤى الإستراتيجية والمذاهب التخطيطية

التي أُودعت في كتب ورسائل " إحياء فقه الدعوة " ، وميلهم إلى ما دون ذلك من الكلام العاطفي .

وتلك ظاهرة يجب أن نراعي مفادها ..

وبموازاة الكلام العالي التأصيلي ينبغي أن تكون أساليب وخطوط من الشرح الواقعي الممتزج بالعواطف ...

وكلٌ مُيسرٌ لما خُلق له ❑❑❑



جندي أميركي يفتش طفلاً عراقياً

□□ **هذا الفصل يتكفل بإيراد المنطق الناصر لقرار مجاهدة الاحتلال الأميركي** ، واستعراض حجج الجَدَل بالتي هي أحسن ، مما يطغى على جلسات حوار قادة المجاهدين الذين يلوذون بكلام الفقهاء وفهم المعتصمين بعقيدة التوحيد الإيمانية الإسلامية ، **والتزمنا أن يكون تكميلاً للأفكار المتداولة الأخرى ، أو تأصيلاً لها وتقعيداً** ، ولذلك فرضت منهجية البحث أن يكون على طريقة الإيجاز والاختصار والإشارة والإحالة على المباحث الشرعية المشهورة ، وتجنّبنا الإطالة والإطناب ، وكان أكثر الاعتماد في إيراد المعاني الموضوعية على كتابي " **أصول الإفتاء والاجتهاد التطبيقي في نظريات فقه الدعوة الإسلامية** " وبالصياغة اللغوية والأُسلوبية الواردة فيه ، مع مقارنات بالواقع والحقائق الميدانية ، فجاءت النتيجة كبيرة المعنى ، وبها اتضحت صورة المحاكمات العقلية للتوجهات الجهادية العراقية ، وبها حصل سريان سكينة أبردت قلوب الدعاة المهتمين بالقضية العراقية ، أنهم على صواب وفي عمل صالح ، بحمد الله .

□ مُقدمة .. ووصف للأحوال

● دعا الفقيه الكبير إمام الحَرَمين الجويني إلى (**طرح القضايا السياسية بالموجَبات الشرعية**) ، وقضية الجهاد أليق بهذا الوصف وأجدر أن نفتش لها عن سندها الشرعي .

● **لكنّ الموقف السياسي للمسلم لا يُحدده دوماً نص شرعي** من النصوص الواضحة التي لا خلاف فيها ، **بل يعتمد في كثير من الأحيان على موازنات بين المصالح والمفاسد** ، ونحرص على ما هو أصلح ، ودرء المفسدة مُقدمٌ على جلب المصلحة ، وفي كثير من الأحيان يكون النص الشرعي من الوضوح بمكان ، وتعليله المصلحي ظاهر جداً أيضاً .

● بهذا النظر المصلحي مال جمهور الدعاة إلى رفض وجهاد ، أو عفاف ، **ورأى البعض الانتظار** ، وتحصيل الحقوق من المحتل بطريق سلمي إن أمكن ، لقوة المحتل وشدة بأسه ، **وهذا اجتهاد منهم خاطئ ، لا خيانة** .

● **واستدل من يرى الطريق السلمي بفتوى ابن تيمية في قبول منصب القضاء من محتل كافر** ، ولا أدريها ، ولكني أدري أن العزّ بن عبد السلام في كتاب القواعد ١ / ٧٣ قال بذلك ، ولفظه (فولوا القضاء لمن يقوم بمصالح المسلمين العامة) ... **لكني أرى أن الاستشهاد بذلك يصح بثلاثة شروط** :

(١) أن يحكم بظاهر الشرع ، ولا ينقض قراره أحد .

(٢) أن يكون ذلك في نطاق الأمور الضرورية التي لابد منها لاستمرار حياة الناس ، والخدمات .

(٣) أن من المواقف السياسية ما لا يُمكن قياسه على القضاء ، لما فيها من تعزيز سلطة المحتل ، فيرد عليها الاستثناء والمنع ، ولو قاطعها جميع أهل البلد لأصاب المحتل حرج ويجعله يُفكر في الجلاء .

● كذلك لا يُمكن الاستشهاد بالفتوى المشهورة لابن تيمية في أن يكون العفيف عاملاً ووزيراً لسلطان ظالم ، حيث أجازه من أجل تخفيف الظلم ، **ولكن قبول المنصب السياسي من كافر مُحتل فيه مُغايرة لقبوله من مسلم ظالم ، ولا يكون ذلك إلا عند الضرورة القصوى ، لعصمة دماء إسلامية كثيرة مثلاً ، ومنع فتنة في الدين والعقيدة ، والتصدي لخطة تذويب اجتماعي وإضعاف منهك** ، واستلال أسطر لابن تيمية دون النظر إلى مجلدات كتبها تشرح شروط إفتائه : هو نوعٌ من تملص ، أو دون النظر لروح الشريعة التي دندن حولها ابن تيمية : افتيات ، **والمقاصد التي ذكرها الفقهاء هي في عمومها** : عزة ، والمقايسة لابد فيها من الالتفات إلى الخصوصيات المشيرة إلى الفوارق ، ثم الفروق إنما تنشأ من رُتَب العِلَل ، وكل قاعدة حين تكون في ساحة التطبيق فإنها تتعرض لمزاحمة ومصادمة من قواعد أخرى .

● **وحُجة بعض أهل السلم بتجويز الفرار من عدو هو أكثر من ضِعف : ليست على ظاهرها** ، فذلك هو لإسقاط الإثم الشرعي ، وإلا فالأفضل : الثبات ، **أما عند الدفاع فالثبات واجب** ، وإلا كان الأمر الشرعي بالفرار من كل جيش هو أكثر من ضعف جيش المسلمين ، وليس كذلك فهم الفقهاء ، وذلك مدخل للذل .

أين إذاً ميزان " إن الله يُدافع عن الذين آمنوا " الذي يُتيح للفقيه إن رأى ملامح العزيمة في الدعاة والناس أن يُفتي بالثبات أمام ثلاثة وأربعة ؟ إنَّ ذكر الاثنين ليس إلا لرفع الحرج عن الفرد العادي ، وما زاد فعزائم سائغة ، والقائد السلجوقي ألب أرسلان هجم بجيش نسبته واحد إلى خمسين في معركة " ملاذ كَرْد " وانتصر .

● وإجماع المسلمين على أن قتال الغازي فرض ، فكيف يتبدل المنطق ؟ ذلك ربما من قول الإمام أحمد بن حنبل : " تركوا العِلم ، واقبلوا على الغرائب " .

● **فإن قيل : نحن ضعاف : فالتجربة تقول بعكس ذلك وأنه قد حصل إثخان فيهم بعد بدء الجهاد ، وهذا يوجب أن يرجع السلمي عن رأيه بعد أن خدعه الظن الأول ، فقد كان الأمر جائزاً له في الأول ، وكان مُجتهداً ، فلما تبين له أن الإثخان قد حصل ، فذلك يعني أنه كان على خطأ ، ويلزمه أن يُصحح موقفه ويوقن بإمكان الجهاد** .

● وكل الأمم التي ثارت على الاستعمار دفعت ضرائب الدم ، في الجزائر وغيرها ، فلماذا لا يدفع أهل العراق مثلهم ؟

□ مُناقشات أولية

● التعامل مع كافر فرد جائز ، حتى رهن النبي ﷺ دِرعَه عند يهودي ، لكنّ التعامل مع جماعة الكفار ودول الكفر فيها فرق وتفصيل ، حتى لو لم تكن معتدية ، **لأن الانتفاع المالي قد يوظف لمحاربة المسلمين** ، وفي ذلك فتوى الفقيه " الصائغ " في كراهة المتاجرة مع صقلية في الزمن القديم ، وعلّل ذلك بأنهم

يحوزون أموالنا وتغلو الأسعار في بلادنا ، فكيف وهذه الدول اليوم تستعمرنا ؟ **لذلك يلزم التفريق بين الدول التي يُشكل التعامل معها خطراً علينا ، والأخرى التي لا خطر منها ، أو المحايدة .**

● وليس احتلال أميركا للعراق أول ظلمها له وللمسلمين ، بل كان منها الحصار الطويل ، والانحياز لإسرائيل ، فهي عدو مفضوح لا حاجة لتجربته .

● وتعاون العراقي مع أميركا فيه خذل لقضيتي فلسطين وأفغانستان ، وهما جناحان للجسد العراقي يطير بهما ، لكنّ أميركا قصّت ريش الجناحين .

● **ومعاداة اليهود بإطلاق : مقصد شرعي ، دليله : ذمهم الذي امتلأت سور القرآن به ، والمحتل يحالفهم ، فمعاداته مقصد أيضاً ، قياساً .**

● والبعض يقول : لنترك فرصة لأصحاب المدرسة الواقعية الداعية للسلم أن يجربوا نظريتهم ، وذلك خطأ ، لأن السمعة الإسلامية ستتلطخ بذلك ، والدلائل كلها تشير إلى فشل التجربة .

● بل ننتقد " التوجه " لا مجرد " الموقف " ، **لأن القصة لم تبدأ بالاحتلال ، بل بمؤتمر المعارضة في لندن** ، ومن هناك بدأ التوجه ، وذهب وفد معارض لواشنطن .

● وقد ينهار رجال التعاون أو بعضهم ، لوجود العِرق الدنيوي في النفوس ، والتعايش الطبيعي ينحت من العفاف الإيماني بالتدرج حتى يتأول الطامع لنفسه تأولاً ويتحول قلبه إلى قبول الكافر وتسويغ التعامل معه .

● ومن أهم حجج أهل الجهاد : أن الضرر الكبير لو وقع على أهل العراق جرّاء القتال فإن ذلك لا يُقاس بما يقابله من الفائدة المحلية التي سيجنيها العراق ، بل كل الأمة ستنتفع ، **وجهاد العراق سيمنع أميركا من المضي في خطة استعمار بلاد أخرى ، لذلك يدفع العراق ثمن نجاة الأُمة لا ثمن نجاة العراق فقط ، وذلك سائغٌ شرعاً وأخلاقاً وعُرفاً ، بل منقبة للعراق أن يفدي نفسه لتنجو الأمة .**

● وعن العباس ﷺ (أن رسول الله ﷺ قد مات ، ولم يمت حتى حارب وسالم) .. فهل يجد من يرضى الموقف السلمي مع أميركا سِلمَه في مسالمات النبي ﷺ ؟

● ومن موازين الشرع : ميزان الأخذ بالأحسن ، لقوله ﷻ : " فخذها بقوة وأمر قومَك يأخذوا بأحسنها " الأعراف:١٤٥ ، وعزة الجهاد تلتحق بهذا الأحسن ، **وتحصيل الحق بالطرق السلمية أبعد صورة لا أنه جائز فقط لا محاسن فيه** .

● وهناك منزلة وسطى تتمثل بالمعارضة السلمية للاحتلال ، بحيث يتواصل الضغط ، فمن عجز عن الجهاد فعلى الأقل أمامه أن يشتد في معارضته السلمية ، **أما الطرق السلمية التي تتوسل بالرجاء فقط فهي نقيض متطرف يُعاكس الجهاد** ، والإمام حسن البنا صريح في دعوته للجهاد وممارسته ، وأجزاء أخرى من الدعوة الإسلامية سلفية وصوفية لها تاريخ جهادي أيضاً ، والأُسلوب السياسي طارئ لا تاريخ له بين الدعاة .

● **والدعوة قديمة ، ومنحها الله كياناً معنوياً وتأثيراً عاطفياً ، وأحرى بالدعاة أن يثقوا بأنفسهم** وأن يوظفوا هذه الحقائق التي يملكونها ، **والأداء المنهجي يضاعف النتائج ، ونحن أساتذته ، ثم البركة الربانية تجعل الضعيف قوياً والقليل كثيراً** ، ومن الإبداع تطوير القدرة الجهادية بما يناسب تطويرات العدو لأمره .

● ومن الموازين القرآنية : **استقبال تقلبات الصراع بالسكينة الإيمانية وهدوء القلب** ، والتيقن من أن الله ﷻ ينصر المؤمنين " ولا تحزن عليهم ولا تكُ في ضَيقٍ مما يمكرون " .

● ومن قواعد الشريعة : **أن المقدور عليه لا يسقط بسقوط المعجوز عنه** ، ولذلك لا يمكن إطلاق القول بنفي الجهاد ، بل على الأقل يتجزأ الحكم فيه ، فما كان مقدوراً عليه من شخص قادر يبقى على الأصل ، والعجز استثناء .

● العمل بالعام أصل ، وهو ما تشهد له ظواهر النصوص ، وأما النص المخصِّص المعارض فيوجب التخصيص كحكم طارئ عند ثبوت النص ، وأصول الجهاد العامة تبقى لذلك على عمومها ، والتشخيص السلمي استثناء عند وجود موجباته .

● وقاعدة الشرع أنه إذا تعذر التام : فالتسديد والمقاربة ، لا الإلغاء .

● وقاعدة أخرى تقول بأنه لا تعارض بين الجواز والأولوية ، فالطريق السلمي أقصى أحواله أنه جائز ، لكن الطريق الجهادي أولى منه ، والعفاف أولى .

● وكانت في ساحة العراق مهادنة للظالم ، تولد منها انكفاء وسيرة داجنة ، فإذا قابلنا المستعمر بالطريق السلمي : زاد الانكفاء وحصلت غفوة ، لكن **الجهاد يقظة** .

● وميزان " وكذلك نُفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين " يوجب البُعد عن المُجرم ليتميز وينفضح ، **والجيش الأميركي مجرم** ، والسياسي الأميركي مُجرم ، فنتنزه عن القرب منهما .

● فقه الدعوة يعرف سياسات التأني والريث وانتظار الظرف المواتي ، وكل **ذلك يجعلنا لا نقتحم المهالك إذا عزمنا على الجهاد** ، وهذا هو العلاج **إذا كان فينا نوع ضعف ، أن نؤجل المعركة لنستعد** ، وما من داعٍ للاستعجال في سلوك الطريق السلمي واليأس من إمكان الجهاد .

● يذهب ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٨/ ١٨٤ إلى أنه يجب على الأعيان ما لا يجب على العوام ، وكل داعية عين وعالم معاً ، لذلك **تليق العزائم للقدوات ، لا الرُخَص ، والجهاد عزيمة ، والضعيف نعذره** ، وتخلّفه بعذر لا يُلغي وجوب اقتحام القوي .

● وحصل خلط بين ما يسع الفرد ولا يسع الجماعات ، فليس كل جائز لفرد يجوز للجماعات الدعوية ، **والجماعات تأخذ بالعزائم** .

● وقول عمر ﷺ " **مقاطع الحقوق عند الـشروط** " ، فلـو أقررنـا بجـواز طريـق تحصيل الاستقلال بطرق سلمية ، فهل وضـع أصـحـاب هـذا الطريـق شـروطاً وافية ؟

● معظم القادة وأهل الفكـر الإسـلامي في الأُمـة يـذهبون مـذهب الجهـاد ، ولذلك وَجَبَ التنسيق مع مواقفهم ، وعند الإمـام الـرازي **أن الفتـوى تـترجح بكثرة المفتين ، وأكثر علماء الأمة أفتوا بالجهاد ، فصار أرجح من فتـوى العمـل السلمي** .

● ولا نريد أن نـنفي فوائد في الطريق السلمي ، لذلك نوكـل ذلـك إلى زمـرة من المؤمنين ، تعضد بعملها السلمي زمـرة المجاهـدين ، **بـل وجـود الجهـاد يمـنح السلميين موقفاً قوياً ولساناً صريحاً ، وكل زمرة تظاهر الأخرى** ، فلماذا الاقتصار على عمل سلمي فقط ؟

● ومظهر الإسلام العام أصابه ضعف خلال ثلاثين سنة من الحكـم البعثـي ، وقبله حكم علماني آخر ، والعمل السلمي يكـون فيـه تمـيـع اجتمـاعي وزيـادة غبش في الصورة ، بينما **الجهاد يعيد إلى الحياة العامة معاني الإيمـان والإسـلام ، ويجعل المظهر الإسلامي أوضح في صفوف الشعب كله** .

● ثم إن العملية الدعوية الإسلامية الشاملة تحكمها سلسلة منهجيات متكاملة في التربية والتنظيم والإصـلاح الاجتمـاعي تعتمـد النزعـة الإيجابيـة والأخـلاق العالية والتميّز عـن صـفوف أهـل الـسوء ، والمفـروض أن تـتـجانس المنهجيـة السياسية لنا وتتناسق مع تلك النزعات ، ومورد ذلك الجهاد .

● والتفوق السياسي الذي يحـرص عليـه المخلـصون يحتـاج إلى تفـوق نفـسي يستند إليه ، وإلى اعتداد وطريقة في الحزم ، وذلك إنما توفره التطلعات الجهادية ، **أما مناورات الطرائق السلمية مع العدو ، فربما تؤسس مـع مـرور الأيـام تبعيـة نفسية في اللا شعور** .

● بل دعوتنا إلى التوحيد أصلاً تجعلنا في صراط المفارقة لأميركا ، فلكل سلوك جذر ومنبع ، والتغاير مؤكد ، ولنا مشروع حضاري متناسق يُفاصل المشروع الغربي والأميركي بخاصة ، والطرائق السلمية تجاه عدو بالغ في ظلمنا ربما تتطور إلى أخلاق غريبة على الحسّ الموروث من أخبار النبوات الأولى التي روى لنا القران الكريم قصصها ، فضلاً عن الحسّ الجهادي الزاخر في سيرة خاتم النبيين محمد ﷺ .

● والطرائق السلمية في تحصيل الحقوق تحتاج إلى أحزاب علنية تمثلها ، هي غير التنظيمات الدعوية والجهادية القائمة التي يفرض عليها الظرف أن تبقى سرّية ، **وهناك خشية من أن تتباعد مفاهيم المجموعتين ، وذلك يوجب اتحاد المصدر القيادي لهما** ، ومعنى ذلك **أن العمل السياسي السلمي** حتى لو كان صحيحاً يجب أن يكون **موازياً للعمل الجهادي** ويخدمه ويلبي طلباته ، ولا ينبغي أن ينفرد أو يستقل ، خوفاً من التساهل ، ولكن بمقابل ذلك يجب أن ينضبط الجهاد بالمعايير الجدية ووصايا الساسة ، **ولا يكون في ممارساته تهور أو عدوان على الناس أو احتكار للحقوق أو شعور فوقية ووصاية على القضية العراقية** من فصيل من الفصائل دون البقية .

● وأنا أزعم أن القرار لن يكون جيداً وحاسماً ما لم يلبث فترة إنضاج بين ظَهْرانَي الأقاويل الفقهية المختلفة التي تتقاذفه بينها لوقت مستفيض وفي تراخٍ طويل ، ويُفترض في مثل هذه الحالة أن يكون إجراء المتفق عليه أولاً ، وهو التعفف والبقاء بعيداً عن الجهاد والطريقة السياسية معاً ، حتى إذا استبان القرار والمنطق اتبعنا موجبه ، **لأن " المفاصلة " فهمٌ دعوي جماعي عتيق توالت الأجيال على اعتقاده** ، وطريق المداراة السياسية استثناء يطرأ .

● مع العلم أن **الطريق السياسي يزاحمنا فيه في العراق جهد شيعي مثيل ، وجهد كردي** ، وهما لا يضعان حداً ولا شرطاً ، ويذهبان إلى حد في التعاون مع أميركا جدّ بعيد ، فيصيبنا من ذلك حرج ، فإما أن نجاري تنازلاتهما ، وإما إذا

تشددنا أن تـتعامل الإدارة الأميركية معهما فقط ، **بينما الجهـاد تـصرفٌ ضـاغط نـنفرد به ويحفظ لنا استقلال مطالبنا** .

● والإمام الغزالي يدعو إلى " **الإذعان لذوق الفقه** " إن خفي الصواب ، وهـذا الذوق الفقهي لا تضبطه دلالة واضحة ، بل تدل عليه فراسة ، والذوق الإيمـاني العام يأبى إطالة التعامل مع وجوه كافرة ، والطرائق السياسية تتطلب وقتاً طويلاً للحصول على نتيجة ، وثمرة الجهاد تبدو أعجـل وفي وقـت قـصير ، وفي الخـبر الصحيح عند البُخاري أن " جُريج " العابد أطال الصلاة إذ كانت أُمّه تناديـه تريـد منه بعض الخدمة ، فغضبت عليه ولم يشفع لـه عـذر الانـشغال بعبـادة ، ودعـت عليه أن لا يميته الله حتى يعاقبه برؤية وجـوه المومـسات ، فاتهمته امـرأة أنـه زنـا بها ، وكذبها ولدُها من الزنا ونطق بأن الراعـي هـو الزانـي لا جُريجـاً ، **ووجـوه المارينز** الذين يتعامل معهم صاحب الطريق السياسي **إنما هـي وجـوه المومـسات الكالحة ، ورؤيتها عقوبة ، والمجاهد يُصبح ويمسي في وجوه المجاهدين المنيرة الـتي تومض بأضواء العزائم ونوايا الخير ولمعات العِزّة ، فلنفسه يظلم مَن يطيل دربـه بالطرائق السياسية ولا يوجزها ويختصرها بالجهاد** .

▫ معادن الرجال ... ومَناجم الهِمَم

● **في كل بلد مُعادلة أمنية سياسية اجتماعيـة صـعبة** ، تقتـضي وجـود فتـوى خاصة ، وهي في العراق أشد تعقيداً ، **لذلك لا تـُستورد إليه الفتـاوى** مـن بـلاد أخرى ، ولا مجال للقياس على بلد آخر مـال إلى الطرائـق الـسلمية ، لاخـتلاف الحيثيات .

● ويقودنا في ذلك قول علي رضي الله عنه (**كل قوم على بيّنة من أمرهم ومصلحة من أنفسهم يُزرون على مَن سـواهم**) ، أي يعيبـونهم ويعتبـون علـيهم ويلزمـونهم الحُجة ، أي كل قوم هُم أدق تقديراً لأمورهم واعـرف بمـصالحهم ، **والعراقيـون أخبر بما يصلح للعراق** .

● **ولمن يروم الجهاد رجحان على من يختار الطريق السياسي** ، وذلك من قوله تعالى : " والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبلنا " ، وقال أحمد بن حنبل وعبد الله بن المبارك : إذا اختلف الناس فانظروا ماذا عليه أهل الثغر ، أي ثغور الجهاد .

● **والعراق بلد قيادي** بين أقطار الأمة ، مثل مصر ، والأقطار تقتدي به ، **وإحياء سُنة الجهاد في العراق : إحياء لها في كل الأقطار** ، والطريق السياسي في العراق يفتح باب اللين والنعومة في بقية الأقطار .

● **وللعراق تكامل مكاني عالمي الأبعاد** ، والدعوة العالمية حقيقة واقعة ، والإسناد بمفرده ، **لذلك لا توزن القوة العراقية والأميركية فقط ، بل القوة الإسلامية العالمية والقوة الأميركية** ، فتكون المصاعب عندئذ أقل والقياس أصدق .

● ومن الموازين الإيمانية أننا " **شهداء على الناس** " ، والشهادة قضاء وحُكم وفصل ووزن وتقويم ، وكل ذلك يتطلب " فوقية " على أُمم الأرض يوفرها الجهاد ، وعفافاً ، وهيبة يمنحها شهداء القتال للشاهدين على العقائد والأفكار وأخلاق الأمم .

● رجال الجهاد قليل ، لوجود التضحية ، ورجال الطريق السياسي كثرة ، لوفرة الأمن ، فيكون منهم حلف ضد المجاهدين ، فيه متردية ونطيحة وما أكل السبع ، لذلك **نعيب عملاً سياسياً مستقلاً عن الجهاد ، ونأذن بعمل سياسي تديره زمرة الجهاد نفسها** .

● وفي الصف السياسي أشرار وخونة ، وقد قال الحسن البصري (انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرقاب) ، **والمفروض إذا مارسنا السياسة أن لا نتحالف مع هذه العناصر السيئة وإن زعمت السعي لاستقلال العراق** ، ويلزم المسلم السياسي وعي في ذلك قد لا يراه غير المجاهد ، **وفيمن يعرض التحالف من لا يسجد لله ، والاستقلال عنه أصوب** ، فإن اضطررنا للتعامل معه ففي أضيق الحدود .

● وقال ابو علي الجُبّائي في النبيذ (تناولته الدعارة ، فسمج في المروءة) ، والطرائق السياسية في مقاومة الاستعمار حلال شرعاً ، لكن تناولها أهل الدعارة والمصالح الشخصية ، فسمجت في المروءة ، **والجهاد أليق للشرفاء** .

▫ نرفض تُهمة التهور

● نحن ندعو إلى جهاد لا تقوده العناصر السائبة العارية عن الخبرة ، بل تقوده العناصر الدعوية ، وشيوع المعاني التخطيطية في الأوساط الدعوية يؤسس حساسية ضد التهور ، واللمسة الدعوية تغيّر شخصية المنتمي الجديد جذرياً ، ويأخذ يحرص على التعلق بالرمزيات والمثاليات والقِيم الرفيعة ، ويترك الفوضوية ، وقصص الفوضويين في الساحة لا تضرنا ، لأنها عناصر ساذجة ، بل **تأخر العناصر الواعية هو الذي أتاح وجود فراغ تسرّب منه المتهورون إلى الميدان الجهادي** .

● وميزان " نصر المسلم " يُخوّل المجاهدين توجيه نداء لطب الإعانة ، الأقرب فالأقرب : " وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر " .

▫ قواعد شرعية وظواهر في الحياة مساندة

● **قاعدة الاحتياط تجعلنا نميل إلى الخروج من الشك والشبهة إلى يقين هو الجهاد** ، والعلم الشرعي يقين ، وأصول الفقه يقين ، والرأي شك ، والفلتات شك .

● الدخول على الظلمة اشترط له الغزالي ألا يلتفت إلى تجملهم بالدنيويات فيزدري نعمة الله عليه ، وأن لا يسكت عن منكر مداهناً ، وأن لا يتكلف مرضاتهم فذلك البهت ، وأن لا ينال دنياهم فيتلوث بها ، فإنها سُحت .

● والنهي عن اللبث في بيئة الظَلَمة أصل ، لقوله تعالى " فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض " ، ومعناها : أولو فضل ، فمرتبة الفضل توجب النهي عن الفساد ، **وحركة الحياة التي تُوجه تعاقب القرون : كامنة في تفرّد هذه الثُلة المؤمنة فيما هي من إنكار السوء ، فيأتيها التمكين من الله تعالى** .

● ومنابر النُهاة ترسم مسار الحياة ، والحصيرة عرش الداعية ، وما طَرَبَ قلب مؤمن مثل طربه لأزيز الرصاص ، وأنغام القاذفات .

● وفي القرآن أن فرعون تحدّث عن انتظام الحياة في المدينة ، وأنها مكسب ثمين ، فقال : " إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتُخرجوا منها أهلها " .. وخروج الأهل تخريب ، وعَرَفَ فرعون ذلك لأنه حاكم ، **فبداية الحضارة أن تكون عبر عمارة المدينة ، وأميركا اليوم تستعين بإيران لتخريب بغداد والعراق ، ولتهجير العراقي والبغدادي الأصيل** ، والإتيان بإيراني غريب وقروي ساذج بديل ، **لذلك تكون طلقة المجاهد حضارية الأداء** .

▫ فكرنا ومفهومنا للدولة

● خطابنا السياسي يجب أن يكون ملتزماً المنطق الديني الشرعي ، وبه نفترق عن العلماني .

● الدولة ليست هي دولة خدمات كما يريدها السفير الأميركي ، بل الدولة في الفكر السياسي الإسلامي لها واجبات ثلاثة : الدعوة إلى الله ، والإصلاح ، ورفع راية الجهاد .

● **البعض يفسر السياسة بأنها " فن الممكن "** ويترنم بذلك ويردد ما يقرأ في الكتب الغربية ، **ولكن السياسة عندنا هي رعاية مصالح الناس ، وأول ذلك : مصلحتهم النفسية وأن يمشوا برأس مرفوع لا منكوس** .

● وأغاني سيد قطب في المفاصلة : إنما أنشأها لمثل يوم العراق !!

▫ استعلاء

● خصال المروءة كلها مبدؤها شعور العزة والشمم ، **ونخشى أن يحصل فتق تربوي عبر الطرائق السلمية المجردة** ، وميل إلى المرجوحات ، مع تخدير النفس اللوامة .

● وروح التحدي تتيح التأجيج الحماسي .

● وفعل من حكيم أنفع لألف رجل من موعظة ألف رجل لرجل .

● أشواق الأحرار ، وقبائح الظلم ، وأوتار العاطفة : أمضى سلاح ، **والناس يحبون أن يقودهم مجاهد في درب المعالي** .

● وأدب الحرية العالمي يستفزنا لموقف صلب ، بل يؤنبنا .

● **وقد يرى الأمير** أن الرجّالة قد أبطأوا السير ، فيأمر بالركوب وامتطاء صهوات الخيل ، فنتابعه صُعُدا .. وقد يرى **أن يسقي ريحانة الحرية بدم ، فنسقي معه ، لتزهو زهرتها** ، فنستنشِق عبيرَها بعد دهور أثخن فينا الشنق .

● الالتقاء مع الرأي العام : أصل في التخطيط وفن القيادة ، ما لم يمنع مانع شرعي ، والسواد الأعظم من الناس وجمهور المصلين يريد المواقف العزيزة ، **وعلينا أن نتجانس مع أماني جيل الصحوة الإيمانية العالمية** ، وعددهم كبير جداً ، وذلك يغرينا **أن نعلن موقف مفاصلة مع أميركا نقود به جيل الشباب فكرياً وعقيدياً** لئلا تقع مثل مصائب مصر والجزائر .

● ويقول الغزالي في الإحياء ٢/ ٣١٣ أن جيوش الإسلام ما زال فيها شارب الخمر وظالم أموال الأيتام ، ولم يُمنعوا من الجهاد ، وكذلك اليوم **بالغوغاء يكتمل الأداء الجهادي** ، ونمنحهم مجال المشاركة والتوبة والشهادة ، **لكن المناصب القيادية في الجهاد حكر للأتقياء أصحاب الكفاية** .

● نجونا من حصار الحاكم الظالم ، وننجو بحول الله من حصار المستعمر ، لكن **نخشى أن توقعنا الطرائق السلمية في حصار اجتماعي شعبي** .

● ويمكن أن ندخل حلف فضول جديد يضمنا مع ناشطي حقوق الإنسان ومقاومي العولمة .

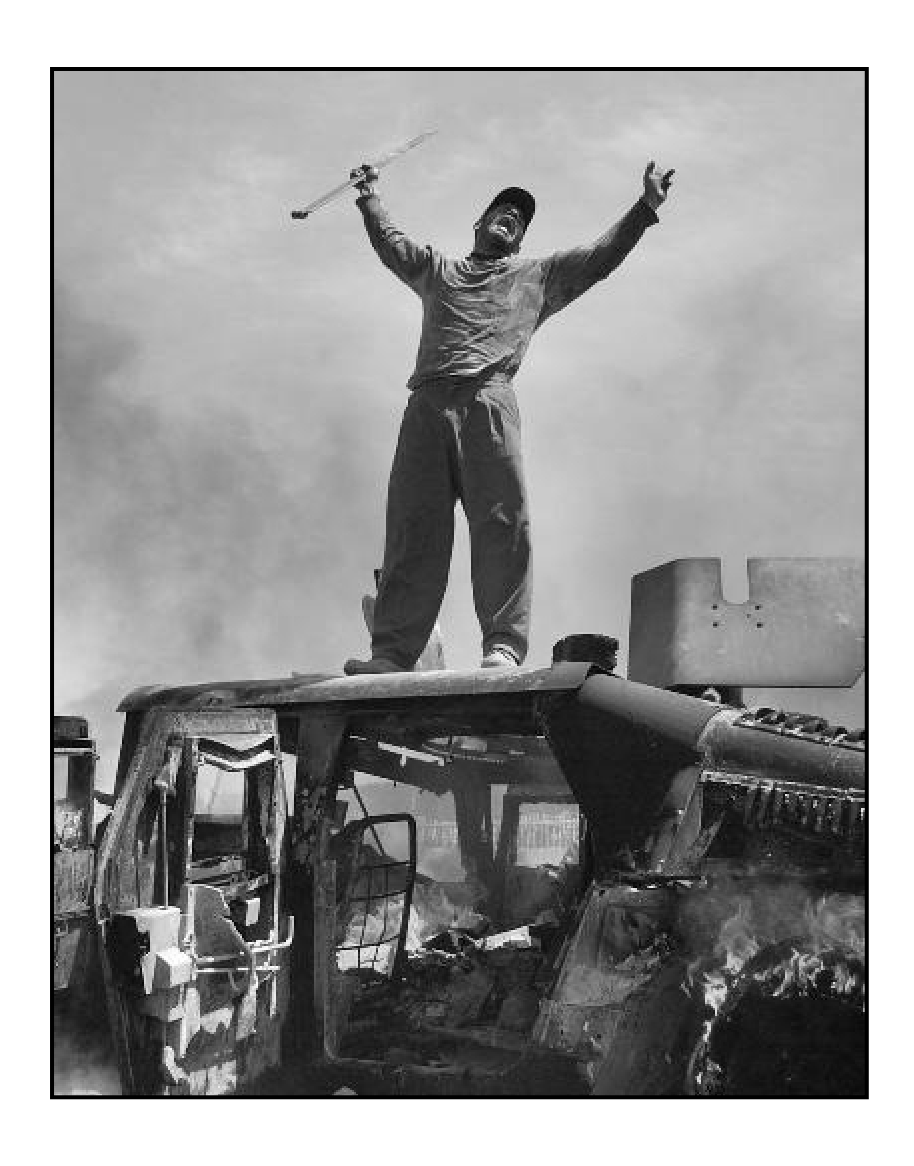
❑ صفة القيادة

● القيادة الإسلامية تكون دوماً مع المستضعفين .

● النبي الراعي بمكة ﷺ جمع الضعفاء ، فتحطمت الطواغيت .

● كبّروا .. كبّروا .. **فإن الأحداث لا يصلحون للقيادة** ، ولا يزال الناس بخير ما تصدّر الأكابر الشيوخ أصحاب التجربة .

● لا تكون الخطط والمواقف والقرارات شفوية ، بل **مواثيق الجهاد تكون مكتوبة** ، والنصوص أحكم من الذاكرة ❑❑❑



مجاهد عراقي فوق عربة همر تحترق

فقه مرحلة ما بعد سقوط الظلم

□□ بدأ العراق بعد زوال الظلم يعيش مرحلة من الفراغ ، زادته حالة الاحتلال تعقيداً و خطورة ، وحصلت منافسة شديدة بين القوى لملء هذا الفراغ ، وما تكاد هذه القوى تنصت لحوار أو تحاول الاعتراف بالطرف الآخر ، مما أوجد حالة تخيف العقلاء ، وتنذر بصراع ربما يكون صعباً مريراً .

● والدعوة الإسلامية في مواجهة مثل هذه الحالات ومفاصل التغيير في حياة العراقي لا يليق لها أن تجنح إلى ارتجال وردود فعل مجردة ، بل ينبغي لها الخطو الموزون الواعي ، وأول مراتب وعينا لما ينبغي أن تكون عليه سياستنا أن نفهم الحقيقة الدائمة في ارتباط حركات الحياة جميعاً بطبيعة النفس الإنسانية ومراتب أدائها ، إيجاباً وصعوداً مع تحليقها الملائكي المتجرد حين تصفو وتتزود ببصيرة تمنحها إياها السكينة الإيمانية إذا اطمأن القلب في خشوعه لله وموازاته لمطالب الشرع ، أو سلباً حين تنحدر مع دواعي الشهوة وغضبات الجاهلية ونداء الأنانية ، وكل ذلك فرع من الظاهرة التي اكتشفها علي بن الجهم لما قال :(**هي النفس ما حمّلتها تتحمل**) .

فالنفس إذا استرسلت وابتعدت عن رقابة صاحبها تجنح إلى حالات مفضولة ، وربما استساغت التعطل والتلذذ بالتسيب ، ولكن صاحبها إذا انتدبها لأمر جدي ورشحها لحمل ثقل الإصلاح فإنها تتحمل ذلك وتقبل التكليف وتفتأ تطلب العزائم ، كمثل مسلم أصيل تثير فيه النخوة فيلبي ويفديك بنفسه .

● ومن هنا فإنك لا تتكلف تكلفاً كثيراً إذا أردت إصلاح الحياة طالما وجدت النفوس لابثة مع فطرتها ، موصولة بتراث أسلافها ، وما عليك غير الإهابة بالنفوس السوية كي تجدها حاضرة في ساحة البذل ، معطية إياك زمامها ، ماشية معك حيث أردت طالما كان في المعروف الذي تأمر به سيماء الشرع الحنيف وعلامة الإيمان المنيف ، ويبقى مشيها معك هادئاً طبيعياً موزوناً .

● وأبرز ما في ذلك حياء يلفها تستحي معه أن تتقدم بين يـدي مـن يقودهـا ، وشعور بحرج شديد أنْ يكون منها إبطاء عمّا تحب ، وليس من الفراسة التربويـة الدعوية ما هو أقوى من قول معاوية ﷺ في الرجال حين راقبهم فوجد أنه : (**لا يزيد متزيد في خطوه إلا لنقص يجده من نفسه**) ، فهذا قول صحيح أيدته تجاربنا الميدانية عبر أجيال عديدة فاقـتنعنا أنَّ العنصر السوي يخطو مع المربـي بموازاتـه ، وما أسرع أحد تكـلفاً أو ربما أطـال عنقـه إلا لحرمانـه مـن خلـق مـن الأخـلاق المكونة للنفس المتعادلة ، فيكون في مشيه ازورار ربمـا يهـوي بـه أو يقتــرب مـن عثرة ، فيتدارك بإسراع وزيادة خطوتين حذراً أن ينكبح أو ينفضح ميلـه ، ونحـن معشر الدعاة في مسيرتنا اليوم علينـا أن نـتراص ونتكـاتف لنـسند هـذا المــائل ، وننجد هذا المنكبح ، فيسيرالناقص بسيرة الرتل والتيار ، ونغطي عيبنا عـبر هـذه الهندسة في الخطو المتساند ، فإنَّ وجود مثل هـؤلاء الـضعفاء ظـاهرة في الحيـاة لا نستطيع أنْ نبرأ منــها ، وقـد خــلق الله النـاس أطـواراً ، ففـيهم القـوي وبجنبـه ضعيف ، وفيهم المتسامي وعن شماله راضٍ بمنـزلته ليست تحـدثه نفسه بارتفاع ، ونحن مدعوون إلى التعامل مع حقائق الحياة كما هي .

● والعراق في هذه المرحلة يحتاج من بنيه أهل الدين والإخلاص تـدبراً يقـود إلى تقويم صحيح نخرج منه إلى تخطيط وبصر بأبعاد مـشاكلنا وطـرق الاسـتدراك وأركان الاستئناف وفق ديدننا القديم في مداواة العراق المريض بالدواء النـاجح ، وهو أمر شرعنا فيه في أعقـاب الحـرب العالميـة الثانيـة ، ومـارس الجيـل القـديم المؤسس منا ذلك مدة قال فيها مقالته الصريحـة على مدى ربع قـرن ، ثـم دخـل الزمن الأسود وعطلت العقول وكممت الأفواه ، فلـيس أمرنـا بـدعاً إذا نادينـا اليوم بوجوب استئناف التفكير بصوت عال والهتاف بشعاراتنا القديمة الجديـدة ، وقد قيل :

وعاجز الرأي مضياع لفــرصتــه   حتى إذا فــاتــه أمر عاتب القدرا

وهذه الفرصة عدتنا فيها اليوم هو الرأي الشوري الواضح الناقد للالتباس الغامض ، ولن نحتاج إلى تعب ورهق لإدراك ذلك ، لأننا نستند إلى ركن شرعي متين لا تطيش عنده الأهواء .

● وفي مثل هذه الأحوال يلزم رهط الدعاة في كل منطقة أو قطاع أن يكونوا على تكامل في تعاملهم مع إخوانهم ومع الناس ، كمثل ما قال أمير لوزيره :

(لا ينبغي أن نسوس الناس سياسة واحدة ، لا نلينُ جميعاً فتمرح الناس في المعصية ، ولا نشتد جميعا فنحمل الناس على المهالك ، ولكن تكون أنت للشدة والغلظة ، وأكون أنا للرأفة والرحمة) .

فنحن نحتاج الناس ونحب أن يؤيدوا الدعوة ، ولكن الناس فيهم بطر وكسل ومصلحية ، فيتقاسم الدعاة الأدوار ، يجنح إلى الحزم واعظ ويغلظ القول ، ليتأدبوا ، ثم يثني عليهم مسؤول ويبعث الثقة ، فما يزالون بعد ذلك إلى الإيجابية أقرب ، وعلى ترك الذنوب السياسية أقوى ، وبمثل هذا التكامل التربوي يتم تشغيل الطاقات المعطلة ، ويرتبط سائب ، ويطمئن موسوس .

● وكل ذلك من الفن التربوي الذي طالت خبرة الدعاة فيه حتى انبغى لهم التعامل المرن مع الأحداث ومع أهلها ، وتلك هي روعة التعامل الدعوي عند الآمر المشكل : أنه يعدد مداخله للناس ، ويجبر الكسور ، ويكمل النقص ، ويرجع المفرط إلى سواء ، والناشز إلى استقامة ، وذلك دأب المصلحين والفقهاء على توالي الأجيال عندما تتزاحم الرؤى وتتعاكس المطالب .

ويكمل ذلك قول سعيد بن سويد أنه : **(لا يزال الإسلام منيعاً ما اشتد السلطان ، وليست شدة السلطان قتلاً بالسيف ولا ضرباً بالسوط ، ولكن قضاء بالحق وأخذاً بالعدل)** .

وهذه الالتفاتة تحدد سياسة الدعوة الإسلامية المعاصرة بوضوح ، فإنها تفهم أن منعة الإسلام التي تبغيها إنما هي وليدة تمكينه سياسياً وتجميله بالسلطة التي لا ترهق الناس وإنما تملك قلوبهم بالعدل ، وهي في الطريق إلى ذلك لا تجنح إلى

قتل وترويع مهما كان التأويل ، وإنما تتوسل بالفكر والتربية والإقناع ، وما أقرب استجابة الفطرة لقول الدعاة إذا ابـدوا الحكمة وتوسلوا بالرفق .

● فنحن بحاجة إلى سياسة أثناء الطريق وحين التعامل مـع النـاس ، فيهـا مـن العدل ما يجعل كل ذي طاقة مستبشراً بتصدينا لقيادته ، فيفتح لنـا قلبـه ويعطينـا زمامه ويخولنا تصريف طاقته إلى الوجـوه الخيريـة المنتجـة وفي المـسالك الإيجابيـة النافعة ، كل ذلك قبل أن تكون لنا سلطة تهبنـا الهيبـة في نفـوس النـاس ، فكـل جهد تربوي اليوم هو اختصار للجهد القادم عند الحكم ، وكل تربية قبلية تجعـل احتياجنا إلى التربية البعدية أقل ، وهذه الناحية في الحقيقة هي الفذلكة الإعجازية التي تميزنا عن الساسة الفرديين ، وعن الأحزاب التي لم تتطور مناهجها إلى رؤيـة شاملة وجهد إقناعي ، ذلك أنَّ المشروع الذي تتبناه الـدعوة الإسـلامية إنمـا هـو مشروع حضاري يتنـــاول مرافـق الحيـاة جميعـاً ويتوسـل بوسـائل الفكـر والفـن والإبداع كلها لإقناع الناس به ثم صياغة عقولهم وآمالهم بما يتناسـب مـع المـدى البعيد والأفق الواسع الذي ينقلهم هذا المشروع الحضاري إليه ، فيعطـون بـذلك صفقة قلوبهم طواعية وتكون الأهداف هي أهـداف كـل متـأثر بهـذه الـدعوة ، وكون أنَّ أعداد الدعاة والمتأثرين بهـذا المـشروع تبقـى قليلـة بالنـسبة إلى مجمـوع الشعب لا يغير من الحقيقـة الـتي نقولهـا ، لأنَّ النـاس قـد خلقهـم الله درجـات ومنازل وأكثرهم يكون تبعاً لصاحب الفكر والمبادرة ، وبذلك فإنَّ هـذه الظـاهرة القيادية الحيوية تجعل من البؤرة المتفقة نفسياً وفكرياً والتي رباها المـنهج الـدعوي بؤرة مشعة واسعة التأثير وتتحول تأثيراتها التربوية بواسـطة الجهـد الإعلامـي في فترة قصيرة إلى توجه شعبي عارم يقترب مـن البيعـة الجماعيـة المؤمنـة بالمـشروع الحضاري الذي تطرحـه الـدعوة ، ومثـل ذلـك مـشاهد في التحـولات التاريخيـة الكبرى وعلى نطاق واسع بحيث تكـون الـصفوة المؤمنـة الـتي توحـدت قلوبهـا وقناعاتها هي القيادة الرائدة التي يفتح الله على يديها المغاليق ، ويـنعم الله عليهـا بنعمة استجابة الناس لها في كل ساحة نقية من عوامل الهدم الاجتماعية ، ولنأخذ

مثالاً لذلك مدينة "سامراء" ، فمن خلال مذاكرتي مع الشاب الصاعد "غازي فيصل السامرائي" حصل تقدير إجمالي يشير إلى أنَّ أكثر من نصف شباب "سامراء" الذين تتراوح أعمارهم بين العشرين والأربعين هم من مؤيدي (**الحزب الإسلامي العراقي**) ، وأكثر من ثلاثين بالمائة آخرين هم من المحبين للحزب ولكن تعوقهم عن إبداء ذلك الحب اختلاطات اصطلاح "**الحزب**" ، ذلك أن رواسب أسواء الحزبيات غير الإسلامية ما تزال عالقة في الأذهان ، ومثل هذه التقديرات حتى ولو كانت فيها مبالغة في رأي البعض فإنه تشير إلى غلبة الوازع الفطري ونقاء النفوس والاستعداد الكبير عند الناس للأوبة إلى أصولها الإيمانية وارتفاع مؤشر الإحساس بالمسؤولية ، ونكاد نجزم بأن هذه الحقائق لو ظاهرتها أعمال إعلامية وتربوية محكمة تواكب تطور الوسائل العالمية واستعمال الوسائل الحديثة لكانت النتائج أكبر وآكد ، وهو حال ينطبق على بقية المناطق العربية العراقية وعلى الأوساط الكردية والتركمانية أيضاً ، وفيه تصديق لما زعمناه وجزمنا به في قولنا السابق .

● وعنصر القوة في استثمار هذه الحقائق يكمن في أن المفاتيح الاجتماعية يمكنها أن تساند هذا الجهد الإصلاحي الذي تقوده الدعوة الإسلامية ، فشيوخ العشائر العراقية باستطاعتهم أن يقوموا بتعجيل مسيرة هذا التوجه نحو الإسلام عبر استعمالهم لنفوذهم المعنوي والعرفي بين أبناء العشيرة ، وهذه الظاهرة ثابتة لمن طالع وعرف تأريخ العراق القديم والحديث والمعاصر ، والمحسن من شيوخ العشائر بإمكانه أن يقدم الغطاء المعنوي الإسنادي الجيد لدعاة الإسلام ، وهذه قضية ضاربة في عمق الوجدان الاجتماعي ، وهي ترجمة جديدة لمبدأ "**الجوار**" ، وكما أجار "المطعم بن عدي" نبينا ﷺ فإنَّ بإمكان شيوخ القبائل وأعيانها أن يُقدموا جوارهم إلى (**الحزب الإسلامي العراقي**) ويدعوه ينفذ إلى قلوب أقاربهم باعتباره الحزب العتيد المُجَرَب الذي نطقت الأيام بتزكيته وأصالة معدن رجاله وحملهم الفكر الإسلامي الجاد ، ومعرفتهم بأساليب العمل المتطورة في الساحة السياسية .

● وكذلك أساتذة الجامعات وفئة المدرسين في الثانويات ، بل وحتى في التعليم الابتدائي : بإمكانهم تقديم تربية فكرية ونفسية تمهد لقبول الفكر الإسلامي الدعوي ، ومنابر الجمعة هي خط مساند آخر يدعمه الوعظ المسجدي العام ، وبإمكان أصحاب الفضيلة المشايخ أن يكونوا مفتاحاً آخر عبر أمرهم بالمعروف الفكري والسياسي ونهيهم عن المنكر المقابل لذلك ، إذ ليس الأمر بالمعروف أن يحث الواعظ الناس على إطعام فقير وستر أرملة فقط ، وإنما لكل مرحلة فضائل ينبغي ترويجها هي آكد من غيرها في تلك المرحلة ، ومرحلة العراق اليوم هي مرحلة تغيير عقيدي وفقهي وفكري ونفسي تبعاً للهزة السياسية العظيمة التي خلفها الحكم الظالم ثم الحرب الأمريكية الغازية الأظلم منه ، ولا بد أن يعود العراق إلى توازنه الفكري والاجتماعي والسياسي من أجل أن تتاح المعالجة التفصيلية للأدواء القديمة والطارئة ثم الانطلاق في مجال التنمية والتطور والوصول بالعراق ثانية إلى مرتبة قيادية في الأمة الإسلامية مستهدياً بالمشروع الحضاري الإسلامي الشامل .

● ورجال الحزب أو هذه المفاتيح المرجوة لإسناده بإمكانهم تجميل أدائهم بوصايا الحكماء القديمة ، وأهم حكمة وملاحظة تجريبية في ذلك : التكامل في التعامل مع من هنالك من الدعاة والأنصار وعموم الناس ، والتردد بين الحزم واللين ، وهو المعنى الذي خلده الشاعر يوم قال :

وترى عليه إذا العيون لمحنهُ　　　سيما الحليم وهيبة الجبار

فالداعية لينٌ قوي ، وهو أمر نحتاجه عند التعامل مع التوزيع القدري الرباني لمقادير الذكاء والهمم والشجاعة والإخلاص وكل أنواع الأخلاق ، فكما قسم الله الرزق وصار غني وفقير : قسم الله درجات الأخلاق وخصوصيات الأنفس والعقول ، ولذلك يحتاج رجال القيادة وهؤلاء المفاتيح الخيرية إلى مرونة تامة في التعامل ، والتردد بين إرخاء وعزم هما جوهر الحكمة إذا أردنا حشد الناس لنصرة جانب الإيمان في القضية العراقية المعاصرة ❑❑❑

□□ يطرب المؤمن وتمتلئ روحه ثقة حين يرى ما يحدث اليوم في ربوع العراق الأبي من شيوع الصحوة الإسلامية والفرح الغامر الذي ترفل به قلوب رجال استئناف الإصلاح الإسلامي لجهودهم من بعد منعٍ طال أمده ، ويزداد المربون حماسة في زيادة عطائهم لما يرونه من ولع هؤلاء الشباب بالعلم وباكتساب الخبرة العملية التي تبعدهم عن الخطأ والارتجال ، حتى غدت هذه الظاهرة الصحية الإيجابية أقوى المحركات الداعية إلى إتقان امتزاج الجيل القديم المحنك بالجيل الجديد الصاعد المبارك واتحادهما معاً كخطين متوازيين يجسدان التكامل في الأداء .

وحالة متوازية كهذه تجعل الجميع في انشداد إلى العملية التطويرية اللائقة ، واعتبار مفتاح النجاح وامتلاك المستقبل كامناً في إتمام عملية إعداد فئة ريادية قيادية من أرهاط الشباب الصاعد تتولى تحقيق الآمال وتطبيق الأحلام التخطيطية التي يدندن حولها المخضرمون ويرنو لها المقتحمون للصعاب من جيل الاستدراك والاستئناف هذا ، فإنه إذا ما تمت عملية التربية المتقدمة والتدريب النفسي والأخلاقي والإبداعي لصفوة كبيرة من الصاعدين فإنَّ إحكام المنافسة سيكون مضموناً بإذن الله .

وأول ما يبهجنا من وصايا النبلاء القديمة قول عبد الملك بن صالح أنه : (**لا يستطيع المِضياع أن يكون مُصلحاً**) ، فهذه التفاتةٌ أصيلة تُنبي عن أهمية الحرص والتصميم وقوة الإرادة في العملية الإسلامية ، وكأنه يشير إلى نمط سلبي يعتري بعض أصحاب النوايا الحسنة يحرفهم عن الطبيعة اللازمة للريادي في اصطياد لمعات الخواطر وأجزاء الجهود والفرص ليوظفها في عملية إنتاجية تمنح الدعوة وعموم المجتمع نوعاً من أنواع الخير الذي يتراكم مع أمثاله ليكون خيراً وافراً مؤثراً يزاحم تسللات الشر المتربص لغفلات المؤمنين ، والإشارة هنا واضحة

إلى أنَّ الخطوة الأولى في الإصلاح هي **انتباه الداعية من رقـدة الغافلين ، وبـراءة تسيطر عليه** يحرص من خلالها على مفاصلة حـالة الـضياع الـسلبية ، وإنمـا يـتم ذلك في صورة يقظة تستولي عليه تجعله يستوعب كل شوارد الأفكار التي يمتلكها أو يسمعها والطاقات التي يزخـر بها عقله وقلبه والفرص التي تنفتح بـين يديـه ، ويقظٌ مثل هذا حرّيٌ أن يتنـزل عليـه التوفيـق الربـاني ، وتتوسـع لـه المـدارج ، وتبتسم له المباهج .

والصاعد في مثل هذه العملية الإخلاصية هو شقيق ذاك الأول القـديم الـذي أبدت الحاجات ضرورة تقدمه في الصف فأخذ الأمر بحزم وصلابة وقال :

لما دعتني للريـــــــــاسةِ حـــاجـةٌ

لدى مجلس أضحى به النجم بـاديا

شددت لها أزري وقد كنـت قبلها

لأمثـالها طـــــويـلاً مـــا أشد إزاريـا

فهذه كناية عن استعداد النفس لتحمل التكليف الـشاق ، وهـي اسـتعارة مـن القرآن الكريم تجعل فتيان الصحوة الإسلامية العراقيـة اليـوم إذا أرادوا الـنهج على درب الأصالة الذي ابتكره هـذا الـرئيس القديـم إلى أن يقبلـوا التحـدي ، ويدقوا على صدورهم ، راضين بأن يتولوا تلبية حاجات إصلاح العراق والـسير على سنن وحقائق المشروع الحضاري الإسلامي ، ويكون نمطهم في هـذا القبـول للمهمة زاخراً بالإيجابية سائراً مع سعة الآمال ، مفعمـاً بـالقوة ، فـإنَّ أقـرب مـا يكون رجل الصحوة الإسلامية أنه كذاك الممدوح الحازم المنير العقل الذي :

يشبهُ الرعد إذا الرعـد رجـــــفْ كـأنه البـــرق إذا البرق خَطَفْ

فعزمـه حديـدٌ شـديد ، ولمعـةُ إبداعـه خاطفـة تـنفض الحـيران فتتركـه في درب الاستقامة راكضاً ، يفصحُ حـاله عن هويـة الداعيـة إذا نـزل سـاحة المنافـسة ، فهـو الرعد ، والواهم الحائد عن الإيمان : رعديد ، وهو الوعـدُ والرفدُ ، وأصل ومـضاته برق يقدحهُ التعليم الرباني ، وغيره جسمٌ حالك شأنه العكس إذا النور عليه سقط .

● وفي إشارة إلى المرتبة الثانية في هذه العُشارية إغـراء للـدعاة بـالاقتراب مـن الناس ومصافحتهم وبيع البسمات المشجعات لهم ، فإن سياسة الدعوة اليوم فرع من علم سياسة الدول ، وعلينا أن نوظف الخبرة القديمة والجديدة التي أوصى بها أهل الممارسة ، مما ورد على لسان يزيد بـن عمـر بـن هـبيرة مـثلاً وهـو يوصـي المنصور : (**أن إمارتكم بكر ، ودولـتكم جديـدة ، فـأذيقوا النـاس حلاوتهـا ، وجنبوهم مرارتها : تخفُّ على قلوبهم طاعتكم ، وتسرع إلى أنفسهم محبتكم**)[1].

وإنَّ ظاهرة القيادة الدعوية لجيل عريض من شباب الصحوة الإسلامية وعموم الناس ، إنما هي ظاهر ة إيجابية وسيطرة ميدانية جديدة بذلت الـدعوة الإسـلامية لها وقدمت جهداً فكرياً وتربوياً وسياسياً مكثفاً ، مرت خلاله بـسجون ومـشانق وعذاب ، ودفعت الثمن رهقاً طويلاً زانه الصبر ، ولابدَّ أنْ نذيق النـاس حـلاوة الإيمان والإخاء ، وأنْ ندعهم يرفلون بخدماتنا الخيريـة ، وأن لا نجـنح إلى إعنـات لهم يبدأ من محاولة إلزامهم باجتهاد فقهي نعتقد صوابه ، مروراً بتـوتير الأوضـاع مع الأحزاب الأخـرى واستئناف عيش الجَفلات والجفاء والهمجيـات ، وصـولاً إلى دخان ودماء ، ولكن نبذل للشعب الرفق ، لتـسرع القلـوب إلى محبـة وطاعـة الأمر الدعوي .

● لكن هذا الإغراء لا ينبغي أن يستحكم أكثر من اللازم ، أو يستطرد ليكون ليناً مفرطاً يقود إلى ضعف في الموقف يجنح معه العامي إلـى غنجٍ وإدلال يطلـب فيه من الدعـــاة أن يماشـوه في هـواه أو في كـسـله أو في فـرض رؤيتـه الـساذجة للأمور ، فإنَّ مهمة الداعية أنْ يدورَ مع الثوابـت ، وأن ينهـى عـن المنكـر ، وأنْ يأطر الناس على الحق أطراً إذا استرسلوا مع الرغبـات والمطـامع والتـسهيلات ، والداعية مرشح إلى وعظ نفسه بقول نابغة بني جعدة :

ولا خير في حِلمٍ إذا لم تـكـنْ له   بـوادرُ تـحـمـي صفوهُ أنْ يكدرا

---

(١) من العقد الفريد ج٢ ص ١٥٧ .

وفي خبرٍ لا نضمن سنده أن النبي ﷺ لمّا سمع ذلك منه قال له :

(**لا يفضض الله فاك**) ...

وذلك أنَّ البيان الدعوي والكم الوعظي والفكري الذي تبديه الدعوة بحاجة إلى عين حمراء أحياناً ، وإلى دفاع ، والى أنْ نسوقَ جمهور المسلمين أحياناً نحو العزائم والمواقف الحادة الواضحة ، وأخطر ما هنالك هو احتمال الرد الفوضوي على فوضويات موجودة في الساحة مستعدة لإرباك الأوضاع وتوتيرها عبر تحرش واستفزاز وادعاء الاحتكار لجميع الحقوق وإلغاء المقابل والافتيات على مصالحه ، وتجارب الأمم تنطق بأن امتصاص الصدمات الفوضوية واجب ، لأنَّ التفوق في الساحة في النهاية إنما يكون للفئة ذات المقومات الحضارية والتخطيط ولمن يستعمل الحكمة في الخطاب والتعامل ، ومن هنا فإنَّ أبرز واجبات الطبقة الريادية الدعوية العراقية في مرحلة الانفتاح والحرية بعد زوال الظلم إنما تكون في **تجديد دروس الحكماء ، وضبط الشارع ، وإلغاء المزايدات** ، لكن مع اليقظة وكبت المعتدي ، والحفاظ على القدم الشريف المنتصب في الساحة الوارث لمناقب السلف كلهم من لدن أيام الصحابة ﷺ الذين فتحوا لنا العراق ومنحونا أرضه ذات الخيرات بمشيئة الله ، مروراً بأجيال الخلفاء والسلاطين والفقهاء والزهاد والمجاهدين والصالحين ، وصولاً إلى العصر الحاضر والسادة الذين سَلّمونا الراية ، وكان منهم تلقين لنا ، وكانت منهم تربية ، وتلك هي الطبيعة الرابعة للريادي في المعترك الصعب الحاضر ، وهي طبيعة لها مكانتها الاستثنائية في عُشارية الريادة .

● لكنَّ أكثم بن صيفي – حكيم العرب – نفى بحزم واضح أنْ يكون هذا الحزم المبتغى ضربة بسيفٍ أو التحاماً لجيشين فقال :(**رُبَّ قولٍ أنفذ من صولٍ**) ، فالصولة قد تتأخر ويكون المقابل قد استحكم ، أو قد تتقدم فتخونها قلة الاستعداد ، ولكنَّ القول إذا قابله تدّبر وجاء في الوقت المناسب ضوعف أثرهُ ، ومعنى ذلك أنَّ الأزمات السياسية والمنافسات الحزبية ليست دائماً تحتاج

صولات السلاح ، وإنما إذا كان من نبلاء الدعوة إتقان لأصول الحوار واستعمال لحجج المنطق الرصين وشواهد العقل والواقع ، مع دعوة المقابل لاستشراف المستقبل معنا ورؤية حقائق الساحة والساعة ، فإنَّ الطرف الآخر يوشك أن يَتئد وينضم إلى مفادِ خططنا ومنهجيتنا وسمتنا العقلاني ، بحيث ندربه على اكتشاف مصالحه الذاتية قبل أن تكون المسالة نزولاً عند رؤانا ، وذلك هو سبب قول الحكيم أنَّ القول قد يكون أكثر اختراقاً لتصلبات المشاكل من الصولة ، وبذلك تتضح الطبيعة الخامسة في عُشارية الصعود .

● والحيثية السادسة تتجلى في وصف هارون الرشيد - رحمه الله - لحدود الحزم السياسي وإشارته إلى : (**أنَّ مبادرة حسم الأمور الضعيفة قبل أن تقوى ، ومحاولة قطع الأصول ضئيلة قبل أن تغلظ : أحزم في الرأي ، وأصح في التدبير من التأخير ، والتهاون بها حتى يلتئم قليلها بكثيرها ، وتجتمع أطرافها إلى جمهورها**) .

وهذا هو المبدأ القيادي التخطيطي الذي يوجب السرعة في علاج الظواهر السلبية والانحرافات النفسية التي تؤدي إلى الفتن غالباً ، فإنَّ الفتنة في الأغلب إنما تستند إلى تراكمات لسلبيات متتالية ، ويظل التراكم والتضام حتى يكون ثقيل الوطأة بحيث ترزح الفئة الدعوية تحت أثقاله ، والعلاج لهذا أنْ تكون الرئاسة شديدة الحساسية تجاه أي نغمة نشاز تسمعها من تابعٍ متنطع ، وأيّ تجاوز عملي لأوامر الزعماء ، أو هدرٍ لقاعدة تخطيطية ابتنى عليها الموقف ، فالخطأ القليل منْ موضع يتساند مع خطأ من موضع آخر فتحركهما نبرة ذات حشرجة ، فيكون صراخ الثأر أو نشيج الأحزان ، فتضطرب الساحة ويسود التوتر في وقت يكون كل البقية منه بَراء ، وهذا هو شأن الفتن العارمة والحروب الأهلية في كل زمان ومكان ، وتلك هي الملاحظة التجريبية التي هدي إليها الرشيد منذ القرون الأولى ولكنَّ الأجيال تغفل ، وخزين التحديات الباردة له سوق .

ومرة أخرى يوصينا أكثم بن صيفي باتباع خصيصة من خصائص السياسة القيادية هي الخصيصة السابعة وشعارها أنَّ : (**حسن الظن ورطة ، وسوء الظن عصمة**) ، وليس ذلك في التعامل مع أخيك وصاحبك ، ولكنَّ الميدان مملوء بخصمٍ يكيد ؛ وحاسدٍ يزدري ؛ ومراوغ يتقن الالتفاف ؛ فيكون الحذر هو الحزم ، والدعاة هم أساتذة الصدق ، وحب الناس وقبول ظاهر أمرهم أصل ، والميل إلى التعامل البريء الساذج العفوي متى ما كان عيشنا في زمن الاسترسال مع السجايا ، ويوم كانت الدنيا بخير ما كنا نتقن غير حسن الظن ، ورفلنا في بحبوحة العافية وسعادة القلوب حين تمرح وتفيض منها العواطف ، ولكن الانعطاف من عند الركن الكدر يجعل من الاحتياط قاعدة سياسية تقينا تعسفات رجل الشارع المغاضب ، وتحدونا الفراسة إلى أن نلجأ إلى ركنٍ رَكين أحد أعمدته استنطاق القرينة والغوص إلى الفحوى واستلهام التاريخ والسير بموازاة المجرب والحكيم ، ولسنا نبيع غير الثمرات اليانعات ، ولكنَّ المشتري إذا أعطانا يوماً نقوداً زائفة فإنَّ دواعي الاحتياط تدعونا إلى التعامل الواعي ، ومازالت قلوبنا بحمد الله عامرة بالإخاء وأيادينا ممتدة إلى المصافحة ، وتلك هي طبيعتنا التي عرفنا أنفسنا بها ولمسها الناس منا ، ولسنا على ذلك بنادمين ، بل تبلغ حاجتنا اليوم إلى ترويج فضائل السلام أقصى المدى ، ونور الصدق يلمع بين يدي توجهاتنا ، وسرائرنا كمظاهرنا .

ثم يطل علينا الرشيد من شرفته يعلمنا مرة أخرى أنَّ الأمير: (**بمنزلة الرفيق ، والوالد الشفيق ، والراعي الحدب ، الذي يحتال لمرابض غنمه ، وضوال رعيته ، حتى يبرئ المريضة من داء علتها ، ويرد الضالة إلى أنس جماعتها**) ، فوظيفة السياسي والداعية المربي أنْ تحركه هذه الدوافع الرقيقة حتى يداوي المريض من علة نفسية أو فكرية أو عقيدية ، وأنْ يمد يده إلى متجنب ابتعد فيقربه ، ويجعله يحس بالأُنس الجماعي والوداد ، فتحدث له حركة قلبية تستفز مكامن الخير فتبديها وتترجمها جوارحه .

إنَّ العراق أبيٌّ أصيل ، وجذوره الحضارية ضاربة في العمق ، وقد جاء الفتح الإسلامي بقبائل عدنان وقحطان فامتزجوا بالنبط من سكان السواد وبالأكراد من أحرار الجبال ، وتكاملت بذلك كتلة رفعت بناء الإسلام ، ومنحت الإنسانية حقيقة حضارية متطورة شاء القدر أن يكون أصل شعاعها من بغداد ، وبقيت هذه الكتلة ذات الأصالة تمارس وظيفتها على مر القرون ، وكان ثم نجاح ونتاج ، حتى اعترى من هنالك ما يعتري الإنسان من إبطاء ونسيان ، وما سمُي الإنسان إنساناً إلا لنسيانه ، فنسي بعض العراقيين معاني أسمائهم ، كما نسي الشاعر الكميت معنى اسمه ، فكان افتراق ، وأغلقت الأبواب المفتوحة ، ونمت أشواك في ساحة بني الأب وإخوة المسيرة ، والقيادي الذي يريد تجويد الريادة لقومه الأصلاء مطالب بأن يجعل رد الشارد إلى أنس جماعته من أولويات القضية العراقية المعاصرة ، على مذهب الرشيد .

فإذا فهم المتعامل أنَّ أنفاسه الدعوية هي فضل من الله تعالى واستوعب خطتنا الإخائية ، فمرحباً به وأهلاً ، شريكاً وأخاً ، وإن أشار إلى نفسه بفضل :

ففي الناس أبدالٌ وفي الهجرِ راحة وفي الناس عمن لا يواتيك مقنع

● وهي حالة اضطرار تمثل المرتبة التاسعة في عُشارية الإصلاح ، واستثناء فضول لا نحبهُ ، أنْ نحمل عبء البناء على أكتافنا وأكتاف من يواتينا ويفهم غايتنا ويحالفنا مبصراً مصلحة العراق العامة ... وهذه عودة إلى معنى سيادية الثوابت ، وهو معنى ينفي صواب المساومة على المبدأ ، ويدعو إلى تمحيض الولاء لأحكام الشرع ومصالح القضية العراقية وثوابت التحالف المذهبي والقومي القديم ، وهذا الولاء يجب أنْ يكون صارماً ، ويجب أن يكون واضحاً ، ثم يجب أنْ يقوم على قواعد الإنصاف والعدل ، ومظهر ذلك اليوم الإقرار بعروبة العراق تبعاً للحقيقة الواضحة في أن أكثرية سكانه من العرب ، وهذه الحقيقة ينبغي أن تظهر جلية في صورة انتماء العراق إلى جامعة الدول العربية وأخذ دوره القيادي فيها ، بما له من مكانة حضارية ومدنية ومالية ، وليست نوايا قطع علاقات العراق بجمهرة العرب غير وسوسة ستنتج السلبيات والافتيات على المصالح الدائمة التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من

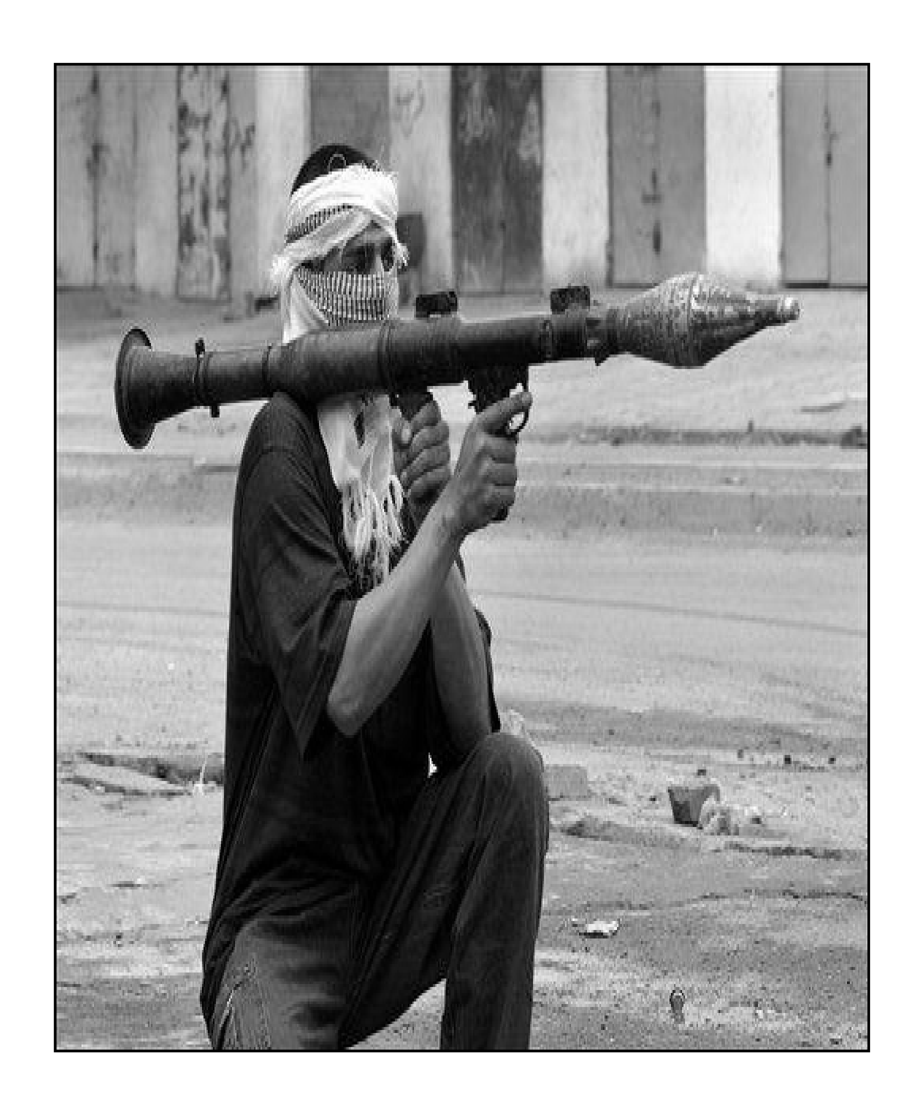
القضية العراقية ، وإذا فهِم وَاهمٌ أنَّ العراق يمكن أنْ يرتبط بمنظمة الأمن " الإيرانـي " و" التركي " فإنه يكـون قـد أبعـد في التـأول وشـطح في النظـر ، فـإنَّ الخـصوصيات العراقية لا تلغى أبداً ، من يوم قالها سطيح الغساني النصراني في آخر أيام الجاهلية ، يؤول رؤيا كاهن الفـرس ، ومنـذراً ومبـشراً بـالنبي محمـد ﷺ وبـأن :(**ليـست بابـل للفرس مقاماً**) ، فصار هذا الإخبار بالقدر الرباني مَعلمـاً مـن معــالم حركـة الحيـاة وقوانينها ، فعروبة العراق جـزءٌ مـن الإسـلام ويجـب أن يـنص عليهـا في الدسـتور القادم ، والعراق ملتـئم منـدمج مربـوط ببقيـة عـالم العـرب ، وذاك بـاب حريتـه ، ومدخل فيض خيره وإيجابياته وحضارياته وقيادياته على العرب ، ثمَّ لـه يـد أخـرى يمدها إلى العجم يصافحهم بها ويتعاون معهم ، ولكن من مركز الاستقلال ، محتفظـاً بنقاء العقيدة وصفاء المشرب ، ومن لم يفهم هذه الفطرة التي خلق الله العـراق عليهـا فهو عن العدل بمعزل ، وعن فهم معادلة الأمة الإسـلامية بعيـد ، فقـدرُ العـراق أنْ يتلقى الإسلام بروح عربية ويعليه وينصره ، في غير ما نعرة قوميـة ، ولا تكـبر علـى ذي فضل ، إنما هو الاستمداد من وقفة شيبانية وقفها أحمد بن حنبل قبل ألف ومائتي سنة ينطلق من الأصالة ويبطل حلف التأويل الواهم ، وبه يكـون الإقتـداء ، وهـذه ليست قومية عربية بل هو انتماء لرهط يفهم أساسيات الإسلام جيداً حتى لو اعترته الغفلة واختلطت رؤاه ، والمنكر مدعو إلى أن يتذكر أنه على شيء من قومية وتقـديم لبعض خصوصياته ، فلماذا يكون حرمان جمهرة العرب من انتماء كله إيجابية تـستند إلى تطبيق سابق ناجح على مدى طويل لم يخـتلط بأخطـاء ، سـواء مـا كـان في زمـن العلمانية الجديد أو في زمن الظلـم الـذي اكتـوى بـه أهـل العـراق – وربمـا جـيران العـراق – ، والدعوة الإسلامية إذ تؤمن اليوم بهـذه الحقيقـة العربيـة للعـراق هـــي نفسها التي طالما دعت إلى خطة سـواء تَـبرأ فيهـا هـذه الـشعوب المتجـاورة – والـتي تُـشكل مركز الأمة الإسـلامية ومنطلـق نهـضتها – مـن القوميـة واسـتثارة عوامـل التحريش التاريخية.

ويتم تتويج هذه الوصايا بملحظ عاشر يفصح عن أنَّ مسؤولية أمير الـدعوة أو أي فرد من أفراد الطبقة القيادية : إنما هي مسؤولية بالغـة الحـساسية ، ويجـب أن

يؤديها بالحسنى ، ويكون قدوة في العفاف والحلم والجرأة ، لأنَّ الأنصار يقلدون ، أو يستحون فلا يجهرون باجتهاد مختلف مهما اعتقدوه ، كما كان شأن القاضي الشعبي لما قال الحجاج :(**كم عطاءك؟**) فأجاب نازلاً بالمرفوع : (**ألفين**) ، فقال الحجاج : (**ويحك! كم عطاؤك؟**) ، قال : (**ألفان**) ، قال: (**لحنت فيما لا يلحنُ فيه مثلك؟**) ، قال : (**لحن الأمير فلحنت ، وأعربَ الأمير فأعربت**) .

فلهذا نندب كل قيادي أن يكون مع العزائم والثوابت والواضحات وأعراف المؤسسين وديدن المربين ، لئلا يلحن الصف ويروج التأويل ويتعالى المرجوح ، فعلى مقدار صلابة الصف المتقدم يكون ثبات الأرهاط الأخيرة المنتشرة في الساحة ، **وإذا التزم الأول : ارعوى الثاني** ، وكلما فصح رجال النفيضة : نطقت الساقة بالصواب .

فذلك هو خبر عشارية الاقتحام والريادة في ميدان التطوير الدعوي والتعامل الشجاع مع حقائق ساحة العراق ، ويليق لكل عراقي - ثم لكل داعية مسلم وحريص على خدمة القضية العراقية في طورها الجديد - إذا لمس من نفسه المقدرة وصلابة النية أن يعتصم بهذه العشارية الإصلاحية وبالمغزى البعيد لكل حقيقة من حقائقها المتكاملة ، موقناً بأنَّ التعامل مع المستجدات وتعقيدات حالة الاستعمار وحالة الفرقة وحالة الفراغ إنما هو فوق الارتجال ، ويجب أن يركب المركب التخطيطي الهادف ، ويتوسل بالطريقة التربوية ذات الأبعاد المنهجية وبأوصاف الواقع العراقي وخصائصه الذاتية ، ورجل الشارع يجب أن يقاد من قبل جمهرة الرياديين النبلاء ، وإلا حصل طغيان وفساد في الأرض كبير □□□



مجاهد عراقي يحمل قاذفة R.P.G. فوق كتفه ليواجه عربات الاحتلال

مقتطفات من الكلمة التي ألقيت في حفل الاحتفاء بالمؤلف
يوم الخميس ٣١ / ٧ / ٢٠٠٣ م في جامع أبي حنيفة ببغداد
بمناسبة العودة بعد غربة ٣٢ عاماً

□□ أجدُ الحقائق تحيط بالقضية العراقية وبقضيتنا الدعوية الإسلامية ، وهي عشر حقائق لابدَّ أنْ نستحضرها في عمليتنا الاستدراكية الجديدة ، إذا وعيناها حق الوعي ، وإذا تكاملت معانيها عندنا فإنهُ يؤذنُ لنا - بحمد الله وبإذنهِ - أنْ نصل إلى نتيجة ، **فإنَّ الصراع قائم والمنافس ينافس بوقاحة ، ولكنَّ الاعتصام بالمنهجية والتكاتف وبالأخوة يرجى من هذا كله أنْ يوصلنا إلى مرادنا .**

□ الحقيقة الأولى .. الفشل المتكرر للعلمانية في أرض العراق

كلنا يعرف أنَّ مشاعر المسلمين ومفاهيم المسلمين في هذا البلد الأبي عاصمة الخلافة إسلامية نقية متأججة إلى نهاية العهد العثماني ، ثمَّ مع مجيء طلائع الاستعمار بدأت النغمة العلمانية ، وكانت هذه النغمة نشازاً لا أحد يقبلها ولكن دلس أمرها ونشأت بعض الأحزاب التي رعتها ، وهذه الأحزاب كانت برعاية المستعمر أيضاً ، فأول ما كانَ منْ أمرها الحكومات الوطنية التي تعاقبت في العشرينيات والثلاثينيات وفي كل العهد الملكي ، وكانت تتعاون مع المستعمر وتأتي لنا بمفاهيم غريبة عن الحس الإسلامي ، ورأينا أنها ما أدت إلى شيء .. نعم لم يكن في عهدها ما رأينا منْ مجازر ، ولم تكن هناك مشانق كثيرة ، ولكن في الحقيقة لم تؤد أيضاً إلى تقدم العراق ولم تعط ولم تمنح شيئاً ، بينما كان الإسلام حياً وتستطيع الحكومات أنْ تغترف من هديهِ ، ولكنها لم تفعل .

هذه العلمانية تنوعت وتعددت ، وأنا قد سمعتُ قصة من أحد قراء القران في الأعظمية وهو الشيخ ملا هادي - رحمة الله عليه - قال : كنتُ أقرأ القرآن في بيت آل الجادرجي في الزمن الأول - وهو أعمى - ، وعادة العوائل البغدادية

ذلك ، يقول : فأخذتني أم الجادرجي في يوم دخول القوات الإنكليزية إلى بغداد ومعها كيس مملوء من " الملبس "- الحلوى - ، ثمَّ نثرت هذا " **الملبَّس** "على رؤوس الجنود الإنكليز وهي تهلهل فرحةً بانتصارهم ، وهذه العلمانية التي وجدت في هذا البيت كمثل من أمثال العلمانية في ذلك العهد ، ظلت تتعاظم حتى رأيناها سنة ١٩٣٦م تتحالف مع أعداء هذا البلد أثناء انقلاب " بكر صدقي " ، وحتى مع اليهود ، فيما كشف بعض اليهود من أهل العراق الذين هاجروا إلى إسرائيل وكتبوا أنَّ الطائرة التي رمت مجلس الوزراء آنذاك كان طيارها من اليهود واسمه حزقيل .. أو كذا ... وكان هذا مما لا نعرفه ولا نميزه في الأمر الأول .

غايتي أنْ أقول: **إنَّ العلمانية الأولى التي كانت بسيطة قد نضجت وترعرعتْ وصار لها ديدن ومنهج وتحالفت مع نكرات وتحالفت مع اليهود من أجل إنفاذ تخطيطها** ، وكان ياسين باشا الهاشمي يوم ذاك من أخلص ذلك الجيل الأول ، وذهب هارباً إلى بيروت وماتَ كمداً بعد ثلاثة أيام لما وجده من استيلاء هؤلاء النكرات على الحكم ، وبدء عهد التردي بعد ذلك ، ولما جاء الإنكليز أثناء الحرب العالمية الثانية بعد ثورة رشيد عالي الكيلاني رأيناهم يتحالفون مع الحزب الشيوعي ، فكل القيادات الشيوعية التي كانت تعمل آنذاك إنما تخرجت من قصور الإنكليز ومن السفارة البريطانية ، تبعاً لتحالف " ستالين " مع " أميركا " و" بريطانيا " ضدّ " هتلر " .

هذا التاريخ - أيها الأخوة - ينبغي أنْ نستحضره وأنْ نعرف أنَّ هذه العلمانية تتعدد أشكالها ، إنْ كانت علمانية ساذجة كما كانت عند نوري السعيد وأمثاله ، أو علمانية منهجية ذات تنظيم وذات قواعد وذات فكر تبشر بهِ كمثل الحزب الشيوعي وكثير من الأحزاب المغالية ، فكانت هذه العلمانية تعمل ولها خيانات وتحالفات مع أعداء الإسلام ، ولكنْ أين هي الآن ؟

كُنست تلك العلمانيات وذهبت تلك الأحزاب ، جاءت أيام الحزب الشيوعي ثمَّ ذهبت ، وجاءت أحزاب أخرى تدَّعي القومية ولكن ظلمت الناس ، وجاء

الفكر البعثي ولم يقدم شيئاً ، وسُلِّم الحكم إلى "صدام" فأرهق الناس ، وهكذا نستطيع أنْ نقول: **إنَّ منْ حقائق العراق الكبيرة أنَّ العلمانية قد أثبتت فشلها وأنهُ قد ثبت بالدليل القاطع أنها لا تنفع العراق وأهلهُ لأنها حائدة عن نهج الشرع السليم** .

▫ الحقيقة الثانية .. انفتاح المجال للتجربة الإسلامية

هذه الحقيقة – أيها الأخوة – هي بنت الحقيقة الأولى ، المجال منفتح لنا لكي نثبت ونبرهن ما قلناه دائماً ، **فالناسُ عطشى للإسلام ، والناس تفتش عن الفكر الإسلامي ، لذلك هذا يومنا ، هذا يوم تآلفنا ، هذا يوم عملنا ، كيف نستطيع أنْ نقدم فكرنا الإسلامي إلى جمهور شباب العراق الذي يفتش عن البديل** ، فالبديل موجود بحمد الله ﷻ ، ليسَ ببعيد ، وقد رَبّى أجيالاً من الدعاة وهو اليوم مرشح لكي يسود العراق ، ولكي يثبت تفوقهُ على التيارات الأخرى ، **ومعنا الله ﷻ ، ومعنا التجارب التي تراكمت عندنا ، فاليوم نستطيع الاستئناف والاستدراك بسرعة كبيرة لكي ننقذ العراق من المتاهة التي يصر البعض – منْ أصحاب الضلال القديم– على أنْ يدخلوه فيها ، فاليوم المسؤولية هي مسؤوليتنا جميعاً ، أنْ ننقذ العراق** .

▫ الحقيقة الثالثة ... العراق واقع تحت الاحتلال

فالعراقيون فوجئوا أنهم واقعون تحت الاحتلال ، وهذا الاحتلال جاء لا عسكرياً فقط ، بل مسلحاً بخطة استراتيجية بعيدة المدى ، يريدُ أنْ يغيرَ فيها حتى مناهج التربية والتعليم والأفكار ، وليس هذا منْ باب التخمينات ، بل منْ باب تصريحات كبار رجال السياسة الأمريكية . هذا الاحتلال – أيها الأخوة – قديمٌ في الإستراتيجية الأمريكية ، وأروي لكم حادثة صغيرة لأثبت أنه خطط لهُ من قديم الزمان ، كنتُ في واشنطن يوماً ما ، فأخذني أحد الأخوة إلى دار الأرشيف الوطني الأمريكي الذي تحفظ فيه كل وثائق أمريكا ، ورأينا في هذه الوثائق عنواناً لملف تحت اسم : تقرير من السفارة الأمريكية في بغداد مؤرخ سنة ١٩٢٨م ،

السفير يرفع في هذا التقرير أخبار العوائل البغدادية التي تتعاون مع السفارة الأمريكية للترويج لأمر سفور البنات ، فطلب الأخ هذا التقرير على أمل أنْ يطلع على ما فيه ، ولكن جاءت الموظفة بعد قليل تعتذر وتقول:نأسف لأنَّ هذه العوائل لا زالت حية ، ولا زال الأمر مستمراً ، ولا نستطيع أنْ نكشف السر ، وهذا في عداد التقارير السرية ، أكثر من سبعين سنة وهم يخططون لتبديل المجتمع العراقي ، فما بالك بما كان بعد ذلك . هذا يوم كانت فيه أمريكا منكفئة على نفسها في داخل حدودها ، فما بالك بعد أن اختطت لنفسها بعد الحرب العالمية الثانية خطة العولمة والسيطرة على العالم ، فنحنُ - أيها الأخوة - تحت الاحتلال ، وهذا الاحتلال يمس مناحي الحياة جميعاً ، لم يأتِ فقط للنفط كما يقولون بل يريد أنْ يبدل التربيات والمناهج والنفوس والمعنويات ، ثمَّ يكون نقطة للانتشار في المنطقة ، **لذلك ليس لنا إلا أنْ نقاوم هذا الاحتلال ، وقد اختططنا لأنفسنا خطة مقاومة سلمية ما استطعنا لذلك سبيلاً ، ونحنُ على ذلك ثمَّ لكلِ حادث حديث** .

◻ الحقيقة الرابعة ... وجوب توظيف الطاقات الخيرة

توظيف كلّ خير في المجتمع العراقي لنصرة القضية الإسلامية ، حيث كان العمل الدعوي في الأيام السابقة يعتني بالبنية الأساسية للدعوة ولبناء الدعاة ولتربيتهم وتثقيفهم بالفكر الإسلامي وبتعميق إيمانهم ، وقد أكملنا هذا الأمر بحمد الله ﷻ ، فلنا دعاة منتشرون في كل مكان من أماكن العراق ، ولنا قادة ، ولنا فكرٌ مدون ، ولنا تجارب تراكمت ، ثمَّ في الناس سعة ولابدَّ أنْ نضيف كل خيرٍ مهما ضمر في نفوس الناس إلى بعضهِ لتتكون حقيقة خيرية كبيرة تسند هذه القضية وهي قضية: الدعوة الإسلامية في العراق ، **وعلى ذلك فإنهُ لا يصح الحياد اليوم ، وليس لأحدٍ من عذرٍ من المسلمين الواعين أنْ يتخلف عن المسيرة ، وأنْ يكل الأمر إلى غيرهِ أو يلتمس العذر لنفسهِ ، بل الجميع في هذه الساحة في عملٍ لنصرة هذه القضية** ، لا يقل أحدٌ : ماذا افعل أنا ولستُ بالعالم الشرعي ؟

أو : ماذا أفعل ولستُ بالبطل الشجاع الذي تذكر جرأتهُ وشجاعته ؟ أو: ماذا أفعل أنا ولستُ بالمتمول الذي يمد القضية بمالهِ ؟ كلا ، بل في كل مسلم خير ، وعلى كل مسلم أنْ يحدث نفسهُ أنْ يقدم شيئاً ، وعلى الدعاة أنْ يكونوا أهل سعة صدر لاستقبال هذه الطاقات وتوظيفها فعلاً ، فالشجاعة القليلة مع الشجاعة القليلة إلى ألف جزء تكون شجاعة عظيمة تهزم عنترة وغيره ممن هو موجود في الساحة اليوم ، وتلك هي معجزة الكتلة حين تتكتل ، وهو حال الكتلة الإسلامية حين تكتشف طريق العمل فتكون سيلاً هادراً من الخير ، وأنا أسمعُ أنَّ البعض يقول: **إننا مستضعفون وغيرنا قد نظَّمَ نفسهُ ، وهناك احتمال للعدوان علينا ، وهناك .. وهناك .. كلا ، أنا لا أرى ذلك الأمر ، كلنا نستطيع أنْ نولد هذه الشجاعة الجماعية بالموقف الجماعي ، وكلنا نستطيع أنْ نجمع هذه الطاقات ، وفيكم البركة بحمد الله** ﷻ .

▫ الحقيقة الخامسة ... أننا نعمل ببركة الله ﷻ

لو كنا نعمل بالموازين الرياضية (١+١=٢) لربما نالنا الإحباط ، ولكنَّ الله ﷻ يطرح البركة في العمل ، والبركة خَلقٌ خفي من مخلوقات الله ﷻ ، يجعل القليل كثيراً ، والضعيف قوياً ، ويعود بالمنسحب إلى التقدم ، ويقذف في قلب المتردد الإقدام ، فالبركة منَ الله ﷻ هي الأصلُ في عملنا ، وهكذا نؤمر أنْ نعمق إيماننا ، أنْ نواصل توجهنا إلى المحراب ، أنْ نواصل نظرنا في القرآن الكريم ، أنْ نتربّى بالتربية الإيمانية ، لأنَّ هذه البركة لا تَتنزَل إلا على قومٍ مؤمنين .

هذه المسألة - أيها الأخوة - من المسائل التي نعظ بها أنفسنا ، وينبغي أنْ نثق بالله ﷻ ، أنهُ هو ناصر المؤمنين ، وأنهُ هو الذي يضاعف الجهود ، وقصص المسلمين كثيرة ، وناهيك بمعركة " **ملاذ كرد** " بقيادة " **ألب أرسلان السلجوقي** " الحاكم العادل - رحمة الله عليه - يوم جاءت جيوش النصارى وقابلتهُ في الأراضي الإيرانية قرب همدان ، وكان تعداد المسلمين أقل من اثني عشر ألف مسلم ، وأولئك أكثر منْ ستمائة ألف ، معنى ذلك: الواحد بخمسين ، لكنهُ فكَّر

واستعمل الحيل وحقائق علم النفس حتى اكتشفها بإيمانهِ فقال: (**لو كـان الأمـرُ بالمواجهة وبالميمنة والميسرة لا نستطيع أنْ نتوغل وننتصر ، ولكنْ تعالوا نـستثمر ما نعلمه عن هؤلاء ، أما نحنُ كقـوم مـسلمين فـصلتنا بـالله ﷻ ، وكـل مـسلم مربوط بعقيدتهِ ويؤول المصيبة والمحنة تأويلاً خيرياً ، أنَّ الله يمتحنهُ ثمَّ هو ناصرهُ ، إذا أثبت جدارة ، ولكنَّ هؤلاء النصارى إنما يرتبطون بملوكهم وسادتهم ولـيس لهم مبدأ ولا ثقة بالله ، فإذا استطعنا أنْ نأسر الملك أو نقتلهُ ، فلا شـأن لهـم**) ، قال: (**فنتقدم كتلة واحدة على خيمة الملك**) ، وبالفعـل نجحـت خطتـهُ وتقـدم جنود المسلمين إلى خيمة الملك فأسروهُ ، فشاع بين جنود النصارى أنَّ الملـك قـدْ قُتل ، وولوا الأدبار وغـنم المـسلمون ســلاحهم وأمـوالهم بمئـات الألـوف مـن الأعداد ، فكانَ نصراً مؤزراً أعاد إلى الأذهان أيام الفتوحـات الإسـلامية الأولى ، وكان العدد الواحد بخمسين فقط ، لذلك نقول - أيهـا الأخـوة - هـذه قـصص واقعية تشهدُ أنَّ البركة من الله وهي التي عليها المعول ، لا نقاتل بقوتنا ولا بحولنا ولا بعلمنا ، بل بما علمنا الله ، بل بما ييسره الله لنا ، بل ببركة الله الـتي تـضاعف لنا قوتنا .

▫ الحقيقة السادسة ... الثورة الفكرية الإسلامية العالمية

حدثت هذه الثورة الفكرية خلال الثلاثين سـنة الأخـيرة ، وحُـرمَ منهـا أهـل العراق ، ألفت مؤلفات لأعلام المسلمين الكبار من العلمـاء وأسـاتذة الجامعـات وانتشرت ، وحُرم منها العراق بحكم الظلم الذي رأينـاه ، هذا الكـم الهائـل مـن الفكر الإسلامي ينبغي أنْ نقتبسهُ وانْ نستحضرهُ هنا وأنْ نعيد طباعة كتبـه ، وأنْ ننشرهُ بين الناس الآن ، الناس عطـشى ومنفــصلة عـن التطـور الفكـري الـذي حدث في العالم الإسلامي ، هذه ثروة هائلة تهدى لنا مجانـاً اليـوم ، هـذه الثـروة ستهدي أهل العراق وشباب الدعوة .

من أوجب الواجبات علينا أنْ نوجد دوراً للنشر ، وأنْ نوجـد المطـابع لتطبـع وتبشر أهل العراق بهذه الثروة العظيمة ، والتي يظاهرها كمٌ تجريبي هائـل جربتـه

الحركات الإسلامية في العالم أجمع ، نحنُ نعلم أنَّ المد الإسلامي والصحوة الإسلامية قد انتشرت في سنوات السبعينات - بحمد الله - وإلى الآن انتشاراً واسعاً ، أنا كنتُ اصلي في هذا المسجد* قبل أكثر من خمسين سنة ، أقود عجوزاً من أهل بيتي إلى مصلى النساء يوم الجمعة ، والله ما كنتُ أرى أحداً من الشباب إلا قلة من شباب الدعوة في ذلك اليوم ، وهذا منظر تكرر في أكثر الأماكن ، ثمَّ كثر الشباب تدريجاً حتى صارت الصحوة الإسلامية العارمة كالسيل الهادر في كل مكان - بحمد الله - ، وانتقلت هذه الصحوة برغم الأسوار والاستبداد إلى أرض العراق ، حتى في أرض كردستان التي شاع فيها الفكر القومي ، اليوم هناك عشرات الألوف من الشباب الكردي المسلم الذي يدعو إلى التآخي ، وهذا شيء جديد في العراق وينبغي أنْ يستثمر ، وينبغي أن نقتبس لهُ هذا الكم التجريبي الهائل الذي في البلاد الأخرى ، ونحنُ رواته الذين بعثتمونا لنخبر الخبر الذي عندهم ، ونحنُ على استعداد لرواية هذا التجريب وتوظيفه لخدمة القضية العراقية- بإذن الله - ، ثمَّ هذه الكتب الكثيرة والعناوين التي ستهدي شباب الصحوة الإسلامية في العراق ، لذلك أقول: **إنَّ أمام شباب الصحوة الإسلامية في العراق فرصة لمضاعفة علمهم ولتكميل وعيهم عنْ طريق اقتباس هذا الهدي الشائع بواسطة هذه الحركة الفكرية الإسلامية العالمية .**

▫ الحقيقة السابعة ... الابتعاد عن العمل الارتجالي

المنهجية اليوم هي ديدن كل السياسات وكل رجال العمل الجاد ، إنْ لم تكن عندنا المنهجية التامة في العمل لا نستطيع أنْ ننافس الآخرين ، ذهب عصر الارتجال ، ذهب عصر الفوضى ، ينبغي أنْ نتقدم على بينة من الأمر ، ومن هذه البينة:التربية الدقيقة ، والاختيار الناجح للرجال ، وتقسيمهم إلى طبقات ، واتخاذ الخطط الإستراتيجية بعيدة المدى والمرحلية ، وأنْ يكون الأمر على تدرج واضح وليس بقفز المراحل .

---

* أي مسجد أبي حنيفة .

وأروي لكم حكمةً لخليفة عباسي: قيل لهُ في يومٍ من الأيام وقد جاءتهُ رسالة الوالي من خراسان أنَّ هناك ثورة في خراسان ، قام خمسون من العصاة بهذه الثورة ، فاسترجع وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله ، استعظم المسألة وقال : (**اكتبوا للوالي يقول لنا ما هنالك**) ، فجاءه الخبر بعد أسبوع أنَّ هؤلاء الذين كانوا في حدود الخمسين صاروا في حدود الخمسمائة ، فقال : (**لا حول ولا قوة إلا بالله ، الأمر كبير ويستفحل ، اكتبوا له**) ، فجاءه الخبر بعد أيام أنَّ هؤلاء الخمسمائة صاروا في حدود الخمسة آلاف ، فقال:(**الحمد لله رب العالمين**) ، فاستغرب الوزير : (**كيف أنك تحمد الله أنْ يكونوا خمسة آلاف ، وتسترجع لمَّا كانوا خمسين ؟**) ، قال : (**نعم ، لما كانوا خمسين قلتُ : لعلهم كانوا على شيءٍ وقلبٍ واحد ، ولما صاروا خمسمائة قلتُ : لعلهم نادوا ودعوا من هم على شاكلتهم ، أما أنْ يكونوا في أسبوعين خمسة آلاف فدليل على أنهم اجتمعوا على لا شيء وبلا وعي ، ولذلك فهذا الاجتماع على لا شيء لا يخيف**) .

هذه القصة أيها الأخوة فيها موعظةٌ بليغة ، أننا حين نعمل وحين نتنادى يجب أنْ نختار الأكفأ والأشجع والأعلم ، ومن عنده طرف من العلوم المفيدة التي يضيف منها شيئاً إلى المسيرة ، نعم نحنُ نتوجه إلى عامة المسلمين نريدُ أصواتهم ، نريدُ خيرهم ، ولكنَّ حمل الأمانة لا يكونُ إلا منْ قومٍ أشداء ، وهذا الأمر لا يأتي بعفوية ، ولا يأتي من خلال القفزات ، إنما يأتي من خلال السير الموزون ، موعظة شاخصة لنا ينبغي أنْ نعظ أنفسنا بها .

▫ الحقيقة الثامنة ... عالمية القضية العراقية

قضيتنا لم تعد محلية ، وعلينا أنْ نعرف أنَّ القدم الأمريكية التي صارت اليوم في العراق يرادُ لها أنْ تكون رأس جسرٍ إلى البلاد الأخرى ، وليس هذا بالتخمين وإنما هو قول الساسة الأميركان ... ولذلك فإنَّ كل العالم الإسلامي اليوم في وجل من مجابهة تيار علماني فيه مما فيه من السيئات ، لما يعلمونه من هذا التجاوز الذي سيكون ... فالعراق هو أول ضحية في الطريق ، ولذلك ردة الفعل

في العالم الإسلامي عظيمة ، بل وقد أيقظتها المظالم السابقة ، وأصبح كل مسلم في الأرض يشعر بأنَّ العراق استهدف لأنه بلد الحضارة وبلد الأصالة والنجابة ، هذا الحصار الطويل الذي عاش فيه أهل العراق إنما كان بتخطيط يهودي فرضه اليهود على أمريكا لصالحهم ، إنهم عرفوا ما في العراق من طاقة ويخافون من العراق ، ومن هنا دبروا له هذا الأمر وقالوا : نطيل الحصار حتى يكون المرض المنغولي بأهل العراق نتيجة نقصان الفيتامينات بصورة كبيرة ، وكادوا أنْ ينجحوا لولا أنَّ الله ﷻ أنقذ أهل العراق بالتمر الذي هو غذاء كامل ، ما إنْ يأكل العراقي بضع تمرات في الأسبوع – وليس في كل يوم – إلا وتكون لهُ وقاية من هذا المرض ، وهذا الأمر بقدر الله كان ، أما التخطيط اليهودي فقد أراد ذلك .

من هنا – أيها الأخوة – المسلمون كلهم استشعروا هذه القضية ، وصارت قضية العراق قضية عالمية ، وعلى ذلك ينبغي أنْ نمد أيدينا إلى خارج العراق ، نصافح كل حرٍ من المسلمين ، نؤاخي كلّ مفكر في العالم الإسلامي ، ونؤاخي علماء المسلمين وقادة الحركات الإسلامية ليهتموا بأمرنا ويفكروا بهمومنا ، وليكونوا على مثل خطتنا ، فنستطيع أنْ نحشد لقضية العراق اليوم كل طاقات المسلمين ، ولسنا وحدنا في الميدان ... أقول هذا وقد جبتُ البلاد ، وشافهتُ الكثيرين في العالم الإسلامي ، وإنما أقول قولي عن خبرة وعن شيءٍ مؤكد ، ومن هنا فيجب أنْ ننقل قضيتنا من الحدود المحلية العراقية إلى الحدود العالمية ، وحتى خارج العالم الإسلامي: في أوربا وغيرها ، حيث هناك أحزاب الخضر ، وهناك بعض الأحزاب الليبرالية ، وبعض أهل الفكر الحر ، ينتصرون للقضية العراقية ، وقد رأيتم بأنفسكم من خلال الفضائيات تلك المظاهرات المليونية الكبيرة ، ورأيتم التصريحات التي قالها أولئك الغربيون ، ربما هي أفصح مما نقوله في مجال حريات الإنسان وفي مجال كشف السياسة العالمية والعولمة وما إلى ذلك .

▫ الحقيقة التاسعة ... المكانة القيادية للعراق

وذلك على مستوى العالم الإسلامي ، والتي ينبغي أنْ لا نغفل عنها ، فإننا يقتدي بنا الكثرة من الأمم الإسلامية ، وهذا ليس ببدعة ، فالعراق بلد الخلافة العباسية ، وبغداد هي عاصمة الإسلام ، واستمر هذا النمط إلى هذا اليوم .. أنا كنتُ أقول في بعض البلاد الناشئة من بلاد النفط وغيرها ، فيهم أهل خير نعم ، ولكن هل بلغت عندهم تراثياتهم ما بلغ فيه أهل العراق .. إننا اليوم حتى القبور تربينا وتقذف في قلوبنا بعض المعاني ، نحنُ نمشي وهذا قبر أبي حنيفة النعمان بن ثابت ﷺ ، ذلك العالم الجهبذ ، فنتذكر أنَّ هناك من العلماء الكبار الذين هدى الله بهم الأمة ، نمشي قليلاً ونرى قبر الجنيد البغدادي ، وقبر معروف الكرخي ، وتربيتهم وإصلاحهم للقلوب ، نمشي قليلاً ونرى قبر أبي يوسف ﷺ ، نرى قبر عبد القادر الكيلاني ، وقبر القدوري - أحد أئمة الحنفية - ، وقبر الدارقطني ... فحتى القبور تعظنا نحنُ أهل العراق ، ثمَّ هذه جدران المستنصرية وجدران النظامية في سوق السراجين ، والتي تعظنا وتقول لنا : هذه حضارتكم ، هذا عطاء أجدادكم .

العراق - أيها الأخوة - بلد حضاري تراكمت فيه مكونات معنوية كثيرة تجعل كل أجيال العراق حتى اليوم أجيالاً معطاءة ... ثقوا أنَّ كل الأمة الإسلامية تنظر إلى أنَّ العراق في مكانة قيادية يقود بقية الأمة ، كيف وأنَّ الدعوة الإسلامية في العراق بصبرها على اللأواء ، بإثباتها عفافها ، وأنها لم ترضخ لظالم يريد خنوعها فأبت واستعلت ، كيف بهذه الدعوة أنها تقود أهل العراق وتنادي بالحق بفخر ، لم يسجل عليها موقف واحد يمكن أنْ تعاتب عليه ... لُذنا بالعفاف بحمد الله ، وخرجنا من المحنة أطهاراً .

من هنا فإنَّ الدعوة الإسلامية في العراق اليوم تتبوأ مكانة قيادية ، فعلينا أنْ نفهم أنفسنا ولا نبخس حقيقتها ، وعلى ذلك فنحنُ نكلف بالمهمة الثقيلة ، لا مهمة إصلاح لهذا المحل فقط ، بل مهمة إصلاح الأمة أيضاً ، ولا نبخس أهل

الأقطار الأخرى حقوقهم ، ولكنَّ الله يرفع بالعلم والبذل أناساً ، وفي العالم الإسلامي رجالٌ فيهم البركة ، ولكننا نقول: أننا ورثنا هذا الكم التجريبي في العراق ، وهذه المعنوية الممتدة من عصرنا هذا إلى عصر أبي حنيفة ، وما بين هذين العصرين من أجيال كثيرة فيها من أهل البذل والخير والجهاد .

□ الحقيقة العاشرة ... ارتباط القضية العراقية بالقضية الفلسطينية

وهذا قدر من الله تعالى ، نعم كل العالم الإسلامي معنيٌ بالقضية الفلسطينية ، ولكن خصص أهل العراق بذلك ، وهو قدر مكتوب في التلمود وعيتهُ منذ كان عمري عشر سنوات .. فأنتم تعلمون أنَّ اليهود كانوا يساكنوننا ببغداد ، والكنيس اليهودي هنا بعد " البصيرة " بقليل على الشاطئ ، فكانت لنا جارة يهودية عجوز ، ويوم قيام إسرائيل وأنا عمري عشر سنوات آنذاك ، أخذت هذه العجوز تولول وتبكي وتقول: ذبحنا ، قُتلنا ، فقالت لها أمي:كيف ؟ أنتم اليوم تفرحون ، نحنُ الذين نذبح؟ فقالت: **لا ، هؤلاء لا يعرفون ، فهذا الجيل من اليهود ملاحدة لا يعرفون التلمود ولا يقرؤونه ، ففي التلمود: أننا سنقيم إسرائيل ، وبعد (٧٦) سنة ستأتون وتذبحوننا وتكون نهاية اليهود .**

هذا مكتوب في تلمودهم ، ولم اكن أفقه لماذا الـ (٧٦) سنة ؟ قيل: إنَّ اليهود يؤرخون أمورهم العظيمة من خلال دورة مذنب هالي التي دورتها (٧٦)سنة ، وهم يؤرخون مثلنا بالقمري ، فتكون بالشمسي(٧٤)سنة ، لذلك هناك دراسات تقول بأنهُ في سنة(٢٠٢٢م) ستكون المعركة الفاصلة بيننا وبين هؤلاء اليهود ، وبإذن الله يكون النصر ... وهناك من يقرب الأمر أكثر ، ولكن أقول: **إنَّ الدلائل والعلامات والقرائن تشير إلى ذلك ، فالدعوة الإسلامية اليوم في كثير من البلاد قد تقدمت ، ويؤذن لها أنْ تكون في الحكم بعد سنوات ، فإذا كانت فيمكن أنْ تعد الجيش الذي يحرر فلسطين .**

من هنا أقول: إنَّ ارتباط القضية العراقية بالقضية الفلسطينية ارتباط قدري حتمي لا بدّ منهُ ، ومكتوب في التلمود أنهُ كما كان " نبوخذ نُصَّر " قد خرَّب

مملكتهم في الـزمن القـديم ، سـيكون خـروج الجـيش الـذي سـيخرب إسـرائيل المعاصرة من بلاد بابل أيضاً ، وهذا الأمر يعرفهُ اليهود جيداً ، ولذلك هم في هذه الحمى المسعورة لتحطيم العراق ، أمريكا ما جاءت إلى هذا البلـد ليكـون الـنفط بيدها كما تقول أكثر التحليلات ... نعم ، هو هدف لكنهُ هدف ثانٍ ، إنما جاءت لتحطيم الجيش العراقي ، وتحطيم معنويات أهل العراق ، لكي تمنع أهل العـراق من أنْ يعـدّوا أنفسهم لتحرير فلسطين ، فإذن كانت هذه نبوءة القدماء من هؤلاء اليهود والتي هي ربما من بقايا الدين الـصادق الـذي بلغـوا بـهِ ، إذ لم يـزور كـل دينهم ، والقرائن تدل على ذلك ودراسات العلماء تبشر بقرب التحرير .. بـإذن الله تعالى ❑❑❑

□□ يَشهدُ موسمُ حلول الاستعمار الأمريكي في أرض العراق تصاعداً في عواطفي " العراقية " كأي عراقيٍ أصيل يحسُ بالغبنِ والتحدي والعدوانِ عليه فينتفضُ ، وهي خَصلةٌ إيجابيةٌ في أهلِ العراق ، ولكنها تأتي عندي مضاعفة وتُخرجُني إلى زمجرة ، بما كشفَ المؤرخ العباسّيُ ابن الساعي البغدادي من وقوفِ أجدادي من بني عِز موقفَ الدفاع عن بغداد والاستعدادِ لِفداء دار الخلافةِ ، ثم بما سمعتهُ من المعمرينَ الذين أدركتهم من عشيرتي من وقوف بني عِز في وجه هولاكو وفنائهم في ذلك اليوم المشؤوم ، حتى أعادَ جدي " شهابي " نسَلَ قبيلتي العُبادية المضرية فيما زَعمَ ابن الساعي ، أو العلوية فيما ذكر صاحبُ كتاب " **عُمدة الطالب في أنساب آل بني طالب** " من أنَ جَدنا كان شريفاً سيداً علوياً يُلقبُ بالعِزّي ، وعُرفت ذريتهُ ببني العِزّي ، فأنا بأحد هذين الإرثينِ والشرفينِ أتحركُ اليوم دفاعاً عن بغداد وأتحرقُ على حال العراق حُرَقةً ستخرُجني في كلامي هذا إلى صراحةٍ مع قومي ليست تبرأ من قسوةٍ وتبكيتٍ ، لكنها ضروريةٌ لِمن يريدُ إصلاحَ العراقِ وترميمهُ والاستدراك بالبناء على الهدمِ الذي حصل والذي كان سبباً لإغراءِ المستعمر بالغزوِ ، بل بجعلِ احتلال العراق مقدمةً لاستعمار الأمة الإسلامية كُلهَا ، وهو توجسٌ نشاهد دلائِلهُ الآن مما يجري من ضغطٍ على العربِ لإمضاء الصُلحِ مع إسرائيل يرتبطُ بمحاولاتِ تقسيم إندونيسيا إلى دويلاتٍ و جعلها فُتاتاً ، مروراً بإرهاصاتٍ تنذرُ بقُربِ تدمير البنية العسكرية النووية الباكستانية بعدما ورّط "برويز مشرّف "نفسه ورطةً ليس لها من مخرج .. حُرقتي هذه تخولني أن أهجُمَ على بعض أهل العراقِ بشعارٍ ذكر " **وهَبُ بنُ منبه** " أنهُ مما أوحاهُ الله إلى موسى أنْ : (**علّم الجُهال الآئي**) [1] .

---

(١) البداية والنهاية ٩/ ٣١٣ .

فنعمة الله محيطة بالعراق ، وهو في حضنها ، والأنهار تجري من تحت المختلفين والمتبطرين ، ولكن الـجُهَّال لا يشكرون ، وهو تبكيتٌ موصـولٌ بموعظةٍ فاهَ بهـا الحسنُ البصري واصفاً ما هنالك من بطرٍ وغفـلةٍ عن الإصلاح ، فقـال :(**تـرى أبداناً ولا قلوباً وتسمع الصـوتَ ولا أنيس**)[٢] .

وهموم الرجل منهم لا تتعـدى أنْ :(**إذا كهضته البِطنة قال :يا جارية ، أو يا غلام : إيتني بهاضِم ، وهل هضمتَ يا مسكين إلا دينك؟**) .

فالغفلاتُ ما زالت مستمرة ، ويطلب أحدُنا علبـة " الببـسي كـولا " الأمريكيـة ليهضم ما ثقـُلَ في بطنهِ ، وهل يهضمُ المسكين منا إلا حميتهُ الجهادية وإحساسات الاستدراك السياسي على الحالِ المتردي الهابط بتعجيل ؟!

وإذا أرادَ العراقيُ أن يسلَمَ من سلاطةِ لسان الواعظين هذه فإن أقـربَ طريـقٍ لهُ أن يعفيهم من مهمتهم الوعظية التي يعبدون الله بها ، ويـُحيلُ الأمرَ إلى نفـسه مباشرةً وينصّبُ من نفسهِ مـعلماً لذاتهِ ، على مذهب الحسن البـصري أيـضاً لّمـا قالَ : (**أقذِعوا هذه الأنفس ، فإنها تنـزعُ إلى شرِ غاية**) .

وذلك من الإقذاع ، أي الذم والتبكيت وإبداء اللوم والتقريـع ، فالنفسُ حـين يحكمها استعمارٌ أمريكي يُلـّوحُ بالدولار ربما تستروحهُ وتطمعُ وتـتركُ المفاصـلة وتطلب التعايشَ وتدعُ الجهادَ ، فيكونُ واجب النـقد الـذاتي في هـذه الحالـة هـو كثرةُ الإقذاعِ والتعيير ، وانتشالُ النفسِ مـن وهـدةٍ في الطريـق ، والعـزوفُ عـن أصواتٍ نشازٍ في الأدب السياسي المعاصر لا تنطلـق مـن رؤيـة شـرعيةٍ أو نيّـات دينية ، بل ولا من فلسفةٍ علمانيةٍ ، وإنما من تبعيةٍ وخيانة .

وبداية التفكير السليم المنسجم مع قواعد الدعوة الإسلامية وموازينهـا تكمـنُ في موعظةٍ بليغة من مواعظ التابعي " **وهبِ بنِ منبه** " فيــها أوصافٌ تعينُ كلَ مـن يريد أن يفهم القضية العراقية المعاصرة من منظور إسلامي وتجعله صحيح التأمل في أسبابها وعلاجها الإيماني .

---

(٢) البداية والنهاية ٩/ ٢٨٣ .

يقول في أولها :(**لم أرَ كاليوم ضلٌ مع نوره مُتحيِّرٌ داعٍ لمداواة سليم**) .

فالكل يضع حلولاً ، كل حزب وكل مفكر وسياسي ، والعراق اللديغ يتلوى ، ولكنَّ الحلول تنأى عن صواب منسوب إلى الشرع هو منها قريب ، وليس غير الأحزاب الإسلامية تنصح بذلك .

ثم قال :(**إنما الصبر عند المصيبة ، وأعظم من المصيبة سوء الخُلُق منها**) .

فمصيبة العراق كبيرة ، نعم ، لكن ما هو أكبر منها أنَّ أهل العراق لا يصبرون على ثقل أسبابٍ إصلاحيةٍ تدفعها وتجليها ، ويريدون حلاً خفيفاً بلا دفع ثمنٍ ولا إرهاق .

ثم قال : (**أي أيام الدهر تَرتجي ؟ يوم يجيء في عَتَمٍ أو يوم تستأخرُ عاقبته عن أوان مجيئه ؟**) .

وما أكثر العتمات في تاريخ العراق القريب ، وكأن أهله اعتادوها ، فإذا جاءت مرحلة عوجاء يريد الله أن يؤجل المجازاة عنها بقلق وسواد وتعكير :ظنّوا أن في فسحة التأخير دليل انفراج ، وإنما هي نذارة لعل عاقلاً يتوب .

ثم استطرد واعظاً فقال :

(**أمس : شاهد عليك مقبول ، وأمين مؤدٍ وحكيم مؤدِّب ، قد فجعك بنفسه ، وخلّف فيك حكمته .**

واليوم : صديقٌ مودع كان طويل الغيبة عنك وهو سريع الظعن) .

قال : (**فاشفعه بمثله : أوثق لك باجتماع شهادتهما عليك**) .

فتواريخ "تموز" والسحل شاهد صدق ، وتخبطات "شباط" رواية أمينة ، وأحزان الحروب البلهاء تأديب ، وكلها تنطق بحكمة ، وفي خطط تسليط الغوغاء اليوم تكميل ، وفي الاغتيالات والسرقات والانتقامات دروس أخرى ، وقد اجتمعت شهادتان على أهل العراق ، ماضية ومعاصرة جديدة ، ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون .

ثم قال وهب:(**إنما الشيء من مثله ، وقد مضت قبلنا أصولٌ نحن فروعها**) .

ثم يأتي اليوم من يجدد رفع عنوان حزب قديم سام الناس العـذاب ، وأصـبح يوم الغوغائي فرع من أصله المشين .

وختم فقال : (**ألا وإنما العواري اليوم و الهنّات غداً ، ألا وأنه قد تقارب منا سلبٌ فاحشٌ أو عطاء جزيل ، فاصلحوا ما تقدمون عليه**) (٣) .

فالحلول المستوردة المـستعارة مـن " أميركـا " لـن تعـدو قـدرها أن تكـون مثـل السابقات ، وسيتضح عوارها غداً ، ونحن أمام فرصتين : إمـا الاسـتلاب ونهـب بقية العراق وتخريبه ، وإمـا عطـاء جزيـل يعـد بـه المـشروع الحـضاري **للحـزب الإسلامي العراقي** ، فلينظر نبلاء العراق وأهل الإيمان فيه أي الوعدين أليق بهـم وأجدر .

أما أهل العقل والأوبة والتوبة فإنهم لا يحارون جواباً لهذا السـؤال ، وواضـحٌ عندهم أن الأليقَ يكـمنُ في ميزانٍ إيماني لا يأتيهِ الباطـلُ مـن بـين يديـهِ ولا مـنْ خلفهِ ، عنوانهُ الثقةُ بالله وحُسنُ الظنِ بلطفـهِ وفـضلهِ وإجابتـهِ للـهوفٍ يريـدُ أن يُبصِرَ ضوء نافذةِ المخرجِ حين تتسلط العتمات الدائرات المغلقات ، على مـذهب التابعي بلال بن سعدٍ لـمّا قال :

(**إن الله ليس إلى عذابكم بالسريع ، يقبل المقبل ، ويدعو المدبر**) .

وعلى أهل العراق أن يعلموا هـذه الرحمـة الربانيـة ، فقـد عذبهــم بـالحروب والحصار والحاكم الظالم ، وليس هو إلى زيـادة عــذابهم بـسريع ، مــا دام فـيهم مُقبل ينتظم في صفوف الدعوة الإسلامية ويتوب ويمشي إلى المساجد .

فإنْ أصرَّ جاهلٌ ومغرورٌ ومحتكرٌ للحق الـسياسي وأدبـروا : قـذف في قلـوب دعاة الإسلام محبة أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

ومثل هذا الاحتكار إنما هو إرثُ سوء ورثناهُ عن المرحلةِ السابقةِ الـتي مـلأت بلاد الرافدين ظلمـاً فحـصل الاعوجـاج ، وكانـت البدايـةُ مجـرد نيّــةٍ فاسـدةٍ ، أوصلت إلى نهايةٍ فيها فقرٌ وذُل ونتائج حالكات ، شرَحَ مثلـها " وهب بـنُ منبـه "

---

(٣) البداية والنهاية ٩/٢٩٤ .

يوم قال :(**إذا هَمّ الوالي بالجور ، أو عمل به : دخل النقص على أهل مملكته ، وقلّت البركات في التجارات والزراعات والضروع والمواشي ، ودخل المَحْقُ في ذلك ، وأدخلَ الله عليه الذل في ذاته ، وفي ملكه**)[٤] .

ولو أطلنا التأمل في تاريخ العراق المعاصر وأتينا بتحليل للمرحلة الصدّامية لتبين لنا بوضوح أن والينا الجائر قد خطط لمرحلة ظلمه طويلاً وهمّ به همّاً من يوم جمعه الرئيس " عبد الناصر " سنة١٩٦٤م بـ" بوش " الأب رئيس المخابرات الأمريكية حينها ، ثم عمل به ونفذه ثلاثة عقود ، فدخل النقص على أهل العراق ، وارتفعت البركة ، بل أصاب الاقتصادَ العراقي المَحقُ ، وهل من مَحْقٍ أشدُ اجتثاثاً للثروة من هبوط قيمة النقد العراقي عشرة آلاف مثل ، فقد كان الدينار يصرف بأكثر من ثلاثة دولارات ، فأصبح الدولار بألفين ، وهذا يعني أن من كان يملك ثروة ضمرت ثروته إلى واحد من عشرة آلاف مما كانت عليه ، ثم ادخل الله على "صدام " الذل في ذاته ، فهرب ولم ينتحر مثلاً ، وشمل الذل مملكته ، فتسرح جيشه ، وتبعثرت حكومته ، وتشتت حزبه ، وأهل العراق ينظرون ولا يتعظون ، ويأتي خلف يريد أنْ يكرر القصص ، لذلك يحق لنا أن نصدم هذا الخلف الواهم الذي لا ينتهي بنواهي الميدان والمرحلة والأمس الذاهب القريب، ونقولَ لهُ إنه مما أوحى الله لموسى، فيما ذكر "وهب بن منبه " أنْ:

(**قل لعبادي : لا يتمادوا في غيّ ما همُ فيه ، فإنّ أخذي أليمٌ شديد**)[٥].

فالله غفور ، يتجاوز عن صاحب عثرة نادرة ، وعن أول خطوة في طريق التعسف ، ولكنّ الشأنَ شأنُ التمادي والتكرار ، فإنَّ الله يكيد آنذاك فوق كيد الذين يجنحون لإصرار ، ولابدَّ أن نقول اليوم إن أهل العراق قد تمادوا في غيّ الابتعاد عن حكم الشرع ، ونخاف عليهم عذاباً ربانياً أشد من عذاب السحل والشنق والاغتيال والسطو المسلّح ، ومن علاماته أنه يلبسهم شيعاً كل حزبٍ بما

---

(٤) البداية والنهاية ٩/ ٣١٣ .

(٥) البداية والنهاية ٩/ ٣١٣ .

لديهم يفرحون ، وفي إحلال الاخوّة المخرج ، وفي التعاون والتغافر وكبت الغوغاء ، ليس إلاّ .

وإنما تتصاعدُ حماستُنا على هذه الوتيرة ونخوّل أنفسنا الإغلاظ في القول : لحرصنا على بغداد عاصمة الإسلام ، واستحضارنا لخلجات قلب المنصور يومَ **(سار في الأرض حتى بلغ الجزيرة فلم يرَ موضعاً أحسن لوضع المدينة من موضع بغداد الذي هي فيه الآن ، وذلك بأنه موضع يُغدى إليه ويراح بخيراتِ ما حوله في البر والبحرِ ، وهو محصنٌ بدجلة والفرات)** .. **(ورأى طيبة تلك البقعةِ وطيب هوائها)** .. **(ثم كان هو أول من وضع لبنة فيها بيدهِ وقال : بسم الله والحمدُ لله ، والأرض لله يورثها من يشاءُ من عبادهِ والعاقبةُ للمتقين ، ثم قال : ابنوا على بركة الله)** .

وبموازاة ذلك نجري مع العواطفِ الخيرية والأنفاس الزكية لإمام الأئمة وفقيه الأمُة أبي حنيفة النعمان بن ثابت - رحِمهُ الله - حين استدعاه المنصور **(فولاهُ القيام بأمر المدينة وضرب اللَبن ، وأخذ الرجال بالعملِ ، فتولى ذلك حتى فرغوا من استتمامِ حائط المدينة مما يلي الخندق)** وعمُرت بغداد ورخصت حتى كان **(يُنادى على لحم الغنم كل ستين رطلاً بدرهم ، ولحم البقر كل تسعين رطلاً بدرهم ، والتمر كل ستين رطلاً بدرهم ، والزيت ستة عشر رطلاً بدرهم ، والسمن ثمانية أرطال بدرهم ، والعسل عشرة أرطال بدرهم .. ولهذا الأمن والرخص كثُر ساكنوها وعظُم أهلها وكثر الدارجُ في أسواقها وأزقّتها ، حتى كان المار لا يستطيع أن يجتاز في أسواقها لكثرة زُحام أهلها)** ، وظلّت بغداد تتوسع وصارت البؤرةَ والمركز **(وعدِة حماماتها ستون ألف حمّام وأقل ما في كل حمّام منها خمسة نفر ، حمّامي وقيّم وزبال ووقّاد وسقّاء ، وإنَّ بإزاءِ كل حمَّام خمسة مساجد ، فذلك ثلاثمائة ألف مسجد ، وأقل ما يكون في كل مسجد خمسة نفر ، يعني إماماً وقيمّاً ومؤذناً ومأمومَين)** و **(لم يكن لبغداد نظيرٌ في الدنيا في جلالةِ قدرها ، وفخامة أمرها ، وكثرة علمائها وأعلامها)**.. **(وكثرة**

دورها ودروبها ومنازلها وشوارعها ومساجِدِها وحمّاماتها وخاناتها ، وطيبِ هوائها وعذوبة مائها وبردِ ظلالها واعتدال صيفها وشتائها ، وصحة ربيعها وخريفها).. وأرى في عدد الحمامات والمساجد مبالغة ، لكنها تدل على كثرتها .

لكنَّ النفس الإنسانية هي النفس فضُمَر الشكر في أهل بغداد ، وظهرت البِدع وكثُرَتْ الفِتن رغم وجود العصبة المؤمنة وبقية الخير وأهل النبل على مدى الأيام ، فبدأت العقوبةُ منذ ذلك الحين (**ولاسيما في أيامِ " هولاكو بن تولى بن جنكيزخان " التركي الذي وضع معالمها وقتل خليفتها وعالمها وخرّب دورها وهدم قصورها وأباد الخواصَ والعوامَ من أهلها**) .. (**ونهب الذراري والاصائل ، وأورثَ بها حزناً يُعَددُ به في المبكرات والاصائل ، وصيرها مُثلَةَ في الأقاليم ، وعبرةٍ لكل معتبر عليم ، وتذكرةٍ لكل ذي عقلٍ سليم ، وبُدِلَتْ بعد تلاوة القرآن بالنغمات والألحان ، وإنشاد الأشعار ، وكانَ وكان .. وبعد سماع الأحاديث النبوية بدرسِ الفلسفة اليونانية ، والمناهج الكلامية والتأويلات الـُقرمطية ، وبعد العلماء بالأطباء ، وبعد الخليفة العباسي بشّرِ الولاة من الأناسي ، وبعد الرياسة والنباهة بالخساسة والسفاهة وبعد الطلبة المشتغلين بالظلمة والعيّارين**) .. (**وما أصابهم ذلك إلا ببعض ذنوبهم " وما ربُّك بظلامٍ للعبيد " والتحول منها في هذه الأزمان لكثرةِ ما فيها من المنكرات الحسيّة والمعنوية ، وأكل الحشيشة**)[٦] .

ومخاوف الدُعاة هذا اليوم كثيرة في أن تستمر هذه العقوبة وتأتي في شكلٍ أمريكي جديد ، فإنَّ دروس القرآن ودورات التحفيظ يُرادُ لها أن تتحول إلى دروس ألحان ، بتهمةِ أداء القرآن إلى تربية إرهابية ، ونخاف أن تغزونا فلسفة الملحد الأمريكي " جون ديوي " اليهودي الأصل ومعلم الماديّة ، وحديث تبديل المناهج رائج والتأويلات لها موجٌ مائج ، ويوسّدُ الأمرُ إلى غير أهلهِ ، وبدأت الحشيشة تنتقلُ من أفغانستان عَبْرَ إيران ، ويوزعها على مراهقي العراق كُل

(٦) البداية والنهاية١٠/ ١٠٠-١٠٤ .

أسود من جنود الأمريكان ، ولهذا نـفزَع ، ولهذا نحزن ، ولقـسوة قلوبنـا فإننـا لا نبكي على حالنا .

لكنَّ الدعاة إذا لم يكونوا يبكون فإنهم يفزعون ويتخوفون ، وسبب خوفهم أنَّ كلَّ فاسقٍ قد أخذ يتطاولُ بعنقهِ ويرشّح نفسهُ ، فأقتنع الـُدعاةُ بقول ميمـون بـن مهران أنَّ (**الفاسق بمنزلة السّبُع فإذا كـُلمتَ فيه فخليتَ سبيله فقد خليتَ سبعاً على المسلمين**) [٧] .

وهذا هو سبب رصد الدعاة جهودهم لمحاربة الـُفسّاق ، فـُسّاق الأخـلاق ، أو فسّاق الاقتصاد ، أو فـسّاق الـسياسة ، لأنَّ الله وضـع الدُعـاة حُراسّـاً للأمـة وحُماة ، والمشاهدة الواقعية تكلمنا وتحـذرنا ، وعلينـا أن نـزاحم ولا نخلـي لهـم السبيل .. والذي منحنا البصيرة في ذلك إنما هو قياسُـنا الأمـورَ بمقيـاس الحـافظ ابن كثير وبملاحظاتهِ وتحليلاتهِ لأحوال أرهاط السياسة حين يقول متـابـعاً وصايا "وهب بن منبه" و"بلال بن سعد" : (**أنَّ القلوب قد امتلأت بحب الدنيا ، فلا يجد العلمُ فيها موضعاً ، فجالس مَن شئت منهم لتنظر مبادي مجالسهم وغاياتها ، ولا تستخفك البدوات ، فإنما الأمور بعواقبها وخواتيمها ونتائجهـا**) [٨] ... فلـيس لأكثر الأحزاب شاهد من العلم الشرعي أو المراد التنموي أو الـنهج الواقـعي ، وإنما عندها وعود وخُلـّب ، وحفلاتها التأسيسية سوق رائـج لمعـسول الكـلام ، وبداياتها تغري ، ولكن نتائج ممارساتها تفضح .

وفي هذا ما يرجعُـنا في الآخرِ إلى حكمة "وهب بن منبه" حـين يـوجزُ مواعظـه السابقة فيصوغ قراراً سياسياً لنا ومادةً في دستورنا المقترح أن :

(**من عُرفَ بالفجور والخديعة : لم يؤمَن إليه في المحنة**) [٩].

---

(٧) البداية و النهاية ٩/ ٣٣٠ .

(٨) البداية و النهاية ٩/ ٣٠٥ .

(٩) البداية و النهاية ٩/ ٣٠٩ .

والعراق في محنة صعبة ، من بين عيب داخلي وغزو خارجي ، لذلك يحتكر حق استنباط حلول المشكلة : المؤمن فقط ، التقي الوفي للدين ، المحتكم للشرع ، ونأبى أن نكون ضحية لإشارات حزب يمشي جَنباً ، ورهط متحلل لا يتوضأ ويبقى أبد دهره جُنباً ... أما نحن رجال (**الحزب الإسلامي العراقي**) وأمثالُنا من أهلِ الصلاة والعفافِ والفقه فنمشي بِطولنا وبكل قامتنا ، ندقُ على صدورنا ونفخر أننا سنقتحمُ المعترك ، ونحن لها ، على مذهب عبد الحميد الكاتب في رسائلهِ حين أوضحَ مغزى شفاعتهِ بين ذي كفاية ومحتاج ، فقال :

(رآك موضعاً لأمله ، ورآني أهلاً لحاجته) .

فالمفتون الشرعيون ، والمؤرخون ، ونقّاد السياسة ، وروّاد الإصلاح ، وعقلاء الرجال ، ونبلاء القبائل : يرون عراقهم عليلاً قد أثخنتهُ الجِراح من نِبال الاستبداد ، و(**الحزب الإسلامي العراقي**) عندهم هو موضع أمل هذا العراق ، بما للفرع من رؤية حضارية استمدها من الأصل ، وهو الكافي ، والمؤهل لسد حاجته المرحلية من الأمن ، والإستراتيجية ، من ترميم واستدراك وتنمية ، بما للموازين الإيمانية من سيطرة على فكره وسلوك قادته وأعضائه وطموحات خططه .

وواجبُ شعب العراق أن يميّز نوايا دُعاة الإسلام جيداً ، وأن يلحظ بذلهم للعراق وإخلاصهم لقضيته ، وإنما نعظهم بقول "وهب بن منبه " كرةً أخرى (ترك المكافأة من التطفيف) ، وهذا يعني أن ترك المكافأة يشملهُ حُكمُ " ويل للمطففين " ، ومن العدلِ والمروءة أن يشكر أهل العراق المُحسن الذي يتولى الإصلاح والترميم والبناء ، وقاعدةُ " وهبٍ " هذه تخاطبُ العراقيين أن يحفظوا لدعوة الإسلام بذلها من أجلهم ، وإخلاصها لمصالح الأمة ، وتوكلها في الدفاع عنهم وإبعادِ الفاسق الذي يريد أن يكرر احتكار الحقوق السياسية والاجتماعية وقصَصَ الغَصَص ، أما إنكارُ الفضلِ وجحد المبادرات الخيرية فإنه تطفيفٌ ، بل ظلمٌ وجحودٌ وعقوق ❑❑❑



مشهد يتكرر يومياً في العراق ... عربة أميركية تحترق على الطريق

□□ الحَيرة و " **فقدان المؤشر نحو الاتجاه** " هما أبرز السلبيات الظاهرة في حالة العراق بعد عهد صدام ، فكثيرٌ من رجال الأحزاب لا يدرون إلى أين يسيرون ؟ وهم في ذلك ليسوا أفضل حالاً من عامة الناس الذين مازالوا تحت وطأة الصدمة الاحتلالية ، ويستقبلون المجهول بأفواه فاغرة ، ويحتاجون إلى من يقودهم في الميدان الصعب المليء بالنقائض والأضداد ، مع أنَّ الحل الإسلامي ليس عنهم ببعيد ، ومشروع (**الحزب الإسلامي العراقي**) هو اليوم أرقى تمثيل واقعي وسطي موزون يترجم هذا الحل ترجمةً تأخذ في حسابها قواعد المرونة ومعايير الإسقاط النسبي على الحالة العراقية .

إنَّ حالة الدهشة هذه ليست جديدة ، بل كان من قدر العراق منذ القديم أنْ يمرَّ بمثلها ، فقد قيل لسفيان الثوري عميد فقهاء الكوفة : كيف أصبحت ؟ قال : (**أصبحت في دار حارت فيها الأدلاء**)[1] ، وليس موقعنا اليوم أقل التباساً من داره القديمة ، ونحن نشهد تقاطع الرغبات ، وأعنف المنافسات ، واشتباك الحقوق بتعسف وعنف ، والمخرج محجوب عمَّنْ لا إنصاف له ، وخطة الدعوة الإسلامية التي يتبناها (**الحزب الإسلامي العراقي**) هي السبيل الوحيد المُوصل إلى الإخاء والتعاون عبر حوار العقلاء الذي يقمع مجازفات الغوغاء .

وبسبب طول مدة الخلاف تولدت في الناس أخلاق مرجوحة زاحمت الرصيد الفطري الذي وهب للأجيال الأولى كمنحة ربانية لما علم الله صدق اندفاعها ، فحصل نحتٌ وهبوطٌ رَصدهُ القاضي عامر الشعبي فقال في تقريره الميداني : (**تعاشر الناس فيما بينهم زماناً بالدين والتقوى ، ثمَّ رفعَ ذلك فتعاشروا بالحَياء والتذمُّم ، ثمَّ رفع ذلك فما يتعاشر الناس إلا بالرغبة والرهبة ، وسيجيء ما هو**

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربّه الأندلسي ٢/ ٤٣٤ .

شر من ذلك)[1] ... وقياساً على رصده التنازل : ربما يكـون النــاس اليـوم في الدرك العـاشر الأسفل ، فكان بعد الشعبي مكرٌ وخديعة ، حتى وصل الأمـر إلى تظالمٍ وسلبٍ وإباحاتٍ واجتياحات ، وهذه الظـاهرة تـضع علـى عـاتق الـدعوة الإسلامية المعاصرة واجباً إصلاحياً أخلاقياً تربوياً عظيماً ، ويتجاوز أمر (**الحزب الإسلامي العراقي**) مثلاً أن يكون سياسياً فقط كما تفعله الأحزاب ، ويتعداه إلى أن يعيد لقلوب الناس الرقة والرحمة وأوليات الإيمان ، فوق ما عليه من المـشاركة في الواجب التنموي لمشروع حضاري إسلامي عريض الرؤى ، والعراقي أصـيلٌ نجيبٌ راسـخُ القـدم في أرض النجـدة ، ولــكنَّ الغفـلات نحتـتْ مـن رصـيده ، وهبطتْ ببعض مَن في الجوانب عن المستوى ، ثـمَّ كـان ذهـولٌ بـسبب الخطـوب والحروب ، فاستحكم حالٌ لا يرتضيه الأصـلاء ، فوجـب الاسـتدراك .. ومـرة أخرى نقولُ من غير استنكاف : **أننا لا نملكُ جديداً ، وإنما هو دواؤنـا القـديم ، دواء الإيمان والتقوى الذي رصدتْ الملائكة تقصـيرنا فيهِ** ، ومبتدأ يقظتنا العراقية أنْ نمسكَ بالعراقي من معـصمه ونجلـسه علـى كرسـي الاعـتراف والإنـصاف ، ونقول له أبيات الرجل الصـالح خالد بن يزيد بن معاوية ، زاهدِ بني أمية :

هل أنتَ منتفع بعِـــــلمكَ مرة
والعلم نافع
ومن المشيرُ عليكَ بالرأي المسـدد
أنـتَ سـامع
المـوت حـوضٌ لا مــحـالـــةَ فيـهِ
كلُّ الخلق شـارع
ومن التقى فازرع فإنّــك حـاصدٌ
مـا أنـتَ زارع

---

(١) العقد الفريد ٢/ ٤١٤ .

فالشعب العراقي لا يستطيع أن يجازف فيدعي أنَّ مشاكلهُ جميعاً آتيةٌ من خارج الحدود ، وبمكرٍ استعماري ، وإنما اقترفت يـدهُ الكـثير مـن المعاصـي الـسياسية ، وتلوث فكره بأنواع من اللوثات الفكرية ، من يوم استقبل بعض أبنائـه الأوهـام الشيوعية ، وترهات الفلسفة المادية ، وألاعيب الأرهـاط العلمانيـة ، وتبجحـات الأحزاب النفعية ، ومغامرات الضباط الانقلابية .

أوَ ليسَ جُهال هـذا الـشعب هـم الـذين مارسـوا بعـد القتـل فنـون الـسحل والتمثيل ؟ أوَ لم تكنْ هتافات المظاهرات المليونية التي تجوب الشوارع هي المصدر الذي استخدمه كل حاكم مغرور أو طاغية ، فبدأها " عبد الكريم قاسم " ، وركبها "صدام " ؟ !

أوَ ما كانت ثلةٌ أو شطرٌ من أهلِ كلّ مذهبٍ وقومية تصنعُ لـ"صدام " ما يبغـي وتبالغ في الولاء ؟

من هنا فإنَّ توبة الشعب العراقي من ممارساته السلبية الـسابقة إنمـا هـي توبـة مؤكدة الوجوب ، وطريقها الصحيح يمرُ بحزمٍ نـُبديهِ نحـنُ أهـل التربيـة والرقابـة والاستدراك والتصحيح ، تجاه هذا الـشعب النقـي الأصـول ، المتمـرد في بعـض الفصول ، وبدون هذا المنطلق التربوي يكـون العمـل الـسياسي لـيس أكثـر مـن الدوران في حلقة مفرغة ، فإنَّ الخلل إنما هو في الأنفس وفي الفكر وفي العقائـد ، ومن تمام الوعي القيادي أنْ يكون اللجوء الصريح إلى النمط الحازم في تـشخيص الداء والدواء .

وقيل لحكيم : منْ أحزمُ النـاس ؟ قـال : (**مـن أخـذ رقـاب الأمـور بيديـه ، وجعلَ العواقب نـُصبَ عينيه ، ونبذ التهيب دبرَ أذنيه**) .

وهذه هي المعادلة القيادية الصعبة ، لكنها الجامعة للفنون والمهـارة ، فـإنَّ أدلَّ دلائل العزم أنْ يكون زمام قضـيتنا بأيدينا ، فنكون نحن أهل المبادأة ، ولا نـُصدر ردودَ أفعالٍ يفعلها غيرنا ، وفي المجمل : هذا هو ما يريـده الـشاعر حـين وصـف ممدوحَه بأنه :

بصيرٌ بأعقاب الأمـور كـأنما تخـاطـبه من كـل أمر عواقـبهُ

ولربما يسرعُ إلى البديهة أنَّ الشاعر هنا يحذرُ مـن الاسـتعجال والهجـوم علـى الأمور بدون فحص ودراسة ، ولكنَّ المعنى يظلُ مفتوحاً لـكي نفهـمَ أنَّ الـتردد في استخدام الحزم مع المخلطين والمنحرفين يجرُّ إلى عاقبـةٍ تكـونُ مـصدراً للتعـب والرهق ، وهذا هـو الـذي ألجـأ (**الحـزب الإســلامي العراقـي**) إلى الزهـد في المناصب والممارسة السياسية اليومية وحصر الجهود في الخطـة المرحليـة القـصيرة الأجل ، وخرج إلى اعتماد منهجيةٍ استراتيجيةٍ بعيدة المدى في " التربية الـسياسية " للجمهور العراقي و " إعادة صياغة الشخصية العراقيـة " بمـا يتناسـب مـع الـدور القيادي للعـراق في خطة الأمة الإسلامية وفي إذكاء روح الجهـاد ، والنهـي عـن المنكر ، وهو جهدٌ يحرمنا من الغنيمة العاجلة ، لكنَّه يكسبنا سـكينة القلـب ، لما سيكون عليه مستقبل العراق بعد أوبة التيارات العراقية المختلفة إلى إيمانها القديم وفرعه الإخائي التعاوني ، وذلك نوعٌ من التعبد نمارسـهُ حـسبةً لله ﷻ ، ووقوفـاً عند أوامـره ، وسـيرجعُ الزعمـاء بالجـاه والـدولار ، وبخـشبةٍ يكـسرها أحـدهمْ ويأخذها تذكاراً من كرسي الحلاق الـمُزيّن الدوار الذي جلس عـليه برهةً تتـيحُ للمؤرخين أنْ يكتبوا اسمه في التاريخ السياسي ، ثم يقـيموه عـن هـذا الكرسـي ليجلس عليه آخر ، ونرجعُ نحن بدين الله ورسوله ، وبالوعي والإصـلاح ونتائج الاستدراك التربوي .

وهذا الوصف إنما هو شرحٌ وتطبيقٌ لمادةٍ من مـواد الحكمـة الـسياسية القديمـة التي ذهب إليها الأحنف بن قيس رضي الله عنه حين قال : (**كلُّ عزٍ لم يوكَّد بعلمٍ فـإلى ذلٍ ما يصير**) ، فاعتلاء كرسي " **بغداد** " الدَّوار صورةٌ من صـور العـز ، بـلا شـك ، لكنه عزٌ يُعبرُ عن قلقٍ متأرجح ، لأنه لم يوكَّد بمنهجيةٍ علمية ، وإنمـا العلـمِ علـمُ الشرع ، وتجـربة الفقهاء ، وثوابت التأصيل ، ومفاد الإيمان ، ومـا لم تـتم مراعـاة هذه الأركان فإنَّ المنهج السياسي سيرتكب المجازفات وينحرف عن معالجة أصـل الخلل في القضية العراقية المعاصرة .

وفي مقالتهِ وجهٌ آخر منْ الموعظة يعظُ بأنَّ عزَّ الدعوة الإسلامية صوره كثيرة ، منه : كثرةُ الأنـصار ، ومتانـةُ التنظـيم ، وصـرامةُ الـسياسة ، وصــولةُ الجهـاد ، والمطلوبُ من الرُعاة الدعاة : أنْ يؤكدوا كل ذلك بعلم يضمن اعتدال الأحوال ، ببذل الوعي وإتقـان الرحمـة ، والتـدريب علـى المرونـة ، والاجتهـاد الفقهـي في مواطن الغموض على بينة من قواعد الاستنباط ، وكل ذلـك مـن أنـواع العلـوم التي تجعل العزَّ محروساً ، وبمنأى عـن هزةٍ ونكسةٍ تدخل في مفهوم الذل الذي ربأ الأحنف بالدعوة أن تنـزلق إليه .

وهذه الملاحظة متصلةٌ بملاحظة رصدها معاذ بن جبل ﷺ صـرَّح فيها بوضوح أنَّ العلم هو الآلة المهمة لصناعة القيادي ، فقال : (**إنَّ العلمَ يرفـعُ الله بـه قومـاً فيجعلهم قادة أئمة تـُقتفى آثارهم ويُقتدى بأفعالهم**) ، فهو سلاح القيـادة إذن ، ومفتاح الصعود ، والشـرط الأهم في الاختيار إذا توفرت المكنة الفطريـة ، وأمـا منْ يرفع نفسهُ فضولاً فيأخذ بتلابيبه رجال الرهط ويهبطون به إلى الـسعر الـذي يحدده السوق الحر .

وإنمـا تـأتي هـذه المغـالاة في الـسعر في صـورةٍ مـن الـصخب والاعـتراض والفوضوية ، واحتكار الصواب ، وربما خرج صاحب الغلو إلى تبكيتٍ وإحراج ، بل قد يكون اللجوء إلى صراخٍ وعويـل ، وهنـا تكـون الحاجـة إلى علـم الداعيـة الرفيق ، الذي يعمل على بينـة مـن هدفـه ، ويلتـزم المنهجيـة في الكـلام والنقـد والعرض ، وذلك إنما يتم تجويده بالتزام الأسلوب المنطقي ، واللبث مـع الجـدل الحَسن ، واحترام المقابل إذا كان ملتزماً مثل ذلك .

فهل يلزم دائماً أنْ تتطور المشكلات إلى دواهي ومعارك وتحديات ؟

أوَ ليس الأفضل أنْ تنتدبْ نفسك لرفقٍ فيسهلُ بكَ الـوعر ، ويـصفو للنـاس ولإخوانك الكدر ؟ ثم يؤذنُ لك أنْ تفخر وتقول :

ومـــقـــامٍ ضيـــقٍ فرّجـتـــــه ... بـلـــســـاني ومـقـالـــي وجـــدلْ

فإنَّ الحوارَ والجدل على الطريقة القرآنية بالتي هي أحسنْ : أحسـن ، وفي هذا ما يضيفُ حلاً نافذاً إلى الحلول التي نطرحها لعلاج القـضية العراقيـة : أنْ تلتـزم جميـع الأطراف الجدل بالذي هو خير وأفصح وأرفق وأهدأ وأجمع للطاقـات ، وذلـك إنما يتولد مـن جـودة اختيـار المفاوضـين ورجـال الحـوار وقيـادات الأحـزاب والكتـل والمؤسسات لكلامهم الذي يُدلون به ، أي بعمليـة انتقـاء مـن معـروضٍ هائـل مـن الوصايا والتقارير والتحليلات وقرارات المـؤتمرات المتخصـصة ، مما تحويـه الجرائـد والكتب ومواقع "الإنترنت" ، بحيث لا يكون المشارك العراقي مأسـوراً إلى الأقاويـل المستعجلة المطروحة من أمثاله في الساحة العراقية فقط ، فإنَّ المقولات العراقية اليوم تفتقر إلى كثيرٍ من الموازنات والروح الإيجابية ، بسببِ تأثرها بالوضع العراقي المتـوتر في هذه المرحلة ، المشوب بروح الانتقام ، وأوهام حيرة "**الأدلاء**" الذين رصد سـفيان الثوري دهشتهم في أرض المتاهة ، ويليقُ لهؤلاء المفاوضـين والمحـاورين والزعمـاء أن يتجاوزوا هذا الاختلاط المحـلي إلى صوابٍ كثير مطروح في الساحة العالمية الواسعة ، فتكون البداية باخـتيار ما عند عقلاء البلاد العربية ، ثم الاقتباس من أمثالهم في بقيـة الأمـة الإسلامية ، وذلك لأنَّ هذه الأقوال خارج العراق إنمـا تنمـو في جـوٍ حيـاديٍ بريء من التـوتر والتحـدي ، فتكـون إلى الـصواب والواقعيـة أقـرب ، ويظـل هـذا الاقتباس ونقل الحكمة من آفاقها الممتدة وتركيزها في العراق صـنعةً خاصـة ومهـارةً ينبغي أنْ يسعى الجميع لإتقانها ، وهو مثل قـول ابـن عبـد ربـه : (**اختيـار الكـلام أصعبُ منْ تأليفه**) .

أو مثلُ نقله عن أفلاطون قوله : (**عقول الناس مدونةٌ في أطـراف أقلامهـم ، وظاهرةٌ في حُسنِ اختيارهم**) .. والقياسُ يدلنا من قريب أنَّ عقول الناس تبديها الألسنة كمثل ما تـُدونه الأقلام ، وحـسن الاختيـار كمـا هـو في تـأليف الكتـب يكون ، فإنه في الحوارات ووضع الخطط والدساتير والقوانين والأنظمـة يكـون ، والميزان الذي يحكمُ ذلك أنْ لا يكون هناك تعسفٌ وقولٌ مجازف ، بل يفتشُ كـل طرف عنْ حجةٍ يسندُ بها رأيه تعترف بهـا المنهجيـة العلميـة ، ويـستنُ سـنة ذاك المناظر الذي يقول لصاحبه :

قد تَـــأولــتَ عــلـــى جـــهـــةٍ ولــنـــا – ويــحــكَ - تــأويـــلُ

فالمهمُ : أنَّ كل طرفٍ من أطراف القضية العراقية يكونُ لـه تأويـل يقبلـه الـشرع أولاً ، ثمَّ العلمُ العام والعرفُ والعقلُ والمنطقُ والإنصاف ثانياً ، ولم ترتقِ إلى منـازل الصواب أبداً دعاوى الثأر وأمزجة أبناء الشارع وتخيلات الغوغاء ، ومـا كُنـا لنتكـبر على غوغائي لولا سمعة عالمية تلحق بأمثاله في كل البلاد ، ومنْ حقِ الحكيم الملتـزم بالشرع وفحوى الإيمان أنْ يَطلب الامتياز وعـدم التـساوي مـع جاهـلٍ قـافز ، وأنْ يطلب لرأيه سـعراً أعلى ، ولساننا طليقٌ أنْ يقول من غير تبجح :

فيا لائمي دعني اُغالِ بقيمتي

وما عندنا منْ تأريخٍ ناصع وسمتٍ في التعاون والسلم والوداد يخولنـا ذلـك ، وللمؤمن– على طول المدى– المثـلُ الأعز الأرفع .

ونحنُ على ثقة بأنَّ هذا الذي نـُدلي به منْ تقديم قـول العلـم والعقـــل علـى التعصبات إنما هو قول السواد الأعظم من العراقيين ، وأنَّ مـعـظم أهـل الـسنة – وشطراً واسعاً من الشيعة ، ورهطاً كثيفاً من الكرد والتركمان – هم جميعاً مـع مشروع (**الحزب الإسلامي العراقي**) قلباً وقالباً ، وأنَّ ما يسود أجوبة العراقيين اليوم لنداء (**الحزب الإسلامي العراقي**) من لكنةٍ وعُجمـة إنمـا هـو مـنْ نقـصِ الفصاحة وعقدة طارئة في اللسان ، وذلك لطول زمان الخوف الذي عقد ألسنتهم عنْ الصراحة ، فصاروا كما قال عنترة :

وصـــاحـــبٍ نـــاديـــتـــهُ فغمغما

يـــريدُ لبـــيـــكَ ومـا تـــكـــلما

قدْ صارَ منْ خوفِ الكلام أعجـما

فشعبُ العراق يريد أن يقول : لبيك أيها المشروع الحضاري الإسلامي ، لكـنَّ الظلم الذي جثم عليه : جعلهُ محبوس اللسان ، ويلزمهُ تدرجٌ لينطلق ، ولتـسوقهُ الفطرة إلى إسناد (**الحزب الإسلامي العراقي**) ...

والدخـول في ظلال القرآن وأفياء الإيمان ❑❑❑



مدرعة أميركية تحترق .. بنيران رجال المقاومة العراقية

□□ أوعى العراقيين اليوم : عراقيٌّ مؤمنٌ يسجدُ لله ، يفزعُ إلى موازين الفقهِ يسألُها ويستشيرُهْا ، فهو من نور الشرع يقبس ، وبمشاعر القلب يستهدي ، فيستوي مدركاً للعللِ والحلول ، ويقفُ في قومهِ يردِّدُ قولَ الإمام الأوزاعي أن :

(لا تكونوا أشباهاً لمن خدعه الأمل ، وغرّهُ طول الأجل ، ولعبت به الأماني) [1] .

وهي موعظةٌ قديمةٌ ولكن كأنها صيغت لوصفِ أبناء الجيل العراقي الحاضر الذينَ طالما خدعتهم آمالٌ عريضةٌ منّاهم بها حاكمٌ ماكرٌ ومعارضٌ إلتفافيّ النزعة ، وبين إغراءيهما لعَبت الآمانيّ بعقلٍ وقلب العراقي ، وما يكادُ يفيقُ من أوهامهِ ، يفهمُ أنَ فسحة الأجلِ إنما هي مدةٌ لازمةٌ لنمو بذرات زرعهِ ، وما ثمَ غيرُ أيامٍ تقربهُ من النتيجةِ الخاسرة والحقيقة الدامغة ، ولو شاءَ قلب ينبض أن يؤوب إلى قواعد الدين لتاب .

بَيْدَ أن السَّكْرة امتدت ، وليس في الظنِ أنها نتيجةُ مرضٍ نفسيّ أو ترديات إيمانية فقط ، وإنما اختلطت بها عَيونُ حسدٍ نافذة ، أرسلتها حدقاتُ شركاتِ نفطِ " تكساس " فأصابت بالشرِ جَمالَ " بغداد " فتركت في خدِها الأسيل لفحة ، وفي قلبها لوعات وصلتها وربطتها بعيونِ حسدٍ أيام فتنة الأمين والمأمون ، حسدت البناء الحضاري الذي بناه الرشيد والازدهار الاجتماعي ، حتى تأوه شاعرُها فأنطلق يبثُ أشجانه :

مَن ذا أصابكِ يا بغدادُ بالعينِ

ألم تكوني زماناً قُرّة العينِ

---

(١) البداية والنهاية ١٠/ ١٢٢ .

ألم يكن فيكِ قومٌ كان مسكنهمْ

وكان قربهمُ زيناً من الزينِ؟ [٢]

فعمارةُ بغداد هي العمارة المعنوية التي أنتجت رهطاً من النبلاءِ والفقهاءِ والزُهّادِ والأبطالِ ما كانَ حصدُ المحنِ القديمة أثناءها بأكثر وأوسعَ من حصدِ فوضى بغداد المعاصرة لرؤوس الفضل بالاغتيال الذي خططت لهُ الشعوبية طويلاً ، وأصبحت تنفذهُ والعين الأمريكية عن طيشها راضية ، وأصبحنا نفتقد الزين بعد الزين ، ويأتي كل مساءٍ بفاجعة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ولو كان المصاب مثلما يعتادهُ الناس لكان هيناً ، ولكنهُ يأتي في العراق مضاعف الأثر ، بسبب الامتياز النوعي لأهل بغداد قديماً ، وكونها عاصمة الأمة ، وتركز فيها الخير ، ثم أورث ذاك الجيل من السلف "بغادِدَة" العصرِ شيئاً من سَمتهم وهديهم ، وما هو بفخرٍ يفخره أحدُنا ، وإنما هو التقويم الذي فاهَ بهِ غيرنا لّما اقترب فلحظ نوراً فاستأسر ودارَ في مدارِ الإخوة ، وذلك قولُ أبي سليمان الداراني الشامي : (**الأخ : الذي يعظك برؤيته قبل كلامهِ ، وقد كنتُ أنظر إلى الأخ من أصحابي بالعراق فأنتفع برؤيته شهراً**) [٣].

وهذا ليس حديثاً استعلائياً غرورياً ، وإنما هو تحدثٌ بنعمةٍ ربانية حبانا الله بها ، ثم هو حديثُ استنفار لكل رجل فيه خيرٌ من رجال العراق ، ولكل عقيلةٍ عراقية تشمخ بعفافها ، أن يلحظ الجميع الحاجة إلى إصلاحٍ شاملٍ للعراق ، عبر صحوةٍ إسلامية واعية ، خروجاً من البطالة والتسيب وحالة السلب ، واتعاظاً بقولِ التابعي وهب بن منبه : (**لا يكون البطّال من الحكماءِ أبدا**) ، فإننا جميعاً نبتغي خطةً تتكفلُ بالترميم و التنمية واستئناف السلوك الحضاري ، وذلك لا ينبغي إلا لحكيم ، والقاعدُ لا ينالُ من الحكمة قسطاً ، بل ولا يشمُ ريحها شمّا ما دامت تستهلكه البطالة .

---

(٢) البداية والنهاية١٠/ ٢٥٠ .

(٣) البداية والنهاية١٠/ ٢٧٠ .

بل الأمر أبعد من ذلك ، فإنَّ على العراقي أن يأتي هذا العمل ويقترف هذا الإصلاح ليس بنوايا الدنيا والإدارة والمصلحة فقط ، بل بالنوايا التعبدية أيضاً ، ويلتزمُ به على أنهُ أداءٌ لحقوقِ الله تعالى ، وهو المعنى الذي أكملهُ وهبُ بنُ منبه فقال :(**إنَّ أجود الناس في الدنيا من جاد بحقوق الله ﷻ**)[٤].

فالممارسة الدعوية والاستدراك على الهدمِ بابان من العمل الديني الذي يقربنا من الجنة ويبعدنا من النار ، وفوق الكريم الذي يوزعُ دنانيره : كريم يثأر لحقوق الله فيفاتح قريبَه وصديقه وجيرانه على الانضمام لعصبة الدعوةِ الإسلاميةِ الحامية المستدركة الحافظة لحقوق المعبود و مصالح العِباد .

نعم ، هي مهمةٌ كبيرة ، وضريبتها أكبر ، لكنها واجبة ، على مذهب عمر بن عبد العزيز : (**إنَّ الناس لو كان إذا كَبُر عليهم أمر تركوه : ما قام لهم دين و لا دنيا**)[٥] .. فنحن الدعاة إنما خلقنا ربنا لنقوم بالأمور الكبيرة نيابة عن الأمة ، ولسنا نطلب الأسهل ونفاخر به وندع الأصعب ، فإنَّ ذلك من ضعف التدين ، ويؤدي إلى ضمور دنيانا وخسارة الجولة مع المنافسين ، بل نحن للأثقال ، والخطط الطموحة ، والأهداف العظيمة ، وعلى كواهلنا يكون التنفيذ المرهق لأجسادنا ، المفرح لقلوبنا ، الجالب للعراق حلول مشاكله والمنجي له من دائرة السَوء .

وهذا منهجٌ راشدٌ و نداءٌ فصيحٌ وتعاهدٌ جميل ، لكن له شرطٌ واحدٌ هو أهم شروطهِ ، تُجمِلُهُ قِصة حاشية الإمرة وطبائع المترفين ، وخلاصتهُ أنَّ النفرة المباركة هذه إنما تصحُ من متجردٍ وجادٍ وذي حيويةٍ ومخشوشن وزاهدٍ ومتواضع ، ولا تصحُ من متبطّرٍ ومتشبه بالكرام ومعطٍ للنفرةِ فضولَ أوقاتهِ ، ففي مواعظ التاريخ أنه قد (**كان المنصور في شبيبتهِ يطلب العلم من مظانه ، والحديثَ والفقه ، فنال جانباً جيداً وطَرَفاً صالحاً ، وقد قيل له يوماً : يا أمير المؤمنين : هل بقي شيء من اللذات لم تنله ؟**

---

(٤) البداية والنهاية ٩/ ٣٠٠ .

(٥) البداية والنهاية ٩/ ٣٢٩ .

قال :(شيء واحد) .

قالوا : وما هو ؟

قال : (قول المحدث للشيخ : مَن ذكرتَ رحمك الله ؟) .

فاجتمع وزراؤه وكتّابه وجلسوا حوله وقالوا : ليُمل علينا أمير المؤمنين شيئاً من الحديث !

فقال : (لستم بهم ...

إنما هم الدنسة ثيابهم ، المشققة أرجلهم ، الطويلة شعورهم ..

روّاد الآفاق ، وقُطاع المسافات ..

تارة بالعراق ، وتارة بالحجاز ، وتارةً بالشام ، وتارةً باليمن ، فهؤلاء نَقَلَة الحديث) [٦].

فالقضية العراقية إنما تحتاج هذا النمط من الرجال وقطّاع المسافات في طلبِ العلمِ الشرعي والتراث التجريبي والحكمة التخطيطية ، الذين تعمقت شقوقُ أرجلهم ، لكن توسعت صلتهم بدعوة عالمية المدى فيها أنصارٌ بالحجاز واليمن والجزائر والشام يهبون الإسناد ويجهرون بحق العراق ، وبدعاءٍ صالحٍ من قلبٍ خالصٍ في أعقاب الركيعات .

و إنما يقود هذا العمل الاستدراكي : الفكرُ الصافي ، المنتقى مِنْ دين الإسلام القيّم ، مما لم يكتشفهُ أئمة الفقه فقط ، بل عرفهُ شاعر الدعابة أبو نؤاس أيضاً فقال : (**ما في الدِين أغلوطةٌ**) بل كله حقائق محكمات ، وإنما الأغاليط والفوضى والترهات لدى أحزاب تحيد عن الدين وتختار العلمانية .

فإذا استوى رهط الدعاة على النقاء : رُجي أن تزيدهم الشورى خيراً وحزماً ، على طريقة الشاعر الواعي :

---

(٦) البداية والنهاية ١٠/ ١٢٩ .

إذا بلـغ الـرأيُ التــشـاور فاستــعـنْ

بـحــزم نصيحٍ أو نصيحة حــــــازمِ

ولا تجعل الشــورى عليك غضاضةً

فـريـشُ الخـوافي قـــوة للقــوادمِ

وما خيـر كفٍّ أمسـك الغلُّ أختـها

وما خيــر سيــفٍ لم يـؤيّد بــقائمِ[٧]

فبين الحزم وصواب الرأي تكاملٌ ، هو كالـذي بـين الفيـصل والمقـدام الـذي يقتحم به ، وما كانت السيوف لتُعطل في أغمادها ، لكننا نريدها بوارق لامعاتٍ في أيادي حشدٍ زاحف ، وليست لمعات الفكر الإسـلامي غـير حزمـة أخـرى في طيف تكامل الأداء .

و إذا صحّت هذه اللمعات الجماعية : يصـّح أيـضاً أن تطلـب أجزاءهـا مـن اللمعات الفردية ، وهو نمطٌ من الذكاء والذهن المتحرك والعقلية الحواريـة نريـده لكل داعيةٍ يستفزهُ الاعوجاج فينضم إلى العـصبة المؤمنـة يريـد الإصـلاح ، فـإنَّ المنطق الجماعي إنما هو حصيلةُ ترادفِ المنطق الفردي ، وحوارنا الدعوي اليوم في سجال الاختلاف السياسي بيننا وبين العلمانيين هـو نفـسه منطـق ذكـي العـرب التابعي الثقة إياس بن معاوية المـزني القاضي لما ظهر نبوغـه وهـو شـاب صـغير حين اشتكى عند قاضي دمشق على شيخ كبير زمن عبد الملك بن مروان .

(فقال له القاضي : إنه شيخ وأنت شاب فلا تساوه في الكلام .

فقال إياس :إن كان كبيراً فالحق أكبر منه .

فقال له القاضي أسكت !

فقال : ومن يتكلم بحجتي إذا سكتُ .

فقال القاضي : ما أحسبك تنطق بحق في مجلسي هذا حتى تقوم .

---

(٧) البداية والنهاية١٠/ ١٥٤ .

فقال إياس : أشهد أن لا إله إلا الله .

فقال القاضي : ما أظنك إلا ظالماً له .

فقال : ما على ظن القاضي خرجت من منزلي .

فقام القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره خبره فقال : اقضِ حاجته وأخرجه الساعة من دمشق لا يفسد على الناس) (٨) .

فاللغط السياسي المعاصر يزعم أنَّ شباب الصحوة الإسلامية ليس لديهم وعي مخضرمي الساسة ولا مجال لمساواتهم معهم في حق القول السياسي ، وما ثم غير ألاعيب وتنازلات تدعي الواقعية ، بل ماسونية أحياناً وارتباط بمستعمر وخطة تطبيع مع يهود ، والحق الذي معنا أكبر من كل مخضرم .

وأوامر المحتلين تأمرنا أن نسكت ، فمن يتكلم بحجة الشرع إذا سكت الدعاة .

ويزعمون أننا لا ننطق بحق وبيان ، وأصول حقوقنا مجموعة في " **لا إله إلا الله** " ، وفيها كل الفقه والاستنباط والتفريع والاسقاطات على الواقع المعاصر ، وهي براءة جامعة من العلمانية ، ونقض لها ولمناهج السياسة الظنية ، وإبرام جامع لكل حكم الشرع الشامل لنواحي الحياة بنصوص ربانية قطعية .

وتهمة الظلم توجه للدعوة ، ولسنا على ظن طاغية ومستعمر ومستبد ومستأثر خرجنا من مساجدنا لنعلن قيام (**الحزب الإسلامي العراقي**) .

ثم في المشهد الأخير يُفتي " **متأمركٌ** " بأنَّ الديمقراطية لا تسع دعوة الإسلام لأنها تُفسدُ على الناس أمرهم ، ولو شاء أن يقولَ الحق لأفصحَ أنهُ يخاف عفاف دعاة الإسلام ، وأنهُ يحذر ولعهم بكشف الناهبين ، وأمثالهُ يعلمون أنَّ الدعوة الإسلامية تنوي الحجر على كل سياسي يجعل لهُ في أموال الأمة نصيباً يحّولهُ إلى جيوبه ، وموقفها في ذلك مستنبطٌ من قولِ عبد الله بن عبد العزيز العُمري للخليفة الرشيد :

---

(٨) البداية والنهاية ٩/ ٣٤٨ .

(يا هارون : إن الرجل ليُسرف في ماله فيستحق الحجر عليه ، فكيف بمن يسرف في أموال المسلمين كلهم) [٩] .

فبهذا الحق تنوب الدعوة الإسلامية عن الأمة في طلب الحجر على كل سياسي سلطوي يظهر منه الفساد ، وبهذا المنطق الفقهي ينتدب الداعية العراقي نفسه ليسأل وكالة عن العراق : أين ذهبت خمسة مليارات دولار من أثمان نفطه في شهرين من التعاون مع الاستعمار الأمريكي ؟ ثم ليكون – إذ لا جواب – عزلٌ لعصابة تسرق وتتناول الحرام .

ونكادُ أن لا نفهم أسباب هذه الاختلاطات واستغفال أبناء الشعب ، لكنَّ التأمل الطويل والبحث في طبائع النفوس المنحرفة أوضح لنا أنَّ هذه الظواهر من الممارسة السياسية الخفيفة الطافية إنما هي من نتائج كل زمن سيئ ، ومن لوازمه وإفرازاته الحتمية ، وقد وجدنا الإمام الأوزاعي منذ القديم يضع النقاط على الحروف ويحدد المواصفات القياسية للزمن السيئ ، فيحدد ألوان لوحتهِ وخطوطها العريضة بأنه : **(زمانٌ قد ولّى عفوهُ ، وذهب رخاؤه وخيره وصفوه ، فلم يبقَ منه إلا جمة شر ، وصبابة كدر ، وأهاويل عِبـَر ، وعقوبات غِيَـر ، وإرسال فتن ، وتتابع زلازل ، ورذالة خلف بهم ظهر الفساد في البر و البحر ، يضيقون الدار ، ويغلون الأسعار)** [١٠].

وكُلُ ذلك ظهرت بعضُ ملامحهِ الرديئة بعد" تموز " ، ثم ازدادت زمن البعث ، ثم تعاظمت أيام " صدام " ، ثم وقعت الطامة الكبرى بعد الاحتلال الأمريكي ، والحمد لله على كل حال ، وهذا الحمد واجبٌ لأنَّ الأمر لم يغلق على سوءٍ بعد ، إذ ما تزال من أمة محمد عُصبة خيرية لها وعي تكتشفُ بهِ أوصافَ السوء ، وتعرفُ به لحن دفاع السارقين عن أنفسهم .

---

(٩) البداية والنهاية١٠/ ١٩٢ .

(١٠) المصدر السابق ١٠/ ١٢٢ .

إن هذه العُصبة الآمرة بالمعروف ، الناهية عن المنكر لها نسبٌ دعويٌ عريقٌ يرقى إلى أيامِ فتنة مقتل الأمين واضطرابِ أحوال بغداد قبيل دخول المأمونِ إليها ، فإنه لمّا كانت سنة إحدى ومائتين للهجرة : (**عمَّ البلاء بالعيارين والشُطّار والفسّاق ببغداد وما حولها من القرى ، كانوا يأتون الرجل يسألونه مالاً يقرضهم أو يصلهم به ، فيمتنع عليهم ، فيأخذون جميع ما في منزله ، وربما تعرضوا للغلمان والنسوان ، ويأتون أهل القرية فيستاقون من الأنعام والمواشي ويأخذون ما شاؤوا من الغلمان والنسوان ، ونهبوا أهل قطربل ولم يدعوا لهم شيئاً أصلاً ، فانتدب لهم رجل يقال له خالد الدريوش ، وآخر يقال له سهل بن سلامة أبو حاتم الأنصاري ، من أهل خراسان ، والتفّ عليهم جماعة من العامة ، فكفوا شرهم ، وقاتلوهم ، ومنعوهم من الفساد في الأرض ، واستقرّت الأمور كما كانت ، وذلك في شعبان ورمضان**) [١١] .

وكأنه وصفٌ لنكبة بغداد أيام الاحتلال الأمريكي ، وصار سلب السيارات بدل سرقة الأنعام ، والحل والمخرج والعلاج اليوم هو نفسه الحل الخالدي السهلي الأنصاري ، فتقوم جماعة من العامة بمبايعة قائد شجاع يكبتهم ، ولئن حصل إهمال وتسويف يمنع النتيجة أن تظهر في رمضان ، فليكن تصاعد الهمم الإيمانية في رمضاننا هذا سبباً للتعاقد الخيري والعمل المنظم وإعلان بداية اجتثاث الفساد ، وإلا فإنَّ الخطة الأمريكية يطيب لها الفوضى والنهب .

ومبالغة في مفاصلة هذه المجموعة الإصلاحية لعصابات السوء : ينبغي أن يرتقي المحتسبون الإصلاحيون المستدركون إلى قمم الأخلاق الإيمانية ، والأداء المتجرد لله ، والسمت المتحلي بالرفق والنزاهة ، لنجعل الناس تدرك اختلاف المعدن وتميز الجوهر النقي والسلوك العفيف .. والاقتراحُ أن يكونَ شعار وهُتاف ونشيد هؤلاء الأخيار أربعة أشطرٍ ارتضاها لهم شيخ الزهاد والمجاهدين الإمام إبراهيمُ بن أدهم ، وفيها تلقينٌ لطريقة الإخباتِ والتواضعِ بين يدي

---

(١١) البداية والنهاية١٠/ ٢٥٨ .

الله ﷻ ، وتركيزٌ لمنهجية التربية في ثلاثة أخلاق تقابلها ثلاثة إحساسات وإقرارات ومشاعر ، وذلك قولُ الداعية في النشيد الأدهمي بُكرةً وعشياً :

أنا حامدٌ ، أنا ذاكر ، أنا شاكر

أنا جائعٌ ، أنا حاسرٌ ، أنا عاري

هي ستةٌ وأنا الضمينُ لنصفها

فكن الضمين لنصفها يا باري

فالداعيةُ ينزل إلى أوطأ حالات العبودية في هذه الأثناء ، فيعترف أنهُ جائعٌ لولا أن الله يرزق ، وأنه حاسرُ الرأس لولا أنَّ الربَّ يتوجهُ بتاج الإيمان وفضائل الإحسان ، وأنهُ هو العاري لولا أنَّ الباري يُسبغُ عليه أذيال الستر ويُلبسهُ أثواب العفاف ، لذلك يلهج بحمدٍ وذكرٍ وشكرٍ ، يُعاهدُ مولاه أنْ لا يدعها أبد عمره ويَضمنها لربهِ ويطلبُ من إله السموات والأرض أن يضمن بمقابلها رزقهُ الحلال ، لا المسروق ، وتاج الإيمان لا القبعة التكساسية ، والستر والذكر الحميد ، لا تشنيعات القنوات الفضائية ووسائل الإعلام التي ما عادت تناقضاتها تتركُ سارقاً لأموال الأمة يهنأ بحرامٍ اختلسه ، حتى لكأنها فضيحةٌ في الدنيا يريدها الله لكل سارق قبل فضيحة الآخرة .

وإنما أشفقنا على الداعية المسلم فذكرنا له هذه الأخلاق الثلاثة ، وإلا فإنَّ كل قاموس الطيبات يليق له حلية وزينة ، ونعظه أنْ :

أصدقْ وعفَّ و برَّ واصبر واحتملْ

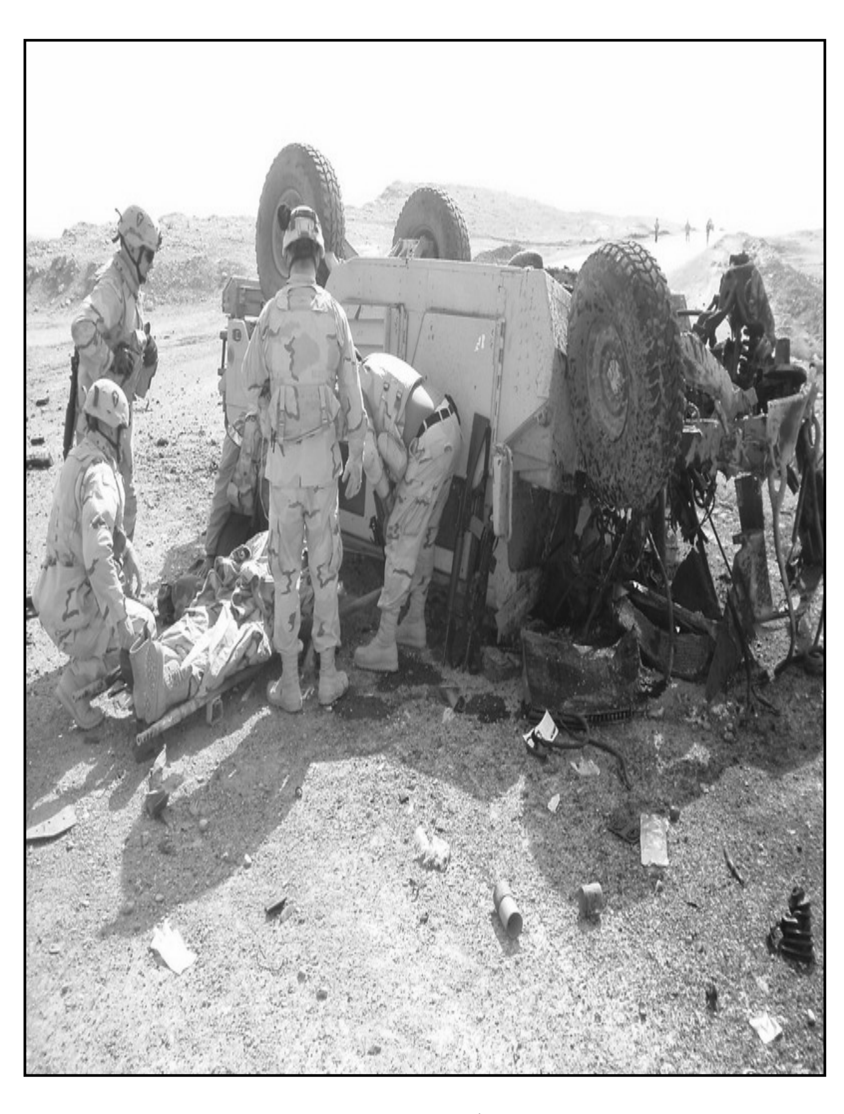
واصفح وكافئ ، ودار واحلم واشجعِ

والطف و لِنْ و تأنّ وارفقْ واتئدْ

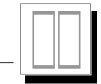
واحزم وجُدْ وحامِ واحمل وادفعِ

فبجميع هذه الخصال تكون جولات الدعاة وصولاتهم ...

وبها يكون تفوقهم الاستراتيجي على الخصوم ❑❑❑



مسلسل خسائر الأميركان اليومي في العراق



تجـديد وعي ابن المبارك

مقتطفات من المحاضرة التي ألقاها المؤلف يوم ٥ - ٩ - ٢٠٠٣م

بمدينة هيت على الفرات حيث قبر الزاهد المجاهد (عبد الله بن المبارك)

❑❑ عراقنا - أيها الأخوة الأحبة - عاصمة العالم الإسلامي ، وقطب دائرتهِ ، وقد تجولت في العالم الإسلامي أثناء غربتي ، فوجدت أنَّ جميع قلوب المسلمين في العالم تتجه نحو العراق ، ولهم تقدير واحترام عالٍ لأهل العراق .

لا شكَّ أنَّ هذه المكانة أسستها طبيعة العراق من يوم الفتح الإسلامي حين امتزجت تعاليم الرسالة الخالدة - تعاليم الإسلام - بحضارات أهل العراق الأولى ، وكونت تلك الحضارة الإسلامية الراقية ، وأصبحت بغداد فخر المسلمين ، وامتزج ذلك العلم الإسلامي الوافد من المدينة المنورة إلى أرض العراق ؛ امتزج بأفئدة وقلوب العراقيين فحصل بسبب ذلك الامتزاج نوعٌ من الإبداع ما زلنا نحنُ - أهل العراق - نتوارثه ونقومُ على سُنة الإبداع هذه بحمد الله تعالى .. ويحضرني أمرٌ من سيرة الإمام الشافعي - رحمه الله - حين دخل عليه فتىً من طلاب العلم الشرعي الحنيف في ذلك العهد فتكلم بكلام فصيح ، والشافعي هو وارث فصاحة العرب ، هو قرشي وربتهُ أمهُ مع هُذيل - القبيلة العربية الأصيلة في الصحراء - فاكتسبَ فصاحتها ، فوجد الشافعي هذا الفتى من تلامذته في حالةٍ من الفصاحة تلفتُ الانتباه ، فقال لهُ : (من أي العربِ أنتَ يا بُني ؟) قالَ : (**لستُ من العربِ ، وإنّما أنا نبَطي**) - النبط هو تعبير عن سكان العراق من بقايا البابليين والفرس وأمثالهم ممن سبقوا الفتح الإسلامي - ، فقال الشافعي : (**واللهِ لقد ظننتُ أني أنا النَبَطيُ وأنتَ العربي**) .

هذا في الحقيقة مؤشرٌ على كيفية استقبال أهل العراق القدماء لهذا الإسلام ، وكيفَ أجادوا بفعلِ المكونات الحضارية التي كانت عندهم ، فلما حملها هؤلاء صارت الحضارة الإسلامية ، وهي التي حدت بمثل عبد القادر الكيلاني - رحمة

الله عليهِ - ؛ وكان إماماً حنبلياً صحيح العقيدة ، وليس كما يتصور البعض من أنهُ كأتباعهِ " القادرية " اليوم من أهل البدعِ ، كلا ، بل كان صحيح العقيدة ، أنْ يقول :

أنا منْ رجالٍ لا يخافُ جليسُهُم ريبَ الزمانِ ولا يرى ما يرهبُ

إشارته هنا إلى أنهُ منْ رجالٍ يذكرونَ الله ﷻ ، وفي الحديث الشريف كما تعلمون : أنَّ الله ﷻ أمرَ ملائكتهُ أنْ يُحصوا منْ في المساجدِ ممّنْ يذكرونَ الله ، فجاءت الملائكة وقدَّمتْ لهُ أسماء الذاكرين ، فقال ﷻ : (**اشهدوا أني قدْ غفرتُ لهم**) ، فهنا اعترضَتِ الملائكة وقالوا :(**يا ربنا ، فلانٌ كانَ جليساً لهمْ ولمْ يكنْ منهم**)- ما كانَ منَ الذاكرين، ولكنهُ جلسَ معهم -، فقال الله ﷻ : (**همُ الجلساءُ لا يشقى بهم جليسُهُمُ**) ، فمجرد أنْ يجلس إلى هذه العصبة المؤمنة الذاكرة فإنَّ المرء يكون من الناجين ، وتكون الشفاعة - وإنْ لم ينطقوا بها - ، وهذه بركةٌ ربانية تحفُّ كلَّ أهل الذكرِ ، وتحفُّ هذا المجلس- بإذنِه تعالى- .. هُنا عبد القادر يفخر بأنهُ من مثل هذه العصبة الذاكرة الآمرة بالمعروف ، فقال :

أنا منْ رجالٍ لا يخافُ جليسُهُم

إشارة إلى هذا المعنى في الغفران ، معنى البركة ...

ريبَ الزمانِ ولا يرى ما يرهبُ

أفلتْ شموسُ الأولينَ ...

شموس كسرى ، شموس الآخرين من البابليين - التي هي في أرضهِ - ومن الآشوريين ، ثمَّ شموس أباطرة الصين ، شموس روما كلها أفلت ، أينَ هي الآن؟ إنْ هي إلا في المتاحف نراها ، ليست أكثر من ذلك ، ولكن شمسُ الإسلام باقية ..

أفلتْ شموسُ الأولينَ وشمسنا

أبداً على فلكِ العُلى لا تغربُ

أذِنَ الله أنْ يبقى هذا الإسلام حيّاً ، أذنَ اللهُ أنْ يكون فيه دواء البشرية في كـلّ حين ، فهي الشمس التي لا تغرب ، وهو العنوان الذي يلـجأ إليهِ جميعُ التائهين ، وظلّ الأمر هكذا إلى أنْ حصلتِ الفتنُ في ديار الإسلام .

قضيتنا العراقية - أيها الأخوة - ما هـي بـسهلة ، ونـشهد نحـنُ اليـوم أعنـف المنافسات ، ونشهدُ تشابك الحقوق ، ونشهدُ ﴿ **كلما دخلت أمةٌ لعنت أختها** ﴾ ، حصلت الحزبيات التي أوهنت عرى الإخاء بين المواطنين ، حصل العـزوف عـن العلم الشرعي إلى العلمانيات الأرضية والآراء الفاسـدة ، حـصل ذلـك وأكثـر ، فنحنُ في أرضٍ قد " **حارت فيها الأدلاء** " ، ولـيس ينجينـا في مثـل هـذا التـشابك وهذه الأرض إلا أنْ نعتصمَ بإسلامنا القديـم .

اليوم ينتصبُ (**الحزب الإسلامي العراقي**) على رأس هذه الأحـزاب الداعية إلى كلمة الله ، على رأس الدعوة الإسلامية ، التي تريد أنْ تنتشل أهل العراق من واقعهم المتردي الذي آلتِ الأمور إليهِ ، هذا التشابك الذي " **حارت فيه الأدلاء** " .

الدعوة الإسلامية تطرح منهاجها الحضاري الواسع ، وكل ما عنـدنا إنـما هـو الحق البين الفصيح الواضح ، ليس هناك ما يُسترابُ فيهِ ، ولكن ما تـزال أجوبـة العراقيين فيها شيءٌ من التردد ، فيها شيءٌ منَ الإبطاء ، هذا الإبطاء ما هو بالداء المستفحل القديم ، وإنما طارئٌ من جراء النكبات والمصائب التي حدثت .

المصائب التي حدثت في العراق لم تـُبدل أمور الإنسان الماديـة فقـط - يُقـال : شاع الفقرُ ، شاعَ القتلُ ، وما أكثر الحروب ، ما أكثر البطالة - هذه الأمور المادية هي الجانب الأسهل في الحقيقـة ، وإنـما حـدثَ في أهـل العـراق تخريـب نفــسي ومعنوي ، هذا هو الأهم .. حدث تخريبٌ معنوي كثير ثمَّ ابتلي بتخريبٍ فكري ، جعل الناس وراء كثيرٍ من مفاهيم الإسـلام ، وهُجرت هذه الأحكام الشرعية .. حتى إذا ابتعدَ جيلُ العراقيين عن دينهم وسادت التربية الباطلة : سادَ الخوفُ .

قُمعَ منْ يقول (**لا إله إلا الله**) خالصاً من قلبهِ ؛ موحداً ؛ آمـراً بـالمعروف ؛ ناهياً عن المنكر .. ربما كانت (**لا إله إلا الله**) مجردةً مـن قوتهـا تـُقال ، ولكـن

الدين القيم الذي أنزلهُ الله ﷻ ، ما إنْ يدعو داعٍ إلى احترامهِ وإلى تحكيمهِ في حياة الناس إلا ويُجابهُ بظلمٍ ، وطالَ الظلمُ فـأخرسَ النَّاسَ ، وحاروا مرة أخرى فوق حيرتهم الأولى .

هذه ظاهرة- أيها الأخوة – نـفـسـية ، وعلينا أنْ نراعيها نحنُ دعاة الإسلام .. علينا أنْ نشجع هذا الشعب على أنْ يقول قولة الحق .. علينا أنْ نُعلمهُ كيف يعيد للحياة مرةً أخرى أمراً نسيهُ المسلمون اسـمهُ : (**الأمـرُ بـالمعروفِ والنهـي عـن المنكر**) .

كيـفَ ينـهى عن المنكر ؟ طـالَ أمـدُ النـاس وهـم سـكوت ، ولذلك أيضاً " **غَمغموا** " ، ولم يُحسنوا أنْ يقولوا : (**لبيـكِ يـا دعـوة الإسـلام**) .. هـذه حالـةٌ مفضولةٌ وليست فاضلة ، هذه حالةٌ تدلُّ على أنَّ هـذا الـشعب بحاجـة إلى تربيـة نفسيةٍ مـرةً أخرى حتى نُعيدهُ إلى سواء السبيل ، ونعيدهُ إلى حالة التـوازن وحالـة الاستواء ، فيقولَ قولهُ متمكناً آنذاك ، ويُصلحَ إصلاحهُ الـذي سلفَ من آبائه .

إنَّ المقاتلات ليست دواء المشكلات ، ولا الحديـد والنـار والمعـارك والخـلاف المذهبي والمجازر وما إلى ذلك مما رأيناهُ من قريبٍ أو نتخوفه الآن .. وقـد رأينـا في جيلنا نحنُ مجازر " الموصل " التي ذهبَ ضحيتها أشراف الناس ؛ ثلاثمائـة وسـتون من أشراف الناس والخزرج " الأصل الأنصاري القُح " من أهل الموصل- من نبلاء الموصل – ذهبوا ضحية الطغيان الشيوعي آنذاك ... ومجزرة " كركـوك " أكثـر مـن سبعين من نبلاء التركمان من المسلمين في ذلك اليوم ، ذهبوا وعُلقوا على أعـواد الأشجارِ وأعمدة الكهرباء .. وصورة مـشهورة في مجـزرة " الموصـل " أنَّ فـتح الله جرجيس- الكافر الشيوعي الذي استبدَّ يومَ ذاك – يـدوسُ بحذائـهِ علـى الوجـه الشريف ؛ وجه العالم الشرعي هاشم عبد السلام – رحمة الله عليـه ، الـذي كـانَ من أفاضل الناس ومن العلماء العاملين ، والصورة مشهورة أنـه يـدوس بحذائـهِ على وجهه الكريم .

تلك المجازر رأيناها - أيها الأخوة - ، وخاف العراقيون أمثالها أنْ تأتي عَبر أحداث وخلاف هذه الأيام ، لذلك نحنُ لا نُحبُّ أنْ نفسح الطريق لهذا ، لا نريدُ أنْ تعود تلك الأيام السوداء الكالحة ، علاجنا : أنْ نجادل بالتي أحسن ..

ومقامٍ ضيقٍ فرّجته بلساني ومقالي وجدلْ

عندنا لسان يفصح بالحق ، معنا القرآن ، معنا السُنة ، معنا فقه الفقهاء ، معنا كلام النبلاء من المسلمين وأشعارهم ، وكل شيءٍ نوظفهُ في معركتنا الفكرية ، ونقول كَلامنا باللغة الفصيحة التي يفهمنا كلُّ أحد ، ثمَّ الجدل .. ﴿ **وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾ .. الجدلُ طريقةٌ قرآنية ، هذه الطريقة هي طريقة أمرَ بها الشرع ، وإنما الجدل المذموم هو : الجدل بالباطل ، والانتصار للباطل تعنتاً .. أما أنْ تجادل ومعك الحجج والبراهين من آياتِ اللهِ وكلام رسوله فهذا هو عين المقصودِ وبذلك أمرنا ، وهو الحل لمشكلاتنا.. ومن هنا فإنَّ (**الحزب الإسلامي**) اليوم ، يتوهم من يقول : أنه يريدُ وزارات ، ويتوهم منْ يقول : لم قنعَ بوزارةٍ واحدة من كل الوزارات ؟ ويتوهم من يرى أنّ معركة المسلمين السياسية اليوم أنما هي مناصب أو أمثال ذلك ، نحنُ جئنا لإصلاح حياة الناس ، جئنا لنربيهم تربية سياسية جديدة ، جئنا لبثّ أفكار الإيمانِ من جديد ، جئنا إلى الأرض اليابسة لنسقيها من جديد بالماء لينبت الزرع الإيماني ثانيةً بإذن الله تعالى .

هذا من الأمر الذي ينبغي أنْ نستحضرهُ ، إذ نحنُ في أول دربنا الإصلاحي ، الدرب العظيم .. وأمرنا الإسلامي لا تحلهُ هتافاتٌ في الشارع ، ولا تحله مظاهرات كما يفعل الناس ، ولا تحلهُ حتى التجمهرات المليونية التي يقال أنها كانت تخرج لتأييد البعض أو للإفصاح عن مقام البعض ، نحنُ طريقنا إنما هو طريق الإصلاح التحتي ، نبدأ من الفرد ، نبدأ من تربية الشباب ، شباب الصحوة الإسلامية ، حتى إذا استوى العود نقلوا ذلك إلى مَنْ وراءهم ، ثمَّ نقلوا ذلك إلى دائرةٍ أوسع ، وتظل الدوائر تتسع حتى يكون المجتمع المسلم ، حتى يكون المجتمع هذا هو الذي ينتخب حكومته الإسلامية ، فيكون تمام الإصلاح آنذاك .

ليس طريقنا القفزُ ، ليس طريقنا التسوُّر ، ليس طريقنا هو الهتافات السياسية ، بل القول الشرعي الموزون بثوابت الإيمان وموازين الفقه .

ولذلك قيل لنبيلٍ من النبلاء المسلمين سابقاً : ما أكثر شَككَ ؟- يَشكُ في الأشياء حتى يثبت لهُ الصواب- قال : (**مُحاماة عن اليقينِ**) ، قال : شَكي هذا إنما هو المحاماةُ عن اليقين .

هذا المبدأ في الفلسفة يظن البعض أنهُ من " ديكارت " ويسمون فلسفة ديكارت أنها " الفلسفة الشكيّة " ، ولكن ذهبوا بعيداً حتى شكوا فيما لا يُشك فيه من أمور الغيبيات والعقائد ووجود الله ﷻ .. أما منهجيتنا في فهم الأمور فإننا لا نأخذ الأمور على ظواهرها ، وإنما نغوص إلى بواطنها ، ونفترض في الأمرِ أنَّ فيهِ شيئاً من العيبِ إلا أنَّ يبرأ هذا الشيء من العيب بعد الفحص ويكون مطابقاً للأوصاف الشرعية .

هذا منهجنا - أيها الأخوة - نعم ، نشكُ ، لا في ديننا ، لا نشكُ في ثوابتنا ، إنما نشكُ في كلّ شيءٍ يُعرضُ علينا من نتاجِ العقولِ ؛ ومن اختراعات الحكومات ؛ ومن أقاويل السياسة ؛ وما أكثر الأقاويل السياسية التي تذهبُ بنا يميناً وتحدونا شمالاً ؛ وتتقاذفنا كما تتقاذف الرياح الرِيَش ؛ ويمكن أنْ تؤدي بنا إلى ضياع .. ولكن بمبدأ الشك هذا : نطرحُ كلَّ قول على المحك ونقارنهُ بأمر الإسلامِ ؛ بجوازم الشرع ؛ بالآياتِ البينات ، وآنذاك نكونُ في جانب الاحتياطِ ، وتكون أمورنا - بإذن الله - إلى صوابٍ .

وقد قال الأحنف بن قيس في القديم قولاً يكون مرشداً لنا في مثل هذا :

(كلُّ عزٍ لم يوكَّد بعلمٍ فإلى ذلٍ ما يصير)

هذا القول إذا طبقناه في هذه الأيام ، نجدُ أنَّ الدعوة قد تكونُ في حالاتٍ من العزِ متعددة :

● **حالة كثرة الأنصار** : مثل وجوهكم الطيبة ، مثل وجوهكم العامرة التي يبدو فيها نور الإيمان ، هذه حالةٌ من حالات العز .. ولكنَّ هذه الحالة إنْ لم توكد

بعلمٍ وتتربى هذه الجموع على : قال الله .. وقال رسولهِ .. وقال أبو حنيفة .. وقال الشافعي ، فـ - حاشاكم - إلى شيءٍ من التشتت نصير ، وإلى شيءٍ من الضياع .

● **حالة التنظيم** :لو نظمنا أنفسنا ، هي حالة منَ العزة ، ولكن إنْ لم يكن هذا التنظيم يسع الغني والفقير ، يسع الجاهل والأمي بجنب المثقف ، وترى بائع السمك أو بائع الخضر بجنب أستاذ الجامعة ، وترى العامل - صاحب اليد المدهونة بالأسود والدخانِ - إلى جنبِ الطبيبِ وإلى جنبِ المهندسِ ، لا تستطيع أنْ تقول : أنَّ تنظيمنا بخير ، ويمكن أنْ يسعف القضية الإسلامية ، لأننا نقول مرةً أخرى : (**كلُّ عزٍ لم يوكَّد بعلمٍ فإلى ذلٍ ما يصير**) .. تنظيمنا إذا كانَ صورةً من صور العزِّ فيجب أنْ يتطوق بطوق العلمِ ، طوق الميزان الشرعي الذي لا فرق فيه بين غنيٍ وفقير ، بين عربيٍ وكردي ، بين أصحاب الريفِ والقبائلِ وأهل المدن .. ثمّ طوقٌ آخر : هو الخضوع لأحكام الشرع في حربنا وسلمنا وتحالفاتنا .

● **صولة الجهاد** : صولة الجهادِ نوعٌ من أنواع العزِ ، ولكن صولة الجهاد لابدَّ أنْ تضبط أيضاً بالأحكام الشرعية ، ثمَّ لابدَّ أنْ تضبط أيضاً بالأحكام المصلحية ، ورعاية المصلحةِ جزءٌ من رعاية أمر الشرع .. جهادنا إذا لم يكن مضبوطاً بهذه الموازين بعدَئذٍ (**إلى ذلٍ ما يصير**) ، إلى تفرق ، إلى تقاتل بين الطوائف المجاهدة ، ووجبَ علينا أنْ نلجأ إلى التربية الشرعية لنصونَ جهادنا ، وحادثةُ الأفغانِ أمامنا تنطقُ بمثلِ هذا ،كانَ المجاهدون يُجاهدون وهم في عزٍ ، لكن لم يُطوق بعلمٍ ، ولم يُطوق بهذه التربية الإسلامية التي نقولها ، العلم الذي أراده الأحنف بن قيس ، ولذلك صاروا إلى نوعٍ من الذلّ والتفرّق ، حتى جاء الأمريكان بعد الروس على الأفغان وهيمنوا عليهم ، وعادت الأفغان مستعمرةً مرة أخرى ، لعلها ليست أقلّ ظلماً من صورة الاستعمار الروسي القديم .

ولهذا - أيها الأخوة - إذ نحن في مبتدأ أمورنا ، إذ نضع أقدامنا في بدايات درب العزة ، في بداية درب التنظيم ، في بداية درب الجهادِ ، في بداية درب

السياسة والدخول في الحكومة وأمثال ذلك ، إنْ لم نطوقْ ذلك بطوق العلمِ ونَسْتأسرْ للعلمِ ؛ ويكون العلم هو الحاكمُ فينا - لا الأهواءُ ولا الآراءُ ولا الاجتهادات العلمانية ولا غير ذلك مما قاربها - فإنَّ أمرنا يكونُ في خطرٍ ، ولربما تزلُّ الأقدام ولربما يحدثُ المكروه .

ومن هنا ومن هذا المنطلقِ من خلال معرفةِ وجوب السياسة الشرعية للأحزاب الإسلامية ولكلّ عاملٍ في الساحة ؛ كانت وصايا الأقدمين في هذا الباب ؛ يرسمون معالم السياسة الناجحة : كيفَ تكون ؟ ما هي صفاتها ؟ وقد قيل لحكيمٍ من القدماء : من أحزمُ الناسِ ؟ صف لنا هذا الحزم - في الأمر السياسي طبعاً وما قاربهُ من رعاية المصالح العامة للأمة الإسلامية - ، فقالَ ثلاث علامات :

● (**من أخذ رقاب الأمور بيديه** - هذا أول شرط ، تكون بيدك الأزمّة ، لا تفلت من يدكَ ، لا تضيعها ، بمعنى أنَّ هذا الأمر الإسلامي يكونُ بيدِ قادة المسيرة ؛ بيد الفقهاءِ ؛ بيد علماء الشرع كمستشارين ، إنْ ضيعتها وكانت بيد رجل الشارع وبيد الجاهلِ وبيد الغوغاء فإنك على شفا جرفٍ خطرٍ ، ولربما يكونُ الزلل ، وليسَ هذا منَ الحزمِ .. هو يصفُ الحزم : أوله (**أنْ تأخذ رقاب الأمور بيديك**)- لا تدعها إلى جاهلٍ مغرور ، وإلى غوغائيٍ يتعسف .

● **وجعلَ العواقب نُصبَ عينيه** - كيف يرى ما سيحدث في الغد ؟ كيف يطلبُ لرِجلهِ - قبل الخطوِ - موضعها ؟ ما يخطو إلا أنْ ينظر : أين تقع رِجلهُ ؟ لعلها تقع على مزلقة ؟ لعل هناك قشر موز ويمكن أنْ يزلق ويمكن أن تكون المأساة ؟ لذلك يرى عواقبَ الأمور ، ولا يخطو خَطوةً إلا ويكون قدْ حلّلَ ما أمامهُ وخطا خطوةً حكيمةً موافقة للواقع ، موافقة لرصيدهِ وما يملك ، موافقة للظروف التي أمامهُ : ألا ينزلق إلى خطرٍ ثمَّ يراهُ حاسد فيسخرُ منهُ ويضحكُ عليهِ .. نحنُ - معشر المسلمين - أولى بهذا الحزمِ وبهذه الصورة التي يصفها الحكماء .

ثمّ ..

● **من نبذ التهيّب دَبرَ أذنيه)** ، التهيّبُ هذا كم ضيَّع الفُرص : يجعل التَهيّبِ دَبرَ أذنيهِ - خلفَ أُذنَيهِ - ، لأنَّ التهيب جزءٌ من الجُبنِ - حاشاكم - ، وهذا الذي يتردد أولُ تهيبهُ وتردده : هيّن ، ولكن بعد أنْ تفوت الفرصة المُثلى التي لا تأتي في الزمانِ إلا نادراً ويغتنمها المستعجل الآخر يأخذها منهُ ، ثمَّ يكتشف أنهُ لا يستطيع أنْ ينالَ مثلها إلا بعدَ دهرٍ وحينٍ آخر ، يلزمهُ بذل الشيء الكثير من أجل هذا ، آنذاك يندم ويأخذ يلومُ نفسه .

ومن هنا فإننا نقول **بأنَّ معرفة الفُرص قبل مجيئها** - ثمَّ إذا جاءت معرفة اغتنامها واقتناصها والسعي لها - **أصلٌ أصيلٌ من أصول الحزم السياسي** .. نحنُ قومٌ ينبغي لنا شيءٌ من الجسارة ؛ شيءٌ منَ الإقدام ، ولابدَّ لمسيرتنا أنْ ترقبَ هذه الفُرص ، والفُرصُ اليوم ما أكثرها ، بل نحن في الانعطافة التاريخية للقضية العراقية المعاصرة .. كانَ هناك ظلمٌ - جاء من بعدِ ظلماتٍ كثيرة - واليوم انكشفَ هذا الظُلم .. هناك حرية ، هناك سباق ومنافسة ، واللهِ إنْ لم نغتنم هذه الفرصة هذا اليوم فإنها سوف لا تتكرر إلا ربما بعد ثلاثين سنة أخرى وننتظرها كما انتظرنا تلك السنوات الطويلة .

نحنُ إذن مدعوون ، تدعونا الفرصة الحالية إلى أنْ نغتنمها ، لكن كيف الاغتنام يكونُ إلا بتكاتف الجهود؟ كيف يكون إلا أنْ ندع الأيادي تتصافح؟ أيادي هذا الجمع المبارك ، ومثله الذي رأيتهُ في جامع أبي حنيفة ، ومثله الذي رأيتهُ في جوامع أخرى ومكانات في أرض بغداد وغيرها ، إن لم تتظافر كل الجهود ويُعينُ بعضنا بعضاً ، ونصدرُ عن كلمة واحدةٍ وقيادةٍ واحدةٍ ومنهجٍ واحد ، كيفَ يؤذن لنا أنْ ننتصر ونغتنم هذه الفرصة ؟

هذه هي المعادلة القيادية الصعبة ، لكنها الجامعة في الحقيقة لفنون المهارات ، وأدلُّ دلائل الحزم أنْ يكون أمرنا بأيدينا ، وليس بأيدي غيرنا ، أو مجرد ردود فعل نردها ، ولا نكون نحن أصحاب الفعل الأصليين الذين يُبادؤون .

الـمُبادأة أصل مـن أصـول النجـاح الـسياسي ، وهنـا تبـدو مـسألة الـسياسة الحكيمة في ترددها بين اللينِ والإرخاء من جانب وبـين أخـذ الأمـور بحـزمٍ مـن جانبٍ آخر ، كما قال هارون الرشيد - رحمه الله - لأبيـهِ المهـدي ، يـبين تكامـل السياسات ، يصف له ما كانَ عليهِ المهـدي ، يقـول : (**خلطـتَ الـشدّةَ - أيهـا المهديُ - باللّينِ ، فصارت الشدةُ أمرٌ فطامٍ لما تكره ، وعاد اللّينُ أهدى قائـدٍ إلى ما تُحبُّ**) .. والمرء يتـرددُ دائماً ، أو الحياة الإنسانية بـالأحرَى كلـها تـتردد بـينَ هاتين الحالتين ، مرةً لابدَّ لكَ منْ عينٍ حمراء تُبديها لمتكاسلٍ أو زائغٍ أو مـستعجلٍ يريد أنْ ينقض الخطة ، وبينَ عينٍ فيها إرخاء وفيها مُسامحة ، وخُلـقٍ آخـر لمجتهـد يجتهد فيُخطئ ، فتعلمهُ الصواب من خلالِ خطئـهِ ، مـن خـلال تحليلنـا لخطوتـه الخاطئة : لماذا كبا ؟ وكيف يقومُ من كبوتهِ هذه ؟

هنا الفرق بين التربية الدعوية وبين الغوغائية ، والطريقة التي تعالج بهـا أمـور الإسلام من خلال رجل الشارع . هنا مكمنُ أمرنا ، وأنَّ التربية الدعوية هي التي تتكفل بتعليم الناسِ الحزم والشدة من بابٍ ، وتعلمهم اللّـين والعفـو والتـسامح من بابٍ آخر ، وباختلاطهما معاً يكون التكامل ، وبهما معاً يكون التعادل ، فإذا جنحَ إنسانٌ عامٌ أو مُسلم إلى الشدة دائماً ينفر الناس ، وإذا جـنح إلى لـين دائمـاً أيضاً تضيع المصالح ، ومن شأن البشر ألا يسـيروا إلا بـأمرٍ ؛ وإلا بقيـادة ؛ وإلا بزعامات ؛ وإلا بمنهج .. هكذا عرفنا الحياة البشرية ، وخاصة الحياة المتقدمة . أما حياة البداوة وحياة غيرها فهذه تكون بزعيمٍ يأمرُ وينهى ولـو كـان جـائراً ، ولـو كانَ هناك شيءٌ من الخلل ، كما رأينـا في أمـر العـراق الـذي طالـت بداوتـهُ إلى ثلاثين سنة وأكثر ، وحُكم بأعرافٍ رديئة ، بل باستبدادٍ شَـيّن ، كلـهُ شَـينٌ وكلـه افتياتٌ على مصالح العراقيين .

من هنا : هذا الباب في ازدراء الناس باطلٌ ، والناسُ قـد تطيـعُ وتنـسجم مـع القرار عن رهبةٍ وليس عن رغبة ، وربما تُطيع ، ولكنها طاعـةٌ مفـضولة وليـست هي الطاعة الصحيحة ، كما كتب أحـد القــادة إلى أحـد أمـراء المـؤمنين في يـومٍ

قديم ، فقال : (**كتابي إلى أمير المؤمنين – أيدهُ الله – ومنْ قِبلي من أجنادهِ ومن قوادهِ في الطاعة والانقياد على أفضل ما تكون عليه من طاعة جندٍ ، تأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم**) .. هنا يومي إيماء فيه تهديد أوفيه كشف حالة خطرة ، مع أنَّ صورة الطاعة حاصلة ، جندٌ اختلت أرزاقهم واختلفت أحوالهم ، لكنهم على الطاعة ، بسبب الرهبة ، بسبب ربما الإيمان أيضاً ، أنْ يكونوا مع الإيمان بحيث يطيعون الطاعة الشرعية للأمراء ، لكن هل هي الطاعة من كلّ القلبِ ؟ هل هي الطاعة التي تبني ؟ كلا فإنَّ أي خللٍ في العلاقة ما بين القيادة وجنودها ، ما بين أمير المسلمينَ وأتباعهِ من عامة المسلمين تُحدثُ هذا الخلل ... صورة الأرزاق ، صورة خلل في الطاعة جاءت من وراء تأخر الرواتب – هنا أرزاق الجند يعني بها الرواتب التي تعطى لهم – ، فاختلت طاعتهم ، بقيت على صورة الطاعة لكنها منقوصة ، هنا يهدد أنها عمّا قريبٍ ربما ستنفجر .

هذه الصورة يمكن أنْ تتكرر في صورٍ أخرى ليست هي صورة عيب وخلل تأخر الأرزاق ، ربما لا يكون هناك منهج في العمل ! ربما لا يكون هناك وضع الأمير الكامل الصفات على هؤلاء الناس الأجناد ! ربما يكون بانقطاع المركز عن الأطراف ! ليس هناك رقابة ؛ ليس هناك حزم إداري ، كإشراك في الشورى ، هذا كلهُ ربما من الخلل الذي يطرأ على المجموعة العاملة .. ولهذا يطلب من الجندي ومنَ التابعِ ومنَ الأخ الذي يكون معاهداً للقائدِ لكي ينفذا معاً خطة الإسلامِ ؛ يطلبُ منهُ أنْ يطيع طاعةً واعيةً مع بينةٍ ، ومثلما هذا يطلبُ منَ الجندي يطلبُ منَ القائد أنْ يكونَ حازماً ، وأول حزمهِ : أنْ يعترفَ بحقوق أتباعهِ ، وأنْ يعمهم بالشورى ، وأنْ يعلمهم المنهجية ، وأنْ يسير وإياهم على بينةٍ منَ الأمرِ .

لهذا – أيها الأخوة – أقول مرةً أخرى : أنَّ جمعنا الإسلامي المبارك في عراقنا اليوم الذي يريد أنْ يعيد للقضية العراقية وجهها الناصع ويحل الإشكالات التي يعاني منها العراق ، هذه الكتلة الدعوية الناشئة اليوم المستندة إلى قومٍ مخضرمين

كانوا قبلَ مجيء الظلمِ ولبثوا ثابتين – بحمد الله – على الدعوة لحد الآن ويقودون المسيرة ، هذه الكتلة لا ينبغي أنْ تظل ضعيفةً في منهجها أو في تنظيمها أو في سياستها أو في تقديم الاختصاصاتِ أو في التفتيشِ عن مسارب آمنة لسياساتها وطاقاتها ، توظف كل الطاقات ، وهذا يلزمهُ تمويلٌ جيدٌ وتجاراتٌ وتنظيم أخذ التبرعاتِ من غنيهم وميسورهم لإقامة هذا العمل ، يُدعى كلّ أهل العلم المبارك من مشايخنا وأمثالهم لتعليم هذه الجموع أمرها الشرعي .. المحامي والقانوني مكلفٌ بأنْ يقترح الدستور الإسلامي لهذه الدولة والقوانين ، ليتكلم غداً البرلماني النائب في البرلمان ويقول : **نطالب بهذا الدستور ، نطالب بهذا القانون** ، ليس مجرد كلام عائمٍ عام ، ولكن بكلامٍ تفصيليٍ دقيق .

فإذا تظافرت هذه وهذه : عندنا المال ، وعندنا المنهج ، وعندنا العلم ، وعندنا مشاريع القوانين والدساتير ، وعندنا مراكزنا البحثية التي تبحث أمر السياسة وتكتشف كأنها تخترق الغيب – والغيب لله– لكنها تقول : أتفرس في المستقبل ، وسيقعُ كذا وكذا ، فإننا نستطيع أنْ نخطو الخطو المتماسك الموزون .

إذن دعوتنا اليوم مدعوة إلى إتقانِ عملها بالموازين المدنية الراقية ، الاقتباس من تجارب الأمم في العالم ، وأنا قد سُحتُ في العالم العربي والإسلامي والكافر الغربي ورأيتُ شيئاً كثيراً من الخيرِ والصواب نجهله نحن هُنا ، لا أقول من أحزاب إسلامية وجهات دعوية إسلامية في مثل مصر وفي مثل اليمن ، ولا أقول في أرضٍ إسلامية أخرى مثل : ماليزيا واندونيسيا وبعض بلاد العجم مثل تركيا ، حيث أنَّ الأستاذ " أربكان " أتى بنماذج من العمل جديدة على حِسّنا نحن في العالم العربي ، يجب أنْ نقتبسها ونوظفها في خدمة القضية العراقية ، لا أقول ذلك فقط ، بل أقول : حتى عند الغربيين هناك من الأساليب ومن طبائع العمل ما نحنُ بحاجةٍ إليهِ .. انظر هؤلاء " الخضر " في أوربا – أصحاب " السلام الأخضر " – كيف تظاهروا للقضية العراقية وأخرجوا مليوناً من المتظاهرين انتصاراً لقضية العراقِ في برلين بألمانيا ، ومثلهم أخرجوهم في لندن ، ومثلهم في أكثر من مدينة

من مدن أميركا ، يحتجون على سياسة " بـوش " ويحتجـون علـى سياسـة " تـشيني " ويحتجون على الاستعمار الجديد ... انظر الأحزاب الليبراليـة الـتي تتبـع الحريـة والديمقراطية في بلاد أوربا ، أيضاً رأينا منهم مـشاركةً لنـا في العواطـف وإنكـاراً لقضية الاستعمار ، ليس بصراخٍ فقط ، وليس بهتاف ، ولكن بإحصاءاتٍ وبينات ودراساتٍ اقتصادية وسياسية واضحة ، يدلون فيها بدَلوهِم .. وهذه وغيرها مـن الأساليب التي نحنُ بحاجة إلى أنْ نروجها ؛ وأنْ نعترفَ أننـا في العـراق صـرنا إلى أميّة سياسية دفعنا لها الحاكم ، أُميّة سياسية ضاربة الأطنـابِ وفاتنـا خـيرٌ كـثير ، تطورَ كلُّ العالمِ على حسابنا ، وتقدموا مراحل ، ونحنُ تأخرنـا مراحـل .. ومـا لم نحزم أمرنا وتكونُ لنا خُطة تقتبس من كل هذا الكم التجريـبي الهائـل ، فيـضافُ إلى رصيدنا من الشـرع وإلى سكينتنا الإيمانية : فإننا سنصير عـن النجـاح بمعـزل ، ولا نستطيع أنْ نضمن مسيرتنا أو نقول أننا سنصل بسرعة إلى أهدافنا .

المنافسة مع الأحزاب العلمانية ستظلُ ضعيفة .. لابدَّ أنْ نطوّر أنفـسنا ، لابـدَّ أنْ نطوّرَ أداءنا ، وأول مثل هذه المسائل خذ : مسائل القنـوات الفـضائية وكيـف اكتسحونا ! لم لا تكون قناة فضائية عراقية تتكلم بالإسلامِ وتـتكلم بقـضايا هـي أساساً قضايانا بدلَ أنْ نسمع لقضايا وأوصاف غريبة عن حِسِنا هُنـا ؟ سُـيقال في ذلك : أنَّ اليد قصيرة ، وأنـهُ ليـست لنا أمـوال ، لكن تـرى كـلّ الناس يـركبون " المارسيدس " ويركبون الـ " BMW " ويتناطحون في البنيان ؛ كلَّ الناس الآن تبني البيوت الفارهة ، من الذي يقول أنه ليست عندنا مادة ؟ الذي لـيس عنـدنا هـي الحمية الإيمـانية التي تجعل المؤمن يؤمن فوق إيمانه بوجوب مجيئه إلى صف الصلاة في المسجد ، أن يبذل ١٠٠٠ دولارٍ مثلاً مساهمةً في إيجاد هذه القناة الفضائية التي ستدخل كل بيت ، وتصحح عقائد العراقيين ، وتقنع صاحب الـتردد ، ثـمَّ تزيـد المؤمن إيماناً ، وتزيد الصائب فصاحةً في الحق .

لماذا نجعل هذا الأمر صعباً وهو بين أيدينا وأممٌ أخرى قد سبقتنا ؟ أنا أرى أنَّ العجزَ فينا... خذ مثلاً : فضائل " الإنترنت " الذي ما أنْ تضع في موقع " الإنترنت "

أي خبر أو أي تحليل وبلمسة زرٍ واحدة ينتقل إلى أنحاء الأرض جميعاً ، يعلمُ به جميعُ من هنالك ، وإذا علموا بموقعك وعنوانك في " الإنترنت " يستخرجوهُ ، ثمَّ أنتَ تستخرجَ نتاج العالمينَ أجمع ... هذا أحدثَ ثورة في المعلومات وثورة في الاستخبارات وثورة في تحصيل الأصدقاءِ وصيانة النفسِ من الأعداءِ ، لكن ليس في البيوت أدوات هذا " الإنترنت " الذي هو الكمبيوتر .. لماذا أنا في هذه الرجعية وهذا التخلف إذ الأمم الأخرى رأيناهم ، حتى الطفل عنده هذا الكومبيوتر ويلعب به ، ونحنُ في غفلة عن هذه المخترعات وتطوير أمرنا بها ، وعن أخذ لبابة وعُصارة العقول من خلال " الإنترنت " .

أحفظ كلمةً لملكٍ من ملوك الأندلس يقول : (**الملكُ يفكرُ بعقول الناسِ أجمعين ، والملكُ إذ هو على سريرهِ تُهدى إليهِ عُصارة عقول المسلمين جميعاً ، بل والكُفار**) .. هذا كلامٌ أجدهُ صحيحاً لصاحب " الإنترنت " ، طبعاً كلُّ الصحف موجودة على الكمبيوتر وتستطيع أنْ تستخرجها في لحظةٍ واحدة ، اليوم ما أنتَ بحاجة إلى أنْ تشتري الصحيفة منَ البائع ، كلها في " الإنترنت " ، فأفاضل المسلمين في العراق لو تتبعوا أخبار العالم والتحليلات ، فكَأنهم يُفكرون بعقول الناسِ جميعاً ، كأنَّ عقول الناس كلها توظف لخدمة الدعوة الإسلامية هنا في العراق من كثرة التحليلات وكثرة الملاحظات التي يدلونَ بها ، ومنهم منْ هو في موضعٍ دقيقٍ - أستاذ جامعي أو وزير أو نائب في البرلمان في دول أخرى أو رئيس مركز بحوث أو شيء آخر - ، ومعنى ذلك أنَّ كلَّ عقول الناس تكون في خدمة قضيتنا إذا أحسَنَّا المدخل إلى ذلك .

ثمَّ يأتي متبطرٌ ويقول : كيفَ أصلُ إلى ذلك وليس جميع من في الساحة العراقية اليوم معيَ في صف الصلاة ؟ وقد أفسدتهم التربية الحزبية البعثية أو الشيوعية قبلها ؟ والجواب : أنَّ الدعوة الإسلامية مطالبة بأنْ تكون هي القيادة لهذا الزحف الإسلامي المبارك ، أمَّا توظيف الطاقات بعدَ ذلكَ فهذا يستوي فيهِ كلّ من هنالك في الساحة ما دامَ مؤمناً موحداً .. وأمرهُ شبيهٌ بأمرِ الحربِ ، فإنَّ

الإمام الغزالي وأمثالهُ من العلماء ، قـالوا : وهل يُجـاهدُ بالفاسقِ ؟ فيــقول : (نعم ، وما زالت جيوش الفتوح - فـي زمن الفتوح الإسلامية - فيهـا شـارب الخمرِ وآكلُ مال اليتيمِ ومقترف الزنا ، ولا يتعطـل الجهـاد لـشيءٍ مـن ذلـك) ، لكن أينَ الفرق ؟ ألا تجعل شاربَ الخمرِ هذا هو القائد ، هو الـذي في المقدمـة ، ونعني هنا بالقائد ليس الواحد الفرد ، القيادة الإسلامية اليوم بالمفهوم الجديـد أو القيادة بالمفهوم السياسي طبقة عريضة " في مثل العراق ربما تبلغ ألفـاً ، ربمـا تبلـغ ألفين " هي التي تقود مناحي الحياة الاجتماعيـة والاقتـصادية والثقافيـة الفــكرية وغير ذلك ، إضافة إلى القيادة السياسية ، فهي قيادة جمـاعية واسعة تندسُ في كلِّ مرافق الحياةِ جميعاً ، هي صناعة الحياةِ بأكملها في جميعِ جوانبها ، فأنْ لا تجعل هذا الناقص في مقام القيـادة والتوجيـه والرقابـة ، بـل تجعلـهُ تابعـاً منفـذاً ، وبـذلك تكتسب خير المسلمين .

ونحنُ في هذه الحالة - مرة أخـرى - علينـا أنْ نتـسامح وأنْ نكـون أصـحاب عقلانية ، ونفكر بتفكير منْ كانَ من أمراء المسلمين وأذنبَ مذنبٌ عنـدهُ بـذنبٍ ، فقال لهُ باللسان الهادئ : (تقدمت لك طاعةٌ ، وظهرت منـك نـصيحةٌ - يعـني أنتَ كنتَ مطيعاً ، ثمَّ ظهرَ منكَ نصحٌ وأنتَ صادقٌ في مشاورتك لنا ، صـادقٌ في أحاسيسك - كانت بينهما نَبوَة - جفلة وغفلة وسقطة سقطها - ولنْ تغلب سيئةٌ حسنتين) .

هذا هو القانون (**لنْ تغلـب سـيئةٌ حـسنتين**) كـل مـن في العـراق هـــو بـين حسنتين وإن نَبا هذه النبوات ..

الحسنة الأولى : أنهُ على الفطرة ، والثانية : أنـهُ سـليل الأجـداد الطـاهرين ، سليل الأصالة العراقية ، هو ابن العشائر العربيـة أو الكرديـة أو التركمانيـة ذات الكرمِ والحسبِ والنَسبِ ، فما أنْ تكون الحاجة الحقيقة لأنْ يحدد مسارهُ :إما إلى إيمانٍ أو فسوقٍ ، إلا ويختار كل واحد - بطبيعة فطرتهِ النقية - الاتجاه الإسـلامي واتجاه المـصلين ، ويوصـي أنْ يُـدفن في مقـابر المـسلمينَ - إنْ كـانَ مريـضاً - ،

ويوصي أصحابهُ وأهلهُ أنْ يُقرأ عليهِ القرآن .. هذه دلالة وافرة على أنَّ الأصول الإسلامية ممتدة في العروق عند جميع هؤلاء الفُسّاق .

إذن هو بين حسنتين ، لم لا أغفر النَبوة - أو الكبوة - التي نبا بها والتي كَباها؟ أنا مجبورٌ على أنْ أتسامحَ لتحصيلِ تيارٍ إسلاميٍ عـريض .. اليـوم هـذا الـشعب العراقي فيه بعثيٌ تائب ، كفرَ بمبدأ الاشتراكية البعثية وكفـر بــ " ميـشيل عفلـق " ، وقد أوهم أياماً بهذه الأوهام ، رجع إلى أصالتهِ .. بل وحتى عندي شيوعيٌ تائبٌ ربما ، وقوميٌ ذهبَ في القومية إلى مدى أبعد ممـا يسمح بـه الإيمـان ، أو علمـانيٌ يريد اليوم أنْ يشارك بعدما رأى فشل العلمانيات والأحزاب جميعاً ومـا بقـي إلا صوت " الله أكبر " ويريد أنْ يأتي إلى صفنا .

ثمَّ يجب أنْ نـُري الناسَ حلاوة دعوتنا أو حكمنا إذا حكمنـا لتكـون طـاعتهم عن بينة ، كما قال أحد قادة المسلمين ؛ يزيـد بـن عمـر بـين هـبيرة لأبـي جعفـر المنصور - الخليفة العباسي قولةً بليغـة تكـونُ نبراسـاً لنـا ومـن أصـول حكمنـا للناسِ ، قال : (**إنَّ إمارتكم- أيها المنـصور ، أو بـني العبـاس- بكـرٌ- لازالـت جديدة- ، ودولتكم جديدة ، فأذيقوا الناس حلاوتها ، وجنبوهم مرارتها ، تخفُّ على قلوبهم طاعتكم ، وتسرع إلى نفوسهم محبتكم**) .

هذا قولٌ جليلٌ في الحقيقة ، هو أحد الأعمدة لسياستنا الدعوية الحاضرة في ما نرى . اليوم كلما جلس أهل العراق يتذاكرون :ماذا كانَ مـن حـزب البعـث أو الحزب الشيوعي أو أحزاب حكمـت في الـسابق ؟ نجـد المـرارة لـيس إلا ، هـذا يحصي عدد المقتولين ، وهذا يحصي عدد المساجين ، وآخـر يقـول : كـم ذهبـت الأموال ؟ هنا المرارة التي جعلت كل الناس تلعن الأحزاب وتلعـن أصـول هـذه الأحزاب - ميشيل عفلق وأمثاله- وتلعن الظَـلمة الفسقة الـذين اسـتولوا علـى هذه الأحزاب ، لكنَّ المُسلم إذا يريد أنْ يتعسف وكلمتهُ هي النافذة فقط فإنهُ مـا زادَ شيئاً على قول " صدام " أو غيرهِ ، لكن نُذيقُ الناس حلاوة الإيمان ، نـذيقهم حلاوة تطبيق الأمر الشرعي ، حلاوة الشورى ، حلاوة الإخاء ، حلاوة المحبة بين

المؤمنين ، حياة التكافل والإغاثة ، حياة تـَفقد الفقير ، حياة كسوة الأرملة والمسكين ، حياة المصافحة للجميع من مكسوري النفوس ، حياة تعليم الأطفال سنن الإسلام وأنْ ينشأوا على هذا الدين من أوائل تربيتهم ، وهكذا حلاوة الإيمان هي الفيصل ، كلما أشعنا حلاوة الإيمان كلما ازدادت محبة الناس لهذه الدعوة المباركة .

بعد غيابي عن البلد مدةً طويلة رأيتُ رجلاً ، قلتُ لهُ : يا فلان ، كان خال أمك صديقي ، وبعد الغيبة لا أدري حالهُ ، أهو حيٌ حتى أزوره ؟ وأينَ هو ؟ فقال لي : واللهِ لا أدري إنْ كانَ حياً أو ميتاً ، وصلت المسألة ليس فقط تهارش الناس بينهم والغريب يأكل الغريب ، لا ، حتى قطيعة الرحم بين العائلة الواحدة ، لا يعرف بخال أمهِ أهو حي أم ميت ؟ أيُ دركٍ هذا نزلنا إليهِ ؟ وأيّ قطيعةٍ حلت في دارنا ؟ هذا كله ما هو نتيجة غير متوقعة ، بل هي من نتيجة العلمانيات وتربيتها وهي من نتيجة الحزبيات الضيقة ، ولما الحاكم يُعلم الناس أنْ يشي بأبيهِ وبأخيه وبابن عمه وجارهِ ، طبعاً تسود مثل هذه الأخلاق ويكون هناك نوعٌ من القسوة في التعامل .

هذا الإخاء المفتقد يجب أنْ نعيده وأنْ يتجلى في أجلى صورهِ كما كان يفخر الشاعر في القديم بأنَّ روحهُ وروح أخيه سواء – واحدة – :

همومُ رجالٍ في أمورٍ كثيرةٍ
وهمي من الدنيا صديقٌ مساعدُ
يكونُ كروحٍ بين جسمين فُرّقا
فجسماهما جسمانِ والروحُ واحدُ

أجسام متفرقة ولكنّ الروح واحدة ... نحنُ بحاجة إلى أنْ يردد أحدنا بصدقٍ ومن عميق القلبِ وليس باللسان ، كلٌّ واحد يقول لصاحبهِ : أنا أنتَ ، الجسمان مفترقان ، لكنَّ القلب واحد ، الروح واحدة ، إذا وصلنا إلى هذه

الدرجة فأبشر بنصرٍ ، أبشر بتوفيقٍ ، أبشر بتغير الحالِ ، وميزاننا آنذاك في تعاملنا مع الرجال لا يكونُ إلا ميزان الشرع ...

لا تراني أبداً أكرمُ ذا المالِ لمالـهْ

يأتي غني تبدي لهُ الاحترامات لغناه فقط ، لا ، هذا خلل ..

لا ولا تزري بمن يعقل عندي سوءُ حالهْ

إذا كان صاحب عقل وحكمة وهو فقير أزدريهِ ؟! كلا ، هذا أحترمهُ لحكمتهِ ، وإذا كان فاجراً أزدريهِ لفجورهِ ..

إنما أقضي على ذاكَ وهذا بفعالهْ

أنا كالمرآةِ . . ألقى كلّ وجهٍ بمثالهْ

هنا : (**أنا كالمرآة**) ، أنا داعية مسلم واجبي أنْ أرى الآخرين بهذه المرآة - أعكس صورته - ، فأنا مرآة .. ما هو هذا : فاجر ؟ أقيمهُ بفجور .. صالحٌ تقي ؟ أقيمه بالتقوى ، وهذا أساس شروط التوثيق والتضعيف التي قامت عليها تنظيمات المسلمين وأعمالهم التربوية وخططهم الإخائية ، أنهم يَزِنُونَ الناس بمعيار الشريعة لا بشيءٍ آخر ، لا بغنىً ولا بمنصبٍ ولا بعصبيةٍ عشائريةٍ جاهلية - تنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً في كلّ الأحوالِ- ، لا ، أنا مؤمنٌ ..(**أنا كالمرآة**)، الفاسق أقيمُهُ بفسوقهِ ، الفاجر : بفجورهِ ، المؤمن : بإيمانهِ أيضاً ، ثمَّ ألقى الكريم - بعد تمييزه - بالوجه الطلقِ ..

وما الخصبُ للأضيافِ أنْ يكثرَ القِرا

تذبح ذبيحتين أو عشرة حسب منازل الناس اليوم لّما يتزاورون . .كلا . .

لكنّما وجهُ الكريمِ خصيبُ

وجهك الطلق ، ابتسامتك في وجه أخيك صدقة ، تشجيعك لهُ ، دعائك في ظهر الغيب لهُ ، وأنْ يعلمَ ذلك منك ، هذا هو التوفيق .. نحنُ واللهِ أحوجُ لدعاء إخواننا في الخير من كلّ هذه الولائم وكلّ هذا الطعام وكل الجاه وكل المناصب .

الميزان الإيماني لما يغيب : يتعلق الناس بقشور الـدنيا ، تكـون آنـذاك مـوازين التضعيف والتوثيق عندهم شيء آخر ، ليست هي مُحـكـمات الإيـمـان ، ولكنَّ (**وجه الكريمِ**) وابتسامتهُ وبشاشتهِ في وجهِ إخوانهِ المؤمنين هـو الخِـصبُ ، هـو الغنى ، هو المبتغى في تربيتنا .

وأفعال هذا المؤمن وكلامهُ الخيري لإخوانهِ ، كقـول أحـد الزُهّـاد الـسابقين ، إبراهيم السّندي ، وكان من الذين ربوا " **عمر بن عبد العزيز** " – رحمه الله – :

(قد– واللهِ – سمعتُ تغريدَ الأطيارِ بالأسحارِ في فروع الأشجارِ – أحلى من البلبل وصوتهُ ولما تسمعهُ في البستان ويلتقط الرُطب من نخلة إلى نخلة – وسمعتُ خفق أوتارِ العيدانِ – العود والموسيقى– ، وترجيع أصوات القيانِ – القينة هـذه هي العبدة التي كانت تغني مثل المغنيات اليوم – ، فمـا طربـتُ مـن صـوتٍ قـط طربي لثلاث :– أطرب لها أكثر من طربي لبلبلٍ أو طربي لمغنيةٍ أو لشيءٍ آخر–.

● من ثناءٍ حَسنٍ بلسانٍ حَسنٍ على رجـلٍ قـد أحـسن– المحـسن تقـول لـهُ : أحسنت ، هذه هي النغمة المطربة ، هنا يكمن الطرب الحقيقي ، أنْ تكون منصفاً وتقول للمُحسن : أحسنت ، وتقـول للمـسيء أيـضاً : أسـأت ، لكــن خاصـةً للمُحسن .. ربما نتأول أنْ لا نقول للمسيء " أسأتَ " على قاعدتنا " أنَّ سـيئتهُ بـين حسنتين " ، لكن هنا " الثناء على المحسن " إنْ لم تُشجعهُ وتقول لهُ : أحسنتَ ، كيف يستمر في إحسانهِ ؟ اليـوم دعـاة الإسـلام انتـصبوا في الـساحة ، يقولـون القـول الحسن الذي ليس أحسنَ منهُ ، كلهم يردد آيات الله في القرآن ؛ كلهـم يـردد قـول نبيه الكريم وأحاديث " **صحيح البخـاري** " وأمثالـه ؛ كلـهم يـردد قـول الـشافعي وقول مالك وأمثالهم ؛ ثمَّ من المعاصرين : قول حسن البـنا – رحمة الله عليـه– ، قول المودودي ، قول سعيد النورسي ، أقوال أخرى مباركة ، أنتَ إنْ لم تقل لهُ : أحسنتَ ، كيف يستمر في إحسانهِ ؟ إذا لم يلقَ التشجيع كيف تأمن أنْ يُـسوق مـا عندهُ من فكرٍ حَسن ، لذلك من أحلى النغمات في هـذه الأرض– علـى مـذهب إبراهيم السّندي هذا – أنْ تقول للمحسنِ :أحسنت ، وهذا المطلوبُ منكم ومن

أمثالكم جميعاً ، أنْ يقولوا لدعاة الإسلامِ : (**أحسنتم ، نحنُ معكم ، نشدُ أزركم ، نسيرُ وراءكم ، افتحوا الفتوح ، دافعوا عن قضايا الإسلام ، افتحوا بسم الله ونحنُ وراءكم**) ، وبمثل هذا يتشجع المحسن أنْ يحسن أكثر وأكثر .. لكن إذا كانَ الكُفران وكفران العشير وكُفران الصديق وكُفران الجار ونكذب الداعية .. أنى لهُ أنْ يُحسنَ أكثر ؟

الثاني من هؤلاء أصحابَ القول الحسن أو الفِعال الحسنة التي يطرب لها صاحبنا السّندي هذا :

● ومنْ شكرِ حرٍ لمنعمٍ حرٍ- هناك أهلُ إنعامٍ كثيرٍ ، وفقهم الله أنْ يكونوا سبباً في نصرة القضية الإسلامية ، في الشفاعة للناس ، في درء الخطر عنهم ، في حراستهم ، في العطف على أراملهم ، لابدَّ أنْ يُلقى أيضاً بالشكر ، وأول الشكر أنْ تقولَ لهُ : شكراً ، ثمَّ أنْ تُحامي عنهُ وتدافع ، ثمَّ أنْ تُصافح ، ثمَّ أنْ تزورهُ ، ثمَّ أنْ تطلب لهُ مزيد الخير ، وأنْ يوفقهُ الله .. شكرُ الحُرِّ لحرٍّ آخر قدَّمَ لهُ شيئاً من الخيريّات هذا واجبٌ ، وهذا هو الطرب الحقيقي .

● ومن شفاعةِ محتسبٍ لطالبٍ شاكرٍ) ، المحتسب هو الذي يقوم لله ﷻ يطالب بحقٍ آخر إمَّا قد ظُلم أو حُرمَ الفرصة ، فيوظفهُ أو يَطلب لهُ مالاً ، أو يشفع لهُ ليكون في المقدمة إذ هو من النبلاء ، أو بشكلٍ آخر ، إذا قوبل بشكرٍ ، فشفاعة الشفيع هذه هي أحلى من صوت المطربات وأحلى من صوت الأطيارِ أيضاً ، على مذهب السّندي .. نحنُ أينَ من هذا ؟ نسألُ لأنفسنا : كم نحنُ شفعنا للناس؟ كم توكلنا في قضايا الناس ؟

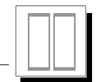
من هنا فإنَّ مبدأ الدعوة الإسلامية اليوم ليس هو كلام سياسي فقط ، ماذا فعلتم في وزارة كذا وفي وزارة كذا ؟ يحصر القضية في إصلاح سياسي ، كلا ، بل الإصلاح الاجتماعي ، أنْ ندخلَ في خدمة الناس ، أنْ نكونَ نحنُ الإغاثة ، أنْ نكونَ نحنُ الكُفلاء ، أنْ نُفكر بتفكير الناس ونحمل همومهم ، هذه هي مهنة الدعاة اليوم ، هي مهنتكم جميعاً ، دعوتنا الإسلامية دعوة إصلاحية اجتماعية قبل أنْ تكون سياسية .

أمورنا لا تـُحلُ بغضب ، تُحلُّ بحلمٍ ، تُحلُ بتواصٍ بالصبرِ ، تواصٍ بالإيمان ، بالصلاة ، نحنُ الذين نطبق الآيات بالتواصي بالـصبر وبـالحلمِ وببــذل المعـروفِ لكلِ أحدٍ من إخواننا ما دامَ يخطو إلى المسجد ، هذا هويتهُ أنهُ مُصلٍ ، هويتـهُ أنـهُ من أهل المساجد ، جازَ القنطرة كما يقول أهل علم الجـرح والتعـديل : (**فـلانٌ جازَ القنطرة**) ، بمعنى أنهُ طفرها وعـبرَ هذه العقبة والنهر الـذي كـاد أنْ يتـأخر لأجلهِ ، لكن عبرها وأصبحَ من النـاجين ، كلُ من في المسجدِ أخٌ لنا ، ولا نكونُ كقومٍ هم الغوغاء ورجال الشارع والذين رأينا ما رأينا منهم في السابق ، (الرَويّةُ عنهم عازبة) كما يصفهم محمد بن الليـث - أحـد نـبلاء التـاريخ الإسـلامي في القديم- (الرَويّةُ عنهم عازبة – بعيدة - والعَجلةُ فيهم حاضرة -انظروا ، مـا أنْ ينعق ناعق إلا ويكونوا أتباعهُ ، كما يقول الحجّـاج في وصـف الـبعض - تـسبق سيولهم مطرهم ، وسـيوفهم عَـذَلَهم- هـو قبـل أنْ يعتـب ويـستوثق يكـون قـد استعمل السيف ، يدهُ والسيف ، يدهُ والرمي وإيجاد المشكلات ، ثمَّ يا من ينقذني من المشكلة ، ويا منْ يَختَطّ معي خطةً سواء بعد ذلك - لأنهم بين سِفلةٍ لا يعدو مبلغ عقولهم منظر عيونهم - سِفلةٌ غوغاء ، الحق الذي يُبصرونهُ لا يعـدو منظـر عيونهم ، ما يرى الغيب ، لا يرى إلا ما يرى بعينهِ لا بقلبهِ .. القلوب ترى أيهـا الأخوة الرؤية التـامة ، وهي الرؤية الفصيحة الحقيقية ، أما رؤية النظـر فيـستوي فيها البشر - وبـين رؤسـاء لا يُلجمـونَ إلا بالـشدّة ولا يُفطمـونَ إلا بـالقهرِ) ، رؤساء الباطل الذين تَصَلّبوا على الباطل ، وعندهم من الدعوة إليه ما عنـدهم ، هؤلاء .. أمرنا الله تجاههم أنْ ﴿ **قاتلوا أئمةَ الكُفرِ** ﴾ في القرآن .. إمام الكُفرِ ليس كالأتباع ، إمامُ الكفرِ هنا نريهِ من الشدة ما ينبغي أنْ نـُريه ، ومـع ذلـك فأيـضاً نرجع مرةً أخرى إلى الحلمِ ونقول : ويتوب اللهُ على مـن تـاب ، ولعـل وعـسى الحقيقة المرة - يا أيها الأخوة - أنَّ الناس في نوع من البطالـة ، نـوع مـــن اللـهو أبعدهم عن الجد ، ولابـدَّ مـن أنْ نـنفُـضهم نفـضاً ، لابـدَّ مـن أنْ نـرجعهم إلى الإيجابية ، إلى الجديّة ، إلى الالتهاء بمصالح المسلمين □□□



الترسانة الأميركية تفشل في مواجهة شجاعة العراقي

دبابة أميركية مدمرة بلغم أرضي



لـــقـــاء مع مــجـلـة النــور

لقاء الراشد مع مجلة النور أول مجلة إسلامية عراقية

تـصـدر بعد الاحتــلال ... حــاوره : غـــازي السامرائي

□□ بعد غيابٍ دام أكثر من ثلاثين عاماً ، عادَ إلى العراق العالم العامل والمربي الفاضل " **محمد أحمد الراشد** " ليقوم بترشيد الـدعوة الإسـلامية في العـراق بعلمـهِ وبفكرهِ وبخبرتهِ ، وبـالرغم مـن انـشغالاتهِ لم يبخـل علينـا - جـزاهُ الله خـيراً - بالوقت ولا بالنصيحة ، ولم تفارقنا بشاشته بالرغم من إلحاحنـا وكثـرة أسـئلتنا ، فدارَ بيننا الحوار التالي ..

النور : خرجت من العراق مرغما ، فهل حدثت لك مضايقات أو مطـاردة مـن حكومات عربية - أو حكومة البعث المنهار - خارج العراق ؟

● عنـد خروجـي إلى الكويـت أولّ مـرة كنـتُ قلقـاً بـسبب النـشاط الـدائم للمخابرات العراقيـة في مدينـة الكويـت ، وحـدثت حـوادث اختطـاف لـبعض المعارضين ونـُقلوا إلى العراق ، مما حداني إلى اتخـاذ الحيطـة ، واسـتعملتُ اسمـاً مستعاراً منذ ذلك الوقت وعرفني القرّاء باسم " **محمد أحمد الراشد** " ، وهو الاسـم الذي صدرتْ به أكثر كتبي ، لكن مع مرور الوقت نسيتني المخابرات العراقيـة إلى أنْ استؤنف عملنا التنظيمي في الثمانينات ، وانكشفت بعض تنظيماتنا وحوكمتُ سنة ١٩٨٧م وحُكمَ على ستة من القياديين بالإعدام وحُكمَ عليَّ بالإعدام غيابياً أيضاً بتهمة توجيهي لهم .. وشاء الله أنْ أنجو مـنهم ، إلى أنْ حـصلت المخـابرات العراقية سنة ٢٠٠٠ م على بعض المعلومـات الجديـدة فرجعـتْ إلى مـضايقتي في السودان وحاولت إيذائي ، فهاجرت إلى سويسرا ، وكانت ملاذاً آمناً .

النور : ما هو شعوركم عند عودتكم إلى أرض الوطن ؟

● لا شكَّ أنَّ الفطرة عارمة ولها سطوة ، وتدع في نفس كلّ حرٍ الحـنين والـشوق إلى الربوع التي ترعرع فيها ، وقال بعـضُ أصـحابنا ليلـة رحيلـي عائـداً : أتـترك

سويسرا وجمالها وبحيراتها الخلابة إلى الفوضى العارمة في بغداد؟ فأجبتهم بأنَّ منظراً واحداً لبساتين النخيل على شواطئ دجلة يعدل كلّ جمال سويسرا ، وقد سيطرَ عليَّ فعلاً هذا الشعور في طريق العودة من عمّان ، حيث رأيت نخيل الفرات وانفعلت انفعالاً عميقاً ، والحمدُ لله الذي جعلني أعود إلى سربي وأغرد معهم ، وأظنُّ أنَّ الفوضى والاعتداءات ستزيدني إصراراً على بذل جهدي مع المخلصين لبناء عراق جديد ، بل قبل ذلك لبناء النفوس التي خدش صفاءها الموروث ما كانَ من ظلمٍ واستبداد ، والعراقُ أصيلٌ مليءٌ بالعطاء الحضاري ، وما منْ نكبةٍ مرّت بهِ إلا ونهضَ وقامَ واستدركَ وأظهرَ نقاء معدنهِ .

ونحنُ من هذا التراث العراقي المجيد نستمدُ عزيمةً تضافُ إلى العزيمة الإيمانية التي تأمرنا بالإصلاح والبناء وخدمة الناس .

النور: هل تتوقع أنْ يكون النصر للإسلام في ظل هذه الظروف ؟

● إنَّ عمق المؤثرات الإسلامية في المجتمع العراقي تتركنا على إيمانٍ جازم بأنَّ المعاكسات التي تضايق المسيرة العراقية مصيرها الزوال - بإذن الله - ، فالاحتكام إلى الإسلام ما هو بشيءٍ طارئ ، بل يضرب عمقاً في أصل قلوب وعقول رجال العراق ، وهذا ما عرفناه من دراسة التاريخ لقرون طويلة ، وما الانحراف الذي حصلَ في الحكم والسياسة بعامة إلا من قبيل إيصال المستعمر لبعض عملائهِ إلى الواجهة ، وبذل أدوات التمكين لهم ، وكان آخرهم "صدام حسين" الذي ثبت بالشهادات الكثيرة أنه اتصلَ برئيس المخابرات الأميركي "بوش" في الستينات بمصر ، في ما ذكرَ خالد بن جمال عبد الناصر ، و"بوش" هذا هو نفسه الرئيس الأب ! ومما يزيدنا ثقة بمستقبل الإسلام في العراق أنَّ الدعوة الإسلامية قد تأسست فيهِ منذ أكثر من نصف قرن ، وترجع بداياتها إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية ، ويسعنا أنْ نقول أنها أكملت في مرحلة ما قبل "البعث" بنيتها الفكرية وكامل بنيتها التحتية التنظيمية ، ورشد فيها رجال وتطورت قابلياتهم وأهليتهم للقيادة ، وجاءت المعاناة الطويلة أيام حكم "البعث"

واستبداد " صدام " لتنضجهم وتجعلهم اليوم في تأهيل جديد لقيادة التيار الإسلامي وإرشاد جيل الصحوة الإسلامية المبارك .

ومن هنا أستطيع أنْ أقول : أنَّ التكامل بين القيادة والجندية هو في أبهى حالاته ، وأنَّ الفكر الإسلامي الدعوي هو من الرسوخ بمكان ، وأنَّ الكم التجريبي السياسي والاجتماعي هو فوق ما يتمناه الدعاة ، ولذلك فإنَّ اجتماع هذه الحقائق يتيح لنا الجزم أنَّ المستقبل لهذا الدين المبارك القيّم .

النور: ما يجري الآن من انفتاح هو حرية حقيقة للمسلمين أم مجرد صورة ؟

● من الملاحظات العامة في مسيرة التاريخ أنه ما مِن حربٍ إلا وتتبعها فترة من شيوع الحريات ، وهذا ما حصل بعد الحرب العالمية الثانية مثلاً ، إذ شاعت الحرية في أكثر بلاد العالم ، وقد يُفسر ذلك أنَّ الكبت الطويل قد يؤدي إلى عنفٍ وضجرٍ عام ، فتأتي الحريات منْ باب التنفيس وامتصاص الغضبة الكامنة في النفوس ، وهذا هو الذي يحصل الآن ، وبخاصة أنَّ العراق قد جثمت على صدرهِ جميع أنواع الاستبداد ، فيكون منَ اللازم منح المواطنين هامشاً كبيراً من الحرية التي نتكلم عنها في جميع الشعوب بعد الحروب ، فالأمر فيها منوط بوعي الشعب واستعداده لاستثمار معطيات الحرية ، فإذا كانَ الوعي ضعيفاً فسرعان ما تتبدد المكتسبات الحاصلة ، وفي حالة العراق فإنَّ طبقة عريضة من السياسيين والحزبيين قد توفرت لهم حصيلة من الوعي تؤهلهم لتنمية هذه المكتسبات والحفاظ عليها وهذا ما نرجوه ، مع أنَّ هذه الفئة الواعية تعاكسها فئة لا زالت في أوهام بسط سيطرتها على الآخرين بواسطة العنف والعمل الفوضوي ، مما يجعلني أتوقع أنْ يمر العراق بفترة من القلق ترتبك فيها أوضاع الناس والأحزاب نتيجة المشاكل التي تثيرها الفئة الفوضوية ، وقد يطول ذلك إلى سنتين ، ثمَّ تجنح الأمور إلى الهدوء والبناء وشيوع الحوار والتعاون بين العراقيين .. وما أودُ أنْ أقوله أنَّ الذي يؤثر في دوام الحريات ليس هو القرار الأميركي فقط وإنما يؤثر أيضاً حال الأحزاب وفئات الشعب ومدى تجانسهم مع مفاد العقل والوعي

اللازم لمثل هذه الحالات ، وأجزم بأنَّ للقيادات الدعوية الإسلامية وللقيادات الحزبية الدور الحاسم .

النور: هل تتوقع مواجهة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي في ظل المعاناة الحاصلة ؟

● جزماً أنَّ ذلك سيحصل ، فكما أنَّ الفكر الإسلامي له جذر عميق في وعي الشعب العراقي فإنَّ العلمانية قد أسست لها موضع قدم منذ الفترة الأخيرة من الزمن العثماني وحتى الآن على مدى قرن كامل ، وعاونتها الحكومات التي قامت طيلة هذا القرن ، ولها رجال يدافعون عنها ، ومهمتنا في نشر الفكر الإسلامي ليست سهلة ، وستزيدها صعوبة طبيعة الخطة الأميركية المعلنة قبل الحرب والتي أشارت إلى ضرورة التدخل الأميركي في المناهج الدراسية والإعلامية بما يوافق الفلسفة الغربية بعامة والفلسفة المادية الأميركية بخاصة ، وما زال الإعلام الأميركي يستثمر أحداث نيويورك وأمثالها لتشويه الصورة الإسلامية ، مع أنَّ دوائر القرار الأميركي هي التي استدرجت من صنع هذه الأحداث وقدمت لهم الوسائل لإتمامها ، مما يجعلني أتخوف كثيراً من معركة فكرية عارمة ستشهدها الساحة العراقية بين الفكر الإسلامي الذي تطرحه الدعوات الإسلامية ، وبين الفكر العلماني الذي تحمي " أمريكا " ظهره وتمده وسائل خطة التطبيع مع اليهود بعوامل الشيوع والنفاذ في أوساط الجيل الجديد الذي سيتعرض لإغراء مادي وعاطفي يقربه من تقبل الفكر العلماني ، ولا يعني هذا أبداً التخوف من أنَّ الفكر العلماني سيكون هو الغالب ، كلا ، بل أنا موقنٌ بأنَّ الصحوة الإسلامية ستكون هي المنتشرة ، وأنَّ الفكر الإسلامي سينتصر في النهاية – بإذن الله تعالى – ، وإنما أردت التنبيه إلى أنَّ المعركة الفكرية ستكون حرباً ضروساً ، وأنَّ شياطين الأنس والجن سيحاولون وقف المد الإسلامي ، ولكنَّ المد الإسلامي قد تجاوز مرحلة التأسيس والنمو ، وهو في

مرحلة استثمار وحصاد ما زرع خلال نصف قرن ، ثمَّ اللهُ غالبٌ على أمرهِ ولكنَّ أكثر العلمانيين لا يعلمون .

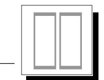
النور: قد قرأ شباب الصحوة الإسلامية في العراق والعالم كتب (المنطلق) و(المسار) و(صناعة الحياة) وغيرها ، فهل من كتب جديدة لكم ؟

● نعم بحمد الله ، فقد أصدرتُ قبل سنة بعض هذه الكتب الجديدة ، وأهمها كتاب " **أصول الإفتاء والاجتهاد التطبيقي في نظريات فقه الدعوة الإسلامية** " وهو كتاب مهم يقع في ما يقرب من ألف وخمسمائة صفحة ، وبينت فيه قول الشرع الحنيف في السياسات الدعوية الداخلية كقضايا التنظيم والتربية ، وفي السياسات الخارجية من حرب وهدنة وتحالف ، وشرحتُ فيه القواعد الأصولية التي انتهجها الفقهاء لاستنباط الأحكام الجديدة والاجتهاد اللائق لكل عصر ونوع من المشاكل ، ومن هنا فإنَّ مادة هذا الكتاب ستدرب الدعاة أيضاً على أنْ يجتهدوا في سياسات الدعوة ويقدموا حلولاً معاصرة تمنح المواقف الدعوية حدوداً واسعة من المرونة ... ونشرتُ أيضاً كتاباً في " **منهجية التربية الدعوية** " في أربعمائة صفحة ، حشدّت فيه شيئاً كثيراً من التجريب الدعوي ، وأوردتُ فنوناً ترفع التربية الدعوية عن الارتجال ، كذلك بدأت نشر سلسلة جديدة من الرسائل بعنوان "**مواعظ داعية** " ، وهي تذكر بالأخلاقيات الإيمانية ، مع لمسات دعوية ، وتصلح لجيل الشباب بعامة ، ثمَّ نشرتُ تهذيباً لكتاب " **الغياثي** " لإمام الحرمين الجويني ، وهو أقرب كتب السياسة الشرعية إلى الفكر السياسي الإسلامي المعاصر وفكر الدعوة ، وصرّح " الجويني " خلالهُ بإيمانهِ بالتغيير وخلع العجزة .. وكلُّ هذه الكتب ستوزع - بإذن الله- في أوساط الصحوة الإسلامية في العراق قريباً جداً وستضيف وعياً جديداً إلى ما قدّمتهُ الكتب السابقة منْ قصص التجريب الدعوي، ثمَّ ما زلتُ أدون " **موسوعة معالم تطور الدعوة وتاريخ الجهاد** " في خمسة مجلدات ، وقد أنجزتُ - بحمد الله- أكثر من نصف العمل المطلوب له ، وآملُ أنْ أتحف الدعاة في العالم أجمع بهِ خلال سنة واحدة - إنْ شاء الله - .

وما منْ شكٍ في أنَّ الحفاوة التي يستقبل بها الدعاة كـتبي تـشجعني جـداً علـى المضي في هذا الدرب وإتعاب نفسي في تكميل سلسلة " **إحياء فقـه الـدعوة** " الـتي رصدت لها جهدي ، والله الموفق ، ولكل منْ يقرأ هذه الكتب وهـذا اللقـاء مـني أزكى الدعاء وأطيب السلام .

ويسرني أنْ يكون كلّ همام مـن شـباب الـصحوة الإسـلامية شـريكاً لـي في الدرب الأصولي اللاحب ، وأنْ يكـونَ راسخ " **المنطلق** " ، متجـاوزاً " **العوائـق** " ، ملتزماً " **المسار** " ، "**صانعاً للحياة** " ، مخبتاً مع أرقِّ " **الرقائق** " ، وصاعداً بعين مبصرة في " **مدارج السالكين** " نحو العزة والتمكين .

وأشكر مجلة النور ورجالها علـى إتاحـة هـذا اللقـاء ، وأدعـو لهـم بـالتوفيق ، وأشهدُ شهادةً أنَّ مجلة النور قد اقترفت في أعدادها السابقة إبداعاً هو مـنْ أثمـن الإبداعات الدعوية في ساحة العراق ، ولله الحمد والمنّة ومنه التوفيق ، ونسأل الله سدادَ القول والعمل ❑❑❑



لـقــاء مــع جريدة الشورى

لقاء الراشد مع جريدة الشورى – جريدة الحزب الإسلامي العراقي

مركز الموصل – حاوره : نور الدين الحيالي

□□ عاد إلى أرض الوطن الأستاذ المربي **عبد المنعم صالح العلي** المشهور باسمه الحركي " **محمد أحمد الراشد** "صاحب المؤلفات الشهيرة في الفقه الحركي التي تربى عليها جيل الثلث الأخير من القرن العشرين ، منها " **المنطلق – العوائق – الرقائق – المسار – صناعة الحياة –رسائل العين** " ، وشارك بجهدٍ كبير في إصدار " **مجلة العين** " التي تصدر خارج العراق والتي كتبَ فيها مجموعة من البحوث والدراسات والتقارير التي رفدت الصحوة الإسلامية وأثرت في عقليتها وبنائها التربوي الحركي .

إنه أحد قادة الفكر الإسلامي المعاصر الذي بنى تصوراته من خلال الممارسة الميدانية في حقل الدعوة والحركة والقيادة ، فامتدت شعبيته إلى معظم الدول الإسلامية ، وشارك مع أخوة له في إحياء " **الحزب الإسلامي العراقي** " في لندن ، وقد رسمَ خارطة الدعوة وأوضح مساراتها ونقبَ عن خفاياها وأمدنا بدقائق أخبارها وأحوالها وغاصَ في مجالات التربية المتنوعة لتكوين جيلٍ قيادي يأخذ على عاتقهِ حمل المشروع الإسلامي إلى العالم .

رحَّبَ بنا بحرارة وقال : (هذا أول حديث لصحيفة عراقية منذ عودتي إلى بغداد) ، وعقَّبَ بسرعة : (الأستاذ " غانم حمودات " كانَ أول أستاذ لي في الدعوة ، فقد طبَّقَ عندنا في ثانوية الأعظمية لمادة التربية الإسلامية ، فسمعتُ نمطاً جديداً من الكلام ، فتصاعدت حماستي وانتميتُ للجماعة نتيجة لذلك ، نعم ، فهو أول أستاذ لي في الدعوة) .. توجهنا لهُ بجملة من الأسئلة التي تتعلق بسياسة الحزب الداخلية والخارجية ، واخترنا هذه الأسئلة ..

الشورى : فرض علينا الانفتاح السياسي جملة من المصطلحات ، منها (الديمقراطية) ، وهناك منْ لم يميز بينها وبين الشورى ، فما هو المخرج من إشكالية مصطلح (الشورى) و(الديمقراطية) ؟

● هذا واضحٌ في الفكر الإسلامي الحديث ، تكلّمَ المفكرون السياسيون عن هذه القضية بتفصيل .. إنَّ " الديمقراطية الغربية " تختلف عن شورانا الإسلامية الإيمانية بشكلٍ من الأشكال لكنها تلتقي معها في مواطن كثيرة من حيث أنها تسمح بتعدد الآراء وتسمح بحرية إبداء الرأي والاعتراض على القيادات لكي لا تكون هناك قيادات مستبدة ، لكن ما دامَ اصطلاح الشورى من الاصطلاحات الإيمانية المباركة فأنا أفضل استخدامها وأطر الجمهور عليها أطرأ لسماع اصطلاحاتنا الشرعية بدل " الديمقراطية " ، وإنْ كانَ الأمر باعتباره اصطلاحاً شائعاً في الأدب السياسي العام فلا أمانع من استخدامه مع القرينة التي تعين أنَّ مفهومنا للديمقراطية هو المفهوم العام ، فمثلاً ما القول بحرية الاعتقاد ؟ العقيدة الإسلامية وعقيدة التوحيد فوق قضية الاختيار ، فوق قضية التصويت ، فالله ﷻ ارتضى للمسلمين هذه الدين القيم ويجب أنْ يسود ، لكن أيضاً لابدَّ من مراعاة الناس وأن نترفق معهم لننقلهم من حالة إلى حالة ، بل أنا أقول: حتى " الديمقراطية الأميركية " بخاصة لا تسمح لأحدٍ أنْ يكفر بالثوابت الأميركية ، وهناك حد فاصل لا يمكن تجاوزهُ ، وهناك تطبيق سيء للديمقراطية الأميركية ، فإنَّ الالتفافات والغش وشراء الأصوات والتضليل الإعلامي من الوسائل التي تعتمدها لإيهام الجمهور الساذج المغيب عن الحقائق .

وهناك من يعادي هذا النمط في " أميركا " مثل الفيلسوف اليهودي " **نعوم جومسكي** " الذي نظنُّ أنه يقترب من الإسلام جداً ويُنكر على " إسرائيل " كثيراً وينكر على أساليب التطبيق الديمقراطي في " أميركا " أيضاً إنكاراً كبيراً ، معه مجموعة من المفكرين يقودهم في هذا المجال ، فنحنُ لا بأس لنا أنْ نجهر بمعاداة الأنماط الزائفة من " الديمقراطية "وأنْ نركز على الشورى .

الشورى : لو قبلنا بالديمقراطية سنقبل بالضرورة بتداول السلطة ، فهل يقبل(الحزب الإسلامي) إذا كان في السلطة وخسر الانتخابات أمام غيره بالتنازل عن الحكم ؟

● أنا أقول جرياً مع الاجتهاد السياسي الإسلامي المعاصر : نعم ، ولكن نعم هذه لابدَّ من شرحها ... الأصلُ أنَّ المسلم يحتفظ بالحكم ولكن أنا بنفس الوقت أعلم أنَّ الإسلام دين الفطرة وأنَّ لنا تفوقاً كاسحاً في الأرض الإسلامية : إذا توفر جو الحرية فلا يفوز إلا المسلم .. وما فاز العلماني إلا مِنْ خلال التزوير ومن خلال الكذب ومن خلال السجون والمشانق التي نصبت في أرض الإسلام ، لهذا كتحصيل حاصل أنا أقول : أنَّ الحرية ستكتب لي الفوز .

ولهذا أجازف ثقةً بنفسي وثقةً بإسلامي وثقةً بجمهوري وفهمنا لفطرة الله التي فطر الناس عليها ، أقول :نعم ، أقبل بهذا المبدأ لأني موقنٌ بأنَّ الانتخاب الحر سيجعل الأمر لي ، وهذه قضية واضحة اليوم في كلّ أرض حَلَّت فيها الحرية تنامى الأداء الإسلامي تنامياً عظيماً .

فأقول : نعم ، أقبل بأنصاف الحلول وصولاً إلى كمالها وتمامها ، إذن لثقتي بديني ولثقتي بعقيدة الناس وبالفطرة التي تقود الناس أقبل بذلك وأجعل الاحتمالات السيئة التي تحشر نفسها خلاف طريقي إلى ذلك نجعلها مما لابدَّ منه ونتقبلها بصدر رحبٍ وصولاً إلى الكمال والتمام .

الشورى : العلمانيون يتهمون الإسلاميين بأنهم يريدون أنْ يتسلقوا على (الديمقراطية) للوصول إلى الحكم وإذا ما وصلوا إلى الحكم انقلبوا على (الديمقراطية) ؟

● هذا افتراء ، لأنهم لم يجربونا ليزعموا ذلك والتجربة الوحيدة التي جرت مما يمكن أنْ يذكروها في السودان ، والسودان حصل فيها كبت للأصوات ، نعم ، لكنه علينا أنْ نعلم كيف سلك أعداء النظام السوداني ، لا أقول إسلامي ، ولكنَّ الساعي نحو الحكم الإسلامي ، كانت هناك ثورة بقيادة "جون قرنق" وهو

شعوبي معادٍ للعرب وترعاه "إسرائيل" و"مجلس الكنائس العالمي" والدول المجاورة والدكتاتوريات وتحالفوا في جبهةٍ واحدة واستعدوا على النظام بالسلاح وصارت جبهات حربية واضحة .. المعارضة السودانية تحالفت مع هذا العدو وجنّدت معهم الجنود ووضعت أكفها مع يد "قرنق"، ولذلك صاروا في صفوف الأعداء ولم يصبروا على حركة الإنقاذ الإسلامي حتى تكون الانتخابات حرة ونزيهة وتكون الأمور طبيعية، بل هم سارعوا في بداية أيامهم لمصافحة "قرنق" وأعوانه من قوى الشر العالمية، فلا يعتد بهذه التجربة، ولا أعلم تجربة غيرها يمكن أنْ يحتجَّ بها .

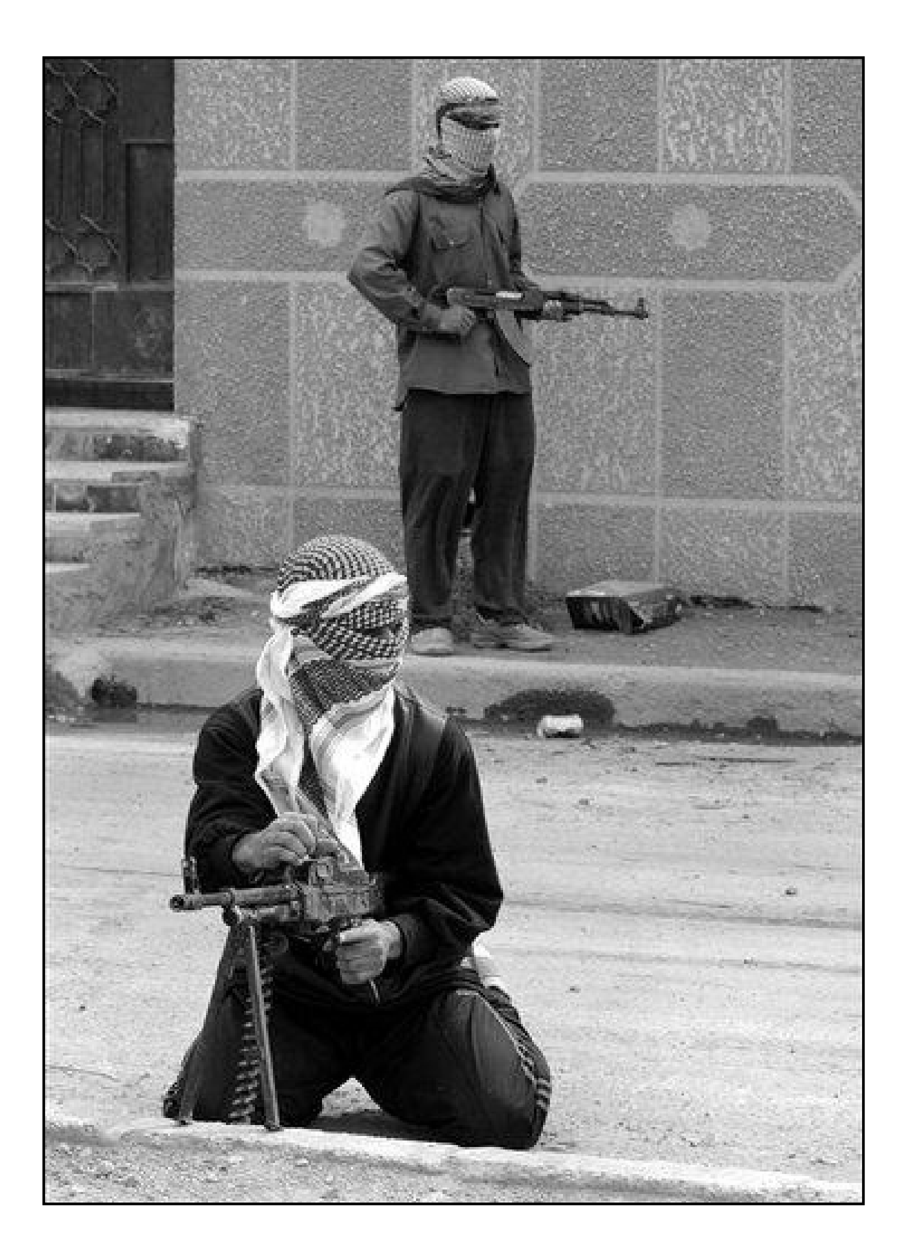
الشورى : فضيلة الأستاذ، سمعناك تتكلم عن كتب وإصدارات جديدة لم نسمعها منْ قبل، ما هذه الإصدارات؟

● هذه الكتب صدرت قبل سنة ووزعت في "أوربا" وقرأها من قرأها، وهي توزع في بعض الدول العربية، وهي كتب جديدة تكمل المعاني التي ذكرتها في كتبي "**المنطلق - العوائق - الرقائق - المسار - رسائل العين**"، وهذه الكتب الحديثة هي أربعة كتب : الأول ضخم، اسمه "**أصول الإفتاء والاجتهاد التطبيقي في نظريات فقه الدعوة الإسلامية**" ويقع في ألف وخمسمائة صفحة، يتناول التأصيل لجميع القضايا والخطط الدعوية لأمرنا الداخلي "**كالتنظيم - الشورى - التربية**" أو أمرنا الخارجي "**كالحرب والهدنة والتحالف**" وما بينهما من سياسات أخرى تفصيلية جزئية، ولكن لا تُذكر هذه المسائل كإفتاء للفقهاء القدماء فقط بل تذكر الأصول أيضاً، واقتبستُ كثيراً من الكلام الأصولي وحولتهُ إلى ما يدعى "**أصول الفقه الدعوي**"، لذلك أعطيت لبعض الأصول القديمة أهمية أكبر في الباب الدعوي، كباب المصالح وباب المقاصد، وابتكرت أصولاً جديدة لم يتطرق إليها الفقهاء سميتها "**النسبية والتجانس مع حقائق الفطرة والحياة**" وهذه أصول جعلتها تتحكم في الاجتهاد الدعوي، والغاية منها أني أردت إبلاغ الدعاة الكلام الأصولي الذي يجعلهم خارج دائرة التقليد وييسر

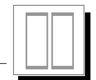
لهم الاجتهاد في أمور الدعوة ، بحيث لا يخرج القارئ من هذا الكتاب فقط يتعلم أنَّ " أبا حنيفة " أفتى بذلك و" مالك " أفتى بغير هذا ، بل يكون موازياً للفقهاء في تطوير الاجتهاد أو إنزالهِ على عالم الواقع .

في ظني أنَّ هذا الكتاب سيكون من أهم الكتب في يد الدعاة ، وكذلك كتاب " **منهجية التربية الدعوية** " ، فهو كاسمهِ يخرج بالتربية من أنْ تكون ارتجالاً إلى أن تكون مبرمجة وذات خطط متكاملة ، لأني لمست ارتجالاً كثيراً في السابق في الأمر التربوي ، ثمَّ في نهاية الكتاب ذكرتُ الكثير من الاقتراحات التربوية المهمة التي لا تطبق على فرد وإنما على الجماعة ، وستجدون أثر الصناعة في التربية الجهادية التي تربى على الصلابة والخشونة والتحدي وأمور أخرى ، ولذلك قلتُ : أنَّ الكتلة العلمية الدعوية ينبغي أنْ تتفق مع الكتلة الهندسية الموجودة مع الكتلة المالية " المال " لتنتج تطبيقاً صناعياً في أرضنا الإسلامية يكون فيها الصناعي كعالم الشرع يؤثر في قلوب عشرات الألوف من حوله .. ثمَّ كتاب " **الغياثي** " لإمام الحرمين الجويني ، وجدتهُ أقرب إلى الفكر الإسلامي الحديث والفكر الدعوي ، فهذبتهُ بعنوان " **الفقه اللاهب** " .

ثمَّ سلسلة – على طريقة " **رسائل العين** " – "**مواعظ داعية** "صدر منها الرسالة الأولى اسمها " **صراطنا المستقيم** " ورسالة " **آفاق الجمال** " ، وسوف تستطرد هذه الحلقات إلى نحو سبعين حلقة ... وكتب أخرى " **موسوعة معالم تطور الدعوة وتاريخ الجهاد** " بخمسة مجلدات وأنجزت أكثر من النصف منها ، وربما يظهر خلال سنة ليعلم الدعاة المناقب الدعوية الكثيرة التي كانت في التاريخ الإسلامي الحديث والمعاصر وفي القرون الأولى وتاريخ المجاهدين ، وامتزاج العلم الشرعي بالجهاد ❑❑❑



شباب المقاومة العراقية يترصدون جنود الاحتلال



لـقـاء مع مجلة الأساس

لقاء الراشد مع مجلة الأساس

حاوره:الأستاذ بلال الجوادي

□□ قد يمضي على المرء زمنٌ طويل وهو يعيش آلاماً وآمـالاً ، وحـينَ يطـولُ عليه الأمد وهو يعيش آلامه ويتطلع إلى آمالهِ ، يكادُ يظن - وبعض الظنِّ إثـم - أنَّ آلامه لن تنتهي وأنَّ آمالهُ لا تتحقق ، ثمَّ لمـا تحـين الـساعة الـتي يتحقـق فيهـا الأمل وينجلي الألم : يقفُ متـأملاً صـامتاً يـردد قـول الله ﷻ : ﴿ **وتلـكَ الأيـامُ نداولها بين الناس** ﴾ آل عمران :١٤٠.

وهكذا عشنا زمناً نحلمُ فيهِ بلقاء المفكر الإسلامي الكبير الأسـتاذ **عبـد المـنعم صالح العلي العزّي** - الذي عرفناهُ باسمه المستعار " **محمَّد أحمـد الراشـد** " - ، ولم نكن ندرك السر في التخلي عن الاسم الصريح حتى أخبرنـا هـو ، وشـاء اللهُ أنْ يكون في هذا الاسم بركة ، فالفكرُ لا تحجبهُ التسميات.

واليوم يعود هذا المفكر الرائد - شيخاً كبيراً بعدَ أنْ غادرَ بلدهُ شـاباً - ليعـاود العمل الإسلامي ، وهكذا يتحقق حلمنا ، إذ التقيناه في منزلهِ وكانَ لنا معـهُ هـذا الحوار :

الأساس : أولاً قبل البدء في الأسئلة ، هناك سؤال فـني - إذا صـحَّ التعـبير - ، فجيل السبعينات يعرف الأستاذ عبد المنعم صالح العلي العزي ، أما جيل ما بعد السبعينات فهو يَعرف الأستاذ محمد أحمـد الراشـد ، فكيـف الـسبيل إلى توحيـد الاسمين ؟

● لقد كان للاسم المستعار " **محمد أحمد الراشد** " ظروفه الأمنية الخاصة ، والآن سنقرن الاسمين معاً لفترة حتى يعتاد الناس على الـربط بينهمـا ، ثـمَّ أرجـع إلى اسمي الصريح الأول ، فأنا حقيقة أفخر بنسبي الواضـح ، فأنا منْ بني عز ، وبنـو عز - كما قال ابن الساعي البغدادي - قبيلة عربيـة دافعـت عـن بغـداد في آخـر

العصر العباسي ، وذكر في مختصر أخبار الخلفاء أنَّ بني عز من القبائل التي دافعت عن بغداد ضد الغزو المغولي وهي من عُبادة ، فنحنُ نرجع إلى عبادة ، ومعنى ذلك أننا من العرب المضرية ، وأبناء عم خَفاجة .

وهناك حادثة تروى عندنا نحنُ أبناء العشيرة شفاهاً ، لا يوجد لها مصدر مكتوب ، أذكرها هنا للعبرة : قالوا إنَّ العشيرة - عشيرة بني عز - أبيدت في الدفاع عن بغداد ضد المغول ، ولم يبقَ منها إلا رجل كبير طاعن في السن اسمه (**شهابي**) وبنت شابة ، فقال لها : (**تعالي لنجدد نسل العشيرة**) ، فتزوجها وجددا نسل العشبرة ، ونحنُ منْ نسلهِ ، ولهذا نخوتنا نحن بنو عز : (**شهابي ولا قطعتوا**) أي لا قطعتم نسله .

وهناك قصة طريفة : أثناء الثورة العربية على الأتراك ، كان هناك عدد من الضباط العراقيين في الجيش العثماني قد التحقوا بالثورة ، وكان ضابط اسمه " أيوب صبري العزي " يروي أنه كان راكباً فرسه في إحدى المعارك بعد سقوط دمشق ، فعقر أحد الجنود فرسهُ فهوى على الأرض ، فصاح بهذه النخوة (**شهابي ولا قطعتوا**) ، فإذا بالذي عقر فرسه يسمع هذه النخوة - وكان من بني عز - فيعلم أنهُ أيضاً من بني عز - من نخوته - فيأتي إليه ويحتضنهُ .. فنحنُ كنا ممن دافع عن بغداد قبل سقوطها على يد المغول ، وهذه مفخرة لنا ، فأنا أنطلق اليوم في الدفاع عن بغداد وعن مصالح العراق والعراقيين من أصالة ، فأجدادي قد سبقوني في ذلك حتى استشهدوا ، وأنا سائرٌ على طريقهم .

الأساس : ترى ما هي خلاصة القول في احتلال العراق ؟

● بلا شك أنَّ السياسات الأميركية لا تكون وليدة تبديل الأنظمة في " أميركا " ، ومجيء رئيس وذهاب رئيس .. جزماً نجد أنَّ المشاريع الإستراتيجية الكبرى يخطط لها على مدى عقود ، ونحنُ نعتقد أنَّ تخطيط "أميركا" للاستيلاء على المنطقة هو تخطيط مبكر وجاء تتويجاً لجهود " أميركا "بعد الحرب العالمية الثانية لما قررت أنْ تكون هي القوة الأولى في العالم ، وأغراها مخططها الذي نجح في كثير من الدول..

ولا أستطيع أنْ أحدد متى وقع الاختيار على العراق أنْ يكون نقطة الارتكاز في مخطط السيطرة الأميركية على الأمة الإسلامية ، لكن جزماً إما أنْ يكون هو العراق أو أحد البلدان القريبة ، بسبب كثافة النفط في هذه المنطقة ، ولذلك لا أستبعد أنْ يكون القرار القديم هو فرض إرادة " أميركا "على المنطقة الإسلامية ثمَّ جاءت الرئاسة الأخيرة لتحدد العراق كنقطة رئيسة في ذلك. والسبب واضح ، فاحتياطي النفط العراقي يكاد يكون الأول ، وهذا اكتشاف جديد ، فقد كان يعتقد سابقاً أنَّ احتياطي النفط السعودي هو الأول ، ومع ذلك فلم يعلن لحد الآن أنَّ احتياطي النفط العراقي هو الأول في العالم ، ولكنَّ الخبراء المطلعين قالوا بأنهُ يعد اليوم أكبر احتياطي في العالم ... كذلك مسألة بروز خطر العراق على " إسرائيل " ، وهذه قضية لم تكن من قبل ، لكن دخول العراق في الحرب العراقية الإيرانية أوجد مجموعة من الضباط في الجيش مدربين تدريباً قتالياً حقيقياً بخبرة قتالية ميدانية ، وليست خبرة مناورات .

ربما كانت إرادة الغرب و" أميركا " دفع العراق إلى هذه الحرب مع " إيران " لغايات معلومة والتقاء مصالح ، لكنهم وجدوا أمامهم حقيقة ناتجة وهي أنَّ العراق قد تطورت خبراته القتالية بمستوى يهدد الأمن الإسرائيلي ، وأنا أعتقد أنَّ هذا من أهم الأسباب التي حدت بـ" إسرائيل " لتضغط على " أميركا " لكي تقوم بهذا العمل بأسرع مما كانَ مخططاً لهُ ، وذلك من أجل إبعاد شبح الجيش العراقي ، إذ من الممكن أنْ يأتي رئيس بعد " صدام " ويستثمر هذه الخبرات إنْ كانَ مخلصاً ضد المصالح الإسرائيلية ، فكانَ لابدَّ أنْ يحل الجيش العراقي .

كذلك فإنَّ " صدام " نفسه وإنْ كان قد تفاهم سابقاً مع الأميركان في كل خطواته ، بل حتى في أول مجيئه ونحنُ نعلم أنَّ " ناصر الحاني " سفير العراق في واشنطن ذا التوجه الماسوني قد ساعد حزب البعث ، وبالتالي " صدام " على أنْ يكون هو المرشح للحكم في العراق من خلال الضغط والإقناع الذي مارسه على صديقهِ " عبد الرحمن الداود " ، والذي جعلهُ يسلم مفتاح الحكم إلى حزب

البعث.. وهناك اتفاقات سرية على تقديم "صدام" على غيره من رجال الحزب ليكون هو في المقدمة ، إلا أنَّ "صدام" كأي نفس إنسانية ولما أصبح يشعر بغرور أو تحديات : خرجَ على الحد المرسوم لـهُ أمريكياً وأراد حيازة القنبلة الذرية ، وساعدهُ فريق عراقي مؤهل .. وهذا مما أخاف "إسرائيل" ، صحيح أنَّ حماقته دعته إلى أنْ لا يصبر حتى اكتمال هذه القنبلة التي كانت على وشك الانتهاء ، فاحتلّ الكويت ، وبعضهم يقول أنهُ لو لم يفعل فعلته في الكويت لكان بعد أقل من سنة قد امتلك القنبلة الذرية .. "إسرائيل" على أية حال شعرت بأنَّ المجال الذي أعطي للعلماء العراقيين للعمل والبحث قد يكون مرة ثانية بؤرة لتشكيل فريق آخر في دولة تَخلفُ "صدام" قد تجعل من القنبلة الذرية واقعاً يخيف "إسرائيل" .. خلاصة القول أنا مقتنع بأنَّ الأفكار الإستراتيجية لـ "أميركا" في السيطرة على المنطقة أفكار قديمة ، لكن ربما يكون فريق العمل - و"تشيني" خاصة و "رامسفيلد" - استطاعا أنْ يُقنعا "بوش" بأنْ يجعل مركز القضية في العراق ، وتكون السيطرة بهذا الشكل .

الأساس : هل حقيقة كان العراق يشكل خطراً عسكرياً على أمن إسرائيل؟

● نعم ، ولكن احتمال كبير بأنَّ "إسرائيل" لم تكن تخاف من "صدام" ، إنما تخاف من احتمال انتقال السلطة إلى يد أخرى تَخلف "صدام" وتستخدم وتُسخّر ما أنتجه من سلاح وتقدم تكنولوجي وخبرات متوفرة لدى الضباط العراقيين من سنوات الحرب مع "إيران" .. ومع ذلك فأنا أرى أنَّ الخوف الإسرائيلي هذا ليس نابعاً من دراسة وتحليل للواقع بقدر ما هو نابع من إيمان بنصوص تلمودية مفادها أنَّ الجيش الذي سيغزو "إسرائيل" في آخر الزمان - بعد تأسيسها هذا -سيخرج من أرض بابل كما خرجَ "نبوخذ نُصَّر" .. هكذا يظنون هم كما أخبرني بعض الثقات ، ولذلك فإنهم يخافون من العراق بغض النظر عن شخصية الحاكم أنْ يكونَ "صداماً" أو غيره ، فكل احتمال قائم يمكن أنْ يتطور إلى قوة عسكرية تهدد الأمن الإسرائيلي يحاولون التصدي له بما يتسنى لهم ... فالخوفُ الدائم من هذا الغزو العراقي لـ "إسرائيل" هو الذي يحركهم دائماً بغض النظر عن شخصية "صدام" أو غيرهِ .

الأساس : هناك من يعتقد بأنَّ قضية احتمال امتلاك العـراق للقنبلـة الذريـة أو أسلحة الدمار الشامل كانت قضيةً مبالغاً فيها ، فما قولكم في ذلك ؟

● كلا ، لم تكن مبالغات ، ونحنُ نعلمُ من خلال تَـسرّب بعـض الأخبـار أنَّ هناك علماء عراقيون وصلوا إلى مراحل متقدمة في الأبحاث في هذا الصدد .

الأساس : ولكن ثبتَ بعد الاحتلال أنَّ الدَّعوات التي روجت لها أميركا من امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل كانت مجرد ذرائع لشن الحرب .. فهل الخطورة كانت تكمن في مجرد الأبحاث أم أنَّ هناك أسلحة فعلاً تهدد الأمن الإسرائيلي ؟

● الأمر على مرحلتين : قبل احتلال الكويت وبعد احتلالها ، فقبل الاحتلال كانت هناك جهود مكثفة ، وكـادوا أنْ يـصلوا إلى شـيء .. ولكـن بعـد احـتلال الكويت ضمر أمر القنبلة الذرية والفريق الذري ، بل وقد خرج البعض وأعطـى الأسرار إلى " أميركا " ، ودمّرت ما دمّرت ، وهددت وقطعت .

الأساس : ولكن نحنُ نعني الآن حين أرادت أميركـا شـنَّ حربهـا الأخـيرة ضـد العراق تَـذرّعت بوجود أسلحة الدمار الشامل وبالغت في ذلك !

● كلا.. كلا ، هي أول من يعلم أنهُ لا يوجد شيء مـن هـذا القبيـل ، وهـي مجرد ذريعة .

الأساس : يُفهم إذن من كلامكم أنَّ ما كانوا يخشونهُ هو احتمالات ظهـور قـوة بدل صدام تستثمر طاقات الجـيش ضـباطاً وقـادة ، وتـستثمر الأبحـاث النوويـة الموجودة والعلماء الممارسين ذوي الخبرة !

● نعم ، احتمال ظهور حـاكم بعـد " صـدام " يـستثمر بحوثـاً قديمـة وجـدت ؛ وفريق من العلماء يمكن أنْ يفيد في تقصير مدة إنتاج القنبلة الذرية ، ثـمَّ الخـوف من خبرات عراقية تكون في أعمار الخدمة .

الأساس : إلى أي حد سيمضي المخطط العسكري الأميركي ؟ وإذا كـان الخيـار العسكري ضد دول أخرى في المنطقة قائماً ، فهل من مصلحة أميركـا أنْ تختـاره قبل تشكيل حكومة في العراق أم بعده ؟

● أنا اعتقد أنَّ "أميركا "جاءت إلى العراق لتبقى ، ولكن ربما تنسحب إلى قواعد في الصحراء أو على الأنهر ، مثلما كانت القواعد البريطانية سابقاً في الحبانية والشعيبة .. الخ ، وتحكم العراق عن طريق تخويفها لأي حركة تقوم ضدها ، كما كان الحال في الاحتلال الإنكليزي ، وتوكل أمر الأمن وحفظهِ إلى جيشٍ موالٍ لها أو قواتٍ دولية ، ولا أظنَّ أنْ تكون عربية ، أمّا إلى أي مدى ستذهب في التجربة العسكرية فلا أعتقد أنهم اليوم يسعون إلى الخيار العسكري - كأنْ يتحرشوا بـ "إيران "مثلاً - ، نعم ، ربما يكون تحرشاً لتدمير البنية التحتية التي يظنون أنها تنتج القنبلة الذرية - أعني مفاعل " بوشهر " - وقد لا يجعلون المسألة في رقبتهم ، إنما غاية ما هنالك أنْ يأذنوا لإسرائيل أنْ تدمر هذه المفاعل كما دمر المفاعل العراقي ...

أما بالنسبة لمعالجة الشأن الإيراني فعلاجه يكون من خلال الضغط ومن خلال تحصيل مكاسب عن طريق الحوار والضغط السياسي ، بمعنى لو فتحت " إيران " اقتصادياً ودخلت ضمن معاهدة التجارة العالمية لحصلَ هناك نوع من التدخل الأميركي الاقتصادي الكبير في الساحة الإيرانية ، حتى ولو خسروا بعض الشيء في المرحلة الأولى فإنهم يكسبون جولات قادمة لأنهم سيستطيعون التدخل في الاقتصاد الإيراني كما تدخلوا في اقتصاد آخر .. من جهة أخرى يمكن أنْ يضغطوا من خلال ترجيح التيار الإصلاحي على التيار الديني ، وهذا قد حصل إلى حدٍ كبير ، والتيار الإصلاحي لابدَّ لهُ من التفاهم مع " أميركا " بمقدار من المقادير ، وهذا في اعتقادي يكفي " أميركا " ، لأنَّ تجربة السلاح مع " إيران " تجربة خطيرة وفيها مخاطرة كبيرة ، وليست في صالح الولايات المتحدة ، وقد لا يحتاجونها ، فقد تسعى " أميركا " اليوم إلى أنْ تجعل من الوضع الشيعي في العراق وسيطاً بينها وبين الحكومة في " إيران " ، وهذا إذا تحقق فإنه سيسهل اتخاذ وسائل سلمية من قِبل " أميركا " تجاه " إيران " ويبعد خيار الحرب ، وهذا هو رأي بعض الخبراء الأميركان القريبين من الرئيس " بوش " ، وقد كتبوا في ذلك بحوثاً وكتابات ظاهرة وبينة مفادها أنَّ حسن العلاقة الأميركية مع شيعة العراق تعني تجربة ناجحة مقابل الحكومة الإيرانية ، ويمكن أنْ تكون وسيطاً وما إلى ذلك .

الأساس : هل ترونَ أنَّ بالإمكان النهوض بالعراق اقتصادياً وعلمياً وفكرياً في ظلّ الاحتلال كما نهضت اليابان بعد هزيمتها العسكرية في الحرب العالمية الثانية؟

● نعم ، أعتقد أنَّ هذا ممكن ، لكنهُ سيظل مشروطاً بشرط أمريكي خفي ، وهو أنْ يكون ضمن المصالح الاقتصادية الأميركية ، فمثلاً يفسح المجال أمام الشركات العملاقة العابرة للقارات أنْ تأتي إلى العراق - كما حصل في جنوب شرق آسيا - وتتخذ من العراق مقراً لمصانعها ، حيث توفر المواد الأولية والأيدي العاملة الرخيصة نسبياً والخبرة التكنولوجية التي يتمتع بها نسبياً عدد كبير من المهندسين الشباب ، فيمكن أنْ تسري خطة الشركات العابرة للقارات إلى عموم المجتمع العراقي فيأخذ يلتمس دورهُ مقلداً أو محاكياً أو ينمو على هامش هذه الشركات العملاقة يقدم لها بعض الخدمات المبسطة .. وقد حصل في الهندِ مثلاً أنهم أخذوا يقدمون خدمات البرمجة بواسطة فرق عمل كبيرة لتمشية أمور بعض التخطيطات للشركات الغربية .. أو يمكن أنْ تشغل بعض المعامل أو الشركات العراقية الصغيرة الممولة برؤوس أموال عراقية المرحلة الوسطى بين المواد الأولية وتنقيتها وبين استخدامها في الصناعة ، وهذا يعني أنَّ الاقتصاد وكذلك الاستخدامات التكنولوجية ستنمو في العراق ؛ ولكن سيوضع خط أحمر وقيود لهذا النمو ، مثلاً أنْ لا يظهر منافس أوربي أو وسيط صيني أو غيره ، ويكون الأمر حكراً على الشركات الأميركية .

الأساس : ولكن هذا يعني تبعية للاقتصاد الأميركي ، فأين مصلحة العراق ؟

● هو ليسَ استقلالاً طبعاً ، لكنهُ أيضاً لا يشكل تبعية عمياء وهدراً للمصالح العراقية ، وهو على كل حال أفضل ما يمكن أنْ يتاح في ظل الظروف الراهنة ، ولكنَّ قضية التبعية للاقتصاد العالمي الذي تقودهُ " أميركا "مسألة فيها سلب وإيجاب ، فمن سلبياتها مثلاً أنَّ انخفاض الضرائب أو انعدامها بموجب اتفاقية التجارة العالمية يجعل المنافس المحلي لا يستطيع الوقوف أمام السطوة الأميركية ، والمعامل الجبارة العابرة للقارات ستسحق المعامل الصغيرة المحلية وتمشي فوقها ،

وذلك بسبب كفاءتها العالية ، وهذا ما حدث بجنوب شرق آسيا ، فهناك أمم مهددة الآن ، لكننا نعيش الآن مدة السماح والتي أمدها خمس إلى عشر سنوات لكل دولة تدخل اتفاقية التجارة العالمية ، هذه السنوات تكون بمثابة مرحلة انتقالية تكيف فيها الدول نفسها وتحتفظ ببعض حقوقها في فرض الضرائب وفرض منافسة السلعة الأجنبية ، فستكون هناك بطالة كبرى في دول العالم الثالث ، وتكون هناك عدم مكافئة فيما بين المنتج المحلي والمنتج الأكثر إتقاناً والأرخص الغازي لهُ ، ومن هنا فأنا اعتقد أنَّ سوق الخدمات الصغيرة هو وحده الذي يبقى يعيش بجانب السوق الصناعي التكنولوجي الجبار .

الأساس : هناك من يرى أنَّ بداية الاحتلال الأميركي للعراق بداية لنهضة الأمة من جهة ، وبداية لنهاية الطغيان الأميركي من جهة أخرى ، فما رأيكم في ذلك؟

● هذا رأي متفائل جداً ، يعتمد حسبما يبدو على أنَّ الاحتلال ولَّد تحدياً بالمقابل ، وبذلك فإنَّ التحدي يمكن أنْ يكون من الانتشار بشكل يجعل الخطة أمريكية مشلولة أو غير قادرة على الاستمرار ، وهذا أمرٌ لا نستطيع تأكيده ، والأيام القادمة – السنتين أو الثلاث – ستكون فيصلاً فيهِ .

أنا لا أرى الشعوب الإسلامية بهذه الدرجة من الوعي بحيث تستطيع أنْ تجعل من حادثة العراق محوراً لعمل مكافئ يفل الحديد الأميركي ، لأنَّ الحديد الأميركي ما جاءنا كخطة ونوايا فقط ، هذه النوايا تترجمها طائفة عريضة من الإمكانية التخطيطية التفصيلية ومن المنهجية في تنفيذ هذه الخطط ، والعقلية العلمية ذات الأبعاد الإدارية الكثيرة التي تستخدم حقائق العلم كلها في سبيل تنفيذ هذا الأمر الذي أرادوه ..

الجانب الإسلامي يفتقد إلى الآن مثل هذه العناصر ، إنما هي إرهاصات لكي يتعلموا فنون الإدارة والتخطيط ، هناك فئة من المتعلمين – أنصاف التقنيين – وليسوا بالمستوى التقني العالمي ، هناك تفرق في الكلمة ، إذ تتخذ دول صغيرة القرارات التي تراها ولا تراها دولة مجاورة لها ، حتى على مستوى دول الخليج

الصغيرة المتجاورة نجد القرارات فردية وليست خليجية عامة أو عربية تصنعها جامعة الدول العربية ، بينما يأتينا الصف الأميركي الضخم موحداً ، هذه عوامل تفوّق كبيرة ، حتى لو قيل أنَّ الأمة الإسلامية اجتمعت على رد المخطط الأميركي فإنَّ اجتماعها لا يعني شيئاً كبيراً ، لأنَّ منهجية هذا الرد قاصرة ، والعنصر الإسلامي سواءً في بلاد العرب أو غيرها قاصر عن أنْ يحاكي العنصر الغربي في كفاءة التنفيذ لما يعتقد ولما يخطط لهُ ويريد ، ومن هنا فإنَّ التباين الكبير في درجة الصلاحية أو الكفاءة يعتبر عاملاً سلبياً في الوقت الراهن .. أما التحديات التي قد تتخذ شكل الثورات أو الأعمال العسكرية فإنها قد تؤخر المخطط الأميركي ، لكن لا تستطيع إيقافهُ في كل العالم الإسلامي ، ولذلك فإننا بأمسِّ الحاجة إلى دراسة تفصيلية لهذه المسألة : هل أنَّ مدة التأخير كافية لإنشاء النمط المنهجي والإداري والتقني في الأمة الإسلامية ، أم أنَّ القضية أكثر تعقيداً وهي محسومة لصالح الغرب ؟

والجواب أننا ينبغي أنْ ننظر نظرة وسطى ، لأنه ليس كل ما يريد صاحب التكنولوجيا الغربية يستطيع أنْ يفرضهُ على العالم الإسلامي ، فهناك أمور كثيرة تعرقل المخطط الغربي والأميركي عدا المقاومة العسكرية ، فهناك الشعور بالحيف الذي يولّد المقاومة السياسية ، كذلك المنافسة الدولية ، فالانفراد الأميركي اليوم أيقظ الصين وجنوب شرق آسيا ، وتبع ذلك محاورات لهم مع روسيا لإقامة قطب ثانٍ يقلل من إمكانات القطب الأميركي في تنفيذ بقية مآربهِ ، فلو اجتمع تأثير القطب الجديد هذا مع بعض التحديات في الأمة الإسلامية بالطرق السلمية وبعض الطرق الجهادية التي يمكن أنْ تكون في أماكن دون أخرى ، فيمكن أنْ نعرقل المشروع الأميركي لسنوات ، خلالها تنمو حقائق جديدة تجعل الطريق الأميركي أكثر صعوبة، وأنا اعتقد أنهُ ليس هناك ضمان لمثل هذه العرقلة حالياً ، كما أنهُ بالمقابل ليست هناك إمكانية لإلغاء هذه العرقلة ، المسألة تستدعي سنة أو سنتين حتى نرى ماذا ستؤول إليه الخطة القريبة التالية لاحتلال العراق .

الأساس : ما هي تداعيات احتلال العراق عربياً أو عالمياً ؟

● إنَّ أول هذه التداعيات ستكون بعد تشكيل الحكومة ، وهي دعوة الحكومة العراقية للاعتراف بـ" إسرائيل " ، وسيقال : لم يستغرب هذا الأمر وهو قرار استراتيجي عربي في مؤتمر القمة ، ولا تنتقد " أميركا "على ذلك ؟ فليس العراق هو البلد الأول في هذا الطريق فقد سبقته مصر والأردن ومنظمة التحرير ، الغرابة تأتي من أنَّ أهل العراق وشعبهُ يأبى هذا الصلح ، ثمَّ لأنَّ هذه الخطة تأتي في أيام عنفوان الطغيان الإسرائيلي ، فـ" شارون " قد صعَّد الموقف إلى ما هو عليه الآن ، وفي ذروة هذا التصعيد سيأتي الطلب الأميركي للحكومة العراقية بأنْ تعترف بـ" إسرائيل " ، ثمَّ تلي ذلك تداعيات أخرى ، منها مثلاً الضغط على بعض الدول ، وأعتقد أنه قد بدأ بالضغط على السعودية باستبدال الحكم السعودي الحالي بآخر ، وتقسيم السعودية إلى مناطق عدة ، وهو مشروع قديم تكلم عنهُ بعض المحللين قبل ثلاثين سنة، ولكنَّ الأيام لم تُمكن أحداً من إجرائهِ، وبموجبهِ تُقسم السعودية إلى الحجاز ونجد والمنطقة الشرقية ،و" أميركا " قد عملت على إيجاد الممهدات الكافية للبدء بهذه الخطة ، ولم يبدأ العمل العلني ؛ لكنَّ التمهيدات السرية قد حصلت وذلك عن طريق رعاية الخطوط العلمانية في السعودية وحملها على الجهر بالمخالفة للحكومة وإيجاد بيئة تساعد على ذلك بالتفجيرات وتشجيع العناصر التي لا تفقه طريقة العمل والجهاد الذي يدعونهُ ، فتلجأ إلى التفجيرات التي ننكرها ، لأننا نرى أنها ليست في مصلحة المسلمين ، فيحصل من وراء ذلك تمهيد شعبي لقبول التغيير ، وبشكلٍ منَ الأشكال يحصل إضفاء الصبغة الإسلامية على بعض الأعمال ، فتحصل اختلاطات وصدامات بين المدارس السياسية المتعددة ، وهذا ربما يكفيهم في المنطقة العربية ، ثمَّ يتحولون إلى مصر ، ومصر تتمتع بثقل علمي وثقافي بين الدول العربية والإسلامية ، وما عادَ " مبارك " يصلح للحكم ، لأنَّ الطريقة التي يحكم بها أنتجت شيئاً معاكساً : نفرة المثقفين – تيار عارم لطلب الحرية يقوده الإسلاميون – ،

وكرهٌ واضحٌ للحكومة ، فيمكن أنْ تنفجر مصر يوماً ويقع فيها ما وقع في بلادٍ أخرى وتخرج عن السياق الأميركي ، لذلك فمن الأولى لهم أنْ يستبدلوا " مبارك " ويأتوا بأحدٍ يمتص هذه النقمة عن طريق إعطاء بعض الحقوق ، ومن ثمَّ إما إلغاءها أو حجب حقوق أخرى تكملها .

وبعد ذلك ربما يبدأ الضغط على حكومة السودان وإجبارها على صلح فيهِ حيفٌ على الحقوق العربية ويخسر السودان عروبته التي حافظ عليها ، وذلك بمجيء " قرنق " مثلاً حاكماً لكل السودان أو انفصال جنوب السودان وإقامة دولة توالي " إسرائيل " والغرب وتكون خنجراً في خاصرة العرب من الجزء الجنوبي - وخاصرة لمصر بالذات - ، وتتلاعب بمياه النيل ، وبعد ذلك فلا أظنّ أنَّ تغيراً قد يحصل ، واللهُ أعلم .

الأساس : وماذا عن سوريا ؟

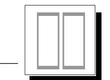
● سوريا أخذوا منها ما يريدون ، وقد وافقت على إجراء الصلح ، وما هي إلا مدة زمنية لتذليل العقبات أمام إجراء هذا الصلح ، ومآل الأمر إلى أنْ تصالح سوريا " إسرائيل " ... هذا الذي يريدونه منها ، أما ما عدا ذلك فهي سائرة في الخط الغربي عامة .

الأساس : ما هي أولويات العمل الإسلامي في العراق في المرحلة الراهنة ؟

● في اعتقادي إنَّ أول أولوية هي تعاون العقلاء من جمهور أهل السُنة والشيعة لدرء خطر الغوغاء ، الذين يمكن أنْ يؤججوا فتنة أو يوسعوا أحداثاً صغيرة ليكون من ورائها شرخٌ غير محمود العواقب ، فهناك توترات -لأسباب معلومة - ينبغي تلافيها ، لكن من المحتمل أنْ يأخذها الجاهل الغوغائي ويجعل منها قضية كبيرة ، فإذا آلَ الأمر إلى تسليم الأميركان مقاليد الحكم إلى الشعب عن طريق إقامة انتخابات لإقامة الدولة العراقية الجديدة ، فنخشى أنْ يطغى صوت وعمل الجمهور الجاهل فيلغي تدبيرات العلماء والعقلاء من الطرفين ، وهذا يُعد أكبر تحدٍ في الحياة العراقية الراهنة ، وأعتقدُ أنَّ هذه هي الأولوية

الكبرى التي ينبغي أنْ تنصرف لها خطط الساسة والعقلاء في الشعب أجمع ، بحيث تكون هناك حوارات ولقاءات بين علماء السُنة والشيعة ، وتكون هناك حوارات ولـقاءات بين مثـقـفي السُنـة ومثـقـفي الشيعة ، وبـيـن (**الحزب الإسـلامي**) و(**حزب الدعوة**)... الخ .

فـالعقلاء إذن مـدعوون إلى أنْ يجلـسوا ، والحـوار يحمـل في طيـاتهِ البركـة والتفاهم ، ويمكن أنْ يكون هناك تعاون ضمن القواسم المـشتركة - وهـي كـثيرة جداً ، ولا يترك المجال للغوغاء ، وأنا أعتقدُ أننا الآن قد قطعنـا أكثـر مـن نـصف الطريق في نزع فتيل الفتنة - والحمدُ لله - ، يبقى علينا إتمام هذا النـزع ، وأعتقـد أنَّ الأيام القـادمة ستشهد تحسناً في ذلك - إنْ شاء الله - ❑❑❑



لقاء مع جريدة البصائر

البصائر جريدة هيئة علماء المسلمين في العراق

حاوره فضيلة الشيخ خضير عمير الدليمي

□□ بعد هجرة دامت أكثر من ثلاثين عاماً ، وكما تعود الطيور المهاجرة إلى وطنها بعد طول غياب ، عاد أستاذ الجيل ، الشيخ الجليل **الراشد : محمد أحمد** .. إنه بشوش المحيا، وافر الثقة بالله، مفكر وقور ورصين ، له نصيب وافر من اسمه.

بعد أن سلمتني عتبة الدار إلى فنائها ، غمرتني نسمات الترحاب والكلمات العِذاب ، فأنستني الأتعاب والعذاب ، رغم انشغالاته لم يبخل علينا بهذا اللقاء .

البصائر: أرغمت على مغادرة العراق الحبيب ، حدثنا كيف وفقك الله تعالى لتحويل المحنة إلى منحة ؟

● هذا سؤال لطيف ، نابع من الإحساس الفطري الأصيل ، وقد كان بإمكاني أن أرى الأسئلة أولاً وأن أزَوِّر في نفسي ما يناسبها من الجواب ، ولكنني أحببت الاسترسال العفوي مع جمال أحاسيسك وذوقك الراقي ، وأن أدع المفاجأة في السؤال تلهمني الجانب الحسن في الجواب .

اعلم أخي الكريم وليعلم المؤمنون أني منذ أول شبابي وأنا إلى الطفولة أقرب ، هداني ربي إلى الصلاة وعيش المسجد وصحبة العلماء والدعاة ، فغرسوا في قلبي موازين الشرع وقواعد الإيمان ، وأصبح الفكر وطني والأمة الإسلامية عشيقتي وطفقت أتغنى بأحوال مستقبلها يوم كان أقراني تأسرهم ليلى وعزة ، ولبثت دهراً يتعمق في وجداني هذا الشعور العالي ، فلما شاء الله لي أن أهاجر إلى بلاد عديدة - أولها الكويت مروراً بالإمارات وماليزيا وإندونيسيا والسودان- وجدت نفسي في مواجهة لتلك المصالح التي استبدت بمشاعري معاني غرستها ، واعتبرت ذلك منحة ربانية محضة لي وتمكيناً لي في أن أبذل ما حزت من تجربة ووحي عراقي لجاميع الدعاة الذين تحلّقوا حولي في كل مكان ، وأصبح الإصلاح

مهنتي ؛ ورسم خطوط الجمال شغلي ، حتى شعرت بأن إبداعات الحضارة الإسلامية التي جُمعت من أقطار الإسلام البعيدة ، وحواضره المنيفة وتركزت في العراق ، قد استوعبها قلبي قبل عقلي ، فعدت أصدّرها إلى أبناء أمتي ثانية ، وأفلحت - بحمد الله - في أنْ أجعل أرواح من لقيت من النبلاء تحلّق بموازاة أحلام دعاة العراق .

ومن هنا لم تطرأ عليّ غربة ولم يعصر قلبي الحنين ، لما كان هناك من حضور للقضية الإسلامية العراقية في وجداني بحيث امتلأتُ وشبعت وارتويت على طول المدى ، وما زال عندي - والفضل لله- خزين عامر يجعلني اليوم - وأنا شيخ - في همة الشباب ، مُعاهداً ربي على مواصلة تربية إخواني الدعاة ، وأن أعود مستورداً لهم تجارب شعوب الإسلام بعد أنْ قايضتها بما صَدّرت لهم من رؤى عراقية ، وأدعوا ربي أن يمكنني من مواصلة مهمتي وأن يمنحني نيل الشهادة في سبيله .

البصائر: هل عانيت من زحام الأفراح واحتدام المسرات عند عودتك المباركة إلى أرض الوطن ؟

● جزماً . . جزماً .. فلقد رأيت ابتسامة المستقبل ، ووعظتني شواهد كثيرة منبثة في عرصات الأمة الإسلامية تركتني على يقين من أنَّ خطوة " أميركا " في استعمار العراق قد ارتدّت ارتداداً إيجابياً مفعماً بزخم قوي ، فأيقظت عاطلات الهمم ، وجمعت شوارد الخطط ، وقدحت زناد معركة الدعوة الإسلامية في طورها الأخير ، طور التحدي لمعسكر الكفر والظلم ، ومعركة العناد المستعلي المعتز بعزة الإيمان الذي خرج من طور التعميم في وصف الجاهلية إلى طور التخصيص والإشارة الواضحة إلى منابع السوء ومسالكه ، والذي خَبُرَ أنماط الجهاد في ورودها وسيطرتها على من في العرصات الإيمانية يقيس قياساً جلياً على تاريخ السلف ويدرك وحدة الموقف والمسلك والنتيجة ، فيعود مفعماً بثقة كاملة لا ينحت منها ولا يغيب من بعض أطرافها غبش ، فيجزم بأنَّ الانتصار الإسلامي الأكبر في هذه الحقبة قد صار وشيكاً بأذن الله .

إنَّ " أميركا " قد بلغت ذروة تقدمها المدني وتفوقها الحضاري على غيرهـا مـن الحضارات الجاهلية ، وإنها اليوم تواجه صعود العوامل الحـضارية الإسـلامية في جولتها الجديدة غافلـة عـن أنهـا تختلـف اختلافـاً جـذرياً عـن مواجــهاتها مـع الآخرين ، وستعود حقائق النفس الإنسانية إلى العمـل وتتكفـل بتبديـد الكبريـاء والغطرسة الأمريكية ، وذلك لأنَّ ابن آدم يبقى محكوماً إلى بشريته ، فيطيش عنـد وصوله القمة ، وتأخذه نشوة وتملكه أحاسيس الإعجاب فيفقد الاتزان ، وهـذه سنة الله في خلقه ، ومن يقرأ التاريخ تتجسد أمامه واضـحة ، والنخبـة الـسياسية الأمريكية اليوم مرشحة جداً لأن تستولي عليها هذه الـسكرة الفطريـة اللاصـقة بكل منتصر متفوق ، وعن قريب سيكون القرار الأميركي الخاطئ المتهـور الـذي يتسبب في نزول منحنـى الخـط البيـاني الأمريكـي ، ثـم يواصـل النـزول بفعـل معارضة الأحرار في كل العالم ، وتلك هي القصة الدائمة القديمة الجديدة لـصراع الحق والباطل والظلم والعدل والاستبداد والحرية ، ولا يـؤذن لجنـرال يعـيش في البنتاغون أنْ يعدو قدره .

البصائر: فيكم وفي كتبكم عَبَقُ التاريخ ، هل لكم أن تبسطوا لنا القول بمقولـة : خذ من التاريخ عِبرة ، ولا تسكب على التاريخ عَبرة ؟

● نعم ، فإنَّ من نِعم الله عليّ أنه ما جعلـني باكيـاً ولا لــطَّاماً ولا متـشائماً ، وتهمتي التي يتهمني بها أقراني أني واسع الطموح عريض الأمـل ، ولقـد قـرأت التاريخ ملياً فرأيت الدرس جلياً يعظني بأنَّ فتوحات الثقة قريبة من كل واقعيٍّ لا يُبالغ في فهـم محركـات التحـول ومفجـرات القـوى الفطريـة في أنفـس النـاس ، والقناعة التي خرجت بها أنَّ حركات الحياة لا تـتحكم بهـا الآلات ولا الأمـوال ولا عموم الماديات ، وإنما تنعطف الحياة في انعطافاتها الدفَّاقة تبعاً لتقابل النفوس المتنافسة ، وما يتفرع عن ذلك من درجات الأخلاق والهمم ، فالـصراع إنمـا هـو صراع نفوس ، وأنَّ من أعتصم بالشجاعة والصبر والكرم والإنصاف والحلم كان هو الأقوى في ساحة المعركة ، وأنا أعترف بأن جيلنا اليوم قد حرمه الجيل السابق

في هذا القرن من الاستعدادات المادية ، وأصبحت معركته أصعب بسبب صولة الآلة والمال في يد الجاهلي الخصم ، ولكننا نحن دعاة الإسلام كشفنا عن الحال النفسي فوجدنا الخير كامناً راسخاً في جذور القلوب وقد أصابها الظمأ فقط ، وتحتاج إلى إرواء ، فأيقنا أنَّ طريقنا إلى التمكين إنما هو طريق مختصر سالك قريب ، فما أن نملأ الأفئدة العطشى بمعاني الإيمان حتى تزهر الأغصان ، وأمر دانٍ كهذا يجعلك تكفر بالتشاؤم وتتجاوب مع الابتسام ، والتاريخ كفيل وشاهد ، وتلك من نعمة الله على عباده الصالحين أن يجعل القصص ينبوع عِبرة وينجينا من شهقةٍ وعَبرة .

البصائر: ما هو التفريق الحاسم بين التفاعل الثقافي والغزو الثقافي ؟

● الخلط بين هذين المعنيين يؤدي إلى التباس صرعَ من قبلُ الكثير بلا شك ، ولكي أصل إلى إيضاح افتراقهما أضرب مثلاً فيما يحدث في ساحة الغرب منذ القديم وإلى الآن من تضاد الفلسفات ومنظومات القيم ، فالبيئة الغربية نفسها تظهر فيها تعددية الآراء والمناهج ، والصراع الفكري هناك حاصل على أشده ، بل منهج الشك الديكارتي الذي يؤمن به الفيلسوف "ديكارت" يجعل التوافق تعطيلاً ، ويعطي للحياة معناها يوم يشك المرء فيما هو عليه ، ومن هنا فإنَّ العقلية الغربية تتقبل التعددية وترفد الفكر الأول بثانٍ وثالث ، وهذا هو مفتاح فهم وجود المفارقة بين الأديان والفلسفة وبين الشرق والغرب تبعاً لتأثرهما بمختلف الفلسفات ، وهذه الملاحظة الرصدية لطبيعة الفكر العالمي تجعلنا نقتنع تماماً بأننا وبقيمنا الإيمانية والشرعية على غير ما عليه الفكر الغربي ، وهذا يجعلنا بالتالي نرفض مرور المفاهيم الغربية إلى ديارنا ومناهجنا التعليمية وموادنا الثقافية ولغتنا الإعلامية من دون مرور بغربال يصفيها ، فنحن أصحاب أصالة ومفاهيمنا فرع من عقيدتنا وينبغي أن تحكمها أحكام الحلال والحرام ، وعلى ذلك فإن الهجمة الثقافية الغربية فيها من سيماء الغزو ومدلوله الشيء الكثير ، ويسوغ لنا الاحتياط والدفاع وإظهار عَوار الفكر الوافد المتسلل في ثنايا الخطط

السياسية والمعاونات الاقتصادية ، ويليق أنْ يكون من خلقنا الفحص والانتقاء والاختيار الواعي ، ومن واجب قيادات الفكر الإسلامي أن تنحاز انحيازاً تاماً في هذه المواجهة لقواعد الإيمان والشرع ، لكن مع الانفتاح الواسع على ما جاوز ذلك من الفكر الإنساني الذي يستوي فيه البشر .

فمن ذلك مثلاً : اقتباس الأساليب المنهجية في البحث والتعامل ، واستعارة الطرائق الإدارية والتخطيطية التي تجعل الإدارة ذات محصول ونتائج كبيرة بجهد قليل وعلاقات سهلة ، ثم ما يلزم ذلك من توظيف مناهج التطوير الإبداعي ، ويمكن أيضاً أن نخطو خطوتين مع الانفتاح المعرفي الذي أجده واسعاً جداً اليوم عبر الفن التجريدي الرمزي مثلاً الذي يتيح للمؤمن مشاركة فنية عالمية من دون حرج شرعي في تجسيد ماله روح .

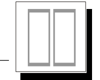
وكذا ما يكون من تغنينا بأغاني الحرية التي صَدح بها أحرار العالم لتشارك في إطراب أرواح المسلمين التواقة إلى الانعتاق من الأسر بعد ما حركتها ابتداء نغمات التوحيد ، فكل ذلك يدخل في باب التفاعل الحضاري الثقافي ، وفيه تلبية لنداء الحاجة من غير أن تتورط الأمة في ترَّهات الفلسفات المادية والوضعية ، وإذا كانت فينا المهارة تامة واستطعنا توظيف حقائق الفيزياء والكيمياء والطب للتدليل على إعجاز القرآن وشرح معنى التوحيد:فذلك إيغال في التفاعل والاستجابة لمعطيات النهضة الغربية في حدود الصائب منها ، من دون خلط ولا تمييع لرصيدنا الثقافي في خِضمّ أمواج الفكر الغربي المختلط بشوائب كثيرة تنفي نصوصنا الشرعية صوابها .

البصائر: ما هو أقرب كتبكم إلى نفسكم؟

● كتبت الكثير والحمد لله ، كان يسوغ لي أن أجعل كتاب " المسار " أو " منهجية التربية " أو " أصول الاجتهاد " أُحب الكتب إلى نفسي ، لأنها كتب كبيرة واستوفت الشروط الموضوعية للبحث والتنظير ، وهي كتب فرحت بها ويحق لمن يجري الله على يديه نوع خير أن يفرح به ، لا فرحَ الأشر والبطر ، بل فرح

التحدث بنعمة الله وفضله ، وأنني كنت مظهر القدر في جمع أجزاء الوعي المتناثر لدى قادة الدعوة ومجربيها وأئمة فكرها لأضعه بين يدي كل نجيب صاعد من شباب الصحوة ، ولكن أحب كتبي إليَّ هو " **صناعة الحياة** " إذ اقترحتُ فيه خطة جديدة وجدت أصلها وجذرها واضحاً في أداء أرهاط الفضلاء من قادة المسلمين والعلم الشرعي على توالي الأجيال - وإن لم يصرح بها مصرح - ، ولو أنَّ كل ذي علم من المؤمنين وذي اختصاص وإبداع وتميز حاول أن يكون في أدائه متناغماً متوافقاً متكاملاً مع أداء أمثاله الطيبين لحصل تيار إسلامي هادف مبارك يُعيد للحياة الإسلامية هديرها وعنفوانها الإصلاحي ، فـ " صناعة الحياة " نظرية موزونة أجد الدعوة الإسلامية اليوم في أمسِّ الحاجة إلى استثمار مدلولها .

وأنا آسف لإبطاءٍ لمسته من لدن شباب الصحوة في استيعاب هذه النظرية ، ولو أنهم أدركوها واستوعبوها لامتلكوا المستقبل ولقادوا جمهور المؤمنين في دروب الإصلاح على سنن الإبداع ، وصورة الغلاف لوحدها أراها إلهاماً ربانياً وفقتُ إليه ، يعبر عن معنى النظرية بوفاء ، وومضات أقدام هذا المسلم الخارج من سجن التخلف بحزم فَطَرَ عتبة الباب ليلمس الكتاب وآلة الصناعة ويقدح في الأفق المنير الفسيح الومضات التي توصل المستدركين من الدعاة في هذا اليوم وفي المستقبل إلى مآربهم وغاياتهم : هي نفسها الومضات التي يحتاجها مؤمن العراق في خطوه الحاضر لخدمة القضية العراقية ❑❑❑



خطاب لأخوات العامرية

مقتطفات من كلمة ألقيت لمجموعة من الأخوات المسلمات
في مقر شعبة العامرية للحزب الإسلامي العراقي

□□ الحمد للهِ رب العالمين الذي خلق المرأةَ لتسيرَ بموازاةِ الرجل وترفعَ رأسها حين تحسُّ بالأمنِ في ظلالهِ ، وأفضل الصلاة وأزكى السلام على النبي المصطفى الذي سنَّ سُنةَ احترام المرأة وجعلها تشمخُ برأسها كلما استحضرت معاني عزّة الإيمان والانتساب إلى الدين القيم بعد إذ طحنتها الجاهلية النكراء وتركتها ترسفُ في قيود وأغلال الظلمِ والمهانة ، فاستروَحتْ أرواح المؤمنات بعدَ دهرٍ من النُكران رافلةً بسرور القلب حين اكتشفتْ في رحابِ الإسلام ذاتها وتجولتْ في رياض الإحسان ..

● أمَّا بعدُ .. أيتها الأخوات السائرات في طريقِ إصلاح الأمة، فإني أنا " **محمد أحمد الراشد** " أودُّ أنْ أسجل في هذا الجمع المبارك تحيتي العطرة للهمم العالية التي ألمسها فِيكُنَّ ، وقد أنبتُ ووكلتُ سفيرتي إليكنَّ زوجتي "**آمال العزيَّة**" لإبلاغِكنَّ أسمى مشاعر المودة الأخوية التي أحملها لكلِ أختٍ أطالت النظر في حالِ العراق المأساوي فوَعتْ وأيقنتْ بوجوب السير في طريق الإصلاح وترميم ما انهدم والاقتراب من كلِّ يائسةٍ وقلقةٍ ومذهولةٍ من نساء العراق لتعليمهنَّ وتذكيرهنَّ بمفاخر الإسلام ومناقبِ أبطالهِ وبطلاتهِ منَ السلف الصالح .

● أخواتي : إنَّ قضية العراق المعاصرة قد انحرف بها التَخبطُ السابق والارتجال وتمجيد الظلم ، وتحولت حياتنا إلى فوضى ، وانقلبت الموازين ، وكلنا نؤمن بأنَّ الرؤية الإسلامية هي المفتاح الذي يفتحُ مغاليق المشكلات الاجتماعية والسياسية العراقية ، ولكنَّ هذا القول العام المجمل يلزمهُ من أجلِ نجاحهِ وإثبات جديتهِ أنْ يتحول إلى تفصيلٍ تجمعهُ خُطة شاملة لرسم شخصية المرأة العراقية وإيضاح الأدوار التي يمكن أنْ تقوم بها شريكةً للرجال في عملية الإصلاح ، ثمَّ يلزمُ بعد ذلك التوصل إلى وضع جداول تنفيذية لربط هذه الأهداف والخُطط بالواقع عبر اكتشاف

أعداد النساء المؤمنات في كلّ منطقة ومرفق من مرافق الحياة مع تحديد نوع الطاقة والاختصاص لكلّ أخت بحيث يكون توزيع الواجبات وتقاسم الأدوار وتكامل الأداء .. إنَّ من أهم صفات الدعوة الإسلامية المعاصرة أنها شاملة في طرائق إصلاحها وأعمالها ، فنحنُ - داعيات الإسلام - مجموعةٌ علمية تنشرُ العلم الشرعي والأفكار الإيمانية بين الناس ، ونحنُ رهطٌ يُبشر بالجنة وبالعزة عن طريق التحلي بالأخلاق الفاضلة وأداء العبادات وطلب السكينة من خلال ذكر الله وتلاوة القرآن والتواصي والإغاثة الإحسانية ، نمسحُ على رأس اليتيم ونواسي الأرملة ونُزوج العزبةَ ، ونزيل غضبَ الزوجين المختلفين ، ونُحجّب السافرة ، ونعظُ البنتَ العاقة لوالدتها ، وننشرُ التعارف بين الجيران والقبائل والقوميات والمذاهب ، ثمَّ نحنُ أيضاً حركة سياسية عن طريق منح ثقتنا وأصواتنا للعُصبة منَ الرجال أولي العزم والتضحية والإخلاص الذين يحملون الفكر الإسلامي وينادون بالحل الإسلامي للقضية العراقية ، وربما نُرشحُ واحدةً منا لتمثيل فَهمنا أمام هذه العُصبة التي تكافح نيابةً عنّا وقد منحناها تأييدنا ، ثمَّ نحنُ فوق كلّ ذلك نقوم بإحياء معاني الجهاد في سبيل الله ، فإنَّ الأمة الإسلامية هي أمة الجهاد ، وإنَّ عنوان الدعوة الإسلامية على مرّ العصور والأجيال إنما هو العنوان الجهادي ، وهتاف الدعاة والداعيات دوماً هو هتاف " **الله أكبر** " ، القرآن دستورنا ، الرسول قدوتنا ، الجهادُ سبيلنا ، الموتُ في سبيل الله أسمى أمانينا .

أيتها الأخوات: إنَّ هذا الاجتماع المبارك موصولٌ باجتماعٍ مثيل في المدينة المنورة جمع الصحابيات - رضي اللهُ عنهنَّ- بالنبي ﷺ ، وسَندهُ يرتفع إلى مجلس ذكرٍ كانت مريم العذراء تعظ به حواريات عيسى ؑ وتُعلمهنَّ العفاف ، ثمَّ هو مرتبطٌ بهمسٍ عالٍ صريح في أروقة قصر " فرعون " همست به " **آسيا** " - امرأة " فرعون " - لصالحاتٍ توسمت في نواصيهنَّ الخير فأسرَّتْ لهنَّ بسرِّ الإيمان ، ويكفينا هذا الفخر بهذا النَسب العريق وهذا الجذر الإيماني الضارب عُمقاً في تاريخ الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، وتحية لكلّ داعيةٍ مهديةٍ هادية ❑❑❑

□□ كُلما واجه المؤمن الصعاب ، وحاصرته المشكلات : أسرع الرجوع إلى مفاخر التاريخ الإسلامي ، يستنطقها وينهل منها ويستعير حلاً مناسباً لما هو فيه ، وهذا النمط الذي تولع به الدعاة وعامة المسلمين تجابهه اعتراضات من كثير من النقاد ، ويحسبونه ضرباً من التصرف العاطفي ، وتهرباً من واجب التفكير الإبداعي ، ومن ثم تكون لهم جرأة في اتهام هؤلاء المستلهمين للتاريخ بالرجعية والقصور .

ولست مع هؤلاء المنكرين ، ولا استظرف أسلوبهم في ازدراء العبر التاريخية وما تحمل من قدرة على الوعظ والتعليم لحائر أصابته الدهشة فنوى حث الأجداد على أن يعينوه برأي ، بل ذلك **تصرف معرفي سليم ونهج تخطيطي قويم ما دام الداعية صاحب نظر جلي في التفريق بين الثابت والمتغير ، ودلالة النص وطبائع المصالح وأحكام الضرورات ، فإن الخلل إنما ينشأ من الاستعارة الجامدة وتقليد تجارب السلف حرفياً ، وأما صاحب المرونة الذي له فهم للواقع المتغير ويأخذ يستعير ويدع بما تستلزمه مداراة المستجدات فإنه في سلوك علمي صحيح .**

بل أنا أذهب إلى أبعد من هذا وأرى في أي تجربة تاريخية دليلاً كاملاً على واقعية الإسلام وقابلية مذاهب الفقه والتربية الإيمانية على أن تتجسد في عالم الواقع وتكون تجربة إنسانية حقيقية تنفي ما يتهمنا به الفلسفي والعلماني من أنَّ الإسلام كله رمزيات ومثاليات وتحليقات في عالم الأوهام ، فحدوث تلك التجارب عبر التاريخ الإسلامي الطويل شاهد على أن الصفات الأخلاقية العالية التي يطلبها الإسلام من الإنسان ممكنة الحدوث ويمكن أن تصاغ عملياً وتظهر آثارها الإصلاحية في المجتمع ، وبخاصة إذا كان المهتدي الخلوق خليفةً

وحاكماً ، إذ أن سلطته تجعل جمهور الناس يقلدونه في طريقته الأخلاقية وعفافه وعدله ، ويكون منهم إذعان عن طواعية لأوامره وخططه البناءة ، ولطموحاته الحضارية .

وتتجلى تجربة هارون الرشيد كشاهد على هذا النجاح من بعد تجربة عمر بن عبد العزيز ، ومن مقاربة قاربها أبو جعفر المنصور ، فإن هارون الرشيد خليفة مؤمن عادل ، حضاري الرؤية والممارسة ، وارتفع بهمم الناس في زمنه لتتوازى مع تحليقات همته السامية ، وذلك واضح فيما وصفه به الثقات ، وهو هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور ، بويع له سنة ١٧٠ هـ ومات سنة ١٩٣ هـ ، قالوا :

(كان من أحسن الناس سيرة وأكثرهم غزواً وحجاً ، ولهذا قال فيه أبو السعلي :

فمنْ يطلبْ لقاءكَ أو يُردهُ فبالحرمينِ أو أقصى الثغورِ

(وكان يحبُّ الفقهاء والشعراء ويعطيهم ، ولا يضيع لديه بر ومعروف ، وكان نقش خاتمه لا إله إلا الله ، وكان يصلي في كل يوم مائة ركعة تطوعاً ، إلى أن فارق الدنيا ، إلا أن تعرض له علة) ، وزوجته زبيدة (كانت أرغب الناس في كل خير وأسرعهم إلى كل بر ومعروف) ، وفضائل الرشيد ومكارمه كثيرة جداً [1]، ولذلك كان عصره أزهى العصور ، **وطريقتنا في الاستمداد من مفاخر السلف تقرر بأن داعية الإسلام اليوم لو تمنى حاكماً يطيل السجود ويحفظ التهجد ويحج ويجاهد : فإنه إنما يتمنى أمراً واقعياً هو في قدرة البشر ، وليس خيالياً ولا فيه إعنات بل هو طبيعي مألوف وأمر ينساب انسياباً من غير تكلف إذا كان القلب حياً وطاهراً ، وفي الأصل نجابة ، وإذا أراد حاكم أن يتوب من الكسل والهوى العلماني فإنه عما قريب سيكون شريكاً في الحضارة نشطاً ، بل يمكن أن يأتي بحضارة إسلامية متميزة عن حضارة الانحراف الحالية العالمية هي**

---

(١) البداية والنهاية ١٠/ ٢٣٠ .

تكرار لحضارة أيام الرشيد الإيمانية ، وفي هذا ما يعطي لنقدنا السياسي شرعية وصواباً ، فإنَّ الدعوة الإسلامية إنما تنقد انحرافات الحكومات العلمانية لا استناداً إلى نصوص الشرع فقط بل إلى ما ظاهرها من هذه الحقائق التاريخية أيضاً .

وليس الحاكم فقط هو المؤهل للبرهنة على المقدار الوافر من الحيوية الكامنة في أصل الحقيقة الإسلامية ، والتي تنتظر من يفجرها من الحكام تفجيراً ويجعلها تجربة إصلاحية تسعد بها البشرية ، بل ذلك متاح أيضاً لكل ذي ذكاء أو شجاعة أو نبل أو وجه آخر من وجوه الخير والعطاء والحرص على نفع الناس ، **فإنَّ الساحة مفتوحة لمثل هذه العناصر المتميزة ذات النزعة القيادية ، لتؤدي دورها الإصلاحي المكمل لدور الحاكمين ، ولترتكب إبداعاً وتنتصب قدوة ، لا يكبتها كابت مهما ظلم** ، ويمكن أن تتضاعف تأثيرات هذه القدوات وأن تتناوش النتائج الإصلاحية من طريق قريب إذا اجتمعت ووحدت جهودها وتغافرت وعلت هممها لتكون فوق الخلافيات وصغار الهفوات ، ناظرة نحو الصالح العام ، مهدرة لحقوقها الشخصية .

وإبراهيم بن ادهم مثال لهؤلاء ، فقد جمع بين الزهد وفقه النفوس ، وحرص على دور وعظي تربوي ، وجمع إلى ذلك حياة جهادية حتى وفاته سنة ١٦٢ هـ ، وله مشهد متميز وإبداع في الإصرار على نية الجهاد وهو على فراش المرض ، فإنه كان يكثر الغزو ...(وذكروا أنه توفي في جزيرة من جزائر بحر الروم وهو مرابط ... فلما كانت غشية الموت قال : أوتروا لي قوسي ، فأوتروه ، فقبض عليه ، فمات يريد الرمي به إلى العدو - رحمه الله -) [٢] ، وهذا المشهد بريء من تكلف يظنه المستعجل الذي لا خبرة له في التربية العملية ، وإنما أراد إبراهيم **صناعة مشهد من التربية بالمنظر الغني بالمعاني التأثيرية النفسية** ، وما كان الوضع آنذاك يحتاج رميته ، إذ الرماة ألوف ، ولكنه أراد إلقاء معنى الجهاد في نفوس الناظرين وفي نفوس أفراد كل جيل مؤمن تبلغه قصته ، وهذا الاحتفال بالجهاد

---

(٢) البداية والنهاية ١٠/١٤٨ .

والإذعان لأمر الله بالدفاع والغزو هو أحد الدروس التي يليق للتربية الدعوية اليوم أن تستلهمها من تاريخنا المجيد، فان الاستعمار الأمريكي يريد أن يرسخ قدمه ، ويريد أن يغير عقائد المسلمين ومناهجهم التربوية وأفكارهم وأخلاقهم بما يوازي الفلسفة المادية الغربية ، وأيما جنوح للسلم إذ الاحتلال جاثم سيكون بداية الهزيمة لنا ، وستنحل العزائم ، وسيكون من الصعوبة بمكان أن نستأنف الجهاد ، وبخاصة بعد ما تكشفت أساليب التخدير المعنوي والتضليل الإعلامي وتسويغ الفساد والإغراء بالمال والفرص والنساء ، ولذلك يجب أن تبقى الجذوة الجهادية ، ساخنة متصلة ضاغطة ، **فإنَّ الجهاد هو خط الدفاع الأهم ، وكم في تاريخنا الأغر من نماذج جهادية يسهل استلهام دروسها وتوظيفها في معركتنا الجهادية الحالية ، وفي هذا الإمكان الدليل على واقعية الحل الإسلامي** .

□ مساوئ الخَلَف

وبضدها تتميز الأشياء ، ولكي نعرف ما في الدين من مِنحٍ وحلولٍ وعافية للمجتمع إذا ساس العدول الثقات أهل الورع : فإنه يلزمنا أن ننظر الفوضى والأحوال الردية عند حصول الغفلات ، وحال كثير من أقطار أمة الإسلام اليوم ، ثم حال العراق بخاصة، يبرز كمثال كثير الدروس والعبر التي تبين جسامة انحراف الناس إذا انحرف الرأس ، ومبلغ الاستهتار إذا انطلق الإفساد بلا رادع يردعه من واعظ محتسب أو حاكم له سلطة ، وهذه الترديات حصلت خلال التاريخ الإسلامي مراراً كثيرة ، ويتبين للفاحص أنها سلسلة من السوء لها جذر ضارب في العمق فتنمو شجرة السوء حينا وتقطع حينا بحسب ما يكون من جهود رجال سلسلة الإصلاح المقابلة لها ، تماماً كالجرثوم الذي تشله الوقاية فيختفي أثره ثم تمده بالنشاط بيئة الأوساخ فيكون الوباء ، حتى إذا أثخن هذا الوباء في القتل وبلغ المدى : تاب الوسخون وعادوا إلى شيء من النظافة فيتراجع الجرثوم ، وذلك كله من مظاهر حكمة الله في خلق النفس فاضلة زكية في نصفها ، ولها نصف فاجر .

وساقتني المطالعات إلى أن نكتشف سابقة في الفوضى عمت بلاد مصر قبل قرنين هي صورة تامة الشبه بما جرى للعراق هذه الأيام ، يرويها لنا المؤرخ الجبرتي واصفاً عهد المماليك الذي سبق حكم محمد علي باشا ، وبالذات سنة ١٢١٩ هـ .

فكان أول العدوان : الابتعاد عن الرونق الإسلامي والأُبهة الإيمانية ، ففي سنة الفوضى هذه (نزلوا بقطع الكسوة أمام أمير الحاج ، وركب أمامه الأغا والوالي والمحتسب وناظر الكسوة ، بهيئة محتقرة من غير نظام ولا ترتيب ، ومن خلفهم المحمل على جمل صغير أعرج)[٣] ، وهي الحال المزرية التي عليها الحكومات ودواوين الأوقاف في كثير من بلاد الإسلام في زمن النكرات إذا احتفلوا بأمر إيماني ، ومحمل الفقهاء الذي تنوء به سيارة قديمة ذات أعطال هي سليلة ذاك البعير الأعرج .

ورصد الجبرتي آنذاك أيضاً (خراب البلاد وتتابع الطلب والفرد[٤] والتعايين والشكاوى والتساويف ، ووقوف العربان بسائر النواحي ، وتعطيل المراكب عن السفر لعدم الأمن ، وغصبهم ما يرد من السفائن والمعاشات ، وانقضت السنة وما حصل بها من الغلاء وتتابع المظالم والفرد على البلاد ، وإحداث الباشا له مرتبات وشهريات على جميع البلاد، والقبض على أفراد الناس بأدنى شبهة ، وطلب الأموال منهم وحبسهم)[٥] ، فكأنه يتحدث عن حال اليوم .

ومن يوميات الفساد والظلم التي سجلها الجبرتي : قصص جبروت العساكر عند اختلال الأمن سنة ١٢١٩ هـ أيضاً وكيف (أنه أصيب شخص من أولاد البلد برصاصة منهم ومات ، وحضر أهله يصرخون ، وأرادوا أخذه ليواروه ، فمنعهم الوالي وطلب منهم ثلاثة آلاف درهم فضة ، ولم يمكنهم من شيله حتى

---

(٣) تاريخ الجبرتي ٣/ ٤٠ .

(٤) الفردة : نوع من الضرائب ، وكذا التعيين .

(٥) تاريخ الجبرتي ٣/ ٤٦ .

صالحوه على ألف وخمسمائة)[٦] ، فالوالي يقتل ثمَّ يبيع الجثة بيعاً ، فتأمل ، والعجب أن الأمر بعد مائتي سنة كاملة يتكرر في صورة من الصور المقابلة لذاك الاستهتار ، وحكايات اليوم في اعتقال الناس وفك أسرهم بفدية ثلاثة آلاف دولار ومضاعفاتها أكثر من ألف حكاية كل موسم ، وبلغ الأمر في العراق أن رسول الديمقراطية الضابط الأميركي يفعلها مع المستضعفين ، لكن ليس لنا جبرتي يؤرخ للقهر والجبر .

ويحكي الجبرتي القصة المكررة : قصة ابتلاء الأمة بحكام لا يعرفون الأعراف ومنازل الناس وإرشاد الشرع ، فتكون المتاهة والفوضى ، ويكون التخريب ورجوع القهقرى ، وما ثم غير (جهل القائمين المتآمرين بطرائق سياسة الإقليم ، ولا يعرفون من الأحكام إلا أخذ الدراهم بأي وجه كان ، وتمادي قبائح العسكر بما لا تحيط به الأوراق والدفاتر ، بحيث أنه لا يخلو يوم من زعجان ورجفات)[٧] .

وهل يجهل أحد سياسة الأقاليم إن كان هناك إيمان وعقل وإنصاف ؟ لكنه **زيغ القلوب يسبب الرجفات لكل نبيل وحرة ، واستعلاء النكرات يجرح كل أصيل** ، وتاريخ العراق وليبيا وأكثر الأمصار كمثل مصر ، وهل " **الزعجان** " الذي أقلق الجبرتي إلا من الفلتان والفيضان والحظ الطيحان ؟

وسنة ١٤٢٤هـ ببغداد تشابه سنة ١٢١٩هـ بمصر ، لكثرة ما تمت سرقته من سيارات الناس ، ففي تلك السنة (كَثر أذى العسكر للناس ، وخطفوا الحمير ، وتعطلت أشغال الناس في السعي إلى مصالحهم ونقل بضائعهم) ثمَّ (صاروا يخطفون حمير الناس والجمال)[٨] .

---

(٦) تاريخ الجبرتي ٣/ ٢٧ .

(٧) تاريخ الجبرتي ٣/ ٨ .

(٨) تاريخ الجبرتي ٣/ ٣٤ .

▫ اختلاف فِطَر الناس بُنبح الدافع

وإنما نشأ كل هذا الاعوجاج بسبب شيوع الجهل بأحكام الشرع ، ونمط التسيب المعرفي ، وطباع اللاأبالية لدى رجال الدولة والسياسة ، **فحين يسقط شرط العلم والتقوى : ترتفع رؤوس الطمع والقباحة والكبت ومصادرة حقوق الناس وإخلاء الساحة من المعارضة بالاغتيال والسجن والتهجير** ، ووصفهم في الأعم أنهم جزء من طبقة لا توفق إلى عمل صالح وتلزم التعطل ، كمثل من اكتشفهم ابن الأثير وذمهم وأشار إلى أنهم (أهل البطالات الذين لا همَّ لهم إلا ترجئة الأيام بالباطل ، فلا هم في عمل الدنيا ولا هُم في عمل الآخرة)(٩) ، فهم الكسالى السلبيون الذين يميلون إلى السلبية وعدم الإنتاج ، الذين لا يؤسسون لهم حقاً ولا يعينون صاحب حق ، بل أر كسهم الباطل المخالف لمطالب الشرع ، فخسروا المشيتين ، واجتمع عليهم شقاء الدارين ، وهم عجزة حتى عن أعمال مدنية وهندسية نافعة .

وهذا المثل واضح في العراق ، فبعد أكثر من ثلاثين سنة من حكم " **صدام** " : ترك العراق خرباً ، وبغداد بلا عمارات وحدائق نجدها في الخليج وأكثر العواصم .

لذلك لا ينبغي أن يعجب المرء لطبيعة الفوضى التي أعقبت زواله ، لأن التربية الأولى أنتجت الحال الثاني ، والجذر واحد ، والاستمداد من مصادر الجهل مستمر ، حتى صحَّ المثل الذي رواه ابن مفلح أن (لا نظام للدهماء مع دولة الغوغاء)(١٠) ، فإن العلاقة بينهما متبادلة ، **وهي معادلة تربوية في أصلها وإن علاها مظهر سياسي ، وإذا كان رجال الدولة هم الغوغاء من بقايا الأحزاب الظالمة ، ومن المتحالفين مع الغازي فإن الأمر ينعكس ولابدّ على العامة من الناس والدهماء ... فلا يكون لهم نظام ولا رؤيا مصلحية ولا عرف جميل** ، بل

---

(٩) الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ١٤٥ .

(١٠) الآداب الشرعية ١/ ٢٠٣ .

يكون السلب والنهب والقتل العشوائي وشبهات الخوارج ومنطق التكفير الجزافي الذي يترك العراق للأمريكي ويلتهي بتعويق المتأول عن سعيه الخيري ، ولولا أنَّ دروس التاريخ تعدنا بزوال كل ظلم لكان اليأس منا قريباً ، ولكان من الممكن أن نرتكب خطيئة التقاعد عن العمل ، ولكن الشاعر أخبرنا أنه :

وما من يدٍ إلا يدُ الله فوقها وما منْ ظالمٍ إلا سَيُبلى بظالمِ

فكما نبغ ظالم أميركي ليزيح صدام ، فيما رأيناه من استرسال القدر : سينبغ ظالم آخر ليزيح الغوغاء وفوضى الدهماء ، في رواية قدرية أخرى ، وإن كنا لا نحب ذلك ، بل نريد أن يتجسد هذا القدر الآتي في دعاة الإسلام .

ومحركات الحياة واحدة عبر العصور والأجيال ، وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه قد حذرنا ووعظنا أن نستوحش من اللئيم الشبعان ، وهذا الذي نخشاه اليوم أيام النفوذ الأميركي ، فإنهم يتخيرون كل لئيم ليعاونوه ، واللئيم بدوره يتقرب منهم ويطمع أن يسرقوا له أموال النفط فيشبع اللؤماء ، فتكون الوحشة ، بل كانت ، وذلك **أن المال في يد اللئيم أداة سوء بها تشترى الضمائر ، وبها تجند جنود الفوضى السياسية** ، وقد صادف هذا الشراء في أرض العراق حصاراً طويلاً سبقه أجاع الناس فأرخصوا الثمن وهبطت قيمة العفاف ليشتريها إقليمي حاقد كما يشتريها آت من وراء البحار يحركه الطموح ... ولأنَّ العالم الشرعي والواعظ الإيماني هما أساتذة التوعية في مجتمع العراق وكافة المجتمعات الإسلامية ، فإنَّ خطط الهدم وتدخلات الغريب تحرص على توجيه أعمال هذه البضاعة المشتراة نحو النيل من ممثلي الدين والعلم الشرعي الحنيف ، وذلك درس طالما كرره التاريخ ، ومن أحداث سنة ١٢١٩ هـ بمصر أنه (تعدى جماعة من العسكر وخطفوا عمائم الناس واتفق أنَّ الشيخ إبراهيم السجيني مرَّ من جهة الداودية وهو راكب بهيئته ، فاخذوا طيلسانه من على كتفه وعمامة تابعه ، وقتلوا من بعضهم أنفاراً)[(١١)] ، والاعتداء اليوم على عمائم شيوخ العراق له هذا الجذر

(١١) تاريخ الجبرتي ٣/ ٣١ .

القديم ، وهي قصة مكررة ، الهدف منها مقصود وواضح ، وذلك ما يخرجنا إلى **رؤية شمولية للرد الإسلامي الواجب إزاء هجمة الغزو الاستعماري ، وهذا الشمول يحملنا – ولابدّ – إلى أن لا نقنع بدعوى استقلال صوري جزئي تبقى فيه السيادة أو بعضها لغريب ، وأن لا تبقى الأرض الطاهرة مدنسة بحذاء محتل يتبختر ويتبجح ، وينبغي أن يكون المشروع السياسي للدعوة الإسلامية العراقية حاوياً ما هو أبعد من هذا من الحفاظ على مصالح العراق النفطية ، وأن تصان بشروط جازمة واضحة تحفظ ثروة الأمة وتمنع المستعمر الطامع أن يتحايل لأخذها في صفقات شبه مجانية ، ثم لابدَّ من المرور بوصفٍ منهجي كامل يحفظ القيم التربوية الإسلامية في مدارسنا وجامعاتنا وأدواتنا الإعلامية ، ليكون من بعد ذلك تتويج هذا المشروع بموقفٍ حاسم يمنع خطة السلم والتطبيع مع الغاصب اليهودي ، وإذا لم تذهب المشاريع السياسية للحكومة والأحزاب هذه المذاهب فإنَّ صوت الدعوة سيعلو مطالباً بها ، وسيكون من شباب الصحوة الإسلامية تلقين عملي لأصحاب الوسوسة والمواقف الانهزامية ، وسيكون إلحاح منهم حتى يتوب من اقترف ظلماً ، وينسجم معهم من ارتكب عجزا ، والأمة الإسلامية اليوم في أشد انعطافاتها حساسيةً وأهمية ، ولابدَّ لها أن تتخذ من هذا الفهم الشمولي شعاراً ، وأن تلوذ بالمدافعة الواعية المتميزة عن العمل التخريبي والولع بالسيارات المفخخة ، ثم أنْ تتخذ من وعاة دعاة الإسلام قيادة ، ومن فكرهم منهجا .**

وفي سنة ١٢٢٠هـ كان جهلة من المسلمين يقترفون الآثام العظيمة بمصر ، وهم (الدالاتية) أو (الدلاة) الذين استقدمهم والي مصر من الشام لنجدته وتثبيت حكمه ، فسلبوا الناس ورجعوا إلى الشام ولم يفيدوه .

(وذهب الدلاة إلى جهة الشام بما معهم من المال والغنائم والجمال والأحمال ، وعدتها أكثر من أربعة آلاف جمل ، وما نهبوه من البلاد وأسروه من النساء

والصبيان وغير ذلك ، وكانوا من نقمة الله على خلقه ، ولم يحصل من مجيئهم وذهابهم إلا زيادة الضرر ، ولم يحصل للباشا المخلوع الذي استدعاهم لنصرته إلا الخذلان ، وكان في عزمه وظنه أنهم يصيرون أعوانه وأنصاره ويستعين بهم وبطائفته الينكجرية على إزالة الطائفة الأخرى) ، وذكر في سياق آخر (الدالاتية الأنجاس) و (هم مستمرون على نهب البلاد وسلب الأموال وأذية العباد ، ونهبوا كاشف الغربية ، وهجموا على سمنود - وهي مدينة عظيمة - فنهبوا بيوتها وأسواقها وأخذوا ما فيها من الودائع والأموال ، وسبوا النساء ، وفعلوا فعالاً شنيعةً تقشعر منها الأبدان) ، (وحضروا إلى بولاق ، وهجموا على البيوت وأخرجوا سكانها قهراً عنهم وأزعجوهم من أوطانهم وسكنوها ، وربطوا خيولهم بخانات التجار ووكالة الزيت) [١٢] .

وفي هذا تفسير لما يحدث اليوم في العراق زمن الاحتلال الأميركي وتحت مظلته وحمايته من تسلط غوغاء الشارع على البيوت الشريفة ، وقد أذن لهم باشا واشنطن ، وظن أنهم يصيرون أعوانه .

وهذا الوعي التاريخي يبعث في قلوبنا اليوم أملاً جديداً وثقةً مؤكدة بأنَّ المشروع الدعوي الإسلامي العراقي الذي يريد أن يعالج أسواء العراق ويدفع العدوان الأمريكي ، وهو الذي يوضحهُ شأن دعاة الإسلام اليوم وخططهم الواعية ومنهجيتهم المتأنية : سيكون متلاحماً مع المشروع الحضاري الإسلامي العالمي العريض ، وسيظلُّ يسيرُ موازياً لهُ وفي ظلهِ حتى يتم إنجاز تربية إيمانية تُبطل مفعول الإفساد التربوي الأميركي في أقطار أمة الإسلام كلها ، ثم في تحقيق وعي سياسي استقلالي ، ووعي اقتصادي يحفظ موارد الأمة ، واستمرار التوغل في هذه الدروب الخيرية كلها عبرَ إحياء الجهاد واستلهام منظومات القيم الإيمانية والشروط الفقهية وثوابت الشرع .

---

(١٢) تاريخ الجبرتي ٣/ ٨٨/ ٨٢/ ٧٨ .

□ سُباعية الاستدراك الواعي

وحين نُلزم أنفسنا بمشروعٍ عريضٍ فإنَّ التبجحَ يعجزُ آنذاك عن أن يكشف الفحوى أو أن يُدل على علامات الطريق ، ولكن الشأن الأصوب إنما يكون في **تعيين الدلالات التفصيلية وبيان تكامل المعاني وترادف الأعمال بحيث تُحقَّق كتلةٌ تنفيذية مندمجةٌ بفكرٍ يؤصل لها ويوجهها** ، فيسهل على فتى الصحوة الإسلامية الداعية الصاعد أن يستوعب مهمتهُ والمطلوب منه فيسير ضمن التيار الجماعي بانسجامٍ معهُ وعلى بينةٍ من الأمر ووضوح في الخطوات المطلوبة ، ووجدتُ هذه الكتلة العملية العقائدية الفكرية تتجلى في سبعة مشاهد .

□ **أولُها : إحياء الإيمان في نفوس رجال الإصلاح وفي نفوس جمهور الناس** ، كلٌ بالقدر الذي يناسبهُ ويلزمهُ ، في تزايد كلما وضحت مكانةُ المُصلح ، **ويكون في تخلية وتحلية ، فيهما تعاقبٌ** : كلما أخلى باطنهُ من جزءٍ من المعاصي : سارع إلى إحلال جزءٍ من الخير والإيمان بديلاً عنه ، والموفق يُجيد الإنصات إلى ما أرشد إليه ابن عقيل الحنبلي العبدَ الصادق في توجهه من بعد غفلةٍ ألمت به إلى أن يلاحظ اختلاط عمله (بكثرة الخلل والعلل، التي ينبغي أن يكون معها على غاية الخجل ، والخوف من أن يقع الطرد والرد ، فإنَّ المُسيء مستوحش)[١٣] .

قال ابن الجوزي : (وفهم هذا ينكس رأس الكبير ، ويوجب مساكنة الذل ، فتأمله، فإنه أصل عظيم) ... **ويجدر بالداعية أن يفهم هذه الظاهرة من ظواهر الحياة** ، التي تؤدي بالتالي إلى أن تكون قانوناً من قوانين حركة الحياة ، وهي ما لخصها ابن عقيل من أنَّ (**المُسيء مستوحش**) ، فالمعاصي تنتج سلسلة من السلبيات في نفس صاحبها ، من مظاهرها الحزن والقلق والتشاؤم والإحباط والخوف من المجهول والحيرة والتردد وقلة الثقة بالأقران وبجميع المحيط ، وهو ما يجمعه لفظ (**الوحشة**) ، حتى أنَّ الجماد لينطق بالجمال من حوله في صورة وردةٍ

---

(١٣) الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ١٥١ .

وخضرةٍ وماءٍ منسابٍ وشمسٍ تغيب ونخلةٍ تشمخ ، ثمَّ لا يحرك ذلـك في داخلـه حِساً ولا تبدرُ منه استجابةً والتذاذ ، أما المطيع وصاحب الخيرات فتجـدهُ طروبـاً واثقاً وكأنَّ روحهُ تبعثُ ومضاتٍ تلتفت لها الزهور وتديرُ النخيلُ أعناقهـا إليـه ، فإذا كانت ثمَّ روحُ مؤمنٍ آخر يجلسُ تحت النخلات فإنَّ روحهُ تنجـذب إلى هـذا المؤمن الخيري المطيع لربهِ فيكون ائتلافٌ واندماج .

إنَّ القيمة الجمالية مُحركٌ فاعلٌ شديد التأثير من جملـة محركـات الحيـاة، وقـد أدرك السلف ما في هذه القيمة من طاقةٍ في هز النفوس ونفض الأرواح فأحسنوا توظيفها لصالح وعظهم الإيماني ، أفلا تعجب لابن السمَّاك الزاهد الذي هو من رجال صـدر الإسـلام ، وفي عِـداد العامـة الفقـراء مـن النـاس الـذين تـشغلهم همومهم المعاشية ، استنباطاً من كونهِ ابن صياد سمك ، حينَ رأى وسيماً صبيحاً فقال لهُ واعظاً : (لم أرَ أحسن من وجهك ، فـلا تجعلـهُ لجهـنمَ حطبـاً) ، فهـذا توظيفٌ للقيمة الجمالية في خدمة الإيمان والتزكية ، وخلاصة ميزان ابـن الـسمّاك أنَّ للجمال ضريبتهُ ، وهي أن يستقيم الفرد الجميل ويلتـزم التقـوى وينـأى عـن قُبح جهنّم قبل أن يخاف من عذابها ، **وما أظنُّ أنه استطاع هذا الربطَ لو لم تكـن نفسهُ شفافة تتعاطى التعامل المستطرد الطويل مع ظاهرة الجمـال ، وفي هـذا مـا يتيحُ لدعاة الإسلام اليومَ إذ هم في عصرٍ مدني متطور صارت للجمال فيه فلسفةٌ وقواعد وأوصاف معرفية : أن يطوروا أسـاليبهم إلى مـستوى الخطـاب الفـني ، ليصفوا ويبدوا التكامل والترابط المؤكد بين إيحاءات الجمال وإلقاءات الإيمـان** ، والذي أفهمه أنَّ ذلك ينبغي أن يكون عبرَ قصصٍ ووثائق توصـيف لواقـع حيـاة المسلمين الحاضرة ، فإنَّ من شأن هذا الأدب العـاطفي إذا وصـلَ إلى درجـة مـن الكثافة والترادف واجتماع المعاني أن يُصلحَ نفوس المثقفين ويحملها على التحرر من غفلةٍ تعتريهم بسبب عيشهم في مجتمع مادي معقد ، ومـع ذلـك فـإنَّ الأمـي والأعرابي لن يكونا عن تأثيرات هذا الأدب بمعزل ما دام هناك مـن الـدعاة مـن يقف فيهم واعظاً يترجمهُ لهم ويبسطهُ .

وبمثل هذا نستطيع إدراك المعنى التجديدي والمِنَح الإبداعية في هذه الطريقة الإيمانية الواعظة ، فأصل حقيقتها قديمة ثابتة منذ عصر النبوات الأولى ، ولكنَّ الفقه الدعوي مكلفٌ بتطوير أساليب عرضها وإيصال معانيها إلى طبقات الناس ، وفي هذا السياق لستُ آبهُ لتصنعٍ وتكلفٍ يمتزجُ بالكلمة الوعظية إذا كنا نحرص على مخاطبة الناس لا على قدر عقولهم فقط بل وباصطلاحاتهم ولغتهم المهنية وبطريقة العامة في التمثيل والتفهيم واستفزاز دواخل المخاطب ، فكما أنَّ الحداد يتكلم عن (مطارق الأشواق) و (سندان القلب) فإنَّ سائقاً ركبتُ معهُ قال لي في حوارهِ السريع معي : عجباً كيف سنلقى الله ونقف في ساحة الحساب وأحدنا يجلب معه إلى الساحة عشرة شاحنات ثقيلة من الخطايا والذنوب ؟ !

ولذلك ربما يوظّف البارع الأبعاد الهندسية والزوايا والتثليثات والتربيعات والتدويرات والتكويرات في خطابه الوعظي ، كما قال ابن الجوزي لشيخ عشيرة وعينٍ : (إنهُ – سبحانه – لم يجعل أحداً فوقك ، فلا ترضَ أن يكون أحداً أشكرَ لهُ منك)[١٤] .

فهذه الفوقية والمحل العلوي وصفٌ هندسي ربطهُ الواعظُ بمعنىً إيماني ، والاسترسال يدعُ المبدعَ يستعمل حقائق وألفاظ التحتانية والأمام والوراء والتوازي والميل والانفراد وأشباه ذلك في تجديد لغة الوعظ والتذكير ، وهي لغةٌ ربما تعاكست مع رمزيات ومجازات الرقائق ، ولكنها قد تكون مطلوبةً في مجتمعٍ عُمالي وصناعي وميكانيكي ، ثمَّ الإيمان أقرب من ذلك لمن حباهُ الله بفطرةٍ أو ألقى السمعَ وهو شهيد ، ومن الناس السعداء من تكفيهم نظرة العين من المربي لينتهوا عن غيٍ شرعوا فيه ، ولكنَّ المسرف قد يحتاج ما اقترحناه من تكلفٍ وتصنعٍ ، وهو الله يهدي من يشاء ، ثمّ هي الملائكة تُظلُ بأجنحتها من يُنيب .

---

(١٤) الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ١٩٧ .

وهذا النمط من تجديد الخطاب يمكن أن يكون أبعد من أداءٍ فردي لواعظٍ بليغ ، وذلك بأن يتطور ليكون جانباً مهماً من جوانب الخطة التربوية الدعوية ، وفحوى ذلك أن نطور المنهج التربوي عبر تجديد الخطاب القديم ، وشرح وصايا الثوري والجنيد والفضيل بلغةٍ عصريةٍ وأسلوبٍ يستفيد من عطايا العلوم والمعرفة ، وبعضُ ما صدر من كتابات دعوية إنما شاع ونجح في تحريك الهمم بسبب هذا التجديد ، والنجاح الأول يعني إمكان نجاح ثانٍ وثالث .

□ الاستدراك الثاني : **تأسيس معنى "تمحيض الولاء" في قلوب شباب الصحوة الإسلامية ، وتربية عموم الناس على ذلك** ، كلٌ بحسب مركزه وثقافته وطبيعة أدائهِ ، حتى العامي الذي يظنُ أنه غير مقصود بهذا الأداء : هو مكلفٌ أيضاً بأن يبرأ من حب ظالمٍ أو منحرف ، وأن يعتز بفقرهِ دون أن يسمح لنفسه بتمني المنافع من كافرٍ أو فاسقٍ يستدرجهُ ويريد أن يصعد على أكتاف الفقراء إلى تحقيق علوٍ في الأرض واستكبارٍ يعود بتدمير .

إنَّ صورة الصلاة قد تكون واسعة ، وقد شاعت العبادةُ وعمرّت المساجد ، لكن الدعاة ما زالت مشكلتهم مع الناس قائمة ، لأنَّ الكثير من هؤلاء الناس يرضونَ بأن يتعاملوا بشخصيتين : شخصية السجود لله ، ولزوم الأخلاق ، وشخصية الانتساب إلى حزبٍ علماني ، أو التبعية لزعيمٍ لا ينتهجُ منهج الخضوع لأحكام الشرع ، بل قد يرضى لنفسه أن يدخلَ دائرة الشُبهات فيكون تابعاً لمتعاملٍ مع مستعمرٍ من وراء البحار .

وهذا هو الداء الدوي ، لأنَّ صلاح الفرد إنما يعود على نفسه أو على عائلته بالفائدة ، وربما يكون في جانبٍ فيه مفيداً لكل المجتمع ، بأن يكون ذلك الفرد الصالح نقطةً حياديةً لا تحتاج علاجاً أو اهتماماً زائداً ، وهذه إيجابية لكنها محدودة ، **أما الولاء والتعاون مع علماني ومشبوه فإنه يؤدي إلى تمكينهم من السلطة ، ومن موطن التسلط يباشرون الإفساد العريض عبر مناهج الدراسة ووسائل الإعلام والفساد الإداري ونهب الثروات واستقدام جيوش العولمة ، في**

سيئاتٍ عديدة أخرى ليس لها آخر ، وهذا هو سبب جسامة خطر الولاء لغير المؤمنين ، فإنه من الواضح لو أجرينا المقابلة وانعكاس المعنى لوجدنا أنَّ ولاء المسلم لدعاة الإسلام وسعيه إلى تمكينهم من مقعد البرلمان ووظائف الدولة والنقابات وجمعيات المجتمع المدني سيكون بالغ الأثر والوسيلة الفعالة لتحقيق العدل والقسمة السوية وعمران الأخلاق ورفض التطبيع مع يهودي ومحتل ، ومن هذه المقارنة البسيطة تظهرُ مكانة خطة تعميم الولاء للمؤمنين والبراءة من الفسقة والكافرين ، ويظهرُ أثر الصوت الانتخابي الواحد أو الكلمة الطيبة المفردة العابرة أو اللسان المُنصف ، ويظهرُ أثر هذه الخيريات الصغيرة في تحقيق الخير الكبير والتفوق الإسلامي على محاولات الاندساس العلماني ، وظاهرٌ هنا أنَّ الصوت الواحد قد انضم إلى مثيلٍ له وإلى ألوف أصوات ليكون في النهاية ترجيحاً لعابدٍ لله على حليف لشيطان ، فقضية الولاء والبراء قضية فردية في أصلها وهي مسؤولية شخصية ، لكنها حقيقة جماعية في نهايتها ، وتُقاسُ باقي مظاهر العمل السياسي والاجتماعي والاقتصادي على هذا المثال ليبدو في الصورة الختامية **أنَّ مجموعة أفعال الفرد الواحد مهما كانت صغيرة لها قابلية عظيمة أن تتكثف وتنظم إلى بعضها لتكون عاملاً حاسماً في إيصال المؤمن إلى الحكم ومركز صناعة القرار وتقنين الدستور والقوانين وتنظيف الوزارات والدواوين وتفعيل النقابات والجمعيات ، وهذا يوضح أنَّ الإيمان في أصلهِ مسؤولية فردية لا يصحُ فيها توكيل الغير ولا التبرع بحمل تكاليف الإيمان نيابةً عن الغير** ، بل كلُ امرئٍ بما كسب رهين ، كما نطق القرآن الكريم ، فمن طلب العدل والمساواة والأمن والاستقرار والحرية وحفظ مصالح البلاد الكبرى : فليصلح نفسه أولاً ثمَّ ليترجم ذلك في صورة انحياز شامل لخطط المؤمنين وأحزابهم وتنظيماتهم ، وتلك هي حقيقة الولاء والبراء ، **ولا يصحُ أبداً أن يبخس المؤمن دورهُ الذاتي الشخصي في عملية الإصلاح ، فإنه دورٌ كبير وحاسم ما دام يوالي ويبرأ ، وواهمٌ هذا الذي يُصلي ثمَّ يبيع صوته أو جهدهُ** أو كلمته

لمنحرف ووكيلٍ لمحتل ، لأنَّ البركة الربانية هي التي تجعله ينعم ويرفل برزقٍ من السماء تحملهُ الملائكة إذا باع واشترى وتعامل مع الله ، وأما ملايين تأتي بها الشبهات فإنها محرومة من البركة ، فتزول سريعاً ويبقى وزرها ، وهذا التفريق يشهدهُ كل قلب سليم ، ولا حاجة لكي نستطرد في الشرح والبيان ، وكل امرئٍ فقيهُ نفسه ، وعند الله تجتمع النوايا ، وسيخيبُ من افترى كذباً وحادَّ ومالَ ومشى برجلٍ عرجاء ، لكنَّ الراكض نحو أرض البراء والجهاد هو الفائز ، وكفى .

وهذا المرض ليس بالجديد في أمتنا ، بل هو قديمٌ منذ أيام التراجع بعد القرون الفاضلة الأولى ، فقد نقل ابن مفلح عن ابن عقيل الحنبلي أنه قال : (إذا أردت أن تعلم محل الإسلام من أهل الزمان فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع ، ولا ضجيجهم في الموقف بلبيك ، وإنما انظر إلى مواطأتهم أعداء الشريعة)[١٥] .

فإسلام المسلم عنده : ليس السباق إلى المسجد ومكة ، ولكن هو الولاء السياسي والفكري لله ولرسوله ولأئمة الإسلام في عصره ، من الدعاة العاملين وأحزاب الله ، ثمَّ البراء من أئمة السوء وأحزاب الشيطان ، وكأنه ينقد زماننا ، **فكم من حزبٍ علماني يسنده حاجٌ وراكع ، وكم من داعيةٍ مؤمنٍ أول مَن يكذبه الساجدون ، لقلة الفقه وانحراف القلب** وانقلاب الموازين - والعياذ بالله - ، (وهذا يدلُ على برودة الدينِ في القلب) كما قال ابن عقيل معقباً ، ولسنا نقول بكفر مخلط جمع بين التكبير والهتاف لزعيمٍ ماجن ، ولكنه افتقاد حرارة الإيمان والذهول عن موازين الشرع ، والسبب في ذلك هو إلهام الفجور في النفس حين يكون صاحبها هيناً ليناً ليس لهُ صبرٌ على ضرائب ما تُلهمه التقوى ، من التضحية والصبر والزهد بالمال والمنصب والجاه ، وتزداد ظواهر وآثار هذه المحنة إذا كان من لهُ طرفٌ من العلم الشرعي عامي المزاج والسلوك والأمنيات ، فإنه يوجَد رهطٌ من مثل هؤلاء في كل جيل ومع كل حاكم ، حتى رصد ابن الجوزي

---

(١٥) الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ٢٦٨ .

أنهم : (ترخصوا ، وتأولوا ، وخالطوا السلاطين ، فذهبت بركة العلم) [١٦] ، وهي تفسيرُ بعض قصة جفاف العراق ، فإنَّ البعض خالطوا السلطان " **صدام** " ، ووجدوا لهم في التأول سنداً ، ثمَّ نزلوا ثانيةً فخالطوا نائب السلطان ، فخمدت الجذوة ، ودخلوا الكهف البارد ، وارتفعت بركة القول الشرعي ، وذهبت حرارة آيات يتلونها ، ولولا أنَّ الشباب الدعاة كانوا قد تلقفوا الراية لساء الحال ، ولكنهم رفعوا الآذان بنبرةٍ عفيفة ورداءٍ نظيف ، فعادت الحياة إلى قلوب الجيل .

وإنما ذلك من النفاق ، وقد قال الله ﷻ في وصف المنافقين : ﴿ **كأنهم خُشبٌ مُسنّدة** ﴾ .

قال ابن عقيل الحنبلي :

(أي مقطوعة مُمالة إلى الحائط ، لا تقوم بنفسها ، ولا هي ثابتة ، إنما كانوا يستندون إلى مَن ينصرهم ، وإلى مَن يتظاهرون به) [١٧] .

ومع ذلك فإنَّ نفوسنا لها عزاءٌ أحياناً عبرَ التأول بأنهم لم يبعدوا جداً ، لأنهم إنما يواكبون جهالات مسلم ظالم ، ولكن ما بالُ أقوامٍ يبعد بهم التأول إلى أقاصي المنطق البارد فيطلبون من ينصرهم من ضباط الاحتلال الاستعماري والساسة الذين أغروه بغزو ديار الإسلام ؟ بل غزو عاصمة الإسلام، عاصمة الرشيد ؟!

ويكاد السائب الذي لا يحملُ الروح الدعوية الواثقة بأنَّ المستقبل محتكر لدين الإسلام وأهله : أن ييأس ويناله الإحباط حين يرى مثل هؤلاء المترخصين المقارفين للشبهات والمعاصي السياسية الغليظة ، ولكن رجال الإيمان الوعاة وشباب الصحوة الإسلامية يعرفون ويميزون جيداً أنَّ أصحاب الاختيارات الواطئة والمقاييس الدنيوية العمياء إنما هم العراة عن الفقه ، ووعاة المؤمنين تغشاهم سكينة يعلمون بها أنَّ التعويل والاستناد والأمل لا يقومُ على ثلةٍ قليلة

---

(١٦) الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ٢٤٥ .

(١٧) الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ٧ .

منحرفة ، وإنما ينتظرونه من وعاةٍ دعاةٍ علماء عاشوا في ظلال القرآن ، وتخيلوا الجنة فاستراحوا تحت أفياء أغصانها ، وهم عصبةٌ تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وترفع راية الولاء للإسلام ، وتصيح صيحة البراء من الكافر المستعمر .

وذلك ميزانٌ دعوي ثابت ، الدعاة اليوم بحاجة ماسة إلى استذكاره بعدما روّج دعاة الواقعية معنى تجويز التقرب من الأميركان عندما استعمروا العراق وأفغانستان ، مؤداه أنَّ انتماء العراقي إلى حملة الأميركان : دَنَس ووسخ ونجاسة ، وكل ذلك ينافي عزة النفس ، ولا يستثنى من ذلك غير مسلم جيد الإيمان له وعي في السياسة ، يقبل منهم المنصب من أجل أن يقلل شرهم ويحفظ حقوق المسلمين ، **ويكون قد تقرّب منهم بقرار جماعي ، ويمارس تحت رقابة جماعية .**

المظنون : أنه ينتظرنا يوم أشد من يوم التعامل مع الأميركان ، كأنه محتوم على العراق ، وهو التعامل مع إسرائيل عبر معاهدة سلام ، والتطبيع مع يهود ، والحل إنما يكون عبر اللواذ بقاعدة الولاء والبراء وشرحها بأسانيدها القرآنية والحديثية وشواهدها من السيرة المصطفوية المطهرة وتاريخ الأمة ، واستذكار قصص العلماء الوعاة ، كمثل ما كان من الفقيه الليبي أحمد بن إبراهيم بن سحبان التاجوري المتوفى سنة ١٢٧٦هـ الذي جدد إرساء هذه القاعدة من قواعد الوعي الدعوي حين شدّد على قضية تمحيض الولاء للمؤمنين ، والبراء والبُعد عن اليهود والأجانب وأعداء الدين ، وذلك لما استُفتي حول النظام القانوني الجديد الذي صدر في عهد السلطان العثماني محمود خان الثاني ، ومنح الامتيازات للأجانب واليهود وملل أخرى ، ولم يخضعهم للمحاكم الشرعية ، وإضفاء عصمة لكل مسلم يدخل تحت حماية السفارات الأجنبية ، فقال ابن سحبان – رحمه الله – :

(وأعجب العجب من المفاتي الفاتنين المفتونين من الديار التونسية الزاعمين أنهم حنفية● ، المادحين لهذا النظام ، الذين هدموا بذلك دين الإسلام بقصيدة طويلة مطلعها :

نظامك أيها الملك الهُمام به للدينِ قدْ ظهر ابتسامُ

فقلتُ في الرد عليه :

الحمد لله الذي أمرنا بالاقتداء بالنبي ﷺ في الأقوال والأفعال ... ونهانا عن التشبه بالكفار ، فكان بسبب ذلك النجاة من الضلال، فقال :(**من تشبهَ بقومٍ فهو منهم**) ، ولذا قلتُ نظماً :

نظامكَ أيها الغمر الرغامُ بدى منه إلى الدينِ انهدامُ).

ولهُ رسالة مؤرخة في ١٩ ذي القعدة ١٢٦٧هـ يشدد النكير فيها على مواطنيه من المسلمين ممن يستأمنون اليهود ويكلون إليهم قضاء حوائجهم ، فيقول :

(فكيف يا خير فرقة من خير أمة تستأمنون اليهود ، وقد قال الله تبارك وتعالى في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿ **لتجدنَّ أشدَّ النَّاسِ عداوةً للذينَ آمنوا اليهود..** ﴾ المائدة ، فكيف بعد هذا التحذير يطمع مؤمن من يهودي خيراً ؟ وعلى أنهم أعداء الأنبياء ... فكيف لمن آمن بالكتاب والرسول ﷺ أن يركن لهؤلاء أو يرضى بمخالطتهم أو يأمن مكرهم ، هذا من الخطأ الفاحش والغفلة الكبيرة .

نعم ... وإلى يومنا هذا مهما أمكنهم قتل مؤمن أو غشه لا يتركونه ، لأنهم يتعبدون ويتقربون بذلك على زعمهم وقبحهم...فانظروا بارك الله فيكم آخر الشفاء (١٨) وكلام صاحب المدخل على الأطباء ... فإذا كان يا أعز الأخوان الأمان قلّ في أهل الإيمان : فكيف يكون حال اليهود البهت أهل الجحود

● يشير إلى أنّ مذهب الدولة العثمانية كان هو مذهب أبي حنيفة ، وأنّ هؤلاء العلماء يجارونه ويحرصون على رضا السلطان الحنفي .

(١٨) يعني كتاب القاضي عياض .

والخسران ، وقد علمتَ يا أخي أنَّ نصح المسلمين متعين ، لا سيما على من علمهُ الله شيئاً من العلم ، ويتأكد ذلك في أوقات الغفلات والتهاون بأمور الديانات ... فتنبهوا ... أمة النبي ﷺ ... فهذا وما بعده من المتأكد عليكم ، وبينوه للعامة تبياناً كلياً)[١٩].

وهذا هو الجذر الدعوي الحديث لفقه مقاومة التطبيع ، وهو معلم من معالم تطور الدعوة ، وأحرى بالدعوة الإسلامية في العراق أن تجعل مثل هذه المواعظ من هذا الفاضل الليبي درساً تضعه بين يدي جمهور أهل العراق ، وأن تعتقد أنَّ الغمرَ الرغام الذي يتصدرُ ويدور في دائرة خطة الأميركان سينتهي الأمر بمنهجه إلى أن يبدو منه إلى الدين انهدامُ ، ولنا أن نشيع وعياً بين الناس يبين تجدد العمل بنظام محمود خان حين أقر عصمةً لكل مسلم يدخل تحت حماية السفارات الأجنبية ، وذلك يعني بوضوح أنَّ السفارات ستصطفي لها عدداً من أبناء الشعب يخونون القضية الإسلامية ويجعلون أنفسهم في عداد الجواسيس من دون توجيه تهمة قانونية لهم ، **وهذا هو ما تحرص عليه أميركا اليوم ، فإنها تريد تكوين جيل من العراقيين المتعاونين مع طموحاتها السياسية في الاستبداد بجميع العالم ، ويروجون لمفاهيمها التربوية وأقاويلها الإعلامية ، ويُسهلون لأدواتها الاقتصادية أن تجول في أرض العراق وتحتكر نفطه وثرواته ثمّ تعبر إلى بقية بلدان العرب وأمة الإسلام ثمَّ إلى العالم أجمع** ، وهذه الثلة من المصافحين للأميركان تمارس حرباً نفسية أيضاً عبر دعواها أنَّ أميركا جاءت لتبقى ، وأنها قوية لا تقهر ، في تجاهل لحقيقة أنَّ **التحدي الإيماني يضع المسلم المعتصم بروح الاستعلاء في مركز التفوق إذا انفرد بالغازي وجهاً لوجه بعد أن ينتهي مجال استخدام التفوق التكنولوجي** ، وأنَّ خِلقة نفس الأميركي هي مثلُ خِلقة نفس العراقي ، فيها دواعي الشجاعة والثبات وفيها دواعي الهزيمة والنكوص ، فيتفوق العراقي المؤمن بما معه من توكل على الله وما مع الأميركي من توكل على الدولار ،

---

(١٩) أعيان علماء ليبيا – ص ٢٧٥ .

فأميركا تريد اليوم حماية هذه الثلة الخيانيـة ، ويـأبى الله إلا أن يجعـل وعـي أهـل العراق مانعاً لغشها وتدليسها وبهرج خططها وزيف آدابها وفنونها وبحوثها الـتي تلوي الحقائق لياً وتحرف الدلائل والإحصاءات حرفاً ، ولئن أتانا هـؤلاء بمـزاعم الديمقراطية الأميركية المنحازة : فلنأتينهم بعقائد " **الـبراء** " تبطـل سـحرهم ، وقـد خاب من افترى .

□ **وثالث الاستدراك : " الجهاد " ، فإنه باب العزة الإيمانيـة** ، ومفتـاح تـثبيت مصالح الشعب الدنيوية من أن يسرقها ويعكر عليها غريبٌ وقـحٌ شـيمته الظلـم والتعسف .

وفي الفهم الدعوي أن أمرنا يشابه فقه خطط التنميـة ، فكمـا أنَّ هـذه الخطـط تقول بأنَّ الإنسان هـو أغلـى اسـتثمار ، فتهـدف الخطـط نحـو تطـويره وتدريبـه وتعليمه المهارات وتستعيرُ لهُ أسباب التمدن والسلوك الحـضاري ، **فـإنَّ اللمـسة الدعوية تهدفُ أيضاً إلى تطوير مؤمني العراق روحياً ونفـسياً وفكريـاً وعمليـاً** ، فتغيرهم في موسم واحد إلى خلق آخـر ، وتنقلـهم إلى وادٍ جديـد يتركـون خلفـه وساوس الإحباط والقلق والتثاقل إلى الأرض ، وتلـك هـي **معجـزة الـدعوة في اقتدارها على إحداث دفعةٍ تربوية وصعودٍ في مدارج التطـوير** ، وذلـك هـو مـا اكتشفه الإمام الشهيد " **حسن البنا** " حينَ نظر وحللَ وقاسَ وفحـصَ فاسـتوعب ، وأخبر دعاة الإسلام أنَّ الشعوب ضحية تقصيرات الحكام ، وأصدر تعليماتـه في أن لا نسبَّ الشعب ولا نزدري طاقاته الكامنة مهما تورط في سلبيات أو انخـداع لهُ بالزعامات الفارغة ، لأنَّ الزهد بالناس الذين هم مجالنا التنفيذي يفقدنا قابليـة التحرك في الميدان السياسي والإصلاحي بعامة والجهادي بخاصة .

نعم ، قد يكون الشعبُ تائهاً ويسلك سلوكاً فوضوياً ، ولا يعرف مصالحه ولا مناهج العمل ولا موازين توثيق الرجال ، لكننا نحن دعاة الإسلام الذين نصلحه عبر كسب تأييده العاطفي أولاً ، ثم عبر توعيته وتربيتـه بتـدرجٍ وخطـوٍ مـوزونٍ واكتشاف شغل خير يتناسب مع كـلِ نـوعٍ مـن أنـواع النـاس واسـتعدادهم ، في

تنويعٍ كثيرٍ يتكامل به الاستدراك **وتكون كتلة العمل الناتجة موظفة توظيفاً واقعياً تسيرُ فيه أنواع مفردات العمل الإيجابي النافع المحقق للمصالح في خطوط متوازية يعضد بعضها بعضاً لتكون تياراً واحداً هادراً له قدرة التأثير واكتساح العقبات ،** وليس هذا السلوك القيادي الذي نبديه هو من تغليب العاطفية والخضوع لـردود الفعل المستفزة كما يظنُ البعض ، ولا هو ركوبٌ للخيالات التي تغيبنا عن تقدير الواقع ، فإنَّ هذه الاتهامات تصحُ لو ارتكب خطة الإصلاح فـردٌ يريـد بزعامتـه الشخصية أن يديرَ عملاً استدراكياً وحملةً جهاديـة ، ولكـنَّ تـصورنا للاسـتدراك الناجح الذي يلجُ من باب العاطفة **إنما يكـون مـن جماعـةٍ منظمـةٍ ذات منهجيـة وقيادة وجندية وخبرة تخصصية وتجريب ناجح وإسـناد عـالمي يظاهرهـا ويمـدها بالرأي والفكر والاجتهاد والبلاغ الإعلامي ، فتنـتقل بالنخبة المستجيبة من أبناء الشعب عبر الفورة العاطفية والتحليقات الرمزية والمحركات الروحية والأشـواق الإيمانية إلى أداء عقلاني منهجي ، وهذا الوصف النموذجي هو الذي جعل نخبة الدعاة القدماء في العراق يرشحون أنفسهم لقيادة الشعب الأبي بعدما نجحوا في إرساء البنية الأساسية لعملٍ دعوي نموذجي** صاروا به أكثف الجماعات السياسية في العراق تأثيراً ، وأوسعها انتشاراً ، وأطولها تجربة ، وأثراهـا في الاسـتمداد مـن النُصرة العالمية ، وهم يمدون أياديهم التي ظلت عفيفة طيلة عهـد الظلـم إلى كـل جماعة مخلصةٍ ، وعالمٍ شرعي ، ومفكرٍ إسلامي ، وشيخ عشيرةٍ ، وذي مـالٍ أنعـم الله عليهِ ، من أجل تكوين حلف عريض يجهر بأنَّ الإسلام هو الحل ، وأنَّ الجهاد هو الطريق .

وإنما نعني ظاهر هذا الذي نقول وباطنهُ المختفي الذي ينبغي استنباطه وعرضهُ على من لم يحط بالمراد كُله ، فإنَّ من لا تجربـة لـه عميقـة مكافئـة لتعقـد الظـرف والقضية العراقية يتمنى دوراً لأهل السنة عبر قيادةٍ علميـة ، ويـدعو إلى مرجعيـة سُنيةٍ عليا ، **وهذا النمط يحصرنا في أداءٍ قيادي فردي لا نؤيده ، بل الـصوابُ أن تتوغل في الاستدراك عبر عطاء عمل تنظيمي واسع وقيادة جماعيةِ تتكامل علومها**

وخبراتها وتخصصاتها وتجاربها ، مسنودة بمشروع إسـلامي عـريض ، حـضاري المدى ، مدني الطريقة ، علمي الأسلوب ، حر الاجتهاد ، شوروي النمط ، فإنه إذا وجد مثل هذا العمل الحركي الشمولي فان ما سـنجنيه مـن تأييـد النـاس إذا توفرت الحرية هو أهم وأوسع من منح نجنيها من أداء الوزارات وجهاز الحكـم ، ومن عطايا يتصدق بها المحتل ، إذا سالمناه وهادناه ورضينا به وصياً علينـا وسـيداً ومربيا .

إن تاريخ الثورات ، وقصص التحرر ، وتجارب الجهاد : كلها تؤكد **أن الغلبـة في الآخر إنما هي للباذل** وان احتكر الحق محتكـر لوقـتٍ وقـتَل وسـجن واعـدم واستبد وانتهك الأعراض والحرمات ، وتزداد دلالة هذه الحقيقة حين نكتشف أنّ رفضنا العراقي يتزامن مع تـصاعد الـوتيرة الإسـلامية ضـد أميركـا ، بـل وغـير الإسلامية من أحرار العالم وفي أوربا بخاصة ، ومع جهاد فلسطين وإصرار أهلـها على مواصلة البذل بعد أن أهدر " **بوش** " حق العودة واعترف بالمستوطنات.

وكانت المقاومة العراقية الباسلة قد أبلت بلاءاً حسناً وما تـزال ، وهـي الـتي رفعت رأس العراقي وأجبرت أميركـا أن تبـدل خططهـا وتفكـر بالانـسحاب ، وهذه الحقيقة راسخة في عمق وعـي دعـاة الإسـلام في العـراق ، لكـن مـذاهب الوعي الدعوي تفيد **بأنَّ الجهاد يكون واعياً وغير واع** في نفس الوقت ، والـدعاة إنما ينكرون طريقة السيارات المفخخة والقتل العشوائي للشرطة وتـدمير دواويـن الحكومة ، لما يظنونه من اختلاط أمرها بغايات إقليمية وامتـداد أيـادٍ غريبـة غـير عراقية خلطت الأمور وأوجدت تشابكاً ، وليس كل مـن يقاتـل يحـتكم إلى علـم ووعي ويستند إلى خلق قويم ، بل هناك الحدث الذي لم تنضجه حكمة الرجال ، وهناك الذي يسرف في الدماء ويقتل بعض المساكين بحجة التجسس من غير روية ولا إقامة دليل قاطع ، ثم هناك من يجعـل سـاحته الأمـاكن المزدحمـة بالمـدنيين ، فتذهب هدراً أرواح بريئة كثيرة ، وليست تخلو الجمهرة من نفعي ومزايد ودعـي يفاخر ويريد العنتريات التي ليس لها نكاية بمستعمر ولكن نكايتها تكـون بمجاهـد

ينافسه أو ببعض الأهالي ، ومثل هذه الخروقات لأخلاقيات الجهاد وموازينه وقواعده هي التي ينكرها دعاة الإسلام ، فيظن المستعجل أن الدعاة ينتقدون عموم الجهاد ، والمستعجل يقذف بالكلام على رسله ويتمنى ويتهم ، وما ثم عند الدعاة غير تأول وحرص على رفع الحرج عن الناس وقول في التمييز بين جهاد له أهداف ووضوح ومنهجية والتزام وإرث تجريبي وتنفيذ مصلحي ومرونة لا تأبى تبدل (**التكتيك**) وتقبل التغيرات التعبوية ، وتخلط كل ذلك بتواضع وتجرد وشكر لله وتودد للناس ، وبين جهاد آخر تزاحم به قلة فوضوية ترتيبات الأكثرية ، فتلجأ إلى التعالي على الناس ، ويكون ديدنها الإسراع إلى قتل الرهائن ، واستعمال السلاح في غير موضعه ، وهذا التمييز بين النوعين حقُ ثابت لكل مخلص من أبناء الشعب ، وليست العصمة من الخطأ مكفولة لكل من حمل البندقية ، بل منطق الواقع يشير إلى احتمال أن يختلط بالدعاة من هو مجازف ولا تردعه التقوى عن ظلم مخلص يعظه بالتروي ، **ودعاة الإسلام لهم تاريخ عظيم في العالم أجمع عنوانه الجهاد والبذل ، وهم الذين علموا الناس طريقة مكافحة الاستعمار وحكروا جهودهم لإسناد القضايا التحررية في بلاد أمة الإسلام** حتى ارتوت أرض فلسطين وقناة السويس وأفغانستان والبوسنة بدمائهم ، وكان علي بن أبي طالب يقول : (إذا حدثتم عن رسول الله ﷺ حديثاً فظنوا به الذي هو أهدى وهو أتقى وهو أهيا) ، والعلماء ورثة الأنبياء ، والدعاة حلفاء العلماء ، فيسوغ أن نقيس الحكم ونقول : أيها الناس إذا حدثتم عن أداء دعاة الإسلام في العراق وغيره فظنوا بهم الذي هو أهدى واتقى وأليق بتاريخهم وطهرهم الملائكي وحالهم الجهادي .

ومن فروع هذه القضية أن الداعية المسلم بدأ يتعامل مع فتيان من المجاهدين أحداث الأسنان تعوزهم التجربة ، ولكن دفعهم إيمانهم الوافر إلى حمل السلاح ، وصاروا صدوراً وقادة بين أقرانهم ، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (إذا تَصدّر الحدث فاته علمٌ كثير) ، ومن إفرازات الحداثة : أن تراه عنيداً عند المفاوضة

والتفهيم مستسهلاً العنف والقتل ، ميالاً إلى اعتقاد صوابه المطلق وخطأ المقابل ، وقد يمزج ذلك بكلمة غليظة ونبرة استعلاء ، وكل ذلك من الغرور الذي يصاب به صاحب العمل الصالح إذا غفل عن الاستعاذة من الشيطان ، والحل لهذه الظاهرة السلبية أن يتصدر الكبار ، أهل الرجولة والحفاظ على الأعراف ، ممن وَخَطَ الشيب لحاهم ، ولقنتهم أمهاتهم احترام الكبير والمخلص ، وهذا أمر قريب المنال إذا نوى الجميع نوايا الصلاح والإصلاح .

□ **الاستدراك الرابع : استيعاب تجارب الحركة الإسلامية في العالم** ، فإنَّ فيها خيراً وافراً ، وهي تجعلنا نواصل من حيث انتهى الآخرون لا من حيث بدأوا ، وتعصمنا من تكرار الخطأ وإهدار الجهود والوقوع في المتاهات ، وكم من مخلص استغنى عن عقل غيره وقصص تاريخ الدعاة فعثر وانكبح وانكسرت يده وأصابت ركبته الرضوض ، وكم لتأملات فقهاء الدعوة من فوائد إذا استطاعوا استنطاق الحوادث وأدركوا أسباب الفشل والنجاح في الساحة الإسلامية الواسعة.

وتجربة " **محفوظ النحناح** " عبر العمل الدعوي الجزائري هي من أقرب التجارب البليغة التي يمكن أن تسعف الدعوة الإسلامية العراقية في مرحلة ما بعد زوال الظلم وانفتاح المجال لكل أطياف العمل السياسي ودخول جماعات إلى الميدان ليس لها تاريخ يعظها ولا فقه يقومها ، والأمر فيه زحام شديد ، وضرب بالأكتاف وتصادم ، والعنف سيد الموقف .

ولتفهيم العبرة الكامنة في دروس " **محفوظ** " وعصبة الدعاة الذين معه ، إنما يكمن فهمها من خلال التعقيب على كلمة رثاء كتبتها يوم موته ونشرتها في ذلك الوقت في موقع " **الرواق** " www.alrewak.com في الإنترنت ، وأستحسن أن أسوق الكلمة كلها لأدع طلاب فقه الدعوة يستمتعون بجميع ما فيها من عاطفة يعبق عطرها الزكي عند ذكر محفوظ ، ثم أعود وأقيس مرحلة العراق الراهنة على تجربة هذا الفقيه الجزائري الذي أحيا سنن المعروف والرصانة واستقرار النفس

وثقل المواقف الأصولية القواعدية المعتصمة بموازين المنهجية ،وقد شجعني على إيراد هذه الكلمة كلها أنها أُعيد نشرها في العدد الخاص بالذكرى الأولى لوفاته - رحمه الله - من مجلة " **المؤسس** " في الجزائر ، ولكنها كانت كثيرة الأخطاء المطبعية ولا يستطيع أحد أن يفهمها على وجهها الصحيح ، وقد قلت فيها :

▫ مناقب محفوظ .. وكتلته الجمالية

(مضى واثقاً ، بعد أن ضرب مثالاً للقيادة الناجحة التي تستوعب جيداً موازين الفقه الدعوي التي تحكم المواقف المشتبهة .

هذا موجز وصف شخصية أخي في الله ، الفقيد الغالي ، الهمام الثابت على الدرب المستقيم ، الأستاذ محفوظ النحناح - رحمه الله - .

رسخ .... يوم هبت العواصف .

وفصح.......... يوم تلعثم المترددون .

وجسر وأقدم .... لما هاب الواجفون .

وصرخ بالحق .... حين تخافت به الهامسون .

وفاصل على بينة من الأمر يوم جنح الغبش بأهله نحو الحلول الضبابية .

وقد راقبت صدور الدعوة على مدى نصف قرن ، وصعدت عواطفي ونزلت مع سِيَر أجيال من القادة والزعماء ورجال الفكر الإسلامي ، فأقنعتني مراقبتي الدقيقة أنَّ وتيرةً من الفقه الشرعي الموزون الممتزج بدروس تجريبية مقتبسة : كانت تحرك النحناح ، حتى استوى في النهاية منتصباً شامخاً ضمن الرموز الكبرى التي نباهي بها ونفخر ونجعلها عناوين للدعوة الإسلامية الحديثة المعاصرة ، التي بها نقتدي ، وإلى أفعالها نحتكم ، وبحبها نرجو أن نلقى الله .

إنه مؤسس دعوة ، وسابق ، وصاحب إبداع ، وليقل فيه القائل ما يشاء من عمق التجرد ، وكثرة البذل ، مع التواضع ، والسكينة ، إلا أنَّ جميع ذلك يجعله مجرد شريك في هذه المناقب ، وفي غيره من أهل الجزائر بركة ، وقد نالوا من هذه الخيرات مثل ما نال ، **ولكنَّ ميزة " محفوظ " الكبرى تكمن في إيمانه الشديد الذي**

أبداه بوجوب الحفاظ على الشروط الدعوية المتكاملة وعلى الطبيعة التدرجية التربوية للعمل الإسلامي حين أهدرها عن عمد أو نسيان من استحوذ على إعجابهم الصعود المفاجئ للصوت الإسلامي في الشارع الجزائري خلال موسم واحد لما حدث الفراغ السياسي فملأته الخدمات الإسلامية .

كان المفروض في الدعاة أن يلوذوا بحقائق فقه الدعوة ، وأن يميزوا **أنَّ كل توسع سريع يتجاوز إتمام عملية تربية وتطوير الجيل الدعوي التأسيسي الأول : سيكون توسعاً خطيراً يحمل في ثناياه احتمالات الاستعجال ، بل والانحراف والإرهاق وإعنات الناس لو أرادوا الريث** ، وإحراج الحكومة إذا نوت توبة ، وقد كان هذا المعنى واضحاً لدى محفوظ ، فاستمسك به ، وأفتى إخوانه باللبث مع مفاد الوعي وأن لا تستفزهم المكاسب الأولية السريعة ، فإنها ربما تأتي سهلة ، ولكن يكون من بعدها دفع ضريبة كبيرة ، ولات حين استئناف تربية واستدراك على قفز المراحل ، وقد أبديت له تأييداً في ذلك ، وصوبتُ منحاه ، وثنيت على اختياره ، وعضدته ، في قلائل آخرين ، ولكن الكثير من الدعاة غرتهم الصورة الظاهرة ، فذهلوا عن " **الشروط المتكاملة** " الضامنة لاعتدال السياسة الدعوية ، فطفقوا مع الحلم الوردي باختصار الزمن ، ولم يدركوا المجازفة الكامنة في دخول مرحلة العمل المتقدمة من دون تربية كافية وبناء تنظيم مكافئ لها ، وحاولوا تحريك قدم " **محفوظ** " عن موضعها الثابت ، فكان كالطود الثقيل ، وأبدى عناداً واعياً ، **واستمسك بالذي انتهت إليه الموازنات العقلية والمذاهب التجريبية ، غير آبه بهتاف العواطف** ، ثم انتظر حتى صدَّقته الأيام والحوادث ، وأخذت قصته مكانها المميز في التاريخ الإسلامي ، وشهد له الفقه ، وأذعن له الناشز، ويوم زرته بالمستشفى بالعاصمة الفرنسية قبل موته بأسبوعين بعد غيبة عنه طالت سنوات : قال لمن حوله من أعوانه وأركان جماعته : هذا الأخ الراشد أول من فهم موقفنا وأيدنا وشد أزرنا ولمح الخفي الذي غاب عن غيره .

وما كانت غير سنة واحدة بعد ذلك الموقف واللبث مع الثوابت الدعوية : حتى أظهرت الأقدار الميزة الكبرى الثانية لمحفوظ ، يوم حصل الاختلاط ، **وصِيحَتْ صيحات الثأر والهدم والدم ، وأصاب الناس الرعب ، فأبى "محفوظ" التورط ، ولاذ بالعفاف والبراءة من الدم ، والتمس أسباب السكينة والطمأنينة ليشيعها بين جماعته وعموم الناس ، وآمن بالحوار ، والسلام ، وثبت عند الرؤية الحضارية ، ونبذ العنف ، وأدرك أن تراكم مفردات العمل الحضاري المنطلق من المعايير الإيمانية هو الكفيل بإنقاذ الجزائر من وهدتها ، في خطة طويلة الأمد ، لكنها مأمونة العواقب** ، وجازفت عناصر الغوغاء بذبح بوسليماني- رحمه الله -، مستفزة له محاصرة له في الزاوية الضيقة ، لينفجر ويكون شريكاً في الخطأ ، فكان رحيما بالدعوة وبالجزائر وبمنافسيه الذين ابقوا الخنجر محمولاً في كفوفهم يقطر منه الدم ، وأنزل الله السكينة على قلبه ، وتحالم ، وكبت ، ولعن الشيطان ، واعتصم بالرحمن ، وعارض بكفه العاصفة ، فتكسرت ريحها العاتية ، وبقيت تتناقص حدتها ، وحافظ على جماعته أن يبددها جهل وردود فعل انتقامية ، وكتب التاريخ الإسلامي قصة ثانية من قصص "محفوظ" يلقى بها ربه واثقاً معتدا.

ثم يأتي متبطر ظالم لنفسه وللناس ليقول : أخطأ "**محفوظ**" في خطبته يوم كذا ، وصرح بما لا نرضاه في الصحيفة الفلانية ، وصَدق وأنا على ذلك من الشاهدين ، ورصدتُ لمحفوظ زلات لسان وتعابير مفضولة وكلمات مرجوحة ، ولكن أين هذه الصغائر من تلك "**الكبائر الخيرية الإيمانية الواعية**" التي وفق لها وألهمها الله إياها إلهاما ؟

لقد كان محفوظاً بحفظ الرحمن ، وبشريته التي وقف عندها الناقدون تجاوزتها ملائكيته التي حلق بها في السماء .

هذا ، مع روح بدوية أصيلة فطرية يلتذ بها المتعامل حين يقترب منه فينفتح ، وكرم وعزة نفس وشمم ، وفهم عربي رصين لمعاني الشرع المبين ، مكنه منه تخصصه في اللغة العربية ، أضاف جمالاً إلى مناقبه الحسنى ، رحمه الله رحمة

واسعة ، والأمل أن يلحظ أعوانه وخلفاؤه تلك الكتلة الجمالية لرجل من المؤمنين سمي في الناس بمحفوظ النحناح ، فيراعوها ولا يخدشوها ، بأن يلتزموا وحدة الكلمة من بعده ، وتقديم حق الجماعة على حقوقهم الفردية ، فإن الجمال قد ندر) .

وفي كل هذه الإشارات فوائد لمن يريد التفقه ، **ولكنَّ الدرس الأهم يكمن في قياس قضايا الدعوة الإسلامية العراقية زمن الجهاد ومنازلة الاحتلال الأميركي على ملابسات القضية الإسلامية الجزائرية** سنة ١٩٩٠م وما قبلها بقليل وما بعدها ، ففي الدرس الأول يستوقفنا إيمان " **محفوظ** " بوجوب الحفاظ على الشروط الدعوية المتكاملة وعلى الطبيعة التدرجية التربوية للعمل الإسلامي حين أهدرها عن عمد أو نسيان من أُعجبوا بالصعود المفاجئ للصوت الإسلامي لهيئة الإنقاذ خلال موسم واحد لما حدث الفراغ ، **فالقياس يبدي أنَّ هناك فراغاً كبيراً في العراق بعد الغزو الأميركي** ، وخلاله بدأت تسعى كل المجاميع الإسلامية لاحتلال جزء من الفراغ ، أو الطموح لاحتلاله كله ، في وهم البعض ، وحالة سباقية مثل هذه **هي المسؤولة عن ظواهر التساهل في شروط التجميع ، وقلة الاكتراث بجوانب التربية ، والزهد في العلم والبناء الفكري الرصين** ، لان كل هذه الجوانب الإيجابية تقتضي جهداً مكثفاً وتدرجاً بطيئاً ، بينما التكاثر بالأعضاء والموالين يغري جداً ، ويشير إلى احتمال التفوق على الأطراف الأخرى ، والفوز في الانتخابات ، ومزيداً من الضمان الأمني والعون المالي ، والأبهة واستعراض القوة **فكثير من المجموعات وقعت في هذا الفخ الذي تعظ دروس التخطيط ومناهج التربية بالحذر من مقاربتهِ** ، وبدأنا نرى في الساحة شباباً يزعمون الانتماء إلى جماعة معينة ويزعم قادتها أنهم قبلوهم ، لكنَّ التعامل معهم يشهد بأنهم يحتاجون مقداراً كبيراً من الإنصاف والذوق وصواب السلوك فضلاً عن حاجتهم لمزيد علم ووعي وعبادة ، ولذلك بدأنا نرى سوقاً رائجة للخلافيات والانتقادات المتبادلة والفحص عن الصغائر ، حتى ليكون الخطأ

التافه كأنه جريمة كبرى ، أو أن يكون الاجتهاد المخالف كأنه كفر ، **وهذا حالٌ يستفز المخضرمين من أساتذة العمل ، لأنه يؤدي إلى انعدام وحدة الموقف في أشد أيام العراق حاجة إلى الموقف الصّلب الموحد** ، ونحن نعلم أن البيئة التنافسية مع العدو هي التي تشجع رجال مختلف الجماعات على قفز المراحل التربوية والخططية ، وتُسوغ لمن هناك هذه التساهلات وغض الطرف عن هذه العيوب ، لكن ذلك لا يمنعنا من أن نعظ العقلاء في جميع الجماعات بوجوب الاعتدال ، وتزكية نوايا الأتباع ، و ترجيح مصلحة المسلمين العُليا على مصالح الجماعة الخاصة فضلاً عن المصلحة الشخصية مع محاولة ضبط تصرفات الأعضاء والمؤيدين ومنع تحرش أحد منهم بالجماعات الأخرى من مصّلين ورواد المساجد وعامة الناس ، **والحرص على متانة التربية وحُسن الطاعة الواعية والأفق الفكري الواسع والفقه المصلحي المقاصدي المرن وتزيين كل ذلك بالنمط الشوروي ، والأداء المؤسسي ، والفهم الشمولي والممارسة العملية ، مع قلة القول وشدة التواضع واللبث عند ركن الأخلاق .**

إن تمسك " **محفوظ** " بمثل هذه الموازين والقواعد المستنبطة من التجربة العالمية هي التي مكنته ومكّنت جماعتهُ من الفهم الواقعي لقيمة الوجود الدعوي أمام قيمة وجود الحكومة وأجهزتها ووجود الجيش ، وهي معادلةٌ ما كانت الحكومة ولا قيادة الجيش لتسمحا بالإخلال فيها والنيل منها مهما كان هذا النيلُ صادراً بحقٍ ومتوسلاً بوسائل النصر الانتخابي بعدما قدمت جبهة الإنقاذ للشعب مقداراً هائلاً من الخدمات التي جلبت رضاه ، فالمسيطر يستقتل ويجب أن تزيحه بلطف وتدرج ، وأما الفجائية فتحمله على الإصرار ومواصلة الظلم والتمسك بالكرسي والسلطة ، وهو درسٌ استوعبته الحركة المغربية جيداً فأخذت تتنازل عن ترشيح نفسها لمقاعد مضمونة الفوز من أجل أن لا تستفز حلف العلمانيين القابضين على الأمر ، **وعلى الدعوة العراقية أن تفهم بدورها مغزى هذا السلوك ، وأن المعادلة العراقية الداخلية الخاصة لا تسمح لها بانفراد ، ولا المعادلة**

الدولية والثقل الأمريكي فيها يسمحُ بهذا الانفراد ، وبينهما البعد الإقليمي أيضاً ، ولذلك فإن سيطرة الدعوة الإسلامية في المستقبل المنظور القريب إذا كانت غير ممكنة ، **فإن سبب التكاثر يبطلُ** ونكون بدون حاجة إليه ، وهو ما يعيدنا إلى الملاحظة الأولية التي لاحظناها من أن الطريقة المتأنية المتعاملة مع حقائق الواقع بحذر والسائرة عبر إحكام البناء التربوي وتعميق الفكر السياسي والاجتهاد المصلحي تكون هي الطريقة اللائقة للعراق في مرحلته هذه .

والدعوة في العراق مرشحة لاستيعاب الدرس الجزائري الثاني ، حين سال دم الدعاةِ بأيدي الخوارج من المصلين الساجدين ، وكان ممكناً أن يكون تأثرٌ وردود ، ولكن " **محفوظ** " تحالم وأبى التورط في معركة لا تبدو لها نهاية وتديرها المخابرات الفرنسية والجزائرية ، **فلأول مرة في العراق تصلُ اليوم إليه عدوى التكفير ، وتمتد الأيادي فيها إلى السلاح لتقتل مسلماً يتأول في موقفه ويستعمل حقهُ في الاجتهاد ، على نمطٍ مستعجل هو في الحقيقة خارجية جديدة تسير على خُطى الخارجية العتيقة البالية البائدة ، ويجسدها شبابٌ صغار ليس لهم فقه كافٍ** ، وقد يكون المفتي الذي يحرضهم على ذلك ابن عشرين سنةٍ فقط يزعم أنه رجلٌ والشافعي ومالك رجال ، ويضع نفسهُ في موضع الموازاة لهم والاستدراك عليهم ، ويدعي أنه يستنبط من الآيات ما عجزوا عن استنباطه ، ويعطي لتشنجه وتهوّره وتسّرعهِ صفةً شرعيةً ، ويدقُ على صدرهِ أمام أصحابه الصغار ويقسم أنه الكفيل لهم بالجنة ، الضامن له صحة فتواه ، وهكذا بدأت أعمال جزافية تحصد أرواح المؤمنين ، ولسنا ندري أي دواءٍ نشتريه من الصيادلة يطيل تحالمنا وعفونا ، ولكنا ندري أن ضباط المخابرات في الدول الإقليمية هم وراء هذا التحريض من طرف خفي لا يكتشفه الشباب السذج المنفذون ، ونخشى أن تزداد الحوادثُ التي ما زالت قليلة وتحت السيطرة لتكون كأحداث الجزائر الدامية البشعة ، وهذا هو ما يحركنا لمثل هذا التنبيه ، لعل العقلاء يستدركون ويأخذون على أيادي الشباب المستعجل الواهم ، الأقرب فالأقرب ، كل فقيه وإمام مسجدٍ

ونبيل عائلةٍ ينصح من هم في محيطه ومسجدهِ وعائلتهِ ، لعلنا نستطيعُ وأدَ الفتنةِ قبل استفحالها .

وكان الخوارجُ في القديم قد احتلوا الكوفة وعاثوا في مسجدها قتلاً ، وأمسكوا بأبي حنيفة النعمان بن ثابتٍ وهم لا يعرفونهُ ، فموّه عليهم وزعم أنه نصرانيٌ ، فقالوا لهُ إن قرآننا يقول : ﴿ **وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجره حتى يسمعَ كلام الله ثمَّ أبلغهُ مأمنه** ﴾ ، فاظهر رفضه وزعم أنه يصرُ على نصرانيته ، فسألوه عن منازل قومه فقال لهم إنه من دير كذا .. ، لمحل هو قرب المحمودية جنوب غرب بغداد الآن وكان يقع خارج سيطرة الخوارج ، فأوصلوه إلى مأمنه ونجا .. **والذي نراه أن الفتنة التكفيرية اليوم بدأت تسلك مثل هذا المسلك ، فينجو جنود المارينز من رصاصها ، وتتوجه الرصاصات إلى الأتقياء الأبرياء** من ذرية النعمان بن ثابت ، وهو حال عجيب غريب يدع الحليم حيرانا ، ويشيب له رأس الوليد ، ولابدَّ لهؤلاء الشباب من وقفة مراجعة ومحاسبة للنفس وتدقيق لفتاوى رؤسائهم ، فإنا نؤكد لهم أنهم على خطأ ، جزماً قطعاً ، على جميع مذاهب المسلمين ، فإنَّ العرش يهتز لقتل المؤمن ، **والدم حرام في شريعتنا الغراء وكل الشرائع** ، ومن مفاد الاستنباط أنه يكون من عمق عميق من معاني النص ، وهو المفاد اللغوي لكلمة الاستنباط ، ولكنا لا نجد ذلك العمق ، وليس هناك غير آخذ بظواهر النصوص ومتشابه الألفاظ ، وقال الفقهاء أنَّ استعمال كلمة الاجتهاد تعني أنَّ المجتهد قد استعمل كل جهده وطاقته العقلية للوصول إلى الرأي الصواب ، وهذا يتطلب زمناً وتفكيراً متأنيا ، وكان أبو حنيفة يحفظ الرأي المنقدح عنده في ذهنه سنة " كاملة " قبل أن يبوح به ويجعله اجتهاداً ، ولسنا نرى مثل هذا التأني عند هؤلاء الشباب الجانحين للتكفير والقتل ، **بل نرى استعجالاً ونمطاً من الظاهرية التي لا تغوص إلى أعماق النصوص ، ولا تعرف حكمة الشريعة ومقاصدها** ، وطريق التوبة منهم قريب ، فلعلهم يكفون شرهم عن المسلمين ويتقون الله في الدماء ، ولسنا نأبه أن يصفونا بكفر وزندقة ، **لأنَّ الله**

مطلع على سرائرهم وسرائرنا ، وعلى علمنا وجزافهم ، وعلى تحالمنا وظلمهم ، ولكنا نأبه للدماء الزكية الطاهرة أن تسيل هدراً وبلا سبب .

ثم تعال أخي التكفيري أقول لك بهدوء لعلك تتدبر : نعم نحن زنادقة وأقبح الكفرة ، لكن من جعلك قاضياً وسيّافاً تقتص منا وتنفذ أمر الشريعة ؟؟؟ هل خولك عمر بن الخطاب ذلك أم علي بن أبي طالبﷺ ، أم الأمة أم سادة المسلمين اليوم ؟!

ارجع إلى نفسك أخي واستشعر انتقام الله وثأره لعلك ترتدع وتتوقف عن اقتراف هذا الإثم المبين ، فإن لم تخف ثأر الله فخف ثأر المؤمنين ، فقد ذهب تحالم "**محفوظ**" معه ، ولدعاة العراق يدٌ طويلةُ أيضاً ، وأكثر المجتهدين يقولون بقطع دابر الفتنة إذ هي في بدايتها قبل أن تستفحل ، **وللدعاة استعداد أن يجهلوا فوق جهل الجاهلينا ، بفتوى الشرع في الدفاع عن النفس وبرضا نبلاء المسلمين ونصيحتهم ، لكننا نقدم مقدمة التحالم ما استطعنا ونحفظ فقه "محفوظ" وتحالمه ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً ، لأنا نخاف فتنة مرهقة ليس لها آخر .**

وفي التحليل أن هذا النمط من العدوان إنما ساعد عليه الانفلات الأمني العام في العراق بعد الغزو الأميركي مباشرةً ، وافتقاد الشرطة والجيش ، فصار كل أحد يعبث في الأرض ، والمظنون أنَّ المجازفين يتعظون بموعظة القوة إذا فاتهم الاتعاظ بالآيات ، وأنَّ الله يزعُ بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، وكاد الأمر أن يرجع إلى طبيعته لكن **الدول الإقليمية تريد أن تبعث الفتنة مجدداً ، فوجدت في صيحة التكفير وفقه الخوارج مخرجاً يعيد الفوضى ، بزعم إرباك أميركا عن أن تغزو دولهم .**

◻ فُرسبن الدماء البيضاء

إنَّ في درس "**محفوظ**" الثاني عبرة وافية ، يوم امتص الصدمة الدموية فلاذ بالتعقل ونظر إلى سوء المنقلب إذا سلك مسلك الهابطين ، فخاف من نتيجة داكنة اللون مرة الطعم ، فكان منه العفاف ، فهذا هو الصبر الأصعب ، لأن التخطيط

التربوي كانت تنضجه ظروف هادئة ، بينما في الصبر الثاني دماءٌ واستفزاز وفراق أحبة ، والعراق اليوم فيه مثل ذلك الاستفزاز ، واللائق أن نحرص على تقديم نموذج في العمل الإسلامي عالي المواصفات ، منطقي المحاورات ، عقلاني التعامل مع الشذوذ والنشاز والدروب العوجاء والخطوات العرجاء ، ومن أول ذلك أن نعترف بأن مشكلتنا ليست مع الجمهور الأعظم من دعاة الإسلام على اختلاف مسميات جماعاتهم وطرائق فهمهم ، وإنما هي مع مجاميع صغيرة خارج القيادة الجهادية يسودها التوتر دون الفكر ، وتسيرها مصالح خاصة وفوضوية ، **وقد تصدرت قبل أن تنضجها تربية أو تسعفها تجربة أو يحتضنها محراب** ، وكان ابن عقيل الفقيه الحنبلي قد قال : (نعوذ بالله من طفيلي تصدَّر بالوقاحة) ، فأعراف المؤمنين تأبى أن تجعل المستعجل مكافئاً موازياً للمخضرمين والسادة النجباء وأشراف الجهاد العشائري وتلامذة المنابر الشرعية ، وفي تاريخ الجهاد السابق في أقطار أمة الإسلام شيء من هذا ، فنشأت من فقهاء المجاهدين تحذيرات لنا ووصايا تستند إلى تجاربهم ، كالذي كان من الفقيه الليبي الأديب أبو بكر بن لطيف الذي نجهل سنة وفاته ، ولكنه عاصر الجهاد ضد الطليان ، فقد (كان محباً لاقتناء الكتب ، ميالاً إلى حديث السياسة ، ربما لأنه كان من أسرة ذات صلة بالبلاط العثماني ، وكان يكره الفاشيين ، ويثني على المجاهدين بخير ، ويلعن الفرقة التي مكنت للطليان .. وكان يرجع خذلان المجاهدين للزعماء الجهلة ذوي الأنفس المريضة) [٢٠] ، واكتشافه هذا لجريرة الزعماء الجهلة إنما هو مَعلم من معالم تطور فقه الدعوة وميزان دعوي مهم في الكتلة التجريبية الدعوية ، احتاجته الدعوة مراراً لبيان عذرها وتعيين المطلوب وترشيح نفسها للقيادة ، وهو جذر ما ورد في الفتوى حول الغزو الأميركي للعراق من انعدام (**الأمن الجهادي**) والقول بعدم عينية الجهاد ، لمزاجية " **صدام** " وانحراف رجاله وضباط مخابراته ، والخوف من تلاعبٍ بمصير المجاهدين الوافدين

(٢٠) أعيان علماء ليبيا – ص ٤٠٧ .

من خارج العراق ، وقد كان ذلك ، ويقارن ذلك أيضاً بأحوال الجهاد الأفغاني وجناية بعض قياداته عليه ، ممن أبدى جهالة بالغةً وأنانية .

وما زال هذا الجهر بمثل هذه الحقائق غامضاً عند المستعجلين المتهورين ، ولا يفهمونه ، بل ولا يريدون فهمه ، وهذا مظهر من مظاهر محنة دائمة في المجتمع الإسلامي منذ القديم ، إذ أن وعي الدعاة ممن نزل إلى الساحة ولبث طويلاً مع العلم والتعليم والإصلاح يترجمه قول صريح لهم يخرج مخرج النصيحة للآخرين ، ويكونُ صادراً من أعماقِ بيئة التجريب والمعاناة ، لذلك لا يفهمه الطارئ والهامشيُّ والظاهريُّ ومن يلبثُ عند السطح ولا يغوصُ ، فيستغربه وينكرهُ ويُكذبهُ ، وتلك هي الملاحظة التي لاحظها ابن عقيل الحنبلي ثانيةً فقال : (يخطر بقلوب العلماء نوعُ يقظة ، فإذا نطقوا بها وبحكمها : نفرت منها قلوب غيرهم ، ولو من العلماء ، ولا أقول : العوام) [٢١] .

فالدعاة من العلماء لهم طول تدبر ، وتجريب ، وغوص إلى أعماق القلوب وأفعالها ، فيرون ما لا يرى المستعجل ، وإذا أرادوا وصف ذلك لعلماء الظاهر فضلاً عن العوام : استغربوه وأنكروه ، **وقد لقنتنا الأيام درساً : أن نترفق في عرض المفاهيم الحساسة والتجارب الدقيقة على من لم يجز مثل معاناتنا ومعانينا ، ولكنَّ مأساة الدماء هي التي تجبرنا على أن نتجاوز الخطوط الحمراء والحدود الحساسة** ، ونعلمُ أنَّ أنوفاً ستشمخ إذا قرأت أحرفنا هذه ، أو تتوجه إلى صدورنا رصاصات غبية ربما ، ومع ذلك نجهرُ بمفاد الوعي تشجيعاً لبقية العقلاء أن يجهروا بالإنكارِ كجهرنا ، لعلّ متهوراً يتئدْ .

أهو أمرٌ صعبٌ على المتهورين أن يلحظوا توجه خطة أعدائنا من اليهود والأميركان نحو استدراج المؤمنين إلى العنف وقتل المدنيين وإلهاء الدعاة بعضهم بدماء بعض من أجل عرض صورةٍ مشوهةٍ لمعنى الإسلام والدعوة ينفرُ منها المسلمون والكفار معاً ؟؟؟

---

(٢١) الآداب الشرعية ١/ ٣١٤.

إنَّ التفجيرات التي تقتل المدنيين في فرنسا وإسبانيا وأميركا هي أعمالٌ يستحيلُ أنْ يتم تخريجُها تخريجاً فقهياً سليماً على قواعد الجهاد الإسلامي ، والنَفرة التي حصلت في قلوب البشر كلهم من هذهِ الأعمال العنفية هي نتيجةٌ كانت مقصودة عند من خطط لها من رجال المخابرات الأميركية والموساد الذين حرصوا على تشويه صورة الإسلام والمسلمين وكلفوا عملاء مسلمين ليستدرجوا شباباً مخلصين في قمة الإخلاص من أصحاب النوايا الجهادية الذين يعوزهم الوعي والتجريب والفقه ووجدوا فيهم مادةً خاماً يوجهونهم من وراء الستار وهم غافلون ، وأحداث الجزائر المريرة التي جرى فيها ارتكاب مذابح بشعة قد ثبتَ ثبوتاً قطعياً عند أهل التتبع أنَّ رجال المخابرات الفرنسية وغيرها هي التي كانت قد خططت لها ومولتها وأغرت الشباب الساذج بارتكابها ، وعلى أنغام الأنين الجزائري كانت عيون كبار المخططين الأمنيين تنعسُ لتنامْ .

أوَ ليسَ لمستعجلي العراق اتعاظٌ بما حصل من توبةِ الجماعات الجهادية في مصر وتخليها عن طريق القتل العشوائي ؟ فقد بات من المعروف المشتهر أنَّ قيادات مجموعات المجاهدين قد نقدت نفسها نقداً صريحاً ، ودونت ذلك في كتبٍ منشورة خُلاصتها أنهم كانوا على خطأٍ حين ابتدعوا طريقة قتل الشرطة والسائحين والدخول في مصادمات جزئية مع الحكومات ، **وآمنوا في الآخر بمثل ما آمن " الإخوان " عند أول خطواتهم باتِّباع طريق التربية التدريجية وإصلاح المجتمع وحشد الطاقات واستعمال وسائل التخصص والعلوم والمعرفة والسياسة من أجل تكوين كتلةٍ ضخمةٍ في المجتمع ذات فكرٍ وتنظيمٍ وممارسة منهجية خططية ، للقيام بضغطٍ شديدٍ عبرَ الإعلام والبرلمان والمنابر السياسية من أجل تطبيق أحكام الإسلام وحفظ مصالح الأمة ، فإن نجحوا فبها ، وإن ظلمهم ظالمٌ وحجب حق هذه الأكثرية الإسلامية : صاروا عندئذٍ فقط إلى استعمال الأذن الشرعي بإزاحة الظالم** ، فأين هذا الطريق العقلاني المنهجي من قتل شرطي بريء صاحب عيال ، وانفجار سيارة مفخخة في ساحة مزدحمة تترك مئة يتيم

يصرخون ؟؟ والطرق الخارجية في العراق تملؤها أرتالُ المدرعات الأميركية ، فلماذا تتركهم يا سليل الخوارج وتتحول إلينا نحنُ أصحاب رأفة القلوب والدواخل ؟؟؟ فلولا سارعَ إلى الانتفاع بالموعظة تقيٌّ يختلي مع نفسه يسألها ويحاسبها ويفحص وفق الموازين الإيمانية والشرعية أوامر المفتي الفتى ابن العشرين إليه !!!

إنَّ " الفتى المفتي " هو نقطة الوهن في النسيج العراقي الدعوي الحاضر ، ونحن نشكوه إلى الله ، وما تقدمّ عن علمٍ ولا لسان ، وإنما قدمهُ سلاحٌ بيدهِ ، وقلة إنصافٍ أخافت المتعبين من رهقٍ جديد فتركوه يصول ، وتلك هي قصة مأساتنا .

ومن أقبح الإفتاء المتداول : أنَّ المتهورين يقولون أنهم يقتلون الأبرياء في مثل هذه الأعمال العنفية التي يزعمون أنها جهادية ثم يبعث الله هؤلاء الأبرياء على نياتهم ، ويجادلون بان هذا الاستنباط هو فرع من الفتوى المجمع عليها بجواز ضرب المسلمين إذا تترس بهم الكفار وجعلوهم درعاً يتقون به ضربة جيش المسلمين ، مما هو مشهور في كتب الفقه.. وهذا اجتهاد غريب وتكلف يدل على فهم معوج متسرع ، لأن الأمور تدور مع عللها ، وفتوى التترس إنما تكون حين يتأكد لدى القائد العسكري الإسلامي أنه إذا لم يضرب جيشَ الكفار المختلط بأسارى المسلمين ومستضعفيهم فإن جيش الكفار سيقتحم ديار المسلمين ويقتل من المسلمين أضعاف أضعاف عدد الأسرى الذين تترس بهم وجعلهم درعاً مانعاً ، وقد أقام المفتون القضية مقام الضرورات ، ورأوا موازنات المصالح فأجازوا قتل العدد الصغير من المسلمين من أجل نجاة العدد الكبير والدفاع عن دين الأمة وبيضة الإسلام وشرف الإيمان ، قالوا : ثم يبعث الله المستضعفين القتلى على نياتهم ، فهذه فتوى ضرورة إذن لا يتحقق وصفها في حالنا الحاضر عندما تفجر السيارات المفخخة في الشوارع المزدحمة ، وهناك قياس مع الفارق كما يقول الفقهاء ، إذ لا ضرورة اليوم ، والمجال مفتوح لضرب العدو مباشرةً دون التورط بدم مسلم ، وكل الأمر قائم على مراوغة يقودها هوى النفس .

▫ عُمق العلم وتكامل الأداء يعوضان عن القوة

▫ **الاستدراك الخامس: الاعتصام بالعلم ، واللواذ بالمعرفة وعبر التاريخ ، وعواطف الأدب ، وابتسامات القلوب عند ومضات الفنون ، مما تجتمع به مكونات الأداء الحضاري** ، فإننا لسنا أصحاب عروض موسمية ولا حلول سنوية، ولا خاطرات ارتجالية ، ولا ثورات مرحلية ، بل نحن أصحاب مشروع مدني حضاري سيبلغ عمق الزمن ، ونكاد نبصر وصف خطوة جيلين بعدنا ، وكأننا نراهم يرفعون طبقة في البناء يرسونها على أساسنا الذي جعلناه لهم متيناً .

وإن من المحركات القدرية للحياة : تنوع المناصب والأرزاق ، بحيث لا يتاح تنقل المرء من منصب إلى منصب بسهولة ، بل يحتاج جهداً ووقتاً طويلاً إن أراد وصمم على الانتقال ، وليس كل أحد يملكها ، ثم يتعلق الأمر بالذكاء والقابليات الفطرية ، فتجتمع الثلاثة لتقذف في قلوب العاجزين اليأس من ذلك ، فيترجم اليأس إلى قناعة بالنصيب ، يوماً بعد يوم ، فتفرض هذه القناعة على صاحبها التجانس مع مجرى القدر ، ويعود إلى استسلام ، **لكن الطاقة المكبوتة في داخل نفس المستسلم تحركه لإنتاجٍ هو من لوازم استمرار منصبه الذي وضعه القدر فيه ، فيكون هذا الإنتاج معلماً واضحاً من معالم تحرك الحياة وحصول النبض فيها ، ويتاح تأثير إيجابي** يدفع أمثاله من الشركاء له في نوع المنصب إلى الاستفادة من نتاجه ، كما يدفع أيضاً أصحاب المناصب الأخرى المغايرة إلى أن يجعلوا نتاجه وسيلة من وسائل إتقان أدائهم لعمل مناصبهم ، أو حتى المثابرة ومحاولة الانتقال من منصب إلى آخر أرفع منه ، أي من قَدَر إلى قَدَر ، لوجود عامل الطموح فيهم ، بشكل قوي فوَّار هو أقوى من أن يتركهم إلى استسلام كالذي أحاط بالأول ، بل لا يقنعون ، **فيكون التحدي ، وتكون محاولة القفز وتغيير الموقع ، وقد تكون المحاولة في وقت يقل فيه المنافس ، ولا تكون زحمة ، فتكون إمكانية النجاح** ، وتتحرك الحياة حركة أخرى ، وكل ذلك واضحٌ في أبيات الأديب ثعلب احمد بن يحيى حين يقول :

إنْ صحبنا الملوك تاهوا وعقوا واستخفوا كبراً بحق الجليس
أو صَحبنا التجار صرنا إلى البؤس وعدنا إلى عداد الفلوس
فلزمنا البيوت نستخرج العلم ونملأ به بطون الطروس (٢٢)

فأهل المناصب هنا في هذا المشهد الحيوي ثلاثة : ملك ، وتاجرٌ ، وعالم ، فلما لم يكن ثعلب ثعلباً ، وإنما لُقب به مجازاً : لم يستطع المناورة وتأسيس حزب ليكون بعد المغامرات ملكاً .. وأيضاً : لم يستطع ثعلب أن يبخل ويعصر الدراهم سبع عصرات يستخرج دهنها ليكون تاجراً ، بل ارتعشت يده في العصرة الرابعة ، فرضي بالعلم ومنصب الأدب ، فهيج بآدابه وعواطفه قلوب رهط أُدباء ، فملأتهم النشوة ، ثمَّ حرَّك قلوب رهط طامح أيضاً فولجوا أبواب السياسة فكانوا ملوكاً إذ هو جالس مع صحبه يطرب للشعر ، فكان استسلامه سبباً لطموح غيره ، فتحركت الحياة .

وكل الذي يتغير هنا أننا تبنا من الاستسلام ، ومِن جعْل علومنا وآدابنا مدارج يصعد عليها الضباط الطامعون من رواد الانقلابات العسكرية ، فلطالما حصل غياب دعاة الإسلام عن الساحة واتهموا أنفسهم بعجز وجنحوا إلى توكيل غيرهم ممّن يظنونه أمهر في الحكم والسياسة ، وتدبير الاقتصاد ، فينحرف ويحتكر الأمر دونهم ويكون ناكراً للجميل ويبني حساباته على أساس إرضاء الأطراف الإقليمية والدولية ، وقد آن الأوان لاستقلال الدعاة في خطواتهم ، **ولكن هذا الاستقلال ينبغي أن نبنيه على أسس العلم وخبرة الواقع ، فلماذا لا يكون من الدعاة الخلص من يدرس العلوم السياسية ، والاقتصاد ، والتخطيط ، والإعلام ، والتصنيع ، والتمويل ، والقانون الدولي ، والقانون الدستوري ، والإدارة العليا ، ويأخذ في ذلك الدكتوراه ، ويتوصل إلى دوائر التنفيذ العملي والممارسة الواقعية ، لتكوين جمهرة واسعة تكون بهم إدارة الدولة العصرية**

(٢٢) الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٥٨٦ .

على أتم الوجوه ، لتحقيق أقصى الطموح عبر ما يضيفونه من إخلاصهم وعفافهم ونواياهم الطاهرة إلى علومهم وبحوثهم ومعرفتهم الميدانية ؟ وتسندهم عند ذلك حملة انتخابية توصل أمثالهم من الدعاة ليكونوا أكثرية في البرلمان ، فيكون التكامل ويدفعهم الناس لبناء دولة متقدمة .

لسنا بغافلين عن التدخل الأميركي عندئذ ، أو الغربي بعامة ، أو اليهودي ، ولكن خطة هؤلاء الخبراء ستكون فيما نفترض بارعة في التفلت من المجابهات ، والمهارة في الالتفافات ، وتحقيق مرونة في المواقف تمنع التشنج الدولي ، ويكون اللجوء إلى خطوات مدروسة وتدرج مرحلي يؤدي إلى تفويت فرص الحصار والكيد ، وكأن الغزو الأميركي للعراق كان هو أوج الخطة الأميركية وبه بلغت المدى الأقصى ، ثم سيكون تراجع حِدّة التدخل الأميركي ، وبدأت الشعوب تحتاط وتتعاون ، **بل أن المقاومة العراقية للغزوة الأميركية قد حققت نجاحاً أجبر القيادة الأميركية على تبديل الخطط وتحديد موعد للانسحاب هو اقرب مما افترضوه سابقاً ، وهذا سيشجع أحرار الأمة الإسلامية على موقف دفاعي مثيل يأبى الاستسلام ، ويشجع أحرار العالم على وقوفهم مواقف داعمة ، وتلك هي الحقيقة الكبرى التي طرأت في المعادلات الأميركية بعد غزو العراق ، ومنها نستفيد .**

وهذا الحال ، ثم طروء هذه الحقيقة التي بدأت تجبر الأميركان على التقلص : تغري الدعوة الإسلامية العراقية أن تستثمر أجواء الديمقراطية مهما كانت ناقصة ، وأن تحاول إثبات جدارتها في تحدي التيارات الأخرى عن طريق المشاركة في العملية الانتخابية البرلمانية ، وهذه أُمنية سهلة في اللسان والخيال ، ولنا أن نتمنى ما نشاء ، لكنها صعبة في ساحة الواقع ، ولن يكون نيل الأصوات من الشعب ميسوراً ، وذلك لأنَّ الشعب العراقي كان محروماً ، وأضرت الحروب ثم الحصار بمصالح كل عائلة وفرد ، واقترنت بذلك تربية من "صدام" لهم على المصلحية والنفعية والتبعية والخوف والمداهنة ، في أنواع أخرى من الأسواء

والسلبيات والطبائع الضعيفة ، بحيث صار الوعي الانتخابي مضمحلاً ، وصار بالإمكان شراء الأصوات ، فدخلت الدول الإقليمية على الخط تبذل مالاً وتشتري الضمائر ، ودخلت فصائل المتعاونين مع الأميركان على الخط أيضاً ، تبذل الوعود بالمناصب والوظائف ، وأصبح الأحرار الذين يتمسكون بثوابت الإيمان والشرع وينحازون إلى صف الدعاة والمصلحين أرهاطاً قليلة في كل مدينة مقابل غثاء نفعي يبيع مستقبله بثمن بخس ، وزادت المشاعر الطائفية والقومية والجهوية في اختلال المعادلة ، **حتى بات جلياً لكل داعية مصلح أنَّ الدعوة يجب أن تقدم لحملاتها السياسية بحملات تربوية فكرية ووعظ إيماني ورقابة سلوكية ، لعل القلوب تفيق من سكرات الصفقات الخاسرة المعدومة البركة ، ولعل النوايا تميل إلى صفاء وبراءة من الشوائب والاختلاطات والنفعيات** التي ما أنزل الله بها من سلطان ، ثم لعل الأفكار ترجع إلى موازين القرآن ووصايا الفقهاء ، وبدون مثل هذه التربية والتصفية لا نستطيع أن نحمل جموع أبناء الشعب على الصمود أمام مغريات الدولار المبذول ، وهذا عَودٌ على بدء ، وانعطاف نحو أول ما كانت عليه المسيرة ، لان الفرصة التي أُتيحت للشيطان أن يفسد كانت طويلة ، ولأن الضربات التي تلقاها العراق خلال قرن كامل كانت شديدة الوطأة ذات عرامة ورهق ، ولعل الجذر السلبي في العراقي ابن اليوم قد نشأ فيه منذ أيام جده الأول والثاني .

من هنا ينبغي على الدعوة أن تضع في حساباتها اللجوء إلى تحالفات انتخابية ، مع الأقرب فالأقرب ، ومع الذي لا يتولد مع فوزه ضرر ديني أو ضرر سياسي يكون طويل الأمد .. وهذا التوجه بدوره يفرض اللجوء إلى تربية الدعاة أنفسهم على قبول منطق التحالف والمناورة من أجل إبعاد الموغل في الأذى ، الذي يحمل مشروعاً استراتيجياً ينظر إلى عمق المستقبل ويستحضر عمق التاريخ ، وذلك أن المنافس المرحلي أقل مزاحمة لمشروعنا الحضاري الشمولي ، الذي هو بدوره استراتيجي الطبيعة .

ومن هنا ذكرنا آنفاً وجوب تطوير مجموعة الدعوة ، وصناعة الخبراء ، **فإن هذا التطوير هو باب الولوج الناجح إلى ميدان السياسة والخدمة العامة ، فإن الحكم يُراد له أن يحقق مصالح الناس وأمن البلد وأن يحفظ مصالح العراق العليا ذات البعد الاستراتيجي** ، من مثل تحقيق اتفاقات نفطية تؤمن أعلى مردود مالي للعراق ، إذ تحاول الشركات الأميركية أن تستبد وتشتري نفطنا بثمن بخس ثم تمنعه عمن تشاء من دول أوربا كأداة ضغط ، ومن مصلحة العراق أن يسيطر على توزيع نفطه وأن يحقق مع كل الدول تعاوناً متوازناً وموقفاً سياسياً يؤيد قضايانا عبر توفير النفط لها ، كألمانيا وفرنسا ، ومن مثل الحفاظ على مياه دجلة والفرات بدل أن تتلاعب تركيا بحصة العراق من هذه المياه لتنقذ بها إسرائيل عبر خط مائي يمر عبر سوريا بعد إجراء صلح إسرائيلي معها بضغط أميركي ، ومن مثل نقل التكنولوجيا العالمية إلى أرض العراق ومواكبة طموحات نوابغ المهندسين والصناعيين العراقيين الذين أتاح الغزو الأميركي للعراق قتل مئات منهم من قبل الموساد الإسرائيلي ، ومن مثل تنمية الزراعة العراقية ، وبالذات التوصل إلى تصنيع المنتوج الزراعي عبر التعليب والصناعة التحويلية التي ترفع ثمنه أضعافاً ، ومن مثل إلغاء أو تخفيض العقوبات المالية والتعويضات المفروضة على العراق عبر طرق قانونية وسياسية معاً ؛ إذ كان هناك جزافٌ في التقدير وظلمٌ أتاحته الأحوال النفسية المصاحبة لعثرة " صدام " في الكويت ، فكل هذه المصالح هي مصالح استراتيجية بها ينتظم أمر العراق أو يتأخر ، ويضطرب مستقبله إذا لم يدافع عنها رجال دولة من أهل الكفاية والإخلاص والتخطيط السليم ، **ولذلك ألزمنا أنفسنا نحن قيادات الدعوة الإسلامية في العراق أن نكون نحن الذين نرعى ونحفظ ونصون هذه الحقوق العراقية ذات المدى الاستراتيجي ، لما نعلمه من تسيب كثير من الساسة ولينهم ودورانهم في الفلك الأميركي أو الإقليمي ، مما أوجب علينا أن ننتدب أنفسنا لهذه المهمة الجبارة وأن ننادي بها جهراً ، أو همساً تعليمياً في حملة تربيةٍ وتوعيةٍ للدعاة وجمهور الناس** ، ووعظنا

مكلفٌ بأن يذكرَ آداب الإيمان وموازين الفقه الشرعي ، لكن وعظ الفرديين هو الذي يقتصر على ذلك ويجرد كلامه لتفسير آيةٍ أو إسناد حديث ، أما الوعظ الدعوي الجماعي فهو فكرٌ متطورٌ يمر بالآية والحديث وقول الشافعي وأبي حنيفة ، لكن لهُ عبورٌ إلى مزج ذلك بفقه الواقع ومعادلات السياسة وفنون حفظ هذه المصالح الإستراتيجية للعراق والأمة ، ونحن أهل الإخلاص والوفاء ، **ثم نحن أهل العقول التي لم يخربها خمرٌ وزناء ، وأهل النفوس المطمئنة بالصلاة والذكر الحكيم التي لا يعكرها قلقٌ ، حتى أصبحت قلوبنا مليئة بالرؤى والأفكار وليست ذات خواء** ، وأمرٌ عظيم كهذا فيه حفظ حقوق العراق السياسية والنفطية والمالية ، وفيه إنماء أحوالهِ الزراعية والصناعية : هو أمرٌ كبير ومهمة جبارة يلزم أن نتوصل إلى تنفيذها عبر تطوعات الدعاة وجميع المخلصين ليكونوا معنا جنوداً في خطة التطوير وتدريب الكفايات وصنع الخبراء ، **وينبغي أن لا يزدري أحدٌ نفسه أبداً ، بل أن تكون له ثقةٌ بنفسه ، وأن يقبل تبعات منهجية التدريب والتطوير** ، بأن يتشاور معنا لتحديد موقعه المقترح في صناعة الحياة ، وأن يوقع معنا عقداً على أن يتلف روحهُ عبر عملية التطوير ليسلم دينهُ وعراقهُ الأبي ، وذلك يكون بأن يطالع كتباً كثيرة نسميها له ، وأن ينصت لمحاضرات نتيح لهُ سماعها ، وأن يتخصص ببحث يرجع فيه إلى الإحصاء والمعرفة الميدانية ومدونات العلوم من المراجع المعتمدة ، وأن يفكر ملياً في أمر تخصصه ليُدلي بدلوه إذا حضر ندوات نقيمها لهُ ولصحبه أو نرسلهُ إلى مؤتمراتٍ جامعة ، ثمَّ أن يصنع له إرشيفاً ، ويحاور أقرانه من أهل التخصص ، ويظل يكتب ويستعين بوسائل الإعلام لترويج وعيه ، ثمَّ يظل بعد كل هذا متهجداً في جوف الليل متغنياً بالقرآن ، ليظل رطباً مستقياً من نبع الإيمان ، لا يقربه غرور ولا إدلال .

والطريق إلى كل ذلك إنما يكون عبر تجاوز اللبث الدائم في المجتمع الدعوي الخاص ، بل اللجوء إلى سياحة واسعةٍ في المجتمع العام ، وما المجتمع الدعوي إلا مثابةٌ نرجع إليها بعد كل جولةٍ ناجحةٍ لنتشاور ونتزود بجديد الأفكار ونتيح

لقلوبنا أن تـنعم بلقاء المربين والأقران والأخيار ، والوسيلة المفضلة في هذا اليوم الذي تتوفر فيه مقادير من الحرية : أن نصنع لأنفسنا سلسلةً من جمعيـات المجتمـع المدني ، أو أن نمازج ما أوجـده غيرنـا منهـا ، مـن أجـل تكـوين بيئـة تخصـصية وتوظيف طاقاتٍ سائبة كثيرة أجفلتها طرائق غوغاء " **صدام** " عن الثقة بحزبٍ ما ، فبقيت سعيدة بفرديتها ذاهلة عن الفروقات الكثيرة بين حزبنا الإسلامي وجمهرتنا الدعوية عن الأحزاب العلمانية في الفكر والمنهج والوسيلة والـرؤى والأسـاليب والقادة والرجال ، **فنحن دعاة الإسلام – ولا فخـر – : حـزبٌ ولـسنا بحـزب ، وساسةٌ ولسنا بساسة ، فنحنُ نمطٌ جديد ومثالٌ نادر ، وقد أبعدنا الأفق الإيمـاني والمدار السامي الذي نحلّق فيه عن الارتباط بكل التعريفات العرفية السائدة بـين الناس والاصطلاحات المتبادلة بينهم في وصف فردٍ أو مجموعة ، وإنما نحن خَلـقٌ آخر ، وحقيقة ثرية ، ومعادلةٌ إصلاحية ، ونريد لقلوب أهـل العـراق أن تـــنعم بالإيمان وبعطايا التمدن والحضارة بعد أن لذعتهم لـذعات الحكـم الفوضـوي ، وذلك هو مستندنا حين نطلبُ من كل مخلصٍ عراقيٍ أن ينتخبنا ويختارنا لتمثيلـه في البرلمان ، مع أنَّ الأمر فيما نفهم هو أوسع بكثير مـن أداء برلمـاني وإنمـا هـو إصلاحٌ اجتماعي وذوقي وسياسي** ، ونهيٌ عن المنكـر في صـورته الجديـدة الـتي تظهر بمظهر الفساد الإداري المتنوع الأشـكال في كـثيرٍ مـن الـوزارات ودواويـن الدولة ، ويتواصل ذلك النهي مع إصلاحٍ آخر لأعمال البلديات ، حتى أننا يجب أن نتخذ لمدننا نمطاً معمارياً متجانساً لا يرضى بالنشاز والقبح والاستعارات غـير المتجانسة مع بيئتنا التي رسمتها مـوازين فنـون العمـارة الإسـلامية وانعكاسـات الشخـصية العراقيـة بعامـة والبغداديـة بخاصـة ، ثـمّ يمـر إصـلاحنا عـبر رقابـة المستشفيات والمدارس والجامعات والنوادي ، وكل ذلك يمكـن أن تؤديـه عـصبةٌ واسعةٌ من الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر الحكومي والإداري ، وهـذا كلـهُ جزءٌ من الخدمات التي يجب أن نقدمها لصالح البلد والشعب ، من أجلِ أن يفهم الناس أننا نحن دعاة الإسلام الأجدر بأن نتوكل عنهم وننوب لنقرر في البرلمان ما

يمنح مصالحهم بُعداً دستورياً وقانونياً ويثبتها بالأصالة من دون أن تكون هذه الخدمات منحة من سياسي يخادع ورجل دولة يفخر ويجعل ما هو حقٌ للناس مناً يمتن بها وكأنه يعطيها من إرث جدهِ ، كالذي كان يفعله " **صدام** " من تسمية المكرمات الرئاسية الزائفة ، حتى ليسفلُ الأمر إلى درجة أن يمنح " **دجاجةً مفردةً في القائمة التموينية الشهرية** " ويعدّها من مكارم جده السابع عشر .

وبموازاة هذه الخدمات التي ينبغي أن يقدمها الدعاة للناس ، والتي هي من أجلى الدروس المستفادة من أساليب هيئة الإنقاذ الإسلامي في الجزائر : **ينبغي أن تكون جمهرة عريضة من القانونيين الإسلاميين الذين يتقدمون بمشروع الدستور الإسلامي ، ومشاريع ما يتفرع عنه من قوانين مدنية وتجارية وجنائية ، مع القيام بحملات ترويج لهذه المعاني الدستورية** عبر الصحف والفضائيات والندوات والمحاضرات والمظاهرات السلمية والمهرجانات الشعبية والمسيرات الضاغطة ، بحيث لا يتوقف الأمر على تقديم مشروع دستور فقط يمكن أن ننجزه خلال أسبوعين ، بل على شاكلة مواصلة البشارة والنذارة ، بأن نبشرهم بعدل الإسلام وأحكام الشريعة الغراء ، وننذرهم أن الإتيان بشكلٍ علماني جديد يكرر الشكل العلماني البائد إنما هو مغالطةٌ كبرى ستؤدي إلى نفس النتائج وتبقينا ندور في الدائرة المغلقة ذات الكدر .

ويتزامن مع هذا الأداء أداءٌ آخر لمجموعةٍ من الدعاة والأخيار والأنصار يتجردون للدفاع عن حقوق الإنسان المسلم ، وحقوق الإنسان غير المسلم أيضاً ، بحيث يتصدون لكل ظالم ، وينتصرون لكل مظلوم ، وفرقُ هذا العمل عن الحملة القانونية أنه هنا يتجسد في صورة قصص واقعية وأحداث تدور في زوايا المحاكم والسجون ومراكز التحقيق ودور المخابرات والشرطة والجيش ، فنتخذ من وسائل الإعلام أداةً لكشف كل عدوانٍ والمطالبة برفع الحيف عن كلّ مستضعف.

ومجال الفن والأدب ينبغي أن يكون ظهيراً لكل ذلك ، فيتخذ الدعاة من معنى (الحرية) مطلباً وهدفاً يروجون له بالكلمة والقصة والشعر والفن

التشكيلي والفلم التسجيلي والفلم المـُمثَّل ، وينبغي أن يضيف كل داعية فنان أو أديب عشرةً من العراقيين أصحاب الأداء الفردي ، يظاهرونه ويتكلمون بمثل ما يتكلم ويرسمون مثل ما يرسم ، **لتتطور الإشارات الدعوية والمعاني الرمزية التجريدية إلى ظاهرة عامة ولغة شعبية ذات أشكال معبرة وألوان تتقاسم الإيحاء والتأثير ، فتموج القلوب ، لتتحرك الحياة .**

والدرس المستفاد من كل ذلك أنَّ طبائع الأداء الدعوي يجب أن تتطور ، ويجب أن ينهي الدعاة ظاهرة الانكفاء على أنفسهم ، وما في ذلك من عزلةٍ ولبثٍ في المحيط المسجدي فقط ، لينزلوا إلى محيط الناس الواسع ومجتمعات المثقفين والفقراء وأهل المدن والحواضر ثمّ أهل القرى والأرياف والبداوة ، وأن يركزوا على ترشيح أنفسهم كقادة للناس يعلمونهم المنهجية والتخطيط والعمل التعاوني والجمعي والنقابي ، وأن يكونوا في مقدمة جمهرة الطاقات الكثيرة السائبة في كل هذه الميادين والتي هي أضعاف الطاقة الدعوية ، فالداعية نقطة ارتكاز محورية تدور حولها نقاط محيطية كثيرة ، وفي مثل هذه العمليات والامتزاج بالبيئة الشعبية وبالذكاء السائب وعبر تجمع الخبرة المتناثرة : سيتكون تيار إسلامي عام قادته هم الدعاة الذين يستثمرون ظاهرة الولاء ، وتكرار هذا الأداء هو المصعد الطبيعي السليم لصناعة رجال الدولة الإسلامية ، الذين سيكون منهم الوزير والسفير والمدير ، وقلة عددهم اليوم في المحيط الدعوي يمثل أكبر مظاهر النقص في عملنا السياسي ، والاستدراك إنما يكون بمثل هذه المشاركة في الحياة العامة، وإلا فإن الأزمة ستبقى .

▫ عواصف الفكر صناعة أَسَّسها السلف

▫ **الاستدراك السادس : إتقان الإبداع ، وجعل تعليمه علامة بارزة في منهجية تربيتنا الدعوية** ، فقد ذهب عهد الاكتفاء بالتلقين المجرد وحمل الأتباع على التقليد المحض ، وغرس الإعجاب بالرؤساء وانتظار أوامرهم وتعليماتهم ، فتلك اتكالية تفسد التلامذة وجنود الدعوة ، وفيها تفويت لفرص جزئية كثيرة طيبة مباركة

مبثوثة في زوايا الساحة العريضة يعلمها الداعية القريب منها ويؤذن له أن يستثمرها إذا ربيناه على النزعة الابتكارية الإبداعية وجعلناه يثق بنفسه ويقتحم المجهول ، ولا يعلم تلك الفرص الصغيرة من كان قائداً يعتني بالمجمل والعموميات والأعمال الجامعة ، مهما كان هذا القائد ذكياً ألمعياً ملهماً ، بل من الظلم أن نكلفه بذلك حتى لو استطاع ، لأنها تشتت جهده وتذهله عن ضبط مسيرة كل الكتلة الدعوية ، **وقد جعل الله لكل شيء قدْرا ، وأقدار القادة أن يتعاملوا مع كبار القضايا ، وأقدار الأتباع أن يتعاملوا مع الأمثلة الجزئية والصور المتناثرة** ، حتى صار التنفيذ والإبداع فيه صنعة خاصة لجيل من الدعاة كثير العدد في كل بلد ، ولو أردنا من القياديين ممارسة هذا التنفيذ لأشكل الأمر عليهم وما عرفوه ، والعكس يصح أيضاً ، فإنك لو طلبت من التنفيذي رؤية شمولية للساحة أو نظراً استراتيجياً لعجز وأتى بالغرائب ، لضعف صنعة التحليل والتركيب لديه ، ولافتقاده عناصر الربط بين المقدمات والنتائج ، وكل ميسرٌ لما خلق له ، والتكامل بين الفريقين أسلك سبيلا .

لكن من شرط وصول الجميع إلى الإبداع والمهارة فيه أن نوفر مجالاً حوارياً جدلياً حراً لكل رهطٍ من الأقران ، بحيث نعفيهم من ضمانهم لصواب أقوالهم ، بل ندعهم يفكرون بصوتٍ عالٍ ، ويذكرون ما يظنونه صواباً ، من دون منح أنفسنا حقاً في لومهم وتقريعهم وإعابة منحى تفكيرهم ، فإنَّ الإبداع لا يتأتى مع الكبت والزجر والسخرية ، مما يجعلنا نسوغ طريقة الإبداعيين في " **العصف الذهني** " ، وهي جلسات يحضرها العشرون والثلاثون ، ونرفع عنهم الأحكام العرفية وقوانين الطوارئ ، ونتركهم يفكرون في القضية بعد القضية تفكيراً لا تقيده أوصاف الموضوعية ولا حدود المنطقية ولا ارتباطات الواقعية أو إذعانٌ لأرقام إحصائية ، لينتج من التفكير الفوضوي الخيالي المطلق الجزافي عددٌ كبير من الاقتراحات والأفكار الجزئية حول تفاصيل القضية المبحوثة ، ثمَّ بعد ذلك ترجع المجموعة بقيادة الأرشد الأفقه إلى تصفية رُكام القول ، واستخلاص ما هو

منطقيٌ منهُ ويتجانس مع حقائق المحيط والنمط المنهجي ، وهذه طريقـةٌ عـامرةٌ في العالم ، ضامرةٌ في العراق ، لأنَّ الحاكم الفردي شـاء أن يحـرمَ أهـل العـراق مـن أدوات الاجتهاد والإبداع ، لئلا يتمـردوا عليـه ويحَـدّثوا أنفـسهم بثـورةٍ عليـه ، فَساقهم سَوقاً ، وحرمهم من حوارٍ ونقدٍ ذاتي ، ومنع التناجي الخيري العلمـي ، فحصل الانغلاق وتحجرت أنماط التبعية العمياء التي لا يؤذن لها أن تقارب رُشداً أو نوع ابتكار ، ومن اللائق أن تنتبه التربية الدعوية لمثل ذلك ، فتمارس أسـاليب الإبداع داخل الصف ، ثمَّ مع بقية أنصار الدعوة مـن رواد المـساجد والمـتحلقين حولها في دائرة الهالة الواسعة الـمُـنيرة حول قمرها الفكري ، وبذلك **يكـون مـن الممكن أن نفجر ما في دواخل أنفس أجيال المؤمنين العـراقيين مـن طاقـةٍ كامنـةٍ تتخذ من الاختراع والإتيان بالطريف ديدناً وطريقةً للاستدراك على ما فات** ، ثمَّ اللحاق ببقية الشعوب والأمم والسير بموازاتها والاقتباس من نجاحاتها .

وطريقة " **العصف الذهني** " عند أهل الإبداع صحيحة في مجملها ، ولهـا عاضـد من التجريب الذاتي في ممارساتنا ، ثمَّ وجدتُ لها أصلاً وجذراً في طرائـق أئمتنـا من السلف المجتهدين المبدعين ، وذلـك واضـح فيمـا (قـال سـفيانُ بـن عُيينـة : مررتُ بأبي حنيفة وهو مع أصحابه في المسجد وقد ارتفعت أصواتهم ، فقلـتُ : يا أبا حنيفة : هذا في المسجد والصوت لا ينبغي أن يُرفع فيه ؟

فقال : دعهم ، لأنهم لا يفقهون إلا بهذا) (٢٣) .

والشاهدُ في قول أبي حنيفة : لأنهم لا يفقهون إلا بهذا ، **فهـو صـريحٌ في أنـه يؤمن بأنَّ رفع الصوت ضرورة لحصول ومضات الفقه** ، ورفع الصوت هنـا إنمـا هو كناية عن كتلة من التحـديات والاعتراضـات المتـأججة بـين أصـحاب أبـي حنيفة ، والردود والتـوهيم والافـتراق والموافقـة ، بحيـث ينطـق الكـل في وقـتٍ واحد، أو تعاقبٍ سـريع ، **فتنـشأ ضوضـاء وصـيحات مختلطـة** ، **يـبرز مـن بـين عنفوانها الصواب الإبداعي الاجتهادي** ، وتلك هي صفة " **العصف الذهني** " لمـن

---

(٢٣) الآداب الشرعية ٣/ ٣٩٧ .

ذاقها ، وهي بضاعة إسلامية إذاً رُدتْ إلينا ، ونحن أولى بها من أميركي وأوربي وياباني .

وليس من وصف الإبداع الناجح أن يتناول حتماً قضيةً كبيرةً أو أن يكتشف سراً خطيراً ، بل في كثير من يوميات الحياة المنسابة قابلية لأنْ تجر صاحبها إلى إبداع فيها ، ومن أبرز أمثلة هذا الإبداع الذي تجلى لي عبر اطلاعاتي التاريخية خبر فقيهٍ مصري قبل قرنين كان يحرص على تعليم العامة السُذج البسطاء أُصول الإيمان ، هو الشيخ العلامة مصطفى العقباوي المالكي ، فقد كان (إنساناً حسن الأخلاق ، مقبلاً على الإفادة ... متورعاً متواضعاً ، ومن مناقبه أنه كان يحب إفادة العوام ، حتى أنه كان إذا ركب مع المكاري : يعلمه عقائد التوحيد وفرائض الصلاة) [٢٤] .

وقد جهل كثير من عامة أهل العراق ، ولا ينفع إلا أن ننزل إليهم نعلمهم في أسواقهم ومجالسهم وبيوتهم ، ونبدي خطة إصلاحية تربوية تعليمية وعظية تعيد الناس إلى الإيمان والأخلاق والصلاة ، وأن نرحل إلى البادية والقرى ، وأن ندخل المحلات الشعبية الفقيرة ، ونمنع الدعوة أن تكون نُخبوية تُربي المثقفين فقط .

لكن المكاري البغدادي كان يوماً ما صاحب فقه ، وكانت بعض أزقة بغداد القديمة تنقطع إذا نزل المطر الغزير وتتكون بُحيرة تمنع مرور الناس ، فتنشط مهنة الحمالين الذين يحملون العابرين على ظهورهم ، وكان الأخ أبو أديبة سلفي النزعة ، وشاركني في الأخذ عن شيخنا عبد الكريم الصاعقة ، فلما استوى على ظهر الحمال قرأ " **سُبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين** " ، وذهل عن أنَّ هذا المكاري من أهل الفقه - وليس مثل مكاري مصر - ، فقال له الحمال المكاري التاكسي : أعِد ، فأعاد الدعاء ، فقرأ الحمال " **وإنا إلى ربنا لمنقلبون** " ثم أمال كتفه ، وقلب أبا أديبة في الماء ، وكان أستاذنا شاعر الإسلام وليد الأعظمي

---

(٢٤) تاريخ الجبرتي ٣/ ١٤٥ .

يروي لنا هذه النكتة الطريفة مراراً ، **فإن كانت حقيقة فهي إبـداع مـن المكـاري العراقي يحملنا على تربيته وتنظيمـه واعتمـاده في خطتنـا الدعويـة ، وإن كانـت مخترعة فهي إبـداع وليدي يحملنا على أن نـقرأ شـعره ونعـظ أنفـسنا بـه ونعيـد سيرته ، فقد كان- رحمه الله - جليس الفقراء ومعلمهم ، وأحرى أن نجعل سيرته منهجاً دعوياً يصحح معادلة النخبوية .**

▫ خصوصية القضية العراقية ذات الدماء الزكية

▫ **وسابع الاستدراكات : نتركهُ لفراستك ولا نبـوحُ بـه** ، ولا نعلّمـك إيـاه ، ولكنك تستطيع استنباطه من فحوى استـشهاد آخـر خمـسة شـهداء مـن أعـضاء الحزب الإسلامي العراقي اغتالتهم يد الغدر : الأخوة الأبطال ..

قحطان كاظم الربيعي و محمد نوري الكبيسي

وبالبصرة

عبد المجيد عبد الودود و قُصي عبد الحميـد

وآخر السعداء

عبد الصمد الأعظمي

رحمهم الله تعالى ، فقد دخلوا سجل الشرف ، وأنا أذكر جيـداً يومـاً مـن أيـام سنة ١٩٦٣م رأيتُ فيـه شـاباً صـغيراً يافعـاً أتـى للـصلاة في جـامع أبـي حنيفـة بالأعظمية في بغداد أول رمـضان ، فأرسـلتُ لـه بعـضَ مـن معـي ، فلاطفـوه ، فشافهته في اليوم الثاني وأثرتُ فيه العاطفة ، فكانت منه تلبـية وعرّفني باسـمه أنه " **عبد الصمد** " ، وصار تلميذاً لي ، وعاهد ، ثمَّ كان منه الوفاء بعـد أربعـين سـنة ولقي ربه مضرّجاً بدمائه بعدما اكتال من التسبيح والتهليل والذكر ، فقد مالَ نحو العبـادة ميـلاً عظـيماً ، وصار روحاني الـمـشرب ، وإنـي لأظنـه وأصـحابه في عِلّيـين .

وفي قصصهم عبرة تضاف إلى فقه الدعوة العراقي : أنَّ القضية العراقية معقدة جداً ، وفي لغتها دماء ، ولذلك لا يفهمها حق فهمها غير عراقي .

وكنتُ قد دعوتُ في العدد الأول من مجلة " **الإسلام اليوم** " لأخي سلمان العودة إلى ضرورة فهم سلوكيات الدعوة الإسلامية في العراق في مرحلة الاحتلال الأمريكي أمام حشد من المتناقضات التي تعج بها الساحة ، فواضح أنَّ العراق يعيش حالة انقسام مذهبي وقومي ، وأنَّ التيارات السياسية فيه عديدة ومتعادية بعنف أحياناً ، وأنَّ الطبيعة الثورية في السياسة العراقية جعلت لجوء الأطياف المتصارعة إلى استعمال السلاح والاغتيال أمراً مألوفاً ، فوق ما هناك من تأثيرات إقليمية من دول مجاورة تقوم نشاطات مخابراتها في الأرض العراقية مقام أحزاب وأطياف تزيد الوضع إشكالاً وغموضاً وصراعاً ، فمثل هذه الحالة المتشابكة لا يفهمها غير عراقي فهماً يستطيع أن ينافس فهم الداعية العراقي الذي يمارس في الساحة ويتعامل مع أشياء ومؤثرات لا تكتب ولا يصرح بها يجهلها من هو خارج العراق ، ومن هنا فإنَّ التقدير الصحيح للموقف يحتاج مقادير من تفويض الدعاة في أقطار الأمة الإسلامية لإخوانهم داخل العراق أن يختاروا ما يناسبهم وأن يحسنوا الظن بهم وبموازناتهم المصلحية وبتقديراتهم للضرورات التي تلجؤهم في ظاهر الأمر إلى خلاف ما يرغب به كل داعية مسلم ، ومثل هذا الحال من استغراب غير العراقي للاختيارات الدعوية العراقية يثير ألماً في نفوس دعاة العراق الذين يكتوون بنيران متعددة داخلية هي أشد حماوة من نيران المستعمر الأمريكي ، بل أتاحت مواقع الإنترنت وسهولة الدخول إليها مجالاً خصباً لكل ناشئ لم ينضج بعد أنْ يكيل التهم الجزاف - وربما المسبة - لدعاة العراق الذين يناورون ويحاولون الالتفاف الذكي على منغصات اجتماعية وسياسية تواجههم ، وقد يزايد هؤلاء الشباب المستعجلون على قدماء الدعاة العراقيين ويتقدمون لهم بمواعظ تدعوهم إلى توبة وإلى رؤية بديهيات يتجاوزها الداعية من أول سنة من سنوات تربيته الدعوية ، وفي مثل بيئة نجد والحجاز

والأحساء حيث تسود العقيدة السلفية النقية : يكون استغراب السلوك الدعوي العراقي أكثر وأقوى ، تبعاً لظاهر النصوص التي يلجأ إليها التوجه السلفي ، **لكن لو علم هذا التوجه السلفي بطبيعة التوجه الدعوي العراقي لكان أقرب إلى حسن الظن وإلى التأول لدعاة العراق ، وذلك لأنَّ التوجه الغالب في الطبيعة الدعوية العراقية هو التوجه السلفي أيضاً وإن سُميت المجموعة الدعوية الأكبر باسم آخر غير اسم السلف ، مما هو امتداد للدعوة العالمية الواسعة** ، فمنذ نشأة هذا التوجه الدعوي العراقي بعد الحرب العالمية الثانية كان سلفي المعتقد ، واتخذ له من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ثمّ ابن القيم منهجاً تربوياً واضحاً ، وتلمذ جيل التأسيس آنذاك الذين هم قادة الدعوة اليوم لمشايخ السلف العراقيين كأمثال فضيلة الشيخ عبد الكريم الصاعقة وعبد الوهاب ملوكي في بغداد وعلى مشايخ آخرين في الزبير من أصول نجدية ، وعلى أفاضل من علماء السلف في الموصل أودعوا في مثل شخصية محمد محمود الصواف - رحمه الله - ميلاً سلفياً واضحاً ، ثمَّ ما كان من أثر الدكتور محمد تقي الدين الهلالي المغربي - رحمه الله - من أثر في ترويج المفهوم السلفي في العراق والتفاف الجيل الدعوي الأول حوله لسنين طويلة خلال مدة إقامته في العراق ، **ولهذا فإنَّ قادة الدعوة اليوم في العراق حين يتخذون مواقفهم السياسية يكون منهم استحضار للنصوص الشرعية ولاختيارات أئمة السلف القدماء يتوازى تماماً مع استحضار جيل السلف الحاضر في نجد والحجاز ، وما هو ببعيد عنه ، والفرق ينحصر في أنَّ العراقي تحيطه ضرورات يكتوي بنارها ، وتقوم عنده موازنات يذهل عنها غير العراقي** ، فيفتي العراقي نفسه بشيء مغاير لرغبات من هو بعيد عن الساحة ، فماذا نقول مثلاً في جهاز الدولة الذي يعاد تأسيسه في زمن الاحتلال : أيليق بجمهرة الدعاة أن تقاطع الوظيفة الحكومية ليحتكرها المنافس فقط ؟ وهل يليق بمثل هذا التعفف أن تُترك القوات المسلحة من جيش وشرطة واستخبارات ليحتكرها المنافس أيضاً ؟ فالقول بالمفاصلة والتعالي على التعامل مع المحتل الأمريكي يجعل

الطاقات الواسعة المتاحة عبر الوزارات والقوات المسلحة والجامعات موظفة توظيفاً كاملاً ضد التوجه الإسلامي النقي في العراق ، ويجعل لإيران – مثلاً – مكانة واسعة في الانتفاع من هذا الصدود والعمل بحرية ، ويتيح للأفكار المتطرفة أن تهزم أصحاب الفكر الإسلامي الصحيح ، **وفي هذه النتائج السلبية ما يحمل دعاة الإسلام على التحايل والرضا بأقل الشرين عند التعامل من أجل الالتفاف على المصاعب** ، ويزداد ذلك وضوحاً إذا علمنا أنَّ الإدارة الأمريكية جاءت إلى العراق بدون تصور واضح عن طبيعة المجتمع العراقي وتناقضاته ، ونرى فيها أكثر من مدرسة وأكثر من تأول ، وهو ما جعل هذه الإدارة تتخبط أول مجيئها عبر ظنها وجوب الاقتراب والتعاون مع خطوط ترتضيها إيران ، ومن أجل كسب إيران أيضاً وتحييدها والشعور بعدم الحاجة إلى الدخول في صراع معها إذا رضيت بهذه الخطة الأمريكية ، ولكن ما حدث وآل إليه الأمر بعد سنة من الاحتلال أودع قناعة أخرى لدى الأمريكان بأنَّ هناك حقائق عراقية تدعو إلى ضرورات الموازنة وحفظ حقوق العراقيين جميعاً ، وزادت المقاومة العراقية العنيفة من هذه القناعة في نفوس صُناع القرار الأمريكي ، وأنهم لا يستطيعون تجاوز حقائق الصراع العراقية ، فماذا يدرك من هذه التحولات وأسبابها وحجم تأثيرها في المعادلات العراقية ذاك الداعية الذي يعيش خارج العراق وله ظاهر الأمر فقط ؟ نحن نزعم أنه لا يفهم الكثير من ذلك مهما بلغ من علم أو من اطلاع على تصريحات السياسيين ومن نقول إعلامية ، فهناك دائماً وراء التلال ما لا يراه إلا شخص محلي ، أو آخر يتمكن من معرفة ما كان وراءها في الماضي البعيد والقريب ، فيشرع بتخمينات عن طريق القياس تقربه من معرفة ما لا يراه ، **وهذه صنعة يحتكرها العراقي ، وما هو بمتكبر ولا زاهد في وصايا إخوانه وفي تحليلات يمكن أن يهديها له دعاة يعيشون في العالم الواسع ، ولكن إهداء هذه التحليلات يعين ويقرب لدى العراقي الرؤية الكاملة الشاملة ؛ ولا تستطيع هذه التحليلات– إذ هي ظن فقط– أن تحمل الداعيةَ العراقي على أن يلغي ما**

تراه عينه أو تلمسه يده أو ما قارب الدقة من قياساته التي يبنيها على تراثه التجريبي الخاص .

إنَّ هذا المثل للقضية العراقية وملابساتها ولحاجة الوعي الدعوي العام إلى قول عراقي فيها ، يعطينا قناعة بأنَّ صنعة إتقان اكتشاف الوعي الدعوي والسياسي- بخاصة في مرحلة ما بعد التعميم- إنما هي صنعة مهمة لا زال ينتظرها الكثير من التفصيل والقول التخصصي ، وكذلك هي بحاجة إلى ثقة بقدماء الدعاة وبقولهم ، ثم بحاجة إلى أن يفوض جيل الصحوة قادتهم مساحة كبيرة من القول يكون فيها تأول المخضرمين نافذا □□□

□□ أليسَ التفكير بصوتٍ عالٍ وصيةُ كلِّ حكيم ؟

أوَ ليسَ الهمس ؛ في ركنٍ ؛ وعلى انزواء : يكشف المغزى ، ويوضح الحل ؟ ثمَّ صياح المكلوم ، واستنجاد المصدوم : فيهما تشجيع أصحاب الكفاية على أنْ يقطعوا استرسالهم مع الراحة ، فيشمروا عن السواعد ، وتكون منهم تلبية ونزول إلى الساحة ويبذلوا النجدات ويحاولوا إبراد الحروق ؟!

فتأسيساً على هذه الحقائق يليقُ لنا أنْ نتبادل الرؤى سويعةً لنفحصَ محيطنا ، ونحدد الواجب على كلٍّ منا ، لنخطو خطوات منهجية كما يريدها دعاة التخطيط ، بعيدةً عن الارتجال .

وتحليلُ أنماط " **حركة الحياة** " ينفعُ كثيراً في تسهيل الوصول إلى اكتشاف هذه المنهجية في العمل الإصلاحي وإجابة المستنجد ، وإذا عرفنا أجزاء من سلوك النفس وآثار الأخلاق وطبائع ردود الأفعال فإنَّ الحل يوشك أنْ يتم وضوحه .

ومع أول هذه الطريقة التحليلية تنتصب أمامنا ملاحظة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين يقول : (**لا يقلُّ مع الإصلاح شيء ، ولا يبقى مع الفساد شيء**) ، وهذا قانونٌ مطرد هو في القضايا الشخصية صحيح ، ثمَّ هو في سياسة المجتمع والدولة أصح ، لأنَّ الإصلاح ترسخهُ النية الصالحة التي تسبقهُ ثمَّ تقترن بهِ ، وتزيدهُ ثباتاً عناصر التوافق مع الفطرة والتلاؤم مع المقاييس التي خلق الله الكون عليها ، تبعاً لاعتمادهِ على الأحكام الشرعية ، لذلك يؤذن لهُ أنْ يستمر ، وأنْ يكثر ، وأنْ يبقى أساساً لإضافة في البناء تأتي فوقهُ ، لكنَّ الفساد يستلزم معاكسةً وشذوذاً عن قانون الخلائقِ وإزعاجاً للأنفس الساكنة ، فهو بذلك قريبُ الزوال .

والفحص الواقعي يرينا صدق هذه الظاهرة في جميع حِقب التاريخ ، ومن هو شيخٌ منا اليوم أسرع إدراكاً لصدقها في أكثر زوايا العالم الإسلامي ، فحين عاش الشيخ منا أيام شبابهِ قبل نصف قرن كانت تحيطهُ أحزابٌ غوغائية ؛ وتوجهاتٌ

هدمية ، أصدق أوصافها أنها جزء من الفساد ، لكن الأيام أذابتها ، وتعيش فلولها مع مجرد الذكريات اليوم ، ولكنَّ إصلاحاً إيمانياً ضامراً برز في ذاك الزمن كطارئ وليدٍ ضعيف : نما ، وبارك الله فيه ، واستقبله أصحاب القلوب السليمة بترحاب ، فإذا هو به اليوم **تيار إصلاحي عريض ، هو أمل الأمة إذا فتشَ صالحوها عن منابع الآمال** ، وساحة العراق تتجلى فيها هذه الظاهرة لمن يُراقب ، وهي اليوم قد كثرتْ فيها التوترات والآلام إلا أنَّ جميع مؤشرات التطور السياسي والاجتماعي العراقي تشير إلى أنَّ العراق يعيشُ المشهد الأخير لانتفاضاتِ الفساد والاعوجاج قبل أنْ يستسلم لعصبة الإصلاح التي تراكمت إيجابياتها وأصبحت على مشارفِ الوصولِ إلى عهدٍ يتعاملُ فيه الناسُ وفق قواعد الإيمان .

وقد سُئلَ بعض الأذكياء عن العقل فقال : (**معرفةُ ما لم يكن بما كان**) ، وقال أبو حازم - الزاهد التابعي - : (**العقل : التجارب**) ...

وهذا الذي نقولهُ - أو ما سنقولهُ - كلهُ يستند إلى هذه التجارب الجماعية ، وبمثل هذا القياس في استنباط ما سيكون عبر المقارنةِ بما كان : اطمأنت قلوبنا إلى وجود تلك الآمال ، وغذتنا خلال المسيرة عقوداً ، ثمَّ ملأت قلوبنا اليوم ثقةً نرى فيها مستقبل العراق وضيئاً مُنيراً مع استمرار استيلاء بقية الظلام ، مستدلين بأنها أواخرهُ ... ومثل هذه الرؤية المستبشرة لو تركناها لِتَناجي العاطلين الفرديين الذين يتجمهرون معاً لترويج اليأس لكانت قد استحالت إلى حُزنٍ وقنوط ، ولكنَّ مماشاة علماء الشرع وقادة الدعوة الإسلامية أكسبتنا هذا الانشراح ، ومنحتنا هذا التفاؤل ، بما عرفوا من موازين الشرع وحكايات القرآن عن الأمم السالفة ، فوضح لهم أنَّ بعدَ عسرٍ يُسراً ، **وأنَّ بعدَ كل فوضوية رجوع إلى المنهجية** ، وحالُنا هو حال قبيلةٍ عرفَ الناسُ عنها الصواب والعزائم والإصلاح ، فسألهم السائل عنْ سرِ ذلك فقال : (**نحنُ ألفٌ ، وفينا واحدٌ حازم ، ونحنُ نشاورهُ ونطيعهُ ... فصرنا ألفَ حازم**) .

فحاضر العراق السياسي والفكري يظهر بوضوح وجود جيل مخضرم مُجرب ، قولهُ هو القول العتيق ، ونظرهُ يمزج بين دلائل الفقه ومفاد التاريخ ، فكانَ لهُ من ذلك سببُ يقينٍ بأنَّ الحلَ الإسلامي هو الحل الوحيد لكلِّ مشاكل الحياة ، وطفق يؤذن في الناس ويصدع فاستجابت لهُ أجيال الصاعدين من شباب الصحوة الإسلامية ، وبذلك تطوَّر المخضرم الواعي إلى ألفٍ ، ولأنَّ المخضرمين القادة ألفٌ : صارت كتلة الوعاةِ تُقاسُ بالمليون لا بالآلاف ، **وأصبحت طريقة الاستبشار هي طريقة العمل الصحيح، وبموجبها تسلك الدعوة الإسلامية العراقية اليوم مسالكها ، وصارت ديدناً لها وميثاقاً وقانوناً ، تريد أنْ يعطي شعب العراق أدبارهم للعبوس والغموض والتعكير والتربص وأسواء الظنون ، فاتحة بذلك أبواب التصافح والإخاء والبناء والرفل بسكينة القلوب ، والحزمُ الذي جعلتهُ الشورى عنوان قبيلة خيرية هو نفسه يتوالد لتتفرعَ منه عناصر الوعي والتخطيط والانتظام والتسامح والوسطية والواقعية ، لتكون القبيلة الدعوية عبرَ الشورى والتربية كتلةً واسعة ضخمة في المجتمع** تتمثل فيها جميع هذه الخيريات والإيجابيات ، ثمَّ لتحتل بشجاعة مكان الريادة والقيادة والإمامة في الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية ، كابتةً وبشدة الصيحات النشاز وكلَّ حنجرةٍ لها حشرجةٌ وأنفٍ لهُ شخير ، **وتكاد الدعوة أنْ تكسب نصف معركتها من خلال هذا الانحياز الشجاع للحلم والحوار وتغليب البشائر** ، تاركةً من اختار التشاؤم ينعزل وتستهلكهُ توتراته ، وتلك هي أجلى صور الملاحظة العُمَرية الفاروقية حين بذل لنا التهاني بكثرة الإصلاح وإنْ قلّ ، وزوال الفساد وإنْ مدّ لهُ جذراً ، والتي تكثف فيها المغزى عبر التحليل **وصار نمط البداية النفسية في العملية السياسية هو المؤشر على نهايتها ضموراً أو نجاحاً** .

▫ حاجة الدعوة إلى " سُكر زيادة "

والحوار بين الدعاة حول حاضر الدعوة ومستقبلها : هو دوماً من الضرورات ، وأقل منازله أنهُ عرف صحيح بين صالح المؤمنين ، وحين تتصادم

الرؤى المتعاكسة في الأنفس الدعوية وتكاد تحشرج الأرواح أمام ضغط التحديات واختلاف المذاهب الخططية وتنوع الأذواق القيادية : تكون مباحث فقه الدعوة وهمسات تناجي الخير ... المخرج الأوسع، ومورد السكينة ، وسبب الطمأنينة ، وهو ما كان صاحب الشأن يفعله ويقول :

وأبثثتُ عَمراً بعضَ ما في جوانحي

وجرّعته من مُرّ ما أتجرعُ

ولابدَّ من شكوى إلى ذي حفيظةٍ

إذا جَعَلتْ أسرار نفسٍ تطلعُ

وهي لبشار ، يروي شأنه المنحرف ، والسوي المستقيم أولى بهذا المنحى منه ، فمن زوايا هذا التجرع المرّ يكون الإبداع وتستبين الحلول ، **ومن ثنايا قنوات أسرار النفس إذ هي تعلو صُعداً : تتكامل قواعد التعامل مع الموقف** ، فأول المتناجين يقترح سلوكاً ، فيضع الثاني شرطاً ، فيعود الأول يذكر مقدمة تمهد ، وينتبه لمعنى ملازم قرين ، ويكتشف الآخر ضرورة خطوة تالية لاحقة ، فيكون التصرف نسقاً تاماً .

هكذا **تتحرك الدعوة بحركة عقول حملتها** ، ولن يأبه أهل الجد خلال ذلك لفضولي يجنح بالتناجي الإبداعي إلى زاوية يريد فيها أن يوسوس بتخذيل سلبي ، **والطرائق الإيجابية هي أعمر دوماً ، وأصدق ، وأنفذ، والنفوس السوية غالبة أبداً** .

وما مال صاحب المنظار الأسود إلى مواقف الأحزان واللبث مع هفوةٍ هفاها داعيةٌ بحكم بشريته إلا ونحتت السوداوية من همته واتزانهِ وأخلاقه ، ويستمر النحتُ حتى يصيرَ عاطلاً ، ولربما انعكس حالهُ على أهلهِ وعيالهِ فيكون بينهم مكروهاً ، ويظل يفتاتُ على حقوق نفسه وفطرته الزكية إلى درجة تغزوه فيه الوساوس فينتابه القلق والتوزع وتهبط معنويته ، فيكون أقل من أنْ يجد له محلاً في المجموعة الإصلاحية ، بل وقد يستروح آنذاك لمقولاتٍ تثبيطية تُسرع إلى لسانهِ

فتكون العقوبة لهُ مزيداً من الشكوك ومعيشةً على هامش الحياة ، لا ينفع صديقاً ولا ينكأ عدواً .

لكن بإزائهِ **عادل أطربت قلبَهُ نسائم الثقة فصارَ عضيداً للمصلح يشجعهُ ويسندُ ظهره ، ويخلف المجاهد في أهلهِ** ، ويفخر بكلمةٍ طيبةٍ يفوهُ بها شابٌ جديدٌ فينميها ويُربيها ويضيف لها قصةً تجريبية ويجعلها موعظةً رائجة .

ومثل هذا الواثق المبتسم في وجه الصاعدين هو المؤهل لأن ينكر على القادة ، وهو الذي يعنيهِ إمام السُنة المُبجل أحمد بن حنبل حين قال : (**لا نزالُ بخيرٍ ما كان في الناس من ينكر علينا**) ، فالمنهجية التربوية الإيمانية ترحب بنزعة التدقيق في أوساط الدعاة والفقهاء ، وتجعل ذلك علامة خير إيجابية ، وأما حرص الشيخ والقائد على أنْ يكون من الصاعد الاستسلام فحريٌ أنْ يصنف في السلبيات وأنْ يُسمى : الطريق المسدود ، وليس أحدٌ من رجال الدعوة يستطيع احتكار الصواب ، وإنكار الخطأ واجب ، ولكن ينبغي أنْ ينظر الناظر مثل بيئة أحمد ومن كانَ فيها من الأطهار والشجعان وأصحاب الدين المتين الذين كان يرجو من أحدهم أنْ ينصحهُ ويُصوبهُ إذا بدرت فلته ، وقد قالها رحمه الله تأسيساً لمبدأ وإقراراً بحق يخاطب بها إقراناً رباهم الإيمان ، لذلك لم يتعرض لقول يؤذيه أو إنكار انتظره ، لوفور ما ذكرناه من أخلاق البشارة ، وبذلك صار الطريق مقفلاً أمام ناقد معاصر يأخذ الحق لنفسهِ بموجب هذا التخويل ثمَّ يبرأ من مستلزمات المروءةِ التي تحلى بها جيل أحمد ، وآية ذلك أنَّ هذا النمط صار مفهوماً عاماً عند الأجيال القديمة حتى صاغهُ محمود الورّاق – الشاعر - بنداً من الحكمة في بيتين فقال :

أخو البِشر محمودٌ على كلّ حالةٍ
ولم يعدِمِ البغضاءَ من كانَ عابسا
ويُسرع بخل المرء في هتك عرضهِ
ولمْ أرَ مثلَ الجودِ للعِرضِ حارسا

وكان أحمد بن حنبل يستظرف هذا البشر ، مع أنهُ كان يعيش عيشة الجد والعمل الدائب والمبالغة في الزهد ، وقد سُئل عن إسماعيل بن زكريا فقال : (**ليس بهِ بأس ، إلا أنهُ ليسَ لهُ حلاوة**) .

وهي الحلاوة عند الحكماء ؛ والظرفاء ؛ والوسطيين ؛ والشموليين ؛ وأهل التفاؤل ؛ والطموح ؛ والنظر الواقعي ، فلسنا نريد الثقة فقط ، بل نريد الحلو الذي هو طيب ، الذي إنْ جالسته أحاطك بحسن الظنّ وآنسك وأنساك الآلام ومرارات الأيام ... وفي مثل المرحلة الحرجة التي يمرُ بها العراق تحت الاحتلال الأميركي والانفلات الأمني بعد عصر من الظلم : تزداد حاجة الناس إلى هذه الحلاوة ، وطريقتها أنْ يمثلها دعاةٌ يحسُ منهم الجليس طعم السكر فعلاً ، وخطط حلوةٌ تعتمد الحُسنى والإغاثة والتنمية ، ومواقفُ تضمُ الشمل وتجمع المتفرق وتعفو عن مسيء تورط أمسُ وجاءنا تائباً ، وليس ينفع عند منعطف اليوم قانون اجتثاث وعقاب جزافي ، كما لا تنفعنا معلقات سبِ الظلم .

◻ التودّد بمنع التنهّـر

وإنما ينفعنا ترويج الصداقة ، ونقل ابن مفلح عن ابن عقيل الحنبلي أنه قال في كتاب الفنون : (**الذي ينبغي أنْ يكون حد الصداقة : اكتساب نفس إلى نفسك ، وروح إلى روحك .. وهذا الحد يريحك عن طلب ما ليس في الوجود حصوله ، لأنَّ نفسك الأصلية لا تعطيك محض النفع الذي لا يشوبه إضرار**) .

وأرجعَ ذلك إلى تغاير الأمزجة ، فالمزاج عندهُ :

(إن استقام بالعقل : ترنحَّ بالهوى ...

وإنْ خشعَ بالموعظة : قسا بالغرور ...

وإنْ لطُفَ بالفِكْر : غلظ بالغفلة ...

وإنْ سخا بالرجاء : بخل بالقنوط ...

فإذا كانت الخلال في الشخص الواحد بهذه المشاكلة من التنافر : كيف يُطلب من الشخصين المتغايرين بالخلقة والأخلاق : الاتفاق والائتلاف ؟

فإذا ثبتت هذه القاعدة أفادت شيئين : إقامة الأعذار ، وحسن التأويل الحافظ للمودات) .

بمعنى أنْ تلتمس لأخيك الأعذار إذا بدر منهُ ما يؤذيك ، وأنْ تتأول لـهُ علـى أحسن وجوه التأويل ، وتلجأ إلى : لعلَّ ... وربما .

وهذه القاعدة في الـصداقة والتعـاون نرشـحها أنْ تكـون الأسـاس الـشرعي والعاطفي الذي يبنى عليه حلفٌ عـريض بـين الأحـزاب العراقيـة والتوجهـات والتكتلات والجمعيات لتحقق جميعاً الوحدة العراقية بين أبناء الشعب ، بما يكفل استثمار العطاء الحضاري القديم ودفعهِ إلى أنْ يؤدي دوراً قيادياً جديداً في الأمة الإسلامية وفي مسيرة المعرفة الإنسانية ، والمفروض أنْ يبادر أهل الفكر السياسي إلى تدوين واسـع لتفاصيل هذه الأعذار والـتـأويلات ، لتـساهم في إبعاد هاجس " **الحرب الأهلية** " الذي أرهق أذهان المخلصين تخوفاً من سوء العقبـى والمنقلـب ، وجرها إلى قطيعةٍ طويلة سوف لا ترحم ولا تراعي تشابك العلاقات الاجتماعية السلمية السائرة على سجيتها منذ قرون طويلة .

إنَّ موعظة ابن عقيل عقلانية حقاً ، فإنَّ المـزاج تـُقومهُ التربيـة المنطقيـة دهـراً حتى يعتدل ويستقيم فتأتيـهِ أهويـةٌ مفاجئـةٌ تعـصفُ بـهِ إذا صـاح عـدوٌ صـيحة التفريق ، وهو إنْ خشع بالموعظة وأخبت ومالَ إلى تـسهيلٍ : أتتـهُ موجـة غـرور طارئة فَتُسلمهُ إلى خشونة ، وهو إنْ راق بالفكر وأحيط بالمحبة وتأسـيس المـودات معرض إلى أنْ تجتاحهُ غفلة فيكثف الحجاب ، ثمَّ هو إنْ دفع به الرجاء إلى اقتحامٍ وإسراعٍ في دروب الخـير نكـــصَ بـهِ القنـوط إذا همـست في الأذن نـبرة يـائسٍ شحيح .

❑ موج الأنفس الفانعة : يُحرك الحياة الفابعة

وما هذه الملاحظات مجرد خواطر وحدوي عاطفي ، ولكنها لمـنْ أمعـنَ النظـر وتأمل : **تقريرات خططية تمزج فقه الأحكام الشرعية بالحقائق الإيمانية ثـمَّ بمفـاد الواقع** ، لتصبح طريقةً في اسـتيعاب حركـة الحيـاة وفهمهـا ، وهـي إلى الفلـسفة

أقرب، ويجدر أنْ يضعها قادة الدعوة الإسلامية كميثاق بينهم وبين أنصارهم ومؤيديهم وكل أحرار العراق الذين ينوون المساهمة في عملية الإصلاح والاستدراك على الافتراق ، ثمَّ هي أيضاً نظام لتحديد العلاقة بين كل مجموعة قيادية دعوية وأتباعها في أنحاء الأرض ، وفي كلّ جيلٍ .

وبهذا النظام تتضح واجبات الأتباع في إجابة نداء القادة ، والإسراع إلى الانضمام معهم وفي أحزابهم وحركاتهم وجمعياتهم ، ووضع طاقاتهم وأموالهم تحت تصرف الخطة الدعوية ، وأخذ النداء مأخذ الجد ، والالتزام بمفاد الظرف ، والتصدي لسد ثغرة من ثغرات العمل ، والاستعداد لكفاية مرفق ، والوقوف عند ثنية ومنعطف ، والتجول في عرصة إيمانية ، حراسة وتثبيتاً لمن فيها وإعلاناً لملكيتها ، وإنْ يكون كل ذلك بمبادرة ذاتية من الأتباع ، واستجابةً للنداء العام دون تخصيص يتحرج القيادي من اللجوء إليه ، وبلا دق للأبواب واستعمال للهواتف وتوسيط رُسل يتحركون بالشفاعة الحسنة بين رعاة الخطة الإسلامية الدعوية وبين رجال الإحسان والغيرة والنجدة .

ويشرح ذلك : الفهم المُجتَمِع عند فقهاء الدعوة ، والذي به يرون **أنَّ أصل المحور الذي تدور عليه حركات الحياة إنما هو حالة النفس لرجلٍ وضعتهُ الأسباب في موضع التأثير إذا انتفض وأراد وصمم وأتيح لهُ أنْ يطبع طبعة الإيجاب على الأحداث ويضع ختمه إذا أذن الله تعالى ، أو العكس : إنْ جبن أو انغلق وأحجم وهابَ واستبدَّ به يأس وأذهلتهُ زحمة السلب ، فمن عزمات النفوس يبدأ الصعود ، وعند قلقها تترى النكسات ، وهي قوانين حيوية يكتشفها صُناع الحياة على السَجية ، فيفيق من تأملٍ فإذا هو يرفل بثقة النفس والانشراح ، فيَشرع يُبشر أصحابهُ بما يشعر من سموٍ في قناعة ، وإقدام في وعي ، واقتحام في ريث ، كأنهُ يملك ما هنالك وبيدهِ الزمام** ، كذاك الذي تحدث عنه ابن عقيل الحنبلي حين قال :

(جرى مجلسُ مذاكرة، فقال قائل :

إني لا أجدُ في نفسي ضيقاً وإنْ قصرت يدي ، بل طِيب النفس ، كأني صاحب ذخيرة !!

فقال رئيسٌ فاضلٌ قد جرّب الدهرَ وحنكتهُ التجارب :

هذه صفة رجل إما قد أعدت لهُ الأيام سعادةً شعرت نفسهُ بها ، لأنَّ في النفوس الشريفة ما يُشعر بالأمرِ قبل كونهِ .. أو يكون ذلك ثقةً باللهِ لكلِ حادث ، لعلمهِ أنهُ من عندِ حكيمٍ لا يضعُ الشيء إلا في موضعهِ ، فيستريح من تعب الاعتراض وعذاب التمني .

قال : وبالضدِ من هذا إذا كانَ باكياً شاكياً حزيناً لا لسبب ، بل نعم الله عليهِ جَمة ، فذلك شعورُ النفسِ بما يؤول حالهُ إليهِ) .

ثمَّ نقلَ عن قدماء المشايخ أنهم كانوا يقولون :

(لابدَّ من أنْ يكون مقدمة النحس وزوال السعادة : كسوف البال ؛ وتكاثف الهمّ ؛ وضيق الصدر ؛ وتغير الأخلاق) .

والشاهدُ في ذلك تحليل هذا الرئيس الفاضل ثمَّ المشايخ القدماء ، وهو تفسيرٌ مقبولٌ وصوابٌ تعضدهُ تواريخ الرجال ومآلات من ابتدأ بحزمٍ وهو فقيرٌ فردٌ فوَصل وتمَكن ، ومن أتيحَ له التفوق فخار ... فجارَ على مستقبلهِ وانتكس .. وما ذكروهُ من كسوف البال إنما هو مرض الكآبة في الاصطلاح الطبي الحديث ، وكلّ ذلك شاهدناه في الناس ، وصراع السياسة يحوي ألوف القصص ، وفي منافسات التجارة والإدارة مثل ذلك ، **ومن مثل هذه التقريرات تبدأ حركة الحياة** ، وأول ما ينبغي أنْ يفعله صاحب الخطة الإصلاحية والأنفاس الجهادية : إتقان التعرف على قوانين علم النفس الإيماني ، وعلم النفس الدعوي ، بما فيهما من التفاتات كثيرة مشابهة لظنون الرؤساء الفضلاء من أصحاب ابن عقيل ، ثمَّ يكون الاستئناس بعلم النفس العام ، بعد النخل والتمحيص وطلب الشاهد الشرعي لبعض مذاهبهِ ، **فمن عرفَ النفس : تسلّطَ على ناسٍ كثيرٍ عددهُم واستطاع تحريك الحياة .**

ورأس هذه المعرفة النفسية : الثقة بـالله ، والجـزم بانتـصار الـدعوة ، والـيقين بصحة الوعد الرباني الذي منحتهُ آية :

﴿ **وَكَانَ حَقّاً علَيْنَا نصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ الروم: ٤٧

وكلٌّ حقٍ منه تعالى فهو واجب له ، لا عليه ، كما قال الشيخ محمد رشيد رضا في مثل هذا " **الحق** " وأمثاله :

(الحقُ : الأمر أو الشيء الثابت المتحقق بما يثبت بـه عنـد النـاس مـنْ شـرعٍ وعُرف ، وأثبتُهُ وأقواه : ما جعلهُ الله تعالى حقاً بوعدهِ ، سواءً كـان جـزاءً علـى عمل ، أو زائداً عليهِ ، أو إحساناً مستأنفاً ، ومنهُ ما تقتضيهِ صـفة العـدل ، ومـا تقتضيهِ صفات الرحمة والرأفة والعفو والفضل ، وكلٌّ حقٍ منهُ فهو واجبٌ لهُ ، لا عليه ، لأنهُ يجب لهُ كل كمالٍ لذاتهِ وصفاتهِ وفعالهِ ، ولا يجبُ عليهِ شيء بإيجاب غيرهِ ، إذ لا سلطان فوق سلطانهِ ، فيوجب عليهِ ، ولا يَسع مسلماً مخالفـة هـذا التحقيق) .

وهذه الأحرف هي من دقائق قضايا العقيدة ، ومن نوادر الفهم الصحيح لها .

والقلوب المؤمنة ترى هذا النصر أقرب وأسـرع إذا تعـرضَ الـدعاة وصُـلحاء الناس لظلم ظالمٍ مستبدٍ ، أو جمهرة تطيشٍ ، وكان محمد بن مهران الكاتب قد قال قديماً :

(أنا منتظرٌ من نـصر الله ﷻ على هذا البـاغي وانتقامهِ مـن الظـالم مـا لـيسَ ببعيد ، وإنْ كان قومٌ مستدرجين بالإمهال فإنَّ وعد الله ﷻ ناجز ، وهو من وراء كلّ ظالم) .

وهـذا الموقـف النفسي هـو موقـف كـل داعـية كان في العـراق حـين أسـرف " **صدام** " ، فنجز الوعد ، وهو أيضاً موقف الدعاة في العراق اليوم في ظل ظُلمين : الاحتلال الأمريكي ، والنمط الغوغائي الشوارعي ، ونجزم بأنَّ الوعـد سـينجز ، وبئسَ مُعتقد المستعجل اليائس ، وقد سألني المبهور بتفـوق الـسلاح الأمريكـي : هل نأذن لأنفسنا بتخيّل هزيمتهِ أو تصور انكماشـهِ ؟ فقلـتُ : نعـم ، لأنَّ أفعـال

النفوس هي التي تحرك الحياة لا السلاح ، **والانتكـاس مُتـصور في غـرور القائـد العسكري أو الجالس في البيت الأبيض ؛ فيتخذ القرار الخاطئ ، تسوقهُ له النفس حين تزهو وتحيطها الخيلاء ، خلافاً لمفـاد الواقـع ومُعطيـات الحـساب** ، فتكـون المهلكة التي أهلكت " **نابليون** "و " **هتلر** " وغيرهما .

ثمَّ سأل آخر : **أيعود الغوغائي ضعيفاً وقد نهبَ أموال الدولة وسلاح الجيش وأخاف الناس بالقتل الانتقامي ؟ فقلتُ ثانيـةً أنْ** : **نعـم ، إذا تمـادى ولم يُـدرك وجود التحدي ونوازع الدفاع في أنفس الجمع المقابل إذا أفاق من دهشة المفاجأة فانتظم وجذبهُ عشق الحرية ودفعتهُ موازين الإيمان نحو إحدى الـحُسنيين !!**

ويؤكد فقه الدعوة صحة هذه الأطوار النفسية ، ثمَّ يذهب لمزيد عبر قناعة بأنَّ هذا الانشراح النفسي الذي يمنح المؤمن شعور الثراء وإن أملق .. والذي يُحـرك الحياة : يلزمهُ شعورٌ آخر مُـكمل له لكي تبلغ حركة الحياة درجة العنفوان وتمـام التحول والانتقال من حالٍ إلى حـال ، ويكمـن ذلـك في أنَّ هـذا الثـري المترفـع الطَموح عليهِ أنْ يثق بالناس ، **وأنْ يوقن بوجـود عـصبةٍ في كـلّ جيـل يمكـن أنْ تستقبل توجيهات الخير ، وأنْ تعضد المصلح وتنصرهُ** وتبذل معهُ وتقدمهُ وترضى بهِ زعيماً وقائداً ، وكلٌّ ذلك مفتاحهُ فهم الحديث الـصحيح الـذي (**رواهُ مُـسلم عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال**:(إذا قال الرجلُ : هلـكَ النـاس : فهـو أهلكُهم) .

برفع الكاف ، قال الحُميدي في الجمـع بـين الـصحيحين : وهـو أشـهر ، أي أشدهم هلاكاً .. ورويَ في حلية الأولياء في ترجمـة سـفيان الثـوري : فهـو مـن أهلكِهم، ورويَ : أهلكَهم – بفتح الكاف – أي جعلهم هالكين ، لا أنهم هلكوا في الحقيقة ، وهذا النهي لمن قال ذلك على سبيل الاحتقار والإزراء على الناس وتفضيل نفسهِ عليهم .. قال الخطابي : معنـاه : لا يـزال الرجـل يُعيـب النـاس ويذكر مساويهم ويقول : فسدَ الناس وهلكوا ، ونحو ذلك ، فإذا فعل ذلك فهو أهلكهم – أي أسوأ حالاً منهم –) .

فهذا الحديث وشروحهُ **أصلٌ من أصول فقه الدعوة** ، ويوفر الخلفية التعليلية لمذهب الإصلاح ، إذ فيهِ **إقرار واعتراف بأنَّ الناس على خيرٍ مهما سرى فيهم من عِرقٍ مريضٍ وأنواع من السوء** يضع لها المحصون أوصافاً رديئة ، لأنَّ الخلال السلبية تبقى مقرونة بخصال إيجابية توازيها ، من بقايا العزة والطموح والتحدي ، فيكون ارتكاز المُصلح إلى هذه البقايا سهلاً ، ينميها ويوقظها ، ثمَّ يشرع مع الاستجابة الأولى يعالج السلبيات والرداءة عبر تربية طويلة ، فيسل النفسَ من ورطاتها ، ويجلو سخيمة القلب ، ويحكُ الصدأ ، حتى يُطلق كل الخيريات من عقالها الذي حبسها من قبل تحت الوسخ ، ويجعل سباق الأرواح نحو المعالي شغلاً دائباً لها ، فيكون الإصلاح .

إلا أنَّ هذه الثقة التي تحكم تعامل الداعية مع الناس ويبديها لهم ما هي منحةٌ يمنحها لهم متفضلاً عليهم وممتناً ، ولا ينبغي أنْ تصاحبها مشاعر فوقية ، بل الناس ثقات بتوثيق الله لهم وإيداعه عناصر إيجابية في خلقتهم التي خلقهم عليها ، ولا ينافي ذلك ما يزعمهُ فقه الدعوة من وجود ضعفاء في الناس ، لأنَّ هذا الضعف المقصود إنما هو ضعفٌ وقتي مُعرض للزوال بالتربية والتزكية والنصح والأمر بالمعروف ، وتبقى خصال الخير المركوزة في أصل الفطرة هي مصدر التوثيق ، وهي معالمهُ الدائمة ، ويبقى الناس في دائرة التوثيق بتوثيق الله لهم .

❑ لبسُ السَمَل ... يُقرّبُ الأمل

لكنَّ هذا التوثيق للكتلة الإسلامية العامة لا يمنع انقسامها إلى درجات عديدة في الفضل ، لأنَّ الإيمان يزيد وينقص ، وله عمق وساحل ضحضاح ، فساغ الانتقاء والترجيح والبدء بالأثرى وشد اليد مع العابد الجريء ، والتمثل بما كانَ سفيان الثوري يتمثل به أن :

أبلُ الرجالَ إذا أردتَ إخاهمُ

وتوسمنّ أمورهم وتفقّدِ

وإذا ظفرتَ بذي الأمانة والتـقى

فبهِ اليدين - قريـرَ عينٍ - فاشْـــدُدِ

فتتحرى الدعوة أنْ تجمع الأمناء ، لا إهمـالاً لرجـال الكتلـة العامـة الرافلـة بتوثيق الله لها إذا نطقوا الشهادتين ، وإنما لتربية الأتقياء ومدهم بـالوعي ودروس التجارب ليكونوا " **قادة** " يقودون سواد الكتلة .

ووسطية الإمام الشهيد " **حسن البنا** " وشموليتهِ أصلٌ في هذه التربية ، وقد جمعَ الصواب من أطرافهِ يومَ وصفَ دعوتهُ بأنها " **طريقـةٌ سـلفية** " لنقـاء عقيدتـه مـن البدع ، وبأنها " **حقيقـةٌ صـوفية** " للتهجـد الـذي اختـارهُ لأصـحابهِ ؛ والـتلاوة ؛ والدعاء ؛ والتَّفكر ، فربطَ معاقد الحسنى ، وانتخبَ لخاصتهم " **مدارج السالكين** " منهجاً، فأتيتُ وهَذَّبتهُ وجَودتُهُ وأبرزتُ عـبر العنـاوين الجزئيـة أصـول المعـاني ، وجعلتهُ منهجاً لعامة الـدعاة ، ثـمَّ تَخيَّـرتُ نـصف استـشهاداتي في " **إحيـاء فقـه الدعوة** " من أقوال الفضيل وإبراهيم بن أدهم والجُنيـد وعبـد القـادر الكيلانـي ، ورَوَّجتُ " **الفقه النفسي** " الذي استنبطوهُ، فشاركتُ في طبـع الـصحوة الإسـلامية المعاصرة بطابع التزكية القلبيـة ، وأغريتُهـا أنْ تلتـزمَ المفـادات الحديثيـة ، معـاً ، فكملت ، وأصبحنا حين يتخرج الداعية من بين أيدينا نسمعهُ يتغنى بما اخترناهُ لهُ من أغاني " **السري الرفّاء** " ، ويدعو إلى منازل الرضـا والتوكـل والـستر والقناعـة ويقول :

أسْترْ بصَبرٍ خَلَـلكْ والبسْ عليهِ سَمَلكْ

وكُـلْ رغيفيك على الراحةِ واشـربْ وَشَـــلكْ

إذا اعترتـكَ فاقــةٌ فارحلْ برفقٍ جَمَلكْ

وآخِ في اللهِ وَصِـــلْ في ديــنهِ مَنْ وَصَلكْ

سُبحــــــانكَ اللهمَّ ما أجـلَّ عندي مَــثَلكْ !!

أنتَ حفيٌ لمْ تُـخِبْ دعــــوةَ راجٍ سَألـكْ

وهذه الأبيات ليست في ديوانهِ المطبوع ، بل هي مـن خارجـهِ ... وهـو خلـل المعيشة يريد ، والسَمَل هو الثوب الذي أبلاهُ الاستهلاك وطول اللبس، والوَشل: بقية الماء القليلة في الإناء ، وكم مـن فاقـةٍ أحاطـت بالـدعاة الأحـرار في صـورة تضييق مخابراتي وإغراء حكومي ، فطلبوا العفاف ، ورَحلوا جِمَالهم إلى أفقٍ بعيد يلوذون بالكرامة ولا يُعطون الدَنيةَ في دينهم ... وأنا الذي نقلتُ هذه الأغنيـة إلى مجتمع الدعاة ، وعشتُ عمري – بحمد الله –في سعةٍ وترفٍ وثوبٍ حسنٍ وطعـامٍ لذيـذ ، وكـانت أمي تـُدللني وتـُلـبسـني وأنا رضيـع أغـلى الملابـس من محلات " **أوروزدي باك** " الراقية ببغداد قبيل الحرب العالمية الثانية ، كما أخبرتني ، لذلك لم أعرف الأسمال طول حياتي ، ونسيت الأغنية حين دخلت السجن ، فلما طالت أيامي فيه وكنتُ أرفضُ ما يُفرضُ على الآخرين مـن ملابـس : صـارت أثـوابي أسمالاً مخرقة ، فرآها حارسُ السجنِ يوماً ، فأصابتهُ دهشة ، واسـتغرب ، وقـال لي : أنتَ الشيخ الشريف تكون هكذا ؟ وأجهشَ بالبكاء المرّ العميق ، وصارَ لـهُ شهيقٌ ونحيب ، وطفقتُ أنا أهون عليهِ الأمر وأسليهِ بذكر الآخرة ، ثـمَّ تـذكرتُ الأغنية فجأة ، وكأني لم أعرفها منْ قبل ، وصرتُ أترنم بـذكر الـسَمَل ، وعـشتُ لدقائق فخوراً فرحاً رافعاً رأسي كأني مَلِك يزهو بالـديباج والحريـر ، ولـو علـم رئيس الدولة بمشاعر الاستعلاء التي اعترتني لمنحني عرشه واستبدله بموقفي !!

والجاهل فقط هو الذي يغتر ويظن أنَّ لحظات العزة الإيمانية تدوم لهُ مـن دون استـمرار في بـذل الجهـد وملازمـة اليقظـة وفحــص القلـب وخـوف إلقـاءات الشيطان ، وإلا **فإنَّ الإيمان يتأرجح ، وبعد كـل فـرط في الجـدِ : فتـور ، وشـطر النفس : فجور** ، مما حملَ الفقيهِ ابن عقيل الحنبلي على أنْ يعظ ويصارح ويقول :

(**تسمع قولهُ تعالى : ﴿ وجوهٌ يومئذٍ ناضرة ﴾.. تهشُ لها ، كأنها فيك نزلت !!**

وتسمع بعدها : ﴿ ووجوهٌ يومئذٍ باسرة ﴾ فتطمئنُّ أنها لغيرك !!

ومنْ أين ثبت هذا الأمر ؟ ومنْ أينَ جاء الطمع ؟

اللهَ ... الله ... هذه خدعةٌ تحولُ بينك وبين التقوى) .

وبمثل هذا التوالي في المعـاني ، وانـدماجها وتكاملـها : نـستطيع أنْ نلبـث في الجانب الإيجابي إذا انتقدنا المجتمع ، ورثيناه ، وتأسفنا لمظاهر الضعف والجحود ، وضمور الخير ، وانتشار الشر ، مما هو حاصل في المجتمع العراقي المعاصـر مـثلاً ، وفي جميع أجزاء أمة الإسلام ، وللشعراء منذ القرون القديمة لسانٌ يتـألم ، وقلـبٌ يتوجع ، بسبب ظاهرة التناقص هذه ، وذهاب القدوات ، وبقاء الإمعات ، ومـن أفصح الواعظين بذلك الشهيد الأعمى جمـال الـدين الـصرصري الحنبلـي حـين يدعوك في بكائيتهِ أنْ :

نُح وابكِ فالمعروفُ أقفر رسمُهُ
والمنكر استعلى وأثر وسمُهُ
هذا الزمانُ الآخر الكدرُ
الذي تزدادُ شِرتهُ وينقص حِلمُهُ
وهتِ الأمانة فيه وانفصمتْ عُرى التقوى بهِ والبِّر أدبرَ نجمُهُ
والصالحون على الذهاب تتابعوا
فكأنهم عقدٌ تَناثرَ نظمُهُ
لم يبقَ إلا راغبٌ هو مُظهرٌ
للزُهدِ والدنيا الدنيةُ همُهُ
لولا بقايا سُنةٍ ورجالها
لم يبقَ نهجٌ واضحٌ نأتمّهُ

فجميع هذا الوصف صحيح ، والخطبُ كبير ، والزمان كدر ، لكنَّ هذا النوحُ والبكاءُ مفيد ، لما فيهِ منْ تسلية النفس وإزالة عوامل التخذيل عنها ، مهمـا طـال تعداد المظاهر السلبية في ناس آخر الزمان ، وذلك لأنهُ **بكاء إيجابي إصلاحي** لا

يبدد العزائم ، لأنهُ انتهى إلى استدراك صحيح جيد عبر الاعتراف بوجـود " **بقايـا سُنة** "و " **رجال سُنة** " بهما معاً يتضح النهج الذي ينتصب " **إماماً** " في الناس ...

فالمناحةُ ما كانت سلبية إذن ، وإنما هي اسـتفزازية ، وهـي مجموعـة تقريـرات واقعية صادقة دقيقة الوصف غايتها تثبيت معنى وجوب الترميم وتقويم المعوج ، وانتهى السرد الذي يوهم بالإحباط إلى تزكية رجال واقتراح منهج سُني ، وذلـك ما يترجمه اليـوم شـخوص " الحـزب الإسـلامي العراقـي " ومنظومـة واسـعة مـن الجمعيات وهيئات الإفتاء والـروابط والاتحـادات ، كمعـالم إيمانيـة تلتـزم الـشرع وتتعاون على إقرار " **منهج إسلامي عراقي** " ومشروع حضاري عريض يرمـي إلى إرجاع العراق إلى مكانتهِ القيادية الإبداعية في الأمة الإسلامية .

وموطن الأهمية في هذه المُقايسة : تـثبيت معنى الشخصية المعنوية الاعتبارية التي تنتصب قدوةً للناس يتحلقون حولها وتكون هي القائدة، فكلُّ عالمٍ وزاهدٍ ومُـصلح يمكن أنْ يكونَ قائداً منفرداً ، ويسوغ التعاون معه ، ولكنَّ التطـور الـسياسي يجعـل الحاجة إلى " كتلة قيادية " وارداً ، بل مُرجحاً ، بل حتمياً ، لما في ثنايا ذلك من إتاحـة فرصة تنفيذ خطة شاملة لنواحي الحيـاة كلـها مـن خـلال تقاسـم أدوار المختـصين والخبراء والمجربين ، من بينِ فقيهٍ وأديبٍ ومؤرخٍ وسياسيٍ ومقاتـلٍ مُجاهـد ورجـل أعمالٍ وإعلامي ومدرب إبداعي وتربوي وإداري ، وهو ما أتاحته الحيـاة السيـاسية بعد سقوط الظالم ، وشخصت أبنية قيادية جماعية إسلامية .

والمغزى المهم لانتصاب هذه " **الشخصية القيادية الاعتبارية** " أنها تتيح المواصلة والاستمرار على نفس الوتيرة إذا مات بعض رجال المسيرة ، أو غيبتـه الـسجون أو الهجرة ، وهي ميزة مهمة ، المفروض أنها تجعل شباب الصحوة الإسلامية أكثر ثقةً بـالمنهج والخطة ، وذلك هو مجمل المعنى الذي جعلتُ موت شـاعر الإسـلام الأستاذ " **وليد الأعظمي** " يشير إليه ، حين قلـتُ في رثائـهِ عنـد جنازتـهِ : أنَّ يـوم موتهِ ما هو يوم حزن ، وإنما هو يومٌ مـشهود مـن أيـام الإسـلام ، وأنَّ الحـشد لم يجتمع للصلاة عليهِ فقط وتوديعهِ ، بل لتأكيد العهد على المواصلة ، وعقد صفقة

المبايعة ، ورؤية بشائر صحة المنهج وفضائل الوسطية وجدوى الطريقة السلمية ، إذ غيرنا يجنح حين تمكن منه الغرور إلى وسائل الهدم والتوتير والاغتيال ، مما ليسَ في صالحهِ هو نفسه ، وتَقلبهُ موازين القياس الفطرية عند الناس إلى أنْ يكون في صالحنا مهما تضررنا إذا صبرنا ، **وهو التحالم الذي ما زال المنافس يرتكب الخطأ في فهمهِ ، فيوغل أكثر في الهجوم ، يظن الصبر ضعفاً ، وما هو بضعفٍ أبداً ، ولكنهُ حسن السياسة في امتصاص الصدمات والجري مع مفاد التخطيط الصحيح والمنهجية العقلانية في العمل ، والعاري عن الخبرة التجريبية من جمهورنا يخطأ بالمقابل أيضاً فيظن أنَّ أسلوبنا الانسحابي هو تراجع فعلاً ، وأنهُ دليل على قوة المُقابل ، ويذهل عن أنها خطة منا محسوبة مدروسة تريد مد الحبل للمعتدي ، ليتورط أكثر ، لتلتف عليه تراكمات أخطائهِ ، فيكون صوت الإنكار عليهِ عالياً ، فيخرج من الساحة ، وتهزمهُ الانتخابات ، وآثار القوانين ، وأجواء الحرية القادمة ، وأعمالنا المعرفية والتربوية الثقيلة في الميزان الاستراتيجي ، مهما أغرت المنافس شرارات اللهيب السريع الخمود في ظرف الاحتلال وغياب الدولة .**

لكنَّ هذه العاطفة التي استمددناها من مبادئ " **وليد** " والعقلانية التجريبية التي يلتزمها ، وتسابق أصحاب " **وليد** " : لا ينبغي أنْ تنسينا ضرورة عقلانية مكملة أخرى يمنحها لنا العلم الشرعي ، فهو سبيل القيادة إلى إدراك طبائع مواقفها ، وهو العاصم لها من ردةِ فعل لا يضبطها حساب ، وعثرةٍ عند العجلة ، وخدر عند الإبطاء ، وذلك هو السبب الكامن وراء سيل الوصايا القيادية لكل تابعٍ صاعد أن ... اقرأ ... واجلسْ بين يدي المشايخ ... وسَلْ ... واستفتِ ...

واطلبْ نفيسَ العلمِ تستأنس بهِ
فالعلمُ للطلابِ خيرَ مؤانسِ
وتتبع السُنن المنيرة واطّرح
مُتجنباً إفكَ الغوي اليائسِ

وكانَ العراقيون يتبعون " **إفك الغوي** " هـذا - مـع الأسـف - ، وآنَ لهـم أنْ يتوبوا وينأوا عن الغي بجانب ، ومـا كـانَ يلقـن النـاس غـير اللغـو ، ويعلمهـم العداوات وتجسس بعضهم على بعـض ، ففـسدت الحيـاة الاجتماعيـة ، وضـاق العيش ، وارتفعت البركة .. وتارة يكون " **الغوي** " حزباً عنيفاً ، أو توجهاً ثأريـاً ، وتكون النتائج : الهدم والإقلاق وتدمير النفوس ، ونخشى اليوم أنْ يتحول جمـال العراق إلى قُبحٍ ، وتكون تشوهات تستديم .

وليس سبيل الاستدراك غير اتباع " **السُنن المـنيرة** " كمـا رواهـا البُخـاري وأبـو حنيفة والشافعي ، واجتماع أهل هذه السُنن وتَكتلهم في كتلةٍ واحـدة ، والعمـل الإيماني لا ينطلق من شارع ، أو تترجمه هتافات حماسية، بل :

من جانبِ المحرابِ يَبدأ سَيرُنا

كما حددها " **وليد** " ، و " **المنابر السياسية الإسلامية** " إنما يصعدها ويفوه بالبشارة والنذارة من فوقها الداعية الذي أطال الجلوس دهراً تحتها في حلقةِ علـمٍ شـرعي يكتبُ فقه حديث رسول الله ﷺ على طريقة :

مَنْ خدمَ المحابر ... خدمتهُ المنابر

بلا زهوٍ شخصيٍ ولا خُيلاء ، ولكنَّ ترويجاً للبيان الإسلامي ، وصدعاً بالقول الجماعي، وشرحاً للإفتاء التشاوري ، وتوكيداً لقرارات الحزب الرباني ، كما قال الإمام أحمد - رحمه الله - :

(من أراد الحديث : خدمه) .

قال الحافظ البيهقي مُعقباً ، فيما رواهُ ابن مفلح عنه :

(قد خدمه أبو عبد الله أحمد بن حنبل ، فرحل فيـه ، وحفظـه ، وعَمِـلَ بـهِ ، وعلّمه ، وحملَ شدائده) .

والداعية المسلم اليوم ، الذي يريد أنْ يصون الصحوة بنـشر الحـديث النبـوي الكريم ، تلزمهُ " **خدمة منهجية متدرجة** " له ، أولها التعب في تحصيلهِ وحفظهِ ، ثمَّ تجميل سيرته بفحواه ، **ثمَّ أنْ يأخذ بمعاصم أقرانهِ ، يلتقطهم من أركان الـشوارع**

وساحات البطالة ، ويُجلسهم أمامه ، يلقنهم القول الكريم ، ثمَّ يقودهم كعصبةٍ زكيةٍ تأمرُ بالمعروفِ برفقٍ ، فتأتيهم محنٌ وشدائد ورصاصات ، كدأبِ الجُهال مع أتباع الأنبياء وحُماة الشرع ، فيصبر ويصبرون معه ، ويحمل الأثقال التي تنوء بها جمهرة ، فتطفق رحمة ربٍّ لطيفٍ تنزل عليـهِ ، وتغـشاه سـكينة ، هـو وصـحبه ، ويعلوهُ نورٌ ، هو ورَبعه ، فيميز الناس إشراقة الفقه وحـلاوة الثبـات ، ويأتونـه مهنئين يطلبون بسط الأيادي التي طال وضوؤها ، فتكون صفقة ، وتكثر عُصب الخير ، وتتأسس قبيلة خيرية ناهضة كان أولها مُبدع مُحلّق خدمَ الحديث .

ثمَّ " المعرفة " كلها خيرٌ لمؤمن عنده ميزان شـرعي ونَقـد ، فيأخـذ ويَـدع ، وإذا كانت بُندقية الثأري بيمينهِ ، فإنّا أودعناها الشمال ، وأيمَانُنا تحملُ " الأقلام " علـى المذهب الحضاري القديم الجديد ، لأنّا وجدنا " القلـم " كمـا وجـدهُ عبـد الله بـن المغيرة قبل أكثر من ألف عامٍ من بعد أنْ أقسم اللهُ بهِ :

(يخدم الإرادة ، ولا يملُّ الاستزادة ...

ويسكتُ واقفاً ، وينطقُ سائراً ...

على أرضٍ بياضها مُظلم ، وسوادها مُضيء) .

وهذه بلاغة آسرة ، وعواطف مولع بالعلم والأدب وأنواع المعارف ظل يتمعن فيها وبعلامات فضلها حتى نطقت لهُ مناقبها ولقنتهُ أنسابها ودلائل صفاتها ، فإنَّ العلـم إرادة وتـصميم وعـزائم تتفجـر مـن دواخـل أصـحاب همـم الـصعود والاقتحام ، فليست تملك الأدوات إلا الانقياد والطاعة والخدمة إذا طمعَ صـاعد في زيادةٍ وعلو ، وشرف المعرفة يترك بياض الأوراق إذ عجـز عـن إيطـاء نفـسهِ لتلقّي لؤلؤة المداد المضيئة بعد اللؤلؤة : حزيناً كالحاً ، ويودع في خطوط الأحبار أسرار الأنوار ، فتشع وتومض ، تغري النفوس الرفيعة بالجذاب ، ليبدأ من عند بريقها الارتقاء .

و " الحزب الإسلامي العراقي " يميز مناقب الأقلام تمييزاً واضحاً ، ويعرف قيمة العلـم ، وآثـار لمعـات أنـواره ، فرفـعَ نفـسهُ أنْ ينـافس في الـسوق المـوسمي

الاستهلاكي ، والتزمَ نمطاً من النظر الاستراتيجي البعيد في إصلاح العراق ، عبر إنماء المعرفيات واللمسات الحضارية ، يريد أنْ يبذلها لأعضائهِ وجمهورهِ ، في عملية بنائية تربوية طويلة المدى ، ليعيد تكوين الفكر العراقي بالغوالي والنفائس والأداء المنهجي ، ويحول العراقي عن رخيص بضاعة السياسة والأحزاب .

وقادة الدعوة يهيبون بشباب الصحوة الإيمانية أنْ لا يُرخصوا أنفسهم وأوقاتهم لتذهبَ بدداً في ردود الأفعال ، بل يدعوهم ليوقنوا معهم أنَّ طرائق الاغتيال التي يواجهونها خفيفةٌ جداً في موازنات الترجيح السياسي البعيد المدى ، وأنها ستذهب ويبقى العلم والعمل الحضاري ، وسيرجع الاغتيالي الموسمي النظر بالوزر وملامة أشراف الناس والنبلاء والمثقفين والأحرار والعُقلاء وشيوخ العشائر ، في جنوب العراق ووسطهِ وشمالهِ ، ونرجعُ بالأجرِ والحمدِ وحسن الثناء والتأييد والتعضيد والأصوات الانتخابية والتمكين والتفاف الأخيار حول رايتنا الخضراء ، راية "**المنطلق**" الراسخ ، واجتياز "**العوائق**" من عندِ وادي "**الرقائق**" ، الموازي لاستقامة "**المسار**" ، قرب "**منهجية التربية**" ، بعد "**مدارج السالكين**" "**نحو المعالي**" ، وفي مركز "**صناعة الحياة**" ، وبؤرة "**أصول الاجتهاد**" التي تكشفها "**مناقب أبي هريرة**" * وفضائل جميع الصحابة البررة ﷺ الذين أبعدوا القيصر القصير الهمة عن قصرهِ ، وكبتوا شعوبية كسرى الكارهة للعرب .

ولقد كانَ من شأن "**إحياء فقه الدعوة**" خلال ثلاثين سنة : النأي عن التقليد ، والتلّقي الجامد ، واتخذت حملة الإحياء لها "**الإبداع**" وسيلة تربوية ، على أمل تفجير الطاقات الاجتهادية الكامنة في دواخل الدعاة ، وهذا ملحظ امتيازي إيجابي آخر يتيح تفوقاً آخر لشباب يبتغون التطور عبر الخضوع للمنهج التربوي ، ومفهومنا للإبداع أنهُ ما هو مُرسلٌ حرٌ عائم في كلّ أحوالهِ وأصنافهِ ، بحيث يُبديهِ كلّ أحدٍ ذكيٍ أو منْ يشاء الابتكار والتجديد ، وإنما هو يحتاج الرقابة أحياناً ، والتراثية القديمة ، في أحايين أخرى ، أو الانتساب إلى ريادي سابق ، أو الاقتفاء

* كل هذه هي عناوين كتب للمؤلف شائعة .

على سَـنن مجتهد يُبرم وينقض ، أو التمحور حول مركز يضبط استدارات الرؤى في التفافاتها الخاطفة ، وتلك هي قاعدة أبي حنـيفة في فهمـهِ لمخـارج الإبـداع ، فإنهُ :

(قيل لأبي حنيفة : في مسجد كذا : حلقة يتناظرون في الفقه .

فقال : ألهمْ رأس ؟

فقالوا : لا ..

فقال : لا يفقهونَ أبداً) .

فالإبداع مدارُ الفقه ، وهو في مذهب أبي حنيفة لا يظهر بين أهل طبقة واحدة يتساوون ، وإنما الاحتكام إلى مرجح ضرورة ، والاستنجاد بمنْ يفهم روح النص وفحواه ومعناهُ الخفي لازم ، وقد يُـدرك النظـراء أصـل الأمـر بعـد طـول عنـاء وتقليب وجوه الأمر مئين مرات ، لكن تدخلات الأستاذ تختصر الطريق ، فيكون صعود المبدعين أسرع ، ثمَّ أسلم .

وحينَ لا يكون عدد الأساتذة كافياً : تنوب عنهم المؤسـسات الجماعيـة الـتي تتراكم فيها مع الأيـام عوامـل تكـوين الشخـصية المعنويـة الاعتباريـة لهـا عـبرَ ممارساتها العلمية والسياسية والاجتماعية ، وذلك ما يُفصح عنـهُ حـال الـدعوة اليوم تجاه رجال الصحوة الإيمانية في العراق وجمهرة التائبين من متابعة الأحزاب الظالمة التائهة الأخرى ، والحـزب الإسـلامي يتـصدر في الـساحة العراقيـة الآن كشاخص واضح يرمز إلى معاني الأستاذية الفكرية والتجريب العملي والإصلاح الاجتماعي والمبادرة الإغاثية والعواطف التحررية الجهادية ، وصار محوراً تـدور حوله محاولات الإبداع الفردية التي تريد أنْ تثري المسيرة وتضيف لبنة إلى البناء ، والنجاح الدعوي المتعاقب المتكرر في كل ذلك يغري طبقات واسـعة مـن طلبـة العلم الشرعي ؛ وأساتذة الجامعات ؛ والمهندسين ؛ والأطباء ؛ وعموم الخريجين ؛ والموظفين ؛ والطلاب ؛ وأبطال العشائر ، ونبلاء العوائل ، ورجال الأعمال : أنْ يدوروا في مدار الحزب وعلى قربٍ منهُ طمعاً في أنْ تكون حـركتهم الموازيـة لـهُ

سبباً في إثارة إبداعهم ومواصلة عطائهم وتفجير نخوتهم ، وما ذاك إلا لأنَّ الكتلة الفكرية والتجريبية التي يملكها الحزب قد أقامته مقام الأستاذية الجماعية الـتي لا تنتسب إلى فرد بل إلى جمهرة دعاتهِ العاملين في كلّ أجيـالهم ، حتـى مـنْ مـضى وماتَ منهم تظلُّ وصاياه حية تعظ الرهط الجديد .

□ وكلُّ أمرٍ إذا ما ضاقَ ... يتسعُ

لكن لكي تؤثر الموعظة ، وتظهر فضائل الأستاذية ، ويجد الإبداع لـهُ شـارياً : ينبغي أنْ يسود التحالم ، ونتعلم الصبر المديد المستطيل ...

فما تجرّع كأسَ الصبرِ مُعتصمٌ
باللّهِ إلا أتـــاهُ اللّهُ بالفـــــــــرجِ

ومنْ يقرأ التاريخ يُدرك أنَّ الحالات متعاقبات ، ولا يـؤذن للـشدة أنْ تـدوم ، ولا للمعتدي أنْ يتربع في المرابع الخضر ، وأبو محجن الثقفي يعلمك أن :

إذا اشتدّ عُسرٌ فارجُ يسْراً فـإنـهُ
قضى اللّه أنَّ العـــسرَ يتبعهُ اليسرُ

وأساس ذلك : أنْ نتقـصد صـناعة الوضـع الـسلمي مهمـا اشـتدت عرامـة الانفلات الأمني ، لأنَّ البلد هو الضحية ، وبلدنا محتلّ مستعمر ، يحتلـهُ أميركـي يريد أنْ يتحرش بكلّ أمة الإسلام إذا نجح في ترسيخ قدمه في العراق ، والعمـل على إجلائهِ واجب شرعي وأداء سياسي ونظر مـصلحي ووفـاء لميثـاق الحريـة العالمي .

ونعظ المظلوم أنْ لا يجهل فوق جهـل الجاهلينـا ، وأنْ يـبرأ مـن زعـمَ بعـض المعلقات العشر ، ليُتاح لهُ أنْ يعيش " **في ظـلال القـرآن** " الناصـح بأخـذ العفـو ، وإفشاء السلام ، ونحنُ على يقينٍ من أنهُ :

قدْ يمكث الناس دَهراً ليس بينهمُ
ودٌ فيَزرعهُ التسليمُ واللطفُ

وقد لا نسمع جواباً لتحيتنا الأولى ، فنُثني ونُثلث ونُلح ، ثمَّ نبالغ في اللطف ، حتى تمتد يد المقابل بالمصافحة ، لا عن ضعفٍ وهوان ، بل العزة لكلّ مؤمن ، ولكن تحقيقاً لشرف " **الإسلام** " الجامع ، كما قال الواعظ القديم :

(إنَّ اللهَ – بحمدهِ – نزّه الإسلام عن كلّ قبيحة ، وأكرمهُ عن كلّ رذيلة ، ورفعهُ عن كلّ دنيئة ، وشرّفهُ بكلّ فضيلة ، وجعلَ سيما أهله : الوقار والسكينة) ۞ .

لا التنافس والتقاتل وتبادل الاغتيال ...

ومن نعم الله أنْ أضاف إلى شرف هذه الفضائل من النصوص القرآنية والسُنية وجمهرة معانيه العوالي : شرفاً ثانياً مُكملاً يكمنُ في كتلة التاريخ الإسلامي الناصع البياض ، وما في هذه الكتلة من انتصارات ، ووقفات مع الحق ، وسِيرَ أبطال ومصلحين وفقهاء وزُهاد وذوي عدلٍ ورحمةٍ وخيريات وسلوك حضاري رفيع ، حتى أصبح الانتساب إلى الإسلام ملاذاً لمنْ ليس لهُ عنوان ، وسبب زيادة في الجاه لمن وهبهُ الله إحساناً فاحترمهُ الناس ، بل وأصبح الإيمان الضابط المنهجي الذي يمنح الموزونية والاستقرار لكلّ من تتحرش به الفوضوية وأنماط الارتجال ، حتى تخرّجَ من مدارس التوكل والإخبات والتوبة رجال من صُناع الحياة لهم رسوخ موقف ، وقوة منطلق ، وعمق تفكير ، وسلاسة منطق ، ومقايسات

۞ الأقوال والأشعار المنسوبة إلى السلف الصالح والتي استعانت بها هذه الرسالة ، كلها منتقاة من كتاب (الآداب الشرعية والمنح المرعية) لابن مفلح الحنبلي تلميذ ابن تيمية ، وهي حسب تسلسل ورودها في هذه الرسالة في الصفحات الآتية من كتاب الآداب الشرعية :

٣/ ٣٣٠، ١/ ٥٦، ٣٦٩، ٣/ ٥٨٥، ١/ ١٩٤، ٣/ ٤٨٠، ١/ ٥٢، ٣/ ٣٨٨،٥٨٧، هامش١/ ١٣٨، ٤٠٥، ٣/ ٤٤٦، ٥٧٣، ١/ ١٧١، ٣/ ٦٠٢، ٦١٢، ١/ ٢٣٨، ٤٠٠، ٣/ ٣٩٧، ٢٩٥، ١/ ٤٠٦ .

صحيحة تدعهم يعرفون نتائج خططهم إذ هم مـا يزالـون عنـد الخطـوة الأولى ، **وقادة الدعوة الإسلامية اليوم يريدون أنْ تقرّ أعينهم بإنصاتٍ يُبديـهِ كـلّ صـاحٍ ويضيفُ لهُ حزماً ، ليقرر الانتساب الواضـح لهـذا الـرهط الإيمـاني ، لتتواصـل المسيرة ...**

نعم ، إياكَ أعني أخيّ ...

لتأتي إلى دارنا ومقراتنا ...

تدقُّ أبوابنا ...

وتنتسبُ لنا ...

نحنُ رهطُ الإصـلاح

والســـلام

والأمـــن

والسياسة

والجـــهـاد ... ❑❑❑



جرحى الأميركان ... يتساقطون تباعاً

عالي گُمَرْنه .. گُمَرْنه عالي

حُوته ... يا مَنْحوته
رِدّي گُمَرْنه العالي
وِچّان مَتْرِدِّينه
لَضُرْبچِ بْسِچّيْنَه

أُغنية قديمة مشهورة من أغاني أطفال بغداد عند كل خسوفٍ للقمر

في التراث العراقي الشعبي

وكما يأكل ظِلُ الأرض القَمَر البدرَ في الخسوف

فإنّ ظِل العولمة الثقيل أكل العراق

لكن بعد كل خسوفٍ انكشافٌ وجَلاءٌ ويعود البدرُ تاما

فإن لم يدرك الحوتُ المنطق رغم النحت والصقل والجلاء:

نطق الحديد

في ظلال نـخل العراق العالي

وتلك هي معجزةُ النفس المؤمنة حين أودع اللهُ فيها عُشقَ الحرية

وذلك هو دأبُ شباب العراق الأحرار عند كل خسوف

❑❑ بسهولةٍ وبفرحٍ واعتزاز : يستطيع كل مؤمن في أي قطر من أقطار الأمة الإسلامية أن يدرك **وفرة النتائج الإيجابية الناجحة التي حققها الجهاد العراقي ضد الغزوة الأميركية** ، وأهم ذلك : المعنويات التي ارتفعت لدى أبناء الأمة ، بل وأحرار العالم أيضاً ، بحيث أنهم أصبحوا على عقيدةٍ راسخة **بأن المستضعفين يمكن أن يصاولوا الجبروت الأميركي** ، ولئن كان للجهاد الفلسطيني البطولي أثر مثيل ولهُ فضل السبق ، **فإن الجهاد العراقي استطاع تسجيل نقطة تميّز في أن معركتهُ إنما هي معركة أتت وفق المواصفات القياسية العالمية العامّة** ، بينما الجهاد الفلسطيني يبقى مربوطاً إلى خصوصيةٍ واضحةٍ في القضية الفلسطينية مردُها أن العدو يهودي ، ولهُ خطة شاذة عن العرف العالمي ، ويتحرك مستدعياً مشاعر وعقائد ذات عمق تاريخي موغل في القدم ، ومعنى ذلك أن هذه الخصوصية الفلسطينية غير قابلةٍ للتصدير إلى بلدٍ آخر ، ومن ثمَّ فإن التجربة الجهادية الفلسطينية لا يمكن أن تقلّد ، إلا في بعدُها العاطفي ربّما ، بينما **التجربة الجهادية العراقية يمكن أن تكون عالمية المدى ويستعيدها الأحرار في كل مكان ، والمسلم منهم بخاصة** ، وهي أولى من فيتنام مثلاً أن تكون نموذجاً لإصرار الشعوب على التحرر .

✦ عندما يُبارك الله انطلاقة الهمم

● نستطيع أن نقول في حُكمٍ إجمالي : **إن المقاومة العراقية على العموم قد حققت غاية رئيسة من غاياتها تتركز في إضعاف قدرة أميركا على المضي في خطتها** التي رسمتها سابقاً لاحتلال أجزاء أخرى من المنطقة ، مثل سوريا وإيران ، وربما السعودية ، **وبهذه الصفة أصبحت القضية العراقية بسبب إنجازات المقاومة قضيةً مركزيةً للأمة الإسلامية تسير بموازاة قضية فلسطين المركزية ، ومن**

اللائق أن نتذكر أن أميركا كانت تراهن على إنهـاء المقاومـة العراقيـة بـسرعة ، ولكن الأيام أثبتـت عكس ذلك ، والذي هو قريبٌ من أوسـاط المقاومـة يـدرك أنها في توسع وتمشي نحو ترشيد خططها ، لكن التعتيم الإعلامـي الـذي تمارسـه أميركا عبر الضغوط الشديدة على القنوات الفضائية تجعـل البعيـد يظـنُ وجـود فتورٍ وهبوطٍ في الزخم القتالي ، ومن أظهر الأدلة على اشتداد سـاعد المقاومـة : معركة الصقلاوية المظفرّة يوم ٦ / ٩ / ٢٠٠٤ م التي أعلنت القيادة الأميركيـة أن قتلى المارينـز فيها كانوا سبعة والجرحى ثمانية ، والحقيقة أضعاف ذلك ، وكانت حوادث أخرى عديدة في نفس اليوم في أماكن متعددة قد أدّت إلى مقتـل وجـرح الكثير من المارينـز ، وتدمير المصفّحات وصهاريج الـنفط .. فهـذه الأحـداث في يومٍ واحد **تبرهنُ على امتلاك المقاومة لأذرع قوية** ، وتماثلها الخسائر الأميركية في نفس تلك الأيام في اللطيفية ، وفي الموصل ، وليس آخرهـا تـدمير أربـع دبابـات ثقيلة في شارع مطار بغداد يوم ١٨-٩-٢٠٠٤ ، وقبلها بأيـام شـهدت الرمـادي أعنف المواجهات ، وخسر المارينز العشرات ، ومنهم قائد برتبة كبيرة .

✤ ضرورة التنظير والرؤية المنهجية لسياق الجهاد

● إن هذه التقويمات الجزئية والأحداث تميلُ بنا إلى أن نعتقد ضرورة " **صـياغة نظرية عامّة للمقاومة الجهادية العراقية** " ، نـُبدي من خلالها ارتباط حيثيات أعمال المقاومة المتنوعة بعضها ببعض ، وما هناك من سلبٍ وإيجاب ، وتطورٍ وتعويـق ، وما هو أهم من ذلك من بيان **وجوب تكامل أنواع الأعمال غـير القتاليـة ، مـن سياسة إعلامية وفكرية ، مع العمل القتالي** ، وما ها هنا في هذه الرسالة إنما يخرجُ مخرجَ المحاولة التنظيرية لأعمال المقاومة العراقية ، ومن المفيد جداً أن ينتدب أحـد الدعاة الوعـاة نفسه لتــطوير هـذه الرسـالة الأوليـة إلى كتــابٍ موسّـع وبحـثٍ مستفيض ، عبر الشرح وذكر الشواهد والأدلّة الـتي تـشهد لكـل زعـمٍ نزعمـه ، والقيام بعملٍ توثيقيٍ لأطـراف وتفاصـيل القـضية ، ثـم إضـافة أشـياء وحقـائق نسيناها وذهلنا عنها ، مع تقويم ونقـدٍ ، ورصـد ظـواهر وتحليلـها ، ربمـا تحتـاج

صراحة لا نملكها ولا يأذن بها ظرفنا الخاص ، وإذا صدر مثل هذا الكتاب فإنهُ سيكونُ منبع إيجابيات كثيرة تؤثر في سلوك المجاهد وطريقة تفكيره ، كما **أن حيثيات هذه الرسالة ستكون يوماً ما كتلةً مفيدةً لكل مؤرخ وقيادي يريد تحليل التجربة** ، فإن مثل هذه الخواطر والالتفاتات والتبويبات قد ينساها بعد بضعِ سنوات من يحتاجُ لها لترشيد خطوات لاحقةٍ له ، ولكن عملنا هذا في حفظها وترتيبها يمكن أن يكون في عِدادِ التدوينات التاريخية المفيدة ، والكتاب المقترح الموسّع أجدرُ عندئذ أن يحوز هذه الصفة التاريخية إضافة إلى ما سيكون فيه من كمٍ كبير من فقه الدعوة والجهاد ، **وهذا النمط الذي نحاول من خلاله وضع "نظرية عراقية لدفع الاحتلال" : نحسبه جديداً في ساحة الفكر السياسي والجهادي ، وهو بهذه الصفة يعتبر إبداعاً أوحت به سجالات الحوار الدعوي** ، واستجابةً لحاجة ربما كان يشعر بها كثير من المجاهدين من دون أن يجدوا تخريجاً وسياقاً وصفياً وتقعيدياً .

ومن هنا ننتظر أن تكون هذه المحاولة المختصرة محوراً تدور حوله إضافات مشابهة عديدة يبديها الدعاة المجربون ، وأن تكون أساساً لهذا التنظير المهم الذي شعرنا بأن افتقاده كان يمثل نقصاً في الأداء الجهادي ، وإنما نستنبط ذلك من خلال تجارب المفكرين والساسة والشعوب والأمم في التنظير لكل أمرٍ مهم رئيس ، **إذ في التنظير منحٌ عديدة ، وهو الكفيلُ بأن يُطلع أهل كل شأن على منظر شمولي لساحة شأنهم ، فيرون الثغرات والنقص عبر اكتشاف منطق التسلسل وتتابع القضايا الجزئية** ، فإذا لاحظوا انقطاعاً في موطن ما : أدركوا وجوب سده واكتشاف نوعه من دون أن يأذنوا لأنفسهم بقفزٍ ، كما أن هذه الإطلالة الفوقية تمكنهم من إعادة ترتيب الأولويات حسب أهميتها الموضوعية ، إذ ربما تكون الأولويات قد رتبت حسب تاريخ حدوثها وتسلسلها الزمني لا الموضوعي ، **وتبقى منافع التنظير أكبر من ذلك ، إذ هو علم خاص ضمن علوم المنهجية ، والماهر فيه يستطيع أن يكتشف عبر مناقلات بقلمه على ورق مجرد إذ**

هو في مكتبه يتأمل ويفكر ما يقربهُ من الصواب ويعفيه من أن يقدم ثمناً تجريبياً عملياً قد يصل إلى تفجير دماء أو هدر أوقات موسم كامل ، ومن ذاق التنظير : عَرف مغزى هذه الإشارات ، والمحروم المستغرب لها نغريه عبر مثل هذه المحاولات أن يتخذ التنظير حلاً أساساً لأنواع إشكالاته ، ومن جرب مثل تجربتنا : عرف مثل معرفتنا .

✦ المفاصل السبعة المتكاملة لبناء المقاومة

● وليس من اللازم أن يكون جزء التنظير أو المفصل من مفاصله واضح الدلالة والارتباط كعملٍ يريد صاحب القضية أن يبادر إلى إنشائه ضمن سياق تكوينات القضية التي يريدها ، فهذا هو الأصل ، ولكن يمكن أن تكون بعض مفردات القضية هي من أفعال الطرف الآخر الذي نعامله ، أو هي تشكل ظرفاً وبيئةً محيطةً ، وبذلك يكون نوع تعاملنا ورد فعلنا مفصلاً أيضاً من مفاصل تنظير القضية ، ومن أمثلة ذلك في تنظيرنا للجهاد العراقي أن مبحث نقاط القوة أو مبحث الإسناد العالمي المطلوب هما مفصلان واضحان ، لكن مبحث نقاط الضعف الأميركي مثلاً هو مفصلٌ غير واضحٍ باعتباره تقريراً لصفة العدو ، إلا أن ما ينبني على حقائق الضعف من خطط نستثمرها لصالح الجهاد يجعل المبحث من جملة مفاصل التنظير ، فليفهم الداعية هذا المنحى جيداً ليزول عنه الإشكال الموضوعي ، ولتظهر عنده عَبْر التنظير كُتلة الأفكار الجزئية والأحداث التفصيلية كتلةً منسجمةً في تتابعها وترتيبها .

والذي يتوصل إليه توجهنا الأوّلي **أن " نظرية دفع الاحتلال " يمكن التعرف عليها عبر سبعة مفاصل رئيسة هي** : نقاط قوة المقاومة ، وحاجاتها الناقصة ، والتعويق ، ومواطنُ الضعف الأميركي ، ومظاهرُ فداحة الظلم الاستعماري ، وطرائق الإسناد المحلي والعالمي للمقاومة ، وأخيراً : المرونة المطلوبة من المقاومة مقابل بعض الحقائق المستجدة ، ومن مجموع حيثيات هذه المفاصل السبعة نأمل أن تتولّد رؤية إستراتيجية شمولية لقضية الاحتلال والمقاومة ، ونأمل أن

تتوازى مع هذه الرؤية كتلةٌ أخرى من المنطق السياسي والمنحى التخطيطي والفقه التجريبي سيجد الداعية بعض تفاصيلها كامنةً في ثنايا الحيثيات المبحوثة ، وتلك من عطايا الخروج من الصمت إلى البوح والتعبير ، فإن في كل خواطر المؤمنين ، بركة ، ولربما يكون ما يتلقاه المؤمن من فوائد جانبية لم يكن يحسبها ما هو في مقداره مثلُ الفوائد الرئيسة التي كان يقصدها .

✤ مظاهر قوة المقاومة

● أول ما يشدُّ الانتباه : أن المقاومة تمتلك نقاط قوة عديدة تمكنها من الاستمرار والنجاح وبكفاءة جيدة ، وأنه أُتيح لها ما لم يتح للثورات الاستقلالية الأخرى التي اُضطرت لتحريك الشعوب الساكنة بعد مدة من خضوعها للاستعمار ، **فقد جاء الرد الثوري مباشرة بعد الاحتلال من غير فاصل زمني ، بسبب توفر المعطيات والوسائل** ، وأهم هذه الإيجابيات التي كانت في الابتداء أو التي أفرزتها استمرارية المقاومة هي :

✤ نثروا له السيوف .. فاختار الصمصامة !!

● (١) **توفر السلاح الكثير في أيادي المقاومين من بقايا سلاح الجيش العراقي الواسع عدداً والمتخم بالتسليح الخفيف تبعاً لاعتماده الكبير في حروبه السابقة على جنود صنف المشاة** ، الذي كانوا أكثر من نصف مليون جندي مشاة – عدا جنود الدروع والمدفعية والصنوف الأخرى – ، وهذا يعني أن الحرب الأميركية وهزيمة الجيش العراقي وانحلاله قد تركت مئات ألوف من بنادق الكلاشنكوف في أيادي الشعب ، ومثل ذلك من قذائف RPG الخارقة للدروع ، ومثل ذلك من الألغام ، وألوف الصواريخ الصغيرة ، كل ذلك وقع بأيدي الناس ، فمنهم من أدخره للمقاومة ، ومنهم من رصده للبيع والمتاجرة ويبيعه بثمن مخفضٍ لأي مجاهد ، **وهذا جانبٌ إيجابي توفر أول يوم لبدء المقاومة ، ولا تجدُ كتائب**

المجاهدين مشكلةً في التسليح كالتي جابهتها ثورة الجزائر مثلاً ، بل يملك الشعب العراقي عدداً كبيراً من المهندسين الذين يستطيعون تقديم خبراتهم في تطوير السلاح وتحويره لما يناسب طبائع معارك المقاومة ، حتى مدافع الهاون وقذائفها من عيارات مختلفة كانت وما تزالُ متوفرة ، بل قد حصل إطلاق صواريخ ثقيلة على مطار بغداد وقواعد أخرى ، بل أكثر من هذا فإن بعض تكنولوجيا الغازات السامة التي امتلكها صدام أيام حربه مع إيران يُمكن أن تتسرب إلى بعض المجاهدين ، وكلُ ذلك يعتبر نقطة ترجيح متميزة ، وبخاصّة إمكانية استعمال الغاز السام ، لأن الإدارة الأميركية ربما تُفكر في أحد حلولها أن تسحب جيشها من شوارع بغداد والمدن وتظل قابعةً في قواعد خاصة بعيدة تتيحُ لها التدخل المستقبلي عند الحاجة ، ولكن سمعة الغازات تقذف في قلبها الرهبة ، واليوم تكاد أن تكتمل عمليات إنشاء أكثر من عشرين قاعدة عسكرية أميركية في العراق فيما يُقال نقلاً عن بعض المهندسين ، لكن السؤال ما دام يجثم على صدور الإدارة : هل أن بإمكانهم إسكان جنودهم فيها أم أن الغازات ستلاحقهم ؟ !

❖ رُبّ حامل فقهٍ وسلاح لأفقه منه وأشجع

● (٢) **توفر سلاح آخر على شكل إمداد لبعض فصائل المقاومة أو غيرها من ميليشيات الأحزاب الشيعية وغيرها يأتيها من إيران وسوريا** ، وهذا وإن لم يستفد منه المقاوم ولا يعطى له مباشرة إلا أن فصائل المقاومة الجادة تستطيع شراءه بسهولة وبثمن معتدل من الذين يصل لهم ، فهو إذاً طريق **تسليح غير مباشر ، لكنه فاعلٌ ومكافئ** ، والحال أشبه بما كان أيام أفغانستان حين كانت أميركا تعطي السلاح الوفير إلى فصائل صغيرة موالية لها من أمثال (مُجددي) ، فيبيعه بدوره إلى الفصائل الفاعلة أمثال (جماعة حكمت يار) ، ودور إيران هو الأكبر ، والمخابرات الإيرانية استطاعت توزيع الكثير من السلاح الخفيف والديناميت والألغام .

⁜ هزلت الحياة ... فجَرَّ الجهاد

● (٣) ولكن ما هو أعتى من الألغام المتفجرة : الألغام البشرية العراقية ، وذلك أن الحروب العديدة التي خاضها العراق ، **ثم الحصار القاسي** : كل ذلك **قد سحق العراقي سحقاً ، ودمّرهُ نفسياً ، وحرمه لذائذ الحياة ، وركنه إلى بطالة مهينة ، وإلى تأخر زواجه ، وصعوبة بناء داره ، فأصبح العراقي قنبلة موقوتة ، أو قنبلةً تنفجر بأدنى ضغط آخر ، وصار الموت مألوفاً ، والحياة رخيصة ، ولما أضيف إلى ذلك عامل التحدي السياسي لمستعمر غازٍ ظالم ، ثم حصلت صيحةٌ إيمانيةٌ تستعيدُ الركاز العقائدي : أسرعت أعداد كبيرة من العراقيين إلى الانتماء إلى صفوف المقاومة** ، وصارت تتسابق وما زالت ، حتى أصبح هناك بين العشائر تنافسٌ وتفاخرٌ : أيها أثخنَ في العدو أكثر ؟ وهذه نقطة تميز أخرى ، **إذ ليس هناك في التجنيد إشكال** ولا في الرفد والمدد ، وذلك عامل حيوي في إدامة المقاومة واستمرارها ، **يقابله خوفٌ وهلعٌ لدى الجندي الأميركي** المسترزق ، وكم من عراقي رأى ثلاثة سيارات من نوع (هَمَرْ) محشورة بالمارينز ، فيضربُ مجاهدٌ إحداها بسلاح RPG فتفرُّ الثنتان ولا ينجد المتورطين أحد إلا أن تأتي طائرة هيليكوبتر بعد وقت .

⁜ مَدَدٌ أصيل ... من غائبٍ حاضر

● (٤) **وأخطأت الإدارة الأميركية خطأً عظيماً في هذا السياق حين أقدمت على حلّ الجيش العراقي وتسريح قطاعاته وضباطه وأفراده ، فإنها قدمت بذلك عناصر كثيرة من الضباط الـمُدَرَّبين تدريباً عالياً ليقودوا قيادة ميدانية الكثير من العمليات الجهادية** ، حتى ولو كانت القيادة السياسية لفصائل المجاهدين مدنية ، ويظاهر الضباط ويعينهم أيضاً عدد كبير من ضباط الصف والفنيين الذين يتقنون استعمال السلاح ، بل حتى عامة الناس كانوا قد لبثوا في الجيش سنين طويلة عبر الخدمة الإلزامية أثناء الحروب واستوعبوا الدروس الحربية عبر معارك طاحنة في

الحرب الإيرانية بخاصة ، وكل ذلك يبدو أنه **لم يكن في حساب المخطط الأميركي** ، إذ ما عسى أن يكون من نقص في مقاومة مثالية إذا توفر الضابط المدرب الكفوء ليقود ، وإذا توفر الجندي الذي خاض من قبل المعارك الكبرى ، أو إذا توفر العاطل الفقير الذي أرهقته المعاناة والحصار وصار لُغماً ينفجر مع أول ضغطةٍ يضغطها ضاغطٌ عليه ؟

إن أميركا خسرت نصف معركتها مع المقاومة بغفلتها عن هذه الحقائق الغريبة التي ليس لها مثال في حروب الاستقلال الأممية .. نعم : استفادت الثورة الجزائرية من ثلة من الضباط الذين خدموا في الجيش الفرنسي أثناء الحرب العالمية الثانية ، مثل (ابن بلاّ) وأصحابه ، لكن أولئك كانوا ثلةً صغيرة ، وأما عدد الضباط الذين سرحوا من الجيش العراقي فهم عشرات ألوف ، ولو أراد تسعة من كل عشرة منهم أن يقاطعوا المقاومة وعاونها واحدٌ فقط لكان في ذلك قيام الجانب القيادي الميداني تاماً ، **وذلك هو عنصر تفوق استراتيجي للمقاومة لات حين استدراك الأميركان عليه** مهما أغروا جيلاً واسعاً من الضباط السابقين بالخدمة في الجيش الجديد .

❖ مُفاصلة شعبية واسعة مع الوجود الاستعماري

● **(٥) ومن نقاط القوة لدى المقاومة : أنها بدأت فور انتهاء حرب الاحتلال ، فلم يستطع الأميركان أن يحكموا قبضتهم على المجتمع العراقي** ، نعم : تعاون معهم عدد كبير من العراقيين بسبب مذهبي أو قومي ، أو تعاون معهم بعض أفراد من أهالي مدن المثلث السُني وعشائره ، ولكن **لم تستطع الإدارة الاستعمارية أو جيوشها المقاتلة النفاذ إلى عمق المجتمع العراقي وتحقيق معرفةٍ استخبارية** كالتي كان عليها الاستعمار البريطاني أو الفرنسي مثلاً ، حين حَكَما بعض البلاد طويلاً وعرفا كل فردٍ وقاما بتجنيد الجواسيس ، ولذلك نرى تأييداً واسعاً من كل أبناء المثلث السُني للمجاهدين حتّى أن اليافعين نراهم يرقصون على حطام الدبابات المدمرة بلا وجل ولا خوف .

جهادٌ بمنح عِزة رادعة

● (٦) **ومن نقاط قوة المقاومة أيضاً : التلازم الحاصل في عالم الواقع بين موقف أهل السُنة الجهادي ضد الاحتلال ، وموقفهم الدفاعي ضد الاحتمالات السلبية التي يفرزها التنافس المتولد من الانقسام المذهبي العريق في المجتمع العراقي** ، ذلك أن القيادات الشيعية قد تحالفت مع الخطة الأميركية تحالفاً عميقاً وعلى مدى سنين قبل الحرب عبر مؤتمرات المعارضة في بريطانيا وزيارات الأحزاب لواشنطن ، مما أوحى لدى أهل السُنة بمعنى تفوق عليهم ليس من السهل إغفاله ، ولبث أهل السُنة طيلة الشهور الأولى بعد الحرب في حالةٍ من القلق الشديد أن يحصل لهم اجتياح في مناطق التماس في الوسط وفي البصرة ، **ولكن طروء معارك المقاومة وانتصاراتها المتتابعة في معاركها ضد جيش الاحتلال أوجد ثقةً في نفوس أهل السُنة وشعوراً بوجود مدافع عنهم تمرس وكسب الساحة وباستطاعته أن يستثمر فوزه ، فتطورت هذه الثقة خلال بضعة أشهر إلى اطمئنان تامٍ وشعور بتلازم العملين معاً ضد مصدري الخطر ، مما أرسى شعوراً عاماً في المثلث السُني بتوكيل المقاومة في الدفاع عن قضيتهم المحلية يوازي توكل المقاومة أصلاً بدفع القوة العالمية ، فحدث إحساس بوحدة المصير وصار كل فرد في المثلث السُني كأنه المدد للمقاومة والظهير النصير ، وهذا عنصر تفوق استراتيجي** بدوره لو قارناه بانقسام الشعب الأميركي إلى فئتين في أمر غزو العراق ، أو انقسام الإدارة الأميركية إلى مدرستين ، أو الهزيمة النفسية التي تعصف بأكثر جنود الاحتلال .

نقاط الضعف في الجانب الأميركي

وتتضاعف آثار مواطن تفوق المقاومة هذه إذا قورنت بنقاط ضعف عديدة أخرى في المعسكر الأميركي ، وهذا واضح بالبداهة ، **فإن كل جانب ضعف لدى العدو يعتبر جانب قوة للجهاد** ، وتتجلى جوانب الضعف هذه في مثل النقاط التالية :

⁂ أمريكي ... لكنه ينفذ خطة إسرائيل

● (١) **انقسام الجانب الأميركي إلى مدرستين وفهمين ونمطين في التعامل مع طريقة استمرار الاحتلال** ، وذلك لأن خطوة احتلال العراق - إذ هو بلد متقدم نوعاً ما فكرياً وما تزال فيه بعض رواسب الحضارة القديمة وبعض زخم الحضارة الإسلامية - : يوحي لأي متعامل مع فكرة الاحتلال أن يضع في حسابه أن ردود الفعل ستكون عنيفة وطويلة المدى ، ثم **إن العراق يعيش تحت تأثير محصلة القوى المتنافسة الإقليمية ، بل هو جزء مؤثر فاعل في تكوين هذه المحصلة والمعادلة السياسية والأمنية ، ولذلك ليس من السهل أبداً حتى على مثل دولة عظمى كأميركا أن تتلاعب باستقرار المعادلة** ، وكان على المخطط الأميركي أن يتعامل مع القضية العراقية برفق ومهارة ، وإلا فإن الحساسيات ستكون أقوى منه ، والمظنون أن العقلية التخطيطية الأميركية ذات الخبرة الجيدة في التخطيط الاستراتيجي واستشراف المستقبل قد أدركت ذلك ونصحت بعدم التورط في غزو واحتلال ، واقتنعت وزارة الخارجية الأميركية بذلك ، والمخابرات المركزية الأميركية أيضاً وبخاصة رئيسها تينت الذي أُجبر على الاستقالة ، **ولكن اللوبي الصهيوني الأميركي هو الذي أغرى نائب الرئيس تشيني والبنتاغون في شخص وزير الدفاع رامسفيلد وبعض أركان مجلس الدفاع القومي الأعلى في شخص كوندليزا رايس : أغراهم بالغزو ، لتحقيق مصالح إسرائيل وتنفيذ خطتها في تحطيم العراق وقدراته ، وكانت استجابة البيت الأبيض ووزارة الدفاع ومجلس الأمن القومي استجابة خيانية أتوها عن عمدٍ رغم علمهم بأن المصلحة الأميركية تستلزم عدم الغزو** ، ومن هنا انقسم الموقف الأميركي من قبل الغزو - وحتى الآن - إلى طريقتين وفريقين ، فريق قرر الاحتلال ودفع الأمور لتحقيقه ، وفريق ما كان يريد التورط في المستنقع العراقي ، وهذا الانقسام هو في حقيقته ضعف وإرباك لصانعي القرار الأميركي ، **إذ سرعان ما ركب الحزب الديمقراطي المنافس موجة الاعتراض** وأصبح مرشح الرئاسة جون كيري يعد بالنظر بسحب القوات

من العراق إذا فاز ، وهو قد يفعل أو لا يفعل ، لأنه غير بريء من الحسابات المصلحية الذاتية التي ربما تجعله يرضخ للضغوط اليهودية ، ولكن حومه حول معنى الانسحاب وترداده يعتبر ثغرة في الجدار الأميركي يمكن أن تستغلها المقاومة لو كانت لها مهارة إعلامية .

لكن يجب الانتباه إلى أن كيري إنما يُريد **أن يسحب الجندي من ساحة العراق ، ولا يُريد التخلي عن خُطة تدمير العراق** ، وصدرَ عنهُ تهديد مؤخراً بأنه سيستعمل الأسلحة المتقدمة تكنولوجياً ضد العراق ، وهذا تعبير مُخيف لئيم يجعل كل أنواع الأذى واردة ، من الضرب بالصواريخ ، إلى الأسلحة الذرية الصغيرة ، إلى تدمير البيئة والمناعة والحالة الصحية للشعب العراقي ، لينعم اليهود بالأمن .

● فمن الواضح إذاً **أن أميركا ما كانت لتجازف مجازفتها في العراق لولا تأثيرات اللوبي الصهيوني فيها وضغوط الحكومة الإسرائيلية** ، وكان بإمكان أميركا تحقيق مرادها ومصالحها عن طريق التفاهم مع صدام ، وبوسائل سياسية واقتصادية تعفيها من دفع ضريبة دم أميركي كثير يُراق في أرض الرافدين ، ولكن إسرائيل تريد تحطيم العراق كبلد ، **وتحطيم الجيش العراقي وكُتلته المعنوية والقتالية العالية المستوى ، وتشتيت الطاقات العراقية ، وتحقيق تقسيم سياسي للعراق يُخرج ثُلثي العراقيين من المعركة الفاصلة المستقبلية معها** ، ثم التضييق على كل احتمالات الصناعة التسليحية المتقدمة ، وإفقار العراق اقتصادياً ، وتحويل مياهه إلى إسرائيل ، مع إدامة جميع هذه السلبيات وتفويت فرص الاستدراك واليقظة واستئناف البناء عن طريق شبح الحرب الأهلية مرة بعد مرة ، وسلب الحريات ، ومنع حقوق الإنسان ، وتوكيل خَوَنة يرهقون الناس ويصدونهم عن البناء والتنمية والتطور ، عبر إلهائهم بالشهوات والهزل والفوضوية وأنماط التربية العلمانية ، وفي كل هذا ما يوضح **أن البصمة اليهودية**

على قرار غزو العراق بصمة مؤكـدة ثابتـة ، والوصـول إلى هـذا التـصور يمنـع الاستجابة لأي نوع من أنواع التحليل السياسي التي يبديها بعض الواهمين مـن أبناء جلدتنا من أن التعايش مع حقيقة الوجود الأميركي فرض ، بل هو وجـود مشوب باليهودية ، ولا صلح معه ولا تهاون ، ولا طريق سوى الجهاد .

❖ الأنفاس الحضارية العراقية تُبدد الفوضوية الغازية

● **(٢) ثم خطأ ثانٍ ، وقع فيه المخطط الأميركي حين قاس قضية العراق على قضية أفغانستان** قياساً حرفياً ، رغم فـوارق أساسـية بـين البلـدين والقـضيتين ، فأفغانستان بلدٌ ليـست فيـه مدنيـة ، ولا ثقافـة ، ولا إدارة منـضبطة ، ولا طبقـة وسطى واسعة ذات أثرٍ سياسي واجتماعي ، والخدمات قليلة والفقر عامٌ والتأخر ضارب أطنابه ، بينما العراق فيه شعب مـترف بالقيـاس إلى الـشعب الأفغـاني ، **وهو شعب مثقفٌ كثير التخصصات العالية بمقابـل الجهـل الأفغـاني ، والإدارة راسخةٌ ، والظواهر المدنيـة عـامرة ، والحيـاة الـسياسية يـسودها فكـرٌ إذ تـسود الأعراف القبلية في أفغانستان ، وكل ذلك يجعل احتمال المقاومة الواعية وارداً ،** ويمكن أن تعززها مواقف سلمية وحملات إعلامية وعلاقات مع مثقفـي وأحـرار العالم ، بينما المقاتل الأفغـاني كـان مربوطـاً بـشيخ القبيلـة ولا يوجهـه فكـرٌ ولا تخطيط ، وذهول الأميركي عن كل هذه الفوارق سبّب له ورطة كـبرى في طريقـة التعامل مع الشعب العراقي في شكل مشاكل إدارية وقانونية أجبرته على تفويض إدارة عراقية وسيطة قللت من مدى السيطرة الأميركية بالتالي حتى لـو انطلقـت من منطلق العمالة والطاعة للأميركـان ، بـل حتـى الهجـرة الأفغانيـة إلى الـدول المجاورة أوجدت بالتالي أنماطاً خاصة من التعامل مع المقاومة الأفغانيـة ، بينمـا لم تحصل هجرةٌ عراقية ، وبقي المجاهد ينطلق من بيته وبتسهيلات من أشقائه وأبنـاء عمومته ، وكان على المخطط الأميركي أن ينتبه إلى هذه الفوارق التي تجعل إدامـة الاحتلال صعبة ، وتجعل إمداد المقاومة سهلاً .

❖ استعلاء العراقي بهدم الصَلَف العدواني

● **(٣) اضطرار الجيش الأميركي لبث الرهبة في نفوس العراقيين عبر أرتاله المتجولة ودورياته الراجلة أحياناً ، بحيث يتمركزون في تقاطعات الطرق ،** وتتجول الدبابات والمدرعات في الشوارع التجارية ببغداد وجميع المدن وفي المناطق السكنية، وفي طرق السفر ، وعند بوابات الوزارات ودواوين الحكومة والمصارف ، والمدارس والجامعات ، وتلك طريقة تقليدية في الاستعمار كان من الممكن للقيادة الأميركية أن تفكر بنموذج بديلٍ عنها ، ولكن أكثر الظن أن أطوار التبجح الأميركي ونفسية رعاة البقر وغرور العولمة والتفوق الحضاري ومقولة تربع أميركا على عرش العالم : كل ذلك أدى إلى المغالطة ومعاكسة الموازين الأمنية والعسكرية **والإصرار على الظهور التفوقي على الشعب العراقي ، في محاولةٍ واضحةٍ لكسر معنويته وإنزاله عن عرش الطموح الذي عُرف به وطبعه بطابع الترفع والإباء والعزة والشمم ، واللواذ بالعفاف واحتقار الخيانة ومصافحة الأجنبي ،** مما هو واضحٌ في تفاصيل التاريخ السياسي العراقي منذ الزمن العثماني ، **فأدى هذا الفهم الأميركي المغلوط إلى حالة انكشاف تامٍ لجنوده ، فحصل الإثخان العراقي فيهم ،** وأصبحنا نرى في كل يومٍ في عشر مناطق عشرَ آلياتٍ عسكرية أميركية تحترق ، من بين دبابةٍ ومدرعةٍ وسيارة همر وصهريج وقود وطائرة هيلكوبتر ، وأصبحت الخسائر الحقيقية كبيرة ، وإنما تعلن البيانات الأميركية عن عُشرها فقط ، وإذا قال البيان أن جندياً من المارينز قتلته المقاومة فإن الرقم الحقيقي هو عشرة ، وكم رأينا من دبابة تحترق ثم لا يرد ذكرها في بيان أبداً ، **وهذا الحال جعل الخسائر الحقيقية فوق جميع التوقعات ، وأوجد نشوة لدى الشعب العراقي ، يقابلها نكوصٌ وهلع لدى الجندي الأميركي قد يصل به إلى الفرار من الجيش أو الانتحار أو الفرار من أرض المعركة بسرعة ، وكل ذلك يشكل نوع ضعف في الموقف الأميركي** كان يمكن أن تستثمره المقاومة أكثر وأكثر لو كان لها إعلامٌ قوي ، كالذي حدث من وصول أفلام تسجيلية إلى جميع أعضاء

الكونغرس تصور إبادة رتلٍ كامل ومقتل العشرات من المارينـز قرب الفلوجة في عملية كان البيان الرسمي قد ذكر مقتل جنديٍ واحد فيها وتدمير سيارة واحدة ، فظهر لأعضاء الكونغرس كذب بيانات البنتاغون ، مما أبدى ثغـرة سـربت وزارة الخارجية والمخابرات المركزية خلالها صوراً كثيرةً إلى الصحافة الأميركية مدعومـةً بإحصائيات حقيقية أحدثت هزة في المجتمع الأميركي قبل بضعة أشهر .

⁂ إجماع عراقي على أنَّ الديمقراطية المستوردة عارية

● (٤) **ومن مكامن الضعف الأميركي : حلّ الجيش العراقي تحقيقـاً لمـصالح إسرائيل التي تخاف منه تبعاً لقدراته القتاليـة العمليـة الـتي حازهـا عـبر الحـرب العراقية الإيرانية ولطبيعة التعبئة العروبية الإسلامية الـتي تـسيطر علـى قياداتـه وضباطه** ، وكنا قد أشرنا سابقاً إلى خطأ حلّ الجيش من ناحية أنـه مـنح المقاومـة فرصة تجنيد الضباط المجربين المدربين كقيادات ميدانية ، والذي نريـد التنبيـه إليـه هاهنا هو وجه آخر للخطأ يتمثل في أن الإدارة الأميركية بفعلها هذا قـد غرسـت في قلب كل العـراقيين مـن رجـال إدارة وأمـن وساسـة وحـزبيين وقـادة فكـر : **غرست في قلوبهم أنها منحازة انحيازاً تاماً للعدو اليهودي ، وأنها تريد أن تمكـن لخطة تقسيم العراق ، وإضعافه تجاه جيرانه ، وفتح الباب للشعوبية الإيرانيـة أن تنتقم وتـثأر** ، وأن تفتح مجالاً لتركيا أن تستبد تجاه العراق ، وأن تـتيح للحكومـة الكويتية أن تـثأر أيضاً ، وكل هذه المضار المتفرعة من حقيقة حلّ الجيش العراقي غرست قناعة لدى أولئك المخلصين من قطاعات الـشعب العراقـي الـسياسية أو الإدارية بأن أميركا لم تـأتِ محـررة ، ولا راغبـةً في إقـرار الحريـة ، **وإنمـا جـاءت بأنفاس استعمارية مختلطة بالأنفاس اليهودية وأنفاس التعاطف مع الشعوبية ، مما منع توليد طبقة عراقية خيانية متعاونة مع الأميركـان** كـانوا يـأملون أن تؤسـس وتكون عريقةً وفاعلةً في آثارها في نواحي الحياة العراقية كلـها ، حتـى التعليميـة والتربوية وليس السياسية فقط ، وبذلك حرمت أميركا نفسها من الإعانـة المحليـة ووقع الثقل التنفيذي بأجمعه عليها ، ما عدا أنفار شواذ من رجال الأقليات وأهل

المصالح لا يخلو منهم بلد ، **وهذا التورط بحمل الثقل التنفيذي هو نقطة ضعف كبرى في الخطة الأميركية يمكن ترجمته بالمقابل إلى نقطة امتياز للصف الجهادي** تتمثل في أنه يقاتل عدواً ظاهر العداوة والكيد والتخريب لا يختلف في تقويم خطره عراقيان ، وقد تكون أسباب أخرى تحمل بعض العراقيين على عدم المشاركة في المقاومة ، مما وقع في الشمال والجنوب ، لكنهم لا يستطيعون الخروج عن هذا التقويم للخطر ، ويدخلون ضمن الإجماع في تشخيصه والإشارة إليه .

❖ أنا وابن عمي على الغريب !!

● **(٥) ومن نقاط الضعف الأميركي الحرص على إخراج العراق من منظومة الأمن العربي وجامعة الدول العربية ، وربطه بدل ذلك بمنظومة أمنية جديدة هي ربما إحياءٌ لمنظومة حلف بغداد في الخمسينات ، بحيث ربما يجعله مرتبطاً بتركيا وباكستان ، مروراً ببعض بلاد مجلس التعاون الخليجي ، وربط كل هذه المنظومة بحلف الأطلسي في المستقبل وبأجنحةٍ جانبيةٍ أخرى ، مثل الأمن الإسرائيلي عبر معاهدة سلام وتطبيع ، والأمن الهندي الدائر الآن في الفلك الأميركي أيضاً ،** وهذا هو سر الإلحاح على سلخ العراق من هويته الإسلامية عبر مناهج التربية المحرّفة التي تريد أميركا تنفيذها ، أو سلخه من هويته العربية التي هي هوية الغالبية من الشعب ، وواضحٌ ما يختفي في ثنايا هذا التخطيط الأمني من افتيات على مصالح الأمة الإسلامية كلها وإضعاف للجبهة العربية ، باعتبار أن العراق يملك مكانةً قيادية في الأمة ، وحماسةً متأججةً عالية المستوى تجاه قضايا الأمة بعامّة وفلسطين بخاصة ، وقد تربّت أجيال العراقيين بهذه التربية وامتزجت المشاعر الجهادية بدمائهم ، وانبنى الأدب العراقي الحديث - ثم الفنُ العراقي التشكيلي بخاصة - على هذا الأساس المسمى عُرفاً بالوطني أو القومي ، وهو في عمومه ينسجم مع الحقائق العقائدية الإسلامية رغم ما فيه من هنّات وسكرات أحياناً تضيعُ بوفرة الصواب ، ولم تنجح المساعي الاستعمارية القديمة في تأسيس توجه بابلي أو آشوري مثلاً على غرار التوجه الفرعوني بمصر ، أو التوجه

الفينيقي في لبنان ، **ولم تنشأ علمانية مُلحدة فاقعة اللون تجاهر بالإلحاد ، بل حتى حافظت العلمانية العراقية على وتيرةٍ وطنية وتصالحية مع بعض مظاهر الإسلام ، وكذلك لم تنشأ بين طبقات السياسيين مجاميع ماسونية إلا قليلاً ، ولا أشكالها المتجددة في صورة نوادي الأُسُود وأمثالها** ، وبقي العراق عفيفاً نظيفاً من هذه الأمراض الخطيرة رغم ابتلائه بعدد من أنواع الأمراض الطفيفة ، ولقد نشأت عناصر تبوح بالكفر وتصيح بالعنصرية ، لكنها كانت ضعيفة فردية أو أشبه بالفردية ، وطوتها الأيام ونسيها الناس ، وبقيت المشاعر الإسلامية الأقرب إلى النقاء هي السائدة على العموم ، **ومن هنا لم تستطع أميركا حتى الآن تسويق خطتها في إخراج العراق من منظومة الأمن العربي** ، لأن دعوتها تصطدم بجدار ثقيل من التربية والثقافة الشعبية والمفاهيم الموروثة المنحازة انحيازاً قوياً إلى الإسلام أو العروبة أو الاستعراب ، وفي أدنى حالاتها إلى الذاتية والوطنية والمحلية التي تستمد من تراث العراق الحضاري ، ولذلك سوف لن تستطيع أميركا تسويق رؤيتها الأمنية في المستقبل أيضاً وعلى امتداد عشرات السنين القادمة ، لعمق التربية المضادة ، رغم أن الأحزاب الكردية العلمانية تطيبُ لها هذه التوجهات الأميركية حالياً ، وكل ذلك يعني أن المخطط الأميركي يطيشُ في العراق ولا يعرف الحقائق الموضوعية الحاكمة والموجهة لمسيرة السياسة والمجتمع ، وذلك يعني بدوره جهداً ضائعاً وردة فعل عكسية ستظهر في المستقبل ضد العولمة .

❖ إيجاب في ساحة إيران ينقلب إلى سلبٍ في العراق

● **(٦) ومن الخطأ الأميركي الذي يسجل كنقطة ضعفٍ يذهلُ عنها المخططون : بوادر التحضير لثورة كردية في كردستان إيران** ، إذ هناك إرهاصات لها غير معلنة ، وتبلغنا بواسطة الثقات الذين يفهمون جيداً التحركات الميدانية في باوة ومهاباد وسنندج وغيرها من المدن الإيرانية ، ومما لا شك فيه أن العدوى الاستقلالية لابدّ أن تنتقل بصورة طبيعية ذاتية من كردستان العراق إلى هناك ،

وبخاصة أنها تستمد من بذور ثورة كردية كانت قائمة أيام الشاه هناك ، ومن زخم عاطفي قومي كردي لازالت آثارهُ تستبد بعقول أكراد إيران منذ دويلة القاضي أحمد في مهاباد سنة ١٩٤٥م التي قضى الشاه عليها بسرعة وبقيت رائحتها في تلك البيئة ، وفي تقديرنا أن الثورة الكردية هناك لا تحتاج احتياجاً حتمياً للإسناد الأميركي بعد إذ عاش أكراد العراق أكثر من عشر سنوات في استقلال شبه تام وأصبح بإمكانهم إسناد تلك الثورة لو قامت ، **ولكن أميركا رغم ذلك دخلت على الخط في محاولة الإسراع بها إحراجاً للحكومة الإيرانية ولتحقيق مزيد من الضغط عليها ، مع شيء مثيل من دفع أكراد سورية نحو المعارضة والعنف إحراجاً لحكومة سورية** .

ونعتقد أن الخطأ التخطيطي في ذلك يكمن في فتح جبهةٍ ثانيةٍ يلزم أن يرعاها الجيش الأميركي إذ هو متورط في جبهة العراق الأولى ، ولربما ستحرجه أيضاً الاعتراضات التركية المتوقعة على هذه الثورة الكردية الإيرانية بخاصة ، واحتمال حصول تعاون إيراني تركي لقمعها ، لكي لا تسري العدوى إلى تركيا أيضاً ويتم إحياء ثورة حزب العمال الكردي ، والتي يمكن أن تستقبلها الأوساط الكردية في تركيا بالتأييد وتكون جزماً مصدر إزعاج للجيش الأميركي ، وستكون توترات أخرى ، بخاصة في المناطق العربية المتاخمة لكردستان التي للمقاومة حضورٌ فيها ، كبعض أنحاء محافظتي الموصل وكركوك ، بل وتلك الملابسات المتوقعة ربما تؤدي أيضاً إلى تفعيل دور أنصار الإسلام ، الذين هم الشق الكردي غير المنضبط من المقاومة العراقية .

معوقات تعرقل عمل المقاومة

● وهو المفصل الثالث في محاولة اكتشاف نظرية المقاومة العراقية ، وخلاصته :

أن المقاومة لا تعمل في بيئة سلسة نموذجية رغم كل ما ذكرناه من عوامل قوتها ونقاط الضعف الأميركية ، وذلك لأن العدو ماكرٌ يكيد ، وبيده أدوات ضغط ، وفي البيئة مسلحون لديهم بقية باقية من السذاجة والعفوية ، ومن هنا صار

بإمكان الطرف الأميركي التشويش وتأسيس الشبهات التي تؤدي إلى تثبيط وتعويق ، ومن أهم هذه الظواهر :

٭ دخول الهازل على خط الجد

● (١) **تزوير الجهاد بعناصر التكفير والعنف الأهوج الذي يتوجه نحو العراقيين أنفسهم** ، وما يلحق ذلك من استشراء ظاهرة أخذ الرهائن الذين لا يعملون مع المحتل عملاً مباشراً يولد الضرر ، وقتلهم أو إطلاق سراحهم بفدية ، فكل ذلك في ظننا الراجح وفي ما نعلم ويشتهر بين أوساط المراقبين : **صناعة أميركية ، لا يحتاجون فيها سوى إلى الرأس** الذي يقود فصيلةً من تلك الفصائل يكون خائناً أو ضابط مخابرات من إحدى الدول العربية المتعاونة مع الخطة الأميركية ، **وأما الأتباع الذين ينفذون فهم شباب إسلامي في عمر الزهور لا يفقهون من السياسة شيئاً وليس لهم تجريب ولا صقلتهم أيادي المربين ، ولم ينصتوا لرواية تجربة الوعي الدعوي ، وإنما هم فتيان سذج لهم إيمان وافر يصل إلى درجة الغرام بالجنة ، فيأتي ثعلب ماكر يلبس عباءة الزهاد فيخدعهم ، ويوجه طاقاتهم وطلقاتهم نحو أقوام من المؤمنين يتأولون ويتبعون فتاوى الفقه المقاصدي المصلحي** التي لا يدركها هؤلاء الشباب ، ثم يغرس في قلوبهم وعقولهم قناعةً مفادها أن تحقيق الفوضى الأمنية إنما هو إرباك للأميركان ، وبذلك يدفعهم إلى تفجير السيارات والرمي العشوائي ، ويذهلون عن أن يسألوا رئيسهم الآمر : لماذا لا نوجه ذلك إلى صدور الأميركان ؟

فحيث ما سمعنا بتفجير من هذا النوع فإن إصبع الاتهام ينبغي أن يتوجه إلى الأميركان ، وفي الغالب تكون المقاومة بريئة ، ومن أدل علامات هذه البصمة الأميركية : خطف الرهينتين الفرنسيين ، فمع أن أحدهما منحازٌ بقوة لقضية فلسطين وللإسلام حتى أنه كاد أن يسلم وأن الآخر حيادي : فإن الخطأ الأكبر يكمن في أن فرنسا حكومة وشعباً هي أشجع الدول في الوقوف الصريح ضد الخطة الأميركية في غزو العراق ، وأنها أظهرت زخماً إعلامياً كثيفاً في هذا

التوجه ، وظلت على مدى السنوات الماضية النصير الأول في المجتمع الدولي للقضية العراقية ، وما نحسب أن فصيلاً مخلصاً من فصائل المقاومة العراقية يذهل عن هذه السلوكيات الفرنسية الإيجابية أو يتجاهلها ، وإنما القرائن تدل على أن الخاطفين أخطأوا في اجتهاداتهم ، أو التحق بهم نفرٌ خطفوهم بوحيٍ أميركي ، وربما بأيد أميركية صرفة ، ولم يظهر في المقدمة سوى أنفار من العراقيين من المتعاونين مع الأميركان ربما ، وكل ذلك إنما هو من أجل صرف فرنسا عن موقفها المؤيد للقضية العراقية ، ومن القرائن أيضاً شيوع نوع من التشفي في الإعلام الأميركي والبريطاني يبدي أن فرنسا هي التي ساعدت على تحقيق الاختطاف عبر الغطاء السياسي الذي تمنحه للقضية العراقية والذي ينعكس بدوره إيجابياً على المقاومة ، وهذه الطريقة معروفة في الفكر المخابراتي وأساليبه .

وفي هذا السياق أيضاً يبدو أن الجيش الأميركي كان وما يزال يرحب بتدخلات المخابرات الإيرانية في العراق والمتمثلة في بعض صورها بتفجير السيارات المفخخة ، فمع أن إيران تهدف من وراء ذلك إلى إرباك الأميركان لئلا يتفرغوا لإيران ، وقد حصل شيء من ذلك ربما ، إلا أن الفائدة المتحققة للجيش الأميركي هي أكبر ، وتتمثل في تكوين صورة مشوهة للمقاومة العراقية تدع العراقيين في عزوف عنها ، ودليل ذلك : النغمة الإعلامية الفورية المتكررة عند كل تفجير بنسبة الحادث إلى المقاومة ، وإظهار شهود في القنوات الفضائية الموالية لأميركا يتكلمون بنفس اللهجة التي تتفوه بها المخابرات الأميركية ، والجانب الأميركي يتبع في ذلك قاعدة الرضا بأهون الشرين ، ومن أدلة ذلك أيضاً ما ذكرته العضوة التركمانية في مجلس الحكم (صون كول) في حديثها الفضائي المشهور من أنها نبهت الأميركان أكثر من مرة على توقع دخول شاحنات مليئة بالمتفجرات من بعض الحدود ، إلا أن الجيش الأميركي كان يتجاهل تحذيراتها ، بل ذكرت أن بعض أرتال الجيش الأميركي كانت تستقبل تلك الشاحنات وتحرسها .

✤ المنقرض ... لا يقرض !!

● **(٢) حرص الإدارة الأميركية على نسبة قسم كبير من أعمال المقاومة إلى حزب البعث أو فدائيي صدام ، أو إظهار عزت الدوري نائب صدام بمظهر القائد للمقاومة** ، لما يعلمونه من كره الناس لحزب البعث ولقادة نظام صدام ، والأمر في حقيقته إن لم يكن كذبةً كبرى **فهو مبالغة كبرى** ، فإن للبعثيين بعض الدور في المقاومة ربما لا يتعدى العشرة بالمائة من مجمل أعمال المقاومة ، بل ذلك كثير، وهو إلى الخمسة بالمائة أقرب ، وإنما يعرف الثقات ذلك ميدانياً وعبر التعامل اليومي ، ويملك الدوري نفسية التذلل لصدام ، فمن أين تأتي له أحاسيس الأحرار ؟

✤ تكامل الرأي والرمي !!

● **(٣) الضغوط الأميركية التي تُمارس ضد القنوات الفضائية كلها من أجل التعتيم الإعلامي وعدم تسرب أخبار المقاومة إلى الشعب الأميركي** ، وليست هي الجزيرة فقط التي نالتها المعاكسات ، إذ خضعت القنوات الأخرى للتهديدات وقللت جداً من ذكر حقائق المقاومة ، فلم يعد من سبب لإغلاق مكاتبها .

وقضية التعتيم هذه لم تتوصل المقاومة إلى علاج حاسمٍ لها ، بل حتى قناة الجزيرة لها مزاجية خاصة في تحديد مواقفها من بعض أخبار المقاومة أو بعض فصائلها ، وتركيز الجزيرة أو بعض القنوات الأخرى على نشر أخبار وصور السيارات المفخخة وكثرة القتلى من المدنيين ساعد على تشويه سمعة المقاومة ، سواء درت الفضائيات بذلك أم أنها تفعله عن غير قصد ، إذ المهم أنَّ التأشير سلبي جداً ، وصارت هذه الفقرات الإعلامية التي هي ظاهرها ترويج خبر المقاومة : وبالاً على المقاومة ، وصار ما يريد الأميركان إذاعته من صور نكبات هم صانعوها ومهندسوها : سبب مسبة للمقاومة ، والحل يكمن في **أن تتولى قناة فضائيةٌ خاصة ذكر أخبار المقاومة الجادة ، ويمكن تأسيسها في بلدٍ حر له توجه ضد العولمة ، ولكن المقاومة أعجز من أن تقوم بهذه المحاولة ، لضعف أجهزتها**

الإعلامية والفكرية والسياسية رغم قوة ذراعها القتالي ، وهو ما سنبحثه في آخر النظرية ، ولكن يهمنا الآن أن نقرر عجز المقاومة عن ذلك ، ثم إن هذه القناة ينبغي أن تظهر كقناة سياسية وثقافية عامة وبفكرٍ إسلامي عام ، لكي تستطيع أن تجذب المشاهدين ، وتكون بعض فقراتها أو ساعات بثها باللغة الإنكليزية ليتم تداول أخبارها من قبل بعض أوساط الشعب الأميركي أو بعض الأوساط الأوربية التي تنقل عنها ، وكل ذلك يرشح القناة لأن تكون قناة إسلامية عامة ذات أبعادٍ ثقافية ومعرفية عامة أيضاً ، وهذا مالا يستطيعه سوى رجال الدعوة الإسلامية العراقية ثم العالمية ، بما اكتسبوا من خبرة وثقافة وإطلالة على أسباب التمدن والرؤية الحضارية والوسيلة التكنولوجية ، وهو ما يلزم فصائل المقاومة بأن تسعى نحو تحصيل خدمات هؤلاء الدعاة ، ويلزم جهات التمويل في البلاد العربية بتوفير ورصد مال كافٍ يضعونه في أيدي الدعاة من أجل بناء هذه القناة الفضائية التي ستتطور إلى أن تكون ذراعاً إعلامياً يوازي في تأثيره الذراع القتالي تماماً دون نقصان ، وتواضع المقاومة أمام هذه الحقيقة الميدانية أمرٌ مطلوب ، والإذعان للقدر الخيري واجب ، وقد رفع الله الدعاة بالعلم والثقافة درجات ، وفي كل دور الأنصار خير ، **وبركة القلم واللسان البليغ والمنطق السليم ليست أبداً أقل من بركة الرمي ، بل قد يكون الرجحان في العالم المعقد لبركة الرأي ، وخير أحوال المقاومة أن يتكامل الرمي والرأي .**

⁜ كَمّموه .. فصمت .. فنُسِي !!

⁜ (٤) ومما لا دخل للأميركان به مباشرة من التعويقات ، وإنما هو تعويق تنتجه الآثار الجانبية للتعتيم الإعلامي : **حصول جزْر في التبرعات الخارجية يدل على شيوع سذاجة عامة في جيل المسلمين الحالي كله ، فنخوتهم وحميتهم ونجدتهم تصعد وتنزل مع صعود ونزول الكثافة الإخبارية والإعلامية ، مما يدل على حاجة هذا الجيل إلى مزيد وعي سياسي مهما كانت المشاعر الإيمانية عامرةً فيه** ، وهذا الجيل بحاجة أيضاً إلى إحياء الحاسة العصبية فيه التي تمكنه من مزيد

فراسةٍ وتخمين وشعورٍ بالحال المغيب عنه عن طريق القياس والحدس والتوقع ، وكأن إحساس من تبرع أولاً أصابه تعطيل حين أنحجبت الأخبار بسبب التعتيم فصارت يده أقصر فيما بعد، وهذه الظاهرة حلّها يتجزأ إلى حلول صغيرة متكاملة ، ولكن الدعوة الإسلامية العالمية تملك مفاتح أكثر هذه الحلول ويمكن أن تقوم بدورها الاستدراكي وتعوض عن الجزر الذي أصاب الحملة الإعلامية عبر الوعظ العام والعلاقات العامة والخاصة ، وقد يأتي الهمس في آذان الأخيار النبلاء بما لا تأتي به الخطب الرنانة .

✣ تعال فصافح .. لتعرف أهل الدار !!

● (٥) **ومن التعويقات التي تسببها قلة الوعي : قابلية في الدعاة والنبلاء في الاستجابة للكلام العاطفي ، والثقة بقائله** ، وهذا أمرٌ لا باس به إذا كان يحصل في نفس محيط المجاهدين وفي دوائر محلية تضيق أو تتسع ، لأن الغالب أن يكون رجال وأهل كل مدينة يعرف بعضهم بعضاً ، فيكون حفظ الحقوق لأهلها ، ولا يحصل تجاوز أو قفزٌ أو ذهاب إلى غريبٍ أو مفضول ، ولكن **الخلل إنما يظهر خارج البيئة حيث لا يتم تمييز معادن الرجال وأوزانهم النوعية** ، وهو محيط الأمة خارج العراق في مثل حالتنا حين يقدر المخلصون غير العراقيين أعمال ومنازل مجاهدي العراق ، إذ هم لا يعرفونهم ولم يختلطوا بهم ، وإنما التعرف يكون عبر سفير وممثل ، فهنا **قد يركب الموجة مخلص يمتزج إخلاصه بنوع شعور ذاتي بالفخر ومحبة المدح والظهور بمظهر الزعامة والقيادة ، بينما منزلته الحقيقية ليست غير الرواية وعملية التبليغ بخبر أو الوصف لحوادث ، فيرتفع اسمه ، بينما المجاهد الحقيقي يعاني في أرض المعركة وينفذ بصمت ولا يعرفه أحدٌ غير الذي يديره أو يتعاون معه** ، وهذه ظاهرةٌ من ظواهر الحياة عامة حين تكون الأعمال سرية ، والجهاد يقتضي أقصى درجات السرية ، مما يوجب على الجمهور المسلم ، وفي خارج العراق بخاصة : أن يقابل هذه الظاهرة بوعي يبديه في التوثيق الصحيح وإنزال الناس منازلهم الحقيقية ، بأن لا يجعل للمخبر الواصف منزلة فوق منزلة

المقاتل الباذل نفسه ، بل من الحق أن يمنح معظم التوثيق للباذلين الصامتين ، **وأن لا يتيح لمن يتغنى بخبر الجهاد أن يحتل منزلة متقدمة أو فوق منزلة المجاهدين أنفسهم** ، والطريق إلى حصول ذلك أن لا يكسل من في خارج العراق ويلبثوا سامعين للأخبار فحسب ، بل أن يحضروا إلى العراق ليميزوا الذين هم أهل المبادرة والسيطرة ، وهم الأحق بالمال والإسناد والدعم والذكر ، وتلك قضية من قضايا فقه الدعوة والوعي السياسي يجدر أن نركن إليها .

⬍ نخلة أرطبت في شباط !!

● **(٦) ولكنَّ أكبر التعويقات يتمثل في تخلف المجتمع الشيعي العراقي بأجمعه عن المشاركة في أعمال المقاومة** ، إلا ما كان بعد مرور أكثر من سنة على الاحتلال من مشاركة مقتدى الصدر بجيشه (جيش المهدي) في أحداث النجف والناصرية والكوت ومدينة الثورة ببغداد وسط استنكار الحوزة وجميع الأحزاب الشيعية الأخرى لمشاركته ، على خلفية الصراعات المعروفة بين القيادات الشيعية وتوجه الصدر العروبي إزاء الانتماءات الإيرانية للآخرين ، **وقد أقامت القيادات الشيعية فلسفة تخلفها على مقولة : أنَّ الشيعة وقع عليهم ثِقل المعركة في ثورة العشرين فوقع الحكم في يد أهل السنة ، والآن ندع عليهم ثقل المعركة ليكون الحكم في أيدينا .. وهذا زعمٌ غريبٌ وفيه الكثير من المغالطة ، فإنَّ ثورة العشرين قد قامت على جهود السُنة والشيعة معاً بالتساوي** ، ثمَّ إنَّ رجال الجيش والإدارة من العراقيين في الدولة العثمانية المقضيّ عليها هم الذين كانوا أجدر بتأسيس الدولة العراقية ، تبعاً للطبيعة السُنية للدولة العثمانية ، ولم تكن الكفاءات العالية في المجتمع الشيعي بمثل كثافتها في المجتمع السني ، **ومع ذلك فقد كان للشيعة نصيبٌ كبيرٌ في الدولة** ، وانحاز لهم الملك المستورد (فيصل الأول) انحيازاً كبيراً وعوضهم تعويضاً عمّا نالهم في الزمن العثماني ، كما هو معروف وبصورة واضحة لكل مطلّع على التاريخ السياسي العراقي الحديث .

إنَّ هذه التسويغات الشيعية بمناقضة المقاومة هي أشبه أن تكون من الأحاديث العامة ، والصواب الذي هو أكثر وضوحاً : **أنَّ القيادات الشيعية وجدت في دخول الأميركان أرض العراق فرصةً كبيرةً للتعاون معهم من أجلِ التمكين للمشروع السياسي الشيعي واحتكار معظم مناصب الدولة ووظائفها ، صغيرها وكبيرها ، وهذا ليس مجرد ظن ولا هو تحليلٌ أو قراءة نفسية لدواخل القيادات الشيعية ، وإنما هي سياسية معلنة وصريحة لأحزاب المعارضة الشيعية في مؤتمرات لندن وزيارات الأحزاب الشيعية كلها للبيت الأبيض في واشنطن وإصدار البيانات المشتركة مع الحكومة الأميركية التي وجهت دعوة صريحة للجيش الأميركي أن يغزو العراق** ، وهذا ثابت في مئات الوثائق المنشورة والأفلام التسجيلية التي بثتها الفضائيات ، فهي سياسةٌ مقصودةٌ إذن ، ورؤيةٌ عمدية وانحياز لخيار التعاون مع أميركا في خطوةٍ جريئة أهدرت كل تحفظات أصحاب الأحاسيس القومية والوطنية والإسلامية ، لكنَّ ترجيح هذا الخيار ثبتَ فشله فيما بعد ، بعدَ أقلّ من سنةٍ من انتهاء الحرب ، لمداخلات لا يمكن إبعادها عن محصلة التأثيرات لقضية التعامل الأميركي مع قضية تأسيس الحكومة ومع قضية المقاومة ، وكان على مجالس التخطيط الشيعية أن تدرك ذلك وتستوعب دروس التاريخ ومفاد السياسات العالمية والإقليمية ، ولكنها عجزت فيما يبدو عن إدراك بعض الأبعاد فوقعت في الورطة أمام جمهور الشيعة أنفسهم ومع أهل السنة والمقاومة وشعوب الأمة الإسلامية كلها عرباً وعجماً والتي أبدت تحيةً للجهاد وفرحاً به ، ومكمن هذا الخطأ **أنَّ القيادات الشيعية كان عليها أن تدرك أنَّ إيران ستدخل على الخط وبقوة ، وفي هذا ما سيعاكس المخططات الأميركية لتقليم أظافر إيران وتفكيك برنامجها النووي وما يكمن من حثٍ إسرائيلي خفي معلن وراء ذلك ، والمشروع الشيعي في العراق لا يمكن أن ينجح بدون هذا الدعم الإيراني ، سواءٌ منهُ الدعم المخابراتي أو الدعم الحوزوي للأحزاب الشيعية** باعتبار أنَّ السيستاني إيراني الجنسية ، ثمَّ إنَّ احتكارات الشيعة للوظائف

في كثير من الوزارات التي كلفوا بها والاستعمال المسرف للسلطة في المراكـز الـتي احتلوها جعلت الأميركان في حرجٍ شديدٍ أمام بقيـة العـراقيين ، حتـى أنَّ الأمـر وصل في بعض المستشفيات إلى أنَّ المريض المراجع أو حتى من يريـد أن يفحـص دمه أو أن يعيّن درجة السكر في دمه : عليه أن يستحصل علـى إذن معمـم يمثـل الحوزة يجلس مع إدارة المستشفى ، ومورسـت أنمـاط انحيازيـة عنيفـة في أوسـاط وزارة الصحة والتربية ودواوين أخرى تـسببت في صـيحات اسـتنكار مـن أهـل السُنة حشرت الإدارة الأميركية في زاوية الاتهام وأحرجتها جداً ، فاضطرت هذه الإدارة إلى سياسات التوازن ، وما كانت تظن أنَّ الأحزاب الشيعية تبلغُ إلى هـذه الدرجة من الجزافية التي تـأذن لنفـسها باحتكـار الأمـور وإهمـال ردود الفعـل المقابلة ، وكان صانع القرار الأميركي يظـنُ أنَّ قيـادات الأحـزاب الـشيعية هـي أوعى مما أبدته ، وأنهـا تُجيـد المنـاورة والتلطـف والاندسـاس الهـادئ ، ولكـن طريقتها المتسرعة القائمة على الاحتكار المعلن والإثارة الإعلامية الملحاحـة الـتي تهدر الحقائق : جعلهُ يعيـد النظـر في خطتـه التعاونيـة مـع الأحـزاب الـشيعية ، وينحت المقدار الزائد على حدود التوازن ، لئلا يوقع نفسه في موطن ملامـة مـن أهل السُنة أكبر تستفيد منهُ المقاومة في التصعيد .

● ويتعادل مع هذا الخطأ الذي ارتكبتهُ الخطة الشيعية أنهـا لم تـتوقع حجـم الآثار النفسية الإيجابية لأعمال المقاومة الجهادية في أوساط أهل السُنة ، وما فيها من ثقةٍ بالنفس واعتزازٍ وفخرٍ وطموحٍ واستعلاءٍ يؤدي إلى التـصلب في الموقـف السياسي ، والآثار السلبية النفسية بالمقابل التي اسـتولت علـى المجتمـع الـشيعي بسبب انفراد أهل السنة بهذه المفاخر والمواقف الوطنية واللبث مع سُنن الشعوب في المفاصلة مع المستعمر الكافر ، وذلك لأنَّ هذه الأحداث المتعاكسة المتجلية في موقف مقاومةٍ جهادي مـن جهـة ومـا يعاكـسه مـن موقـف مـصافحةٍ لـلإدارة الأميركية : لا يجري في بيئةٍ منغلقةٍ ساذجةٍ رجعية ، وإنما يجـري في بيئـة العـراق الواعية ذات التراث الوطـنـي الوافر وفي زمن الفضائيات التي تزيد علـى المائـة

عدداً ، والتي تكشفُ كل شيء وتلاحق الساسة في مكاتبهم وعُقر دورهم ، فلا يخفى على فلاحٍ يقلبُ الأرض بمسحاته شيء ، ولا على صياد سمكٍ أهواري ، وراعي جملٍ صحراوي ، فضلاً عن المثقف ، **وهذا ما أوقع الجمهور الشيعي في حرجٍ شديد مقابل مفاخر أهل السُنة ، وأصبح الشيعيُّ يتوارى خجلاً ، والسُني يمشي بطول قامته رافع الرأس ، فتولدت من ذلك حالة انفصام بين القيادات الشيعة وجمهور الشيعة الأعظم** ، وأصبحوا يميلون إلى الخطط الصُلحية مع أهل السُنة ، وبخاصة الشيعي العشائري العروبي ، والشيعي المستقل ، والشيعي العلماني ، والشيعي الذي تأول في الزمن الأول فتعاون مع أجهزة نظام صدام ، وهذه البيئة النفسية التي لم يحسب مخططو المشروع السياسي الشيعي حسابها هي التي أفرزت بالتالي حركة الصدر ومعركة النجف وترحيب بعض جهات المقاومة بها ، ورأوا فيها عودةً للوعي ، رغم نقصان هذا الوعي بسبب بقاء بعض العقائد الحادة وتخلف درجة الاعتدال الفكري عن درجة الاعتدال السياسي ✽ ، وكان المظنون بأعمدة البيت الشيعي أن يستوعبوا هذا العامل النفسي في **اهتزاز المجتمع الشيعي** ، وأن يميلوا إلى بعض الواقعية والمفاصلة مع الراعي الأميركي ، إلا أن شيئاً من ذلك لم يحصل حتى الآن ، بل بالعكس : تنادت القيادات الشيعية إلى محاصرة مقتدى الصدر وتطلعاته ومحاولة البطش به وبجيشه ، **مما** يعني **أن عوامل الصراع بين القيادات الشيعية تغلبت على متطلبات السياسة الشيعية الإستراتيجية ، وانتصرت الشخصانية على مواعظ الواقعية النقدية ومذاهب**

✽ هذا ما كنا نراه ، ثم قامت لدينا قناعة بأن الخلفية التي انطلق منها الصدر في معركة النجف إنما هي خلفية المنازعة للسيستاني حول مركز الحوزوية ، واعتقاده أن آل الصدر أحق به ، وما كان يريد الجهاد في الأرجح ، ولكنّ القوات الأميركية دافعت عن الحوزة والسيستاني ، فاضطر لقتالها ، وكانت عملية أشبه بالانقلابات العسكرية ، لكن لا على الدولة والنظام ، وإنما على الحوزة ، وساعده على ذلك أن السيستاني ما زال إيراني الجنسية ، ولا يحمل الجنسية العراقية ، فرآه غريباً ، وأنه أحق بالحوزة وأجدر ، وكانت حادثة مقتل أبيه قد زودته بدافع معنوي وشعور نفسي عميق يلح عليه في أن يطمع بأخذ المكانة الحوزوية بالقوة .

التخطيط ، وهذا الحال يجعل الصراع سجالاً ويجعلنا ننتظر معارك أخرى مثل معركة النجف ، وقد يتوسع جيش المهدي فيغري المقاومة الجهادية السنية بالتحالف معه .. وعندئذ ستتطور الأمور تطوراً دراماتيكياً لا يستبعد كل الاحتمالات ، وسيكون الموقف السني عند ذلك مستفيداً عبر احتمال تطور ذلك التحالف إلى وحدة اجتماعية سياسية عراقية بين المجتمعين السني والشيعي ، عبر استبعاد شبح قيام الفدرالية الشيعية الجنوبية وما يعنيه ذلك من الحفاظ على وحدة العراق وتفويت خطة التقسيم التي تدفع إسرائيل نحوها بعض الأطراف دفعاً ، وكذا تدفع إيران نحوها حثيثاً أيضاً ، مما يتجلى في الموقف الغريب الناشز جداً للفرع العراقي من حزب الله ، **فلأن حزب الله يعمل بدعم إيراني فإنه لم يستطع غير الدخول في المشروع السياسي الشيعي العام ، وحاول أن يحتل مكاناً قيادياً فيه وفي البيت الشيعي ، وتعاكس مع طموحات الصدر بصراحة ، وأبدى مبالغةً في منع المنطقة الجنوبية الشيعية من أن تثور ضد الأميركان والجيش البريطاني ، وبدرت منه حماسةٌ في ذلك ، مما يكشف عن ازدواجيةٍ واضحةٍ في السياسة الإيرانية** ، فهي من باب ترعى المشروع السياسي الشيعي المتطلع للحكم أو للاستقلال في فدرالية جنوبية ، وفي نفس الوقت تحاول إلهاء الجيش الأميركي عن التحرش بإيران عبر تفجير السيارات المفخخة ، ولكن في المناطق السنية ، فهي سياسة بالغة الغرابة والتعقيد والازدواج ، مما يجعل بعض المراقبين **يتساءلون عن أعمال (حزب الله) في لبنان وعمّا إذا كانت تعبر عن حقيقة ظاهرها ضد إسرائيل وأميركا ، أم أنها فذلكات سياسية إيرانية في أرض لبنان** ؟ ولم تكن سياسة (حزب الله) وحدها هي المزدوجة بسبب هذه المرجعية الإيرانية له والتي تُحرَّم في العراق ما تحلُّ في لبنان وتدل على غياب الموقف المبدئي القواعدي الشرعي الواحد ، والاستعاضة عنه بموقف سياسي مصلحي متعاكس، بل شخصية (**محمد حسين فضل الله**) نفسها حصل فيها هذا الازدواج ، **فكان منه تلعثم في الشأن العراقي ينافي بلاغته اللبنانية** ، وهذه الظاهرة تجعل قضية التنظير

للمقاومة العراقية قضية صعبة موغلة في التعقد بسبب وجوب مجاوزة المظاهر والأشياء المعلنة إلى البواطن والمحركات الخفية .

❊ وفي كانون ما زال عنبُ الجبل حصرما

● **(٧) وحديث الفدرالية الشمالية الكردية حديث مماثل وهو عاملٌ من عوامل تعويق المقاومة الجهادية أدى إلى تعطيل ساحة مماثلة في حجمها تقريباً لحجم الساحة الجنوبية ، أو هي الأهم ، لكون الشمال بلاداً جبلية وعرة لو ثارت على الأميركان لكبدتهم أضعاف أضعاف خسائرهم الحالية ، ولكن الأخوة الأكراد رجحوا مصلحتهم القومية على المصلحة العراقية العامة ، بل لم يعودوا أهل شعور عراقي إلا على أساس مما تستلزمه المرحلية السياسية الوقتية ،** وتنكروا للمعيشة المشتركة الطويلة مستندين إلى أن الحاكم بعد الحاكم قد ظلمهم ، إذ العرب أبرياء من فِعلة الظالم ، وأهل الإنصاف من العرب - ورجال الدعوة الإسلامية في مقدمتهم - : يقرّون ويعترفون بحصول هذا الظلم على الأخوة الأكراد ، وأن ردود الفعل في حلبجة وأمثالها كانت عدواناً صارخاً ينبغي أن يقف الجميع من أجل عدم تكراره عبر إقرار حكم شوروي يحترم الحريات والخصوصيات القومية ويعدل بين أبناء الشعب بالتساوي ، ولو كانت جهود الأحزاب الكردية قد توجهت مثل هذا التوجه وتعاونت مع التوجهات الإسلامية العربية والتركمانية لكان الطريق إلى تحقيق الطموحات الكردية أقصر وأسرع ، ولتجاوبت معهم خطوطٌ إسلامية في تركيا وخطوطٌ معتدلة إصلاحية في إيران ، ولكن الجفلة كانت كبيرة بسبب قوة الشعور القومي الكردي وقوة القناعة بأن الاستقلال هو الحل ، فطال الطريق وصار أصعب ، ثم زادته الترخصات الكردية المرحلية الحالية بالتعاون مع الحملة الأميركية تعقيداً وبعداً عن العرب ، **إذ كانت القيادات الكردية جريئة جداً منذ أيام المعارضة في الخارج ، وذهبت إلى واشنطن تحث البنتاغون على غزو العراق** ، فحصل ما حصل بعد عشر سنوات

كاملات من حكم مستقل عن نظام صدام بحماية أميركية ، فليس من المعقول بعد ذلك أن ننتظر منهم مشاركة في المقاومة أو موقف مفاصلة مع السياسة الأميركية ، بل **هو ارتباط مصيري تام أتاهُ الأكراد** بتأويلات الضرورة ، **وتخريجاً على ما حصل من قبل من تعاون مع إسرائيل زمن الملاّ مصطفى البارزاني** ، ووصلوا في تقعيد ذلك إلى حد القول الجُزافي بمبدأ قبول التعامل مع الشيطان من أجل تحقيق الطموحات القومية الكردية ، وهذه المقولات إنما وجدت صداها في الجيل الكردي الحاضر بسبب الأثر النفسي لفداحة الظلم .

ولكن مع الأيام نظن أن فداحة الظلم الأميركي ستبدو لهم بالتدرج يوماً بعد يوم ، وأن المصلحة القومية الأميركية العليا مقدمة على المصلحة الكردية ، وعندئذ ربما يتوبون متاباً ، **وفي المجتمع الكردي تيار إسلامي واسع عريض يريد الوفاء لمتطلبات المبدأ الشرعي في وحدة الأمة الإسلامية ، ولا يريد تقسيم العراق** ، إلا أنه يتماشى مع تيار الاستقلال الكردي من باب الضرورة والمبالغة في الجفلة من نتائج سياسة حكومة بغداد التي ظلمت الأكراد سابقاً ، ولربما يكون تعويل المقاومة على هذا التيار الإسلامي في المستقبل وارداً ، أنهم الأقرب إلى تفهم العفاف السياسي الذي لا يصافح الأجنبي أياً كان ، يهودياً أم بريطانياً أم أميركياً ، ما دامت تلوث تاريخه النزعات الاستعمارية ، ومعركة الجهاد العراقي قد تكون قصيرة تنتهي في بضع سنين، وذلك الأرجح، وقد تكون طويلة ، لا ندري ، إذ شطر السياسة غيبٌ ونوايا مكتومة ، وعندئذٍ يجد هذا المنطق في التعامل مع التيار الإسلامي الكردي له سبيلاً إلى عالم الواقعية ، والغموض في هذا التوقع هو الغالب ، وأما جيش أنصار الإسلام الذي تغلب عليه الصفة الكردية ويشارك في المقاومة فليس عليه تعويل كبيرٌ في أن يقوم بدورٍ مؤثر داخل المنطقة الكردية ، بسبب محدوديته وتعاونه فيما يقال مع تنظيم القاعدة واستفحال العداوة الشديدة بينه وبين الأحزاب العلمانية الكردية مما يجعل فرصته ضئيلة .

✤ وجوب المرونة والسياسات التكاملية في عمل المقاومة

● **المرونة وصف حسن للدعاة يصفهم بها علم التخطيط ، ومسوغاتها الشرعية حاصلة وبوفرة وتشرحها قواعد الضرورات وسد الذرائع ، ثم شواهدها الواقعية كثيرة** ، والمنطق العام في ذلك منطق تجريبي يوصي بالتكيف أمام المستجدات التي تفجأ ، وإزاء المناورات التي يلجأ إليها الخصم ، والمفروض أن يكون لكل مناورة ذكية يبديها الغريم : مناورة مقابلة من المؤمن ، كلاعب الشطرنج حين تتحرك بيادقة يمنة ويسرة ليمنع التسلل من ثغرة ، وللمسلم المثل الأجل الأكرم ، ولها شرطٌ واحدٌ مهم : أن تتقيد بأحكام الحلال والحرام ، وأن لا تخرق الثوابت الشرعية.. ولدى النظر الفاحص إلى الكر والفر الحاصل في الساحة العراقية من طرفي المعركة يتبين لنا أن المرونة المطلوبة تسلك خمس قنوات:

✤ يزلف فنزلف .. ويخلي شبراً فنملؤه

● **(١) التبديل المتتالي في الخطة الأميركية لوسائل التأثير المحققة للمصلحة الإستراتيجية الأميركية ، فقد بدأت التحضيرات للمعركة ، وفي ظن أميركا أن العراق سيكون مجرد موضع قدم أولي في المنطقة تنطلق منه إلى بلاد أخرى** لتعيد ترتيب الحكومات والحياة السياسية كلها فيما أطلقوا عليه : "الشرق الأوسط الكبير" ، ثم تصل السياحة بهم إلى أطراف الأمة الإسلامية ، بل لتصل حتى أقصى حدود الأمة عبر المشروع الأميركي لتفتيت وتقسيم إندونيسيا ، وفي أوائل سنة ١٩٩٢م بعد معركة تحرير الكويت ذهب الرئيس بوش الأب إلى استراليا ، فذكر رئيس الوزراء الأسترالي حاجة استراليا إلى حماية أميركية على المدى الاستراتيجي ، لضعفها إزاء جيران أقوياء في جنوب شرق آسيا ، ولم تكن منه تسمية لهؤلاء الجيران ، فأجابه بوش بأن أميركا ملتزمة بذلك وأنها تعلم مقدار الخطر المستقبلي الكامن ضد استراليا في إندونيسيا وماليزيا كبلدين إسلاميين كبيرين في المنطقة ، فسماهما بصراحة وبدون مواربة أو حياء ، وهو يعني الطاقة الكامنة في إندونيسيا نتيجة نفوسها الكثيرة التي تعدت المائتي مليون ، والطاقة

التكنولوجية والمالية الكامنة في ماليزيا رغم أن نفوسها تبلغ عُشر نفوس إندونيسيا وتعادل نفوس استراليا أو أكثر قليلاً ، ولم تـتم ترجمة كلمتي بوش والأسترالي إلى العربية في حينها ، والمؤامرة واضحة في كلام بوش وجاءت عملياً بعد سنوات في صورة محاولات استقلال (جزر الملوك) ثم إقليـم (آجـي) النفطـي في شمـال سومطرة ، والمقصود من هذا السياق التذكير **بأن خطة العولمة الأميركيـة أفـرزت عدة استراتيجيات أمنية أميركية متكاملة ، وأن غزو العراق وخطـة التلاعـب في خارطة السياسة في الشرق الأوسط خطة أخـرى للتلاعـب في خارطـة الـسياسة تكمل خطة تقسيم الأطراف الـشرقية للأمـة الإسـلامية ، ومثلـها كانـت خطـة إحلال الهيمنة الأميركية في الدول الإسلامية في آسيا الوسطى التي استقلت عـن الاتحاد السوفيتي ، ومثلها خطط أخرى في أفريقيا السوداء وشمال أفريقيا** كشف عنها الدكتور علي المزروعي - العربي الأصل الكيني المنشأ - والذي يعتبر الخبير الأول في الشؤون الأفريقية والمستشار المقدم لدى الإدارة الأميركية ويحتل كرسي تـدريس العلـوم الـسيـاسية في بعـض الجامعـات الأميركيـة المقربـة مـن الإدارة الأميركية ، وكان قد أشار في بعض المؤتمرات إلى خطـة تقـدم بهـا لـدمج بعـض الدول الإفريقية مع بعضها الآخر وتكوين دول إفريقية كبرى مـن أجـل تـسهيل التعامل معها ، واستجابت لدعوته أكثـر مـن عـشرين دراسـة أميركيـة وعالميـة ، والقضية معلومـة لـدى مراكـز الدراسـات المختـصة بأفريقيـا وعـنهم رويناهـا ، وموطن الاستشهاد : **أن أميركا تملك عدة خطط إستراتيجية أمنية متكاملة ، وإن غزو العراق يمثل إحداها ، وكان من المنتظر أن تظل أميركا مستمـسكة بأهـدافها المعلنة والتي خلاصتها استثمار احتلال العراق لتوسيـع التـأثير في جميـع منطقـة الشرق الأوسط ، ولكنها مع ذلك وأمام ضغط المقاومة والرفض العالمي العـارم لاحتلالها العراق : لانت ، وبدلت شيئاً ما من تلك الأهداف المعلنة** ، فأخرجت قرار الأمم المتحدة الثاني في شأن العـراق الـذي وكـل الأمـر إلى قـوات متعـددة الجنسية ، في خطوةٍ كأنها تنازليـة ، ثـم خرجـت إلى إقـرار التعامـل مـع حكومـة

انتقالية بأسرع مما كان في التخطيط الأول ، في تنازل ظاهري آخر ، مع أن درجة تدخلها في الشأن العراقي بقيت على نفس الوتيرة ، ثم بدأ الكلام بعد ذلك عن طريقة في (المشاركة) في تسيير أُمور العراق ، أو في تنازل أبعد يكتفي بالهيمنة المماثلة لطريقة تأثيرها في بلاد أخرى سيرتها في فلكها من دون احتلال ظاهر ، وهذه التراجعات كلها وإن كانت من قبيل التكتيك وامتصاص الصدمات والالتفافات السياسية والخروج من الباب للدخول من الشباك إلا **أنها طرائق سياسية يمكن أن تتعامل المقاومة مع بعض مفرداتها بنوع حذقٍ وكسب إنجازات جزئية وفرض شروط ، وذلك ما نعنيه من حاجة المقاومة إلى مرونة في التعامل مهما اشتدت وتصلبت في مطلب الجلاء الكامل النهائي** ، ولا نستطيع هنا أن نقدم توصيفاً عملياً يكون ترجمة لهذه المرونة ، لأن ذلك إنما يكون نتيجة حوار وتفاوض واستعانة بأطراف وسيطة ينبغي أن تسعى لها المكاتب السياسية لتنظيمات المقاومة ، ولكنا نريد أن نشير إلى **أن هذه المناورات السياسية الأميركية يمكن أن يقابلها السياسي المسلم والمجاهد بمناورات ذكية أيضاً ، وهذا هو الذي نعنيه من المرونة ، وهذه المناورات ينبغي أن تكون ركناً مهماً من أركان النظرية العراقية في دفع الاحتلال** ... المهم أن تتذكر أطراف المقاومة أن السياسة الأميركية نفسها ذات مرونة ، وقد صرّح بوش مؤخراً بذلك ، فيما فهمه المحللون منه أنه لينٌ أمام ضغوط عملية انتخابية وأنه يعني احتمال الانسحاب والاكتفاء بإشرافٍ على المصالح الأميركية في العراق أو تأثيرات مبطنة ، **فبمقابل ذلك ينبغي أن تظهر مرونة في قرارات المقاومة لتحصيل مكتسبات جزئية من دون السكوت عن مطلب الجلاء** ، وهذا أمرٌ ليس سهلاً أن يكشف تفاصيله المُنَظّر الفرد ، ولا المكتب السياسي لأي فصيل من المقاومة ، وإنما هي صنعةٌ تحتاج تشاوراً عريضاً مع قدماء الساسة وكبار العسكريين من العراقيين والعرب والأوربيين الذين يعادون العولمة الأميركية ، وعلى المقاومة أن تعترف بأن خبرتها السياسية في مثل هذه الشؤون محدودة .

● **(٢) التزام المقاومة الـذي ينبغـي أن يكـون صـارماً بطلـب تحديـد موعـد انسحاب واضح للقوات الأميركية من العراق** ، وقد اضطرنا الكـلام سـابقاً إلى ذكر هذه المسالة ، ولكن إفرادها وتميزها بعنوان مفصلي ضمن النظرية العامة للمقاومة هو أمرٌ مهم للغاية ويستدعي أن تكون هناك مراقبة دائمة مـن المكاتـب السياسية في المقاومة له ، لتعلق أمره بأكثر من ميزان وخيار واحتمال .

● من ذلك – مثلاً – **احتـمال التنقـل بـين أكثـر مـن سـقف زمـني لإنهـاء الاحتلال ، وهذا من فنِ الممارسة الـسياسية والتفاوضـية** ، والمحـور فيـه أن يـتم تحديد موعد واضح التـاريخ للجـلاء غـيرُ مـرتبطٍ بـشروطٍ موضـوعية يمكـن أن يختلف الجانبان في مدى تحققها ، ثم تبدأ بعد ذلك **محاولات تفاوضـية مـصحوبة بضغوط حربية وإعلاميـة وسيــاسية** لتـقـصير أمـر ذاك التـاريخ ، مـرةً ومـرتين وثلاث ، بحسب البراعة ومقدار الضغوط والفرص الفجائية التي تظهر ولا تكون محسوبة سابقاً ، إذ المهم في ذلك هـو تحديـد الموعـد أول مـرة ، ويعـد ذلـك مـن المكاسب الكبيرة للجانب العراقي والتي تعني احتمال نقـض الخطـة الأميركيـة أو كسر حدّتها .

● ومـن ذلـك أيـضاً : أن يكـون الوصـول إلى **تحديـد جـدولٍ زمـني متـدرج لانسحاب القوات وإخـلاء القواعـد ، مـع بقـاء سـلاح المقاومـة مرفوعـاً ، أو الحصول على ضمانات دولية كافية** من عدة دول لتحقيق هذا الانسحاب المتدرج مع وقف المقاومة من دون نزع سلاحها أو التضييق على رجالها .

✢ ومن ذلك أيضاً : **تحديد أماكن تواجد وحركة القـوات الأميركيـة جغرافيـاً وزمنياً** ، بحيث تقل الأضرار المترتبة من وجودها ، فهذا وأمثاله متروكٌ للتفـاوض الناجح وللوساطات الحيادية الـصادقة ، ولا يجـوز أن يخلـو التخطـيط النظـري الجهادي من الإشارة إليه وإناطة شأنه لرجال يتولّون ملفاته .

✧ التدرج في الانسحاب الأميركي واجب

● **ولكن المطلب العراقي الحاسم بوجوب انسحاب المعتدي الأميركي لا يعني قبول خطة أميركية بالانسحاب المفاجئ السريع ، فإن ذلك يترك ثغرة أمنية واسعة ربما تكون سبباً في اندلاع حرب أهلية على خلفية التوزع المذهبي أو القومي** ، وقد دخلت المخابرات الإسرائيلية على الخط وتُشجع بعض المتهورين من جميع الأطراف لإشعال فتيل هذه الحرب ، **والصواب : أن تضع أميركا جدولاً زمنياً متدرجاً للانسحاب** ، بحيث يتم إحلال قوة من بلد عربي لا يحادد العراق إحلالاً وقتياً محل كل فرقة أميركية تنسحب ، مثلاً ، على أربع مراحل خلال سنة أو أقل ، لئلا ينفلت الأمن ويستبد طرف عراقي واحد بالأمر مستغلاً الفراغ ، ثم يكون تسليم العراق لجيش عراقي يتم بناؤه وله قيادة جديدة تختار من قياداته السابقة .

وهذا هو الرأي الذي يُجمع عليه فقهاء القضية العراقية ، وقد زعم بعض مَن تكلّم في قناة الجزيرة مؤخراً أن هذا الأمر غير مُجمع عليه ، وأن الراشد لا يرى انسحاب الجيش الأميركي الآن ، وهذا كذب وافتراء ، بل رأي الراشد جازم بالانسحاب ، ولكن بتدرج يمنع الاحتمالات السلبية المصاحبة للفجائية ، والتدرج مسوّغ ، وهو جزء من المرونة السياسية التي تستلزمها المواقف ، وفن القيادة لا يمنع ذلك ، وقواعد التخطيط تأذن به ، وبدون التدرج تكون الفوضى العارمة التي قد تستثمرها إيران أيضاً ، والإحتراب الداخلي متوقع ، وأميركا هي التي تسبَّبت في إحداث ضرر بالعراق ، ولذلك تكون مسؤوليتها كاملة كذلك في جعل الانسحاب من ورطتها بدون إضرار بالعراق وشعبه ، وفوضى الفراغ هي التي ستكون المدخل لكل أنواع الضرر ، من الحرب الأهلية أو الانفلات الأمني وسيطرة الجريمة والمافيات السياسية ، وبخاصة أن التاريخ العراقي يرينا تعوّد الفرد العراقي على إراقة الدم ، واستسهال العنف ، والفوضويون يعتادون إرخاص الدماء في كل أُمة ، والأنماط الصبيانية قد تطغى أحياناً إذا غاب العقلاء أو

سكتوا عن تهورات الغوغاء ، **وفتاوى الضرورات يجب أن تصدر عن كبار الفقهاء ومجالس الإفتاء الجماعي ، ولا نأذن لفرد أو شاب قليل التجربة أن يتصدى لتحليل إراقة الدماء بأدنى شبهة وبزعم المصالح والضرورات من دون رؤية للملابسات ولمفاد مجموع القواعد الشرعية الأخرى التي تذهب إلى التورع عن إراقة الدم وتوجب المرونة** ، ولذلك فإن الفتوى بوجوب الانسحاب السريع خطأ ، والانسحاب المبرمج المتدرج وفق جدول زمني متفق عليه هو الصواب .

✦ الضغوط الانتخابية ... سلاح

● (٣) **ومن المرونة المطلوبة** المتداخلة مع قضية تحديد موعد الجلاء : **استخدام المقاومة لورقة الانتخابات الأميركية والتناقضات الحادة بين** الحزبين الجمهوري والديمقراطي ، ثم كفرعٍ لذلك موقف بلير الحرج في بريطانيا ، لا مقابل المحافظين فقط بل حتى تجاه حزبه : حزب العمال ، ويبدو أنه ليس من مصلحتنا التصديق التام والاستسلام الكامل لمقولة صلابة الخطط الأميركية وضعف تدخلات الرؤساء فيها وأن القول الفصل إنما هو لمراكز البحث ودوائر التخطيط الاستراتيجي في الإدارة الأميركية ، فإن هذا صحيحٌ إلى حدٍ ما ، لأن الأخلاقية السياسية المصلحية الأميركية القائمة على مبدأ (البراكماتية) تجعل مصالح الرئيس ثم الحزب مقدمةً في كثير من الأحيان على مصالح الأمة الأميركية .

ورجال الدولة الأميركية شأنهم شأن أي بشرٍ آخر في عصر الظلمات الحالي ، ولهم نفوسٌ شَطْرُها الشر ، ولهم شياطين تأزّهم أزاً ، وهم ليسوا مثل أفلاطون حين يحلم بمدينته الفاضلة ، ولا مثل المؤمنين ، فضلاً عن أن يكونوا ملائكة ، بل يصدق عليهم كل وصف سوء متصور ، **ويمكن أن يضغطوا على دوائر التخطيط إذا عوكست مطامعهم الذاتية** ، ولذلك فإن قضية الانتخابات ، ومعاكسة أحد الحزبين للآخر : يمكن استثمارها لتحقيق مكاسب عراقية .

❖ مرابع الناس وأسوافهم لبست مبادبنا

● (٤) ومن المرونة المطلوبة أيضاً : مرونةٌ في التكتيك الحربي يكاد أن يجمع عليها واضعو فن المقاومة وحروب العصابات في العالم أجمع ، تتمثل في **وصيةٍ عامةٍ أن يمارس المقاومون هجومهم خارج المدن ، وأن يتجنبوا دخول معركة داخل المدن المزدحمة ، وذلك لأن الجيش الغازي يستطيع أن يدمر المدن أثناء المعركة ، وأن يوغل في قتل المدنيين ، فتتولد حالة تذمر وانفصام بين المقاومة والشعب ، وكادت معركة الفلوجة أن تصل إلى هذه الدرجة لولا تدخلات الحكماء الذين نصحوا بالهدنة** ، وحدث شيء قريب من هذا في النجف ، وفي تلّعفر ، وهو قابل أن يحدث في سامراء ، وما سبب كل ذلك سوى **أن بعض فصائل المقاومة لا تمتلك تجربة في هذا الشأن ولا تستوعب جيداً هذه الوصية العالمية** ، وهم بعض مجاميع المقاتلين العرب ، وأحياناً بعض البعثيين ، الذين ربتهم التربية البعثية على الطاعة المطلقة ، فضمر عندهم الفكر التخطيطي والسياسي وفن المناورة الحربية ، وأما التنظيمات الواعية فهي أكثر استيعاباً وتدرك أن الجيش الأميركي يريد استدراجها لمعركة داخل الفلوجة أو داخل سامراء ، وبقيت على طول الخط تفوّت عليه الفرصة ، وقواعد الفن لا تمنع توجيه ضربة في شارع كبير في مدينة كبيرة مثل بغداد والموصل ، ولكنَّ المدن الأصغر شأنها مختلف واجتياحها سهل .

● **مع أنَّ خطة بوش التي صرّح بها : تريد أن يكون العراق هو الساحة الفاصلة التي يضرب فيها ما يزعمه من إرهابٍ عالمي ، وذلك ما يستدعي انتباهاً من المجاهدين غير العراقيين ، فلربما يكون من تمام الحكمة والتخطيط الناجح أن لا يجتمعوا في العراق ، وأن يتركوا معركة العراق الجهادية للعراقيين أنفسهم ، لأن المعادلة العراقية السياسية معقدة جداً ولا يفهما غير عراقي ، وفي العراقيين كفاية ، وعددهم وافرٌ بحمد الله ، ومداخلات بعض الوافدين ربما تزيد الواقع تعقيداً ، والقتال داخل المدن يؤدي إلى ضرر كبير يلحق بعموم الناس ،**

والوافدون مغرمون بالتركز داخل المدن ، وذلك خطأ في فنون إدارة الجهاد ، وحرب العصابات الخارجية أولى وآمن وأكثر تلاؤماً مع نصائح المجربين في كل العالم ، واختطاف الرهائن وذبحهم يزيد التعقيد ، وهو أمرٌ طارئٌ على عادات الجهاد العراقية ، والوافدون هم الذين يهوونه ويمارسونه أكثر من مجاهدي العراق ، ونفترض أن يكون الأخوة العرب وغيرهم أوعى ، وأبعد عن مواطن الخلاف ، وأن لا يجتمعوا في العراق ليسهل ضربهم ، وعلى الأقل : **أن لا يجتمعوا في المدن ، وأن يقتصر عملهم على ضرب الأميركان فقط ، وأن يأخذوا بالشروط الأمنية أيضاً ، فهم في تساهل شديد ، ويخالطهم مَن يتجسس عليهم** ويضع أقراص التوجيه قرب محلاتهم لتضربهم الطائرات الأميركية ، فكأنَّ في الأمر بعض الاختراق .

✤ وجوب التعامل النسبي مع موا ن مزدوج الولاء

● (٥) **ثم مرونة أخرى مطلوبة في تصرف المقاومة إزاء الحكومة العراقية الانتقالية وتحديد نوع العلاقة بها** ، فالذي يبدو حتى الآن أن المقاومة قد اتخذت موقفاً متصلباً واحداً يمنع التعامل مع الحكومة ويتهمها بالخيانة والولاء المطلق للأميركان وأنها مجرد أداة تنفيذية للرغبة الأميركية ، **ولسنا نعتقد صواب هذا الإطلاق الذي لا يراعي الأحكام النسبية ، وقواعد الضرورات والمصالح وسد الذرائع ، لأن وجود الحكومة ضروري ، ولكنها تبقى مأسورة إلى الهيمنة الأميركية ، وتحقيق مصالح الناس في الأمن ومنع السرقات والقتل والخطف وكافة أنواع العدوان التي يمارسها ضعاف النفوس ضد بقية المواطنين : يستدعي وجود شرطة ومحاكم ودواوين إدارية تجعل شريان الحياة مستمراً** ، والحكومة في تحقيق هذا الجانب لها توجه شبه جاد ، وتحقق بعض الإيجابيات التي لولاها لاستمر الانفلات الأمني ، وعلى صعيد السياسة الخارجية أيضاً فإنها جادةٌ في الحد من التدخلات الإيرانية الآتية من وراء الحدود والتي تزيد مشكلةً إلى مشاكل العراق وتتوسل بوسيلة السيارات المفخخة وضرب الشرطة ، وذلك مظهر آخر

من مظاهر الإيجاب الحكومي ، **ولكن الوزارة وقعت في سلبيات كثيرة أيضاً ، أظهرها : اشتراك الحرس الوطني والشرطة معاً في الحملات الأميركية مما يجعل ريبة المقاومة مسوغة ، فالحكومة خلطت عملاً صالحاً بآخر سيئاً ، ومفتاح التعامل في مثل هذا الحال هو التفاوض الذكي المحقق للمرونة ، وليست القطيعة هي الوضع الأمثل** ، ومرةً أخرى نقول : أن إيراد قائمة طويلة منذ الآن فيما تعذر فيه الحكومة وما لا تعذر : أمرٌ صعب ، وكذا تسمية تفاصيل مطالب المقاومة من الحكومة وحدود التنازل من الطرفين : أمرٌ شائكٌ أيضاً ، وطريق العلاج يكمن في **أن تحيل المقاومة ملّف تعاملها مع الحكومة إلى رجال من أهل الحكمة والدراية السياسية والإدارية ليتوصلوا إلى مواقف وسطية تُخفف درجة المشكلة وتضيق الفجوة الحاصلة حالياً ، والمظنون أن استعانة المقاومة بوساطة نخبة من قيادات الأحزاب ورجال العشائر وقدماء الساسة وكبار قادة الجيش السابق والشرطة السابقة والمخابرات السابقة: يضيف تيسيراً ويجعل الفوارق والاختلافات أقل ، وإذا بادرت الحكومة إلى مثل هذه الوساطة فينبغي أن تقابلها المقاومة بحسن ظن واستقبال واقعي عقلاني لا تعكر عليه المزايدات العاطفية ،** ولكن على الحكومة أن تدرك أيضاً أن الواقعية مطلوبة منها وأن عليها أن لا تضع شروطاً تعجيزية تطالب مثلاً بإلقاء المقاومة بسلاحها أو إيقاف معاركها قبل بدء التفاوض ، ثم الحكومة مطالبةٌ قبل ذلك بأن تبدي أحاسيس وطنية وأن تبرأ بعض البراءة من التبعية للمحتل .

❖ الدم العراقي .. خط أحمر

● **إن " النظرية العامة لدفع الاحتلال " لا تذهب إلى براءة جميع أفراد ضباط وجنود الحرس الوطني والشرطة ، بل ترى أن فيهم المخلص الجاد في حفظ الأمن ، وفيهم الخائن العميل الذي يتعاون مع المحتل ويستحق العقوبة ، ولكن ليس كل ما جاز في الشرع يجب فعله ، فمعاقبة الخائن جائزة ، ولكن المقاومة العراقية مدعوة إلى أن تمتنع عن ذلك وتتوقف عن المعاقبة من باب " حُسن**

السياسة " والحكمة والسعي لجمع الصف العراقي ، ولربما يكون الخائن مغرراً به ويعود إلى رشده إذا لمس العفو عنه ورأى حرص المقاومة على وحدة الموقف الشعبي ، وقد يتحول إلى إعجاب وتقدير لذكاء المقاومة وسعة حلمها ، ويعود متفهماً لمناورتها السياسية ، وينبغي **أن يكون للمقاومة العراقية اقتداء واضح بموقف المقاومة الإسلامية الفلسطينية " حماس " التي دعت إلى عدم الاقتتال بين الفلسطينيين أنفسهم** ، وعدم خوض معارك مع السلطة الفلسطينية وشرطتها ومخابراتها ، مهما كان عدوانها على الجهاد ، وجعلت " حماس " الدم الفلسطيني هو " الخط الأحمر " الذي تقف عنده ، فعَصَمته أن يسيل ويزيد القضية تعقيداً ، **وبذلك نجحت في تحصيل إجماع الشعب الفلسطيني على مساندتها** ، وامتصت الغضب ، وتحالمت ، فنالت تقدير أحرار العالم أجمعين ، مسلمهم وكافرهم ، **وفي وسع المقاومة العراقية أن تفعل مثل ذلك ، وتقلّد خُطة " حماس " وتجعل " الدم العراقي " خطاً أحمراً تمنع على أفرادها الغاضبين اجتيازه ، لتنال بدورها التأييد العالمي العريض** ، وأصل الجهاد العراقي واجب شرعي، وعمل المقاومة حلال ، ووجودها ضروري ، وهذا الوصف يكفيها فخراً وتوثيقاً ، وأما الهجوم على مراكز الشرطة وتفجير السيارات المفخخة قربها فعملٌ ينافي الشرع وغير جائز ، لما في ذلك من قتل الشرطة المخلصين المخالطين لغيرهم من الخونة ، **ويعود قتل الخونة على انفراد غير صواب أيضاً ، لا لأنه حرام ، بل لأن سمعة المقاومة ستتضرّر ، وتكون ثأريات عشائرية ربما ، وثأريات قومية ، وثأريات مذهبية ، والسياسة تقتضي العفو** ، ووحدة الشعب العراقي تجاه المستعمر والظالم تستلزم التوقف عن إراقة الدماء العراقية ، ولنا في حكمة " حماس " مرجعية ذكية ، ولنا بها اقتداء .

❖ حاجة المقاومة إلى الإسناد والدعم

وحتى الآن ، وبعد مرور سنةٍ ونصف على انتهاء الحرب وبدء المقاومة : لا يبدو أن المقاومة تخطط لجلب إسنادٍ لها يشد أزرها ويضاعف تأثير ضرباتها ، حتى

أن بعض الإسناد الحاصل إنما مرجعه إلى مبادرات فردية ذاتيةٍ من المساندين لا إلى طلبٍ من المقاومة مستنبط من تنظير واضح ومبادئ تخطيطية متكاملة ، وهذا نقصٌ ينبغي الاستدراك عليه ، وفي العراق ، ثم في البلاد العربية ، ثم في البلاد الإسلامية ، ثم في العالم الواسع ، حتى في أميركا **وفي عقر دار الغازي : قوى حرة يمكن أن تعين وتجعل الجلاء أقرب موعداً ، وتجعل الحاجة إلى المعارك والسلاح أقل .**

٭ المقاومة المدنية السلمية ... ضرورة

● **(١) وأول ذلك ما ينبغي أن يكون عليه عمل المقاومة من تكامل وتعاون عريض مع العمل السلمي السياسي داخل العراق المتمثل بالدرجة الأولى بقدرات جيل دعاة الإسلام الواسع الذي يملك خبرة سياسية تجريبية وفكراً ومنطقاً وأنواع التخصصات الحيوية التي يعضد بعضها بعضاً لتكون في قوة التأثير مساوية لقوة السلاح** ، ولكنّ مطالعة واقع المقاومة يدل على زهدها بهذه الطاقة الكامنة في المقاومة السلمية الدعوية بخاصة ، والتي يمكن أن تظاهرها أعمالٌ سلمية لمجاميع سياسية عديدة وأرهاطٍ متناثرة من القانونيين والإسلاميين والساسة المستقلين وبعض جمعيات المجتمع المدني ، وأكثرهم له توجه إسلامي ، وفيهم من له توجه علماني مخفف ، وتاريخ العلاقة بين المقاومة وهذه الطاقات يدلُ على مقاطعةٍ غيرُ مسوغة ، حتى وصلت إلى درجة (الفِصام النكدْ) كما سمّى سيد قطب أمراً مماثلاً ، **وذلك في التحليل النفسي هو من نتائج (غرور السلاح) ، فإن السلاح إذا أمسك به مقاتل لم يتسلح بفكرٍ ولم تفركه تجربةٌ ومعاناةٌ سابقة : أسس في نفسِ المجاهد نوعاً من الكبرياء يزدري معها مواقف السلميين في الأمر بالمعروف** ، والذي أعلى درجاته الآن : الأمر بالجلاء والنهي عن منكر الأميركان ، بل من الخطأ أن نصفهم بالسلميين ، لأنهم يعتقدون الجهاد ويدعمون كلُ حرٍ ، ويدعون بكل خيرٍ لكل مقتحم شجاع ، **ولكنهم وجدوا أن خطة ونظرية دفع الاحتلال تستوعب أشكالاً عديدةً من أنواع الدفع ، فاختاروا**

النوع السلمي منها استكمالاً لقتال المقاتلين ، أو وضعهم القدر في هذا المحل السلمي بحكم الضرورة التخطيطية .

✥ **إن من الخطأ بمكان أن يرى المقاتل في العمل السلمي تخلفاً عن درجة القتال ، بل هما سواء ، وبينهما تكامل، وينبغي أن يقوم حِلفٌ قوي أوله حُسن الظن ويمر بآداب الأخوة والتشاور ، ويرشح أن ينتهي إلى نهايات وحدة القرار وتبادل الدعم ، ولربما تكون أساليب السياسيين وكلمات الإعلاميين وتنبيهات الدستوريين أشد تأثيراً في تحصيل النتائج من طلقةٍ ورشقةٍ ولغمٍ وقنبلة** ، ومن يقرأ التاريخ يجد الكثير من العبر ، ويكتشف **أن الرأي والرمي وجهان لعملٍ واحد** ، وجميع الفلاسفة والمفكرين وأهل التنظير والتخطيط يقرّون بذلك ، **إلا قادة المقاومة العراقية فإنهم أبطأ في اكتشاف هذا التلازم بين الجبهتين ، وقدموا ظن السوء بمن أراد أن يخدم القضية عبر الطرق السلمية** ، وغمزوا رجالاً من الدعاة لهمٌ تاريخٌ ناصع وأداء فكري وافر .

● ومن هنا **فإن العمل السلمي ينبغي أن يكون مفصلاً في النظرية العراقية في دفع الاحتلال** ، وأن يوكل إلى أهله من الدعاة المخضرمين الذين لهم ظهيرٌ عالمي ، **وأن يتم تفهم التأولات التي مالوا إليها حين اقتربوا من المؤسسات التي أفرزتها حالة الاحتلال** ، والتي تلتقي مع التقريرات الأصولية والقواعد الشرعية والإفتاءات الفقهية ، ولئن لم تكن العصمة قد أنبغت لهم على طول الخط ، وبدر منهم تصريحٌ مفضولٌ أو تصرف مرجوحٌ : فإن حُسن نواياهم يشفع لهم ، ومبدأ الاجتهاد يعفيهم من لزوم صواب النتائج ما داموا على مقدماتٍ صالحة .

● **وينبغي أن يكون في علم قيادات المقاومة أنهم بحاجةٍ مؤكدة للرهط الآخر الذي يعمل عملاً سلمياً** ، وذلك لأن العمل السلمي أطول شوطاً ، وأبعد دواماً ، وأوسع امتداداً في الساحة المحلية والعالمية ، وقد تبقى بعض نتائج القتال طافية عائمة تريد أن يستثمرها عملٌ سلميٌ ناجح ، بينما العملُ القتالي تحكمه ظروفٌ وشروط إن تتوسع حيناً فإنها تضيق في أحيان ، وفيه مدٌ وجزرٌ ، وفيه

تمهيدٌ ثم تبعاتٌ وأحمالٌ ثقيلة لاحقة ، **وقد تـشتدُ الظـروف الأمنيـة حتـى يعـسُرَ الجهاد ، والمجاهد الذكي عليه أن يتوقع ذلك** ، وأن يرفق بنفسه وبصحبهِ وبجنوده قبل أن يرفق بالآخرين ، **وذلك يتطلب منهُ تأسيس صداقات عميقة مـع رجـال المقاومة السلمية ، وهذه الصداقات تـتطلب بـدورها أنواعـاً مـن حُـسن الظـن والتفويض والتوكيل لهم ، بل وادخارهم لأداء أعمال صعبة لا يـستطيع أداءهـا المقاتل** ، فضلاً عن أن إطلالتهم المعرفية العلمية الحضارية تكون واسعةً وتنعكس عَبر التخطيط الماهر الذي يتطور إلى جزءٍ مهم في إتقان العملية القيادية الميدانيـة ، وكلُ ذلك إنما يثمر في ظرفٍ واحدٍ فقط يتلخص في **أن ينظر المقاتل نظرةً تكامليةً مع الأداء السلمي** .

● والفرع الرئيس لهذه القضية ينبغي أن **يتمثل في قناعةٍ لدى المقاومة بأنها إنما تؤدي دوراً مرحلياً قدرياً في تاريخ العراق المعاصر** يكلفها بالتحرير وتحقيق الجلاء أو أدنى درجات التدخل الأميركي في الـسياسة العراقيـة المـستقبلية ، وأن تـؤدي دورها هذا بالتعاون مع الجهود السلمية ، **ثم تكـون بعـد التحريـر قـوةً سياسـية كباقي القوى والأحزاب والتيارات تؤدي وظيفتها السياسية وفقاً لمبدأ الـشورى وممارسة الانتخاب وقواعد تبـادل الـسلطة** ، وأن تــتجانس مـع الأعـراف الـتي تستعيرها الحياة السياسية العراقية القادمة مـن الحيـاة الغربيـة الـتي لامنـاص مـن التعامل معها في هذه المراحل التي لا تؤسس فيهـا الحكومـات والحيـاة الـسياسية على الأحكام الشرعية بشكل كامل ، **ولا يجوز بأي وجهٍ مـن الوجـوه أن تجـنح المقاومة إلى دعوى حقها في احتكار السلطة بعد التحرير ، وأن تضع في حـسابها استمرار القتال لأية حكومة عراقية تكون جادةً في إجـراء الانتخابـات وإشـراك جميع أبناء الشعب العراقي في الحياة السياسية** .

وعلى المقاومة أن تعلم أن المعادلة العراقية إنما هـي معادلـةٌ بالغـة الـصعوبة تـتدخل فيها المذهبيات والقوميات والإقليميات وآثـار العولمـة ، وكـل احتكـار سيرجعنا إلى أوليات قصة الاضطراب ، ويبقى العراق دائراً في الدوامـة والمحـيط

المفرغ ، ولتنظر المقاومة إلى ما آل إليه أمر احتكار جبهة التحرير الجزائرية للسلطة من فساد إداري وتخريب وشلل اقتصادي رغم ما كانت عليه أولاً من بذلٍ وقتالٍ بطولي للمستعمر الفرنسي ، وفي قصص ثورات أخرى مواعظ وعِبَر تسوق منظرّي المقاومة العراقية إلى الجهر بأن **وظيفة التحرير إنما هي مجرد وظيفة مرحلية لا تستطرد نحو تأسيس حقٍ دائمٍ لأي بطل قائم** ، وأن التواضع الجهادي والأخلاق السياسية يمثلان شرطاً في نظرية دفع الاحتلال لا يُتاح لأمنية أحد من المواطنين أن تتجاوزه .

❖ ضرورة الترحيب بمساندة أحرار العالم للعراق

● (٢) وبمقابل ذلك الحلف الداخلي مع أصحاب العمل السلمي : **فإن المقاومة بحاجةٍ مؤكدةٍ إلى حلفٍ خارجي مع الأحزاب والتيارات العالمية وجماعات الخضر في أوربا وأميركا واستراليا واليابان وعموم آسيا ، وبدرجةٍ أخرى أقل مع كل القوى المعادية للعولمة في دول العالم الثالث** ، وقد لا يتمثل هذا الحليف في حزبٍ وتيارٍ سياسي وإنما في مراكز بحثية ومؤسسات إعلامية وجمعيات تخصصية من أهمها جمعيات حقوق الإنسان والجمعيات الإغاثية ، والتي تمثل شبكة واسعةً تتعدد طرق إسنادها للقضية العراقية ، والمحرك الرئيس لهذا الإسناد إما أن يكون هو الفكر المنتصر للحرية ، وإما هي الضرورات والمصالح التي تتخوف أن يحرمها الاحتكار الأميركي للنفط العراقي وعموم نفط المنطقة منه ويوقعها في أزمة طاقةٍ خانقةٍ في المستقبل البعيد مرةً بعد مرة كلما أرادت أميركا ممارسة ضغط سياسي على أوربا والشرق لتمرير خططها وحروبها ، وهو ما تسعى إليه أميركا جاهدة بعد نجاحها في أن تكون الطرف الرئيس في معادلة الأمن الغذائي لجميع أمم الأرض عن طريق الضغط بمنع الحنطة .

● وهذا التحالف سهلٌ في اللسان صعبٌ في التطبيق ، ويكشف مرةً أخرى احتياج المقاومة العراقية احتياجاً حتمياً إلى المجموعة الدعوية العراقية الممارسة للمقاومة السلمية ، وذلك لأن هذه المجموعة العراقية هي الوسيط الذي لابدَّ منه

والجسر الموصل إلى رجال دعوةٍ إسلامية عالميةٍ مبثوثة في جميع بلاد الغرب والشرق فضلاً عن بلاد أمة الإسلام ، ممن لهم جنسيّات غربية أو إقامة طبيعية في تلك البلاد ولهم تجريب وافر وتخصص عميق متكامل وأداءٌ جماعي تحكمه خطةٌ وقرارات مرجعية ، وفقط هذه المجموعة هي المؤهلة لإجراء هذه التحالفات وتجميع الإيجابيات المتنوعة المتناثرة في أرجاء العالم لتركيزها في أرض العراق .

● ومما ينبغي الالتفات إليه ، أن هذا التحالف ينبغي أن نقدم له بمقدمتين تربويتين متبادلتين بين الجهتين العراقية والعالمية : العراقية في أن تعلم بوجود هذه الإمكانات العالمية للإسناد ، وفي أن ترضى بالتعاون والتعامل مع حليفٍ يحمل عقيدة أهل الكتاب أو عقيدة شركية بوذية أصنامية لكنه ينتصر للمستضعفين ويؤمن بظاهر الديمقراطية وقد استبدت به مشاعر الحرية استبداداً جعل حماسته توازي حماسة العراقي المظلوم ، ولسنا نظنُ أن ما في قلب رجل الدولة البريطاني غالوي من كُرهٍ للعولمة الأميركية هو أقل مما في قلبِ خطيبٍ يعتلي درجات منبرٍ في الفلوجة ، بل لعله أوعى وأعرف بلغة السياسة وشواهدها وحججها الدامغة لبوش ورامسفيلد ، وليس الذي في قلب عمدة لندن من حريقٍ يتأجج بأقل ، ولا في قلبِ أي رجل من رجال الديغولية الفرنسية بأقل ، والذي مع الفيلسوف الأميركي (جومسكي) من منطق وجدالٍ ينقض حجج وجَدلَ العولمة الأميركية ، والخطط الصهيونية : هو أكثر وأوضح وأجدر أن يفهمه الأحرار الغربيون ، لأنه يتكلمُ مراعياً مفاهيمهم وموازينهم المعرفية ويتقيدُ بمنهجية بلغ فيها من المهارة ما يجعلها مقنعة لكبار المفكرين والساسة ، **أما التربية التمهيدية لهذا التحالف فإنما تكون عَبْر تقديم هذا التحالف كمشروع سياسي حضاري متكامل يستندُ إلى الجذر القديم للتحالف الذي كان بين الدولة العثمانية ورجل الدولة الألماني السياسي البارع القوي بسمارك** ، تبعاً لبراءة السياسة الألمانية من الممارسة الاستعمارية لأحد ديار الإسلام ، **وهو التحالف الذي حرص السلطان عبد الحميد على رعايته وتمتينه طيلة أيام حكمه** وجعل تسليح الجيش العثماني

معتمداً على السلاح الألماني ، ومكّنهُ من القيام بمناورات بارعة في عـالم الـسياسة الدولية ضد المطامع الاستعمارية البريطانية والفرنسية والروسية ، واشتهرت قبـل قرن من الزمان زيـارة إمبراطـور ألمانيـا لاسـطنبول الـتي جـاءت تطـويراً لـذلك التحالف ، ثم قام رجال الاتحـاد والترقـي أيـضاً بتطـوير ذلـك التحـالف الـذي أدخلهم الحـرب العالميـة الأولى ، ثـم انتقلـت مفـاهيم وعواطـف ذاك التحـالف العثماني إلى السياسة العراقية بين الحربين العالميتين عَبر تشبّع جيل رجال الدولـة العراقية من ساسة وقادةٍ عسكريين بالتربيـة العثمانيـة وآثـار التحـالف العثمـاني الألماني ، وكان سفير ألمانيا في بغداد المسمى (غروبه) قبل الحرب العالمية الثانيـة قد دفع عصبة العقداء الأربعة ورشيد عالي الكيلاني في هذا التوجّه الذي يـستندُ إلى إحياء الحلف العثماني القديم ، حتى أثمر التفاهم المـشترك في ذلـك إلى قيـام حركة رشيد عالي ضد الوجود البريطاني الاسـتعماري في العـراق سـنة ١٩٤١م واستقدام سرب طائرات ألمانية إلى بغداد بقيادة ابـن قائـد القـوة الجويـة الألمانيـة الذي قُتل غيلةً قبل دقائق من هبوط طائرته في مطار معسكر الرشيد ، **فالحيثيـات الكثيرة لحلقات هذه التحالفات والتي تحفظها مدونات التاريخ العراقي السياسي الحديث والتاريخ العثماني تصلح كلها لإمداد خطة التربية التحالفية التي ينبغـي أن تسعى لها الحركة الإسلامية العالمية استناداً لوضع المقاومـة العراقيـة ، ثـم في بقايا الأدب السوفيتي السيـاسي وتـفاصيل مواقف الأحـزاب المعارضـة للعولمـة مددٌ آخر** ، ولذلك تصلح هذه الخواطر لتطبيق نسخةٍ أخرى مـن هـذه التربيـة في الصين بخاصة رغم اضطرارها اليـوم لمـداراة أميركـا سياسـياً وإلى عـشرِ سـنوات قادمة تمكيناً لنفسها من إنجاز خطتها الاقتصادية الـتي يُـراد لهـا أن تـتفوق علـى الاقتصاد الأميركي ، وفي الموقف الروسـي الحـالي غـبش ، لكنـهُ لا يوصـلنا إلى درجة الزهدِ بأعمال تبديها روسيا في الانتصار لنا والدعوة لجلاء الأميركان .

ومن اللائق حين نذكر الإسناد العالمي أن لا نكتفي بالتعميم والإطـلاق علـى هذا النحو ، **وإنما الصواب أن نقدم مشروعاً تفصيلياً لوجوه التعاون والإسناد .**

● **من ذلك طلب معونة الأحزاب الأوربية في عملية الانتخابات البرلمانية والبلدية ونقل تجربتهم لنا ، وتدريبنا على مستلزماتها ، وصولاً إلى الخبرة السياسية كلها** ، فإنهم يجيدونها ونحن نكادُ أن نكون أهل سذاجة فيها ، وهذه الخبرة التي ستنعكس على رجال المقاومة السلمية انعكاساً إيجابياً ستنعكس بدورها على عملية استثمار نتائج المقاومة المسلحة .

● **وكذلك التعاون في التثقيف السياسي الجماهيري والوسائل الإعلامية** ، وصولاً إلى إهداء البرامج التي يمكن أن تذاع في الفضائيات التي ستمتلكها المجموعة الدعوية العراقية ، ويدخل في ذلك ظهور كبار الساسة العالميين الموالين للقضية العراقية في ندوات وبرامج وحوارات في هذه الفضائيات ، لأن أميركا تصرف الكثير في هذا المجال ، وأنشأت قناة (الحرة) في هذا السياق بغية غسل دماغ جيل العراقيين والعرب .

⌖ **تخصيص الزمالات الدراسية خارج إطار التعاون مع الحكومة العراقية ، بل مع المجموعة الدعوية الإسلامية وجمعيات المجتمع المدني ، من أجل صناعة التخصصات العالية في جميع نواحي الحياة** ، وينبغي أن يعلم هؤلاء الحلفاء العالميون أن فرصة المشروع العلماني العراقي ضعيفةٌ جداً ، وأن الجيل العراقي الحاضر يستولي عليه توجهٌ إسلامي عارمٌ لا بد لهم أن يتعاملوا معه برفقٍ ، لأنه حتى الآن استطاع اللبث الناجح مع المفهوم الوسطي الإسلامي البعيد عن التطرف ، وذلك ما يحتاجه الغرب والشرق فعلاً من أجل معاكسة الخطة الأميركية في التشنيع على الإسلام المتطرف ، وفي نزعة التشجيع لأعمال التخريب والتفجير التي تمكّن أميركا من رفع راية محاربة الإسلام كله انطلاقاً من الفكرة الفلسفية والتخطيطات الإستراتيجية التي تزعم دخول عصر صراع الحضارات ووجوب تفوق الحضارة الغربية على الحضارة الإسلامية ، وأمثال ذلك من الأفكار التي لم تجد لها تسويقاً جيداً في أوربا والشرق ولبث أكثر أحرار العالم مع فكرة تعاون الحضارات وتمازجها .

● **بل لنا أن نجهر بكلامٍ جريء فنزعم أن هذا الحلف ينبغي أن يصل إلى درجة الحرص على تحسين الأحوال الاقتصادية للجمهرتين العراقيتين المقاومتين حرباً وسلماً ، عَبر مشاريع اقتصادية يتم رصد فرصها الوظيفية لتحقيق كفايةٍ على المدى الطويل** ، وهناك عَبر اتفاقية التجارة العالمية ضمانات كافية تدفع أنواع الوسوسة التي توحي بالتثبيط في هذا المجال ، ووجه الضرورة في ذلك أن أميركا تريدُ تكوين جيلٍ من العراقيين يتعاونون معها تعاوناً خيانياً عَبر المادة وأنواع الفرص ، **والخطة الأميركية حريصةٌ اليوم على تفقير العراقي ومحو قدراته التجارية والصناعية والزراعية** ، بل حتى أنها حريصةٌ على حِرمانه من تحقيق الفرص الضامرة التي لا تتعدى كونها فرصاً استهلاكية ، وذلك من أجل أن يبيع صوته الانتخابي لعميل وخائن ، وله رؤساء سماسرة في ذلك ، من شيخ عشيرة ؛ وعميد عائلة ؛ ورئيس حزب صغير نفعي ؛ **مما يتطلب تربيةً تبديها الدعوة الإسلامية العراقية لعموم أبناء الشعب تؤدي إلى الحفاظ على مصالح العراق الإستراتيجية العليا في جوانب الاقتصاد والنفط وإلغاء الديون والعقوبات** ، ويمكن أن يكون ذلك سهلاً بمجرد أن نكفي الحاجة الاستهلاكية الملّحة للفرد العراقي ، لأن العراقي يعيش في رحاب المفاهيم الحضارية العريقة التي توارثها عَبر الحكم الإسلامي وما سبقه من مدنيات بابل وآشور وسومر ، وهو إيجابي في نزعته ، استعلائي في أشواقه ، حرٌ في تطلعاته ، بعيدٌ في طموحاته ، متفننٌ في أذواقه ، منهجيٌّ في أدائهِ ، لولا أن الفقر كادَ أن يكون كُفراً.

❊ أبطال متكافئون من أمة التوحيد الواحدة

● **(٣) ثم ما بين الإسناد المحلي العراقي والإسناد العالمي درجةٌ متوسطة ثالثة تتمثل في الإمكانيات الضخمة التي تملكها الأمة الإسلامية وتستطيع أن تجعلها في خدمة المقاومة العراقية بشقيها الحربي والسلمي ، فهناك مالٌ وفيرٌ ، وهناك علمٌ شرعي وإفتاء ، وهناك فكرٌ وتخصصات ، ومنابرُ إعلامية من صحف وفضائيات ، وأحزابٌ وجمعيات وجامعات ، وعناصر مستقلة ، من رجل دولةً**

متقاعد ، وقيادي عسكري رفيع المستوى انتهت خدمته ، وشاعرٍ بليغ ، وينبغي أن توظف جميع الطاقات عَبر مؤتمرات وندوات ومهرجانات وتجمعات منظمة من أجل الانتصار للقضية العراقية وسد حاجاتها المادية والفكرية والإعلامية والتخطيطية ، والحاصل في عالم الواقع من ذلك شيءٌ كثير بادر إليه الأخيار ، لكن يعوزه التكثير الكمي والتطوير النوعي والتنسيق التنفيذي ، وهو ميدانٌ العمل فيه أيسر بكثير مما أشرنا إليه في الميدان العالمي ، لأننا هنا نتعامل مع مسلمين يغلبُ عليهم أنهم ثقات وقد حركتهم مشاعر الإيمان المستقرة في أعماق القلوب وما هم بحاجةٍ إلى إهابةٍ وإثارةٍ إعلامية بمقدار ما هم بحاجة إلى فقه سياسي ونظر تخطيطي ، وأسواق هاتين البضاعتين قريبةٌ جداً منهم ، يبذلها دعاةٌ مسلمون ينطلقون من خلفية إرثٍ تجريبي واسع .

❖ فَدَاحة الظلم الأميركي وتنوّع أشكاله

● والظلم مصرعه وخيمٌ ، كما قال الأدباء الحكماء ، ولكن عيشنا في مجتمع مدني معقد أصبح يلزمنا بأن نوظف حقائق علم النفس وملاحظاته وفنونه توظيفاً علمياً منهجياً يؤدي إلى تحقيق مصالحنا في الحالتين المتضادتين معاً ، فصور العدوان الأميركي الكثيرة الماثلة للعيان والتي تفضحها عدسات الفضائيات ينبغي لطرائقنا أن تستوعب في إيصال خبرها إلى العالم كافة الأساليب في التأثير النفسي الذي يضاعف ردة الفعل وينزلُ إلى عمقٍ عميق في الانفعال وتوليد الاشمئزاز الفطري في نفوس البشر مسلمهم وكافرهم ، وهذا فنٌ عريض متوسع ديدنه إلقاء المعاني في النفوس على طريقةٍ تحرك الحساسية الكامنة بحيث تتوالد وتتضاعف أحجامها لتكوين شكلٍ من النفرة والمفاصلة والتبرؤ من العدوان الأميركي ، وبالمقابل ينبغي أن نستثمر الفنون النفسية ذاتها لتوليد معاني الصبر في نفوس العراقيين المعتدى عليهم ، وقذف السكينة في قلوبهم والاطمئنان والثقة بعدل الله والرضا بالقدر السيئ والتحرك لدفعه وإزالته بقدرٍ خيري مقابل ، وأن ندع **تربيتنا تضرب على الأوتار العاطفية وتقدح محركات الطموح والثأر وعزة المؤمن**

التي تضعه في المحل الأعلى ، ونفرة الحر من إغراءات الاستسلام للأمر الواقع وإلقاءات الشيطان التي تبث وسوسة الهزيمة وتنطق بتسويق دعاية التفوق المدني والحضاري والتخطيطي ، بل البشر سواء في تحصيل درجات الذكاء ، وعقل العراقي كاملٌ ويخدم خدمةً طبيعيةً تامة ، إذ هو عفيفٌ منتسبٌ إلى بيئة الإيمان ، **بينما عقل الأميركي ناقص نحتته الخمور والمخدرات** وأرهقته وساوس القلق ، حتى إن طعامنا مختلفٌ ونتائجهُ النفسية مختلفة ، فَتمْرُنا وخضرتنا وبقولنا تمدّنا بالبوتاسيوم الذي يؤدي إلى وفرة مشاعرنا الإيجابية ، من بُعد الأمل البعيد والثقة بالنفس والشجاعة ، بينما المواد الحافظة التي يأكلها الأميركي في معلباته وسندويج (المكدونالدز) تحرمه من البوتاسيوم ، فيظل واطئاً دائراً مع المشاعر السلبية ، من التشاؤم والهلع واليأس ، فينكبح مع كل زعقةٍ تبثها أغنية ، **إذ تتصاعد بالمقابل طموحات المجاهد مع كل صيحة : " الله أكبر " تبثُّها مئذنة** .

وخلاصة ذلك أن إعلام المقاومة الحربية أو السلمية ومناهجهما التربوية ينبغي استنادهما إلى عطايا علم النفس الإسلامي وعلم النفس العام ، وأن نبدي مهارةً أكثر في هذا الجانب المهم عَبْر نصائح أطباء النفس وأساتذة علم النفس في الجامعات ، العراقيُّ منهم ، والعربي ، والإسلامي ، والعالمي .

ومظاهر العدوان الأميركي كثيرة ، ولأنها الأظهر من غيرها من الحيثيات التي تشكل مفاصل القضية العراقية : فإننا سنمرُ عليها مروراً سريعاً ، ونترك حشداً عظيماً من المعلومات التفصيلية فيها يمكن أن يضيفها الباحث الذي اقترحنا أن يفسّر ويشرح النظرية العراقية في دفع الاحتلال عَبْر الاقتباس من الصحف ومواقع الإنترنت والكتب المتخصصة والتقارير المتراكمة ، مع مراعاة فن التوثيق والإحصاء ، على غِرار ما فعل القاضي الأميركي ذي الأصل اللبناني (كلارك) في كتاباته عن الحصار الأميركي للعراق بعد حادثة الكويت .

ومن أنواع هذا العدوان الأميركي :

٭ القوة تفسر القانون الدولي كما تشاء

● (١) **تجاوز الجيش الأميركي على مفادِ قرار هيئة الأمم المتحدة بالتحوّل من حالة الاحتلال إلى حالة وصاية القوات المتعددة الجنسيات على العراق** ، فالمفهوم البدهي لهذا القرار أن تتقلص صلاحيات الجيش الأميركي وأن يقلّ تدخله في الحياة اليومية العراقية ، وأن يوكل التفتيش وعلاج الأزمات الأمنية إلى جيوش عديدة يفترض فيها الحياد والتماشي مع أعراف هيئة الأمم المتحدة ، إلا أن شيئاً من هذا التخفيف لم يحصل ، **بل ازدادت شدة القبضة الأميركية ووحشية تصرف الجنود الأميركان** عند التفتيش والمداهمة واعتقال الناس ، وكانت صفة الاحتلال تجيزُ في القانون الدولي وجود مقاومة تحريرية ، فارتفع هذا الجواز وجنح الجيش الأميركي إلى مضاعفة الرد على كل فعلٍ من أفعال المقاومة ، أو ما يظنّه مقاومة ، وحصل غِطاء قانوني لتصرفه الشديد الذي غالباً ما يخرج مخرج الانتقام .

٭ استمرار مشكلة الولاء المزدوج

● (٢) وشيء مثيلٌ حدث خلال تأسيس الحكومة العراقية الانتقالية واستلام إياد علاوي للسلطة ، فإن وتيرة التدخل الأميركي زادت عمّا قبل تأسيس الحكومة ، وحصل ضرر كبير على المواطنين عَبر استمرار القصف الجوي للفلوجة مثلاً ، وللنجف ، وفي حملات التفتيش عن المخطوفين في قاطع اللطيفية وجبْلَة ، وفي تلعفر ، وإنما حصل المقدار الزائد من العدوان بسبب اشتراك الشرطة العراقية والحرس الوطني في هذه الحملات ، مما منح العمليات الأميركية شيئاً من الغطاء القانوني .

٭ أحرار ... في القيود الأميركية

● (٣) **الإسراف في اعتقال العراقيين على مدى السنة والنصف الماضية** ، حتى بلغوا عشرات الألوف وبأدنى شبهة ، حتى اعترف القائد الأميركي بأن تسعة من كل عشرة مقاتلين تظهر براءتهم ، وكانت أي وشاية من أي عدوٍ من

المواطنين تجاه عدوهِ ومنافسهِ في السوق أو في الوظيفة يمكنها أن تفعل فعلها في أذى غريمه المنافس وتدعه يلبث في السجن شهوراً ، وكم من جارٍ وشى بجيرانه وأدى إلى سجنهم لأن زوجته متضايقة من زوجة الجار ، **وتدخلت في ذلك المذهبيات أحياناً** ، والعداوات العشائرية ربما ، بل حتى كان المترجم ينحاز ببعض الدوافع إلى تزوير إفادة المعتقل والكذب عليه ، **وبعض الأبرياء ما كان يمكن إطلاق سراحهم إلا برشوةٍ تقدم إلى الضابط الأميركي** ، وعند التفتيشات كان ذهبُ النساء ينهبه الجنود والضباط وجميع المبالغ النقدية ، وأحياناً التحف النادرة في غرف الاستقبال .

❖ وحشيون في لباس ديمقراطي

● **(٤) ومن فروع هذا الاعتقال : التعذيب الذي حصل في سجن (أبو غريب) والصور المؤلمة التي تسرّبت** ، وحوادث الاغتصاب المريرة ، والأشكال البشعة التي اشمأزت منها نفوس الخلائق أجمعين ، ثم تواترت الأحداث بأن كل ذلك إنما حصل بعلم وإذن القيادة الأميركية ، وبعض درجات التعذيب وشدته لم تحصل حتى في سجون صدام ، **وثبت اشتراك بعض رجال الموساد الإسرائيليين في هذه الجرائم** ، مما يفضحُ مزاعم أميركا التي رافقت غزوها بأنها أرادت تمكين العراقيين من الرفل بالحرية ونقل الصورة الديمقراطية الأميركية إلى العراق .

❖ تجفيف المنابع

● **(٥) الإسراف في قتل العلماء العراقيين من خبراء الفيزياء النووية وبقية العلوم ، وإطلاق يد الموساد الإسرائيلي في ملاحقتهم وتصفيتهم جسدياً أو على الأقل في تهجيرهم إلى أميركا بالإكراه وتحت وطأة التهديد بالقتل والمحاكمة بغية تجفيف منابع الصناعة العراقية** ؛ وتخويف بقية العلماء في البلاد العربية والإسلامية بأن يحصل لهم مثل الذي حصل لإخوانهم من العراقيين .

✤ الأجير الجافل المنهار

● **(٦) القتل الجزاف الكثير الذي يرتكبه الجندي الأميركي الخائف القلق المعتلي لإحدى المدرعات ، فإن أي خطأ مروري يرتكبه سائق يؤدي إلى إحراق سيارته وقتل من فيها ، أو أي محاولة للتجاوز في طريق السفر أو عند الاختناقات المرورية ، فإنها تقابل برمي مباشر من دون تحقق** ، وقد يكون القتلى أصحاب شأن ، مثل مقتل الخبير الزراعي الكبير الدكتور أحمد عبد الهادي الراوي على الطريق السريع قرب الرمادي ، ثم من بعده رمي رئيس جامعة النهرين في بغداد الدكتور خالد الجودي وإصابته إصابة خطرة ومقتل سائقه ، في حوادث كثيرة ذهب ضحيتها الألوف من دون أن يكون هناك تعويض أو اعتذار ، وكان مقتل الدكتور كيلان محمود رامز أحد أركان وزارة الخارجية العراقية في حادث اقتحام جزافي لمخزن قرب داره ، وقريب من هذا القتل الثأري الانتقامي لألوف من العراقيين يتجمهرون حول الدبابات المحترقة التي تصيبها المقاومة لمشاهدة المنظر الغريب ، فتأتي طائرات الهليكوبتر وتطلق عليهم صاروخاً يقتل الكثير منهم ، وحادثة مقتل المتجمهرين في عرس في مدينة حصيبة تمثل نوعاً آخر من الجزاف ، والقصص كثيرة ، والضحايا ألوف .

✤ لا أرحمك ... ولا أدع رحمة الله تنزل عليك

● **(٧) تعمد الإدارة الأميركية إذلال العراقيين عن طريق الإبقاء على مشكلة الكهرباء وعدم الإسراع في إجراء الصيانة ، مما يولد رهقاً عظيماً لكل الناس وإحراجاً للمرضى** وتفويتاً لمصالح الشركات والمعامل والمكاتب التجارية وعموم أصحاب المهن ، مروراً بالأذى الذي يلحق طلاب الجامعات والمدارس وموظفي الدولة وتعطيل استخدام المجاري والصرف الصحي ، وكثير من أنواع الخدمات الأخرى ، وإجراء المحتل لهذه العقوبة وانتقامه من الناس في صورة فوضى الخدمات أمر يدل على الطبيعة الأخلاقية المتردية لدى رجال الإدارة الأميركية لم نسمع بمثله بمكان آخر من غير الأميركان ، وفي الأمر **برهان على أن الحرب لم**

تكن موجهة ضد صدام وإنما ضد الشعب العراقي ، في محاولة لكسر معنوياته وتعكير جوانب حياته لصالح الخطط الإسرائيلية التي تخاف من تطلعات الشعب العراقي الأبي لتحرير فلسطين .

❖ نهبٌ مكشوف

● **(٨) الإضرار بمصالح الميزانية العراقية عبر فرض نظام يبيع النفط العراقي إلى الشركات الأميركية بثمن يقلُ تسعة دولارات عن سعر البورصة اليومي ،** وذلك يجعل الخسارة مليارية خلال سنة ، وهي حق الشعب ، واقتطاع من قوته وخدماته ، بل حصل ما هو أكثر من ذلك عدواناً في قصة غريبة خلاصتها أن الكونغرس لما أقر صرف عشرين مليار دولار كنفقات للجيش الأميركي في العراق : زعمت الإدارة الأميركية أن الإجراء الروتيني الأميركي حال دون صرفها ، ولا يوجد في الميزانية الأميركية بندٌ بديل ، فصرفوا على عمليات الاحتلال من الوديعة العراقية المحجوزة لدى أميركا ، وذلك يعني أنهم يستأجرون القتلة ويدفعون لهم من مال القتيل ثم يأخذون أجرة من تركته لتكفينه وقبره ، ثم الحديث كثير عن ممارسة الضباط الأميركان تجاه خطة إعادة إعمار العراق **وإحالة المناقصات على المقاولين بأضعاف أسعارها العرفية ، وشراء التجهيزات بعشرة أضعاف قيمتها الحقيقية من المعامل الأميركية لحساب دوائر الدولة والبلديات ،** بل تم رصد أسعار تصل إلى عشرين ضعف وأكثر ، وانتفعت قيادات الجيش الأميركي عبر هذا الافتيات على حقوق المواطن العراقي ، وطبقة الخونة من المترجمين والموظفين الملحقين بالإدارة الأميركية في العراق هي التي قامت بدور الوساطة والتمرير لهذه العقود الظالمة .

❖ أرض السواد تَنْبَض

● **(٩) تحطيم قدرات المزارع العراقي من خلال عدم شراء الحنطة العراقية لتغذية الشعب العراقي في خطة النفط مقابل الغذاء التي أوجبتها الأمم المتحدة ، وشراء الحنطة الأميركية فقط** واستيرادها لتغذية الشعب العراقي بأمواله وفق

نظام البطاقة التموينية ، فبارت الحنطة العراقية ، وتوقفت الحقول عن الإنتاج ، وكان ذلك وما يزال هو جزء مقصود ضمن الخطة الأميركية لتحطيم العراق من خلال منع تنفيذ الخطة العراقية لتحقيق الأمن الغذائي العراقي ، والذي هو هدف تحرص عليه كل حكومة وكل شعب ، وواضحٌ **أن الغرض من ذلك هو استمرار تركيع الشعب العراقي في المستقبل عبر جعل لقمة عيشه في اليد الأميركية تتصدق بها متى تشاء وتمنعها متى تشاء ، ولتصير اللقمة أداة ضغط على صانع القرار العراقي اليوم وفي المستقبل** ، ويدخل ضمن هذه الخطة الكيدية انقطاع خدمات وزارة الزراعة للمزارعين ، والشُح في شراء الأسمدة والمبيدات .

❖ وحق العراقي الوشل

❖ **(١٠) إفراغ المخزون المائي في بحيرات السدود الإروائية العراقية بشكل مستمر منذ حصول الاحتلال وحتى الآن ، في تصرف غريب ليس له تفسير واضح** سوى تعمد تقليل منتوج الطاقة الكهربائية التي يحصل عليها العراق من بضعة سدود ، وجعل الخطة الزراعية تتضرر أيضاً نتيجةً لقلة المياه ، وهذه المياه لم تتجمع في البحيرات إلا خلال سنين طويلة من حجزها ، **ويحدث هذا في الوقت الذي تستعد فيه تركيا لإيصال مياه دجلة والفرات المتجمعة في سد أتاتورك الجبار وسدود تركية أخرى إلى إسرائيل عبر سورية** بعد فرض معاهدة صُلح عليها مع إسرائيل ، مما هو داخل في الخطة الإستراتيجية لإنقاذ إسرائيل من ورطتها المائية التي يمكن أن تدمرها في المستقبل بدون مثل هذا الحل ، وتدور إشاعات عن أن تجفيف الأهوار العراقية في عهد (صدام) قد أدى إلى خلل بيئي وارتفاع درجة حرارة الأرض التي تيبست مما تولدت منه أضرار على طبقة من الزئبق الأحمر النادر الموجود تحتها ، والتي تشكل أكبر مخزون من هذا المعدن في العالم ، وأن الإدارة الأميركية استعملت مخزون السدود من المياه لإعادة الأهوار في جنوب العراق من أجل تبريد حقول الزئبق الأحمر الثمين ، ويحتاج هذا القول إلى تدقيق علمي من أهل الخبرة لا نستطيع أن نقحم أنفسنا فيه حالياً .

✤ سدُّ النقص وعلاج الخلل في الأداء الجهادي

● هذا الاستعراض المتوسع الذي طاف بنا مع نقاط القوة والضعف في الجانبين العراقي والأميركي ، وما تضمنه النظر التخطيطي من السعي نحو طلب الإسناد وموعظة المرونة : يؤدي بنا في النهاية إلى محاولة نقدية لتعيين طبيعة الحاجات المفصلية المهمة التي يجدر بالمقاومة أن تنتبه إلى ضرورتها وتعمل على توفيرها لنفسها ، لتكون الدائرة تامة ، وليتكامل البناء النظري والعملي ، فيكون الإتقان ، **والمصارحة في ذلك أصلٌ ، ولا عيب على بشر أن يكون ناقص الأداء يسعى نحو تمام ، إنما النقص أن يكون ذهول عن اكتشاف مستلزمات التطور ، أو يكون في الإصرار على مغالطة النفس وتصديق مزاعم المادحين أن العمل ولِدَ ناضجاً ، بل سُنة الحياة أن نستجيب للتحدي وننفعل بالحدث ونُسرع النفرة** ، ثم يكون الاستدراك وتكون الإضافة عَبْر التشاور والائتمار ومنح أذن صاغية لمجربٍ ولخبير تخطيط يُشير .

وهذه النصائح حُزمة يشهد لها الواقع وتقررها تجارب فقه الدعوة وأصول الثورة ، وأهمها :

✤ الاجتهاد الوسطي وسبط صلح وخيرٌ بين الأطراف

✤ **(١) حاجة المقاومة إلى فكر شرعي صحيح ، صفته الوسطية** ، لأن الفكر الثوري المطلق قد داخلته الأنماط العلمانية والتكلفات الشيوعية والتوجهات القومية ، **وإذا لبثنا مع الإطلاق والتعميم فإن البركة ترتفع وجمهور المسلمين يصد** ، إذ الأمة الإسلامية في مرحلتها هذه قد اقتربت خطوات من الرشد ، وتابت من جزاف الأحزاب العلمانية ، وعمّت فيها صحوة إيمانية قويةٌ تريدُ إصلاح الحياة كلها ، ومن أهم ذلك عندها الردُ على العولمة عَبر مشروع حضاري إسلامي شمولي ، **وضبط التصرفات الثورية في القتال والهدنة والتحالف بضوابط الفقه وحدود الحلال والحرام ، في بعدٍ عن الشبهات وعن التمييع والتفريط ، وعن الغلّو والإفراط ، وأبدت المقاومة العراقية في أول أمرها**

نضوجاً عقيدياً واحتراماً للمفتين ، ثم تساهلت بعد أشهر فدخل ساحتها متنطعٌ وتكفيريٌ يوسع المسلمين اتهاماً ، ويمنعُ أشبار الجنة عن باذل وشهيد ، ويحكم على أمثل المجاهدين والمقاومين أن يكونوا بين مغتالٍ وطريد ، وهذا الحال من الغبش وانحراف الفهم ستتولد منه آثار سلبية كثيرة تظل تتراكم حتى ينوء بثقلها كتف المقاومة ، ويحصل فصامٌ بين رجالها والناس ، ويضعف المدد الشعبي ، وتلتهي بمعارك داخلية وقيل وقال وإبهامات كثرة السؤال ، ولابدّ من ارتفاع الصوت الرشيد ، والاحتكام إلى عرف الشرع والتخريج الأصولي للقضايا والمواقف والخطط وعموم الأفعال ، والخروج من فردانية الفتوى إلى جماعيتها ، ومن تقديم أحداث الأسنان إلى تمكين الكهول وذوي الهيئات والشيبات ، وأُمور إصلاحية كهذه بإمكانها أن لا تبدأ من الصفر ، بأن يكون التواضع والإقرار بأن الله تعالى قد وزّع الفضل بين عباده الصالحين ، **ولئن سَعُدَ رهطٌ بحمل السلاح فلقد رَشُدَ من قبلهم رهطٌ حملوا الأقلام فدونوا فقه الدعوة والجهاد ، والرجوع إلى حروفهم يجعل ثلة الجهاد تبدأ وتتوغل في الوعي من حيث انتهت تأملات الدعاة ورواة التجربة وورثة علم مالك والشافعي .**

✣ تناسق الأهداف وشمولية الوسائل في مشروع كامل

● **(٢) حاجة المقاومة إلى فكر سياسيٍّ متقدم ، وتلك هي صنعة دعاة الإسلام وقادتهم** ، ولابدَّ من مرور المقاومة عَبر كتاباتهم وتوسعها في استشارتهم وتوظيف رؤاهم لصالح الخطة الجهادية ، **وأصل هذا الفكر السياسي الإسلامي : مجموعة اجتهادات استنباطية على الطرائق الأصولية مبنية على النظرات المصلحية والمقاصدية ومراعاة الضرورات** ، لكنها تضاف إليها مقارناتٌ بما عند الأديان الأخرى ومقولات الفلاسفة وتفسيرات المؤرخين وإحصاءات الواقع التي تصفه وصفاً دقيقاً ، وطبيعة التفكير بتكيفه هذا تتيح خيارات عديدة وبدائل ، لذلك لا ينبغي أن تستمر المقاومة مع الخيار وبديله ومع الصواب المتعدد الوجوه والجواز المتنوع ، بل تأتمر وتناقش وتطيل النظر **وتشاور**

المخضرمين الذين بكروا في الانطلاق من جانب المحراب تبكيراً جعل دهرهم الإيماني طويلاً : ليخرجوا من حيرة الخيارات العديدة إلى مشروع سياسي للمقاومة والجهاد ، واضح المعالم ، دقيق الإشارة ، محدد الغاية والأُسلوب ، يكون ضابطاً للأداء ، وقاضياً حكماً عندما تستبد سكرة طارئة بذهن مجاهد أتعبه البذل ، فمال إلى اختصار الطريق ، أو تطلعات عنقٌ يشرئب يرى لمعة المنصب فيشرعُ يساوم كأنه يعقد صفقةً مع دلاّل سوق لا عقداً مع حوريات الفراديس .

❖ قلبٌ يضطرم ... يردف العقل المتقد

● **(٣) حاجة المقاومة إلى تربية منهجية داخلية لأعضائها تديم الجذوة وتستفز الكوامن وتثير الأشواق إلى الشهادة وتمنح المجاهد الخلق القويم والتجرد والإخلاص وخفض الجناح ومودة المؤمنين ، وتعلمه معاني الأخوة في الله والاستغفار لمقاوم سلمي مكافئ له يدأب في عرصات العمل السياسي مثابراً في عمل مكمل رديف ، ثم يلقنه هذا المنهج أحكام الجهاد وآدابه** ، وأسرار الأركان الأمنية ، وأوصاف الواقع ، بحيث يخرج من الازدحام الحاصل سالماً غانماً قد أناب عنه بحسن سيرته وكيلاً استبد به الإعجاب بشجاعته فطفق يقلّد ويرث .

وأول هذه المنهجية التربوية : أن يتم فيها تدارس هذا المتن في " النظرية العامة العراقية لدفع العولمة الأميركية " ، ومختصرات أُهديت للمجاهدين هذّب بها الدعاة كتباً جيدة استوعبت طرائق الجهاد في سبيل الله وآدابه ، ورسائل أُلِّفَتْ لتلائم حاجة الجهاد العراقي بخاصة ، ويمكن أن نتداول بموازاة هذا المنهج عشرات القصائد الحماسية التي نطق بها شعراء الإسلام في تمجيد النفرة الجهادية العراقية ، حتى ليدخل ضمن ذلك : الفن التجريدي الإسلامي فيما أبدع من لوحات تشكيلية ، والكثير من الإنجازات الإعلامية المصاحبة للحملة الجهادية والأفلام التسجيلية التي أفرزتها : يكمن فيها مغزى تربوي عميق يسعف المجاهد قبل أن يطرب لهُ مشاهدٌ مُساندٌ ، **والجهدُ في كل ذلك يدور على خبرة متراكمة**

توافرت لدى رجال الدعوة الإسلامية العراقية ، وهذا البذل للنمط التربوي هو أحد وجوه التحالف المفترض بين المقاومة والدعوة .

❖ عند المركز البؤري موعد كل ثوري

●(٤) حاجة قيادات المقاومة إلى تنسيق وتعاون ميداني من المفترض أن تنتج عنه رؤية تخطيطية مشتركة وتقاسم للأدوار وتكامل في الأداء ، في خطوات تتطور لتنتج مذهباً عراقياً في الجهاد له سمته الخاص وقواعده النسبية المنسجمة مع حقائق الساحة العراقية ، ويمكن أن يكون هذا المشروع التنظيري لدفع الاحتلال هو أساس هذا المذهب ، وتزيده الاستدراكات والإضافات والشروح والشروط متانة ونضوجاً ، ولو شئنا لقلنا ونحن الصادقون : **إن الجهاد العراقي بحاجة إلى قيادة واحدة تأمر وتنهى فيطيعها الجميع** ، ولكنا نعلم أن هذه الأُمنية ليست غير أُغنية ، وأنها ليست غير أطياف من الأحلام ، لا يأذن الواقع بتصديقها وإن صدقتها العواطف وأيدتها التجارب ، لأن ما بين الأطياف العديدة : مسافات بعيدة يمكن اختصارها إلى المنتصف ليكون اللقاء في الوسط ، ولكن لا يمكن أن تلغيها نشوةٌ تستبد ساعة بقلوب مخلصين يُنصتون لخطيب بليغ يعظ بالوحدة فتحلق الأرواح برهةً ثم تكتشف أنها قد طارت بلا أجنحة فتهبط سريعاً إلى أرض الواقع ومعوقات التنفيذ والتطبيق العملي .

❖ رأس النفيضة

● (٥) حاجة الجهاد العراقي إلى رمزٍ يقود ، ومثالٍ يشخص للعيان ، يصرخ ويبث الحماسة ويشرح الغوامض ويقيم العلاقات وينتصب قدوة للجميع ، لأن الأعمال النفسية والوشائج العاطفية هي أساس أعمال الجوارح ، وطاقات الأُمة الإسلامية عظيمة في مقاديرها ولكنها تحتاج من يستفزها ويوظفها في طريق واحد ، وكل ذلك يحتاج أنواعاً من الثقة ليس من اليسير أن يتأكد الناس من وجودها لدى أُلوف من المجاهدين ، ولكن يسهُل على الناس وعلى المجاهدين أن

تلتقي آمالهم وتطلعاتهم وطموحاتهم لتتمثل في شخصٍ واحدٍ يسهُل على الطرفين تمييز إخلاصه وفقههِ ونصيحتهِ لله ولرسوله وللمؤمنين .

❖ حظ الجيل العراقي الحاضر : أن يمثل الوعد الرباني

● **(٦) حاجة المقاومة إلى الانتقال من المحلية إلى نظر عام يحقق مصلحة الأمة** الإسلامية كلها ، ذلك أن التنظير للجهاد العراقي يكشف لنا ولكل مراقب يقيس الأمور وفق مفاد العقل والمنطق : **أن الارتباط الوثيق الذي ربطت أميركا بموجبه مصالحها الإستراتيجية بالمصالح الإستراتيجية الإسرائيلية : جَعَل ورطتها في احتلال العراق تظهر كأنها قَدَر رباني كتبه الله ليكون ورطة مستقبلية لإسرائيل أيضاً ، وأن التلازم بين القضيتين الفلسطينية والعراق أصبح تاماً وحاصلاً في عالم الحقيقة كقضيتين مركزيتين للعالم الإسلامي ، مما يعني وفقاً لعلوم التخطيط وعلم استشراف المستقبل أن أميركا إذا انهزمت في العراق وخرجت منه مخذولة توجعها ضربات المقاومة العراقية ووضعت نهاية لعدوانها على العراق : فإن ذلك سيكون بداية لانتكاسة إستراتيجية إسرائيلية سياسية وعسكرية** ، وسيهبط خطها البياني وينحدر بسرعة ، وتنتعش المقاومة الجهادية الفلسطينية وتنال مزيداً من الدعم ، ويتولد إحباط لدى كل يهودي ، وستتراكم إيجابيات كثيرة لصالح القضية الفلسطينية تجعل إسرائيل في مركز ضعيف دولياً وينقطع عنها الدعم الأوربي ربما ، وتنقطع الهجرة اليهودية إليها ، وتظل معنويات الأمة الإسلامية في تصاعد لتكون بداية نهاية إسرائيل ، وقد يقع الفتح المبين ويتحقق وعد سورة الإسراء ، **وفي هذا ما ينقل القضية العراقية من كونها محلية إلى كونها قضية مركزية للأمة ، وجمهرة المجاهدين والداعمين لهم مدعوة إلى تمييز هذه الفرصة القَدَرية الكبرى ، ومضاعفة الجهد ، والضرب على الخاصرة الأميركية المكشوفة ،** واللواذ بمفاد المنطق المتكامل المودع في " **النظرية العراقية العامة لدفع الاحتلال الأميركي** " ، والدوائر السياسية والإعلامية للمقاومة العراقية بشكل أخص : مدعوة لفهم هذه الفرصة الذهبية ، ووعي تأثيراتها الإيجابية العديدة الوجوه ، ثم

تفهيمها للشعب العراقي : أن يصبر ويزيد البذل والإصرار والتحدي ، وللأمة الإسلامية : أن تثق وتؤمن وتجزل الدعم ، فإنّ وعد الله كان مأتيا .

✢ سَعْدُ ... الراقل بقبلات الحسناء ونجابة الأُم

وذاتَ صباحٍ استيقظ **الداعيةُ المهندس سعد** في ثلث الليل الأخير ، فأغتسل وتهجد وترنم واستغفر ، ثم طبع قُبلاته على وجنات زوجهِ وبنيه ، **وخرج مع إخوانه المجاهدين** لعمليةٍ خططوا لها في التاجي - شمال بغداد - قرب المعسكر الأميركي ، ومع إطلالة الفجر الصادق تقدم رتلٌ للعدو من مدرعة وسيارتي همر ، **فانطلقت عليها القذائف والصليات ، وتركت المركبات الثلاثة تحترق** بمن فيها وبدأ المجاهدون بالانسحاب ، إلا أن سعداً كان يحلم أن يحوز رشاشة (البكتا) الثقيلة ليخوض معركتهُ القادمة ، فاعتلى المركبة يحاول تفكيك روابطها ، فكانت الهليكوبتر أسرع منهُ ، فصلتهُ صَلية فاستشهد ، وانسحب إخوانه ليرووا **خبر الإيمان إذا استيقظ وعَمرَ القلوب وسقى همم الخير** .

وكانت أمّه ترى فيما يرى النائم تلك اللحظات سعداً في قصرٍ صغيرٍ مُنيرٍ أبيض ، فاطلعت من النافذة ، **فرأت ولدها واقفاً وسط البهو يقّبل امرأة حسناء في غُلالةٍ حمراء ولها شعرٌ طويل** ، فأنكرت عليه وقالت :

تفعلُ هذا يا ولدي وأنت متزوج ولك أولاد ؟؟؟

فالتفت إليها سعد مبتسماً وقال : **يا أُمي أين أنا ، وأين أنت ؟؟**

واستيقظت الأم ففزعت وقالت لولدها الآخر :

امشِ بنا إلى بيتِ سعدٍ فإنه قد استشهد ، فوصلت بعد قليل ، **ووجدت إخوته في الله يبثون إليها التهاني ، فزغردت تزفه إلى حوريته** .

وكذلك وفاء العراقي يكون ،

وتلك قصةٌ من قصص أصالة العراق واندفاع العراقي ...

إذا آمن ووعى ...... واعتز بالله ❑❑❑

❖ مثلما في قصص السندباد العراقي وعلاء الدين البغدادي : وجد (بوش) التكساسي قنينةً قذفتها على الرمالِ أمواج المحيط السياسي ، ففتحها وفرك الخاتم الذي في فمها فخرج ماردٌ عملاق زعم أنهُ ظل محبوساً تحت أثقال التحجيم ألفاً وأربعمائةِ سنة ، وقال قولتهُ التي شهرها أدبُ ألفِ ليلة : شبيك لبيك ، لكنه استأذن أن يبدأ بسد جوعهِ ، فتناول من ماكدونالد سندويجةً على طريقة الوجبة السريعة ، وكان بإمكانه أن يكتفي بنكهتها ، أو أن يضيفَ لها قليلاً من الكمون الذي يُبرِدُ المعدة ، ومعه الكثير من الزعفران الإيراني الذي تمسكُ بهِ يُمناه ، فتكون وجبتهُ من أشهى ما يأكلهُ البشر ، لكنه أبى النصيحة وتجاوز الوصفات ، **فأضافَ للقمتهِ حفنةً من الفلفل الأسود** ، فصعدت نكهتهُ الحادة إلى أنفِه، فعطسَ عطسةً اهتزت لها جنباتُ رأسهِ وأقطارُ جسمهِ ، ففتحَ حلقهُ من شدةِ العطسةِ فانقذفت اللقمةُ خارجةً ووقعت على التراب وبقيَ محروماً جائعاً ليس يواسيهِ إلا أثرُ طعمها اللذيذ الذي بقي على أطراف لسانهِ لّما ذاق .

❖ طفرةٌ... فوق نَهرٍ عريض

● **هذا هو حال التحالف الحزبي الذي يتصدره إبراهيم الجعفري وعبد العزيز الحكيم ، والفلفل الأسود هو المقاومة وحلفاؤها وأنصارها ورجال بيئتها ، الذينَ أسرع التحالف الحزبي إلى التنكيل بهم والتعرض لهم والعدوان عليهم وإرهابهم بحملات التفتيش والمداهمة والحصار ، وبكافة أنواع التعامل القاسي الشديد الذي خرج إلى مبالغةٍ وتجاوزٍ لأعراف الخطط الأمنية في كافة الدول** ، مما ولّد رِدّة فعل عند المجاهد المظلوم وأنصاره ، في وقت يكسبهُ إثخانه في العدو الأمريكي حرارةً وحدةً ونكهةً تدعُ الهادئ عَطّاساً والجنيّ تَفّالا ، **وما كان لمن خرج من القمقمِ أن يرتكب العجلة ويلغي المنطق ويطفر النهر العريض** ، لأن الماء العميق

قد يُغرق حتى الـمَرَدة ، وفي حكمة الأممِ أن ما بين الشاطئين إذا كان بعيداً فـإن العبور يكونُ ببناءِ عمودٍ أول يسمونهُ عمود الثقة، مع عمود ثانٍ مـن المـصلحة ، ثم عمودٍ ثالثٍ من الموازنة ، ورابعٍ من التخطيط ، وخـامس مـن التـدريج ، ثـم يكونُ بناء جسرٍ عريضٍ تحملهُ هذه الأعمدة ، فيكونُ العبورُ الـسليم ، لكـن مـن عزفَ عن تجارب الأممِ وأسـكرتهُ أفكـارُ الاحتكـارِ اسـتعجلَ وتهـوّر ، فطفـرَ ، فخانتهُ العضلات ، وفي النهرِ تماسيح .

● **إن تخطيطات الأحزابِ الطائفيةِ قد ظهـر فـشلُها مـع الخطـوة الأولى الـتي خطتها بعد الانتظار الطويل والانفرادِ بالانتخابات ووقوعِ الحُكمِ في يدِها ، فقـد كان بإمكانها أن تـتعامل مع أهلِ السُنّـةِ بالمودةِ وتحبيب النفس ومد يد المصافحةِ** ورفعِ شعار التكامل والتعاون والمـصلحة الجامعـة ، وإغـراء أهـل الـسُنةِ هـؤلاء بتجاوز الماضي وإظهار الحرصِ على صـفاءِ العلاقـات الاجتماعيـة والعـودة إلى أنماط الإخاء ، ولكنّ ذلك لم يحدث ، **مما يدلُّ على غياب التخطـيط واضـطراب المنطق وتغليبِ نزعات الثأر والانتقام** على ما يُمليهِ الظـرف مـن عمـلٍ عقلانـيٍ هادئ يضمنهُ المركز التفوقي الحاضـر للأحـزاب الطائفيـة ، **وهـذه نقطـةُ الخطـأ الكـبرى في مـسيرتها الحاضـرة** ، فـإن اسـتقراء التجـارب العالميـة ، الإسـلامية والكُفرية معاً : **يُفيدُ بوضوح بأن العنف يُنتجُ العنف ، والإرهاب السياسي يؤدي إلى إرهابٍ مقابل** ، وأن الظلمَ لهُ مصرعٌ وَخِيمٌ ولا يدوم ، وأن أساليب الـضغطِ والتنكيلِ قد تجاوزها الزمن ، وأن الناس تعشقُ الحريةَ وحياةَ العزّةِ ، ثـم يزيـدها الإيمان رِفعةً وعناداً وبذلاً وتضحيةً ، وأن تكرار أسلوب (صدام حسين) يجعـلُ القصّةَ مُعادة ، والمواعظُ شاخـصة ، وقـد أسـرفت الآداب والفنـون بعـد الفكـر ودلائل الشرعِ في بيانها وإيضاحها والبرهنةِ على صوابها ، ولكـن المنهـومَ الـذي يريدُ أن يختصر الزمنَ يضعُ أصابعهُ في آذانهِ ويُعرِض عن نـبراتِ صـدقِ المـواعظ لِيُرضيَ نَـهمهُ ، فتغلبه ثوابت الشرع وحقائق الحيـاةِ وقـوانين الـنفس ، **والمـسألةُ النفسيةُ بخاصةٍ هي الركنُ الأظهر في الفِراسة بما سـتؤدي إليـهِ الطـرقُ الـشديدةُ**

الكابتةُ الظالمةُ من سلوكٍ عند المقابلِ المظلوم ، سيّما إذا كان شريفاً عزيـزاً ، ولـهُ تراثٌ من المناقبِ والبطولةِ والسيرةِ الساميةِ ، والتحليل البسيط يُبدي بوضوحٍ **أن توكيل الأحزاب الطائفيةِ لبيان جبر في رسمِ السياسةِ الأمنيةِ إنما هو خطأٌ محضٌ** ، لأنّ الرجلَ غيرُ مؤهّلٍ ثقافياً ونفسياً لنظرٍ بعيدٍ يستفيدُ من الموازنـاتِ والمحاكمـات العقلانية ، ويبدو أن دائرةَ المستشارين من حولـهِ ومـن حـول القيـادات البـارزةِ الأخرى ليس لها من الثقافةِ التخطيطيةِ والمهارةِ السياسيةِ ما يجعلها تـُبصِرُ ضرورةَ التوافق مع العُرفِ العالميِّ الجديدِ في استحداثِ طرائقِ الحوار وتقـديم الخـدمات والاستعانةِ بآثار الوسائل الإعلاميةِ والفكرية ، **وهذا الفقرُ السياسيُّ والتخطيطيُّ أقحمها في تبنّي واعتقاد صوابِ ما يُمكنُ أن نُسمّيهِ (سياسةُ إحداثِ الصدمة)** ، فإن الذي حدثَ من فوريةِ استعمالِ الـشدةِ مـع أولِ تـشكيلِ حكومـةِ الجعفـري يجعلُ المراقبَ يعتقدُ هذا الذي نقولهُ من **فلسفة القمعِ بالصدمةِ الإرهابيةِ** ، ولكنَّ **هذا النمط من التصرفِ يتناقضُ مع حقائقِ النفسِ ومع حقائقِ التاريخِ العراقـيِّ المعاصرِ** القريب ، ومع حقائقِ المعادلةِ العراقيةِ ، وذلك من وجوهٍ عديدةٍ :

● **أول ذلكَ أنّ المقاومةَ هي رقمٌ صعبٌ في المعادلةِ العراقيةِ** ، بحيث أنّ أميركا لا تـتجاهلهُ الآن ، **فكيفَ تـتجاهلهُ أطرافٌ أخرى في المعادلـةِ العراقيـةِ** ؟ وهـذه المقاومةُ الجهاديةُ لها انتصاراتٌ وإثخانٌ في العدوّ جعلـها تـشعرُ بعـزة تـستحقها ، **وبتفوقٍ نفسيٍّ منحها ثقةً وإقداماً وطموحاً عريضاً في امتلاكِ المستقبل ، وجعلها تثقُ بنفسها أنها القوةُ المركزيةُ المحوريـةُ** الـتي تـرتبطُ بهـا بـشكلٍ أو بـآخر الحيـاة السياسية المستقبلية بعد جلاء الاحتلال ، فكيف تؤثرُ في هذا الواثق العزيز المعتـدِّ بنفسهِ والثريُّ ببطولاته صدمةٌ أو هزةٌ ؟

إن الوهم في رأسِ قادة الائـتلاف الـشيعي هـو الـذي جعلـهُم يحلمـون بـأن الصدمةَ ستحدثُ في رجال المقاومةِ أو في بيئتها الحاضنة ، والذي حدثَ فعلاً أن المقاومة امتصت الصدمة الأولى ، وتوحّدت صفوفُ أهل السُنةِ بالمقابـل ، وكثـرَ التطوعُ في الحياةِ الجهاديةِ للتعويضِ عمّـن استُـشهِدَ أو اعتُقِـل ، وأصـبحَ هنـاكَ

مُحرِّكٌ معنويٌّ جديد تولَّدَ من حياة التحدي ، وتعمَّقَ من خلال شعورِ أهل السُنةِ بأن المعركةَ مصيريةٌ وتاريخيـة ، فاسـتفزّت خطـةُ الـصدمةِ كـوامنَ الاسـتعدادات السُـنّية السابتة وأطلقتها من عقال الإسراف السّني في حُسن الظنّ والتأول ، وقد تولّدَ من ذلك تطورٌ نوعيّ في البيئة المساندةِ للعمل الجهادي ، **ورسخت قناعـات سُنية أوسع من السابق تؤمِن بأن الممارسة الجهادية تجلب حراسةً للحقوق وحمايةً للناس بمقدارٍ يماثلُ ما تحققهُ من ضغطٍ علـى المحتـل الأميركـي** ، وبـذلك أصـبح التلازمُ والارتباط بين المجاهد وبيئته الحاضـنة شـديداً ، وإذا تولّتـه يـد التخطـيط الماهرة فإنها ستجعلُ آثارهُ في الاتجاهينِ مضاعفة .

● **ومن وجوه التناقضِ أيضاً هبوط سُمعة الأحزاب الشيعيةِ العراقيـة خـارج العراق ، في البلاد العربية ، والعـالم الإسـلامي** ، والغـرب والـشرق ، وتحولـت القوى السياسية والأحزاب العالمية ومراكز البحث ووسـائل الإعـلام إلى " شـاهد عدل " يحكمُ بالحياد وبمفاد ما يرى من تجربـةٍ حيّـة **أن الائـتلاف الـشيعي الحـاكم يُخالف أبجـديات الـسياسة** ، ويتنكـرُ لطبـائع الديمقراطيـةِ الـتي انتظروهـا منـه ، ويُصادر الحرّيات ، ويعاكسُ مبادئ الوحدة الوطنية العراقيـة ، ويمهّـد للتقـسيم ، **ويتوكل عن إيران في تنفيذ ما تريد** ، مع عجزٍ في الرؤيـةِ الاقتـصادية والخدميـة ، **وسطحية الفكر السياسي ، وأشواق دموية** أسرعت إلى إدخـال طريقـة التعـذيب بالمثقـب الكهربـائي " الـدريل " لأول مـرة في تـاريخ التحـقيق الأمـني العـالمي المعاصر ، وطريقة قلع العيون ، وإفراغ مشط كامل من الطلقات في جسم المعتقل في الساعة الخامسة والعشرين إذا لم يعـترف ، في وسـائل أخـرى **هبطـت بـسمعة الجعفري** وحزبه والأحزاب الحليفة له في الأوساط العالمية ، **بينما ارتفعت سمعة المقاومة الجهادية والمنظمـات الـسُنية عمومـاً** ، وظهـرت علـى أنــها مظلومـة ، وسـلمية ، وحريـصة علـى الحـوار ، وصـاحبة ذوق ومـصداقية ونزاهـة وأبعـاد حـضارية في الـسلوك الـسياسي والاجتمـاعي ، **وهـذا التبـاين في الانطبـاعين الحاصلين في الدوائر السياسية والإعلاميـة خـارج العـراق لـه آثـار اسـتراتيجية**

عظيمة على مستقبل الطرفين العراقيين المتنافسين ، وكان من المفروض عقلاً أن ينتبه الجعفري إلى السلبيات التي ستقف أمامه ، **لكن شهوة الانتقام غلبته ، وطغت العاطفة الثأرية على العقل** ، وكأنه قروي ساذج ، إذ هو المثقف الواسع الإطلاع ، وللأصل الأعجمي دور في هذا السلوك النفسي جزماً ، وأغراه أيضاً **سكوت الحليف الكردي عن النقد ، لتخليه عن مصالح العراقيين غير الأكراد** واقتصاره على المطالبة بالحقوق الكردية فقط ، وكأن قضية القمع قضية عربية محضة ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك عبر مباركته أعمال فيلق بدر ودعوته لأداء مماثل من قبل ميليشيا البيشمركه الكردية ، **وهذه السياقات العملية تجنح بالعملية التحليلية التي يحاولها خبراء القضية العراقية إلى اعتقاد وجود عامل نفسي محرك لدى الطرفين أساسه دوافع الثأر والانتقام والتشنج وليس الموازنات العقلية والمصلحية ، فالأكراد تحركهم ذكريات القمع الذي تعرضوا له ، وعبد العزيز الحكيم تدفعه نحو السلوك الدموي مقاتل أشقائه** العديدين الذين دفعت بهم السياسة الفارسية الشعوبية إلى المواجهات مع سلطة صدام الدموية ، فكان حتفهم ، وأما الفن التخطيطي ورؤية مصالح العراق العليا وتقديمها ، فهذه أمور مستبعدة .

● **ورؤية الناس لهذه الحقائق والمحركات النفسية جعلتهم يكفرون بالأصنام السياسية المنتصبة في الساحة ، ليس أهل السُنة والجماعة فقط ، بل وشطر المجتمع الشيعي العراقي أيضاً** ، فإن فيهم عقلاء يرفضون العدوان والتوتر ، وفيهم من تربطه المصاهرات العائلية بأهل السُنة ، وفيهم العلماني الذي يحلم بحياة ديمقراطية ويرفض قصر النظر الذي يستولي على قيادات فيلق بدر **ونظريات وزارة الداخلية القمعية ، النابعة من إيحاء التاريخ الصفوي وخطة "قُم" الخمسينية لتشييع العراق وتحقيق الامتداد الإيراني نحو نصيرية الشام وشيعة جبل عامل في لبنان** ، وفي المجتمع الشيعي العراقي أيضاً فئة التجار وأصحاب الأعمال والخدمات الذين يضر بمصالحهم الوضع المتوتر ويريدون الاستقرار من أجل

عودة تجاراتهم إلى وضعها الطبيعي ، وإغراء جمع المال يكون أحياناً أقوى من الإملاء العقائدي ، وكل هذه الأصناف الرافضة للتوتر والموجودة داخل الدائرة الشيعية نحتت من معنى انتصارات الأحزاب الشيعية خلال مواسم الحرب الأميركية وما قبلها أيام المعارضة في بريطانيا ، وما بعدها أيام المصافحة مع الغازي ، والأحزاب الشيعية معرضة لهبوط قيمتها وتقلص نفوذها ، بل وهناك عامل أخلاقي أيضاً يعمل عمله بشكل بطيء يتمثل في **استثمار الأحزاب الشيعية للمسوغات الفقهية في زواج المتعة المؤقت وتحويرها إلى عوامل إغراء ووسيلة ربط وجذب للشباب من خلال ترويج حملات في أوساط شباب وشابات الجامعات العراقية لتسهيل التمتع** وتوفير فنادق قرب الجامعات لهذا الغرض ، والأمر مع أنه حلال في الفقه الشيعي إلا أنه موصوف لاختيار فردي من خلال الاسترسال اليومي للحياة الاجتماعية ، وهو يتحول اليوم إلى حملة واسعة منظمة تجد الفتاة نفسها بعد التورط في ندم وقد تحرم من فرصة الزواج ، لأن راغب الزواج في المجتمع العراقي كله - سُنيّه وشيعيهِ - يشترط العذرية ، ومن هنا **فإن أكثر العوائل الشيعية لا ترضى لبناتها هذا الطريق الوعر ، وهو موصوف في فقههم للمستضعفات لا لبنات العوائل الشريفة** ، والأخ لا يرتضيه لأخته ، ولا الأب لبنته ، لذلك يرفضان أن **تتحول المتعة إلى وسيلة تجميع حزبي على حساب الشرف** .

● **والأمر يتعلق أيضاً بخطأ كبير تورط فيه حزب الدعوة بما يقارب تورط المجلس الأعلى في الارتباط بالمخطط الإيراني الشعوبي التخريبي تجاه العراق** ، مما شرحناه مراراً وأصبح واضحاً عند من يتابع الأطراف المؤثرة في القضية العراقية ، ولكن الجديد في هذا الشأن : **أن الاختراق الإيراني** الذي وصل إلى أقصى العمق العراقي عبر تسهيلات هذين الحزبين الشيعيين له **بدأ يُلاقي خطوطاً دفاعية عروبية مستحكمة رافضة له قوامها العشائر الشيعية نفسها ، والفصائل العلمانية والقومية في البناء السياسي الشيعي ، وبقايا اليسار** ، والجمهرة المثقفة بخاصة ،

وبعض التيار الصدري ، وكان الرفض قد بدأ بتململ وهمس يتخفى عن أعين الحوزة والأحزاب ، وصار يتوسع بتدريج ، ثم أسرعت بإنضاجه اليوم قباحة التدخلات الإيرانية في الأرض العراقية ، وسفورها الفاحش ، وغلوائها ، حتى أصبح نداء التصدي للتدخل الإيراني هو النداء الأقوى في يوميات الممارسة الشيعية الحاضرة ، وبدأ التفكير بتحالفات مع أياد علاوي من أجل التخلص من الضغط الإيراني ، بل والتحالف مع الحزب الإسلامي العراقي الذي يستند إلى قاعدة سُنية في الأصل ، وتستعد وزارة الداخلية للتضييق على هذا التيار الجديد في البيئة الشيعية إذا نجحت خططها في شل المقاومة ، وهيهات أن يكون ذلك بعدما امتصت المقاومة الصدمة الأولى وشرعت في الرد وتوجيه الضربات الموجعة للشرطة والحرس ، وبخاصة معاركها في داخل بغداد وما حولها التي خرجت منها منتصرة دون تقديم ثمن ، وكل ذلك **يضيف نجاحاً للموقف السُني الواعي الذي بادر مبادرة شجاعة للتصدي للزحف الإيراني نحو العراق** ، وصبر على أذى ناله بسبب ذلك تجسّد في كثرة الاغتيالات للوجوه السُنية ، وكثرة الاعتقالات ، والحرمان من الفرص ، وآخر الأذى : الوحشية في التعذيب الذي اقترن بعملية " البرق " التي ابتدعتها وزارة الداخلية بالتعاون مع قادة فيلق بدر ، من خلع الأسنان ، وتكسير العظام ، وثقبها بالمثقب ، وقلع العيون ، ووسائل غوغائية أخرى تدل على انحراف أخلاقي وشذوذ نفسي غريب في نوعه وواضح في دلالته على أن **الكتلة الحزبية الشيعية غير مؤهلة لتعاطي السياسة والحكم والاستفادة من معطيات الحياة العصرية** ، وأنها محكومة بأفكار القرون الغابرة ، وأنها خاضعة لإملاء التشنج والاستبداد ، والمقاومة العراقية الخالصة ما زالت تؤمن بحرمة الدم العراقي وأنها تصطدم بخط أحمر يمنعها أن تقترب من الشرطة والحرس الوطني إذا التزما الحكمة ولم يؤذيا أحداً من المجاهدين وأبناء الشعب ، ولكن خطة " البرق " التي نقلتهما إلى المصادمة والمبادأة بالتحرش نيابة عن الجيش الأميركي هي التي **منحت المقاومة حق الدفاع بمقدار ما يندفع به الأذى دون**

إسراف ، تخريجاً على حق المسلم في دفع الصائل ، وهو الحيوان الناطح أو المجنون الذي يمسك سلاحاً ويؤذي الناس ، **وأما تحديد مقدار الدفع وتضييقه فإنه يُخرّج فقهياً على أحكام الفئتين المسلمتين إذا اقتتلتا** ، فإنه لا يجوز في حكم الشرع الإجهاز على الجريح في معارك المؤمنين ، ولا يجوز قتل المسلم الذي يولي الأدبار هارباً من المعركة ، وذلك هو المأثور بالسند الصحيح عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁ في معركتي صفين والنهروان ، **وحكم الدفع مُخرّجٌ على أحكام الضرورات ، وهي تـُقدر بمقاديرها** التي تحقق مقصد النجاة من الأذى ، ليس أكثر .

● **ومن مظاهر الخطأ في السياسة الحزبية الشيعية : أنها في الوقت الذي اعتمدت فيه خطة التنكيل بأهل السُنة بحجة المقاومة : لجأت إلى سياسة أخرى موازية عمادها إغراء الجيش الأميركي بمزيد سحق للمناطق السُنية ، وبخاصة قاطع الفرات الأعلى ، وتقديم دعم ميداني له من الشرطة والحرس الوطني** ، وعبر هذا الإغراء حصل التنكيل بمدينة القائم ومدينة الكرابلة ومدينة راوه ، والكثير من القرى ، **بحيث خربت كخراب الفلوجة** ، وحصل فيها قتل ذريع مثل الذي حصل في الفلوجة ، ومات الكثير من الجرحى لانعدام الرعاية الطبية ، وهام الناس على وجوههم في الصحراء ، **وما كان لهذا الإجهاز الأميركي أن يتم لولا الدعم الذي قدمه الجعفري** ، ولكن يأبى الله إلا أن يدافع عن أهل الحق ، فقد استطاعت المقاومة أن تثخن في العدو المهاجم ، ودفع الأميركان عشرات القتلى ، والكثير من الجرحى ، ونـُسفت دبابات ومركبات كثيرة ، وسقطت طائرات هليكوبتر ، مما كان له أبلغ الأثر في إضافة زخم إلى مطالبات المعارضة الأميركية وضغطها على البيت الأبيض من أجل جدولة الانسحاب من العراق ، ثم حدثت نعمة أخرى **تجلت في مزيد تقارب بين القيادات السُنية من أجل مواجهة التحديات النامية ، وتضاعف التعاون والتعاضد بين الحزب الإسلامي وجمهوره السُني** ، وقد بلغت الحماقة الأميركية أوجَها في عملية اعتقال الأستاذ

الدكتور مُحسن عبد الحميد ، والتعامل الشائن معه ، والمستوى الأخلاقي الوضيع الذي بدر من الضابط الأميركي ومترجمه الخائن الرقيع ، وكان من نتيجة الحدث : ارتفاع في سمعة الحزب الإسلامي ومكانة قياداته ، والتفاف من الناس ، وانفضاح للأخلاقية الأميركية والخيانية .

● ثم وجه آخر من وجوه الخطأ ارتكبته قيادتا حزبي الدعوة والمجلس الأعلى عندما أقرتا **خطة التصعيد السريع مع المقاومة وأهل السُنة ، بينما الانتخابات البرلمانية الثانية قريبة** ، مما يعني أن المواجهة حتى لو نجحت ستكون وقتية ولها نهاية سريعة تحرمها من تحقيق أهدافها ، وكان بإمكان القيادة الشيعية أن تصبر قليلاً وتكتم حتى تفوز في الانتخابات الثانية وتتربع على عرش أمده أربع سنوات لا ثمانية أشهر ، ثم تذبح وتسلخ بغطاء دستوري ، لكنّ الله أبى إلا أن يكون منها تهور واستعجال ، ليقل نفوذها ويتقلص حجم فوزها في الانتخابات القادمة ، لينجو أهل السُنة من بطشها ، **والسياق الذي حدث يحملنا على الاعتقاد بأن الممارسة الشوروية ضعيفة جداً في الأوساط القيادية لهذين الحزبين ، وأن الخبرة التخطيطية ضئيلة ، وأن الملابسات العاطفية تتيح مجالاً واسعاً لفرد طامحٍ مثل وزير الداخلية أن يستبد بكل المجموعة وأن يجعلها تابعة له ولانفعالاته الشعوبية** ، وهذه الحقائق تقود إلى استنتاج آخر يفيد بأن الفراسة أيضاً هي بالغة الضعف عند كادر الحزبين ، لأن نظرة تحليلية سريعة إلى ملامح وزير الداخلية تكفي لرسم مخطط الهندسة النفسية الكامنة في أعماق قلبه ، ولكنهم قومٌ لا يتفرسون .

● **والخلاصة : فإن فرصة تاريخية ثمينة عظمى كانت قائمة أمام حزبي الدعوة والمجلس الأعلى ، لكنهما أضاعاها ، ولن تعود هذه الفرصة أبداً إن شاء الله ، وكان خطأ المنافس هو أكبر عامل دفاعي وقائي عند أهل السُنة ، وأن الضعف الذي فرضته الأيام والأخطاء في إيران على التيار الخميني واستغرق سنوات طويلة لم يستغرق في العراق غير شهور قصيرة ليتحقق حال الضعف** ، وأن زيادة

التوتير واستئنافه يقود ربما إلى حرب أهلية منهكة هي ليست في صالح الحزبين الشيعيين ، وأن أكبر عوامل النجاح في الوسط السُني كان يوم اختار الجهاد ومقاومة الاحتلال الأميركي ، فصار كل سُني مرفوع الرأس ومؤيداً بتأييد عالمي ، وتحقق له عامل استعلاء نفسي هو من الأهمية بمكان في الحياة السياسية ، بينما كان أكبر خطأ لقادة الأحزاب الشيعية هو مصافحة الأميركان والقعود عن الجهاد ، فصار كل شاب حزبي يتوارى خلف المستوى الواطئ ، وليست له النفس المتحدية ، وحرمه قادته من عناصر الفخر ، إذ الشاب السُني يحوز النفس المطمئنة بالإيمان ، وبالفقه ، وبالجهاد ، ويرنو إلى العراق الحضاري الواحد ..

ويجعل خطط التقسيم .... تحت أقدامه .

❖ أبطال الاقتحام الواعي

❖ وضحَ من خبرِ الطفرةِ البائسة فوقَ النهر الخطِر أن **الأقدار الربّانية من الودودِ اللطيف الخبير سبحانه قد تكفّلت بتحييد الغلواء الطائفية بحيث أفرغتها من الإطار الضاغط** ، وهي قضيةٌ كانت تستعصي علينا نحن أهل السُنة بسبب التفوق المرحلي للمنافس ، وبقي علينا أن نواجه عواملَ قوة لدى الحزبين الطائفيين ، إلا أنها من الممكن أن تعالج بنَفَسٍ طويل وعلى مراحل متأنية ، وليس فيها ما يُعتبر من قبيل الخطر الداهم ، ويمكن أن تتحشد كُل المعايير الحضارية والعوامل الثقافية والمهارات السياسية لتكونَ مؤثرات تؤثر لصالحنا وتتكفل بحل الإشكال خلال جيلٍ كاملٍ أو جيلين ، وخصوصاً أن التطور العالمي في الحياة السياسية يميلُ نحو إقرار الحُريات ، وأن الآثار الإعلامية تستثمرُ حالات الانفتاح لإقرار كل ما هو منطقي ومنسجمٌ مع الفطرة ونابع من التفاؤل والمرح وليس من الانغلاق وحياة الحُزنِ واسترجاع ذكريات التاريخ البعيد ودعاوى الظلم والتحجيم .

● وهذا الربّ الرحيم الذي ساق هذه الأقدار وتفضّلَ علينا فضلاً كبيراً إذ نحنُ قعودٌ وفي خلافٍ ولهو : هو الربّ الجبّار الذي **ألهمَ قلوب شبابٍ مؤمن** ليذيقوا جنود المارينز جبروت الجهاد الإسلامي الناقض لطموحات عصابة الأربعة : بوش – تشيني – رايس – رامسفيلد ، وخامسهم بلير ، **ولينهضوا بعملية تطوير جهادهم بما يناسب حاجات المرحلة** ، وتعتبر هذه التطويرات للفنون الجهادية هي المفصل الثاني من مفاصل معادلة نجاح القضية العراقية .

● **إن أكبر نقلةٍ حققتها المقاومة العراقية خلال السنةِ الثانية من الممارسة الجهادية هي أنها أثبتت وبشكلٍ قاطع خطأ نظرية إخراج المحتل بعملٍ سياسيٍ بحت ، فإن الصلف الأمريكي لم يستجب للصيحات الكثيرة التي ترجوه أن ينسحب ، وأهمل كُلَ نداء هو من التكامل المنطقي بمكان ، وفيه حُجج سياسية دامغةٌ وتعليل عقلاني وقانوني ، ولكنهُ أذعن لضربات المقاومة وأجبرهُ إثخانها فيهِ أن يُراجع الحسابات ويلين ويتنازل عن أصل أفكاره التي بدأ بها عند غزوهِ العراق ، مما أتاح للمقاومة أن تضيف إلى العلم السياسي الإسلامي نظريةً بديلةً عن تجريد العمل السياسي ، قُوامها وموطن برهانها : أن الضغط هو علاج حالة الاستعمار ، وأن العمل السياسي يلزمهُ أن يتدرعَ بجناحٍ ضارب وذراعٍ يصفع الملك إذا صعّرَ خدهُ تصعيرا .**

● **بنظرةٍ بسيطةٍ نستطيعُ أن نرى أن خطأً تنازلياً منحنياً هابطاً هو الذي حكم الطموحات الأميركية على مدى سنتين فقط** ، فقد جاءت أعتى قوةٍ في الأرض إلى العراق بأساطيلها وصواريخها وقلاعها الطائرة وأقمارها الصناعية وأسلحتها الذرية والليزرية وبكتلة التفوق التكنولوجي كلها وبالمالِ الترليوني ومبتكرات الإعلام والتأثير النفسي ، **وزعمت أنها ستبقى في العراقِ قرناً كاملا** ، وأنها ستتخذُ منه نقطة استمكانٍ لتثبيت القدم ثم تنتقل منه إلى دول المنطقة تؤدبها وتغير أنظمتها ، وإلى الأمة الإسلامية كُلها ، وأنها ستجبر الدول العربية على السلامِ والتطبيع مع يهود ، وأنها ستغير العقائد ومناهج التربية ، **لكن ضربات**

الجهاد العراقي جعلت الإدارة الأميركية تـتنازل وتـُعلن أنهـا سـتنيبُ حكومـة عراقية متحالفةً معها في تنفيذ أغلب مخططها ، فكان هذا هو التنـازل الأول ، ثـم أعلنت حاجتها إلى شركاء في احتلال العراق يحملون بعض الأثقال التي تنوء بها ، وكانت من قبل تمنعُ الدول الأخرى من هذه الـشراكة ، فكـان هـذا هـو التنـازل الثاني ، ثم بدأت ببناء قواعد عسكرية في العراق تنسحب إليهـا وتـترك المـدُن ، فكان هو التنازل الثالث ، وتلكأت في التحرش بإيران وسورية ، فكان هو التنازل الرابع ، وأجبرتها المقاومة الجهادية الإسلامية في فلسطين " حمـاس " علـى أن تقـرأ الواقع الفلسطيني قراءةً جديدة وأن تزهد بالرئيس الداجن محمود عبـاس وتابعـهُ القُريع ، فكان هذا هو التنازل الخامس ، ثم نبغَ عُقلاء واقعيـون مـن الكـونجرس الأميركي يطالبون بوش أن يعترف بالخطأ وينسحب من العـراق ، فـرفض علـى استحياءٍ وخجل وشـرع بإعـدادِ جـدول الانـسحاب فـكان هـذا هـو التنـازل السادس ، وكان ينعـتُ الجهـاد بالإرهـاب ، فـأعلن الاسـتعداد للتـفاوض مـع المقاومة ، فكان هذا هو التنازل السابع ، ثم اسـتأنف المجاهـدون الأفغـان ضـرب المارينز ، فارتفعت أصواتٌ أمريكيـة تطالـبُ بالانكفـاء داخـل القـارة الأميركيـة وعدم التحرش بالـشعوب والانـسحاب لا مـن العـراق فقـط بـل مـن الأمـاكن الأخرى المكملة لسياسة الطوق ، مما يتـيحُ حـصول بدايـة مرحلـة نهايـة العولمـة والقطب العالمي الواحد ، **وذلك هو النكوص الثامن** ، ونترقبُ التاسع والعاشـر الذي سيأتي في صورة هبوط الاقتصاد الأمريكي ربما والذي بدأت بـوادره تنـذر بوقوع حرج شديد في الدوائر المالية الأميركية ، ولربمـا نـستطيع أن نعتـبر اهتـزاز كراسي الحكام العرب الموالين لأميركا تحت ضغط الوعي الشعبي الذي أثمر مـن خلال الفكـر الـسياسي الإسـلامي الـذي طرحتـه الـدعوة الإسـلامية الحاضـرة وضاعفت آثاره الترسبية المحاورات الإعلامية الناضجة عـبر القنـوات الفـضائية : هو آخر هذا السياق الكاشف عن **وجود المنحنى الهابط في الخط البيـاني للخطـة الأميركية** ، وإذا استطاعت المقاومة العراقية أن تـتفهم أسـاليب ورؤى ومقاصـد

رجال الدعوة الإسلامية العراقية التي تنوي التحالف مع جمهرة المستقلين من الخبراء وبقايا الأحزاب القومية التي أبصرت مؤخراً معنى الفكر الإسلامي وأبعاده فعادت إلى الرشد : فإن فَتحَ قناة مع الأكراد للحفاظ على وحدة العراق يكونُ ممكنا ، وتعود معطيات " العراق الحضاري " جديدةً بعودته إلى مركزه القيادي في الأمة كلها ، ثم **دور الأمة الإسلامية كلها كشريكٍ مع الكتلة الأوربية وروسيا والصين والكتلة الآسيوية في تكوين حلفٍ عالمي عريضٍ يكبحُ جماح العولمةِ ويعيدُ أمرَ العالم إلى التوازن** بعد الحيصةِ التي أربك بها الجموح التكساسي أطراف العالم كُلهِ عندما وجد بين يديه التكنولوجيا الحربية المتقدمة فأساء استعمالها وحاص حيصته ، فلمّا أفاق ووجد أن **الجندي المارينزي لا تساوي قيمتهُ من خلال معنوياتهِ المنهارة إلا عُشر قيمة المجاهد العراقيّ المؤمن الطامح المستعلي بعقيدة التوحيد** ، وأنه عند المقابلة وجهاً لوجهٍ لا ينفعهُ صاروخٌ ولا قمرٌ صناعي : أقرّ بضرورة الواقعية والعودة إلى ديارهِ خلف البحار والاعتراف بضرورة ترك الناس يعيشون أحرارا ، وأدرك في الأخير أن خطة غزو العراق ما كانت توجبها مصلحةٌ أمريكية ، أبداً ، وإنها كانت مجردة مغامرة ، وعمليةٌ هي في الحسابات خاسرة ، **ولكن اللوبي الصهيوني** المتغلغل في أعماق الإدارة الأميركية **هو الذي أغرى عصابة الأربعة بغزو العراق** تأميناً لإسرائيل وتدميراً لجيش العراق القوي الذي جمع عبر معاركهِ وحروبهِ خبرةً قتاليةً عظيمة أفزعت القيادتين العسكرية والسياسية في إسرائيل .

● لكن هذا التراجع الأمريكي وما فيه من انكفاء أو إقرارٍ بجدولة الانسحاب لا يعني أن الشخصية الأميركية يمكنها أن تتقمص شخصية مؤمنٍ تائبٍ يستيقظ ضميرهُ ويظل يلومُ نفسهُ على ما ارتكب من حماقة ، وإنما هو مضطرٌ فقط ، وجذور الشرِ باقيةٌ في مكامنِ أعماقهِ القلبية ، وأكسبته أخلاق التكبر وصفات شخصية رامبو غروراً وتحايلاً وأنواعاً من المكرِ ، **لذلك فإنه تمهيداً للانسحاب يلجأُ إلى خططٍ بديلة نفسية وفكرية وتربوية لجعلِ نفوذه بعد الانسحاب مستمرا ،**

وعلى المقاومة أن تتحلى بأقصى درجات الوعي والنباهةِ من أجل إفشالِ هذا المخطط المدروس الذي قوامهُ وسائل الإعلامِ ، والمناهج ، وتكوين جيلٍ خيانيٍّ يرتبطُ بهِ ويتوكل عن الغزاة في تنفيذ غاياتهم .

● **أول ذلك الحملة الترويجية الإعلامية لفكر "الإرجاء" والإرجاءُ في كتب العقيدةِ موصوف بأنه "بدعة" طارئة** ، وكان استعمالها زمن الفتنة في زمن صدر الإسلام من قِبَل أتباع ابن سبأ اليهودي الذي سعى في قتل عثمان بن عفان ﷺ وحرّك السفهاء ليقتتلوا ويتطور قتالهم إلى إقحام الأخيار في معركة الجمل ، ولمّا استمرت الفتنة وتصدّر فيها هؤلاء السفهاء رفض الزُهّاد العُبّاد أن يكونوا في صفوفها جنباً إلى جنب مع كل مطعون مجروح العقيدة منحرف الأخلاق ، **فبرزت هذه البدعة الإرجائية** لتزعم أننا نقبل من المسلم التلفظ بالشهادتين ، ولا ننصب من أنفسنا حكاماً على عملهِ إذا كان سيئاً ، ونُحيل أمرهُ إلى الله ويكونُ منّا إرجاء الحُكم عليه ، أي تأجيل ذلك إلى يوم القيامة ، وعلى ذلك يكون كل من يقول لا إله إلا الله ثقة كامل التوثيق حتى ولو كان منحرفاً في بقية عقيدتهِ وضاراً في أعمالهِ وأخلاقه ، وبذلك استساغ المؤمنون الصالحون أن يقفوا جنوداً في صفوف الثورات جنباً إلى جنب مع كل مارقٍ منافق رديء العمل ، وتمّ التلبيس عليهم بمثل هذا المنطق الأعوج الذي يبرأ منه فقهاء الشريعة وأصحاب الإخلاص والجهاد ، **وبعض المخابرات العربية هي التي اكتشفت إمكانية إحياء هذه البدعة للتلبيس على الأغبياء ، وهي التي أوجدت قادة هذا التوجه الإرجائي وجعلتهم عملاء وأهدتهم إلى المخابرات الأميركية ، فقاموا بدور التقاط بعض المغفلين من أهل العراق ممن لا نباهةَ لهم ولا فهم لموازين الشريعة والإيمان ، ومنَحتهم أموالاً وأشياء من حطام الدنيا وزخرفها من مناصب ووظائف وسيارات ، وأغرتهم أن يُشيعوا بين الناس أن الكافر المحتل إنما جاء بطلبٍ من أولي الأمر من قومنا ، لذلك نعتبرهم من المعاهدين الذين دخلوا بلادنا بعهدٍ يجبُ علينا الوفاء به** ، حتى أفتى جاهلهم وأحد خبرائهم بأن علينا أن ندفع دية

كل جندي أمريكي نقتله ، وأصبحت لهم صدارةٌ إعلامية في القنوات الفضائية العميلة ، يناضلون نيابةً عن المحتل ، ويطعنون في الجهاد ، ولربما فعل بعضهم ذلك من باب الجهالة والغباء وهو لا يدري ، ولكن أكثرهم يدرونَ معنى تخذيلهم للمجاهدين ، وهم من المنافقين .

● **ويبلغ التفنن الأميركي في هذه التدليسات العقائدية والفكرية مبلغاً كبيراً ، لأنه يعتمد على قاعدة معلومات عريضة يقدمها المستشرقون والمتأمركون والسياسيون** الذين يزعمون أن البيض جميعه ينبغي أن يوضع في السلة الأميركية ، **ومن هذا التفنن ترويجهم لمعنى حول "الوسطية الإسلامية" يُعاكس مفهوم الوسطية السائد في الأوساط الدعوية** ، وهو يذهب في التدجين بعيداً ، وينادي بالسلم المطلق ، والإسراف في الحوار ، وبه يكون إفراغ الجهاد من مضمونه القتالي ، ونزع معاني الصراحة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، **ويدعو إلى تعايش متبادل مع يهودي وأميركي وعدو مقتحم ، ويقدم جمعيات المجتمع المدني كبديل كامل عن الحياة الحزبية التنظيمية التربوية وعن الفكر السياسي المشتق من موازين السياسة الشرعية بينما التقويم الصحيح لجمعيات المجتمع المدني أنها وسيلة مكملة للعمل الدعوي والحزبي لا بديلة** ، ثم يدعو هذا المفهوم المرجوح لمعنى الوسطية في العموم إلى تجريد العناية بالمكتسبات الاقتصادية والخدمية وكأنها ليست هي الوجه الآخر للسياسة ، **وهذه الطريقة الهينة السهلة اللينة في فهم طبائع التنافس في الحياة تجد لها شارياً في البلاد المتعبة التي أثقلت أهلها النكبات والحروب وتدهورات الاقتصاد ،** ولدى الفرد العراقي اكتيال كثير من الهموم التي أركسه فيها صدام ، وأصبح يتذمر من الأحزاب والسياسة ، ويقنع بخدمة كهربائية ومائية وتموينية ، وهو لا يدري أنه بذلك يُقدم الفرصة لكل عميل يتوكل عن الاستعمار في حفظ مصالحه النفطية ، أو يتوكل عن إسرائيل في حفظ أمنها لكي يكون هو المستولي على الشأن القيادي السياسي في البلد إذا وجد الطريق ممهداً من خلال انسحاب العناصر الموثوقة القانعة بالمفهوم الناقص للوسطية.

ومما رأيناه في هذا السياق حال معهد شرعي أنشأته دولة الكويت في غزة ، لتعليم وتخريج خطباء ووعاظ وأئمة مساجد ، ويقبلون فيه طلاباً يافعين دون سن البلوغ من أجل صياغتهم بصياغة تربوية عميقة ، وظاهر هذا الأمر أنه عمل خيري يأتي من قبيل النجدة للشعب الفلسطيني ولكن باطنه فيما أبداه برنامج عُرض مؤخراً عبر قناة العربية الفضائية **يُفيد بأنه حلقة في السياسة التطبيعية** السلمية ، إذ تكلم رئيس هؤلاء الطلاب ، وله من العُمر خمسة عشر عاماً فقط ، **فأبدى حماسة في البراءة من السياسة والتجرد للمواعظ الدينية فقط** ، وكان من الواضح جداً أن أساتذته قد لقنوه هذا الكلام تلقيناً ، وهو لا يدري معناه ، ولا يستطيع أن يسأل نفسه كيف يُتاح له أن يُحرر بلده من العدوان الصهيوني الأميركي إذا لم يمارس السياسة ؟ **والخبير يستطيع أن يجد في الأساليب المخابراتية إجابة وافية عن الغاية التي من أجلها يتم إنشاء هذه المعاهد ، والأيادي الخفية التي تخطط لتخريج جيل ينسى الجهاد** ويذعن للواقع المفروض دون أن يتمرد عليه تمرداً إصلاحياً مهتدياً بهدي التوحيد المستعلي الذي هو منبع التحدي والذي تكمن فيه عناصر الإلهام لتأجيج أشواق الأحرار ودفعهم إلى البذل لنيل الحرية .

● ثم برنامج آخر أذاعته الجزيرة أيضاً يبدي **حرصاً مكثفاً من وزارة الخارجية الأميركية على تدريب قيادات العمل النسوي في بلاد العالمين العربي والإسلامي ، وجلبهن إلى أميركا وعقد المؤتمرات الخاصة لهن** وتدريب المئات على معنى الديمقراطية الأميركية ومنظورها السلمي لحل الصراع العربي الإسلامي اليهودي مما هو وارد كفصل متميز في خطة العولمة الأميركية للسيطرة على الحياة الاجتماعية الثقافية في العالم أجمع ، وفقاً لمذهب الفلسفة الأميركية المادية ، مما فيه إطالة أمد السيطرة السياسية والعسكرية ، وإيجاد أجيال محلية تقبل الانقياد للأمر الأميركي ، **وهذا المنحى الخياني بدأ أيضاً يجد له أنصاراً ونصيرات في مجتمعاتنا الإسلامية بعد دهر من تمهيدات التربية العلمانية التي تولتها**

الجامعات منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى وحتى اليوم ، وضعفت الحساسية التي أبدتها الأجيال السابقة ضد الاستعمار ، والروح الثورية ، ومخافة التدنس بالقاذورات الأميركية ، وأصبحت القلوب تلفها الغفلة ، وأصبحت القيادات النسوية تعتقد ضرورة التوافق مع أنماط الحياة الغربية بعامة والأميركية بخاصة ، وتجهر بذلك أو تهمس تحت غطاء من الترويج الإعلامي لهذه الخطط ، وعما قريب سنرى تطور هذه المقدمات إلى نتائج تطبيعية مع الحياة اليهودية والمنظمات الصهيونية ، ربما .

● **وهذا الاستعراض الذي كشف لنا المخطط الأميركي لترويج التحريف ، من نقطة بدايته المعتمدة على بدعة الإرجاء ، مروراً بالوسطية الداجنة ، والمعاهد الخادمة لها ، ثم تربية القيادات النسوية العربية في معاهد واشنطن : كل ذلك يُبدي وبوضوح حاجة المقاومة إلى أن تكافح المخطط الفكري التربوي الأميركي بمثل مكافحتها لوجوده العسكري** ، ولكن نظرة متأنية إلى كفايات المقاومة ومقدرتها وطبائع عملها السرية تُرينا أنها قد تكونت استجابة للظرف ، وأنها رد فعل تحرري على فعل استعماري ، وأنها تنشط في بيئة صعبة ، لذلك لا يمكن أن تتحمل المقاومة العراقية حملاً فكرياً وتربوياً هو فوق طاقتها ، وهي لا تملك من الخبرة العملية في ذلك شيئاً ، مما يعني أنها ينبغي **أن تقوم بتوكيل جمهرة الدعاة في الدعوة الإسلامية العراقية بهذه المهمة الصعبة ، وأن يجري بينهما حلف مؤكد يتأسس على حُسن النوايا وجميل الظنون ، وعلى سُنة التكامل والتنسيق** ، بحيث تظهر ثمرات هذه المقاومة الفكرية الدعوية جنباً إلى جنب مع ثمرات القتال الجهادي ، ليكون الدفع الشامل ، **ومهمة كبرى كهذه تقتضي تربية المجاهدين على معنى عدم احتكار الحق** ، وعلى ضرورة خروج المقاتل من حالة الاعتداد بنفسه أنه هو الأول والآخر ، إلى **حالٍ تخطيطي يعترف فيه بالعراقي الدعوي السياسي كشريك يتكامل معه ، والاعتراف بالعراقي الدعوي التربوي كشريك آخر ، وشراكتهما ضرورية لحيازة الموقف الفاصل** ، وكل أجزاء الدعوة الإسلامية

العراقية تصلح لهذه الشراكة ، بل هي أصل العمل وأصل الأحاسيس الجهادية في العراق ، والسلوك التكاملي الصائب هو قريب دوماً من مُخلص نقي القلب ذكي الفؤاد يُريد أن يتناوله .

⁂ دائرةٌ ... ليس لها طرف

⁂ الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة ، وما زال المؤمنون يتفننون في سلوك منافذ الخير الموصل إلى رضوان الله تعالى ، ويتقاسمون الدخول من أبواب الجنة ، لكل رهطٍ منهم ذوق في ذلك واجتهاد ، ثم الجميع بعد ذلك لهم اجتماع في المركز ، على سُرر - بإذن الله - متقابلين ، ورحلتهم هذه مثل رحلة نقاط على محيط دائرة ، أينما تكون حين استدارتها فإنها تَبعد بُعداً واحداً متماثلاً عن مركز الدائرة ، فهم في تكامل وتعاون وفضل متقارب ليس فيه طرفُ مربعٍ أو مثلث ، وجميع الكتلة يغمرها فرحٌ وتأخذها نشوة بما وفقها الله إليه من بذل وتضحية وتنويع لأشكال خدمة قضية الإسلام .

● والناظر إلى مسيرة القضية العراقية خلال سنتين يلمس بوضوح **وجود خطين متوازيين** في خدمتها عندما يكون تجريد نظرنا من منطلق إسلامي بحت هو الأصوب بتزكية الله له وثنائه على أتباع شريعته وهدي رسوله ﷺ : **الأول هو خط الجهاد والنكاية بالأميركي المحتل** ، والذي تمثله منظمات عديدة يُضاف إنجاز بعضها إلى بعض لتكوين حقيقة جهادية كبيرة نجحت في إرغام الجيش الأميركي الغازي على التفكير بالانسحاب ، **والخط الثاني : هو الخط السياسي الذي يقوده الحزب الإسلامي العراقي كأكبر قوة فاعلة في الساحة تستند إلى فكر إسلامي شمولي** مشروح بمئات كتب ، وإسناد عالمي من جميع نقاط تجمع الأخيار الأبرار في العالم الإسلامي كله وفي دور الهجرة الغربية ، وتتقدم مع جهود الحزب في نفس الوقت جهود جمهرة طيبة من التجمعات الدعوية الأخرى لأهل السُنة والجماعة ، **وقد كانت مسيرة هذين الخطين المتوازيين تستند إلى نوع من العفوية** وإلى عرف راسخ توّلد من توارث الأجيال العديدة لشرف خدمة الإسلام

وشرف الامتياز بنقاء العقيدة على النحو الذي كان عليه الصحابة والسلف الصالح ﷺ ، **ولكن التعقد الحالي للحياة العصرية ، ودخول أساليب الإدارة الإستراتيجية وفنون المناورات المرحلية وتعقد العلاقات السياسية الدولية** وأثر محاور القوة في العالم وصراعها وتنافسها وضرورة خضوعها إلى مفاد القانون الدولي وقرارات المنظمات الدولية والمؤتمرات الجامعة : كل ذلك **يوجب تطوير هذا التوازي المستند إلى التراث العرفي والشعور العاطفي والنداء الإيماني والعفوية الفطرية : إلى طور جديد من التخطيط الذي يوفر التكامل والتنسيق واستثمار الخبرات المنتشرة في أطراف المحيط الدائري الإسلامي الواسع بعدما رسخت المكانة القيادية للفكرين الجهادي والسياسي معاً في مركز الدائرة** .

ولقد كان التشخيص الصحيح مبكراً ومع أول التحرك بعد الحرب ، **وحصل تحديدٌ فيه وضوح أن الاحتلال الأميركي هو مصدر الخطر الأول ، لا على العراق فحسب ، بل وعلى الأمة الإسلامية كلها** ، وأن على رجال القضية العراقية أن يصاولوه ويقاتلوه ويُعارضوه ويفضحوه ، صيانة للمهمة الحضارية القيادية العراقية ، ونصراً للجهاد الفلسطيني ، ومنعاً لخطط المكر الأميركي أن تنتقل من أرض العراق المحتل إلى بلدان أخرى ، بل وإلى العالم الإسلامي كُله ، **ثم كان تشخيص الخطة الصفوية تجاه العراق ومحاولة ابتلاعه والانتقام منه هي الخطر الثاني** الذي ينبغي أن تتصدى له القوى المخلصة ، ذلك أن المشروع الصفوي مشروع تخريبي عدواني يستند إلى أحاسيس ثأر متأصلة نمت عبر قرون عديدة ، **أما الخطر العلماني فهو خطرٌ أقل شاناً لأنه يستند إلى " شهوات " يسهل علاجها بالفكر والمحاورة والتربية ، وليس إلى " شُبهات " تتجذر في أصل القلوب وتوجه النفوس نحو توتر وانغلاق** ، والفكر العلماني الغربي لم يتأصل في ديارنا ، لمكانة الموازين الشرعية في نفوس الناس ، وإنما هو التقليد المحض ومماشاة الصيحات العالمية والخضوع للتأثيرات الإعلامية ، وأما قلوب الناس وعقولهم فإن معاني الإسلام فيها وافرة ، ولكن تغلفها طبقة من الصدأ الذي ولدته الغفلات وقلة

القول الواعظ ، وعما قريب تكون الأوبة ويكون الاستيقاظ من رقدة الغافلين بعدما هزّ الخطر الأميركي النفوس ورفعت الدعوة الإسلامية منابرها وبدأ وُعّاظها يُنذرون الناس ويُبشرون بعد دهرٍ من المنع والتضييق .

❖ **وهذا الخروج من مجرد العُرف والاحترام المتبادل وحدود حُسن الظنون إلى الممارسة التخطيطية والأداء النظامي المتقدم : نظنه يسير في ثلاثة مساقات متناسقة** ينقلب يمينها على يسارها ويعود آخرها نحو أولها لتكون هي معالم السياسة المرحلية لأهل السُنة والجماعة في العراق .

● **المساق الأول : استثمار مكتسبات الجهود السياسية والقتالية التي ضغطت على المستعمر الأميركي للوصول إلى حل سياسي يتعين بموجبه جدول انسحاب القوات الأميركية وعودة الاستقلال على مرحلتين متقاربتين ، والإدارة الأميركية اليوم على استعداد للدخول في مفاوضات مع أطراف الجهاد العراقي الحقيقي ، ومع التنظيمات السياسية الضاغطة المعارضة للوجود الأميركي** ، وكانت مثل هذه المفاوضات التي ينسحب فيها المستعمر بحفظ ماء وجهه هي الطريق الطبيعي الذي سلكته ثورات عديدة في العالم ، وينبغي علينا نحن أهل العراق من المجاهدين والضاغطين سياسياً أن لا نَتهيّب أو نخجل منه ، فإننا **نجلس على مائدة التفاوض من مركز قوة** ، وباستحقاق يشهد به العدو ، وقد أصبح أسلوب الأداء العراقي مثلاً عالياً للأمم المستضعفة ، وبدأ الذي استضعف منّا نفسه وترك القتال والضغط يُراجع نفسه ويُمنيها أن تقتدي بنمط العراقي الأبي المستعلي ، ولكن هذه الرغبة التفاوضية لا تعني أبداً فتح الباب الواسع الذي يلجُ منه كل مصلحي ومتساهل وصاعد على أكتاف المخلصين الباذلين ، فإن سرقة الثورات في العالم - وبخاصة الثورات الإسلامية التي قام بها المتدينون المصلون الدعاة للإسلام - إنما حدث بمثل هذا المجال الذي فسحوه للنفعيين حين زعموا حقهم في التفاوض مع المحتل ، ووجد فيهم المحتل بغيته فسلّم الأمور إليهم ، **واليوم يتصدر من لم يتشبع أنفه بدخان البارود ، ولم يتمعر وجهه غضباً لله** وممارسةً للضغط

السياسي ، فيزعم للأميركان أنه صاحب علاقة بالمجاهدين ويمكنه أن يجلبهم إلى السلم ، **وعلى رجال القضية العراقية أن يمنعوا مثل هؤلاء المتسلقين من السرقة ، ولكن المنع لا يكون سلبياً ، بل يجب أن يكون منعاً إيجابياً ، بأن تكون للمنظمات الجهادية تطويرات لمكاتبها السياسية بحيث تتشاور وتتعاون مع رجال الدعوة الإسلامية الضاغطة سياسياً ، وأن تكون ثمرة التشاور وتوحيد الجهد : صياغة مشروع سياسي إسلامي للعراق يكون هو أساس التفاوض مع العدو** ، ويكون الرجال الذين مارسوا القتال أو الضغط جزءاً لا يتجزأ من المشروع ، مع مراعاة ضرورة التنازلات الحصصية بما يناسب واقع الشمال والجنوب والاعتراف بأطراف المعادلة العراقية ، وأيضاً فإن هذه المفاوضات إنما هي طريق احتمالي ليس فيه ضمان ، ولذلك علينا أن لا نضع توقيعنا على ورقة بيضاء ، **بأن يستمر الجهاد ، ويتواصل الضغط السياسي وندفعه إلى تصعيد ، ولا يكون السِلم إلا بعد نجاح المفاوضات وتوثيق العهود وشهادة الدول عليها** ، والذي يغلب على الظن أن الأميركان يتصرفون بنوع من التكبر الذي يجعل طريق المفاوضات طويلاً ، بل نقول : أنه رغم حديث الإدارة الأميركية عن الانسحاب والإقرار بوجود ضغوط عليها إلا أن ظروف الاعتراف بالمقاومة الإسلامية الجهادية لم تنضج بعد ، وهي ترغب في التفاوض مع علماني وبعثي ، وهذه مغالطة كبرى ترتكبها الإدارة الأميركية ، وبسبب هذا الصلف الأميركي الممتنع من الإقرار بحقائق الساحة العراقية فإننا نتوقع أن المفاوضات ستطول ، خلافاً للترويج الذي يروّج له المتسلقون الغرباء عن الساحة ، والذي يمكن أن يكون اتصالهم بالأميركان متناسقاً مع خطة الحرب النفسية التي يمارسها الجانب الأميركي .

● **المساق الثاني : أن تحرص المنظمات السياسية السُنية وفصائل المقاومة على إعادة التوازن إلى الوزارات وأجهزة الحكومة والجيش والشرطة بعد أن استبد بها الاحتكار الطائفي الذي سارع إلى ملء الفراغ السُني الذي تولّد في ثنايا وأعقاب الانتخابات النيابية السابقة ، وعملية إعادة التوازن هذه تقتضي دخول أهل السُنة**

في العملية السياسية السلمية ، وكانت الأطراف الجهادية تفهم أن حصول العملية السياسية يعني تحقيق الخطة الأميركية في ضرب الجهاد العراقي ، وبنت على ذلك موقفاً رافضاً لها ، وحاولت من قبل ثم هي تحاول اليوم وفي المستقبل أن تستمر في ضرب جميع الأشكال التي تمثل أجزاء العملية السياسية ، من قتل من يرضى بمنصب حكومي أو عسكري ، أو تفجير مقرات الانتخابات والتطوع .

والذي نفهمه أن هذا التفسير للعملية السياسية يحتمل النقاش ، ويمكن أن يكون صحيحاً في بلد آخر غير العراق ، حيث يكون التجانس الاجتماعي والقومي والمذهبي ، فإذا أعرض المجاهدون عن الانخراط في سلك القوات المسلحة التي يساهم المستعمر في التحكم في قيادتها ، أو الوزارات التي تخضع في قراراتها المهمة لسياسة المستعمر : فإن وضع الشعب في ذلك البلد يتضرر جزئياً فقط ولا تعُم البلوى ، وتبقى في أيادي أفراد يشاكلون بقية الناس في معتقداتهم وثقافاتهم وأخلاقهم ، وغاية ما يحصل هو الخلط بين مصالح البلد والشعب ومصالح المستعمر ، ولكن **الحالة العراقية حالةٌ مغايرة فريدة النوع ليس لها مثيلٌ في أقطار العالم إلا قليلا ، وذلك أن العراق منقسم مذهبياً وعرقياً ، وقد حصلت بين المقتسمين تنافساتٌ وشروخ عميقة ومظالم وضيق بوجود الآخر ومحاولة إزاحته والتعكير عليه وإبادة قياداته ، وبلغت الخطة الطائفية من العُمر قروناً خمسة تمتدُ إلى ظهور الصفوية ، وبعض الجذور تمتد إلى أبعد من ذلك ، مما جعل الانسحاب السُني من أجهزة الدولة خطراً على المستقبل السُني ، واستثمر الطرف الآخر الفراغ ، وصار يضربُ نيابةً عن المحتل ، ضربات موجعة بلا رحمة** ، وصار الموظف الصغير ، مروراً بالمدير ، صعوداً إلى الوزير : يمنع كل ما هو في مصلحة أهل السُنة وأفرادهم ويحاول عزلهم عن المصالح السياسية والانتخابية والاقتصادية والبلدية والخدمية ، ويضرب السُني المتمول ، والسُني المتميز بخبرة وعلم ، والسُني إذا تولى رئاسة المجلس البلدي في المناطق الـمُخلطة ، مثل اغتيال الأخ الشهيد (شاكر عبد الفتاح الشيخلي) رئيس مجلس حي الجامعة ، **وصار**

النُبل جريـمة تجعل السُني يتعذب بسببه ، ويسجن ، ويُغتـال ، أو ينالـه تهجـير وإقصاء وعزل ... وأيضاً : بلغ عُمر القضية العراقية الكردية قرناً كاملاً ترسخت خلاله قناعات حدت بالأحزاب العلمانية الكردية إلى استقدام الجـيش الأميركـي والترحيب به والتعاون معه ومع خدمات يقدمها الموساد الإسرائيلي .

إن مثل هذه السلبيات تدعونا إلى تعاملٍ مرن مع الحالة العراقيـة بحيـث نـأذن لأنفسنا أن نكون ضباطاً وجنـوداً في الجـيش والـشرطة ، أو مـوظفين في دوائـر الدولة ، حتى لو كان التأثير الأميركي موجوداً وذلك مـن أجـل التخفيـف مـن الآثار السيئة لغيابنا وانفراد المنافس بالسلطة ، والتخريج الشرعي لهذا الاسـتثناء يستند إلى قواعد المصلحة في الفقـه الإسـلامي والموازنـة بـين درجـات المفاسـد واحتمال المفسدة القليلة لدفع المفسدة الكبيرة ، وإذا كان هـذا التوجـه قـد ولّـد جدلاً في الوسط السُني قبل ستة أشهر وأكثر فإن الجدل ينبغـي أن ينقطـع الآن ، لأن التجربة العملية قد أثبتت صواب هـذا الإفتـاء المـصلحي ، وحـصل رصـد ازدياد المفاسد والتعنت الطائفي في كل دائـرة غِـبنا عنهـا وأخليناهـا ، وحـصل تخفيفٌ عن أهل السُنة في قاطع عمليات كل وحدة عسكرية انخـرط بعـض أهـل السُنة فيها ، وينبغي أن نـتّعظ بمفـاد هـذا الرصـد الميـداني ، **وأن لا نبقـى نـرددُ اللاءات الجازمة بالامتناع ، فإنها سهلةٌ في لسان المفتي ، لكنها صعبةٌ في التطبيـق العملي وجعلت أهل السُنة يدفعون ضريبةً مرهقة** ، وكل مسألةٍ في الفقه يحـصل فيها خلاف بين ثقات العلماء فإن الإفتاء فيها يجب أن لا يكون حاداً يلتزم جواباً واحداً ، بل التسهيلُ يكون أقرب إلى الصواب ، ويكـون الأجـدى **والأليـق هـو الحكم النسبي الذي يجيز بعض الحالات ببعض الشروط ويمنع حالات أخرى إذا لم تجلب الوظيفة نفعاً عاماً للمسلمين** ، والـذين يميلـون إلى التـسهيل ويرفـضون تعميم حكم الامتناع هم فقهاءُ أيضاً لهم إخلاصٌ وفهم ، وهم ثقات إن شـاء الله ولم يعرف الناس عنهم إلا الخير ووفور الحكمة ، والأحوال في الشهور الأولى من ولاية الجعفري تقنع المراقب السُني **بأن الانكفاء على الـنفس بـصورةٍ تامـة أمـرٌ**

تضيعُ معه مصالح الناس ويفوزُ بها طائفيٌّ وإيرانيٌّ وحاقد وآخرُ يريد تقسيم العراق ، وخيرٌ لنا أن نستدرك وندخل الوظائف وننخرط في الجيش والشرطة ثم نصلحُ بمقدار ما نستطيع ونمنعُ حصول الأذى والعدوان على أهل السُنة من قبل زملاء الوظيفة ورفاق السلاح ، وما زالت التجربةُ حيّةً يمكن أن يشاهد فصولها السلبية والإيجابية كل مترددٍ في اتخاذ موقفٍ من هذه القضية الشائكة والتي أوصلنا التنطعُ فيها إلى عزلةٍ مؤذيةٍ تسببت في احتكار المنافس لكل السلطة ، وغابت المناوراتُ والموازنات .

● **وكانت فتوى الشيخ محمد رشيد رضا تؤيد هذا المذهب ، وقد وردت في صيغة :**

سؤال٧٧ ، ومنه : **أيجوز للمسلم المستخدم عند الإنكليز الحكم بالقوانين الإنكليزية وفيها الحكم بغير ما أنزل الله ؟** فقال بعد أن ذكر أقوال المفسرين في قول الله ﷻ : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) :

(إذا غلب العدو على بعض بلاد المسلمين ، وامتنعت عليهم الهجرة ، فهل الصواب أن يتركوا له جميع الأحكام ولا يتولوا له عملاً أم لا ؟ يظن بعض الناس أن العمل للكافر لا يحل بحال ، والظاهر لنا : أن المسلم الذي يعتقد أنه لا ينبغي أن يحكم المسلمَ إلا المسلمُ ، وأن جميع الأحكام يجب أن تكون موافقة لشريعته وقائمة على أصولها العادلة : ينبغي له أن يسعى في كل مكان بإقامة ما يستطيع إقامته من هذه الأحكام ، وأن يحول دون تَحكم غير المسلمين بالمسلمين بقدر الإمكان ، وبهذا القصد يجوز له أو يجب عليه أن يقبل العمل في دار الحرب إلا إذا علمَ أن عمله يضرّ المسلمين ولا ينفعهم ، بل يكون نفعه محصوراً في غيرهم ، ومعيناً للمتغلب على الإجهاز عليهم...) إلى أن قال : (فمن كان أهلاً للقضاء في الإسلام وتولى القضاء في الهند بصحة قصد وحسن نية يتيسر عليه أن يخدم المسلمين خدمة جليلة ، **وظاهر أن ترك أمثاله من أهل العلم والغيرة للقضاء وغيره من أعمال الحكومة تأثماً من العمل بقوانينها يضيع على المسلمين معظم**

مصالحهم في دينهم ودنياهم ، وما نُكِبَ المسلمون في الهند ونحوها وتأخروا عن الوثنيين إلا بسبب الحرمان من أعمال الحكومة ، ولنا العبرة في ذلك بما يجري عليه الأوربيون في بلاد المسلمين ؛ إذ يتوسلون بكل وسيلة إلى تقلد الأحكام ، ومتى تقلدوها حافظوا على مصالح أبناء ملتهم وجنسهم ، حتى كان من أمرهم في بعض البلاد أن صاروا أصحاب السيادة الحقيقية فيها ، وصار حكامها الأولون الآن في أيديهم .

والظاهر مع هذا كله أن قبول المسلم للعمل في الحكومة الإنكليزية في الهند - ومثلها ما هو في معناها - وحكمه بقانونها هو رخصة تدخل في قاعدة ارتكاب أخف الضررين ، إن لم يكن عزيمة يُقصد بها تأييد الإسلام وحفظ مصلحة المسلمين ؛ ذلك أنْ تَعُدَّه من باب الضرورة الذي نفذ لها حكم الإمام الذي فقد أكثر شروطه ، والقاضي الذي فقد أهم شروط القضاء ونحو ذلك) تفسير المنار ٦ / ٤٠٦-٤٠٩ .

● وإذا لم يكن هذا المقدار من المنطق الفقهي والواقعي كافياً لتمييز ما حصل من خطأ الانكفاء والتواري والتعفف : فإن سؤالاً واحداً يمكن أن يوقظ ما هو سابتٌ من قدراتنا العقليةِ في الموازنة بين المصالح ، وهو **سؤالٌ جريءٌ** يتركزُ في الصيغة التالية : **كيف إذا استمرت مقاطعتنا لوظائف الدولة والجيش طيلة وجود الاحتلال ، ثم يخرج المحتل وينسحب ويبقى في السلطة طائفيٌّ وإيرانيٌّ وانفصاليٌّ** ؟؟ هل ستشفعُ لنا عندئذٍ اعتراضات المعترضين ؟ وهل ستعدل مواقف المنافسين طواعيةً ؟ **وإذا قيل بأن المقاومة والقوى السياسية السُنّية الضاغطة ستحاولُ إجبارَ الطرف المقابل على التنازل عن الحصة السُنّية التي ابتلعها فإن ذلك يعني حصول حربٍ أهليةٍ** تنال شرورها جميع الأطراف وتزداد القضية العراقية تعقيدا .

● **المساق الثالث : المساق الدستوري وممارسة العمليةِ الانتخابيةِ الثانية .**

وقـد ذهـب الأكـراد في الفدراليـةِ إلى مـذهبٍ بـعيد هـو بـاب الانفـصال والاستقلال ، **وتضمينُ الدستور لها يعني أننا سنواجه في المستقبل وضـعاً حرجـاً مرهقاً إذا أرادت الدول الكبرى تبديل الخوارط السياسية للمنطقة وتسهيلِ تقسيم العراق** ، وتعديل مواد الدستور يقتضي أغلبية الثلثين وتوفر شروط أخرى ، كما هو الأمر في العُـرفِ الدسـتوري العـالمي ، وإرجـاعُ المبالغـات الكرديـةِ الآن إلى الحدود الوسطى والاعتدال يوفر علينا جهوداً عظيمةً قد نبذلها بعد سنوات ، بـل يحفظُ دماً إسلامياً كثيراً قد يُراق كما أُريقَ بالأمس القريب والبعيد ، ومستندنا في هذا التحجيم للأحلام الكرديةِ لا ينبعُ من مشاعر قوميةٍ مقابلة ، أو رغبة تفوق ، وإنما من المعنى الإيماني في وجوب وحدةِ الأمةِ الإسلاميةِ وعـدم تمزيقهـا ، وقـد مُزّقت ولا نرغـبُ بزيـادةِ تفتيـت ، ثـم هـو ينبـعُ مـن وحـي حاجـات معركتنـا الإسـتراتيجية الكـبرى مـع إسـرائيل ، وضـرورة دخولنـا لهـا مـن خـلال رصِّ الصفوف وتعبئة جميع جهود شعوب الأُمة الإسـلامية ، والأكـراد مـنهم جَزمـاً ، ونـُحبُ لهم أن يقودونا إلى القدسِ غداً كما قادنا بطلهم صـلاح الـدين الأيـوبي بالأمس ، بل وضعناه تاجاً على رؤوسـنا ، ونحـنُ علـى اسـتعدادٍ لوضـع همـامٍ كردي مُعاصر يُنادي بتحرير القدسِ تاجاً على رؤوسنا ثانيةً والانخراط في صفوفه جنوداً إذا عزمَ وتوكّلَ على الله واقتفى منهج الله وشريعته وجعـل سـيرة صـلاح الدين مَثَلاً أعلى لهُ ولحزبهِ وجيشه ، **وسعينا لمنع الأكـراد مـن ضـم كركـوك إلى الفدرالية ، وتحـصيل اعترافهـم بخـصوصية وضـع كركـوك : هـو الطريـق لمنـع الانفصال** .

كذلك نلمسُ طموحاً شيعياً نحو فدرالياتٍ جنوبية عديدة يمكن أن تـتطور إلى استقلالٍ عند الضرورة ، وهذا أمـرٌ خـطـرٌ يـأتي في سـياق احتمـالات تقـسيم العراق ، من بابٍ ، ويوفر للمشروع الأمنيّ الإيرانـيّ نقـاط ارتكـازٍ للتـدخل في الشأن العراقي على طول المدى ، من باب آخر ، والمشاركةُ الـسُنّيةُ في الاسـتفتاء الدستوري ربما يكون بإمكانها منعُ مثل هذا الجموح الذي تحركهُ إيران أصلا .

بل يبلغُ الطموح الشيعيّ إلى الحد الذي يُطالب بالنص على أن المذهب الجعفري هو المذهب الرسمي لدولة العراق ، كما هو الحالُ في الدستور الإيراني ، وهذا النصُ إذا كان يجدُ شبهَ منطقٍ في إيران فإنهُ في العراقِ لا يسوغه منطقٌ أبداً ، **لأن الشيعة لا يزالون أقلّ من نصف الشعب العراقي مهما زعموا من أنهم الأكثرية ، وإحصاءات وزارة التخطيط تؤيدُ ذلك** ، إذا اعتبرنا الشعب الكردي في عداد أهل السُنّة ، وعلينا دفع مثل هذا التفكير الطائفي الذي لا ينسجمُ مع حقائق العصر وأنماط الانفتاح والاستمداد الاجتهادي المباشر من القرآن وسُنّة النبي ﷺ .

ثم إن المشاركة السُنّيةَ يمكنُ أن تتجه نحو منع تكوين المليشيات الحزبية التي أرهقت الناس وبالغت في الاغتيالات والقمع انحيازاً لمصالح الأحزاب والزعامات ، ونحن بحاجةٍ أيضاً إلى منع منح أميركا الامتيازات التي تحلمُ بها في العراق ومنع تمليك حقول ومكامِن النفط إلى الشركات المستثمرة ، ذلك أن هذه الشركات تريدُ أن تنتفعَ من الفراغ السياسي الحاصل في العراق وضعف الرقابةِ الحكومية لتحصيل امتيازاتٍ لم تأخذ مثلها في أي بلدٍ آخر ، **وقضيةُ التمليك قضيةٌ خطرةٌ جداً** ، ولذلك استمات الشيعة للإمساك بالورقة النفطية في هذه المرحلة ، لجعل الورقة النفطية ورقةً رابحةً في يد المشروع الشيعي تُغري بها الأحزابُ الشيعية الإدارةَ الأميركية وتمنحها هذه الامتيازات الاستثنائية الهاضمة لحقوق العراق الاقتصادية وحقوق الأجيال المستقبلية مقابل تأييد الإدارةِ الأميركية للمشروع الشيعي وتمرير نقاط تفوقٍ دائمٍ على الوجود السُنّي ، وستدخلُ هذه الامتيازات في نطاق إلزامات القانون الدولي ، وهي إلزاماتٌ ظالمة تنحاز لمصالح الدول الكبرى على حساب مصالح الشعوب المستضعفة ، بحيث تتدخل هيئة الأمم المتحدة ومحكمة العدل الدولية لصالح الدول الاستعماريةِ .

● **وأما قضية الانتخابات** والمشاركة السُنية فيها وحماسة الحزب الإسلامي العراقي وبقية التجمعات الدعوية لأهل السُنة والجماعة لريادتها **فإن المنطق الذي**

يحكمها هو نفس هذا المنطق الذي نقوله في وجوب إعادة التوازن إلى أجهزة الدولة ، والفهم الواقعي العقلاني لطبيعة المرحلة الراهنة يحملنا على قبول هذه الممارسة رغم ما فيها من نقص ، **لأن حصول أكثرية شيعية وكردية في البرلمان القادم وغياب أهل السُنة سيفتح المجال واسعاً للتصديق على اتفاقات دولية ترهق العراق وتعادل في أهميتها آثار الدستور** ، بسبب الطبيعة المنحازة لهيئة الأمم المتحدة التي ستكون رقيبة على تنفيذها ، وبسبب تفسيرات فقهاء القانون الدولي ، وفيهم ثُلة يهودية تلوي النصوص لصالح القوي ضد المستضعف ، وتكون هذه الاتفاقات واجبة النفاذ عند مصادقة البرلمان عليها ، ولا يستطيع برلمان آخر في المستقبل أن يلغيها بسهولة حتى لو كنا أكثرية فيه ، وهي معاهدات عديدة ، **مثل الصلح مع إسرائيل والدخول في خطة السلم ، ومعاهدة التطبيع ، ومنح امتيازات النفط العراقي والمعادن ، والاتفاقية المتوقعة مع تركيا حول مياه دجلة والفرات بالشكل الذي يتيح لتركيا أن تحوّل حصة من المياه إلى إسرائيل تنقذها من عطش ينتظرها ، وكذلك شروط انضمام العراق لاتفاقية التجارة العالمية التي ستتيح دخول الشركات العظمى العابرة للقارات إلى الميدان العراقي وتدمير جميع التطلعات الصناعية العراقية ، ثم المعاهدات العراقية العسكرية التي تقنن وجود الجيش الأميركي على أرضنا الطاهرة أو تسمح برجوعه عند قيام حروب مستقبلية تخوضها أميركا ، واتفاق تعويض إيران مائة مليار دولار تسعى الأحزاب الشيعية لتمريره ، وأمثال ذلك من المعاهدات التي نرجو أن يكون الوجود السُني في البرلمان العراقي مقللاً من آثارها الضارة** ، والشرور والسلبيات يمكن أن تكون كبيرة وكثيرة عند غيابنا ، ومصالح العراق الكبرى عند التفاوض والنقاش البرلماني لا يحرص عليها إيراني ، ولا يُناضل دونها حزب كان قادته قد ذهبوا إلى واشنطن ودخلوا البيت الأبيض وقدموا الرجاء بعد الرجاء أن يأتي الجيش الأميركي فاتحاً ومستعمراً لينشطوا في ظله وتحت حمايته ، **والمفروض أن تميز المقاومة العراقية هذه النتائج السلبية لغياب أهل السُنة عن البرلمان القادم ،**

وأن تـتفهم جيداً خطة الحزب الإسلامي في الموازنـات المـصلحية ودرء الـشرور المتوقعة ، ويقتضي ذلك عدم التعكير على المشاركة السُنية في العملية الانتخابية ، وأن تنبني العلاقة المتبادلة على حُسن الظن وجميل التأول الخيري الـمُنصف ، وأن الاجتهاد السياسي حـق لكـل الأطـراف ، ولا مجـال لتعـسف وتخـوين وضـرب وتهديد ، **وغير العراقي مدعو إلى أن يتفهم خصوصية الساحة العراقية المعقـدة ، وانفرادها بوضع فريد ، وأن الـدفاع عـن العـالم العربـي ضـد هجمـة المـشروع الصفوي يستلزم وجودنا في البرلمان القادم** الذي سيتكون في بداية سنة ٢٠٠٦م ، وأن الأمن الاستراتيجي العربي والإسلامي يستند إلى موقف شجاع ننتظـره مـن دعاة الإسلام في البرلمان ، وأن استمرار الجهاد الفلسطيني يستند في جانب منه إلى ما سيبذله هؤلاء النـواب الـدعاة في البرلمـان العراقـي وعمـوم الحيـاة الـسياسية العراقية ، وسياق تطور القضية العراقية يوجب على القيـادات القتاليـة أن تـؤمن بأن أداء الأحزاب السُنية والمنظمـات الـضاغطة سياسـياً علـى الإدارة الأميركيـة والحكومة العراقية المتحالفة معهـا إنمـا هـو أداء مكمـل لـلأداء الجهـادي ، وأنـه ضروري جداً ، وأن من يقوم به فإنه يقوم على سد ثغرة ، وهو نـوع مـن أنـواع الرباط في سبيل الله ، **وصوت الخطيب الدعوي في البرلمـان هـو بمـستوى لعلعـة البندقية ، ويحويهما نـَغـَم واحد ، لا فرق** ، والقول بأن العملية السياسية إنما هي نقيض الخطة الجهادية إنما هو مجرد اجتهـاد ، ولا نـرى تلازمـاً حتميـاً بـين الأداء السياسي والـسـلوك الـسـلمي ، **بـل الـسياسي المـاهر يُمكـن أن يـوفر الغطـاء للمجاهد ، ويحميه** ، ويضغط على العدو بالوسائل السلمية المتاحة لكـي يعـترف بحق العراقي في المقاومة ، **ونعتقد أنّ الدعاة من أهل السُنّة والجماعـةِ إذا نجحـوا في الوصولِ إلى مقاعد البرلمان بكثافةٍ فإنهم سيكونون أبلغَ مـن يُطالـب برحيـل الغازي الأميركي ، مـع التعـويض ، وسـتكون كتلـتهم كتلـة ضـاغطةً في اتجـاه الاعترافِ بأبطال المقاومة كشركاء في تكوين الدولة العراقية ، بمقدار مـا تـتيحهُ المعادلة الاجتماعية السياسية التي تحكمُ الواقعَ العراقي المنقسم مذهبياً وعرقيـاً ،**

وأولُ فحوى هذه المعادلة أن لا يحتكر طرفٌ حكم العراق ، وإلا كانت المشاكل ويكونُ القلق ، **فلعل رجال الجهاد العراقي يُدركون أهمية ما تمليهِ هذه الدروس التجريبية والتحليلات الواقعية من مواقف فيها مرونة وفهم لموازين السياسةِ الشرعية ، فيكون منهم السعي لإقرار مشروعٍ سياسيٍ للجهاد العراقي يمتازُ بالشمول والواقعية ، ثم يكون منهم الاقتناع بجدوى عمل التنظيمات الإسلامية الضاغطة سياسياً على الاحتلال الأميركي والاعتراف بالتكامل المتبادل بين الضغط والجهاد ، وأما القرارات الحادّة الباتّة بالمقاطعة وترديد اللاءات فنخشى أن تؤدي إلى فوات الاستدراك في المستقبل مهما نُبدي من حرصٍ آنذاك ، ولاتَ حين مندم** ، وكان شيءٌ من ذلك قد حدث في الهند ثم جاء الوعي متأخراً بعد حصول المصائب ، فقد سجّل المسلمون في الهند أروع البطولات الجهادية ضد الاستعمار البريطاني في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وكانوا هم قادة المقاومة ، لكنهم تماهلوا في الاستجابةِ للعملية السياسية ، فتقدم لها الهندوس ، وصارت السلطة في أيديهم ، وحين انقسمت الهند واستقلت باكستان : توقفت عملية دخول الهنود في الإسلام ، وكان حجمها كبيراً ، وتوقف المد الإسلامي ، واستقلت بنغلاديش على أساس قومي ، فزاد التشرذم .

● **ومما يقذف الطمأنينة في قلوبنا ، والسكينة الفقهية ، ويجعلنا نرجح صحة اجتهادنا الشرعي** وصوابه بجواز ممارسة أهل السنة في العراق للعملية السياسية وما فيها من خوض الانتخابات البرلمانية تحت ظل الاحتلال : **ما انتهت إليه اجتهادات شيخ المجاهدين محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** ، ومن معه من علماء الجمعية من تسويغ المشاركة في الانتخابات البرلمانية التي انعقدت سنة ١٩٤٨ وفقاً لدستور أصدرته السلطة الفرنسية ، مع ما في ذاك الدستور من نقص ، وقد حصل نشر فتوى الشيخ البشير وأصحابه في مجلة البصائر عدد ٢٩ ، وهي مجلة جمعية العلماء في ذلك الحين ، ونقلناها من كتاب (آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي) الجزء الثاني ص ١٩٠ .

ولأهمية فتوى الشيخ الإبراهيمي نوردها في صيغتها الكاملة، وهذا نصها:

بلاغ إلى الأمة العربية الجزائرية

(من المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين)

إن الدستور الذي وضعته الحكومة الفرنسية للجزائر ووافق عليه برلمانها في أكتوبر ١٩٤٧ **هو دستور ناقص من جميع جهاته** لم يحقق رغبة واحدة من الرغائب الوطنية للجزائر.. وآفته أنه فرض عليها فرضاً ، ولم يؤخذ رأيها فيه ... والدستور النافع هو الذي يكون للأمة رأي في وضعه ، واختيار لمناهجه ، ويد في تشريعه ويكون ناشئاً عن رغائبها ليكون محققاً لرغائبها ... ولتلك الآفة لم يرضه حزب من أحزاب الأمّة ولا نائب من نوابها على اختلاف مشاربهم الحزبية وعلى تفاوت حظوظهم في الوطنية ، بل قابله الجميع بالاستنكار .

والمجلس الجزائري الذي ينفذ ذلك الدستور هو مجلس ناقص أيضاً من جهات كثيرة ، بعضها في أصل وضعه كعدم اعتبار النسبة العددية في السكان ، وبعضها في وسائل تشكيله كاستبداد الحكومة بتخطيط الدوائر الانتخابية ، وتدخلها في توجيه الانتخاب إلى جهاتها وضغطها على حرية المنتخبين كما عهدناه منها فيما هو أقل من هذا الانتخاب قيمة وأحطّ منه اعتباراً .. **ومع تلك النقائص كلها فإن مصلحة الأمّة الحقيقية توجب عليها أن تجاري الظروف وأن تستغل ما في هذا الدستور من خير ولو كان كقطرة في بحر ، وجمعية العلماء التي هي جمعية الأمّة كلها تفرض عليها حقيقتها ووضعيتها أن تكون فوق الطوائف والأحزاب لتكون حكماً بينهم إذا اختلفوا على مصلحة** ، وهي لا تستمد حكمها إلا من منطق الواقع والحكمة والمصلحة العامة والنظر البعيد .. وعليه فهي تتقدم إلى الأمّة العربية الجزائرية بأحزابها وهيئاتها وأفرادها بالحقائق الآتية :

أولاً : إن اختلاف الأحزاب ، وما جرّه الخلاف من سباب ، وما جرّه السباب من أحقاد ، وما جرّته الأحقاد من تضييع للمصلحة ، كل ذلك استنكرته الجمعية بالاعتقاد ، وأنكرته بالقول الصريح ، وسعت في إزالته بالعمل الجدّيّ ، لأنها

تعلم أن عواقبه وخيمة ، وأن أدنى عواقبه تمزيق الشمل وإضعاف القوة : وأنه - أولاً وأخيراً - ليس من مصلحة الوطن والأمّة ، وإنما هو من مصلحة خصوم الوطن وأعداء الأمّة .. وقد قامت الجمعية في أوقات ومناسبات شتّى بمساع جدّية صريحة للتقريب بين الأحزاب وإقرار روح الأخوة والتسامح في النفوس لتصل من ذلك إلى اتحاد متين يوجّه الجهود والكفاءات إلى خدمة المصالح الحقيقية للوطن ... وآخر جهودها ما قامت به في الأسابيع الأخيرة المتصلة بكتابة هذه السطور ... وهي- وإن لم تصل إلى غايتها من جمع الكلمة - لم تيأس من ذلك ولم تفشل وما زالت تفترص الفرص لتجديد السعي في جمع الكلمة على الحق وتوحيد الأحزاب على المصلحة العامة للوطن ... وهي تعتقد أن الاتحاد الذي تنشده الأمّة وتعلق آمالها على جمعية العلماء في تحقيقه إذا لم يتم اليوم فسيتمّ غداً ، والجمعية تعلن أنه ليس من مصلحة الأمّة ولا من مصلحة الأحزاب ولا من مقتضيات الذوق أن تشرح مساعيها للاتحاد في هذه الظروف .

ثانياً : يجب على الهيئات الداعية للانتخابات باسم الحزبية أن تجرد دعايتها من السب والقدح وجرح العواطف وإثارة الأحقاد ، وأن تبني تلك الدعاية على أشرف ما تبنى عليه الدعايات في الأمم الحيّة وهو المبادئ والبرامج ووسائل تحقيقها ... وعلى القادة والمترشحين أن لا يقولوا ولا يعملوا إلا ما يُبقي على الأخوة ويعين في المستقبل على جمع الكلمة ، وعلى عقلاء الأمّة أن يُلزموا أولئك الدعاة عند حدود الاعتدال ، ويُفهموهم أن في مكافحة الاستعمار ما يستنفد أقوال القائلين وأعمال العاملين .. وليعلموا جميعاً أن هذه النقطة من أسس تربية الأمّة تربية رشيدة .

ثالثاً : يجب على الأحزاب التي تجعل رائدها مصلحة الوطن العليا أن تجري في الدورة الثانية على قاعدة متبادلة وهي أن تسلم الأقلية منهم للأكثرية **وأن تعاونها على الفوز** لكي يسدوا الطريق في وجه الحكوميين والانتفاعيين الذين لا يمثلون إلا أنفسهم .

رابعاً : يجب على الناخبين أن يقدروا هذه الانتخابات حق قدرها ، وأن لا يستخفوا بها ، ولا يقاطعوها ، وأن لا يتخلف أحد عن الانتخاب ، وأن لا يتأثر بتهديد الإدارة وتخويفها وليعلم أن إعطاء ورقته شهادة للوطن أو عليه .. فليعرف أين يضع ورقته ولمن يعطي شهادته ، **وأن المقاطعة وإعطاء الورقة لغير الرجال العاملين هو تضييع لحقوق الوطن يعود عليه بأشأم العواقب .**

خامساً : يجب على الأمة أن تميّز بين أصحاب المبادئ وأصحاب الأغراض والمنافع الشخصية ، وأن تفرق بين من يقدمه حزب أو جماعة من الأمّة وبين من يقدم نفسه .. **والواجب عليها بعد أن تميز هؤلاء من هؤلاء أن تعطي أصواتها لأصحاب المبادئ** ، وتنبذ الفريق المستغل المستعمر المفتون بكراسي النيابة لا ليخدم الأمّة بل ليخدم نفسه... وقد جرّبت الأمّة هذا النوع من النواب ، ولا يُلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين .. وأن أخزى الرجال رجل يتوصل إلى النيابة عن الأمّة بوسائل سخيفة وأوراق مسروقة وحريات مغصوبة .

سادساً : يجب على الأمّة أن تحذر كل الحذر من المرشحين المستقلّين ، فإن هذا الوصف خداع يلوذ به كل حكومي وينتحله كل انتفاعي ولا يصدق منه إلا القليل وإذا وجد من هذا القليل مترشح فأهل دائرته أعلم به : فليستوثقوا منه ومن صلاحيته وخدمته للمصلحة الوطنية .

أيتها الأمّة ... إننا نعرف الإدارة الجزائرية الاستعمارية ... ونعرف أنها لم تغيّر شيئاً من عاداتها القديمة .. ونعلم أنها تجهد جهدها لتقيم من هذا الانتخاب دليلاً على أن نواب الجزائر لا يطلبون لها إلا الخبز والثياب ، وأن هذا هو كل ما تطلبه الأمّة الجزائرية وكل ما تستحقه ... **فكَذِّبي هذا الدليل بدليل يدحضه بحسن اختيارك للرجال ذوي المبادئ المطالبين بحقوقك السياسية** المثبتين لاستحقاقك الحرية الكاملة التي ترفعك إلى المكانة العالية بين الأمم الحيّة .

عن المجلس الإداري

الرئيس محمد البشير الإبراهيمي

وهناك شيءٌ كثير مثيل لهذه الفتوى الفقهية يتداولها طلاب العلم الشرعي ، تتحدث عن حالات أخرى من حالات الضرورة في البلاد التي استعمرها الكُفار ، **ولكنّ أوضح الفتاوى في الشأن العراقي الحاضر هي الفتوى التي أصدرها خلال الأيام الأخيرة كبير فقهاء أهل السُنة والجماعة في العراق الأستاذ عبد الكريم زيدان في صورة رسالة موجهة إلى الحزب الإسلامي العراقي وهيئة علماء المسلمين يجزم فيها بجواز ، بل وجوب ، الانخراط في العملية السياسية والترشيح ، ويرى (ضرورة الاشتراك في الانتخابات النهائية التي تلي التصويت على الدستور)** ، وهو يتأول (أن السند الشرعي لهذه الضرورة نجده في نظام الجوار وأخذ الرسولﷺ به ، ونظام الجوار كان جزئية من النظام الكافر وهم المشركون في مكة ، وقد أخذ به الرسول ﷺ هو وأصحابه لأنه يحقق مصلحة شرعية ، ودليل آخر على ذلك أن التتار عندما احتلوا بغداد : وافق العلماء على أن يعين الكافر لهم قاضياً على أن يُمكّن من الحكم بالإسلام ، ويستحسن الرجوع إلى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، ففيه من التوضيح والتوسع الشيء الطيب (مجموع الفتاوى ٣٠/ ٣٥٧-٣٥٨-٣٥٩ ، ٢٨/ ٣٩٦ ، ٢٠/ ٥٥) .

لذا فإن الانتخابات تقضي أن يكون للمسلمين نواب لهم صفة رسمية ومؤهلون لحمل المسؤولية التي تمكنهم من المطالبة بحقوق المسلمين ، وأن يدفعوا شراً كثيراً قائماً وقادماً يحدق بأهل السُنة .

إن المصلحة في ذلك هو درء مفسدة وجلب مصلحة نسعى للحصول عليها ، **لذا يستلزم التصريح والإعلان بهذه الضرورة وتفهيم أهل السنة بهذا الموقف** ، لأن في ذلك دفع ضرر قائم ويتفاقم) .

وفضيلته يطالب في رسالته هذه (أن ينشط أعضاء الهيئة والحزب الإسلامي في تبليغ أهل السنة وحمل أنفسهم على التسجيل في سجلات الناخبين من الآن في داخل العراق وخارجه ، وأن يعلموا أن ذلك من الأمور الواجبة وليس من النوافل) .

✦ نعود ونقول : إن الحديث عن مشهد الأبرار في العراق إذ هم يستدركون على الافتيات الحاصل على حقوق أهل السُنة ، وعلى التفتيت لبلد الحضارة الأولى: إنما هو حديثٌ مهم يمكن أن نعتبره هو المفصل الرئيس في خطة إنقاذ العراق وأهلهِ من آلام الافتراق .

● وما مِن شك في **أن نجاح العمل السياسي في العراق في هذه المرحلة إنما يستند إلى التشخيص الدقيق لطبيعة المشكلة** ، ووضع النقاط على الحروف يفيد في اختصار الجهد ويمنع الجدل ، **وهذا التشخيص كان عندنا مبكراً وحصل تعيين لمصدر الخطر الأول على العراق: أنه "الاحتلال الأميركي"** ، وما اقترن به من خطط تغيير فكري واجتماعي وتربوي ، وذلك لأن طبيعة مواقفنا التفصيلية المرحلية إنما تكون تبعاً لهذا التشخيص ، ولكي نُدرك أهمية هذه التصورات الصحيحة في رسم السياسات فإنه ينبغي علينا أن نتذكر الموقف النقيض لنا لنعرف أحوالنا ، **والنقيض يتمثل بتصورِ كرديٍ وشيعيٍ تلاقيا على فهمٍ آخر معاكس يجعل الاستنجاد بأميركا وطلب تدخلها ومعونتها هو محور سياستهما** ، وساغ عندهما الاتصال بعدو ، والتنسيق مع كافر ، وذهبا إلى واشنطن وطلبا مجيء القوات الأميركية إلى العراق ، مع وعود ببذل المعونة لها ، فيكون من الأمر المنطقي أن تنبثق سياستهما من هذه النظرة المسوغة للتعامل مع أجنبي يعلمان أنه يُخادع ويستأثر بالغنيمة ويمتص دماء الشعوب ويُعطي قليلاً ليأخذ كثيراً ، مع رعاية دائمة منه لمصالح إسرائيل ، فشعارنا في تمييز خطر الاحتلال يجعل نقائض هذا السلوك عند الآخرين هو الخيار الطبيعي لنا ، بحيث يمنح الأداء السياسي للحزب الإسلامي العراقي وفصائل الجهاد عامل الاستقرار والتناسق في الجزئيات ، بسبب الرجوع إلى تعليل متقارب وتحليل واحد ، وهو الأمر الذي **جعل سياستنا تنطلق من فكر سياسي شرعي يلتزم عدداً كبيراً من الثوابت ويستأسر لها مهما كانت الظروف والنتائج ، وعنصر التقوى في ذلك وافر وعميق بحيث أن رجل السياسة الدعوية تستولي عليه حساسية مفرطة ومشاعر من**

العفاف تجعله يتهيّب سبعين مرة عند كل مفاوضة وحوار مع ممثلي الطرف الاستعماري ، خشية أن يكون في ثنايا ما سيتفق عليه معهم تنازل عن حق أو لين لا يستطيع أن يجد له تخريجاً فقهياً واضحاً ، بينما المتجاوز لثوابت الشرع من ساسة العراق لا يبالي ، وتحوّلت قواعد التعامل السياسي عنده مع العدو الأميركي إلى قناعات تربوية تجعله ينظر إلى الكافر المحتل نظر الإعجاب ويجعله قدوة ومثالاً أعلى ، وزالت الحواجز النفسية تماماً ، وذلك إيغالٌ في المروق وطريقٌ خطر يلغي الخصوصية الإسلامية ويقتفي الفكر الغريب .

● **وبإزاء تشخيص الخطر الأميركي : يقودنا النظر الواعي إلى تشخيص خطر كبير ثانٍ يتمثل في خطة " الالتهام الصفوي " للعراق وما يكمن خلفها من محركات ثأرية جعلت المخابرات الإيرانية تنزل بقوة إلى ساحة العراق مستغلة الفراغ لتقوم بتصفية أهل السُنة ، وهي تلتقي في أدائها هذا مع الأداء الأميركي** ، خلافاً لما يفهمه الساذجون من كلام إعلامي يدّعي ويزعم التزاحم بين المصالح الإيرانية والأميركية ، فإن ذلك صحيح في أمر مفاعل بوشهر النووي ، وتريد أميركا تحقيق أمن إسرائيل عبر إيقاف عمله أو تدميره ، **أما تجاه العراق فإن السياسة الأميركية الإيرانية ملتقية تماماً ، ولأن الجهاد صنعة سُنية شريفة ينفرد بها الصف السُني : فإن الانقضاض على الجهاد ومنابع الجهاد وبيئة الجهاد وروافد الجهاد صار صنعة إيرانية** بالمقابل تمارسها عن طريق الوكالة المباشرة ، أو من خلال تحريك فيلق بدر وميليشيات حزب الدعوة وعمليات البرق وأمثالها لتحقيقه .

● ومن الواضح أن عملية تشخيص هذين الخطرين لا تدفع نحوها عندنا مجرد فنون إعلامية ، وإنما هي نابعةٌ من أصل الحاجة العملية التي تبتغي توفير أمننا وعودة استقلالنا ، وذلك يعني أن عملية التشخيص ينبغي أن تتلوها سلسلة عمليات أخرى من التماس الوسائل والمواقف التي تدفع هذين الخطرين وتجليهما ، وأساس ذلك التمكين للخيار الجهادي أن يجد له أنصاراً ورفداً وتأييداً في الساحة السُنية ، ومحاولة شيء من ذلك في ساحة التيار الإصلاحي الشيعي

صعوداً إلى التحالف معه ، وفي الساحة الكردية أيضاً رغم سطوة المشاعر القومية ، لأن تجارب الساحة العراقية في بداية السنة الثالثة من حصول الاحتلال تفيد بأن أميركا تتوجع كثيراً من الضربات الجهادية ، وخطابات الرئيس بوش تشير بصراحة إلى وجود حرج وحصول أذى في الصف الأميركي ، لكنه يدعو جنوده إلى إبداء مزيد صبر وتضحية ، **والمشاهدة العيانية والأخبار المتجمعة من الثقات تفيد بتراجعات أميركية عديدة في ميادين المعارك خلافاً لظاهر البيانات المعلنة** ، فخلال الأيام العشرة السابقة لتموز تمت إبادة رتل من ثمان دبابات ومركبات قرب القائم ، والخسارة الأميركية خلال ذلك من المارينز تزيد على السبعين من القتلى ، وكان قد خرج أكثر من مائتي مجاهد لخوض تلك المعركة ، وتمت إبادة أربعة مركبات في طريق الثرثار من جهة الفلوجة ، وفي القتلى مجندات إناث ، وسقطت مروحية أباتشي بين التاجي والطارمية قتل فيها ضابطان وبعض الجنود ، وتم تدمير همرات عديدة في شارع المطار والطريق السريع في بغداد ، وحوادث متفرقة كثيرة في أنحاء العراق تترك انطباعاً جازماً لا مجال للشك فيه **بأن الممارسة الجهادية قد تضاعفت في الصيف وازدادت إثخاناً في العدو وحصل تطور نوعي في التخطيط ، خلافاً لمن يظن أنها بدأت تفقد السلاح وتتناقص وأنها ستنتهي في وقت قريب ، بل هذا الظن إنما هو جزء من الحرب النفسية التي تتقنها القوات الأميركية ، وإنما تنطلي على داعية بعيد عن أجواء بيئة المقاومة ، ومن يسمع يخلْ** ، والحكم على الشيء فرع من تصوره ، والتصور ها هنا مبنيٌّ على رؤية القنوات الفضائية المنحازة وقراءة الجرائد العميلة ، **ويجري ذلك عبر التعتيم الأميركي على أخبار المقاومة والتضييق على نوافذها الإعلامية** ، وما كان يليق بسني أن يعتقد في المقاومة عقيدة التعب وحصول الحرج في محيطها ، **لأن حرب الإشاعات هي خطة أميركية دائمة** وتستعمل أميركا لها كل منافق يلوك لسانه الأراجيف باسم التحليل السياسي والرصد الإعلامي ، ويمكن أن نفهم هذا الموقف الأميركي في بث الأراجيف من خلال مزاعم بعض من لا قيمة له

من العراقيين بأنه يفاوض الأميركان نيابة عن المقاومة ، وإنما أرادت أميركا بهذا الزعم إيجاد حالة فتور في الزخم الجهادي بعد تضاعفه ، وفرض حالة اضطراب نفسي في صفوف المساندين للجهاد وفي البيئة السُنية بعامة، والمفروض أن يخرج أهل السُنة من ذلك بدرس تجريبي يعينهم على تمييز المناورات النفسية للعدو ، ودرس تجريبي آخر يعظهم بأن الساحة السنية ليست ملائكية كلها ، بل فيها من يُريد أن يتعاون مع العدو وينقذ سمعته ، ولكنْ من رحمة الله أن هذا الصنف ينحصر في قلة أسرفت على نفسها ، ووجدت نفسها معزولة هذه الأيام ، وتريد أن تركب المركب الأميركي لتحصيل فرصة جيدة لها ، لكن الوعي الدعوي وانتباه المقاومة منع مثل هؤلاء الضعفاء من تسويق خدماتهم ، **لأن الصفين الدعوي والجهادي التزما موازين الشرع ، واتخذا الفكر الإسلامي مرجعا ، فعاونهما ذلك على نقاء الصف وانفضاح الدخيل الذي يلوي عنقه نحو المارينز .**

● إن اجتماع هذه الأوصاف معاً ، واختلاط المشروع الطائفي الصفوي بالمشروع الأميركي ، ورصد الأحزاب الشيعية لقواها وإمكاناتها في خدمة المشروع الأميركي ، بداية من أيام المعارضة ، والذهاب إلى واشنطن إلى هذا اليوم الذي تمارس فيه ضرب المقاومة في حملات مشتركة مع المارينز ، ومماثلة الأحزاب القومية الكردية لهذه المواقف : كل ذلك يجعلنا مرغمين على **تصنيف الصراع في العراق على أنه صراع جبهة سُنية ضد جبهة أميركية تستعين بالجهد الطائفي بدرجة أولى ، وبجهد كردي بدرجة ثانية أخف ، وذلك ينفي إمكانية تصنيف الصراع في المرحلة الراهنة على أنه صراع إسلامي علماني ، لأن الكتلة العلمانية في المجتمع الشيعي العراقي أبدت وعياً ضد المشروع الشعوبي الإيراني** ، والكثير من العناصر العلمانية السُنية أبدت توبة ، واقتربت من المعنى الإسلامي جداً ، ثم الناظر بمنظار الواقع يجد أن أطرافاً علمانية مشتركة فيها الأنفاس السنية المختلطة بأكثرية شيعية يقودها إياد علاوي في تجمعه العلماني : هي خصم للوجود الشعوبي في الظاهر ، مما يعني إمكانية التوافق في الأداء معها ضد من يزعم

الالتزام بالإسلام ويُقدم التسهيلات لإيران ، مع ما في ارتباط إياد بالأميركان من أضرار وسلبيات .

● ونعود ونقول : **إن هذا التوصيف الصحيح للعناصر الموجودة في الساحة العراقية ، هو من الضرورة بمكان ، لأن موقفنا إنما هو تابع لهذا التوصيف ، وكيفما يكون الوصف يكون الموقف والقرار** ، وإذا كان الخطر الإيراني مُحدقاً بالصورة التي ذكرناها ، ثم خطر تَطوّر الفدرالية الكردية إلى استقلال ، **فإن هدفاً مركزياً ينبغي أن نعتقده** يكون هو الأهم والأولى في هذه المرحلة ، **ويتمثل في ضرورة إعادة بناء الجيش العراقي على أسس حيادية** ، ووضع مهمة الحفاظ على وحدة العراق ومنع تقسميه غاية رئيسة له ، **ومثل هذا التكليف للجيش يعني ضرورة بنائه حسب الكفاءة الحِرَفية بعيداً عن الطائفية والقومية ، واختيار قياداته بمعيار الاحتراف المهني العسكري فقط ، مع توفر التدين والإيمان** ، ومنح عناصر الجيش القديم من أهل السُنة فرصة استلام مراكز قيادية فيه تمنع الانحياز وتضمن بُعده عن السياسات الحزبية ، ومثل هذا الهدف يوجب علينا أن نُثير قضيته بشكل أصولي مدروس لدى الإدارة الأميركية ، حتى لو كانت سلطة الاحتلال مستمرة ، ولا ننتظر الجلاء ، لأن المنطق السياسي والإداري يميل إلى تصويب مطالبنا ، **والعناصر اليهودية الصهيونية في الإدارة الأميركية هي التي ضغطت من أجل تدمير الجيش العراقي السابق رعايةً لإسرائيل ، وليس كل رجال الإدارة الأميركية ، ثم في نفس الوقت ينبغي أن نتوجه إلى المقاومة العراقية بخطاب واع يجعلها تُميّز المكاسب الإيجابية الكثيرة من وراء وجود مثل هذا الجيش الحيادي المحترف ، ومن ثم أن توافق المقاومة على انخراط المخلصين في هذا الجيش من الضباط والمراتب الأخرى ، وعدم التهديد بقتلهم أو الظن بأنهم خونة** ، وقد طال الجدل في ذلك ، وما كان ينبغي له أن يطول ، ولهذا كانت النتيجة بناء جيش منحاز ، وفرصة الاستدراك موجودة ، **وتحييد الشرطة له منطق مثيل** .

❖ وإعادة تكوين الجيش المحايد : أمنيةٌ ليس لها ضامن ، ونحن ندرك ذلك ، وليس في الأمر خيال ، ولكن تقديرنا يُشير إلى أن الآثار النفسية لمطالبنا الحقة في الحفاظ على وحدة العراق عبر جيش وحدوي محترف ستنقلب إلى إيجاد آثار إيجابية عديدة تنقلب إلى تيار سياسي يتخذ من المشاركة في عملية الانتخابات البرلمانية القادمة أواخر سنة ٢٠٠٥ الوسيلة لرفد وإسناد هذه الأمنية وتحقيقها في عالم الواقع ، وتحصيل إنجازات أخرى بموازاتها ، من مثل تحجيم الوجود الطائفي ، وإجلاء المُحتل والحفاظ على المصالح النفطية والاقتصادية ، واستتباب أمن الناس وإطلاق الحريات ، **وهذا النمط من التفكير المنهجي السياسي وانتظار تحوّل المطالب الواعية إلى تيارات سياسية ضاغطة هو الذي سوّغ للحزب الإسلامي العراقي التفكير الجريء بأن ينزل إلى الميدان السياسي في هذه المرحلة عبر دخول الانتخابات البرلمانية كأكبر كتلة منظمة في الوسط السُني العراقي** ، ولهذا يكون من اللائق أن نفتح باب دراسة هذه الخطة الانتخابية والتماس وجوه الإيجاب فيها ، لتنميتها ، ثم إدراك وجوه السلبيات ، لعلاجها ، وما هو أصعب من هذه الدراسات والتخطيطات : وضع المنطق الذي بموجبه نستطيع إقناع رجال الجهاد بصواب تفكيرنا السياسي هذا ، من أجل الوقوف معنا مُساندين ، أو تركنا نجتهد في تحصيل المصالح دون معارضة تؤدي إلى تحجيم فوزنا ، وصد بعض المناطق السُنية عن رغبتهم في التصويت يوم الانتخاب ، وكانت خطة الجهاد في إفشال الانتخابات السابقة لها ملابسات وظروف خاصة منحتها ما تحتاجه من تصويب ، وحين درس أهل السُنة آثار خطتهم التي انتهت إلى الانسحاب من الانتخابات : وجدوا أنفسهم أنهم كانوا قد أصابوا في ذلك ، وهم اليوم غير آسفين على غيابهم ، لأن غيابهم تولّد منه فراغ أقام أنواعاً عديدة من المعاني الاعتراضية على الانحياز الأميركي والإيراني للجهات الطائفية ، **ولكن الظروف الآن تتبدل** ، وسيكون البرلمان القادم طويل المُدة وقد تنسحب أميركا نهائياً ، مما يعني أن المعادلات السياسية ومن ثم الانتخابية قد تبدلت ونتج

ظرف جديد يوجب على الخط الجهـادي أن يُراعيـه وأن يـتفهم نوايـا وحاجـات الخط السياسي القائم بالتضييق على سمعة الاحـتلال وفـضحه وتجميـع الجهـود السلمية المحلية والعالمية لمعارضته وإجلائه ، مما يُتـيح لعقـول التخطـيط الجهـادي مراجعة النفس والميل إلى إنفاذ حقائق الواقع الجديـد وتبـديل الـسياسات وإبـداء مرونة كافية هي واجبة للتكيف مع معطيـات تطـور الحالـة الـسياسية العراقيـة ، ولعل البعض يظن أنه أمام خيارات ضيقة حادة ، وأن عليه أن يختار بين سياستين فقط : إما السياسة المبدئية التي تلتزم الثوابت الشرعية ، أو ما يظن أنه من ثوابـت القضية العراقيـة المـستنبطة مـن تـصنيف فرقـاء الـساحة إلى رافـض للاحـتلال ومتعاون ، ومنتم إلى مجموعة الدول العربية وأمنها الاسـتراتيجي بمقابـل شـعوبي يُنفّذ الطموحات الصفوية ، أو للجوء إلى خيـار عملـي يُراعـي المـصالح بتوسـع ويستجيب لضغوط الواقع على طريقة المفهوم الغربي في " البراغماتية " ، والدراسة الفاحصة للموقف لا تجعلنا نميل إلى إقرار هذا الافتراق القاسي بين الخيارين ، بل المزج بينهما وعلى درجات ربما يكون هو الأصوب ، **والأصـل هـو اللجـوء إلى تعفف وسمو واستعلاء ، وفقاً للطريقة الأخلاقية الدعويـة الـتي أنتجـت أبطـال المواقف الحاسمة ضـد الظلمـة والمـستعمرين ، والـتي صـارت سـيرهم أغنيـات وأناشيد على لسان جيل الدعاة الحاضر ، لكن فقه الضرورات واجتهادات سـد ذرائع المفاسد تميل بالسياسي المسلم العراقي نحو المرونة والاستثناء واللجـوء إلى إفتاء مازج بين العزيمة والرخصة يحاول المناورة أمام الهجمـة الطائفيـة بتخطـيط يكسب الوقت ويؤدي إلى تحييدها وتفويت الفرصة الكبرى التي أوصلتها الأيـام لها بعد دهر طويل من الإعداد البطيء ، ويكـون ذلـك علـى خلفيـة استنـتاج نحمله وقناعتنا به شديدة ، مفاده : أن الفرصة التي برزت للطـائفيين وأتـتهم في ثنايا ملابسات الاحتلال الأميركي للعراق إنما هي فرصة فريدة من نوعها لـيس من السهل أبداً ورودها مرة أخرى لهم ، وإذا تم الجلاء فإنهـا ستنـتهي وتجعـل الوجود السُني يُقابل الوجود الطائفي وجهاً لوجه وبأداء هـو أقـرب إلى التكـافؤ**

بعد أن يرحل العنصر الذي تسبب بالترجيح وأتى من وراء البحار ، وتتأكد هذه الفراسة أكثر بالدرس المستفاد من فوز الرئيس الإيراني أحمدي نجاد في الانتخابات الرئاسية الأخيرة ، فإنه وإن انتمى إلى الخط الخميني المتشدد إلا أنه يُعتبر من القيادات الوسيطة الثانوية التي لا تمتاز بنفس مهارة وصلابة قيادات الخط الأول ، والمصادفات وحدها هي التي جعلته يسحب البساط من تحت أقدام الثعلب الماهر والسياسي البارع رجل الأعمال القوي رفسنجاني ، لذلك يكون من المتوقع جداً أن يُبدي من الأداء الضعيف ما يجعل الخطة الصفوية ترتبك في العراق ، وما يجعل أميركا تزيد من ضغوطها على إيران ، وبخاصة أن الضغوط التي يوجهها الكونغرس ضد بوش لتجبره على الانسحاب تحمل في ثناياها أيضاً **بوادر التضييق على اللوبي الصهيوني الأميركي الذي بات من الواضح جداً لرجال الكونغرس أنه هو الذي أقحم أميركا في الغزوة العراقية الفاشلة ، وأنه هو الذي أغرى الإدارة الأميركية خلال سنتين بعد الحرب وسنة ثالثة قبل الحرب باحتضان ومساعدة المشروع الصفوي الشعوبي نظراً لما يُقدمه من إسناد لخطة الأمن الاستراتيجي الإسرائيلي** .

● إن هذه القناعات هي من الأهمية بمكان في توجيه القضية العراقية في مرحلتها هذه التي تسبق الجلاء ، **وإن رجال المقاومة العراقية الباسلة مطالبون بأن يطيلوا الإنصات لمثل هذا المنطق السياسي التحليلي ، وأن يتحولوا عن موطن الجمود والقرارات اليابسة الجامدة التي لا تراعي المتغيرات من حولها ، وإنهم قد أبدوا مهارة فائقة في الفن القتالي ، وأبدعوا في النكاية بالمارينز ، ومن اللائق أن يكشفوا عن إبداع آخر في التقدير السياسي** ، وأن يُدركوا أن الانتخابات القادمة هي المحور الذي تدور من حوله محاولات الانفلات من المكر الشعوبي ، وأن يجعلوا من المزاحمة السُنية داخل البرلمان وفي أروقة الوزارات وصفوف الجيش أساساً في تسريع جلاء الغازي ، والرد المنظم التخطيطي على التدخل الإقليمي ، ومد الأذرع التحالفية مع التشيع العروبي ومع التيار العلماني في الأرض

الشيعية ، ومع التيارات الكردية المتضايقة من وضع جميع البيض الكردي في السلة الأميركية على الطريقة الطالبانية المسعودية ، وقد أحرجتنا هذه الطريقة جداً ، لأنها ملحاحة في استثمار التسهيلات الأميركية لتمرير المعنى الأقصى للفدرالية الذي هو استقلال مُبّطن ، وفي ترداد معنى قدسية كركوك ، والجمهور السُني حساس جداً إزاء هذين المطلبين الكرديين ، ولذلك تكون المشاركة السُنية في الانتخابات بين نارين : نار الغضبة الكردية إذا لمس الأكراد مِنا فتوراً تجاه الفدرالية وكركوك ، ونار التشدد السُني الذي أجفلته السياسات الكردية المتصافحة المتصالحة مع الوجود الأميركي ، وليس بإمكاننا أن نحل هذه المعضلة إلا من خلال مزيد فهم يُبديه الأكراد للوضع الحرج الذي يعيشه أهل السُنة إزاء المشروع الصفوي ، ولكن من أين نأتي بهذا الفهم وقد استبدت المشاعر القومية الاستقلالية بالأكراد ؟ مع أن الفهم الواقعي لطبيعة المرحلة والمعادلات الإقليمية ينبغي أن يجعلهم يُعيدون الحسابات وأن يؤدوا دورهم السُني في الإسناد ضد المشروع الإيراني الالتفافي على قضيتهم ، والتقويم لنتائج تحالفهم مع قائمة الائتلاف تشير إلى حصول مثل هذا الالتفاف لو كانوا يعلمون ، وإذا زعموا أنهم شعروا بذلك وعلموا فإن الحال يقتضي منهم التحول إلى مطالب واقعية في هذه المرحلة تكون أكثر قبولاً لدى العرب السُنة ولدى الدول الإقليمية ، ونظن أن التيار الوسطي الكردي والتيار الإسلامي الكردي هما أوعى لمنطق الهبوط بسقف المطالبات الكردية إلى مستوى مقبول يمكن أن تتعامل معه الأطراف الأخرى ذات الحساسية المفرطة .

● وفي الظن الراجح أن تفعيل خطة " الواقعية الكردية " يمكن أن يكون في مرحلة ما بعد الانتخابات لا قبلها ، وذلك لأن فنون التعامل السياسي تميل بالأطراف السنية إلى النزول في قوائم انتخابية مستقلة ، ثم بعد قراءة خارطة الفوز لجميع القوائم تكون توجهات التحالف ، بمفهوم مرن ، لكنه يُراعي الثوابت ومصادر الخطر ، ويَنزل بالخطر العلماني أو بالخطر القومي إلى المرتبة

الثانية ، ويجعل الخطرين الأميركي والإيراني يحتلان المرتبة الأولى ، وهذا يعني أن الاستمرار أمر أصعب من مُجرّد الفوز وأن المهارة في اختيار الحليف هي المهارة العظمى ، بحيث نتملص من ابتزازِ موتورٍ أو ملحاح ، وخلال ذلك ينبغي أن ينزل الحزب الإسلامي بثقله الكامل في العملية الانتخابية ، والأمر يحتاج إلى تنسيق كامل بينه وبين التيارات السلفية والصوفية ، وفصائل أهل السنة كلها والتجمعات الوطنية والمواقف العشائرية المستمِدّة من معدن الأصالة ونقاء المحركات الدافعة لها التي لم تلوثها الأحابيل التي تُحاك في دهاليز السياسة ، والتي سيسندها أيضا الوعي التخطيطي والشوروي الذي بدأ ينمو بسرعة في أوساط جمعيات المجتمع المدني وجمهور المثقفين المساند لأعمالها بعدما اكتشفوا المخاطر الكامنة في سياسة الأحزاب الطائفية ومجازفاتها التي تجعل تقسيم العراق خطراً قريباً ، وإن أهم ما أدركه هذا الجمهور المثقف ومجموعة القيادات العشائرية ورجال التيارات الوسطية : أن المقاومة العراقية أصبحت حقيقة واقعة تتعامل معها الإدارة الأميركية ، وترغب أن تتفاوض معها ، بما كان لها من أثر ضاغط رضخت له مجبرة بصورة تسقط معها جميع أنواع المنطق القانوني والسياسي التي كمنت خلف خطط البرق في مقاومة المقاومة ، **وكتلة أهل السُنة اليوم تميز انكشاف ظهر الجيش الأميركي والتواء خاصرة الإدارة الأميركية وظهور الفرصة للاعتراف بالحملة الجهادية ، وفي ظرف كهذا : ربما يستحسن للحزب الإسلامي بصفته أكبر تجمع معلن في الأوساط السُنية : أن ينوب عنها بفتح قنوات اتصال صريح برجال السياسة الأميركية ومواطن صناعة القرار وبالخطوط الأوربية المهتمة بالشأن العراقي ، بعدما نجحت مساعيه في الأمر بالمعروف العراقي ، والنهى عن المنكر الأميركي البريطاني الإسرائيلي الإيراني ، وهو مطالب اليوم المضي في خطة التقدم بمطالب جريئة تسير بموازاة الجهاد ، وأن تظهر منه إشارات صريحة إلى الأنماط التخريبية للمشروع الشعوبي ، على طريقته في الجمع بين الانتصار لحقوق أهل السنة، وللمستضعفين عموماً ، وحفاظه على هويته**

العراقية العامة ، ويليق به أن يمضي قُدماً في فضح المنحى الموتور المستولي على التخطيط الأمني لحكومة الجعفري التائهة التي استثمرت سكوت الحكومات العربية الغافلة ، التي لم يعد ينفع معها إيقاظ ، واستمرت تُساير السياسة الأميركية طواعية .... أو كرها .

فلعل المجاهد الحر الأبي يضيفُ إلى بطولته القتاليةِ بطولةَ التماس الوعي التجريبي والفهم الواقعي وفهم ضرورة الممارسة السياسية ، وعدم احتكار الحق في القول والرؤية والاجتهاد ... لعل ...

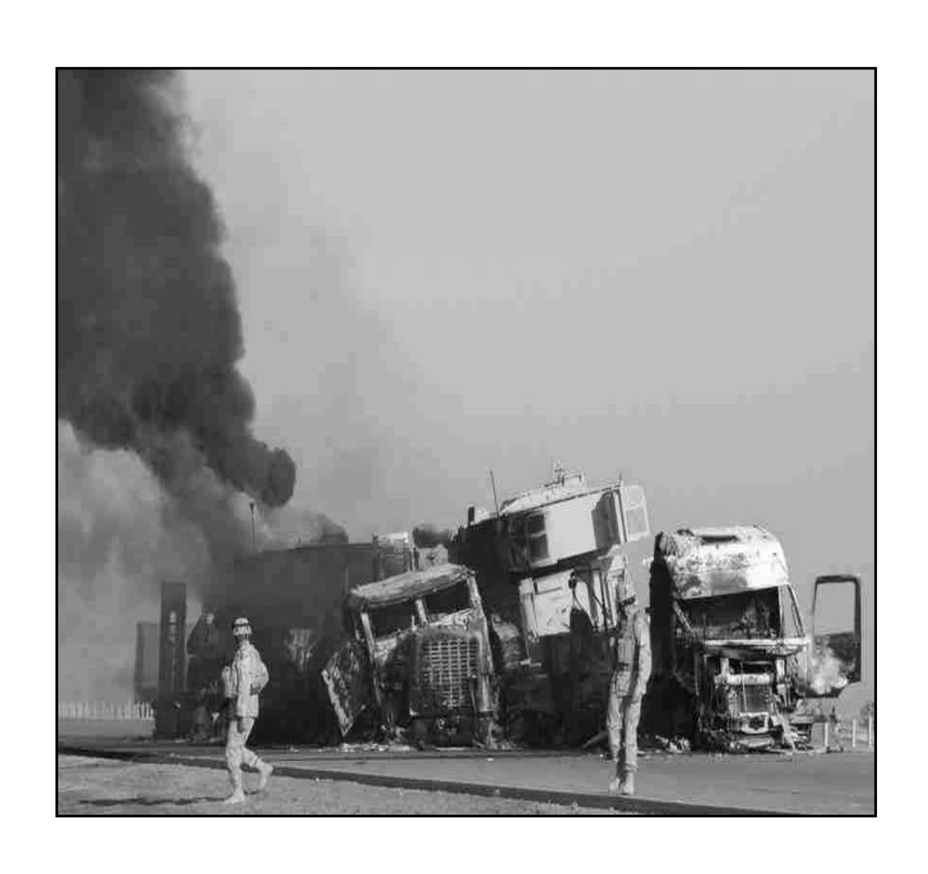
ولعلّ بطل الضغط السياسي يوقنُ بالمقابل أن وجود الذراع الجهادي القوي الضارب يجعلُ طريقهُ أصوب وأسرع ... لعل...

ولعل حقيقة التكامل بين الأداء الجهادي والأداء السياسي تكونُ هي الاكتشاف الفذ في خلال العام الثالث للاحتلال ...

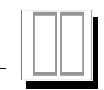
وتكون هي الشمس الساطعةُ في آفاق المؤمنين..

وفي كل من يستنير بشعاعها اللامع خيرٌ وبركة...

ودارُ الثقات .... رحبة ❖❖❖



عربات المؤن الأميركية تشتعل وسط الطرق السريعة بأيدي مجاهدي العراق



□□ يولع الذين يتداولون الفكر بمقارنات وترجيحات لو تأملها المتعمق الذي وصل إلى مرحلة متقدمة في تقويم الأفكار : لوجـد ضـعفاً في الأسـاس المنطقـي الذي تقوم عليه هذه الافتراضات بوجود تباين وفروق تـُسوغ تفـضيل أحـدهما على الآخر ، وذلك مثل قولهم : أيهما أهم وأجدى : العلم أم العمـل؟ ومـوطن العيب أن العلاقة يحكمها تكامل وليس التضاد .

وفي هذا السياق ترتفع أصوات هؤلاء النقاد بسؤال : أيهما نحتاج : العقل أم العاطفة ؟ وذلك تبسيط للقضية موغل في العفوية ، ويدل على خلل في الثقافـة الشمولية ، وعلى قلة البضاعة الفقهيـة والفكريـة ، ومبتـدأ تفنيـد هـذه المقارنـة الساذجة يكمن في فحوى المنّة الربانية العظيمة أنه خلق الإنسان كاملاً ، فقال عزَّ وجل : "لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم" ، ومن هذا التقويم الحَسَن : إيـداع العاطفة فيه بعد العقل ، وشحن النفس والروح بمنظومة كاملة من مـشاعر الثقـة والعزة والعفاف والشجاعة والطموح وإيجابيات أخـرى عديـدة ، **فكيـف يمكـن عزل هذه الذبذبات الوجدانية عن ومضات العقل في حركاته النابـضات ؟ هـذا أمر غير ممكن ، بل العاطفة هي المجال المحيط بالعقل إحاطة الهالة بالقمر ، تغريـه أن يشتغل ويتّقد ويُنتج ، ولا يستطيع عقلٌ أن يقترف عملية إبداعية من دون أن تحفّزه العواطف والأشواق والإثارة المعنوية ، فإذا نجح وأبدع : تستولي حالة فرح ونشوة على المبدع ، من خلالها يتأسس مَدَد جديد لمخزونه العاطفي ينميه ويثريه ويوسع حجمه ، فينعكس ثانية في صورة تحريك لإبداع آخر ، وتـستمر المتواليـة العقلية العاطفية على هذا النمط ، وتكون محركاً من محركات الحياة .**

والدعوة الإسـلامية إذا أرادت نجـاح أعمالهـا وجهـدها العــظيم المبـذول في الساحة : فإن عليها أن تكون واعية لهذه المعادلـة الحيويـة المهمـة ، ووعيهـا إنمـا ينعكس في عالم الواقع في صـورة تكــامل التخطـيط وشموليتـه وإثـراء مـوارده

النوعية ، بحيث تستطيع الخطة الإسلامية توظيف المعطيات المادية جنباً إلى جنب مع الحقائق العلمية ، في ظلال المعنويات والعواطف ، فالماديات مثلاً تكون في تكوين قاعدة صلبة من المؤمنين تحمل الهموم الدعوية ، وفي تكاثر في الأتباع والموالين يمنحونها يداً تنفيذية وفعلاً وقدرة تغييرية ، وفي مال وفير هو من لوازم استمرار القاعدة والأتباع معاً في رصد أنفسهم لعمل مشترك ، ثم في اختراعات تقصّر المسافات وتقلّص الجهد والزمن ، من سيارة وكومبيوتر ، والحقائق العلمية مثلاً تكون في صورة توظيف الابتكارات الإدارية ، فيكون هناك تنظيم دقيق وأداء مؤسسي تخصصي وتصورات للاستراتيجيات الإدارية ، وأما الظلال العاطفية فتضمنها منهجيات تربوية تستثير معاني القرآن والإيمان ، وتستعين بشعر الحماسة وحكمة المجربين ، ثم بمنهجية إبداعية تستفز ما هو كامن سابت وتدعه ينطلق نحو المغامرة واقتحام المجهول وتوليد القديم طارفاً جديداً ، **وكل ذلك يعني الجمع الناجح بين مقتضيات العقل والمنح العاطفية معاً في سياق واحد .**

وإنزال مثل هذه المقاييس الخططية ومعايير الأداء على القضية العراقية المعاصرة يكشف لنا أن " الممارسة الجهادية النبيلة " هي العنوان الأول والأهم في القضية ، لأن العراق يرزح تحت احتلال أميركي ، وتجرحه يد الشعوبية من خلال غزو إيراني ينسق مع المعتدي الأميركي ، وقاعدة الجمع بين العقل والعاطفة لتكوين مزيج جهادي رائقٍ صافٍ ينبغي أن تكون هي الأساس في الممارسة الجهادية العراقية ، وفي تقويم أدائها الحالي ونقد مسيرتها البطولية ، وما زال الوقت متاحاً لهذه العملية التقويمية النقدية ، لأن الجهاد العراقي مستمر ، وأوان الاستمرار هو الوقت الصحيح للاستفادة الفعلية من التجارب ورصد الإيجابيات لتنميتها ، وتعيين السلبيات لتجنّبها وقطع دابرها ، وذلك هو قول أكثم بن صيفي لبنيه :(**يا بَنِيّ : لا تتدبروا أعجاز أُمورٍ قد ولَّتْ صدورها**) ، وليس هذا نهياً عن التدبر بعد حدوث الحوادث لمعرفة ما فيها من عِبَر ، ولكنه

حثّ على طلب ما هو أضمن وأجدى ، وهو تدبر الأمور عند قدومها وأثناء استمرارها ، ليحذر شرها ، وليدرأ منها ما يضره ، **وتقويم التجربة العراقية ما زال مفيداً ، لأنها لم تتحول بعد إلى تاريخ ، وإنما هي مواقف نحياها .**

ولأن الله تعالى قد شرّف الدعوة الإسلامية على تنوّع تنظيماتها ومدارسها أن تكون هي رأس النفيضة في الجهاد العراقي ، وأن تكون هي كتلته الرئيسة الفاعلة : فإن " الفقه الشرعي " يكون هو المرجع في تمييز الأداء والمواقف والسياسات الجهادية ، والبحث الصريح يكشف عن أن الجهاد العراقي بخير من هذه الناحية ، وأن المجاهدين في حرص تام على احترام قول الشريعة وإرشادها وتقديم قول الفقهاء ، ولكن هذا الحرص لا يمنع تسرب مفاهيم خاطئة واستنتاجات مرجوحة ، بسبب ضعف البضاعة الأصولية ، لأن علم أصول الفقه علم فيه تقعيد ومنطق وأقيسة تعتمد على معرفة كم هائل من الفرعيات والأحكام الجزئية في أبواب الفقه كلها .

ثم الفقه الإسلامي حسّاس جداً ، ومن حساسيته أنه مأسور إلى " اللغة العربية "وهي لغة ثرية كثيرة المترادفات والفنون البلاغية والآفاق المجازية الرمزية ، وإذا كان المتفقه المجتهد المستنبط للأحكام غير متوسع في معرفة اللغة العربية وأساليبها فإنه سيشتط ويوغل في الإغراب ، وقد ينتج من الفهم الخاطئ والاستنباط التعسفي ضرر وأذى لعباد الله إذا كانت المسألة تتعلق بأموال وأعراض وأرواح ، فيهدر ما هو غالٍ ، ويُستباح ما هو حرام ، وهنا الإعضال والإشكال ، وهنا المصيبة ، وهيهات أن تعوض ذلك حسرة وندامة .

ومن أعظم القضايا الجهادية التي تحتاج فقهاً عميقاً ومعرفة باللغة وأساليب العرب في التعبير : قضية الدماء والهدم التي يلهج بها شباب أغرار يظنون أن الإسلام يأمر بالدماء والهدم والإكثار منهما في مرحلة العمل الجهادي قبل استتباب السلطة بأيادٍ إسلامية محضة ، وهذا الفهم يأخذونه مما جرى في بيعة العقبة مع الأنصار وقول أبي الهيثم بن التيهان رضي الله عنه للنبي ﷺ : (إن بيننا وبين

القوم حبالاً ، ونحن قاطعوها ، ونخشى إنِ الله أعزك وأظهرك أن ترجع إلى قومك! فتبسّم النبي ﷺ وقال : **بَلِ الدمُ الدم ، والهدم الهدم** : أُحارب مَن حاربتم ، وأُسالمُ من سالمتم) .

فتوهم المستعجلون الذين لا يفقهون مصادر اللغة العربية ومدارجها **أن تكرار كلمة الدم والهدم إنما هي لإرادة التوكيد والحث** ، بمعنى الترغيب في إكثار إراقة الدماء ، وأخذوا من ذلك نهجهم المعروف الآن بإرخاص الدماء والولع بها ، **وليس كذلك الأمر** ، فإن التكرار ليس توكيداً هنا ، **بل معناه** في لسان العرب : (**دمُكم دمي وهدمُكم هدمي** ، وأنتم تطلبون بدمي وأطلب بدمكم ، ودمي ودمكم شيء واحد) [1] .

وفي اللسان أيضاً عن الفراء اللغوي : (العرب تُدخل الألف واللام اللتين للتعريف على الاسم فتقومان مقام الإضافة ، كقول الله ﷻ : " فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى " أي : أن الجحيم مأواه) .

فما ثمّ إغراء بمزيد دماء ، ولكنه الفهم الناقص ، يصدم الحركة الإسلامية للحياة فتتناقص ، وتسكن ، بما يكون من منح المخابرات وأجهزة العدو الأمنية سبب تشنيع وتضييق ، بل **يجعل عامة الناس في جفلة من الجهاد ، لأن تسويق فتوى الدماء البريئة هذه لا يمكن أن يكون مباشرة ، وإنما يحتاج إلى خلفية أخرى من الإفتاء العقائدي تجنح نحو الحكم بالردة والكفر على المخالف في الرأي أو الذي يجتهد اجتهاداً مرناً وفق قواعد تعارض المصالح عندما يمارس السياسة ، وهذا هو الذي يحدث في العراق الآن ، فإن القضية العراقية معقدة غاية التعقيد ، بسبب الانقسام المذهبي والافتراق القومي** ، وبسبب ازدواجية الغزو وكونه أميركياً وفارسياً صفوياً في آن واحد ، ثم لوجود الجانب الفكري والتربوي في الصراع والتدافع وليس الجانب السياسي الاقتصادي فقط ، وكل هذا التداخل والتشابك يقع في ساحة واحدة ضيقة ، مما يجعل حرارة التحديات تميل بالشباب

---

(١) لسان العرب ١/ ١٠١٨ .

الذين لم يتعمقوا في معرفة الفقه الشرعي إلى **نمط من الفهم العاطفي لأهم قضايا الاجتهاد المعاصر ، وتضعف عندهم التحكيمات العقلية وتضطرب المنظومات المنطقية التي تضبط الاستنتاجات** ، وفي خِضم هذه الفوضى والالتباسات يدس الشيطان أنفه ، ويقذف في روع فتيان الفقه الجرأة والتكبر والاعتداد والغرور ، ويلهيهم عن مقتضيات التقوى والورع ، فيكون الغبش ، ويكون إرخاص الدماء والأعراض والأموال ، وتصدر أخطر الفتاوى المصيرية .

وكان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه بمنزلة الخبير بمعرفة الفتن ، ولذلك نجد عنده من وصفها ما لا نجد عند غيره من الصحابة ، وفي بعض أخباره ما ينطبق على واقعنا المعاصر ، وكأنه يعايشنا ويتحدث عن مأساتنا ويضع يده على الجرح ، ومن أبرع ذلك وأوضحه وأوعظه قوله لجندب بن عبد الله رضي الله عنه : **(كيف تصنع إذا أتاك من الناس مثلُ الوَتِد ، أو مثل الذُّؤنون ، يقول : اتَّبِعْني ، ولا أتبعك) .**

والذُّؤنون : نوع من الفِطْر البري الرخو الضخم كأنه سواعد الرجال ، لا طعم له ، أشبه بالهِلْيَون إلا أنه كبير ، تأكله الغنم ، ويأكله البدو عند المجاعة فقط ، وأكثره ماء . . كذا في معجم لسان العرب ، أي انه إسفنجي القوام .

وقال في اللسان : (**شبّهه به لصغره وحداثة سِنّه ، وهو يدعو المشايخ إلى اتّباعه** ، أي : ما تصنع إذا أتاك رجلٌ ضالّ ، وهو في نحافة جسمه كالوَتِد أو الذؤنون ، لكدّه نفسَه بالعبادة ، يخدعك بذلك ، ويستتبعك) [1] .

وهذه هي محنة العراق هذا اليوم ، وكانت وما تزال في الجزائر ، واليمن ، وكانت بمصر ثم اضمحلت : **يأتيك مراهق مغرور ، يُكفّر الناس ، ويزعم أنه أعلم من أحمد بن حنبل والشافعي ، ويقول : مَن ابن تيمية ؟ ويضع قاعدة في**

---

(١) لسان العرب ١/ ١٠٥٤ .

احتكار حق الاجتهاد وحق القرار السياسي ويقول : اتبعني ولا أتبعك !! وأنا القائد وأنت الجندي ، وأنا الفاهم وأنت الساذج ، وأنا المهتدي وأنت التائه ، وأنا المخلص وأنت النفعي !!

وهذا هو الفقه الإسفنجي الشبيه لهذا الفِطر الصحراوي الفارغ الخفيف ، وتعلم مدى المفارقة حين تتذكر قول الله تعالى : " إنا سَنُلقي عليك قولاً ثقيلاً " ، فتقارن بين ثقل الأحكام الشرعية ورخاوة فتوى الدماء ، فيتبين لك الحق وأهل الحق .

أما أهل الحق فديدنهم معروف ، وفهمهم سَويٌّ بحمد الله ، وهم يأتمون بما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**كل مسلمٍ عن مُسلم مُحْرِمٌ : أخَوانِ نَصيران**) .

قال الأزهري : (أراد أنه يَحْرُمُ على كل واحد منهما أن يؤذي صاحبه ، لحُرمة الإسلام المانعة من ظُلمه)[1] .

وسند هذا الحديث حسن ، ومعناه صحيح مؤيدٌ بأحاديث صحيحة كثيرة ، بل وبآي القرآن ، والذي نحتاجه منه أكثر : وصف المسلم أنه نصيرٌ يُنجد ويذود ويجيب النداء ويغيث ويُسرع النفرة إذا صرخ أخوه المسلم يَطلب العون منه ، فكلمة (**أخَوَان نَصيران**) شعار ديني وجهادي وسياسي واجتماعي جامع مانع ، وهو **شعار استراتيجي** ، وما هو بمرحلي تنقضي أوصافه ، وإنما هو دائم التجدد ، كثير الصُور ، ولا يَسع المسلم غير هذه النصرة ، **وخصوصاً في المرحلة الجهادية التي تقتضي الوحدة والتلاحم وحُسن الظن وجميل الدعاء ، والمجاهدون الفقهاء العقلاء سعداء ، ويحشرون تحت لواء هذه " الأخوّة المتناصرة "** .

لكن في الطرف المقابل : يحشر الواهم الذي يسترخص الدماء تحت لواء قائده الذي يفتيه فتوى الخطأ إذا قلّده تقليداً محضاً دون تمحيص ، ولم يسأل نفسه عن دلالة مخالفته إجماع فقهاء الأمة .

(١) لسان العرب ١/ ٦١٧ .

وفي لسان العرب : (في الحديث : يُحشر الناسُ يوم القيامة على ثُكَنهم ، فسّره ابن الأعرابي فقال : على راياتهم ومُجْتَمعِهم على **لواء صاحبهم** ، حكاه الهروي في الغريبين ، وقيل : على راياتهم في الخير والشر) .

وتلك نذارة لكل أحد من الناس ، فإنه غداً في محنة : أنه يُحشر مع الزعيم الذي يمنح له ولاءه ، وتحت لواء الخير أو لواء الشر ، فليختر كل أحدٍ زعيمه ولواءه وحزبه ، وهذا يعني أن السياسة جزء من دين الإنسان ، وأنه إن كان يصوم ويرتاد المسجد فإن صلاته لا تعفيه من حسابٍ ونقاش يوم القيامة عن سلوكه السياسي ، **والجهاد أيضاً : جزء من دين الرجل ، وهو مطالب بأن يُجاهد على ضوء الفقه وأحكام الحلال والحرام ، وليس أن يكون إمّعة : يُقال له : اقتل هذا المؤمن ، فيقتله دون نقاش وبحث عن الأسباب** ، وعما إذا كان مُرتداً حقاً أو كافراً ليحل له ذلك !!

والذي أعتقده ، والطريقة التي أفهم بها " **حركة الحياة** " : أن هذه الاختلاطات الفقهية والإغراب والشذوذ في الاجتهاد والعقيدة : كلها إنما هي فرع من الاختلاطات النفسية التي تستولي على بعض الناس ، **والانفتاح النفسي يُولّد الفقه الموزون والاجتهاد الصحيح** ، ويساعده في ذلك القلب الأبيض المليء بالأفراح وحُسن الظن ، الخالي من الحسد والثأريات ، **وعكسه : الانغلاق النفسي : يُنتج تتبّع شواذ مسائل الفقه وقسوة الإفتاء** وصرامة في تقدير الأمور ونفي الرخص والأعذار ، **ويعين على ذلك الحزن والإحباط والتشاؤم ، وعدم ممارسة النقد التحليلي ، بل الجزافي ، وضعف الـمُكنة المنطقية والقدرة العقلية ، والمجاهد العاقل السوي النفس الشفاف الروح يبتسم لما حوله من قرائن ودلائل فرح المخلوقات** ، فيرى منظر البرق مثلاً ، فيحيله إلى علاج نفسي ومصدر إمداد روحي من خلال منح هذا المنظر اللطيف بُعداً مجازياً رمزياً ، فيُسلي متاعبه بذلك ، ويتحول إلى حالة مرح وطموح ومجاراة لوميض البرق ، ويقول كما قال الشاعر ابن مفرغ :

الريـــحُ تـبـكــي شَـجْـوَهـــــا   والبـــرقُ يـضحـك في الغـمـامـة

فيدع الريح لعبوسها ولمقاتل بجنبه تعصف بروحه القسوة وطبائع الانتقام ، وأما هو فينطلق مع اللمعات .

وما هذا بسرد وصفي مجرّد ، **ولكنه ملحظ في سياق منهجية التربية الإسلامية الدعوية : أن يحرك المجاهد الواعي الفقيه مشاعر المجاهدين من حوله ، وينتشلهم من القلق وفتاوى الدماء إلى الثقة بالنفس وبالآخرين وإلى الاستبشار ورؤية جوانب الإيجاب ..**

فإن النصر يلوح في الأفق ، وذهب البكاء مع الريح □□□

□□ إذا كان هناك من العلوم ما ينعكس مباشرة على "**علم الممارسة السياسية والجهادية** " فإنه علم الذهَب والصيرفة ، فإن غلاء الذهب ونفاسته وآثاره الفاصلة الحاسمة : تجعل خطأ التقدير فيه جسيماً ضاراً ، والمتداول للتجارة فيه يكتسب حذراً مضاعفاً وحيطة تتنامى حتى تحتل من قلبه مكاناً ثابتاً تجعله يتصرف تلقائياً وفي اللاشعور تصرفاً سليماً في وزن الرجال ومعرفة المخلص منهم ومن في قلبه طمع وفي لسانه لحن يفضحه ، مثل نغمة رنين الدينار التي تبين نقاء المعدن أو اختلاطه ، وتتجمع إلقاءات نفسية وهواتف معنوية تمدّ الناقد بفراسة ذاتية وبديهة حاضرة سريعة الحكم ، ولمعة الذهب لا تقبل التقليد ، وثقله بين الأصابع التي تقلّبه مميَّز ، وتأتي رَنـّتُـه كشاهدٍ ثالث على شرف الأصل .

● وأهل العراق ، منذ القديم : لهم خبرة في الصيرفة اشتهرت حتى حَوت الكتبُ الثقال خَبَرَها ، وجعلوا لها تعابير لغوية تترجم فحواها ، وتداولوا اصطلاح " الشَّشْقَلَة " في ذلك .

ففي قاموس " لسان العرب " : (" الشَّشْقَلَة " : كلمة حِمْيَريّة لَهجَ بها صَيارفةُ أهل العراق في تعيير الدنانير ، يقولون : شَشْقلناها ، أي : عَيَّرْناها ، أي وَزَنَاها ديناراً ديناراً) [1]، وقد انقرضت هذه الكلمة الآن .

فكأنها كلمة وردت مع قبائل اليمن التي شاركت في فتح العراق ، **وهذا الوزن للنقود المتداولة : ديناراً ديناراً : أكسبهم مقدرة على معرفة أوزان الرجال ومعادنهم** ، وصيارفة أقطار أخرى يجمعون أيضاً مثل هذه الخبرة ، ولكن العراق كان عاصمة بلاد الإسلام كلها في الزمن العباسي ، ولقرون طويلة ، وكثافة التعامل التجاري في المركز تعدل باقي ما في الأطراف كلها ، ولذلك **رسخ فقه**

---

(١) لسان العرب ٢/ ٣١٢ .

الرجال وصار علماً عراقياً ، وتسمع فيه : قال أحمد بن حنبل : فلان ثقة ، وقال يحيى بن معين : فلان ضعيف ، واحتكر أضرابهم من نـُقّاد العراقيين ثلاثة أرباع علم التوثيق والجرح والتعديل ، واستمر متوالياً في الطبقات حتى وصل الجيل المعاصر ، فهم ثقات وأعرف بالثقات والضعفاء ، وتلك صنعة عراقية ظهرت براعة العراقيين فيها في عوالم الفكر والسياسة والجهاد ، ولا فخر ، وإنما هو التحدّث بالنعمة .

● **وثقات الرجال جبال ثقيلة أرساها الله تعالى بحكمته لتستقر بهم الحياة وتتوازن ولا تميل إذا زلزلتها أطماع ضعيف وتخبطات لئيم** ، ويحتل الثقات منازل العدول ، **من بين فيزياوي يمنح الأمة معادلة رقمية وسِـرّاً نووياً** يكون فيها عِزّها وحمايتها ، مثل العالم النووي الباكستاني عبد القدير خان ، **وآخر من أهل الفكر يمنح رأياً يتحول إلى موقف أو خُطة تقدم أو منهج تربية** .

وكانت الباكستان تخاف الهند أن تغدر بها في ظروف حيصة دولية عامة تتيح لها أن تكتسح وتذيق المسلمين طعماً مُرّاً من خلال عقدتها الثأرية ، مؤيَّدة بوزنها النووي الثقيل وتعاونها مع أميركا وإسرائيل ، فعمل عبد القدير خان بصمت واطَّلَع في هولندا على طرائق استخدام حقيقة الطرد المركزي عبر الدوران السريع لتنقية اليورانيوم واستخلاص ذراته المشعة ، وأعمل عقله وغاص عميقاً ، لتلتقي ومضات إبداعه مع إيماء من الصين عدوة الهند ، فتألف من اجتماعهما سر **القنبلة الذرية التي أنامت أهل باكستان على وسائد رخوة** من بعد عقود من النوم على وسائد الصخور والأشواك التي تطيل الأرق وتقلق القلوب ، كون السياسة الهندية مفتوحة على كل الاحتمالات .

● **وفي الركن الآخر رجال الفكر ، وبين سخونة حوارهم وحرارة الذرّة : يتجول رجال الدولة ، ورجال الاجتهاد الفقهي ، وأبـطال الجهاد ، وقادة السياسة ، وصاغة الأدب ، وأئمة الفن ، وحُفاظ المال ، وخبراء التنمية ، وإطار التكامل يحوطهم** .

● **إنما الفكر هو نقطة البداية ، ومركز الانطلاق ، وهو الذي يرسم لمجموعة الأحكام الشرعية والموازين الأصولية واليقينيات العقائدية سُبل وأوصاف إنزالها على الواقع وسيطرتها على جوانب الحياة ، بما في الفكر من رحابة المقارنة مع الأديان الأخرى ، ومع الفلسفات ، وتاريخ العالم ، وأرقام الإحصاء ، وحقائق النفس ، وسلوك الناس .**

● **ويرتقي وعي المسلمين للمكانة القيادية التي يملكها الفكر إلى الزمن القديم وأيام الصحابة** رضي الله عنهم ، ففي طريقة الصحابي الجليل الشهيد الشاعر عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في مهاجاة المشركين ، مثلاً ، موعظة عظيمة وإقرار أُسلوب فكري عقائدي أعمق تأثيراً من التصعيد الإعلامي .

قال ابن سيرين : (كان حسّان بن ثابت وكعب يعارضان المشركين بمثل قولهم ، بالوقائع والأيام والمآثر ، وكان عبد الله بن رواحة **يُعَيِّرُهم بالكفر** ، وينسبهم إليه ، فلما أسلموا وفقهوا : كان أشَدَّ عليهم)[٢] .. **وهذا فقه عظيم وإدراك واع لطبيعة المعركة الإسلامية ، فإنها معركة عقيدة ، ولذلك يكون القول الفكري أبعد في تحريك الحياة** ، لأن نتيجته - وإن كانت مؤجلة- ينتظرها المسلم سنوات ربما ، إلا أنها أنفذ وأعمق في قلب الكافر والواهم بعد أن يُسلم أو يتوب، فإنه سيفقه عيبَه ، فيكون أكثر نفوراً منه وأحسن إسلاماً وأسرع إلى استكمال نقصه ، **فطريقة ابن رواحة يمكن أن نُسميها أنها نقد إيجابي ، وطريقة حسّان أو كعب بن زهير في ذكر انتصارات المسلمين يمكن أن نُسميها حملة إعلامية ، تُولّد أحوالاً نفسية جيدة من الاعتزاز وشعور التفوق ، لكن النقد آكد منها وأدوم ، ولذلك فإن الخطة الإسلامية في تحريك معطيات الحياة لصالح المؤمنين مدعوة لأن تستوعب مثل هذا الدرس الخفي البارع وتميل بمفاخراتها وإعلامها إلى فكر وعقيدة ونقد موضوعي** ، ومن واجب التربية الدعوية أن تتولى

(٢) سِيَر أعلام النبلاء ١/ ٢٣٥ الطبعة المحققة التي نشرتها مؤسسة الرسالة .

جانب تأسيس الصبر في نفوس الدعاة لتأجيل جني ثمرات هذا الأُسلوب مدة ، لا فوراً .

● **والدعاة المخضرمون الذين شاهدوا التحولات والتقلبات الاجتماعية والسياسية والحزبية ، وعاصروا نشوء الأجيال المتعاقبة : أخوف ما يُخوفهم أن تزاحم مفرداتُ التفاصيل الحيوية الكثيرة وصغائرُها مكانةَ الفكر ، فتقصيه أو تقلّصه ، فتقل رقابته الصارمة على المواقف الدعوية وعلى النقد الدعوي لمواقف الحكومات والأحزاب والنتاج الأدبي العام والممارسات الإعلامية** ، ففي العراق ينشغل الدعاة بدقائق التحول السياسي الناشئ من حالة الاحتلال ، والتنافس القومي المذهبي ، وفي السودان تستفز الدعاة تدخلات أميركا وإسرائيل في الجنوب ودارفور وتجعلهم في حالة إنذار دائم ، وفي الخليج تجابه الدعاة متاهة الناس تحت ضربات الترف وضراوة سباق جمع المال والتكاثر الدنيوي وغفلة الملأ وجفلتهم من ناصح يأمر بالمعروف ، وفي بلاد أخرى تستهلك طاقات الدعاة الحملات الانتخابية والممارسات البرلمانية في الإطار الديمقراطي المتاح ، **وتستولي على هؤلاء الدعاة المخضرمين أنواع من القلق في أن يتوسع التأول والترخّص والتميع من خلال هذا الازدحام وإلحاح التعجّل ، ويكون الفكر منسيّاً ، ورقابته ضعيفة ، وينشأ فقه يتحرر من موازين تصنيف المصالح الشرعية وتمييزها عن المصالح الموهومة .**

● **والقضية لا تحكمها نصوص فـقـهية فقط ، وإنما تضبطها أحوال نفسية أيضاً ، ووضوح العقيدة وعمق الإيمان واستشعار الرقابة الربانية** : كل ذلك من العوامل المؤثرة في الفهم المصلحي ومدى مرونة الاجتهاد ، فاستقرار النفس مطلب ، وقلة الوعي سبب للقلق يمنع هذا الاستقرار ، وعدم وضوح الرأي يُتلف النفس ويزعجها ، ولذلك يكون وضع أسس التحليل وفهم الواقع ومسالك الحركة الحيوية : مدخل رئيس لاستواء النفس واعتدالها ، وذلك هو الذي رجاه الشاعر من زوجه فاطمة حين قال :

فاطِمَ : رُدّي لي شَذَاً من نفسي ... وما صَريمُ الأمرِ مثلُ اللبسِ

والشذا هنا بمعنى بقية القوة والشدة [٣]... فهو يطلبُ منها أن تعينه ليتخذ موقفاً صارماً فيصلاً يُريحه، فإن الالتباس والغموض والحيرات بدّدت قُوى نفسه.

وهذا بيان لأهمية الفكر ، وأنه يربي النفس أيضاً ويمدها بالقوة والعزم والقدرة على إبداء الموقف الصارم ، وليس الفكر مجرد آراء تقود صاحبها إلى خُطة وسلوك وقرار سياسي أو حربي أو اجتماعي ، وإنما الفكر تربية كذلك ، يصوغ النفس ويُعيد تشكيلها ، وبذلك يتبين الارتباط المؤكد بين الوضع النفسي والعمل العقلي ، وتتضح صلة التكامل بينهما ، و "مستقبل الدعوة " يحتاج إلى ضمان ذاتي من الدعاة أنفسهم قبل أن يكون منحة من حاكم وخصم ومنافس ومحتل مستعمر ، وهذا الضمان الذاتي إنما تؤكده وتتيحه منهجية فكرية صارمة ، مدارسة فقه السلف هو ركنها الأول الأهم ، ويجدّده إبداع ، وإذعان جمهور الدعاة لفتوى المشايخ منهم ولقادة الفكر الإسلامي المقارَن النقدي التجريبي هو ركنها الثاني ، وكل ممارسة سياسية لا تضبطها مشاورة مع نفر من أهل الاجتهاد فإنها على مشارف الخطر .

● والشاهدُ على صواب هذا المذهب في فهم مكانة الفكر وأولويته وتقدمه على الممارسة المجردة : صنيع إمام الساسة الدعاة ، وأجزل سياسي مسلم ناجح ظهر على مدى التاريخ ، **الوزير الفقيه المجاهد المؤمن الإمام نظام الملك الحسن بن علي الطوسي** وزير الملك ألب أرسلان السلجوقي ، وهو غير الطوسي الخائن وزير هولاكو الذي كان بعده بدهر ، فمن أعجب الأمور في الفهم الصائب لمكانة الفكر واستيعاب ظواهر وقوانين حركة الحياة : **الخطة الواعية التي أبداها** وابتكرها هذا النبيل العالم أيام حكمه ، فإنه (كان **يولي الحنفية القضاء ، ويولي**

---

(٣) لسان العرب ٢/ ٢٨٧ .

الشافعية المدارس ، ويقصد بذلك أن يتوفر الشافعية على الاشتغال بالفقه ، فكثر الفقهاء منهم ، ويشتغل القضاة بالقضاء ، فيقل اشتغالهم بالفقه ويتعطلون) (٤).

وهذا فهم ثاقب وفكرة إبداعية يليق لمنهجية التربية الدعوية المعاصرة أن تتأسى بها وتقتدي بفحواها ، فإن الفكر وترجمته الفقهية في المحيط الإسلامي هو أقوى المحركات الحيوية ، ومنه تنطلق وسائل التأثير ، والفكر قائد ، والسلطة تابعة ، ولذلك يجدر بالخطة الدعوية أن تنتبه لإنماء موارد الفكر والفقه والأدب والتاريخ والثقافة الشمولية في المحيط الدعوي ، لأن الآثار المتفرعة عن ذلك ستكون عظيمة ، وأما الوظائف وتقلُّدها فلا يكون الاستطراد في قبولها ، بل التميـيز ، والحرص على الوظيفة ذات الأثر السياسي والمدلول التربوي ، والإقلال من الوظائف الخدمية وحصرها بالمقدار الذي يُديم الصلة الدعوية بعامة الناس ، ورصد الطاقات المتبقية لجهاد وتجارة وفقه هو بؤرة الفكر النقدي ، **فإن الفكر الذي ستملكه الكتلة الدعوية سيكون هو أقوى المحركات** في حياة المنافسة والصراع ، ومنه يتفجر الأدب العاطفي المؤجج للقلوب ، وبه يتطور الإعلام الإيماني الهادف الذي هو نصف السياسة .

● وإذا صدق هذا الموقف تجاه الوظائف ، فإنه يصدق إزاء فروع وتفاصيل خططية كثيرة ، هي صائبة مفيدة ، لكنها مرجوحة ، والغرام بيوميات السياسة والمنافسة الحزبية يجب أن يمر بغربال تجارب هذا الوزير الفطن ، لتتميز درجات ومراتب الأهمية لكل فعل دعوي ، ولنعرف الراجح والمرجوح ، والخطأ والصائب والأصوب منه ، وسيكتشف الذي له حضور في مجالس الفقه مهما كان طفيفاً **أن نظرية الطوسي صحيحة ، وإنما أتاها عن وعي ، وعرف ما يفعل ، والدعوة الإسلامية المعاصرة مرشحة لأن تتبنى نظريته الإبداعية ، فترجح الفكر وتمنحه الأولوية ، وتتيح نشوء المفكرين في كل جيل من أجيال الدعاة ، واللواذ**

---

(٤) تاريخ حلب لابن العديم ، لكن نقلناه من إضافات د . سهيل زكار على كتاب الحشيشية / ٣٩١ .

بالمخضرم منهم ، ودراسة ما عنده من عطاء ونقد ، لعل وعسى المواقف تكون أكثر وضوحاً وأقرب إلى مفاد الفقه الشرعي ونظرات الفكر المقارن .

● **وهذه الخطة الإبداعية** ، التي هي خلاف ما يتبادر إلى ذهن أصحاب الفهم المادي لمعنى المصالح ، بما فيها من ترجيح المدارس على الوظائف : **ما كان نظام الملك ليهتدي إليها لولا أن هداه الله ببركة الجهاد** الذي كان عليه ، عقيدة وتصديقاً للشرع وممارسة وإعمالاً للموازين الشرعية الصحيحة في قياس المصالح والعواقب والنتائج ، وكأن القَدَر يربطه بجهاد المرحلة المعاصرة في العراق ، فإنه كان وزيراً ببغداد أيضاً ، وذاد عن دار الخلافة ، وبقايا أنفاسه الجهادية الطاهرة يستشعرها المجاهد العراقي اليوم كلما مرّ ببقايا المدرسة النظامية بسوق الخفافين خلف المستنصرية ، فيقتفي آثاره ، كما استشعر الطوسي نفسه في عصره الأوسط أنفاس المجاهدين من الصحابة والسلف الصالح وصار همزة وصل في السند الجهادي المبارك .

● وكأن الطوسي كان يرى اختلاف الناس في الرأي ، وأنه من اختلاف المنهج في فهم المواقف وأسباب النصر أو التراجع ، **فهناك صواب ، ثم أصوب منه** ، وصدق في التحليل العام ، ثم أصدق منه : إنزال على الواقع الخاص .

ومن ذلك صواب أبي عبيدة بن الجراح الذي فاق صواب عمر بن الخطاب ، رضي الله عنهما ، وذلك لما حُصر جيش المسلمين في الشام بقيادة أبي عبيدة ، فوعظه عمر في رسالة وذكر له من آيات الصبر ، فأجـابه أبو عبيدة بآية الحديد : (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ..) ... (فخرج عمر بكتابه ، فقرأه على المنبر ، فقال : يا أهل المدينة : إنما يُعرّضُ بكم أبو عبيدة أو بي : إرغبوا في الجهاد) [٥].

---

(٥) سير أعلام النبلاء ١/ ١٦ .

فمنهج ابن الجراح : أن الأزمة تـُعالج بتعميم النفرة الجهادية ، وزيادة عدد المجاهدين ، وتضييق التأول الذي يقعد بالمؤمنين ظناً منهم أن الأعمال الإيمانية الأخرى توازي الجهاد .

وقضية العراق ، بعد قضية فلسطين : من هذا الصنف الذي تليق له تحليلات أبي عبيدة ، وعلاجهما بتكثيف المشاركة الجهادية ، وتكون السياسة خادمة للقتال بمقدار مناسب ، وليست مواعظ الصبر هي الحل ، وإنما هي تربية تكميلية ، وأكمل أبو عبيدة ذلك بزهد ، وحين زاره عمر في بيته بالشام لم يجد غير سيفه وترسه ، فبكى عمر ، وقالوا : كان أبو عبيدة رأس الإسلام يوم وقعة اليرموك .

● فمن هذه القصص : سَمَتْ أشواق الجهاد عند فقهاء الأمة في عصرها الأول والأوسط ، ومن مثل هذا المعين الصافي ينبغي أن تنهل التربية الإسلامية في المرحلة الراهنة ، **وعلى كتلة الجهاد العراقي أن تعلم وتميّز جيداً أن جهادها لما نجح بحمد الله وحصل إثخان في العدو أربك خططه التي جاء من أجلها وأصبح الضغط عليه مضاعفاً : فإن " التكتيك " الذي ينقذه من الورطة التي هو فيها : أن يجر رجال الجهاد إلى العملية السلمية ويغريهم بإلقاء السلاح قبل تحقق الجلاء .**

والمفاوضات ، أو التعامل السياسي مع مبادرات الوسطاء من الدول العربية وغيرها ، ودخول المكاتب السياسية للمنظمات الجهادية في العملية السياسية الأميركية كطرف فاعل وشريك في المعادلة العراقية التي ترث السيطرة الاستعمارية : كل ذلك **جائزٌ شرعاً وحلال وممكن عقلاً وعُرفاً ، ولكن ذلك لا يُجيز إلقاء السلاح اعتماداً على مجرد وعود أميركية ، وإنما يُفترض أن يتصاعد الضغط الجهادي القتالي خلال المفاوضات والمشاركات السياسية ، الانتخابية وغيرها ، ولا يكون إلقاء السلاح إلا بعد اتفاق موقع مكفول دولياً ولدى الأمم المتحدة وفي العلن التام** ، ولأن تقدير هذه المواقف تختلف فيه الآراء ؛ والأفهام ؛ والاجتهادات ؛ والأذواق ، وأن إغراء طرف جهادي بالسلم دون الأطراف

الأخرى أمر محتمل ، لتباين الوعي : **فإن الشرع والأدب الإيماني : منعا انفراد ثلة جهادية بقرار السلم دون البقية** ، وحصل سد لأبواب الاحتمالات السلبية وإمكان حصول التغرير ، **فاشترطا أن يكون قرار السلم جماعياً لا يحق لفصيل أو** فرد أن يُسارع إليه ، وفي اشتراط الإجماع احتياط ، وذمة المؤمنين واحدة ، **وكل المنظمات يجب أن تجمع على رأي واحد وقرار واحد** ، وذلك مأخوذ من كتاب النبي ﷺ للعهد الذي بين المهاجرين والأنصار ، وكان من نصوصه :

(" **وإن سِلْمَ المؤمنين واحد ، لا يُسالِم مؤمن دون مؤمن** " ، أي لا يُصالح واحدٌ دون أصحابه ، وإنما يقع الصلح بينهم وبين عدوهم باجتماع مَلَئِهم على ذلك)[٦].

● **وإمام المسلمين الحاكم : هو الذي يعقد الصلح والهدنة بعد استيفاء سُنّة التشاور ، ولكن لأن الإمام بالوصف الشرعي غير موجود ، والحكم علماني** ، والحكومة تحت السيطرة الاستعمارية : **فإن هذا الحق ينتقل إلى مجلس التنسيق بين فصائل المجاهدين ، بحيث يَلزم إجماعُهم ليكون قرار السلم موافقاً للشرع ، وأجود من ذلك أن يرتضي المجاهدون قائداً عاماً للجهاد ، ويبايعونه ، وعندئذ يتحول معنى الإجماع الصعب إلى قرار بأغلبية أعضاء القيادة التي تعاون القائد بعد استيفاء الشورى** ، وذلك هو العاصم من الفلتات والمخادعات ، **والقضايا تقترب من أيام الحاجة إلى قرار حاسم** ، وفي هذا الترتيب المقترح وقاية من الشذوذ والخلاف ، **وهو الوصية التي يتقدم بها الفكر الإسلامي والفقه الشرعي والنظر المصلحي لكل ممارسة جهادية أينما كانت وفي أي زمن مورست ، ويد الله مع الجماعة ، ومع الإمارة والبيعات الرضائية** ...

والشروط أبرد للقلوب ، وأضمن ، والله الناصر ❏❏❏

---

(٦) لسان العرب ٢/ ١٩٢ .



مُلصق يُعبر عن شجاعة المقاوم العراقي تجاه جنود الاحتلال

□□ مجاراة الاسترسال الفطري في يوميات حياة العامة من الناس : نافذة رائقة تـُطلع المؤمن على أنواع من الحكمة تتضمنها ، وعلى فوائد ، وفنون تجريبـية ، وتقرير صادق عن سلاسة السلوك وبراءة التوجّه إذا اعتدلت النفس ولزمت البساطة ، وقد تكون ثـَمَّ تصرفات صغيرة عفوية ، لكنها تدل على معانٍ كبيرة ، **ففي بغداد القديمة والمعاصرة : يُفضّل الناس جني البقول صباحاً غدوةً وشراءها من السوق وهي ريّانة ، وفي القديم كان الباعة يَصيحون** " شَرْق الغداة طري يا باقلاء " **، واستدللت على أنها نداء باعة سوق بغداد من أن اللغوي ابن الأنباري هو راويها** [1] **، والشَرْق : القطع والالتقاط ، وما زال هذا التعبير يستعمل نادراً في لغة أهل بغداد ، ويقولون في التحدي : " كأنك شرّقتها " ، تقال لمن يزعم فعل أمر عظيم وحاله لا يدل على مثل ذلك .**

● هذه الصيحة بسيطة ، لكنها لمن نـزل إلى مستوى معيشة الفقراء : تـُمثل شعاراً ومنهج تربية شعبية تجعل القناعة والفرح بالرزق اليسير ميثاقاً أخلاقياً عرفياً يمنح الفقيرَ الانتساب إلى نادي الأحرار ، **أهل الاستعلاء على الترف ، وعلى ضرائب الترف الأخلاقية ، من الدعة واللين وقبول المساومة وفتور النـزعة الجهادية .**

لذلك كان من سلوك الإمام المبجل أحمد بن حنبل -رحمه الله- : أن يذهب مذهب فقراء بغداد ، **فيـُرسل ولده برغيف خبز كل صباح إلى عجوز في طرف زقاقهم تنقعه له في قدر الباقلاء المسلوقة وتضع في ماعونه بعض حبّات منها فوق ثريده ، فيأكلها قانعاً حامداً شاكراً ، تماماً كالذي أدركناه الآن بعد قرون .**

---

(١) لسان العرب ٢/ ٣٠٤ .

وهذا النمط المعاشي عند إمام العراق الذي ثبت ضد الانحراف هو الذي أعانه على قيادة جيل الثبات من النبلاء الأحرار الذي أمدّ طبقات فقهاء الحنابلة في الآفاق بميزة العفاف وحياة الجد وصلابة المواقف ، وإنما تنطلق التربية الإسلامية الدعوية المعاصرة اليوم من مثل هذه المنهجية في مخالفة العامة والفقراء ، **ومن أكل الباقلاء والكباب والرشاد ، والحلاوة بالخبز الحار ، ويحسبها مَن لم يُجرب : هي سمات هيّنة ، وهي في الميزان الشعوري النفسي التربوي شيءٌ عظيم ، يعيد صياغة القلوب ، ويُدرّب على الاعتداد والتحدي ، فيكون الإبداع ، وما كان عنوان قصة فيلم عادل إمام " إرهاب وكباب " مجرد مصادفة ، وإنما هي إيقاع وإملاء خفي غير مباشر يُبشر بتربية مطاعم الوجبات السريعة "ماكدونالدز " و "كنتاكي " لجيل البلاد الإسلامية على أذواق جديدة تؤدي إلى عقيدة مادية جديدة وميوعة واستسلام .**

● **وجذر ذلك وأصله : تربية ورثها التابعون عن جيل الصحابة ، ثم ما زالت عند كل جيل ، وكان أبو دُجانة سِماك بن خَرَشَة ﷺ يرتجز يوم معركة أُحد ، وتُحركه أشواق الحرية ، وقد (خرج بسيفه مُصلتاً وهو يتبختر) ويقول :**

إنّي امرؤٌ عاهدني خليلي أن لا أُقيمَ الدهرَ في الكُبُولِ[2]

فهو يرفض أن يبقى مُكبّلاً ، وقد انتفض وحمل سيف الجهاد ، وتلك هي " الحرية " في أصدق ترجماتها ، **يراها في الإسلام وعقيدة التوحيد ، وفي الجهاد ، ويرى الكفر قيوداً ، والقعود عن النفرة خنوعاً ، وخليله هو النبي ﷺ ، ودعاة العصور من بعده يعاهدون قادة الدعوة ، والعلماء ورثة الأنبياء ،** والخطة الدعوية المعاصرة تتوجس خيفة من أن الغزو الحربي الأميركي توازيه حملة تطبيع وتغريب وإعادة صياغة نفسية تريد إشاعة النموذج الأخلاقي التربوي المادي الأميركي ، ومبتدأ الحماية وضمان الاحتياط : أن يكون إحياء منهج أحمد بن حنبل وأمثاله في الطعام والحياة الشعبية ، فإنه يقود إلى الصفاء العقائدي ، ثم الصفاء يربي على منهج المفاصلة والجهاد .

---

(٢) سير أعلام النبلاء ١/ ٢٤٥ .

◻ الذهول عن الشرع : سبب الصَرْع

● وحالنا الحاضر يحتاج إلى مزيد تمييز وانتباه وعمق وعيٍ ، لأن السطوة الاستعمارية تستعين بخونة من أبناء جلدتنا تمت تربيتهم منذ عقود ليقوموا بمهمة إسناد الغزو في مثل هذه المرحلة ، وهؤلاء هم الأقل ضرراً ، لأن عمالتهم مفضوحة ، فيسهل علينا اجتنابهم ومقاومتهم ، وإنما الصعوبة في رهط آخر يمتهن السياسة من منطلقات دنيوية ومصلحية وليس من منطلق الإيمان ، وقد ابتليت بمثلهم الأمة الإسلامية منذ القديم ، حتى أن الأديب ابن عبد ربّه الأندلسي يذكر وجودهم في الممارسة السياسية الأندلسية ، وكأنهم من جملة أسباب الاضمحلال والضياع السالف هناك ، وأحدهم في تصوير هذا الراصد لتقلبات الصعود والنزول :

تراءت له الدنيا بزِبْرِجِ عيشِها
وقادت له الأطماع غيرَ مُقوَّدِ
فأسْمَنَ كَشحَيه وأهزلَ دِينَه
ولم يرتقِبْ في اليوم عاقبة الغدِ
فيوماً تراه تحت سوطٍ مُجَرَّداً
ويوماً تراه فوقَ سَرْجٍ مُنَضَّدِ(٣)

والكَشح : ما بين الخاصرة والضلوع .

فتقلبات السياسة وموازين القوة المتغيرة ربما تجعله سجيناً يُعذَّب عرياناً ، ثم يحمله انقلاب مُدبَّر مع سفارة إلى كرسي الحكم ، فيستعرض الجيش على فرس شهباء وسرج فخم ، وينقاد له كل صعب ما كان ينقاد له بالخيار ، وبينما هو يختال : تأته رصاصة اغتيال ، أو آخر تحمله دبابات غازية غربية ، فيطيش ، ويُملى له ، فيتورط في تعذيب الناس أضعاف ما كان تعرّض له هو ورجال

(٣) العِقد الفريد ٣/ ١٥٢ طبعة العلمية .

حزبه ، فينفضح ، فيسقط ، ويأتي آخر على شاكلته ، وتبقى الدوامة ، والشعب ضحية ، ما دام هذا الشعب لم تنضجه تربية سياسية إيمانية على مقتضى قواعد الشرع واستلهام فقه وتجارب الخلافة الراشدة .

والداعية المؤمن تملك قلبه رِقّة تجعله يُشفق على مثل هذا الشعب الواهم ، لأنه شعب صالح لكنه ضحية تربية عوجاء وإعلام مُخادع ، وبخاصة في مثل هذا اليوم الذي تقعد له فيه مائة فضائية علمانية وفاسدة مُفسدة تريد محاصرته وإنهاكه روحياً ونفسياً ، أما سلوك الدعاة إزاء العُتاة : فالقسوة أصل ، والكره في الله قاعدة من قواعد الإيمان ومن علامات صحته ، ويليق للداعية أن يُبغض أئمة الفساد ، **على طريقة عمر بن الخطاب ﷺ لما قال :**

(اللهم ارزقني الغِلظة والشدة على أعدائك ، وأهل الدَّعارة والنفاق) (٤) .

والدعارة : الفساد والفسق والفجور ، ويُقال : رجل داعر : خبيث مفسد .. وأردأ الدعارة اليوم : التعاون مع المستعمر الكافر سياسياً وإعلامياً وثقافياً وتربوياً ، وإنفاذ خططه في تغيير المناهج ، أو سلب ثروات الأمة ، أو التطبيع مع إسرائيل ، وأشد من كل ذلك : المقاتلة معه والتعهد بمحاربة الجهاد نيابة عنه ، مهما انتسب المتحالف الوكيل عن المستعمر إلى صلاة وصيام .

□ مكانة الاجتهاد والتأويل في ظل التكتيك

ولأن ذبذبات البث الفكري والإعلامي قد كثرت ، وسبّبت الاختلاط والغموض والفوضى ، فإن المُجاهد قد تَسمو نواياه وهمته ، لكنه يكون أسير غَبش في الرؤية السياسية ومعايير وشروط وزن الرجال ، **ولمثل هذا قال التابعي مُجاهد بن جبر :** (أفضل العبادة : الرأي الحسن) (٥) **، وهو الرأي الاجتهادي يعني ، الذي فيه تعليل وتحليل واستنباط وتأويل بالمعروف والحسنى ، وبما يوافق علم الأصول وقواعد الفقه وشروط الإفتاء ،** وآية ذلك : ارتياد المصالح ،

---

(٤) لسان العرب ١/ ٩٨٢ .

(٥) البداية والنهاية ٩/ ٢٣٤ .

وتقدير الضرورات ، ومراعاة النسبية ، والتنـزيل على الواقع المتغير بدقـّة ومرونة ، ومثل هذا " الرأي الحسن " هو أهم أركان معادلات القضية العراقية المعاصرة ، وهو الذي تستطيع الكتلة الدعوية المخضرمة التي طال تجريبها أن تهديه إلى جمهرة الصـاعدين ، وبه يكون نـيل الحرية بإذن الله ، وحَلّ عقدة التكبيل ، وبدونه نخشى أن نعيشَ دهرا في الحرج .

وأول ذلك : الانتساب الدعوي الصريح **على سنن الانتظام والتشاور والتربية والعمل المنهجي والالتزام الخططي والنقد الفكري ، في ظلال الأدب الأُخوي ، والصفاء العقائدي ، والزهد في الرئاسة .**

والحازم : عزومٌ على الأمر الذي هو فاعله .

وإذا كان فتى ذاق الحكمة فـنـادى في القديم : إني الأغرّ ، وإني زهرة اليَمنِ[٦] ، فإن فتى الصحوة الإسلامية المعاصرة **وقد حاز مع الحكمة الفكر والفقه والوعي وهمة الجهاد يؤذن له أن ينتفض وينادي** : إني الأغر ، وإني فارسُ العَلَنِ .

ولسنا نجد للمتراخي في الإعلان عن هويته الدعوية أحسن من القياس على أمر العاشق الذي يخاف أن يطلع الناس على قصة حُبّه فيتحفظ ويحذر بإسراف ، وهو الذي يقول فيه الشاعر :

إنـي لأُنكِرُ عــاشــقاً مُتَــحفّظاً ... لم تــتّــهِــمــه أعـينٌ وقــلـوبُ

فهو عاشق ، لكنه يستحي من الناس ، والولهان لا يكتم ، بل يبوح ويتغنى ويتغزل ، حتى تراه الأعين وتحسده قلوب محرومة ، وكذلك ينبغي أن يكون الداعية عاشق الدعوة ، ويلزمه أن يلهج بمحاسن الفكر الدعوي ، ويفخر بمناقب الدعوة ، ويُعلن انتسابه الدعوي بصراحة **ما لم يوجب الحذر ظرف أمني ، وعليه أن يصاول ويحاور ويحاضر ، حتى تميّزه العيون وتغار منه قلوب العاجزين ، وحياة الفكر والجهاد والسياسة كلها مبادأة ومناوشة وتحديات ، ولا ينجح فيها**

---

(٦) شطر من شواهد ابن جني في الخصائص ٢/ ٤٦١ .

مَن يكسل ويمنعه الحياء ويتهادى في مشيه ، بل الداعية مُغامرٌ طَموحٌ جَسُورٌ ، وكيانُـه : لَهَبٌ يَمور ، وكذلك القيادات الجهادية العراقية اليوم : يترجح إعلانها عن نفسها واختفاؤها ، لئلا يستـثمر نتائج ضرباتها دخيل .

▫ المخضرم ... بِفُود المُضَرَّم

● ونفس هذا الميزان يحكم الأداء الدعوي السياسي ، فإن القضية الدعوية تحتاج ضغطاً وإلحاحاً .

وفي أمثال العرب :

(زاحم بِعَوْدٍ ، أو دَعْ).. (أي زاحم بـقـوة أو فاترك ذلك) [٧] .

وعندي أن المثل يشير إلى العودة وتكرار المحاولة وكثرة الطَرْق ، لأن الساحة مليئة بالمتنافسين ، وكلٌ يريد الأمر له محضاً ، بلا شريك يأخذ نصيباً ، ومن شأن مثل هذه المزاحمة أنها تحتاج المواصلة واستمرار الضغط والتـعبية وعدم الاستسلام لأول فشل وصعوبة تـُعيق ، بل المعاودة ، كمثل نملة صعدت صخرة بحبّة فسقطت منها قبل أن تُدخلها بيتها فتعود ولا تيأس ، وهذا هو الذي عرفناه من شأننا الدعوي في عَرَصة التزاحم ، وانظر إلى دأب جيل الدعاة القدماء ، كانوا شباباً يتربون ويُربّون وينشرون الوعي ، وأتت محن أذهلتهم ونقضت نتاجهم ، فما لانوا ، بل حاولوا ثانية ، وثالثة ، وهم اليوم بيض الرؤوس واللحى ، لكنهم يعملون العمل الذي كان منهم قبل نصف قرن ، ولأنهم أدركوا نجاحهم في تكوين البيئة الإسلامية النقية ، وفي تـكـثير عدد المصلين الوعاة ، وليست الحاجة إلا إلى تربية صف يقود ويستثمر المعطيات المتراكمة ، واتضح عَبْر عملهم الاستـئـنافي الدائر أن المزاحمة بقوة هي أصل الممارسة الدعوية .

● وفي قول العجاج الراجز يصف الداعية الممارس :

---

(٧) الخصائص لابن جني ٣/ ١٦٩ .

بكُل أخـلاق الرجـــالِ قد مَهَرْ

ثبتٌ ، إذا ما صِيحَ بالقوم : وَقَرْ

فهو قد جمع كل محاسن المتميزين ، من كرم وشجاعة وحكمة ونجدة وحلم ، وعند الزلزلة يكون رابط الجأش ويعلوه الوقار ، فهو رزن متزن ثقيل ليس بالخفيف الذي تتقلب به رياح الحوادث والمحن وتزويرات الديمقراطية المزعومة .

وما كان الشعراء يقولون مثل هذه الأبيات بطراً ، ولكنهم أصحاب مراقبة للحياة وتحليل للمجتمعات ، وهم يرون كيف ينتصب كل مبدع مُعَلّماً يربي الناس ، فالفقيه يشرح القرآن ، والزاهد يصف القلوب والأرواح ، والشاعر يكتشف أوصاف رجال الميدان فيُخبِر ويدعو لاقتداء ، والداعية من بعد هؤلاء الثلاثة يجمع ويقايس ويشتق ويتأول ، فيلتقط من أبناء جيله كل ذكي الفؤاد ، ويكون وسيطاً بين الفقهاء والزهاد والشعراء وبين الصاعدين الجدد ، يوسعهم حثّاً ، ليتصل بهم إسناد الخير القديم ، ويدفعهم إلى مكافحة الفساد والغزو الشعوبي ، وإلى مقاومة المستعمر .

◻ خُطة النار ... نحفظ الدينار

● (وروي عن عمر ﷺ أنه قال : " حَجّةٌ ها هنا ، ثُـمّ احْدِج ها هنا حتى تفنى " ، يعني إلى الغزو . . قال : الحَدْجُ : شَدّ الأحمال وتوسيقها ، قـال الأزهري : معنى قول عمر ﷺ : ثُـمّ احْدِج ها هنا : أي شُدّ الحداجة ، وهو القتب بأداته على البعير للغزو ، والمعنـى : حُجّ حَجّة واحدة ، ثم أقْبِل على الجهاد إلى أن تَهْرَم أو تموت)[٨] .

وهذا الإرشاد العمري يُرجح صحة الإفتاء الدعوي المعاصر بالإقلال من الحج ورصد الأوقات والأموال للجهاد بمعناه الموسع **الذي تدخل فيه أعمال السياسة والإغاثة والإعلام والتربية ومجمل التأثير الفكري وما يستلزمه من عقد**

(٨) لسان العرب ١/ ٥٨٣ .

مؤتمر ؛ وطبع كتاب ؛ وإقامة معرض ؛ واستعانة بفن وعلم ؛ ثم على رأس ذلك : أعمال الجهاد والتبرك بقصص أبطال الجهاد العراقي الميامين ، مع حفظ النية الزكية ، وقلة التطلع للصدارة ، والرضا القلبي بتقديم ذي الكفاية الجامع للأوصاف التوثيقية ، والحذر من الوقوع بمثل ما أحاط بالجهاد الأفغاني من نزاع قيادي ذهب بالبركة وأغرى الضعفاء أن يتسلقوا ، ومبتدأ الوقاية من ذلك أن نعلم أن الزعامة صنعة لا تكفيها الشجاعة ، بل يلزمها أيضاً علم شرعي وعقل كبير وتجربة طويلة .

● لكن الأمر يحتاج إشاعة وعي شامل ، ينبغي أن تتكفل به خطة دعوية ، ويحتاج مع الجهاد : نوعاً آخر من النهي عن المنكر ، **لأن خطة العدو واسعة ، ورأينا كيف تمر خطته بعد الغزو الحربي بممرّات التربية والثقافة ، ثم هي اليوم لها مرور عبر الاقتصاد ،** ويريدون سرقة أموال أُمة الإسلام ، وقد توغلوا في ذلك لولا وقفة قيادات الحركة الإسلامية وفتيان الصحوة وجميع المخلصين ضد " التطبيع " .

وكان التاجر بالأمس يتوكل على الله ، ويبتغي المال الطاهر والكسب العفيف ، ثم فتح " التطبيع " عينه على مورد مشبوه يمر بالتعامل مع شركات " يهود " ، وأصبح رجل الأعمال المتملص يتقمص شخصية الشاعر الأعشى حين قال :

وقد طُفتُ للمال آفاقَهُ عُمانَ ، فحِمْصَ ، فأُوري شِلِمْ

التي هي القدس بالعِبرية ، وبتعبيرهم الآخر(أورشليم) ، ولئن طافها الأعشى طوافاً فردياً : فاليوم تطاف جماعياً ، ولئن طافها رومانية ، وفي الأمر تأول ، فإنها تقصد الآن إذ هي يهودية ، وبئس ذلك ، وهذه الخطة الاقتصادية الإسرائيلية لا تقل خطورة عن عدوانها الحربي ، ولها أخت قادمة عما قريب ، تتكفل بها تركيا

لتحويل مياه الفرات ودجلة إلى إسرائيل لإنقاذها من عطشها ، وفي ذلك دليل على سعة معركتنا ، وأنها ليست موقتة ، ولا تنـتهي بانسحاب الجيش الأميركي وتوكيل غيره ، بل يلزمنا عمل دائم ، ضمانةُ نجاحه : أن يلتزم المواصفات الدعوية ، ومعالم ذلك : متانة الانتظام ، وعمق التربية الإيمانية ، والممارسة السياسية الواعية ، والدقة المنهجية التي تـترجمـها منظومة خـطط متكاملة في كل شؤون الحياة ❑❑❑



فرح عراقي بهزيمة المحتل .. عربة همر تحترق وسط إحدى المدن العراقية

□□ ذا هجم البرد القارص : جلس الناس حول حَطَب ولهبٍ يسمرون ، وتطول مجالسهم إلى نصف الليل ، وحلول الشتاء على أهل العراق يجيز لأهل الفكر إطالة سمرهم السياسي مع أنصار الجهاد ، والمأمول أن يصبر القراء معنا ، ففي كتابات الوعي الجهادي تسقط الموازين الإعلامية التي توصي بالرفق بالقارئ ، والاختصار ، لأننا في مهمة توعية وتدريب وتربية لمجموعة دعاة الإسلام ، وللنخبة الخاصة ، ولسنا في عمل إعلامي ، ثم أن سلسلة الرسائل الجهادية تحرص على **أن تكون كل رسالة منها تقريراً ميدانياً ووثيقة وتدويناً تاريخياً لمرحلة حاسمة** في تاريخ أمة الإسلام ، وليس تشكيلاً مختصراً يرضي الأذواق المستعجلة .

● وكان " الحاج أحمد أغا "حاكم بغداد في الزمن العثماني قبل أقل من قرنين يحكم بقسوة ، ولكن بإنصاف ، وكأنه يتخذ له من شعار " **المستبد العادل** " طريقة ، ولا يكتفي بمعالجة أمر السياسة والحرب ، وإنما ينزل إلى الأسواق يفتش ويحتسب وينهى عن المنكر والغش ، كأنه رئيس دائرة الشؤون البلدية أو عميد جمعية حماية المستهلك ، وهو جد الوجيه كامل حسن بك في الأعظمية ، الذي هو والد المهندس المعماري إحسان كامل رئيس مهندسي السكك قبل نصف قرن ، والطبيب شبلي كامل حسن ، أحد مشاهير أطباء الأعظمية ، وعيادته في المحلة الشعبية المعروفة بشارع سِعْده ، وكانت للوالي أحمد أغا طرائف ، منها أنه فتّش سوق السمك ، فأخذ يشمّ كل سمكة من ذيلها لا من رأسها ، إن كانت طرية أم تالفة ؟ فقيل له : أنظر خياشيمها ! فقال :(من المؤكد أن الرؤوس جائفة ، وذلك أمر مفروغ منه ، ونتقبله ونعفو عنه ، لكني أريد التعرف على فساد هذا السمك : هل وصل إلى ذيوله ؟) .

● وتلك حكمة سياسية واجتماعية أطلقها الأغا الذكي ما زالت تصلح شعاراً لعمليات النقد والتقويم لما في الساحة ، ساحة العراق وخارج العراق ، فإن الرؤوس قد تعفنت ، وإنما **السؤال المطروح : هل نيأس ، أم هناك أملُ إصلاحٍ لذيول المجتمع** ، واستدراكٍ على الفساد ، وتكليف الجيل الناهض بالترميم واستئناف تنمية جديدة ؟

● والنزعات الشخصية العجولة تسرع إلى جواب سلبي ربما ، يغذيه الإحباط ، ولكن **جواب فقه الدعوة إيجابي دوماً ، يتحدى اليأس ، ويميل إلى التحدي ، ويسوق نحو الطموح ، ويثق بالجيل الجهادي ، الذي يجاهد بالحُجة الإيمانية سياسياً ، ويجاهد بآلات العزة قتالياً ، ويجعل الفساد الموجود عامل تحريك وإثارة ، فإن الأمر إذا ضاق: نطقت بشائر السعة ونادت الهمام أن يرفع الراية .**

● مع أن الطريق الإصلاحي صعب مرهق ، وإذ نكتب هذه السطور ينطق المحلل الإعلامي لحوادث تفجيرات الأردن يوم الخميس ١٠ - ١١- ٢٠٠٥ ليلاً ويرجح تصدير العنف من ساحة العراق ، وأن العراق استقطب أهل العنف وأتوه من خارجه ، ثم صار مدرسة ، وهو الآن يقوم بالتصدير !! طيب : إن كان كذلك الأمر فأين خطة الرئيس بوش وما زعمه من أن الجيش الأمريكي يذهب إلى العراق ليكون العراق إناء عسل يأتي إليه الذباب من أرجاء العالم ليقتله ويخلص الإنسانية من الإرهاب ؟ **حوادث الأردن تعني أن خطة بوش فاشلة ، وأن الفلسفة التي أقام عليها خطة غزوه للعراق كانت واهية وذات تقديرات خاطئة وافتراضات خيالية وهمية مجانية** ، وبدلاً من أن يعترف بذلك وينسحب فإنه تمادى ، رغم أن شعبيته تدنت إلى ٣٥٪ هذه الأيام ، وهي أدنى شعبية لرئيس أميركي ، ويكمن في ثنايا أوهام العسل والذباب درس مهم مفاده : **أن صناع القرار الأميركي وأصحاب الدراسات الإستراتيجية يسري عليهم ما يسري على البشر من خطأ في التقدير والحساب والافتراض ، وأنهم إلى الغباء أقرب ، وأن الهالة التي تحيط بهم وبمعاهدهم إنما هي مجرد دعاية إعلامية جوفاء لا تسندها**

حقيقة ، وأن السياسي المسلم المنطلق من التراث التجريبي الدعوي أمهر وأوعى منهم في التخطيط وعند المفاوضة والمناظرة ، وإنما يتغلب الأميركان على حاكم مثل صدام لا يشاور وتحيط به خطاياه فتحرمه التوفيق الرباني قبل أن تخذله أخطاء التخطيط .

● وأظهر دليل على خطأ خطط الحكومات في مقاومة ما يسمونه بالإرهاب : ما حدث في نفس ساعة تفجيرات الأردن من المصادقة في المغرب على حكم إعدام اثنين من شباب التكفير وتصريحات وزير الداخلية الأردني أنه سيحاكم المخربين ، **وهذه ردود فعل لا تجدي ، لأنها لا تعترف بسبب حقيقي يكمن وراء التفجيرات يتمثل في الفساد الإداري السياسي العام ووجود طبقة عريضة من النفعيين والخونة يستند إليها كل حاكم ، ولحاجته إلى مساندتها يتيح لها احتكار المصالح ، ونهب المال العام والخاص وإفساد الموظفين والقضاة بالرشوة ، وتمرير رغبات المستعمرين واليهود ، وكل أنواع السوء** ، وطالما منح الحاكم الحرية لهذه الطبقة وحجبها عن الشعب والأحزاب ورجال الدعوة وشباب الصحوة الإسلامية : فإن المعضلة ستبقى مهما فتح من سجون ونصب من مشانق ، والظاهرة المصرية ناطقة ، وهي شاهد على هذا التوقع ، فإن تفجيرات الأردن حدثت وصناديق الاقتراع في الانتخابات المصرية كانت ما تزال مفتوحة للمصوتين ، وقد مورست جميع أنواع التزوير في هذه الانتخابات ، بداية من وضع إمكانات الدولة كلها في خدمة مرشحي الحزب الحاكم ، وإضافة الألوف إلى جداول الناخبين في كل دائرة انتخابية ممن لا وجود لهم في نفس الدائرة ، وشراء الصوت من المواطن المسحوق المستضعف بثمانمائة جنيه ، واستعمال الأشقياء في الاعتداء على مؤيدي الإخوان المسلمين والمعارضة ، وفنون كثيرة من فنون السوء ، مما يعني الإصرار الحكومي على القبح والقباحة ، وتعمّد إيجاد أسباب للتوتر وردود الفعل التي تتطور ربما عند شاب مستعجل إلى عنف ودماء وتكفير .

● **ونفس هذا المسلسل البغيض يجري في تونس** ، حتى صار دخول المصلي إلى المسجد يلزمه استصدار هوية خاصة يمررها بآلة الكترونية في باب المسجد عند كل دخلة عند كل أذان كآلات تسجيل حضور الموظفين للدوام ، وأن يدقق الإمام هويات المصلين عند انتظام صف الصلاة قبل أن يكبر تكبيرة الاحترام ، والحاكم يدعي وجود عنف ، وهو يغذيه ، فتأمل !!

● **والصورة في موريتانيا وخبر الظلم والفساد فيها صورة مشابهة لما في مصر ، وكذا ما في اليمن ، وليبيا ، وبعض الخليج ، وباكستان ، وتركيا ، والأفغان ، وجمهوريات آسيا** الوسطى ، والقاسم المشترك بين دول العالم الإسلامي الآن أنها **دول مخابراتية تعطي فرصة لعصابات الفساد الإداري من أجل خنق الصوت الإسلامي والعمل المعارض** ، حتى كردستان العراق التي تحبو نحو الاستقلال وتتمناه سريعاً : من المفترض أن تحبب الأحزاب الكردية نفسها للأكراد ببذل الحرية ، لكنها آخر من يفكر بذلك ، ويحكم الطالباني والبرزاني بقبضة حديدية مخابراتية لا ترحم ، والعنف الحكومي قائم ، وجيش البيش مركه سيف مسلط على الأكراد ، **والمشروع القومي الكردي يُفرض فرضاً على كل كردي من دون رحمة بمعترض** .

● **وإذا كان هذا الوصف صحيحاً في بلاد الرفاهية : فإنه أكثر صحة في أرض الآلام ، أرض العراق ، ففي عهد رئيس الوزراء** ورئيس حزب الدعوة : إبراهيم الجعفري : **تبذل الحكومة وأجهزتها الأمنية ، بالتعاون مع الجيش الأميركي وإيران ، جهوداً جبارة لتطويق الجهاد الذي تسميه العنف والإرهاب ، لأنها تبدأ من نقطة الخطأ المتمثلة بالاعتقال والتعسف في التفتيش ، وبروح طائفية هدفها محو أهل السنة وتضييق فرصتهم الحيوية ، وتنـتهي إلى نقطة الاغتيال والقتل البشع بعد التعذيب** وإلقاء عشرات الجثث كل أسبوع في البراري وحواف المدن وجوانب الشرع ، وبين ذلك اعتداء على الأموال والأعراض والمساجد ، وتضييق في الخدمات ، وتجسس على أهل السُنة ، وافتراء إعلامي عليهم وعلى

رجالهم في القناة الفضائية الرسمية ، وتزوير الاستفتاء ، وتشكيل طائفي لهيئة الإشراف على الانتخابات ، ونقل للمراكز الانتخابية بعيداً عن مساكن أهل السُنة مع منع استخدام السيارات ، وغير ذلك من التصرفات التي تسبب ردود الفعل وإصرار الأحرار على طلب الحرية ، ثم يزعم الجعفري أنه يحارب الإرهاب ، وهو ينسج على منوال الآخرين ، وما من عتب عليه ، فإنه يخدم قضيته وعقيدته ويعرف ما يريد ، ولكن العتب على رجال كانوا يجالسونه في بريطانيا أيام المعارضة العراقية ورأوه مكافئاً لعملية تغيير في العراق ولم يكتشفوا سلبياته .

● **فهل من عجب أن يزهد الدعاة بمؤتمر المصالحة الذي ترعاه جامعة الدول العربية المؤلفة** من مثل هذه الحكومات الكاذبة على نفسها ؟ وهل يستطع عمرو موسى أن يأتي بما لم تأته الأوائل ؟ والراجح أن هذا الرجل صادق مع نفسه ويتمنى الخير ، لكنه مغلوب على أمره ويطبق **خطة أميركية أوعزوا بها إلى حسني مبارك والحكام العرب : أن يسندوا الحكومة العميلة في العراق من خلال فتح السفارات وإضفاء صفة الشرعية عليها ، وتبادل المعلومات الأمنية ، وضخ الأموال ، والتعتيم الإعلامي العربي على جرائمها** ، وليس في خطة الجامعة العربية غير ذلك .

ومن المؤشرات القوية على ذلك : أن السياسي المعروف "سولانا " أمين الاتحاد الأوربي حين زار العراق : مرّ بالحزب الإسلامي العراقي ودعاه إلى حضور مؤتمر بروكسل وإلقاء كلمة نيابة عن أهل السُنة في العراق ، فأوفد الحزب أحد قادته ، وقبيل إلقاء الكلمة تدخّل وزير الخارجية السعودي بشدة ، ومنعه من التحدث باسم أهل السُنة ، واعتـبر ذلك طائفية سُنية ، إذ الأرض أُتخمت بالطائفية المقابلة ، وإذ أهل السُنة يتعرضون لاغتيالات وسجون وقصف جوي ومدفعي وإبادة منظمة !!

ونفس هذه النغمة كان يتغنى بها ساسة الكويت من آل الصباح حين استنجد بهم داعية إسلامي عراقي ، حتى حصل الذي يحصل اليوم من شيعة الكويت ضدهم ، والتحدي ، والغمز .

● ويليق أن نتوقف قليلاً عند درس الكويت هذا ، لما فيه من فوائد وتوعية ، ولما فيه من برهان على تخبط الحكومات في سياساتها ، **والذي يحدث اليوم من تمرد شيعة الكويت على آل الصباح إنما هو عقاب قَدَري ، جزاءً وفاقا ، وله جذر قديم** يعود إلى العشرينات من القرن العشرين ، واتضح في الثلاثينات ، وذلك أن الحركة الوطنية الاستقلالية قد نمت في الكويت نتيجة لانعكاسات الثورات التحررية في العالم الإسلامي كله بعد النكسات السياسية التي تلت انتصارات الحلفاء في الحرب العالمية الأولى ، ومن مظاهر ذلك في الكويت تجاوب من شباب ورجال العوائل الكويتية الأصيلة مع حماسة الملك غازي بن فيصل ضد الوجود والنفوذ البريطاني في العراق والكويت وعموم الخليج ، وتعاطفه مع الحركة التحررية التي كان يقودها صلاح الدين الصباغ وبقية العقداء الأربعة في الجيش العراقي ، حتى انتهى الأمر بالملك إلى إنشائه إذاعة خاصة شديدة النبرة ضد الاستعمار ويتحدث فيها بنفسه أحيانا ، فوجدت محاولته صدى عميقاً في الكويت ، وتصاعدت لدى ستين عائلة تجارية أصيلة من أقحاح العرب مشاعر التحرر وألفوا مجلساً نيابياً من دون انتخاب وتحدياً لآل الصباح ، ولكن بتعاون مع أحدهم ، **فأفزع ذلك الانكليز ، وتعاونوا مع الأمير لكبح جماح هذا التيار الصاعد** ، وحصلت مقابلة في السوق بين عبيد آل الصباح وأنصار المجلس ذهب ضحيتها رجل من آل المنيّس قتيلاً ، وسجن آخرون من شباب جميع تلك العوائل ، **وكان الشيعة الذي أغلبهم من أصول إيرانية قد وجدوا في حركة المجلس هذه مصدر خطر عليهم ، فبالغوا في إسناد الحكومة ضدها** ، ومن يومها تطورت إرهاصات التعاون في سنوات العشرينات إلى "حلف مقدس" بين آل الصباح والشيعة في أواسط الثلاثينات أيام حركة المجلس والعواطف المستوردة من

عراق الملك غازي ، **وبموجب استحقاقات هذا الحلف وتداعياته : بالغ آل الصباح في منح الشيعة والفُرس أوسع الامتيازات التجارية ، وصاروا وكلاء في استثمار أموال آل الصباح ، ومكّنوهم في الوظائف ، وبقي التعاون في تصاعد حتى أيام الاستقلال في بداية عقد الستينات ، حيث توسع الجهاز الحكومي ، فصاروا أصحاب نفوذ حقيقي في وزارة الداخلية وسلك الشرطة بخاصة ، وفي الجيش ، ووزارتي الإعلام والتربية ، وضربت الحكومة المعارضةَ بالشيعة ، وحين ثار الخميني : أذنت الحكومة لكبير التجار الشيعة من الفرس المسمى " قَبازَرْد " أن يسند الخميني بما يقرب من عشرين مليون دولار** ، ومع ذلك لم تشفع لها هذه المعونة ، وبدأ الشيعة يتنكرون لآل الصباح بسبب انعكاسات الانتصار الثوري الإيراني ، فاضطر آل الصباح لإسناد صدام ، فرد حزب الدعوة العراقي على ذلك بمحاولة اغتيال أمير الكويت ومهاجمة موكبه ، وكانت عملية متقنة التخطيط وكاد الأمير أن يصاب ، ولكن تحرش صدام بالكويت واحتلاله لها أعاد حلف آل الصباح مع الشيعة ، وفتحت صفحة تعاون مع إيران ، ولاستيلاء هوس إزالة صدام بأي ثمن على **آل الصباح : أغدقوا الأموال الجسيمة على شيعة العراق** ، وأعادوا تمكين شيعة الكويت ، وكان محمد باقر الحكيم يزور الكويت كثيراً ويرجع كل مرة بخمسين مليون دولار وأكثر ، ويقال أنه كان يهددهم ولا يجامل ولا يتملق ، بل يتحدى ويرفع صوته على الأمير ، والأمير يستجيب ، حتى إذا ما زال صدام بذلت الكويت الكثير لتمكين الوجود الشيعي في العراق ، بوصية من أميركا هذه المرة ، حتى إذا وصلوا إلى الحكم وصدر الدستور وتم تضمين المشروع الشيعي فيه : أحس الشيعة بالاستغناء عن آل الصباح ، **وبدأوا المناطحة الآن والهجوم على آل الصباح** ، ليستبين درسٌ ناطق بالعظات والعبر لكل حكومة عربية تتجاهل مفاد التاريخ وتفضل مصالحها الخاصة الذاتية في استمرار حكمها ونفوذها على المصالح العليا الكبرى للأُمة ، ثم لا يتوبون ولا هم يستغفرون .

● وهذا الدرس الكويتي البليغ متصل بدروس الحاضر في دول عربية أخرى لا ترغب أن تسمع منا تحذيراتنا من هجمة شعوبية عليها ، يحملها في ثناياه **المشروع الإيراني في العراق** ، فالسذاجة تبلغ ببعض الساسة العرب إلى الحد الذي لا يستطيعون معه تمييز النبرة الصفوية والفعل الفارسي الملحق بالاحتلال الأميركي ، والذي كان تحطيم تمثال أبي جعفر المنصور ببغداد مجرد اللوحة العاطفية فيه ، بما تحمل من كره له لأنه هو الذي قتلَ أبا مسلم الخراساني وحطّم مشروعه الشعوبي الكاره للعرب وتغدى به قبل أن يتعشى الخراساني به ، **وكانت تلك مجرد حلقة في سلسلة طويلة بدأت بكورش الإخميني قبل الإسلام يوم ساءه فعل نبوخذ نصر ملك بابل في تحطيم إسرائيل القديمة وسبي اليهود** ، فزحف كورش على بابل وخربها سنة ٥٧٩ قبل الميلاد ، وحرّر اليهود ، بعدما مات ذو الكـفـل من أنبيائهم ودفن على الفرات ، ومات العزير ودفن على دجلة ، ومات دانيال ودفن في كركوك ، وأعاد بناء هيكل سليمان ، وتلك **لوحة تاريخية نابضة بكبار المعاني عن الحلف الفارسي الإسرائيلي الذي تجدد أيام الحرب العراقية الإيرانية حين كانت أميركا تسند صدام لوجستياً وإسرائيل تسند إيران لوجستياً ، وتمر اللوحة بالغزو الصفوي للعراق** والحلف الفارسي الإيطالي الجنوي لإشغال الجيوش العثمانية عن غرامها بفتح روما بعدما التذت بفتح القسطنطينية ، وأصبحت تتطلع لتحقيق النبوءة الثانية لمحمد ﷺ بفتح روما ، ثم يأتي رجال الدولة في كل قطر عربي وهم لا يدرون خبر التاريخ ويتغنون بنفي الطائفية السُنية ، ويأتي رجال الدولة التركية المعاصرة وهم لا يدرون خبر تاريخهم العثمانيّ المشرّف ، وأفواههم فاغرة إزاء الزحف الإيراني على العراق ، ويتخذون لهم محمد المولى مستشاراً لشؤون العراق ، لمجرد أنه تركماني ، وهو شيعي ، ولا يدرون أنه كان أول قائد حربي لفيلق بدر حين تأسيسه في إيران ، ويتوكل هذا الفيلق اليوم عن المخابرات الإيرانية في تنفيذ مخططها في العراق ، وقومنا لا يعلمون ، **ودول العرب والمسلمين لا تعلم الخبرين الميداني والتاريخي**

معا ، لأن مخابراتها منشغلة بسجن الأحرار وتزوير الانتخابات وبعادل إمام وشعار " إرهاب كباب " إذ عصابات الفساد الإداري الإرهابية تنخر وجودنا ، وإذ **عصابات " المال السياسي " تنزل إلى الميدان كرقم جديد في المعادلة الديمقراطية الجديدة** الموصوفة للشرق الأوسط الكبير ، متمثلة بمدراء المصارف ورؤساء المحافظ الاستثمارية والشركات الكبرى في البورصة ، والتي ربما عند التفتيش نجد رؤوس أموالها أميركية أو إسرائيلية .

● وليس من المستغرب أن نجد الإدارة المصرية أو غيرها تتلقى ببرود نبأ الهجمة الشعوبية على العراق حين نرويه لها وتدعنا تحت مخالب كورش كأن الأمر لا يعنيها ولا تكون عما قريب الفريسة التالية ، وننفي الغرابة لأن رجل فكر ومحلل سياسي مشهور مثل محمد حسنين هيكل يقع في المجازفة عندما يتحدث عن العراق ، وهو القومي الناصري ، فيجرد العراق من الفضل ، ومن المناقب ، تعصباً وحسداً ربما ، ويزعم في برنامجه في الجزيرة في أواخر رمضان وأواخر أكتوبر أن الجيش العراقي لم يقاتل في فلسطين سنة ١٩٤٨ أبداً ، ويحلف على ذلك يميناً ، ويحكر للجيش المصري شرف ما كان من قتال فاشل ، بينما **كان أداء الجيش العراقي يومذاك بطولياً رائعاً ، وما تزال معركة جنين التي انتصر فيها على اليهود هي أكبر المعارك حتى الآن في جميع الحروب إذا قيست بمقياس حجم الإصابات اليهودية ، وكان عمر علي هو بطل تلك الملحمة الفريدة ، رحمه الله ، بما كان عنده من الأصالة العراقية التي جمع معها ديناً وشجاعة وأخلاقا .**

ووجه العلاقة بين جزاف هيكل وتخلي الدول العربية عن العراق اليوم في وجه الهجمة الشعوبية : أن العراق ضحية وقد أثخنته الجراح ، وحصل من الانتقام منه ما لم يحصل لبلد آخر ، وما زال استئصال عصبة الخير العراقية قائماً ، وبتخطيط إسرائيلي وتنفيذ أميركي إيراني ، فيأتي مثل هيكل في اللحظة الحرجة ويضيف طعنة إلى طعن الغزاة ، ويُجرّد العراقي المقاوم المجاهد من مناقبه التاريخية ، ويمنعه من الاستمداد من بطولاته السابقة وبذله الصادق ، وبخاصة أن

قضية العراق مرتبطة بقضية فلسطين ارتباطاً وثيقاً ، وهما قضيتان مركزيتان للأمة الإسلامية ، فكأنّ هيكل يفصل بأوهامه هذا الارتباط ، **ويرى في الجيش العراقي الـمُـغيّب عن المعادلة المعاصرة في العراق عنصراً غير مؤهل ليكون طرفاً رئيـساً في هذه المعادلة ، وهذا الإبعاد والتغييب لهذا الجيش البطل هو المفصل الأهـم في الخطة الشعوبية الكورشية الصفوية اليهودية الحاضـرة** ، وكـأن هيكـل لا يـدري طبيعة المعركة الجارية في العراق وأنها من أخطر المعـارك الـتي تـديرها إسـرائيل ، وأن المكافح المجاهد العراقي المنافح بحاجة إلى **إسناد معنوي يـستلهمه مـن تـاريخ الجيش العراقي** وبطولاته في فلسطين خـلال جميـع المراحـل ، واسـتيلاء القـضية الفلسطينية على مشاعر وخطط ساسة العراق ورجال أحزابـه ومفكريـه وضـباط جيشه وشيوخ عشائره وعامة أبناء الشعب ، وقصص نشاط مفتي فلـسطين أمـين الحسيني والشهيد البطل عبد القادر الحسيني في العراق مع رشيد عـالي الكيلانـي والعقداء الأربعة قُبيل وأثناء بدايات الحرب العالمية الثانية مشهورة وصدرت فيها كتب كـثيرة ، ويحـوي كتـاب "النكبـة "للفلـسطيني عـارف العـارف أكثـر أخبـار بطولات الجيش العراقي في فلسطين خـلال معركـة ١٩٤٨ ، ولـلـضابط العراقـي خليل سعيد كتاب خاص من ثلاثة أجزاء عن تلك المعركة ، إضافة لندوة أقامتها جامعة المستنصرية سنة ١٩٩٩ بمناسبة مرور نصف قرن على تلـك المعركـة قـدم فيها الأحياء من أبطال تلك المعركة تقاريرهم فيها .

● **لكن الذي يجبر هذا الكسر ويمنحنا بعض السلوى : ما تتحفنا بـه العمليـة الجهادية من انتصارات ميدانية ترفع الرأس ، فإن** فصل الصيف كان ساخناً جداً على الأميركان في ضرباته الموجعة ، التي وصلت إلى حد مقتل أكثـر مـن ضـابط كبير ، وسقوط طائرات ، واستعمال المجاهد لتكنولوجيا جديدة فيها تطوير محلـي غير مستورد ، واكتشاف المقاومة للآثار النفسية العارمة لعمليات القنص الفـردي للجنود الأميركان ، فإنها خلعت قلوب عامة المارينز ، وأصـبحت الألغـام تـدمر كل يوم العديد من المدرعات وسيارات هامفي بمن فيها ، في سياق تصاعدي بلغ

الذروة ، وأما الانتصارات الأميركية فهي على المدنيين والأبرياء من سُكان المدن المستضعفين ، بحيث أصبحت صورة الاستعمار الأميركي قبيحة لا تختلف عن الصور التي عرفها العالم عن الاستعمار الفرنسي ، بل وأقبح ، وسقطت كل شعارات الديمقراطية الأميركية ، وأتت فضيحة السجون الأميركية السرية في أوربا الشرقية ورومانيا بالذات لتزيد الصورة قبحاً ، إلى الحد الذي نطقت فيه جهات أميركية مدنية بالتذمر مما يجري ، وتم تعضيدها للصيحات المرتفعة في الكونغرس والأوساط السياسية الأخرى داخل أميركا ضد الحرب في العراق وسياسة بوش الخرقاء ، **مما يضع بين يدي المحلل الإسلامي الراصد لتطورات القضية العراقية استنتاجاً واضحاً مفاده : أن عملية الجهاد العراقي كانت مصيبة في تقديرها لضعف أميركا وإمكانية النكاية بالجيش الأميركي ، وأنها أوقعت خسائر جسيمة في الصف الأميركي جعلت دوائر صناعة القرار في أميركا تراجع نفسها وتفكر في الانسحاب تحت ضغوط النقمة الشعبية الأميركية ، وفي ذلك مدلول واضح على أن العملية السياسية العراقية واختلاطها بالأداء الخياني إنما هي بالنسبة لأهل السُنة وأنصار الجهاد عملية ثانوية تكميلية ينبغي ممارستها بمقدار محدود احتياطي استدراكي يمنع احتلال عملاء أميركا لوظائف الحكومة واحتكارهم لها ، وأن الجهاد هو الأصل ، وعليه التعويل ، والأداء السياسي تابع ، وأن المقاومة شريكة في تحديد حجمه ووقته وطرائقه ومدلوله ، وأن لها حق الوصاية عليه ، لئلا يلين أو يساوم أو ينحرف ، وان وسوسة كون أميركا جاءت لتبقى وأنها دولة عظمى قوية لا يمكن قهرها أو إيقاف رغباتها إنما هي** وسوسة باطلة لا سند لها في عالم الواقع العراقي ، فإنها حين تنتقل من المعركة الكبرى وحرب الصواريخ وطائرات الشبح والقاذفات الإستراتيجية والأسلحة الذكية والذرية إلى المعركة الصغرى التفصيلية ويكون جندي المارينز وجهاً لوجه مع المجاهد العراقي على حد سواء بسلاح خفيف ومتوسط : فإن المجاهد هو الغالب المنتصر ، لأنه صاحب قضية ويدافع عن بلده ويعتصم بعزة الإسلام ،

والمارينز عدواني ليست له قضية ويدافع عن مصالح الشركات النفطية لكوندليزا رايس وتشيني ، وهو جبان يحلم بالرجوع إلى صديقته ، وتغمره ذلة الهوان والظلم وسمعة سجونه الرهيبة وارتكاسه في عوالم المخدرات ، فهو رقيع لا يساوي شيئاً أمام استعلاء العراقي .

● **وهذه النتيجة المحسومة في الساحة لصالح الجهاد تتيح للمخطط أن يزعم أن السنة القادمة بعد الانشغال بالانتخابات وإنجاز عملية أخذ أهل السُنة لحصتهم المفترضة في أجهزة الحُكم : ينبغي أن يكون الاتجاه الرئيس فيها نحو إسناد الجهاد ، وتوسيع قاعدة المجاهدين ، بل مضاعفتهم عددياً إلى ضعفين ، وتحسين الأداء نوعياً إلى ما يشاء الله ، وتركيز الضرب على الجيش الأميركي ، لأنه يوشك أن يعجل بالانسحاب إذا كان هذا التوسع والتطوير في الكتلة الجهادية ، وشباب الصحوة الإسلامية هو المؤهل لتحقيق هذه النقلة الحجمية والنوعية ، والمفروض في قياداته أن تستوعب جيداً هذا الاحتمال الذي يتيحه القدر لهم ، سيما وأن تداعيات قضية اغتيال الحريري وازدياد الضغوط الأميركية على سوريا ، وما وراء ذلك من تخطيط إسرائيلي : تشير في سياقها إلى قضية بالغة الخطورة تحاول أميركا فيها دفع جيوش عربية للمشاركة في مكافحة الجهاد العراقي باسم مكافحة الإرهاب** ، بعد إذ بدأ الجيش العراقي الجديد يرفع بعض الواجب الثقيل عن كاهل الجيش الأميركي ، والحكومات العربية بضعفها وبتاريخ علاقاتها مع أميركا وتحالفاتها معها واحتياجها إليها في البقاء على الكراسي قد تلين وتدفع ببعض جيوشها إلى ساحة العراق بعدما تعب المارينز ، **وذلك جزء من خطة الشرق الأوسط الكبير التي أخّر الجهاد العراقي فرصة إنجازها** ونفذ الصبر الإسرائيلي الأميركي وهو ينتظرها ، وإذا مال المحلل السياسي إلى سوء الظن فإنه قد يرى تدخلات الجامعة العربية في القضية العراقية ودعوتها إلى مؤتمر المصالحة باباً للوصول إلى حالة التدخل العسكري العربي لصالح أميركا في أرض العراق ، **وهذا ربما يجنح بمحاولات تفسير خطط الانسحاب الأميركي**

التي كثُر الحديث عنها علناً أو في دهاليز الحوارات الجانبية إلى أنه انسحاب الجيش الأميركي من تنفيذ المهمة ، وليس تغيير السياسة الأميركية ، وأن كل ما سيجري هو توكيل جيوش أخرى عربية وغيرها بتنفيذ المهمة ضد الجهاد ، فهذا أوان استراحة المارينز ، والحملة على سوريا تراد من باب لحملها على الصلح مع إسرائيل وإجراء مياه سد أتاتورك إلى إسرائيل عبر سوريا ، وتراد من باب آخر للضغط على مصر والبلاد العربية للمشاركة في مكافحة " الإرهاب " الذي يزعمونه في العراق ، **وخطة كهذه تحمل في طياتها سحق أهل السُنة في العراق ، الذين هم البيئة الحاضنة للجهاد ، مما يجعل احتمال تطور الأمور إلى حرب أهلية قائماً ، ومن ثم يكون تقسيم العراق محتملاً ، وبذلك سيرتبط الجهاد العراقي ارتباطاً حتمياً بعملية الدفاع عن أهل السُنة ، وعلى القيادات الإسلامية العراقية وقيادات المقاومة أن تدرك الخطة العربية جيداً ، وأن تتأمل هذا التفسير للدور العربي ، وأن تسيء الظن جداً** ، فقد أتلفنا حسن الظن ، وقد كنا ولا نزال نطلب تدخل الجامعة العربية ، ولكن بالطريقة الذاتية المخلصة النابعة من نظرة عميقة لمتطلبات الأمن الاستراتيجي العربي ، لا الطريقة المريبة المختلطة بالأنفاس الأميركية ، ولأمر مثيل لهذا قال عمر بن الخطاب ﵁ إن سوء الظن نصف الحزم !! بل إن المتأمل يستطيع أن يدرك معنى تغيير الموقف الأميركي وبجعله قرينة تعين على تصديق هذه الالتفاتات المتسربة في شكل برقيات من حروف صغيرة قليلة على لسان المحللين والساسة وما فيها من إيماء إلى طلب أميركي مقدم للدول العربية لإنقاذها في العراق ، فقد شهد الموسم الماضي تصريحات أمريكية واضحة تذكر أنها ستسحب نصف القوات في آذار ونصفها الآخر في آب ٢٠٠٦ ، وتواتر ذلك ، ثم فجأة وخلال عمليات تمرير الدستور العراقي يتبدل الموقف الأميركي ويصرح بوش بأن أميركا باقية في العراق حتى إتمام المهمة ، مع تصريحات أخرى لغيره ، خلافاً لتقارير جنرالات البنتاغون ، وآخر ذلك تصريح وزيرة الخارجية الأميركية يوم ١١ – ١١ – ٢٠٠٥ بأن أميركا ستبقى حتى إنجاز

المهمة ، **وهذا التحول فيما نفهم إنما جاء بعد نصيحة أُهديت إلى الإدارة الأميركية تعيب عليها اليأس والانهيار المعنوي تحت ضربات الجهاد العراقي ، وأن الحل يكمن لا في الانسحاب بل في توكيل العرب بالمهمة تحت شعار " مقاومة الإرهاب " الذي يجمع الطرفين ، وإنما تأتي تفجيرات الأردن في هذا السياق من اجل توليد بيئة نفسية يرضى من خلالها المواطن الأردني أن يذهب جيشه إلى العراق لضرب " الإرهاب " في موطنه بدل أن يأتي إلى فنادقه ، وهذا هو الذي يُفسّر جلاء اليهود عن الفنادق قبيل تفجيرها** ، مما ذكرته ها آرتس ، الجريدة الإسرائيلية ، سواء كان ذلك بعلم المخابرات الأردنية أو بدون علمها ، والسياق المنطقي يتيح لنا أن نتفرس بسهولة في المستقبل ، فإن البعرة تدل على البعير ، ومن المحتمل جداً أن تكون هناك تفجيرات عراقية في مصر ، لتكوين قناعة لدى المواطن المصري بوجوب إرسال الجيش المصري إلى العراق ليقاتل الإرهاب في مهده بدل أن يهاجم في القاهرة ، وكذلك الأمر سيكون في بلاد أخرى ، وآن لنا أن نفهم ، ولكن المؤمنين تنهاهم طيبتهم وبراءة قلوبهم عن الوعي واستيعاب الدروس ، والفراسة ، وقومنا لا يفهمون !!

والتاريخ يُعيد نفسه ، فإن الحركة الوطنية العراقية التي قادها رشيد عالي الكيلاني والعقداء الأربعة صلاح الدين الصبّاغ وفهمي سعيد وصاحبيهما سنة ١٩٤١ وبالتعاون مع الثلة الفلسطينية : لم يستطع الجيش البريطاني مجابهتها ، لانشغاله يومها بالتحضير لمعركة العلمين الفاصلة ، **فاستعان بالجيش العربي في الأردن بقيادة القائد البريطاني** كلوب باشا أبو حنيك ، وبالعقال العربي الذي فوق رأسه نفذ الخطة العربية لِوَأد خطة التحرر العراقي ، وزحف على العراق واحتل بغداد بالجنود البدو نيابة عن حكومة التاج البريطاني وبأمر الملك عبد الله بن الحسين ، وباسم الإرادة العربية .

وحين تقترن هذه الدلالات التاريخية بهذه الأحداث المعاصرة : نبدأ ندرك مغزى التصريحات المتكررة لوزير الدفاع العراقي السُني الأصل سعدون الدليمي

حين هدّد بأنه سيضرب بيت الإرهابي ويهدمه على زوجته وأطفاله ، مما لا مثيل له حتى في المجابهة الإسرائيلية لجهاد أهل فلسطين ، فإنها تفعل ذلك ولا تهذر مثل هذا الهذر .

لكن تصريحات هدم البيوت على الأطفال مثلما هي سيئة ، فإنها لازمة وضرورة وكأن القَدَر انطقه ، لأن حل القضية العراقية يمر بهذه الخطط الجزافية في كبت الجهاد ، والرد ينبغي أن يتمثل في حملة تعبئة معنوية إسلامية وتجنيد واسع النطاق لمضاعفة حجم الجهاد ، وعندئذ تنسحب أميركا تحت ضغط الضربات ، ويتم تلقين الجيوش البديلة المتوكلة عنها دروساً ، عربية أم من بلاد إسلامية أم كفرية ، ويكون الجهاد بعدئذ هو الحارس المدافع عن أهل السُنة ، يفرض المعادلة العراقية المتوازنة بعد إذ أماله الواقع الشاذ بعد الحرب والتدخل الإيراني ، وإذا كانت عملية إسرائيل في تقسيم العراق وسلخ الشمال والجنوب أقوى من أن تدفعها المقاومة الجهادية ويتوجب عليها أن تتقبلها كقَدَر سوء مفروض تضعف طاقتنا عن تغييره : فإن توسيع الأداء الجهادي سيكون هو السبب الذي يلوذ به أهل السُنة للاحتفاظ بثلث العراق ووضع حد لإيقاف النزيف والحفاظ على الشخصية الحضارية الموروثة ، إلى أن يأذن الله بقَدَرٍ خيري آخر في المستقبل يُعيد وحدة العراق .

● **أما الانتخابات القادمة في ١٥ / ١٢ / ٢٠٠٥** فإنها لا تراد لتحريك مقترحات تعديل الدستور فقط ، ولكن لأغراض عديدة تقتضيها مصالح أهل السُنة في التواجد الدائم قرب مركز الأحداث ودوائر صنع القرار ، من أجل الحصول على حصة أهل السُنة في الوزارات ومؤسسات الدولة والفرص المتاحة والمال العام ، ومن أجل مراقبة القوانين لئلا تتكرر قصة قانون الإرهاب الظالم المنحاز الذي هو إرهاب بنفسه ، ولتحصيل منبر للتأوه وصيحات الآلام وإرسال الزفرات ، **لأن الكدمات أمام عدسات القنوات الفضائية أفضل من الجمع بين الكدمات والكمد .**

● **لهذا فإن الجهود المبذولة لإسناد قائمة التوافق السنية الـتي يقودهـا الحـزب الإسلامي يجب أن تبلغ مداها الأبعد ، فإنها معركة مصيرية فاصلة توازي المعركة الجهادية وتخدمها وتكملها ، ويجب أن يوقن كـل سُـني بـأن صـوته مهـم ، وأن مشاركته في الإدلاء بصوته لهذه القائمة رقم ٦١٨ هو واجب شرعي وجزء مـن سلوكه العقيدي وتعبير عن إسناد خطة إنقاذ العراق وترجمة لأشواق الحرية .**

● ولكن جهود رجال القائمة وقيادة الحـزب في منـع التزويـر وتغـيير اللجنـة الانتخابية العليا المنحازة : هي جهود تعدل في الأهمية جهود تجميع الأصـوات ، **ويلزم أن تبدأ وتيرة تجفيف منابع التزوير منذ اليوم وقبل يوم التصويت .**

● ويشعر المرء أخيراً : أن جريان هذه الانتخابات تحت سطوة قانون مكافحـة الإرهـاب ، وعمليـات الفـرات الأعلـى العـسكرية ضـد أهـل الـسُنة ، وتزايـد الاعتقالات لوجوه أهل السُنة في كل العراق ، والمبالغة في جعل أمـاكن الاقـتراع السُنية بعيدة جداً عن أماكن سكنهم : كل ذلك فيه إيماء إلى **أن المشاركة السياسية السُنية تبقى تكميلاً للجهـاد لا أصـلاً ، وأنهـا منقوصـة ، وأن الجهـاد أولى وأتم وأجدر أن يجلب حقاً ويأتي بنتيجة ، ثم إن شوائب الدستور وتزويـر الاسـتفتاء والأداء الضعيف الذي أوهن كلمة الرفض آخر لحظة : كل ذلك يزيـد العمليـة الـسياسية نقـصاً ، ويـسوغ الزهـد فيهـا ، ويجعلـها مـشبوهة محاطـة بالمثبطـات والمُعكرات والسرقات والتحايلات ، لأنها تتم تحت سطوة الاستعمار الأميركي ، ولا حرية فيها** ، ونحن جُدد في دروب السياسة الملتفة التي سارعت إليها عصابات الخداع ، وفينا عفوية وسذاجة وطيبة قلب وبراءة الدراويش ، **ودرب الجهاد خير من ذلك ، وأطهر واسلك . . . وأقصر !!**

●وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

(مَن تَرك الجهاد : ألبسهُ اللهُ الذِلة ، وسِـيَمَ الخَسْف)

أي اُلزمَ الخسف وصار لاصقاً به .

وما هذه بموعظة تعتمد العاطفة ، لكنه شرح ظاهرة حيوية ، وتقريرٌ عن الساحة : أن المجاهد عزيز ، ومن ترك الجهاد وفتر فيه ومارسه بمقدار تحلّة القسم لا بالمقدار المكافئ الأوفى : أسرته وغلبته المخادعات ، فلا مجال بعدئذ عنده لتفكير حازم .

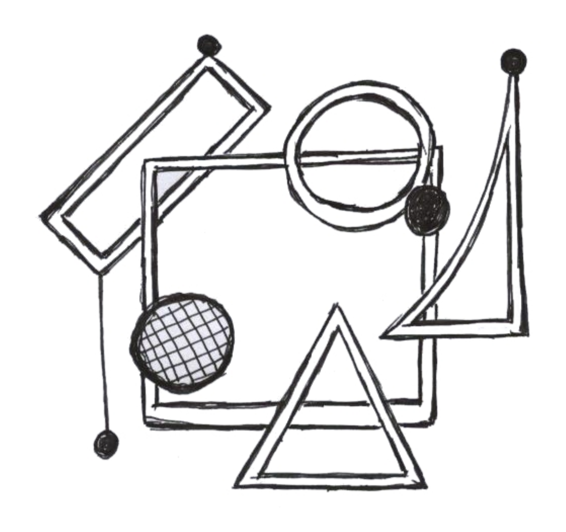
وهذا مرئي مشاهد اليوم في رجال الجهاد العراقي والمواقف الصلبة لأهل السُنة في العراق ، أنهم يرفعون الرؤوس كل الرفع ، وكلامهم فصيح .

● **إن الدستور الذي مُرر بالتزوير : عمل يعطي للمارينز إجازة ، تعصمهم من التلف والموت ، ويكون الجندي العربي هو الوكيل البديل الذي يقوم بمهمة حفظ المصالح الأميركية ، ويتعرض للفناء ، والفتوى واضحة : أن الصائل الذي يكون مصدر خطر : يدفع المسلم صولته بما يناسب من دون ضمان** ، والجهاد العراقي في حالة دفاع في مرحلته الراهنة ، ويجوز له ما يجوز للمدافع المظلوم ، وليس هو البادي ، وكان الرئيس بوش قد كذب مؤخراً وقال : إنه يُقاتل ضد الفاشية الإسلامية العالمية ، وتلك فرية منه ، فإنه هو الذي جاء من وراء البحار وبدأ المعارك ، واقتفى السياسات الاستعمارية القديمة ، وجددها ، **ولذلك نقاتله ونقاتل عربياً ومسلماً يتوكل عنه** .

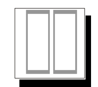
● وبدون الدستور كانت أميركا ستضطر للانسحاب انسحاب المنهزم ، ولكن وجود الدستور أتاح لها توكيل غيرها والانسحاب بما يسميه الإعلام : بشرف .

والأمل : أن يتولى الله المؤمنين برحمته ، فإن كيده أعلى ❑❑❑

بَعْدَ المُبتدأ... خَبَر !!



● كمِثْلِ تنوّع أشكال الهندسة ..
تتنوّع التجمعات وتتعدّد الكُتَل ..
والرأي أوَل ما يبدأ .. يعتريه تخَلْخُل ..
ثم يتركز في مرحلة وسطى ، وقد يُؤسَر لمَدار ..
ثم يصفو .. ويكون وعياً وقراراً ..
لكنْ من الوعي ما يكون مُعَلّقاً يفقد الحرية ..
ومنه ما يقف على حافّة المُنْزَلَق ..
وأرفع الوعي ما يستقر على رأس منار ..
وذلك هو قرار الإيمان المستعلي .... وخَبَرُه ●



بَعْدَ المُبتدأ... خَبَر

□□ هي هكذا الأيام ! !

وكأنّ المنح إنما تولد من بطون المحن ! !

فيومٌ علينا ، ويوم لنا ويومٌ نُساءُ ، ويومٌ نُسَرّ

● ومن الابتداع والتكلّف أن نرجو السياسة وعموم الحياة خاليةً من كَدَر وأوجاع ومنغصات ، ونتمنى الساحة خالية من منافس يخطط عكس ما نريد ، ويسبقنا إلى الفرص من خلال التزوير ، واستحلال الحرام ، والالتفاف على الأخلاق والأعراف ، بل وعلى مصالحه البعيدة هو حرصاً على مصالح قريبة تزول ، لقلّة خبرته .

وكل عامل في ميادين الحياة لن يخرج من حركاته سالماً ، بل لابد أن ينزف ولو قليلاً ، والسياسة مغامرة ، وطلب الحرية والحقوق والكرامة له ثـَمَن .

(وإنما الإنسان في الدنيا غَـرَضٌ تـتعاوره السهام ، فمجاوِزٌ ، ومُقصِّر عنه ، وواقع عن يمينه وشماله ، حتى يصيبه بعضها) .

وهذا حال أهل السُنة والجماعة في العراق ، من بعد الغزو الأميركي على الأقل ، **وخلال سن الدستور وإجراء الانتخابات التشريعية الأولى في ظله ، بالأخص** .

ورَصَد الراعي النـُميري قانون الحياة وعدم استمرار الدهر على حال واحد يستقر ، وتعجّب فقال :

يا عجباً للدهرِ شتى طرائِقُهْ وللمِرءِ يَبلُوهُ بما شاءَ خالقُهْ

أي : ويا عجباً للمرء أيضاً .

(وطرائق الدهر : ما هو عليه من تقلّبه) .

● والمحنة قديمة في المجتمع العراقي ليست جديدة ، والتعذيب ، والسجن ، فقبل أكثر من ألف سنة أشفق قلب أبي الهيثم الشاعر لعجوز انكمشت حتى صارت مثل طَيرة الحُمَّرة ، فطفق يشكو ويسأل :

ما القولُ في عُجَيِّزٍ كالحُمَّره

بعينها من البُكاء ظَفَره

حلّ ابنُها في السجْن وَسْطَ الكَفَره ؟ (١)

والظَفَرة : من أمراض العين ، وهو غشاء ينمو من عند الحدقة ويتسع فيضعف البصر ... **وكأنه يصف مسكينة عراقية معاصرة أخذ الأميركان ولدها يعذبونه في** سجن أبي غْرَيْب ، أو في سجن بوكا ، أو يُنَكّل به في دهاليز وزارة الداخلية على أيدي أبناء جلدتنا ، فأطالت حزنها وأجرت دموعها حتى تلفت عينها .

وهذا التعذيب ؛ وتزوير الانتخابات ؛ وأنواع التحايل لاحتكار السلطة : كله إنما يحدث لضعف علم المنافس المستولي المتحالف مع الغازي بقوانين "حركة الحياة " وحقائق التاريخ وأداء النفس الإنسانية ، وذلك أن نتيجة الغلبة بالقهر تكون موقتة لا تدوم ، وأن الظلم يؤسس معاني عديدة مترادفة في نفس المظلوم تدفعه في النهاية إلى التحدي وإطالة الصبر ، ويبقى يصاول حتى يتيح له القَدَرُ فرصة ، فتتبدل المعادلة ، ويتغير السياق ، ويتفوق على الظالم ، وذلك هو الذي سيحدث لأهل السُنة في العراق بإذن الله ، وهم الآن في المركز المعنوي المتفوق الذي منحهم إياه الجهاد .

● وروى مجاهد أفغاني أنه كان هو وفصيله يتمركزون في غار في أعالي الجبال ، وكانت عند باب الغار صخرة كبيرة فيها ثقب صغير في أعلاها ، فرمت طائرة معادية صاروخاً أصاب الصخرة وفَلَقَها إلى نصفين ، وإذا بذاك الثقب يؤدي إلى تجويف في مركز الصخرة نبتت فيه نبتة صغيرة ذات فروع وورق

---

(١) لسان العرب ٢ / ٦٤٥ .

أبيض ، لقلة الضوء ، وكأن قطرات المطر التي كانت تـتسرب من ذاك الشق كانت كافية لإنبات حبّة ربما فلتت من منقار عصفور وقف على الصخرة ..

ونفهم من هذه الرواية لهذا المنظر الجزئي من مناظر الحياة بعض سر الحركة الحيوية : أن الضيق والإعنات وقطع الموارد وغلق المنابع كلها لا توقف نبضات الحياة ، **بل في الحياة تحديات وإصرار ومقاومة ورضاً بالقليل من أجل إثبات الجدارة والتمسك بالحق ، فتنمو الأرواح الطاهرة البيضاء النقية في المعتزَل والـمُنقطَع وفجوات التواري عند اشتداد الضغوط ، فتبقى الوتيرة ، ويتصل السند ، وتنساب بهدوء رواية الحرية** ، حتى إذا خدمتها صَدمةٌ قَدَرية : أفصحت عن ذاتها ، وظهر مكنونها ، وذلك بعض سر الحركة الحيوية التي تتمثل بدايتها بمؤمن يفلت من منقار مستبد ظالم وتـتولاه العناية الربانية الخفية ، فكيف بجمهرة عظيمة من **أهل السُنة هم نصف الشعب ، ولم يفلتوا فحسب ، بل احتلوا الموقع النفسي الأعلى بما ملكوا من مقاومة جهادية رفعت رؤوسهم ؟**

● وتكمن خلف هذه الثقة التامة خبرة بحقائق النفس ، وأن استثمار المؤمن لخصائصها يضعه في المركز المتفوق ، ولا يؤهل المحتكر الظالم لأنْ يَفقَه طرائق عمل النفس ، ولذلك يكون في متاهة دائمة .

وشرح ذلك أن هناك علاقة متبادلة بين الحس الداخلي في النفس ، والمحيط الخارجي والبيئة الضامّة لصاحب هذه النفس ، وللوهلة الأولى يذهب الظن إلى توكيد تأثير الظرف البيئي في النفس في صورة انعكاس جمالي أو أمني أو أي شكل شعوري آخر ، ولكن هذا النوع مفهوم وشائع ، وإنما الذي لا يدريه أكثر الناس ويذهل عنه من يحاول فهم الحياة هو التأثير المعاكس الذي يفيض من داخل النفس ليؤسس موقفاً من المحيط ، محبةً له أو رفضاً ، واستـئـناساً به أو نفوراً ، وتَـحمّلاً لأثقاله أو ضجراً ، ومن ذلك قول ابن هَرْمَة :

أُحبُّ الليل : أنَّ خَيَـالَ سلمى إذا نِـمـنا : أَلَـمّ بِـنـا ، فَـزارا

فاتجاه الحركة هنا عكسي ، فهو لعشقه سلمى ، وتخيله لها حين يضع رأسه في الليل إذا أراد النوم : أصبح يحب الليل ، الذي هو بيئة وظرف لا يُحبُّ عادة ، **وهذه التفاتةٌ في علم النفس خفية على الظاهري ، وإنما يعرف قيمتها المتأمل ، ويمكن للعالم النفسي العارف والداعية المربي الماهر أن يوسعها فيضع شحنة انفعالات في نفس شخص ، تـتحرك فتـفـيض متعاملة تعاملاً إيجابياً مع بيئة محيطة ، أو مشكلة ، أو محنة ، أو فتنة ، أو حرب ، أو حَمْلَة سلام** .

من ذلك : ما في الطرائق الدينية من الحث على الصبر عند الصدمة ، فإنه شعور داخلي يؤثر في النظر إلى المحيط والمحنة ويخفف الألم .

ومنه نشتق : التزام المؤمن لمعالي الأحاسيس والأخلاق ، مثل: العزة والتحدي والثقة والحلم والكرم ، والوفاء للمبدأ ، ومعاني الشرف ، والإيثار ، وتقديم المصلحة العامة ، فإن كل ذلك مثلما يبني النفس القوية وتظهر آثارها العملية في التعامل السياسي والاجتماعي : فإنه أيضاً **يزيد النفس قوة ومتانة وتجانساً مع المحيط وتآلفاً مع البيئة مهما كان فيهما من مصاعب ووَخْز وتسبيب ألم** ، فإن هذا الألم يقل إلى درجاته الدنيا عند صاحب الأمل والثقة ، على عكس ما هو عليه من التضاعف أضعافاً عند البخيل والجبان والمزوّر والمريب الذي يقول: خذوني.

ومثل هذه الحقائق هي التي سبّبت التفوق الاستراتيجي الدائم لجمهرة المؤمنين على الظلمة والفسقة ، فإنّ أخلاق الإيمان تُـنـتج هذا التفوق وإن لم يعرف المؤمن تعليل الأمر وتحليل الانعكاس النفسي ويتولد عنده تلقائياً من دون إبصار مراحل ولادته ونموه وتأثيره ، **فإذا أبصر سياقه ومنظومة تكوينه : صار أكثر تحكّماً فيه وتطويراً وتحسيناً حتى يصل به إلى درجة الإتقان** ، فيتعاظم الأثر الحاصل ، كمثل الذكاء الفطري عند إنسان يبقى سائباً ، فإذا عرف قوانين المنطق ومحركات الإبداع وقواعده وطبّـقها : صارت نتيجة الذكاء أكبر وأوفى ، حتى تكون بمنزلة العبقرية الفذّة ، فكذلك أخلاق الإيمان السامية ، هي عوامل إنتاج

جيدة إذا قادتها الفطرة فقط ، لكنها تـتحول إلى عوامل حاسمة إذا جعلنا المؤمن يعرف عملية (**الانعكاس النفسي من الداخل إلى الخارج**) ، فيهش له المحيط ، وتفرح له البيئة ، ويندمج بهما أكثر مع قسوتهما .

● **بمعنى : أن المرحلة تكشف عن صعوبة وحصار وعلامات سوء ، ولكن جماعة المؤمنين تستـقبل ذلك بروح عـاليـة ، لما عندها من إدراك وفـهم لظـواهـر " حركة الحياة " تـُـنـبيها بأن الثبات على مبادئ الإيمان وشرف التعامل وأخلاقيات المصاولة ستجعل النتائج في جانبها مهما اختلط سيرها بوجع ومهما كانت المقاساة صعبة ومؤلمة ، والركن الأهم : أن هذه المشاعر ليست فردية ولا هي سائبة يمكن أن يُشتِّـتها نسيان وموقف عفوي ، وإنما هي اليوم ترعاها منهجية تربوية فكرية جماعية تستعين بتراكمات الخبرة الدعوية العالمية الوافرة ، ويرفدها رصيد علمي واسع ، وتنميها محاضن تنظيمية ، وترشدها ملاحظات خُططية ، ويحرسها أداء جهادي ، ويراقبها أئمة قدوات صقلتهم المعاناة .**

وكل ذلك من الأسباب التي يأمرنا الشرع أن نتقنها ، ولكن ليس عليها التعويل ، فإنما هي مؤثرة بقُدرة الله ، وبالمشيئة الربانية ، والبركة النازلة من السماء ، ومن تمام صـنـعتـنا التـربـويـة وعُـدتـنا الـعـقـيـديــة : " الابتهال إلى الله " و " التـفويض إلى جبّار منتقم " يتوكل عن عباده الصالحين ، ونكرر قول الواعظ المفوِّض الذي قال للظالم أن :

(احذر من ليس له ناصرٌ إلا الله ، واتَّق مَن لا جُـنّة له إلا الابتهالَ إليه .

إن الظلم مصرعه وخيم ، ولا تغتر بإبطاء الغيْثات مِن ناصرٍ متى شاء أن يُجيب أجاب ، وقد أملى لقومٍ ليزدادوا إثماً)[٢] .

● وإذ نحن ننتظر هذه الغيثات الربانية ، بعدما اتخذنا الأسباب : نصبر ، ونضاعف الصبر ، وذلك أننا اقـتـنعنا أن التقلّب بين حالتي اليُسر والعُسر فيه تربية للدعاة وجمهرة المؤمنين ، وذاك هو الذي اكتشفه عدي بن الرِّقاع حين قال :

---

(٢) العِقد الفريد ٢ / ١٦١ .

ولقد أصبــتُ من المعيــشـةِ لـذّةً وأصبتُ من شـظفِ الأمورِ شِدادهـا

و(الشظف : الشدة والضيق) .

فبين اللذة والألم : حصلت له تنقية ، وتدريب ، واكتملت عزائمه .

وبمثل هذا نفهم أن المحن إنما هي أقدار ربانية وحكمة يريد الله منها إتمام صياغة النفوس المعتدلة وصقل المؤمنين والتهيؤ للحكم والرئاسة **واستثمار الممارسة الجهادية لتجويد الأداء السياسي ، ثم استـثمار الأداء السياسي لتجويد الجهاد .**

● ومن عظيم العِبَر ، في خبر أهل الوَبَر ، **أن محنتهم على يد الشعوبية الكسروية ليست جديدة ، وإنما هو التاريخ يُعيد نفسَه ، وتـتكرر القصص الواعظة** ؛ ففي تجارب النفس الحساسة الأبية : تجربة العربي الذي سجنه كسرى فطفق يحلل أبعاد محنته :

إنْ أكُنْ مُوثَقاً لِكسرى ، أسيــراً

في هـمــومٍ وكُــرْبَـــةٍ وسُـــهـومِ

رَهْـنَ قيـدٍ ، فـمــا وجـدت بـلاءً

كإســارِ الكريـم عنـــد اللئـــيمِ[٣]

والسهوم : ما يولده الهمّ من عبوس وحزن .

فليس هو السجن الذي يؤلم الحُر ، ولكن سُلطة اللئيم على العزيز هي المحنة ، فيأبى ويتمرد ويحاول حتى يتحرر ، فيكون دائباً ، فتـتحرك الحياة .

● **وظاهرة الاحتكار السياسي والتـفرد بجميع جوانب السلطة هي أصل المظالم** ، وهي ظاهرة قديمة يرويها الفرّاء النحوي عن شاعرٍ يصف الواقع العراقي في الزمان الغابر فيقول عن أفراد مجموعة تحالفت مع طائفة حاكمة أو مجموعة متسلطة :

---

(٣) لسان العرب ٢ / ٢٣٠ .

فَهُم بِطانــتــهم ، وهم وزراؤهم وهُم القــضـــاةُ ، ومنهم الحُكّامُ[٤]

أي هم منظومة مترابطة ، فالحاكم يعاضد السلطان ، وينـتـقي الوزراء ، وإذا احتاج الأمر إصدار فتوى سياسية كان القاضي جاهزاً لتدوينها ، وإذا حَصل تعقيد يحتاج التشاور فإن عقول البطانة كافية جامعة مانعة ، ولا حاجة لعقول المسلمين .

وقال آخر في شطر يصف الفوقيـّة :

ولا نسأل الأقوامَ عقدَ المياثقِ[٥]

فهو على الطريقة الاستبدادية ، وليس من شأنه أن يتفاوض مع الأطراف الأخرى ليعقد المواثيق والاتفاقات وينزل عند حكم المنطق والحقوق والقانون والوسطية ، **بل يستعلي ، وكفى ، ويُزوّر ، وكفى ، ويبيع العراق لإيران ، لكن لا يكتفي ، حتى تطبّق إيران خطة إسرائيل في إنهاك العراق عسكرياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً ، ويكون تدمير بُنيته التحتية كلها وقَتْلِ كبار ضباطه وطياريه** ، إعادة لما فعل كسرى فارس كورش الإخميني قبل ألوف الأعوام يوم زحف من فارس وخرّب بابل وحضارتها عام ٥٧٩ قبل الميلاد ، واستمر نحو فلسطين وبنى هيكل سليمان مجدداً وأرجع أسرى اليهود من جوانب الفرات ودجلة إلى القدس .

● وإذا كان الأمر كذلك ، فما نظن أنفسنا نظفر بمعيار توزن به **صوابية خطة الدعوة الإسلامية والحركات السياسية العراقية المتحالفة معها لعلاج الاستئثار الإيراني وصلافته التزويرية للانتخابات البرلمانية** أوفى قياساً وصدقاً وواقعية وأثراً من ميزان صفية بنت عبد المطلب في تقويم حال ابنها الزبير بن العوام ﷺ حين قالت لمن تحدّاها :

(كيف وجدتَ زَبْراً ؟ أأقِطاً وتمراً ، أو مُشْمَعلاً صقرا ؟) .

---

(٤) الخصائص لابن جني ٣ / ١٣٢ .

(٥) الخصائص لابن جني ٣ / ١٥٧ .

و(الزِّبْر ، بفتح الزاي وكسرها : هو القوي الشديد ، وهو مُكَبَّر الزبير ، تعني إبنها ، أي : كيف وجدتَه : كطعامٍ يؤكل ، أو كالصقر ؟)[٦] .

والطعام الذي ذكَرتْهُ هو أشهى طعام عند العرب : الجبن الذي هو الأقِط ، والتمر ... **فهل تبقى الدعوات الإسلامية مثل حلاوة تَمْريّة لذيذة** يأكلها في كل قطر كل غويّ ؟ **أم تفكّر يوماً أن تكون صقراً** ؟

وهل تبقى القضية العراقية المعاصرة أيضاً أقِطاً وتمراً ، أَم يُحلّق بها رجالها فتكون عُقاباً ينقضّ على الشعوبية فيعاقبها ؟

● **والذي يسبق إلى الظن أن هذه العقوبة أبلغ ما تكون : في نقض العملية السياسية** ، من خلال رفض نواب الكتلة السنية من رجال قائمة التوافق رقم (٦١٨) ومَن في حكمهم من معارضي قائمة الائتلاف المرقمة (٥٥٥) : المشاركةَ في مجلس النواب ، والإضراب عنه ، ومقاطعته ، وليس مقاطعة الحكومة ورفض قبول الوزارات فقط ، **وكان هذا الإضراب عن كل العملية السياسية هو ظاهر المطلب الأخير للتظاهرة المليونية يوم الجمعة الذي أعقب إعلان النتائج المزورة** ، ونصّ نصاً صريحاً على مقاطعة العملية السياسية بلفظ شامل لم يُربكه تفصيل ، والثبات على هذا القرار هو ضربة مؤلمة للأميركان والائتلاف معاً ، وفيه تقويض للتزوير وإبطال لكل تخطيط الاستئثار الشيعي والكردي ، وكأنّ القيادات التي ارتضت طريق التزوير ليس عندها خبر التاريخ وتحولات السياسة ، وهي غافلة عن أن نتائج مثل هذا الطريق الوعر الشائك قصيرة الأمد ولا تطول ، لما تقذفه الطرق الملتوية من شكوك في قلوب الناس تبقى تكبر وتتطور حتى تتحول إلى موقف سلبي وتمرد وحركة مضادة .

فإن كابَرَ المزور فإن " المقاومة العراقية " وحالها المرشَّح للتطور والتوسع نوعياً وعددياً : ستكون هي المشمعل الصقر الزبيري ، وستكون هي عامل الترجيح ، مندفعة بزخم كتلة انتصاراتها الميدانية المتوالية .

---

(٦) لسان العرب ٢ / ٧ .

وموعظة المقاومة اليوم لجنودها قد قالها يزيدُ بن شجرة في القديم يوم حثّ المجاهدين في بعض المغازي فقال :

(أنهكوا وُجوهَ القوم ، ولا تُخزُوا الحُورَ العين)

من الخزاية ، وهي الاستحياء .. (أي لا تجعلوهنّ يَستحينَ من فعلكم وتقصيركم في الجهاد) .

والعجوز الباكية ربما تجد لها حفيدة تولول مثلها ، ولكن أُمهات أحرار شباب العراق اليوم لهنّ سلوك آخر ومفهوم مغاير وإيمانٌ أعلى ، والشعار المرفوع بينهن في بغداد والأنبار وديالى والموصل وما بين ذلك في مخاطبة فلذات الأكباد أنْ :

إذا الفتى لم يركب الأهوالا

فأعطـهِ المِرآةَ والمِكحالا

وذلك عار يأنف منه الشجاع ، ونسبة إلى مجتمع النساء ، وإنما شأن الرجال ركوب المصاعب ، والمغامرة ، والذود ، والمقاومة .

● والمظنون **أن نمط البذل تحوّل من أن يكون موعظة وكلاماً تربوياً يعتصم بالبلاغة إلى كونه سليقةً لشباب الدعوة الإسلامية وأبطال الجهاد ، وصار سلوكاً أخلاقياً راسخاً وركناً في الشخصية العراقية المتحدية للاحتلال والغزو الصفوي الشعوبي** ، ولا مكان بعد اليوم لتخوفات حصول إبطاء ، لأن الذي يصد عن الممارسة الجهادية إنما هو خوف الكريهة وذهاب المكتسبات الدنيوية ، والخشية من أن يكون الباذل بعيداً عن الزوجة والولد والمال والثمرات ، وأما إذا زالت هذه الوساوس بما يستحضر من نعيم الجنة وحورها إذا فاز بالشهادة : فإن النهضة نحو البذل تكون سريعة ، وتتحول مشية الهوينى البطيئة إلى ركض إلى الله ، وهي الحال التي أبصرها الشاعر فسجّلها وقال :

إذا المرء لم يَخشَ الكريهةَ أوشكتْ حِبال الهوينى بالفتى أن تقطّعا

إلا أن هذه الملاحظة تصف أحد السببين ، والسبب الآخر يكمن في الحساب والتقدير والتخطيط ، فإن الداعية يكون في قمة الحماسة ويريد الإقدام : لكن

يصده الوعي الأمني ، والسياسة كلها موازنات مصلحية ، والتهور مذموم وباطل ، ولربما تبددت مكتسبات دهر من العمل البنّاء بغفلة سويعة عن مفاد المعادلات الميدانية ، **لذلك يصدر إحجام الفتى أحياناً عن استيعاب لقواعد التحرك ، لا عن خشية الكريهة ، وفي ذلك ما يمنع الواعظين من الاسترسال في لوم المرابطين إذا طال انتظارهم واقتضت الخطة شيئاً من مرونة .**

من هنا كان حديث النفس الدعوية هو مصدر الأمر بالتقدم ، بما فيه من بحث أصولي ، لا حديث منابر الإثارة ، ولا يمضي الداعية قُدماً إلا إذا :

قالت له النفسُ : تـقـدّم راشدا   إنـك لا تـرجـع إلا حـامـدا

فحينئذ يخطو وفي يده بيان المحامد إذا آب ، وهذا إنما تـترجمه قواعد التخطيط ووصايا الوعي والتحليل السياسي، فأما إذا أشارت البوصلة إلى الوجهة فإن الإقدام هو الحل ، وتكون شجاعة الشهداء هي المثال والنموذج .

فمن رحمة الله تعالى لعباده الصالحين : أن يأذن سبحانه في أن تتمثل معاني حكمته في كل جيل **بأنفار صارت الأقواس أهِلّة في صدورهم ، ودخلت بين قلوبهم والشغاف ، ليكون أحدهم سيد الوعاة الشجعان** ، وأحد حُداة الركبان إلى واسع الجنان ، محافظاً على عنفوان الأداء ، مع عقل وحكمة وإنصاف وتواضع وفقه وسلامة صدر وإضمار خير ، وقد سَبَقنا على فرس أصيل ، ونجح في أن يجعل سيرته وحادثة استشهاده مثالاً أعلى لنا ، نقتفي آثاره ، ونفعل الذي فعل ، فإنه لا يمثل بطولة فردية ، بل طريقة في الجهاد ومذهباً واعياً ، طالما أنه انتمى إلى عمل نظامي تحكمه خُـطة .

● **ويليق لنا أن نعلم أن " حركة الحياة " لها ظواهر وقواعد تمثلها ، وأن من هذه الظواهر السُـنَـنِـيّـة : " وجود السادة "** .

وفي تفسير قوله تعالى : (**ويذهبا بطريقتكم الـمُثلى**) :

(**أن الطريقة : الرجال الأشراف** ، معناه : بجماعتكم الأشراف والعرب تقول للرجل الفاضل : هذا طَرِيقةُ قومه ، وطريقة القوم : أماثِلهم وخيارهم .. وهؤلاء

طريقة قومهم ، وإنما تأويله : هذا الذي يُبتغى أن يجعله قومه قدوة ويسلكوا طريقته) [٧]... **والشهيد طريقة قومنا أهل السنة والجماعة في العراق ، وهو مَجْمع فضائل ، وخُطة عمل لمن يشاء .**

وفي الصفوف الجهادية وصفوف عموم الدعوة الإسلامية العراقية رجال ينتظرون ، وقد نمت أشواقهم الأخروية حتى لكأنها تعجل بهم ، لكنهم رجال يتقيدون بمفاد التخطيط ولا يتهورون ، وقد نظروا في الحياة ودرسوها وأمعنوا النظر في الواقع والجذر والتاريخ ، **فأيقنوا أن خطة " بناء جيل قيادي واسع " هي الضامن ، وأن القفز على هذه الحقيقة فيه افتيات على قواعد العمل الصحيح ،** فمن باب أولى أن يكون الانـصراف عن حل المشـكلة القـائمة إلى تـصديق شعار " ترك الجهاد من أجل إعادة إعمار العراق " افتياتاً أكبر على تسلسل عملية الإصلاح وخطة العلاج لآثار الاحتلال الأميركي وما نتج عنه من ثغرة دلفت منها الطائفية فأنتجت إرباكاً وثبوراً .

● وتلك هي الظاهرة الحيوية التي يلحظها المراقب النبه حين يكتشف الآثار القوية التي يتركها العنصر المقتدر ويطبع بها الحياة من حوله ، ووردت في كلام الأقدمين على سبيل الفخر بنبيل له ولع أنْ :

يبني الرجال وغيره يبني القُرى ... شتّان بين قُرىً وبين رجالِ [٨]

وفي ثنايا هذه الملاحظة **حقيقة قيادية ، تميل إلى رصد الجهود لتكوين مجموعة من الأكفياء لهم تميّز وشجاعة وإرادة ، ثم حقيقة أخرى أن هؤلاء الرجال يتحلقون من حول المربي القائد فتتكون منهم طبقة قيادية تمنع احتمالات السلب الكامنة في التفرد** ، من التبعية العمياء ؛ وانقطاع الأداء القيادي بالموت أو الغياب القسري ؛ والاستبداد بالرأي ، لأن من صـفة الرجـال أنهم يطيعون بوعي ، وأنهم يطالبون بحق الشورى ، ويقوم منهم سيد كلما غاب سيد .

---

(٧) لسان العرب ٢ / ٥٨٨ .

(٨) الخصائص ٢ / ٤٠١ .

وصوت هذا الشاعر يذكرنا بالسمت الذي كان عليه الإمام حسن البنا رحمه الله ، فإنه لما سأله رجل هامشي لم يتعرف بعد على طرائقه التربوية : لماذا لا تـتجه لتأليف الكتب ؟ أجاب : لأني أبني الرجال !!

ولا ينصرف إيماء الشاعر إلى المعنى المضاد للبناء المدني والإنتاجي وإعادة الإعمار والعناية بالخطة التنموية ، بل نحن أساتذة البناء والإعمار والتنمية ، وإنما يريد **أن الكتلة المعنوية العقلية الأخلاقية لازمة ، وفيها المنعة ، وهي إنما تقوم بالرجال وتـتمثل بالأبطال والحماة والمجاهدين والقادة** ، وأن تعلّق القلب ببناء قصر وزروع بستان ومناهج تنمية بإشراف دولي قبل التحرير : يُفضي إلى رخاوة تغري الغريب المنافس بعدوان إذا لم يكن هناك احتياط تربوي ينـتقي من أبناء القرية التنموية من يحرسها بحكمته وعقله أو بسلاحه ودَفْعِه .. ولا تـتغير صفة الخطأ كثيراً إذا كان الباذل زاهداً لا يبني القرى ويرصد جهده لاقتحام ، لأن التقدم له وقت وحساب وطُرق، ومن استوفى المقدمات يؤذن له أن يحوز نـتيجة، وهذا يعني **أن تميّزنا النوعي المطلوب إنما يكون بإجادة المناهج بعد بناء الرجال ، وبهما نحقق التفوق الاستراتيجي على المدى المستقبلي الطويل مهما عُورض بتراجعات مرحلية تـُميلها الضرورات وطبيـعة الانحياز الأميركي لمن عاونه وسالمه** ، ومداخل العلم وإتقان إدارة الأزمات فيهما عصمة مؤكدة بإذن الله .

● ومن المناظر الجزئية المهمة في حركة الحيـاة : المدافعة عن النفس ببذل النفيس ، وهي فِعلة الفارس العربي خُزَز بن لَوْذان السدوسي ، الذي كان يأمر امرأته بأكل التمر العتيق والماء ، **وأما ألبان إبــلهِ فكان يعطيها لفرسه يشربها** ، ليقوى على الحرب والطراد ، فعاتَبَتْه فقال لها :

لا تـُنكرِي فرسي وما أطـعـمتُـهُ

فيكون لونُــكِ مثل لونِ الأجرَبِ

إن الرجــالَ لهم إليكِ وسيــلةٌ

أن يـأخذوك تـَكحّلي وتَخـضّبي

(خاطَبَ امرأته حين عاتَبَتْه على إيثار فرسه بألبان إبله ، فقال لها : عليك بالتمر والماء البارد وذري اللبن لفرسي الذي أحميك على ظهره)[٩] .. وكان قد قال لها قبل ذلك :

● كذبَ العتيقُ وماءُ شنٍّ باردٌ ●

ويريد بالعتيق : التمر العتيق .. لذلك هدّدها فقال في الشطر الآخر :

● إنْ كنتِ سائِلتي غَبوقاً فاذهبي ●

والغبوق : حليب الناقة ، وقوله : تَكحّلي : أي تتكحلين ، وهو رواية حالها لو أسروها فيأمروها بالتكحل ، وليس أمره هو لها .

وهذا نمط من الاستعداد والذود عن الشرف يمثل حركة متميزة من حركات الحياة ، لا يفهمه المترف البطِر أيام الأمان ، **لكنّ القوم الذين يُعانون المعاناة النفسية من تفوق خصم لهم يعرفون هذا الإحساس جيداً ، وتكون لهم قناعة أن يبذلوا كل نفيس لتحصيل المنَعَة ، وأن يُقدّموا حاجة الظرف إلى عُدّة وخيل على حاجة البدن ، ومضى هذا المنظر الحيوي الفريد موعظة بليغة من هذا البدوي السدوسي يقدمها لكل الأجيال بعدَه إذا أرادت الوعي والتخطيط الصحيح ، وأن تذود عن المعاني ببذل المباني .**

وليست هي فِعلة هذا الشاعر فقط ، وإنما الكثير من الفرسان ، والحديث في موضع آخر عن (فرس كريم على صاحبه ، فهو يسقيه اللبن ، وقد أعَدَّ له أربع أسْقِية مملوءة لَبناً كالصخور الـمُلس في اكتـنازها تـُقدّم له في أول الصبح)[١٠].

● وعلى طول المدى: كانت نوايانا حسنة ، وصدورنا واسعة ، غير أنَّ نية الالتفاف إنما كانت تسيطر على المقابل ، **فالعملية السياسية بدأت بصياغة الدستور ، ولما اجتزنا شبهة وجود كراهة شرعية بسبب وجود سلطة محتل كافر ، ونجحنا في الحوار : استأثرت الأحزاب الشيعية بأمر تدوينه ، وحصل احتكار ،**

---

(٩) لسان العرب ٢ / ٦٨٠ .

(١٠) لسان العرب ٢ / ٦٩٥ .

وبعدَ جَدَل سمحوا لبعض الشخصيات السُنية بالمشاركة في صياغته ، ولكنهم حوصروا وكانت القرارات تـتخذ من دونِ مُراعاة لاعتراضاتهم .. **ثم حصلت تزويرات الانتخابات لتكون شاهداً ثانياً على صعوبة نجاح المشاركة في الحكم ، وأنه يراد لأهل السُنة أن يُحشروا في زاوية ضعيفة** ، وأن يطوَّقوا بحصار ويكون التفضل عليهم بعدد قليل من المناصب التي هي نـُفايات وليس فيها من حقيقة السيادة شيء ، **وهي أحوال أتاحت رواجاً لفكرة صد عدوان الميليشيات الشيعية الكامنة خلف هذه المظالم بتكوين مليشيات سُنية مقابلة ، أخذاً بتجربة رفع الضغط بضغط** ، وفلّ الحديد بالحديد ، وهي تجارب عامة في الحياة الإنسانية ، وتصاعدت هذه الأحاسيس بعدما استمرت سياسة منظمة بدر في اغتيال الناشطين من أهل السـُنة ، لا العلماء والدعاة والساسة فقط ، بل وحتى ضباط الجيش الذين تطوعوا في الجيش الجديد ، والأغرب من ذلك اتهام " القاعدة " باغتيالهم ، وواضح أن النمو التصاعدي للمقاومة العراقية من شأنه أن يُعزّز هذه الأفكار الدفاعية ويضغط في اتجاه الإسراع بها ، وذلك أمر ربما يميل بالحكومة العراقية نحو إعادة دراسة موقفها المهتز حالياً ومحاولة تجنب هزة أكبر لو استمرت في تجاهل حقوق أهل السنة ، وكأن الحكومة تريد الخروج من المأزق ، ولكن الضغوط الإيرانية عليها تمنعها .

● والذي يُعطي لهذه الأفكار قوة : أن المحيط العربي في العالم العربي كله ، ثم المحيط العالمي والأوربي بخاصة : متفاعل مع قضية أهل السُنة ويؤيدها وينكر التزوير والاحتكار ، وسيبقى مُظاهراً للمطالب العادلة لأهل السُنة ، وجهات التحليل السياسي والدراسات الإستراتيجية في العالم كله تسودها مثل هذه القناعات ، ولو أن قيادياً شيعياً أطرق ملياً وتأمل لأدرك بوضوح **أن مقاطعة أهل السُنة للعملية السياسية وهجر البرلمان سيجعل استمرار الحكومة الشيعية مشوباً بشوائب عديدة الأنواع تظل تنخر فيها حتى تنعزل وتكون آيلة للسقوط مع أول هزة قوية ، والهزة المنتظرة هي في الأغلب انسحاب الجيوش الأميركية** ، فهل هذا

حال يتوافق مع العقل والمنطق والحكمة؟ أم أنها نزوات حزبية وشهوات زعامات ليس لها رصيد علمي وإداري وتجريبي؟ والمتوقع أن تصاعد الرفض وأحاسيس التحدي سوف لا يقتصر على المحيط السُني فقط ، بل يكون عند عقلاء الشيعة أيضاً ، الذين تُحرك بعضهم مصالح تجارية ويريدون للاستقرار أن يحرك السوق حركة إيجابية ينتفعون منها ، وتُحرك البعض الآخر مصالح ومصاهرات وجوار ، وهناك سواد أعظم من الشيعة يريد أن ينام ويغمض جفنه من غير قلق وعذاب نفسي طال عليه بما صبّه عليه قادته من تواصل الإنذارات وتحريك المصادمة والتوتير ، وكل هذه العوامل ستتعاضد لتكوين تأثير سلبي يعاكس سياسة الأحزاب ورجال قائمة الائتلاف ، وإذا كانت الدعاية الشيعية قد قامت على فكرة "المظلومية" فإن وعياً شيعياً سياسياً بدأ يسود يلخص الأزمة بأن الجعفري وعادل عبد المهدي وعبد العزيز الحكيم يتطور أمرهم إلى تشكيل **قيادة تتاجر بمصالح الجمهور الشيعي وتغامر بتصعيد التوتر الاجتماعي وتعميق الولاء لإيران ، ولذلك تضاعفت جبهة الرفض العروبي لمثل هذه السياسة في المحيط الشيعي نفسه ، ونموها إنما هو شاهد صدق لما نقوله من احتمال الفشل الوشيك الحدوث لسياسة الارتباط بإيران ، وبخاصة أن استمرار التوتر قد يقود إلى مكابرة تجعل تقسيم العراق هو الحل في نظر القاصرين** ، وهذه خطوة خطرة ستؤثر سلباً على المدى العاجل والبعيد في المجتمع الشيعي ، وتجعله يؤكل من قبل إيران ، ويحدث له مثل الذي حدث للأحواز ، وتذهب فرصة العلاج ، إلا أن يكون الترقيع ، فوق ما سيحدث من انقلاب خطط الأمن الاستراتيجي لكل المنطقة .

وهذا الذي يجعلنا نقول : إن التزوير سهل على الأحزاب الشيعية ، ولكن الاستمرار في الحكم صعب للغاية ، وإذا كنا نقول هذه المقالة لأنفسنا ونعظها بأن الفوز في الانتخابات ربما سيكون سهلاً وأن استمرارنا هو الصعب ، لوجود التدافع والابتزاز المحتمل من المنافس ، فإن التوجه بمثل هذه الموعظة للائتلاف

أكثر واقعية ومنطقية ، لأسباب عديدة ، ونفترض أن زعماء السياسة الشيعية يميزون ذلك ، ولكن الإنسان في كثير من الأحيان يلغي عقله ويتبع عواطفه ، ويحيد عن الموازنة إلى المجازفة .

● **واستحقاق آخر يترتب على قبولنا النتيجة المزورة : يتمثل في إقرارنا بشرعية قدوم جيوش عربية ومن بلاد إسلامية لتقاتل المقاومة العراقية مباشرة وكالة عن الجيش الأميركي ، لإتاحة فرصة الانسحاب له** ، أو القيام بحفظ الأمن في العراق وكالة عن الجيش العراقي والشرطة العراقية من أجل تمكينهما من التفرغ لمحاربة المقاومة وكالة عن الجيش الأميركي ، وهذه التكييفات هي التي حرصت الإدارة الأميركية على الحصول عليها من وراء الانتخابات ، وأرادت إيجاد حكومة منبثقة عن برلمان لتتاح صورة قانونية دستورية تستند إليها الحكومات العربية عند إرسال جيوشها إلى العراق ، وهي خطوة مشبوهة تجمّعت شواهدها ودلائلها خلال الشهر الأخير من مصادر شتى ، ومن فلتات الألسن .

أول ما بدأت كانت مجرد إشارة من نائب في البرلمان السوري قال في قناة الجزيرة أن أميركا لا يرضيها أن تستجيب سوريا لمطالب التحقيق في قضية مقتل الحريري ، وإنما تطلب أن تبعث سوريا جيشاً يُقاتل الإرهاب في العراق .. ثم تلاه المحلل السياسي أبو خليل أستاذ العلوم السياسية في جامعة مشيغان فذكر أن فكرة الانسحاب الأميركي من العراق مبنية على إمكانية قدوم جيوش عربية إلى العراق ، ثم انبرى رئيس الأركان في الإمارات الشيخ محمد بن زايد فقال : إن الإرهاب يُقدم نفسه باسم الإسلام ، والإسلام إسلامنا ، ولذلك نكون أحق من الآخرين بمحاربته ، يعني أنه أحق من الأميركان بذلك ... واستمرت الشواهد تـترى ، وكان آخرها ما في ثنايا جولة نائب الرئيس الأميركي ديك تشيني في المنطقة وذهابه إلى إسلام آباد والرياض والقاهرة من أجل الحث على إرسال جيوش إلى العراق ، وجاء البيان الختامي لاجتماع رؤساء وملوك مجلس التعاون الخليجي في الرياض بعد ذلك ليذكر مساعدة العراق في محاربة الإرهاب ، فتمت

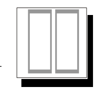
الصراحة ، ومعنى كل ذلك أن جبهة التوافق العراقية الممثلة لجمهرة أهل السُنة لو تنازلت عن اعتراضها ومرّرت النتائج المزورة فإن ذلك يعني أنها بالتالي ستكون راضية عن قدوم الجيوش العربية والباكستانية إلى العراق لأداء المهمة المريبة في كبت الجهاد وإسناد الدولة الشيعية والدستور العدواني ، وتلك نتائج خطرة لا يُبعدها سوى الرفض الحازم .

● ومما يوجب الحزم أيضاً : أن أهل السُنة قد ابتنت خطتهم في تعديل الدستور المعيب على بذل جهد في مجلس النواب يوصل إلى قرار بالتعديل ، وقد اضمحلت هذه الفرصة الآن بعدما جعل التزويرُ تحالفَ الائتلاف أكثرية يصعب علينا تحديها ، **ومعنى ذلك فوات فرصة التعديل إذا ارتضينا نتائج المفوضية العليا للانتخابات ، ومعنى ذلك بالتالي رُزوح أهل السُنة وعموم العراق تحت أنواع من الظلم عديدة احتـواها الدستور ورفضها الإسلاميون والعروبيون والليبراليون ، وعند انغلاق الطرق القانونية والعُرفية يكون الحزم هو البديل** ، وبخاصة أن حكم الائتلاف المؤيَد بالتوجه الكردي العام سيمنع مطالبنا العادلة بتحييد الجيش العراقي الجديد وقوات الشرطة ، وسيبقيهما تحت نفوذ الميليشيات الحزبية الموالية لإيران ، ويُغير مناهج التربية ، ويُطلق يد الفيدراليات والمحافظات في الثروة النفطية والمعدنية ، ويطمس المعالم المركزية لبغداد ويجعلها تابعة للفدرالية الجنوبية ، إذ هي عاصمة ، **مع سلبيات أخرى سيفرزها استمرار تنفيذ الدستور الممسوخ الذي هو تعبير عن المشروعين الشيعي والكردي ولا يمثل المصالح العراقية العامة ، ويسلخ العراق من انتمائه لمنظومة الأمن الاستراتيجي العربي ، وبالأخص : ما سيكون من عقد معاهدة صلح وتطبيع مع إسرائيل يستعد حكم الائتلاف لتمريرها ثمناً للموقف الأميركي في مساعدته ، مع معاهدات دفاعية أخرى مع أميركا تُكبّل خطط أحرار العراق للانعتاق من دائرة التأثير الأميركي ، ومشاكل أخرى ، أهونها : مشكلة المياه مع تركيا ، ومع الفدرالية الكردية التي تنبع روافد دجلة من أرضها ، ومشكلة سحق الاقتصاد العراقي عبر التهاون في فرض شروط على اتفاقية التجارة الدولية ، مما**

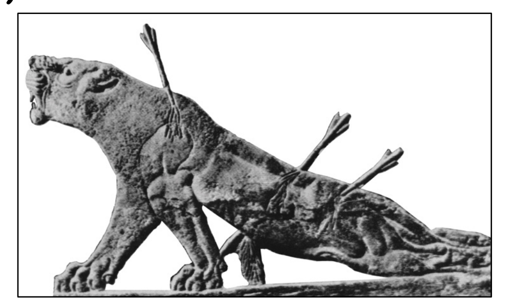
يمهد لغزو الشركات العابرة للقارات للعراق غزواً يجعل الغزو الأميركي العسكري للعراق أرحم منه .

● ومما طرأ على القضية : تدخّل التحالف الكردي وسيطاً يدعو إلى الحوار والطرق السلمية ، في شخص رئيس الجمهورية الطالباني ، وبَرْهَم صالح ، وظاهر الأمر جميل ، ولكن علينا **الحذر من أن تكون عروضهم السلمية مجرد محاولة امتصاص لغضبتنا بشكل تدريجي يوصلها بعد مدة إلى درجة الشلَل ، وعندئذ ترتفع دعوة لقبول النتيجة بحجة الواقعية ، وأن فن السياسة هو فن الممكن ، وأمثال ذلك من المقولات التي تفتات على حقوق أهل السُنة تحت ستار الحكمة والتعقل ووحدة الصف ، بينما قيادة الائتلاف تُصعّد من عنادها وتصرح بعدم إعادة الانتخابات ،** وتهدد باستعمال قانون الإرهاب ضد جبهة التوافق ، وتندفع في خطتها الاستئصالية لأهل السُنة ، كالذي حدث من قتل أكثر من ثلاثين من شباب منطقة الجهاد من السبع والخمسين الذين اعتقلوا ، وحدث ذلك بعد المظاهرة المليونية لجبهة التوافق ، وفي الليلة التي سبقت المظاهرة كان قتل سبعة عشر شاباً من منطقة المعالف والدورة ، وفي صباح الأحد جرى اعتقال جمهرة من شباب حي الفرات وغيره ، وفي يوم ٢٨ / ١٢ / ٢٠٠٥ حدثت مجزرة في معتقل الكاظمية ببغداد راح ضحيتها أكثر من عشرين من أبناء السُنة قتلى بحجة أن احدهم اخترط بندقية من حارس وقتل حُرَّاساً وضابطاً ، مما يعطي الانطباع عن **أن الحوار الذي يقترحه رئيس الجمهورية لا معنى له ، فوق أن هذا التدخل الكردي يراد لتحويل أنظار أهل السُنة عن تزوير كردي مماثل آخر جرى في كركوك بخاصة ، وفي كردستان بعامة .**

● وأخيراً : علينا أن لا نغفل عن أن شعارنا المركزي الذي أعلناه : إنما هو : إخراج المحتل المستعمر ، والحفاظ على وحدة العراق ، وأن علينا خلال صخب الاختلاف مع الائتلاف أن لا نفرط بكركوك ، فإنها عراق مُصَغّر ، والأحزاب الكردية تريد سكوتنا عن كركوك ثمناً للضغط على الشيعة ، ونحن في محنة عامة شائكة ، ولن ينقذنا منها موقف عائم ، بل موقف قوي فيه ثبات على المبادئ ، وعلى مشروع وحدوي ❑❑❑



آهات لبوة يونس



□□ عجيبة هي قصص الابتلاء ، وتجتمع السهامُ أحياناً والضربات من كل الجهات ، كمثل اجتماعها على لبوة نينوى زمن يونس عليه السلام ، حتى ليحتاج المؤمن العراقي القوي الإيمان اليوم إلى مَدَد في صورة زيادة إيمان ليبقى لابثاً عند ركن الرضا عن الله تعالى ، والتسليم بعدله ، واليقين بأن حكمة ربانية خفية تكمن خلف مسلسلات الحوادث ومحنة العراق ، وبالأمس حصل اختطاف طالب جامعي في حي العدل ببغداد هو الوحيد العدل الصاحي من بين خمسة أشقاء آخرين فيهم تخلّف ، وأهله فقراء ، وتريد العصابة عشرة آلاف دولار فدية لا تملك العائلة منها مائة دولار ! ! هذه الحادثة نسوقها ليتصور الغافل والعراقي المهاجر حجم مأساة العراق المعاصرة ، وأنها ليست سياسية فقط ، بل سرى الخلل إلى جميع المرافق الحيوية والتفاصيل اليومية، لفراغ السلطة وغياب القانون .

● ولا نجد لمصيبة العراق مثلاً سوى ما حصل لمفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبد المعطي بن أحمد الحريري قديماً بمصر قبل مائتي سنة ، خرج من داره إلى قوم مختلفين (ليصلح بينهم ، فلما ذهب إلى بولاق وأراد النزول في السفينة : اعتمد على بعض الواقفين ، فعثرت رجله ، فقبض ذلك الرجل على معصمه فانكسر عظمه لنحافة جسمه ، فعادوا به إلى داره واحضروا له مَن عالجه حتى برئ بعد شهور وفرحوا بعافيته ، ودعاه بعض أحبابه بناحية قناطر السباع ، فركب وذهب إليه ، وكانت أول ركباته بعد برئه ، فلما طلع إلى المجلس وأراد الصعود إلى مرتبة

الجلوس زلقت رجله فانكسر عظم ساقه ، وتكدر الحاضرون وحملوه وذهبوا به إلى داره وأحضروا له المعالج ، فلم يحسن المعالجة ، وتألم تألماً كثيراً ، واستمر ملازماً للفراش نحو سبع سنوات) [1] .. فهذا درس في الأقدار حين تجتمع على ذي صبر : كسر ، ثم كسر ، ثم جهالة طبيب تعطله سبع سنوات عجاف .

فما ينبغي لعراقي أن يعتب على الله بعد تذكيره بمثل هذه القصة ، لأن لله حكمة ، فوق أن السكوت عن المنكرات السياسية على مدى نصف قرن يجلب عقوبة ربانية ، والساكت عن الحق شيطان أخرس كما يُقال ، وكانت الخِفّة السياسية هي السمة البارزة لأهل العراق خلال الجيلين أو الثلاثة أجيال التي ما زال أبناؤها أحياءً ، فهم بين رجل عجوز اليوم كان شاباً اشترك في سحل الجثث عند ثورة تموز وبعده زمن سطوة الحزب الشيوعي العراقي ، أو رضي بقلبه واستحسن تلك الفعلة الشنيعة ، وبين بعثي وحزبي من حزب آخر رضي بسياسة الاحتكار والسجون والقمع ، وهتف طويلاً للباطل ، أو قومي من الغلاة يحتقر أبناء القوميات الأخرى ، بعد أن جمعهم الإسلام في حياة أُخوية قروناً ، أو طائشٍ نفذ صبره ولم يبق مؤمناً ففرح بالغزو الأميركي لبلده وتوهم فيه حلاً وإنقاذاً ، وخالف فقه الشرع فظن أن الكافر يرحمه ، وليست هي رحمة الله فقط ترحمه ويستجلبها بطاعة الله ودعائه ، واقل الآثمين إثماً : رجال كسلوا عن الصلاة فتركوها ، وانكبّوا على ألعاب في المقهى يـتعالى عندها صخبهم ، وكلمات كفر بالله ، وأيمان طلاق " فاشوشية " .. وحين أحضروا الأمم المتحدة كطبيب معالج يمنح الشفاء للعراق : كانت مثل طبيب محمد عبد المعطي ، فلم تـُحسن المعالجة ، وزاد الألم .

وحين زهدوا في الطب الكيماوي الذي جلبته هيئة الأُمم : أرادوا طباً أعرابياً شعبياً أعشابياً ، فجلبوا جامعة الدول العربية ، فإذ هي تداوي سرطان العراق بالحبة الحلوة والكمون والقرفة الدارْسين ، وتـُبشّر بشفاء .

---

(١) تاريخ الجبرتي ٣ / ١٠٨ .

● أما الطبيب الداخلي : فهو أردأ وأسوأ ، فكل أحد يزعم أن فكره الأصح ، فيؤسس حزباً وكتلة وقائمة انتخابية ، حتى صار الأطباء كثرة ، وحصل الازدحام الفوضوي ، وصدقت صورة من صور الحياة كان شاعرٌ قد رأى مثلها فوصفها فقال :

جا بِزَحْمٍ مع زحمٍ فازّدحمْ تَزاحُمَ الموجِ إذا الموجُ التطمْ

فلأن الشرع ليس هو الحَكَم ، وآداب الإيمان في عالم السياسة غائبة : فإنّ الأحزاب والصيحات تكثر ، والتكتلات والأفكار تحتل سوق المزايدات ، فيكون ازدحام الآراء المتناقضة ، وكل من في الساحة يزعم عشق ليلى ويحتكر ويريد أن يصادر رأي الآخرين ، فيكون الازدحام ، وتلتهي الأطراف في فضّ الاشتباك ، وفي غمرة ذلك تكون قضايا الأمة منسية ، وتضميد جراح المتخاصمين هو الشغل ، وتكون هدنة بمقدار ما تلتئم بُؤر الآلام ، ثم يكون التنادي لازدحام آخر وصراخ وصخب وعدوان ، ويحصل استئناف لجولة ثالثة ، ثم سابعة ، حتى يصيب الإنهاك مَن هُنالك ، فتكون توبة عن السياسة وتناطح الأفكار ، وتكون بلوى الإحباط ، وتصبح التنمية والنهضة والتطور والجهاد في خبر كان ، ومجرد ذكريات ضبابية ، وعندئذ ينزوي المخلص جانباً ، وتخلو الساحة لخائن ومفسِد وعميل .

● ومن أجل ذلك تـتبدل أسماء الأحزاب والطآمّات الكبرى وتنزع ثوبها القديم ، وتـُنكر تاريخها الهَدمي ، وتنتسب إلى مؤسسات الفكر ونوادي الدبلوماسية المخادعة ، تماماً مثل القنّاص الذي يتحايل ، فينزع عنه ثيابه لئلا يفضحه لون قميصه فتهرب الغزالة ، ويوصف عندئذ بأنه طَمْلٌ أو طُملول ، وهو المتقشف الأغبر ، أو العاري من الثياب ، كما في لسان العرب ، وما هو بزاهد ولا فقير ، وإنما صنعة المخادَعة تـتطلب منه ذلك .. وهذا فن يستعيره الجاسوس ، ويميل إليه السياسي لإرضاء جمهوره فيتلون لهم وينزع ثوبه القديم ويلبس ثوباً يسلك به من باب الطوارئ .

● ويبقى هذا الخَتْلُ أهون من سيطرة الأهواء ، والنزعات الشخصانية ، فإنها هي المسؤولة عن اختلال الموازين ، وانحراف أعمال الذين يقاربون عالم السياسة بدون تربية إيمانية والتزامات أخلاقية ، ويكون المستأثِر التابع للشعوبي الموتور مقتدياً بفعلة عامر بن مالك حين افتخر بضرب ضرار بن عمرو الضبي وهو يحسب أنه يُحسن صنعاً ، فقال :

يَمّمَتُهُ الرُّمحَ شَزْراً ثم قلت له : هذي المروءةُ لا لِعْبُ الزَّحالِيقِ

فيحسبها مروءة وهي هدم وخيانة ، ولمن ؟ لابن جلدته وبلده وشريكه في الإسلام والوطن !! وظاهرة الاغتيالات في عالم السياسة العراقية المعاصرة لن تزيد على أن تكون بعثاً لطرائق الجاهلية القديمة هذه التي يغذيها النظر الشزِر ، والتوتر ، والعبوس ، ولا مجال فيها لصلحٍ أو غفران .

وما كان عامر بن مالك وحده ، وإنما جيل يتواصى بالقسوة ، وكان صخر بن عمرو بن الشرِّيد منهم ، وهو الذي يقول :

ولقد دفعتُ إلى دُريدٍ طعنةً نجلاء تُزغِلُ مثلَ عَطِّ المنْحَرِ

والطعنة التي تُزغل : هي التي تجعل الدم يتدفق ، واليوم تدخل خطة شاملة ، بإمكانات دولة منافسة ، أوهمت أبناء عمومتنا ، فجعلتهم يدها التنفيذية لغاياتها الانتقامية .

● ولكن المحنة تبقى أوسع وأعقد ولا نظير لها في بلاد أُخرى بنفس المستوى ، وصورة هذا التعقيد حاصلة في أنّ وحدة العراق واستقراره لا تعاكسها الخطط الأميركية والإيرانية فقط ، ولا الطموحات الطائفية الاستئثارية وحملات الاغتيالات فقط ، ولا المساعي الكردية نحو الاستقلال فقط ، وإنما هناك مشاركة في ذلك باسم الإسلام في صورة " تكفير " وترويج لنوع من العنف لا تعترف به مناهج الجهاد العراقي ومواثيق " المقاومة العراقية للاحتلال الأميركي " ، ويقتحم هذا المفهوم الغريب على العراق من خارجه ، واستمال بعضَ الشبابَ العراقي معه ممن لم يتخرجوا من صفوف التربية الدعوية ، فلجأوا

إلى استحلال دماء المسلمين ، وابتدعوا مفهوماً يقول بزرع الفوضى وتأخير التعامل مع نتائجها ، وهنا مكمن الخطر ، لأن هذه المجموعة ليس لها فكر سياسي محدّد واضح ، وإنما هي تدعو للهدم والنقض والخلط ، ثم انتظار النتيجة ، لتصف لها بعدئذ حلاً وعلاجاً ، ناسية وذاهلة عن أن الفوضى إذا عَمَّتْ فإن البناء يكون صعباً ، سيما وأن مخالفي هذه الطريقة ممن يخالفون استناداً إلى التجربة الدعوية هم أول ضحاياها ، وليس ضحاياها دعاة الشعوبية وكبار المتعاملين مع الأميركان ، وكأنها الطريقة البالية التي أنتهجها الخوارج ، الذين تركوا جهاد الكفار وقاتلوا جيوشَ المسلمين ، وبقيت هذه الطريقة تجد لها من يقبلها في ظروف الفراغ الدعوي الناتج عن انشغال الدعاة في السياسة وفي تفاصيلها اليومية ، من التحركات الانتخابية والإعلامية والأمنية ، ومن انشغال آخرين بجهاد المحتل ، حتى فقدت البيئة المسجدية الكثير من زخمها التربوي والعلمي ، وحصل ترجيح للعواطف على القواعد العقائدية والحقائق الفقهية ، وصار صغار الشباب يرون في أنفسهم الأهلية للفتوى والجرح والتعديل وإصدار الأحكام ، وهذا الحال المختلط أصبح لفظ " العنف " يضيق عنه ويقصر عن وصفه ، وأصبح من اللائق أن نلجأ إلى اصطلاح أوردتــْـهُ بلاغة القدماء ، هو أوفى وأدق وأصح في الوصف ، وهو اصطلاح " فوق العنف " الذي ينطبق على أوصاف محنة اليوم ، وذلك من قول غيلان الشاعر :

ما زلتُ بالعُنف وفوقَ العنفِ حتى استُفِزَ الناسُ بعد الضَفِّ(٢)

أي بعد الاجتماع وحصول لفيف الجماعة الذين يلتقون على أمر واحد .

وهذا كلام قديم قبل ألف سنة وشيء ، لكنه يصف أثر العنف المعاصر في تفريق جماعة المسلمين ، والإبداع فيه أنه يؤسس مفهوماً زائداً سماه " **ما فوق العُنف** " ، وهو في حالنا الحاضر : إكساب العنف فلسفة وتسويغه شرعياً بالباطل وبالفتوى التي تحوم حول الظاهر ولا تستنبط من عمق النص ، وإبداع " **إحياء فقه**

---

(٢) لسان العرب ٢ / ٥٤١ .

الدعوة " يكمن في إحياء هذا الاصطلاح وإعادة استعماله ، ليكون حثٌّ على تأسيس رد فكري فقهي على مذهبٍ في العنف المعاصر في دلائله رِكّة وفي شواهده أوهام ، وأصل الاجتهاد فيه أن يُوجِد العُنفي فوضى عارمة ، ثم يؤجل بحثه عن كيفية تعامله معها بعد حصولها ، وذلك إغراء شيطاني يجعله يهدم أولاً ، ثم ينسى البناء والعلاج ، وهو منطق سلبي كله يذهل عن الإيجاب والمقدمات .

● وهذا المذهب في " **السُوبَر عُنف** " المتفلسف المستند إلى تنطّع : كان التابعون يخافون منه ، ولهم تحذير منه متواتر جعل وهب بن منبه يقول في مواعظه :

(إن للعلم طُغياناً كطغيان المال)

(أي يحمل صاحِبَه على الترخّص بما اشتبه منه إلى ما لا يحل له ، ويترفع به على مَن دونه) [٣] .

وهذا هو الذي يحصل في فتنة التكفيري : إعطاء الشبهة منزلة تقحمه في الدم الحرام ، مع التكبر على بقية الفقهاء الذين يخالفونه .

● أما المفتي الذي يتحرى الصواب : فإنه يراعي أثر فتواه ، ويحرص على أن لا تسبّب للناس حيرة وذهولاً ، وبحقٍّ قال الأعرابي لابن عباس رضي الله عنه يوم أغرب وأفتى بالمتعة .

(ما هذه الفُتيا التي شَعَبْتَ بها الناس ؟) .

أي : فَرَّقْتَهُم[٤].. وفي لفظ أنه قيل له يوم ارتكب الغرابة :

(ما هذه الفُتيا التي شَغَبْتَ في الناس ؟) .

الشغْب : بسكون الغين : تهييج الشر والفتنة والخِصام ، والعامة تفتحها ، وتقول : شَغَبْتهم ، وبهم ، وفيهم ، وعليهم[٥] .

ولذلك ، ولأنه تقي صحابي ثقة : رجع عن فتواه وقال بالتحريم [٦] .

---

(٣) لسان العرب ٢ / ٥٩٦ .

(٤) لسان العرب ٢ / ٣٢٠ .

(٥) لسان العرب ٢ / ٣٢٩ .

● وخطة العلاج لهذا " **العنف** " و " **فوق العنف** " ليست هي المصادمة على الأرجح ، إلا عند التمادي الشديد ، بل إطالة الصبر ، وامتصاص الصدمات ، والتعويض عن الفاقد وعن الإلهاء الميداني بعمل دعوي مكثف يرجع بالدعوة إلى أعرافها الأولى في التجميع والتربية ودرس التجارب ، وأساس ذلك : العمل الفردي واصطفاء الأخيار من الشباب وتعليمهم آداب الإسلام وأحكام الفقه ومذاهب الأخلاق ، متابعة للظاهرة الحيوية التي تقول :

● إنَّ القَرينَ يُورِدُ القرينا ● (٧)

إشارة إلى التأثير في الآخر قولاً ، والتأثير فيه بالمنظر ، فيقتفي ويُتابع ، وذلك إملاء بطيء في حصوله ، لكنه نافذ ، ولذلك يستثمر القوي الفكري هذه الملاحظة فيخالط ويقارن العشرات والمئات ممن هم أضعف ، ليحذوا حذوه ، فتتحرك الحياة ، وذلك مبتدأ العمل الدعوي ، وفن الداعية يظهر يوم ينجح في أن يكون صديقاً وقريناً ، لعشرين وثلاثين وأكثر ، فإنه سيجد من يقلد اجتهاده وتحليله ونظراته للأمور ومسار السياسة .

والشاب الصاعد الذي يروم معرفة أول درجات صعوده : مُطالب بمثل ذلك من طرفه ، وأن يعلم أن نجاحه يكون في أن يتتلمذ على الدعاة ، وأن صفة القرين هوية ، ولقاضي البصرة الذكي المشهور إياس بن معاوية بن قرة المزني ميزان صحيح في تمييز الناس ، فإنه ..

(دخل مدينة واسط ، فقال لأهلها بعد أيام : يوم قدمتُ بلدكم عرفت خياركم من شراركم .. قالوا : كيف ؟ قال :

معنا قوم خيار ألفوا منكم قوماً ، وقوم شرار ألفوا قوماً ، فعلمت أن خياركم من ألفه خيارنا ، وكذلك شراركم !) (٨).

---

(٦) لسان العرب ٢ / ٣٣٧ .

(٧) لسان العرب ٢ / ٥٣٨ .

(٨) الأعلام للزركلي ١ / ٣٣ .

فالأمر أبسط مما يظن الجافل ، وما لصاحب النية الحسنة مهرب ، فإن الأرواح جنود ، ويقع الشكل على الشكل ، وبإمكان الناس أن يعرفوا مذهب المرء من حال قرينه وصديقه ، وعليه أن ينظر لنفسه اسمها ، فإنه هو ولي تصنيفها وتعريفها ووسمها ، واختر أصحابك ، وخالط البررة وألجأ إلى الدعاة ، يزكو لقبك ، وتدرأ عن عائلتك الغيبة ومقالة السوء ، أو عن بنيك وأحفادك ، فإن أحدنا ما يزال تقول له الناس : ابن فلان ، أو يستقل فيُقال له : أبو فلان .

● وتظل المعاني الجميلة تنمو حتى ترفع الحواجز بين الصديقين والأخوين فيتحد القلبان ، وحتى تصير أموالهما مالاً واحداً ، كالذي كان من أديب كتب إلى أخيه أنْ : إنّ (**أحوالنا فيما نملكه متكافية ، وأمورنا فيه متساوية ، ونحن - أعزك الله - روحٌ اقتسمه جسمان ، ونَفْسٌ مَثَلَ بها شخصان**) حتى صار (**الأنس - أعزك الله - بيننا نسباً يوجب التشارك في الأرواح**)[٩] .

ويزداد جمال هذه المشاعر الحقّة إشراقاً في هذا الزمن اليابس الذي ضعفت فيه خصال المروءة ، وما تزال خصال الأجيال القديمة ترتفع ، ويحل محلها حسد وبخل ، وذلك يوجب على الدعوة الإسلامية المعاصرة - إذ هي في فورتها السياسية والفكرية - أن ترصد شطر جهودها لإحياء الأخلاق وتعمير القلوب وإزالة صدأ النفوس ، وأن تقدم مثالاً في كل قرية لهذا التآخي العميق الذي به يتم النفوذ الاجتماعي ، فيؤدي إلى نفوذ سياسي جزماً ، بإذن الله ، ويظهر برهان جديد على صواب المعادلات الخططية التي توصي بالنظر البعيد والإقلال من الصخب ، وانتهاج نهج البناء التربوي ، والانطلاق من عند أركان محاريب المساجد ، وتحريك الحياة عبر العِلم ، وتزكية القلوب ، وإخلاص النوايا ، وتصافح الإخوان .

● فإذا اتبع الدعاة هذه السُنن في التكوين التربوي والربط القلبي فإنه يوشك أن ينطبق عليهم قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العلماء :

---

(٩) البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ١ / ١٧٢ .

(**تنعطف عليهم بالعلم قلوبٌ لا تَـصُورها الأرحام**) .

(أي لا تُـميلها .. هكذا أخرجه الهروي عن عمر ، وجعله الزمخشري من كلام الحسن)[١٠] .

بمعنى أن العلم يُقيم روابط وأنساباً وعلاقات بين العالم وطائفة من الناس ممن يستهلكون علمه وينتفعون به ، وهي مثل روابط الأرحام أو أقوى ، فتكون للفكر حركة وتأثيرات من خلال المشايعة والتصديق ، وهي الباب الأوثق للعمل السياسي ، لا مجرد العمل الجماهيري .

فيكون ذلك مفتاح الاستدراك الدعوي على الوضع المتفرق المتردي لأهل السُنة والجماعة في العراق ، فإن مشكلتهم داخلية في أنفسهم قبل أن تكون خارجية يحيكها حزب منافس وقائمة ائتلاف يفوز ، والعيب في التفرق ، وتعدد مذاهب الفكر ، وهبوط مستوى البذل ، والجري وراء الزعامات التي لا تسجد لله العلي القدير .

● وعند المشكلات وحين يتسع الخرق ، وتضيق الرقعة ، ويقل الراقع ، ويطرأ الخلل على جوانب الحياة كلها ، كمثل ما عليه الوضع في العراق بعد الاحتلال الأميركي : فإن مداراة الأمور إنما تكون بأن يرضى الداعية المسلم الإصلاحي حمل ضعف الواجب ، بل الأضعاف المضاعفة ، لأنه الباني الوحيد بَين هادمين ، والنقي بين مشوبين ، وهو الذي :

عنده البرُّ والتُقى ، وأَسَى الشــقِّ ، وحملٌ لمضْلِعِ الأثقال

وغيره بعيد عن التقوى والجد .. فإيمان الداعية يمنحه شعوراً بالأسى عندما يرى المشقة ترهق الناس ، فينتفض ويتصدى للإصلاح ، ويقبل حمل الثقال والمهام الجسيمة التي تئن منها ضلوعه ، ومع ذلك يغمره الفرح أن اختاره الله للتفريج عن كُربة أصحاب الأنين ، وأنه موعود بأجر وينظر إلى الآخرة ، فيشكر ربّه على هذه الهمة الفريدة التي اختصه بها ، ويطفق يتحدث بالنعمة ويقول :

---

(١٠) لسان العرب ٢ / ٤٩٢ .

جَعَلَ الرحمنُ ، والحمدُ له   سَعَةَ الأخلاق فينا ، والضَّلَعْ

نعمة جمال الأخلاق وامتداد آفاقها ، ونعمة الأضلاع القوية التي تحتمل الشدائد والعمل الدائب بلا شكاية وسأم ، وكل ذلك فضل من الله تعالى أنزل نواته وأودعها في جذر قلوب الدعاة ، ثم نتاج التربية الإيمانية المنهجية التي هُدوا لها واقتفوا بها آثار الرسل عليهم السلام .

وتلك هي أوثق خطة في عالم السياسة : أن تدلف من باب الإصلاح والتربية .

وأن تنطلق من زاوية المحراب نحو .. سياسة ... وجهاد .

● وخلاصة ذلك : أن وصفة السياسة صحيحة ، وهي التي ترسم طرائق تحصيل الحقوق ، وأن وصفة القوة والدفاع والجهاد صحيحة أيضاً ، وهي التي تحرس الحقوق ، ولكن ساحة السياسة وساحة الجهاد إنما ندلف لهما من باب التربية والعلم والثقافة ، ويلزم أن نلبث متأملين مفكرين مخططين عند أركان المحاريب ... وكان احتكار صدام للسلطة مدة طويلة وكبته للعمل الحزبي وعدم سماحه بالتعددية : جعل أهل العراق بلا تجربة سياسية تؤهلهم لحياة مثل حياة بقية الأمم ، حتى قياساً بوسط أفريقيا وموزمبيق .

فأما الأحزاب الشيعية والكردية : فإن هذه الحقيقة اتضحت فيهم حين انحصر فكرهم السياسي بعد الفوز الانتخابي التزويري بالانتقام والثار والتصفيات والاحتكار ، وإلغاء الطرف الآخر ، فهم في السلطة ، ولكنهم بلا أهليةٍ لحكمٍ مستقر وعادل ، وقوائم فيلق بدر التي يقترحها للاغتيال شاهد ، وهجمة مخابرات كردستان على مقرات حزب الاتحاد الإسلامي في محافظة دهوك شاهد آخر .

وأما أحزاب العرب وأهل السُنة : فإن هذه الحقيقة اتضحت فيهم بشكل بساطة وعفوية وقلة خبرة بدروب السياسة ، وقد أجادوا جهاد المحتل ومعارضته والمطالبة بجلائه ، لكنهم لا يعرفون طرائق التفلت من مكر الساسة المنافسين ، وأصبح يلزمهم إلى جانب التربية والإيمان ... وعي ونظر استراتيجي ومرحلي □□□

□□ كل الحياة السياسية في عالمنا الإسلامي يسودها خلل واضح ، واضطراب يعطل الطاقات ، ويتبين ذلك جلياً من خلال عملية مقارنة بسيطة بما عليه الوضع العام لحقوق الإنسان وقضايا الحرية إذا قسناها بالذي يُفترض أن يكون ، وموطن الخلل يكمن في "الإنسان الممارس" للسياسة ، وفي "القيادات" و "رجال الدولة" ، ذلك أن عقولهم وقناعاتهم لم تتطور إلى الدرجة التي توازي التقنين ونصوص الدساتير ، وهي متأخرة عنها ، وما زالت تسيطر على الأكثرين روح الاستبداد والطغيان وإلغاء الآخر والاستنجاد بالإرهاب ، وشر ذلك وأقصاه في مذهب السوء : إرهاب السلطة .

ففي يوم واحد وساعات متقاربة تلتقي شواهد من مصر وكردستان العراق ، مختومة بختم واحد يفصح عن أُمية سياسية لدى السلطة ، وسلوك عامي وغوغائي في مواجهة المد الإسلامي الصاعد ، ففي الحين الذي كان ثمانية قتلى في الجولة الثالثة من الانتخابات المصرية يتضرجون بدمائهم البريئة ، وبجوارهم خمسمائة جريح : كان القسم الغربي "البهديناني" من كردستان العراق يشهد سقوط أربعة قتلى وعشرات الجرحى ، وبأسباب انتخابية ، على يد رجال المخابرات وقوات "البيشمركه" البارزانية في مدن دهوك وزاخو وعقرة وغيرها ، وكلهم من رجال وأعضاء حزب "الاتحاد الإسلامي الكردستاني" ، مع هدم وإحراق مقراته ومؤسساته ، حتى نال الأذى مثل "الرابطة الإسلامية الكردية" التي هي منظمة إغاثية بحتة ، وتكفل أكثر من عشرة آلاف يتيم وأرملة ، وتقدم الرعاية الطبية والتعليمية لجمهور واسع من الأكراد، وكانت حين أصابت الأكراد محن التهجير أول منظمة خيرية تنزل إلى الميدان وتواسي المهاجرين والضعفاء ، واستمرت على هذا الدأب منذ تأسيسها منذ ما يقرب من عشرين سنة وإلى الآن.

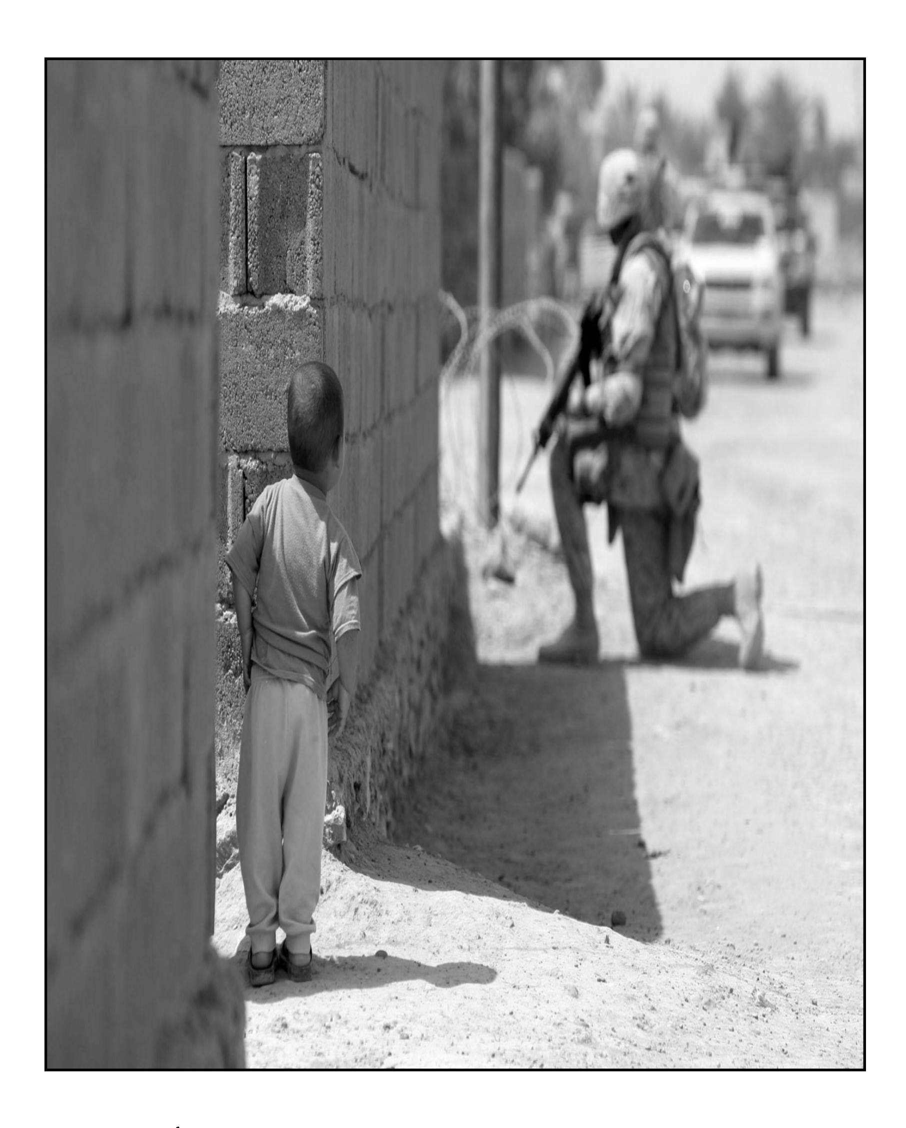
ومع ذلك حافظ بيان المكتب السياسي لحزب الاتحاد الإسلامي الكردستاني على لغة دبلوماسية هادئة، فنسب الجريمة إلى (هجمة غوغائية في ظل تفرج غريب ومريب من السلطة وأجهزة الشرطة المعروفة بقبضتها الشديدة) ، والواقع أن الحزب الديمقراطي بزعامة مسعود البارزاني هو على رأس السلطة ، وأن منظماته ما عادت جماهيرية أهلية ، بل هي مدمجة في الحكومة والجيش والشرطة والمخابرات .

والذي يزيد المصيبة فداحة أن أحد القتلى هو الأستاذ مُشير الذي يُعد من أبرز قيادات الاتحاد الإسلامي ، وهو رئيس مركزين للحزب تضم فروعاً وشعباً عديدة ، وكان على رأس القائمة الانتخابية البرلمانية لحزب الاتحاد في محافظة دهوك ، وقد وجد نفسه مع مائتين من أعضاء الحزب محاصراً في مقر مركز الحزب في دهوك ، وأحاطت به جموع من غوغاء الحزب الديمقراطي والشرطة ، وقذفوهم بالحجارة ، ثم بالرصاص ، وكان من حكمة الأخ مُشير ووفور عقله أن نصح جماعته المحاصرة بالاستسلام والخروج من بناية المقر ، حقناً للدماء ، وخرج في المقدمة ، فكانت منه معاتبة لكبير ضباط المخابرات الذين يقودون الحصار ويطلقون الرصاص ، وقال : أهكذا هي الديمقراطية ؟ فما كان من هذا الضابط إلا وأن يخرج مسدسه ويصوبه إلى جبهة الأخ مُشير ويرميه برصاصات مباشرة ، وبقي في غيبوبة إلى أن أسلم الروح الطاهرة ، عليه رحمة الله ، والاثنان الآخران من القتلى كانا في فرع مدينة زاخو الحدودية ، وحدث عدوان كثير في جميع شعب حزب الاتحاد الإسلامي في كردستان الغربية حتى قيل أن الجرحى هم مئات لا عشرات ، ومات رابع بعد إذا كان جريحاً.

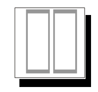
وسبب هذا التوتر الذي يعصف بحزب البارزاني أن التيار الإسلامي في كردستان يلاقي نجاحاً وصعوداً يُقلق مستقبل الزعماء القدماء ، وأصبح هناك لدى الجمهور المثقف الكردي خوف من توسع التعاون مع الجيش الأميركي واستخدام البيشمركه في محاربة المقاومة الجهادية العراقية من خلال انخراط البيشمركه في الجيش العراقي الجديد ، وبشكل قد يضر بالسمعة الكردية لدى العرب السُنة من أهل العراق ، مع خوف آخر تجاه توسع نفوذ الموساد الإسرائيلي في كردستان ، والتيار الإسلامي طاهر وعفيف ويأبى أن يمارس ما فيه إضعاف روابط الإخاء العربي الكردي القديم

على الصعيد الشعبي ، خلافاً للعلاقات المتوترة والأحوال القتالية التي سادت مع الحكومات العراقية ، كما أن التيار الإسلامي الكردي المعاصر الذي يقوده حزب الاتحاد الإسلامي بزعامة الأستاذ صلاح الدين محمد بهاء الدين صادقي يرفض خطط التربية التغريبية التي تمارسها الأحزاب العلمانية الكردية ، ويقاوم تبديل حروف اللغة الكردية من الحروف العربية إلى الحروف اللاتينية ، لما في هذه الخطوة الخطرة من انقطاع الأكراد عن تاريخهم المشرف في خدمة قضايا الأمة الإسلامية ، وهو تاريخ مدون بالحرف العربي ، ومعه أدب ، وعلوم شرعية ، مدونة كلها بالحروف العربية ، ثم لما يقوم به حزب الاتحاد من نقد الفكر المادي ، والتوجهات العلمانية ، وحرصه على إشاعة الفكر الإسلامي ، والحزب أبدى مرونة في التعامل مع المفاهيم القومية الكردية بسبب الضرورة التي تحيط به ، حتى نال عتاباً ينسب إليه اللين تجاه تطرفات الفورة القومية الكردية المعاصرة ، وأدلى بتأويلات ما زالت هي بين القبول والرفض ، ولكن الغلو الذي عليه الأحزاب العلمانية القومية يميل بها وبشكل حاد إلى اعتبار "إسلامية" حزب الاتحاد مصدر خطر عظيم على مستقبل الدولة الكردية المرتقبة التي تريد أن تتخذ من صيغة الفيدرالية وسيلة مرحلية ، وكل هذه الملابسات هي سر هذه الأحداث الأخيرة الساخنة التي طالت مقرات حزب الاتحاد وقياداته ورجاله ومنظماته الإنسانية الإغاثية ، والواجب على الدعوة الإسلامية العالمية أن تنتصر لحزب الاتحاد ، وتنحاز له ، وأن تأمر بالمعروف السياسي الأمني ، وأن تنكر المنكر العلماني العنفي وطبائع مصادرة الحريات والعدوان على حقوق الإنسان الكردي المسلم .

والأمر فيه تدبير خفي نخشى معه التكرار والاستمرار ، لأن حزب الاتحاد كان يتوقع مثل هذا العدوان ، وقابل محافظ دهوك شاكياً له ، ولكن المحافظ استبعد حصول شيء وظنها وسوسة ، ثم قابل الحزب القائد الأميركي ووضعه في الصورة قبل حصول ما حصل ، ولكن القائد اعتبر مثل ذلك قضايا داخلية لا تهمه ، وكل ذلك يثير الاستفهام □□□



شجاعة الطفل العراقي أمام وحشية جنود الاحتلال الأميركي



□□ بعض الناس: يظنون أن كلامنا عن ورطة أميركا في العراق : إنما هو كلام غير دقيق ، ويمثل أُمنيات المظلوم أكثر مما يمثل حقيقة واقعية ، وحجتهم في ذلك : ما رسخ في أذهانهم من أن القوة الأميركية لا يمكن قهرها ، وأن المنظومات التخطيطية عندها من الكثرة بحيث أن جميع خطواتها تكون محسوبة مدروسة .

● وليس كذلك الأمر ، فإن الحياة الأميركية تقوم كلها على مبادئ الفلسفة المادية والمعايير المصلحية ، ومنهج التربية السائد عندهم أغرى المصالح الفردية بالتطاول على حساب الجماعية والوطنية والمصالح العليا ، وانغرست معاني الجشع والطمع في نفس الأجيال الأميركية المتأخرة ، خلافاً لأخلاقيات كانت موجودة في الأجيال التأسيسية للنهضة الأميركية ، فبعد جيل الاستقلال الذي امتلأت قلوب أبنائه بالحماسة : ظهر تباطؤ تدريجي ، ولكن الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب أعادت الحماسة الأولى ، ثم استمرت لجيلين ، لتنحدر الأخلاقيات السياسية مرة أخرى، وبخاصة بعد الحرب العالمية الأولى وتأكيد فيلسوفهم اليهودي " ديوي " على التفسيرات المادية للحياة والأخلاق والتاريخ ، والعهدة إليه بوضع مناهج التربية في الولايات المتحدة ، وقد تأثر المجتمع المؤيد للحزب الجمهوري بهذه المادية بخاصة ، لأنهم من أحفاد المهاجرين الأوائل في الأغلب ، وأحسوا بأن دفعات المهاجرين الجدد الذين انتظموا في الحزب الديمقراطي بدأوا ينافسونهم ويسلبونهم الامتيازات ، إذ هم العنصر الطارئ، وكان الديمقراطيون على بقية من تربيات أخلاقية تلقوها في بلادهم الأصلية ، جعلتهم أعف وأكثر إخلاصاً ، وتلجؤهم قاعدة " يا غريب كن أديب " إلى الحذر المضاعف وإبداء المزيد من السلوك الأخلاقي ، لأن المتجنس الجديد يبقى يشعر بأنه غريب ، وابنه كذلك ، وربما يتجرأ الحفيد ، وبمثل تلك الأحاسيس المادية

دبّ التفسخ إلى الحزب الجمهوري مبكراً ، وظهرت في أوساطه قصص الفساد الإداري .

مثال ذلك : ما حصل في زمن الرئيس الجمهوري هاردينغ ، فسيرته تكشف أن هذا الاستعداد لدى رجال الحزب الجمهوري لاستثمار السلطة لأغراض شخصية هو استعداد قديم ، ففي أثناء ولاية وارن هاردينغ هذا والذي تسلم السلطة عام ١٩٢١ ظهرت هذه الشهوات ، إذ أنه (**لم يُحسن اختيار وزرائه ومعاونيه، فانغمست إدارته في الفساد، واتُـهم رجالها باستغلال النفوذ والإثراء غير المشروع**)[(١)]، وتميز ذلك بخاصة بسبب مقدرة الرئيس ويلسون الذي كان قبله .

وهذا ما يفسر توسع الفساد الإداري الحالي في زمن الرئيس بوش الابن ، وشراكته مع عصابة النفط بقيادة تشيني نائبه وكوندليزا وزيرة الخارجية ، أو شراكته مع تجار السلاح بقيادة رامسفيلد ، فهؤلاء لا ينظرون إلى مصلحة أميركا العليا بقدر ما ينظرون إلى مصالحهم الشخصية ، ولذلك توضع التوصيات التخطيطية جانباً ، ويكون إهمال الدراسات المقدمة من معاهد البحوث الإستراتيجية ، وتعطى الأولوية لمصالح الشركات التي ترشوهم أو تضعهم ضمن مجالسها الإدارية، ونتيجة الجزاف أن تكون ورطة .

● ثم يأتي النفوذ الصهيوني كعامل ثان قوي يحرف سياسات الولايات المتحدة عن مفاد التخطيط ، ويجعل بعض الساسة يخالفون ما هو في صالح بلادهم وينفذون ما هو في صالح إسرائيل، عن عمد وخيانة ، لا عن جهل وسذاجة، بل هم وعاة لما يفعلون ، وإنما يفعلون ما يفعله أي ضعيف ضمير يبيع الوطن لقاء ثمنٍ بخس، والثمن بحسب أحواله : منصب أو مال أو نساء ، وإذا حافظ مثالي مخلص على شرفه وجهر بمخالفة إسرائيل أو قضايا اليهود بعامة : انهالت عليه تُـهم معاداة الساميّة ، وصبّ عليه الإعلام غضبه ، ويتم تدميره .

---

(١) موسوعة المورد ٥ / ٧٢ .

□ مثل الذي حدث للوزير فوريستال Forrestal ١٨٩٢-١٩٤٩ الذي هو (**سياسي أميركي، أول وزير دفاع في تاريخ الولايات المتحدة الأميركية " ١٩٤٧-١٩٤٩ " وكان قبلُ مساعداً إدارياً للرئيس فرانكلين روزفلت ، ثمّ وكيلاً لوزارة البحرية عام ١٩٤٠ فوزيراً لها عام ١٩٤٤ ، استقال من وزارة الدفاع في مارس ١٩٤٩ ، عُرف بعدائه للصهيونية فشُنت عليه حملة ظالمة أدّت إلى إصابته بانهيار عصبي فانتحر مُلقياً بنفسه من نافذة المستشفى**) [٢] ، وسياق الحادثة يجعل احتمال إلقاء أحد من اليهود له من النافذة عمداً أمراً وارداً .. ويُلاحظ أنه كان وزيراً للدفاع الأميركي أيام قيام إسرائيل ، بمعنى أنه عارض قيامها وعارض مساعدة أميركا لها ، فكانت ملاحقته على هذه الصورة المدمرة .

□ ومثل جيمس فولبرايت ، وهو سياسي أميركي تولى رئاسة لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ الأميركي ما بين ١٩٥٩-١٩٧٤ ، وعُرف بمعارضته القوية للسياسة الخارجية الأميركية وبخاصة في أقطار جنوب شرق آسيا خلال الستينات والسبعينات ، وقد (**قاوم النفوذ الصهيوني العارم في الولايات المتحدة الأميركية ودعا إلى الاعتراف بحقوق الفلسطينيين القومية، فنقم عليه الصهاينة نقمة شديدة**) [٣] .

● وتوجد نماذج أخرى لو أردنا استقراء التاريخ ، وذلك هو الذي يُفسر مسارعة بوش الابن للجنوح العمدي عن المصلحة الأميركية وخدمة المصلحة الإسرائيلية ، هو وفريقه ، بما عرف عنهم من انحراف نفسي وهبوط في الأخلاقيات السياسية وميول انتهازية ، وبعض ذلك موروث من بوش الأب ، فإن زواجه كان مصلحياً ، مثلاً ، لثراء والد زوجته ، وهي قصة متداولة في المجتمع الأميركي يوصلنا التأمل فيها إلى فهم المحركات والخلفيات الكامنة وراء إصرار بوش الابن على مواصلة غزو لا مصلحة لأميركا فيه ، أو أضراره أكبر من مصالحه ، إضافة إلى الأبعاد الدينية في القضية ، المرتبطة بعقيدة نـزول المسيح والتمهيد لنـزوله .

---

(٢) موسوعة المورد ٤ / ١٥٣.

(٣) موسوعة المورد ٤ / ١٧٨.

● ولكن رُبّ ضارة نافعة ، فإن أزمة العراق الكبرى الحاضرة جعل الله مفتاحها هذا الإخلاص البوشوي لإسرائيل ، فإن سياسته في تدمير العراق وجيشه وبُنيته التحتية وإفقاره وقطع سُبل تنميته والسعي نحو تقسيمه وإطلاق يد إيران أمنياً فيه لزيادة تخريبه : أدّى إلى تمكين قائمة الائتلاف وفوزها في الانتخابات البرلمانية وحصولها على أكبر من حجمها الحقيقي ، فلما حصل ذلك وصار حقيقة في أرض الواقع تضمن لأميركا أنفاساً في الحكومة ضد المقاومة ودعاة الوحدة العراقية : برزت قضية مفاعل بوشهر النووي وخطة إيران لامتلاك قنبلة ذرية ، فتبدلت قناعات إسرائيل التي تخاف من احتمالات المستقبل لو ملكت إيران القنبلة ، فصارت خطتها التي سمحت فيها أولاً للنفوذ الإيراني أن يتطاول في العراق ويساهم في تدميره ، تحت سمع وبصر الاحتلال الأميركي : خطراً ، وصار لابد من تـقليص النفوذ الإيراني في العراق وسوريا ولبنان والخليج ، وقد بدأ ذلك من خلال الضغط على الأسد كحليف لإيران ، وعلى حزب الله ومحاولة نـزع سلاحه ، وعلى " الائتلاف " في العراق ومحاولة عدم تفرده بكل السلطة والسيطرة الأمنية ، وتأخير تقسيم العراق ، وبذلك أصبحت خطة صولاغ في مضاعفة الاستئصال والسحق الدموي لا تجد تشجيعاً أميركياً كما كان الأمر في بدايتها ، وفقدت خطة الائتلاف بذلك ركنها الأهم ، وسيؤثر ذلك في الوضع النفسي لجمهور الائتلاف ، وتنقلب الاندفاعات إلى تراجعات وأحوال سلبية ، سيما وأن الطبيعة الدموية التي ظهر بها الائتلاف كحكومة منحازة بين العمليتين الانتخابيتين وأثناء ملابسات وضع الدستور قد أضعفت سمعته إلى حد بعيد في العالم كله وفي بلدان العالم الإسلامي بخاصة ، بما نقلت الفضائيات من صور بشعة ومواقف استبدادية قهرية .

● ويأتي الفوز الكاسح لمنظمة " حماس " الفلسطينية الجهادية عاملاً آخر ينعش خلفيات القوائم المنافسة لقائمة الائتلاف العراقي ، بما حصل من ارتباط بين القضيتين العراقية والفلسطينية ، وجاء الفوز إسناداً للوضع النفسي للحملة

الجهادية العراقية ضد الاحتلال ، وذلك يمنح الجهات المنازعة لقائمة " الائتلاف " أصالة ذاتية فوق أصالة الابتداء والموقف الأول ، ويؤسس عنصر ضغط زائد على " الائتلاف " المحتاج دوماً إلى ظهير خارجي يتمثل بأميركا وإيران ، واستغناء صفوفنا عن مثل ذلك ، ولواذنا بالمشاعر العليا ، من عزة واستقلال وعفاف وتحرر وعزائم وحزم وطموح وشموخ وانتفاض وهِمّة وروح تحديات وجسارة وشجاعة ومغالبة وترّفع عن مماشاة المستعمر ، وقد جاءت قصة فوز حماس لتكون مثال اقتداء للعمل الإسلامي العراقي ولدعاة وحدة العراق وللمجاهدين ولكل الرافضين للاحتلال والمنكرين لأساليب الاغتيال والاعتقال والسحق والغلو والطرائق التي ابتكرتها وزارة الداخلية العراقية في الكبت والتعذيب والمداهمات وإرهاب الناس ، والذي يُعد أغرب مثال لإرهاب الدولة في العصر الحديث، وبشكل لم ير العالم له مثيلاً .

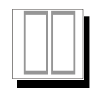
● وهكذا حوصر الائتلاف بحصارين :

□ الأول : بعجز قياداته عن قراءة المتغيرات، وإبقاء الاندفاع الثأري الانتقامي بوتيرة عالية في زمن فرضت فيه القنبلة النووية الإيرانية على إسرائيل وأميركا أن تعملا على تخفيف سطوة حلفاء إيران في البلاد العربية ، وقد ابتنت خطة الائتلاف على التحالف مع أميركا خلال السنوات الأخيرة ، بل من بعد فرض الحصار على العراق مباشرة ، فأخذ الائتلاف حجماً أكبر من حجمه الحقيقي بكثير ، واليوم يستمر التأييد الأميركي له ، ولكن يُحذف منه الجانب الذي كان يسمح بالتدخل الأمني والاجتماعي والثقافي لإيران في العراق، فصارت درجة " انتفاخ " الائتلاف أقل و " فشّ الجراب " شيئاً ما .

□ والثاني : بقَدَر رباني رفع حماس الفلسطينية إلى القمة، فألهبت مشاعر دعاة وحدة العراق وحَمَلة راية الجهاد وأكسبهم تفوقاً معنوياً على الطرف المريب الفاقد لاستقلاليته والنامي تحت جناح الاحتلال وفي ظلاله □□□



دبابة أميركية مدمرة بالكامل



□□ قامت " القضية الفلسطينية " شاخصةً في هذا العصر كمثالٍ واضحٍ لكيفية حصول الظلم والقهر، ويسمى اجتماعهما في لُغة العرب " الضُهْدَة "، وهي : (الغَلَبة والقَهْر، وفُلان ضُهدة لكل أحدٍ : أي كلّ من شاء أن يقهره : فعل)[1].

● وشاء الله تعالى أن يكون الشعب الفلسطيني " ضُهدة " لليهود والدول الكبرى على مدى قرن كامل ، سبقه قرن تمهيد لذلك منذ زمن نابليون ، وإذا جعلنا تفريط المسلمين في أمر فلسطين وجهاً آخر لحقيقة الضهدة ، فإن وصف حصول الظلم من " كل أحد " كما هو في النص يكون صحيحاً دقيقاً .

● وما كان هناك تفريط تام من أهل فلسطين أو من عامة الأمة الإسلامية ، وإنما حاولوا ودافعوا مراراً ، ولكن العمل إذا لم تسيطر عليه خـُطة ماهرة ، **ولم تستوعبه قيادة مخلصة واعية ، ولم يخدمهُ إعلام مكافئ وتمويل كاف : يكون إلى الفورة أقرب ، وبـِردّة الفعل الساذجة أشبه ، وذلك كان قـَدَر فلسطين ، حتى نشأت حركة " حماس " وفرضت نفسها في الساحة ، وصارت تـُمثل كُتلة جهاد ، بأيادٍ طاهرة ، تتقدم على بيّنةٍ ودراسة ورؤية إستراتيجية واعية ، ووضوح عقيدي وفكري ، فصار يُؤذن لكل مسلم أن يُبَشّر بنصر منتظـَر .**

● وفي الحياة الإسلامية الأولى كانت هناك ممارسات لمعاني الحرية تبقى هي الجذر لمن يريد التأصيل وإحياء طرائقها ، ورجال الشرع في المقدمة ، وفي التعريف بشُريح القاضي أنه كان (لا يجيز الاضطهاد) .. وإنما يعنون ما في حياة الناس اليومية من تظالم وقهر حين التصرف والتعاقد ، ولكنه إيماء من شُريح إلى ما هو أكبر ، وتعليم منه لكل مسلم أن يسعى نحو الحرية ويكون أبياً ، **ومعاني الحرية السياسية إنما تبنى على أساس من معاني الحقوق المدنية وعدالة القضاء ، وإشارات القاضي النزيه هي البيئة المربية للمجاهد والسياسي المنتفض .**

---

(١) لسان العرب ٢/ ٥٥٤ .

▫ " حماسٌ " استحالت مذهباً في الجهاد مُتميزا

وتكتسب هذه الأحاسيس بُعداً نفسياً آخر حين تكون فلسطينية ، بسبب الهجرة القاسية التي فُرضت على أهلها ، فالمهاجر؛ والطريد المظلوم : يحن إلى وطنه حنيناً شديداً ، ويحس أنه كالجمل المأسور عن الحركة ، وهو قول ذي الرمة:

كأنني نازعٌ : يَثْنيه عن وَطَنٍ   صَرْعانِ : رائحةً : عَقْلٌ ، وتقييدُ

(الصرعان : نصف النهار الأول ، ونصفه الآخر) .. (يقول : كأني بعير نازعٌ إلى وطنه ، وقد ثناه عن إرادته عقلٌ وتقييد ، فعقله بالغداة : ليتمكن في المرعى ، وتقييده بالليل : خوفاً من شراده)[٢].

وتفصيل الشطر الثاني أنهما صرعان اثنان : عقلٌ رائحةً ، أي ربط رجليه عند الرواح آخر النهار ، وتقييدٌ غدوةً ، لكنه حذف ذكر الغدوة التي هي أول النهار من باب الاكتفاء بما أشار إلى وجود صرعين .

فكذلك الفلسطيني المقيد : نصف دهره في هموم المعيشة ، ونصف في الكبت وإبعاده عن مقدمات الثورة والجهاد ، ويُراد له ألاّ يشرد من خطط الترويض .

● **ولئن نجحت خطط العدو في إرهاقنا حيناً ، فإنّ ذلك لا يشفع لليأس أن يجد له طريقاً إلينا ، لأن النظر الفاحص إلى تصاريف الدهر وطبائع الحياة يعظنا أنه ما من حال يدوم ، وأن الرهق يتلوه انفراج ولابد ، وفي ثنايا ذلك تتاح فرص الاستدراك والتعويض .. فمن أهم الملاحظات في " حركة الحياة " أنها ليست تياراً متصلاً ، بل متقطعاً** ، وهذه الملاحظة هي من العلم الشائع المتفق عليه بين البشر ، والتي ترجمها الشاعر فروة بن مسيك المرادي فقال :

كذاكَ الدهرُ دولَتُه سِجالٌ   تَكُرُّ صروفُه حِيناً فحِينا[٣]

وقول الناس في الأمثال : الأيام دُول .

---

(٢) لسان العرب ٢/ ٤٣١ .

(٣) لسان العرب ٢ / ٥٦٥ .

فالتغير صفة دائمة ، بل هو الذي يولد التحريك ، ولا يركد على حال واحد ، وإنما هو دائم التبدل .

● وهنا يكون لكل أحد حق التجريب ، فتكون طرائق العمل هي المعوّل عليها في حصول أمل ، أو بقاء في المتاهة ، كما قال تعالى :

(قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ)

(أي على طريقته وجَدِيلته ومذهبه) .. (والشاكلة : الناحية والطريقة) [٤].

وهذا هو الذي يجعل لطريقة " حماس " في الجهاد القيمة الكبرى ، فالقضية غير متعلقة بزعامة ، ولا بانتخابات ، وإنما بمنهجية شاملة ومنظومة قِيَم وخطط متكاملة ، وجدارة حماس فرعٌ لوضوح الطريقة ، وإبداع قيادتها إنما هو من نتاج الفكر الذي تؤمن به .

□ ضَرَبَةُ مُعَلِّم

● وكما كانت " الوسطية " عنوان سلامة الفكر الإسلامي لما أرادت أن تجنح به التطرفات : **فإن " الوسطية السياسية الجهادية " هي الركن الأوثق الذي أسندت إليه " حماس " ظهرها ، فاستقامت مواقفها ، وصار التعقّل سمةً لها ، و" النسبية " بابَ تأويل لما يُظن أنه من التناقض ، و " الجمعَ بين الصوابين " مخرجاً آمناً من أُحادية النظر** ، وكأن " حماس " قد أذعنت في مبتداها وعند توغلها لوصية حكيم العرب أكثم بن صيفي التميمي حين قال :

(من جهة التواني وترك الرويّة : يَتلَف الحزم) [٥].

وهو يشير إلى ضدين متطرفين فيهما فواتُ مواتاة الفرصة : تكاسلٌ وتمريض وإبطاء ، أو استعجالٌ لا يُتاح معه تدبر وتخطيط ، وإنما الحازم المتوسط الذي تكون بين نهضته وهجمته وقفة تأمل .. وكأن ترك الرويّة أخطر من التواني ، إذ المتواني قد يُوعَظ فيستدرك فينال نصف النتيجة إن ذهب عنه كمالها ، ولربما

---

(٤) لسان العرب ٢ / ٣٤٨ .

(٥) البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ١ / ١٥٤ .

أمسك ذيل الفرصة إن لم يستقبلها ، ولكن المتهور مردود ، فيثّاقل إلى الأرض مُحبَطاً ، ولن يستطيع الحركة إلا من بعد دهر تَسليةٍ وعلاج ، ومن خبرهما يعرف المجاهد والقيادي الدعوي إبداع المواتاة في الزمن المضبوط الصحيح .

ونزول " حماس " اليوم لميدان المنافسة ، وحضورها انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني هو خطوة حازمة في الوقت الصحيح ، وتجسيد مُتقَن لشعار " إبداع المواتاة " ، وكمنت خلفها شجاعة ، تمدها انتصاراتها في الانتخابات البلدية .

● وكان أجدادنا يقولون : (**مَن جَسَرَ : أيسر ، ومَن هابَ : خابَ**) (٦) .

وما هي بدعوة للتهور ، ولكن مفاد التجريب الحيوي واضح ، والتاريخ يبرهن على أن الدنيا – في جزء من طريقة أخذنا لها – إنما تؤخذ غلابا ، وهذا الغلاب يحتاج مبادرة وثقة بالنفس وإقداماً وسرعة قرار ، إذ الميدان مليء بالمنافسين ، ومعهم الوسائل والأموال ، وأيما مبالغة في طلب النتيجة المضمونة كأنها تتضمن بذرة خوف صغيرة يمكن أن تنمو تحت غطاء الإسراف في الحذر لتكون عائقاً نفسياً يصد عن استثمار الفرص ، فيتركها لشهواني وخياني ، فما يعود ممكناً غير اللوم وتقريع الذات ، فتكون الفتن الناحتة للرصيد ، ولو كان جَسَرَ الرائد عند تلك اللحظة لاستراح دهراً ، ولذلك **تكون " حماس " قد تجنبت سلبيات كثيرة بمبادرتها المستوفية لأوصاف التخطيط المتقن .**

● **مع أن المؤمن يعتقد أن الأقدار هي فوق هذه الفنون من الريث والعَجَل وقواعد التخطيط** ، وهي كما قال الشاعر البُعيث :

وارسل فيها مالكٌ يَسْتَحِثُّها
وأشفق من رَيبِ المنُونِ وما وَألْ
أمالكُ : ما يَقْدُرِ الله تَلْقَهُ
وإنْ حُمَّ ريثٌ من رفيقِك أو عَجَلْ (٧)

---

(٦) البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ١ / ٢٢٧ .

فمالك يريد أن يسابق الموت الذي يحيط به وبرفيقه ، فأرسل رسالة بذلك ، والضمير " فيها " يعود لهذه الرسالة ، ولكن البُعيث يعظه أن الأقدار أعلى ، ولا يمنع ذلك من اتخاذ الأسباب ، لكنه تذكير بأن يتوقع ما لا يرغب .

● **إنما شأن المؤمن أن لا يستسلم للقَدر السلبي الواقع ، فضلاً عن الاستسلام لهواجس وقوعه ، بل من تمام إيمانه أن يُصارع قدر السوء بقدر الخير ، و " حماس " في جميع خطواتها إنما توازن وتداري ، وتشد جاذبة ثم تُرخي ثم تشد ، وتلك هي قوانين الممارسة السياسية والجهادية** ، وصورة قادة " حماس " هي صورة البحّارة تميل بهم سفينتهم ، بدفع الريحِ الشراعَ ، فيجذبون حبال الشراع من أجل التوازن ولئلا تنقلب ، وهو المنظر الذي نراه اليوم في شاشة التلفاز عند سباق اليخوت ، لكنه منظر قديم انتبه له شاعر البداوة العجاج فقال تخليداً له :

لأياً يُثانِيهِ عن الحؤورِ جذبَ الصَّرارِيِّينَ بالكُرُورِ (٨)

أي : هؤلاء الصراري البحّارة يجذبون الكُرور التي هي الحبال بنوع من الإبطاء ، لثني السفينة عن أن تحور وتتأرجح .. ولفظ الشرح في اللسان : (أي يثني هذا القرقور عن الحؤور : جذب الملاحين بالكرور ، والكُرور جمع كَرٍّ ، وهو حبل السفينة الذي يكون في الشراع) ، والقرقور : نوع من السفن ، وما زال هذا اللفظ مستعملاً في خليج العرب ، ولفظ اللسان : (ويُقال للسفينة : القرقور ، والصُرصور) ، فهذا الرصد لهذه الحركة الحيوية الجزئية البحرية: إبداع من بدوي ذكي ، بل إعجاز ، لأنه كما وصف لنا الناقة والصحراء كثيراً : وَصَفَ البحر ومُخُور السفينة ، فأجادَ تأمل حكمة الحركة الحيوية الشاملة ، ويهمنا من أمره هنا : توازن السفينة ، ثم يهمنا من أمر حماس : **توازن الأداء والمواقف في أيام صعبة ، معادلاتها معقدة ، وشد الحبال أصبح فنّاً دقيقاً ، وعلى مَن يريد الإبحار الآمن في محيط العولمة وليس بعيداً عن سخونة أحداث العراق : فإن عليه أن يتقنه** .

---

(٧) لسان العرب ٢ / ٣٦٣ .

(٨) لسان العرب ٢ / ٤٣٠ .

◻ أكرم المواهب هلالٌ .. وفيصل !!

والشهادة وافرة : أن " حماس " قد أتقنت ووفت .

وسبب نجاحها ونيلها الإتقان : أنها لا تعتمد العمل الجماهيري الكمّي ، وإنما العمل التربوي الانتقائي والتقاط الصفوة وتعليمها في الخلوات وتفقيهها قبل تدريبها للمصاولات ، فتتوافر عناصر : لها مع قوة الشكيمة بُعد نظر ، ويكون الالتفاف الجماهيري مظهراً لوجود هؤلاء الجنود الفقهاء .

● وفي يوم الحاجة : تتميز معادن الرجال .

وعند المعارك : إنما يَحْمَرّ الباتر إذا هزّه ذو قلبٍ فائر .

والسلاح إذا أتلفه الصدأ : لن ينجد بطيئاً مهما بنفسه رَبأ .

وما الناسُ إلا كالسيوفِ اختلافهم

فكلٌ مُحلّى الجَفنِ ، والبعضُ قاطفُ (٩)

فكما يُزين الناسُ قُرابَ السيف بذهب وجوهر يلمع ، ويتنافسون في ذلك ويتزايدون ، لكن الصفائح في الداخل تختلف حداً ، وتكون قواطع وعُمياناً : يتجمل الرجال كذلك بالملبس والمنصب واللقب ، وبعض القلوب تحت ما ظهر لا عزم لها ، ولا رواء فيها ، ولا نأمل منها نفعاً ولا حركة ، ولا في الخير مساهمة ، وإنما هي مثل ثمرة تلفَ لُبّها ، وبقيت قشوراً .

لكن السيف جَعَلَتْهُ " حماس " : أكرم مواهب الله لأهل فلسطين ، ولأهل العراق حين غزاهم رعاة البقر ، وللمسلمين عموماً ، ولأحرار البشر ، عبر عدوى الخير ، وإملاء في اللاشعور مع كل خبر جهادي ومع صورة كل شهيد يسبق إخوانه إلى الجنان ...

---

(٩) البصائر ٣/ ١٦٩ .

وصارَ السيفُ في لغة " حماس " :

آلة النجدة ، وعُدّة العِزّة ، وظهير الحزم ..

وسَنَد الرجل ، وحارس الحريم ، ومانع الجار ..

ورسولاً إلى المطالب ناهضاً ..

وخادماً في المآرب نافذاً [١٠] .

وممارسات " حماس " قسمت الناس إلى فريقين في العالم كله .

فمن الرجال رموز للعزة ، قد تزينوا بالحزم ، وتصدوا لمنع العدوان على الأمة ، ونهضوا إلى كل مطلب رفيع ، وجعلوا المحور الدعوي مركز الانطلاق المنهجي لكل عمل جهادي ينوون إتقانه .

وبجانبهم عاجز وكسول وفوضوي ، ورجعي لا يعيش عصره ، وجاهل يزهد بالعلم ، وجبان يخاف المصاولة ، وأناني يقعد على التل يتفرج على المعركة .

واتضح الفُرْقان إلى درجة أن كل مخلص اضطر إلى أن يسأل نفسه : إلى أي الفريقين ينتسب ؟ ولربما اتهم مخلص نفسَه ، لأنه لا يرى للبذل حدوداً غير الحدود العليا التي مارستها " حماس " وصارت مثلاً .

● وعبر القرون : كان لفتيان الجهاد عشق غير ما الشباب فيه من الهوى ، ولهم حَومٌ حول كرام المعاني ، وتعتريهم خَلَجات ساميات ، وبين معشرهم تناصح ، ويقول الواحد لأخيه إذا ذكر حبيبته وحليلته : أن اصبر :

واسْلُ عن الحِبِّ بمضْلُوعةٍ فَوَّقَها الباري ولم يَعْجَلِ

(وقوس ضليعٌ ومضلوعة : في عُودها عَطَفٌ وتقويم ، وقد شاكَلَ سائرُها كَبِدَها) [١١] .

والبيت للمُتَنخّل الهذلي ، ومجمل معنى نصيحته أنه **إن أبعدته الأيام عن حبيبةٍ : فإن له سلوى وعوض بقوس أطال جهدَه باريها في نحتها حتى تناسقت**

(١٠) البصائر ٥ / ١٣٢ .

(١١) لسان العرب ٢ / ٥٤٣.

أطرافها مع أوساطها ، فجاءت نموذج كمالٍ في جمال ، وشارة عِزّة ، وآلة ذود ، وملهمة مربّية لنفسٍ وقلب ، وأسمى ما هنالك أنها هوية انتساب لعُصبة الجهاد الشريف ، ولئن مشى الدنيوي بغرور ، فإنّ الأخروي ذا القوس المضلوعة المنسابة يتبختر بثقة ويقين ، وهو إمام المحبين .

وهذه القوس المضلوعة : صوّرها شاعر البداوة " رؤبة بن العجاج " في مثال ثان بهِلال الإيمان ، وقال :

كأنها في صدره تحتَ العُنُق مثلُ هلالٍ بينَ ليلٍ وأُفُق [١٢]

فانتبه لهذا التصوير الفخم الذي كلّه إيماء إلى رجولة وبطولة .

صارمٌ يقف منتصباً ، **وقد رسم القوسُ ورمز القوة فوق قلبه هلالاً هو رمز الفطرة والإسلام ، فتداخل المعنيان وتكاملا ، فصاغا مهابة وجلالا .**

وتلك طريقة " حماس " من يوم جزمت بهويتها الإسلامية ، فوضعت كل التراث التجريبي الجهادي منهجاً تربوياً لمجاهديها ، بداية بعصر الصحابة الكرام ، مروراً بالعصر الأوسط ، ومواصلة وتفاعلاً مع أحوال مجاهدي العصر الحاضر .

وهي تروي لفتيانها أول ما تروي : كيف **كان شباب الصحابة أهل فروسية وإتقان لها** ، ففي خبر عبد الله بن عمر بن الخطاب-رضي الله عنهما-أن النبي ﷺ (سَبَّقَ بين الخيل).. قال : (كنتُ فارساً يومئذ ، فسبقتُ الناسَ حتى طَفَّفَ بي الفرس مسجد بني زُريق ، حتى كاد يساوي المسجد) .

(قال أبو عبيد : يعني : إن الفرس وَثَبَ بي حتى كاد يُساوي المسجد) [١٣] ، أي في ارتفاعه ، أي كأنه كانت هناك موانع عالية يجب على المتسابق أن يجتازها ، كما هي اللعبة اليوم ، وأصل الحديث في صحيح البخاري .

فكأنَّ القارئ لأخبار ابن عمر في العبادة ورواية الحديث يظنه ناسكاً لا يُحسن غير الجلوس ونشر العلم ، وهو الفارس الأول .

---

(١٢) لسان العرب ٢ / ٣٣٧ .

(١٣) لسان العرب ٢ / ٥٩٨ .

● ثم تروي مثل خبر أبي سعيد خلف بن محمد اليحصبي السُرتي المالكي المتوفى سنة ٣١٩هـ ، وقول ولده سعيد :

(كان أبي قد قرأ القرآن على أبي عبد الله محمد بن خيرون المقرئ زماناً طويلاً ، وكان ابن خيرون إذا خرج إلى سوسة يرابط : خرج أبو سعيد في إثره .. وكان له صوتٌ حسن بالقرآن .. قال ولده : لقد كنتُ أخرج معه للرباط فينزل بنا كل ليلة في شهر رمضان ويجتمع خلفه جماعة ، فاسمع البكاء والشهيق من كل مكان .. **وكان يُحسن الفروسية ، مولعاً بشراء الخيل ، ويخرج إلى الرباط بها للحرس على المسلمين** .. وكان ربما خرج من سوسة هو وأبو جعفر أحمد بن سعدون الأربسي ، وأبو بكر بن أبي عقبة ، فيقفوا صفاً واحداً ، **كأن العدوّ بين أيديهم ، ويُجرون خيلهم في ذلك الموضع حتى تطلع الشمس**)[١٤].

● **وأما التجربة المعاصرة فإنها لا ترويها ، لكنها تعانيها ، وتكون أصل ذاتها ، وانفعلت بها مدة ثم أصبحت فاعلة صائغة لها ، وهي تجربة صيرورة " المجتمع الفلسطيني المهتم بالقضية الفلسطينية " بيئة جيدة الأوصاف لتلقين وتعليم فن الجهاد لكل العالم الإسلامي ، بل والفن الثوري لكل العالم ، ومهارات القيادة وأساليب التعامل مع تعقيدات العلاقات الدولية وعنفوان العولمة .**

وأصل خبر هذه الـمُكنة الحماسَوية التي آلت إليها من مجموع التجربة الفلسطينية أن الظاهرة القيادية في تحريك الحياة لا تكون من قائد فرد فقط ، أو من تنظيم وحزب فقط ، بل تكون أيضاً من مجتمع له خصائص ممنوحة من نمط معيشته هو داخل المجتمع الكبير ، وأوضح مثل لذلك " المجتمع القرشي " ودوره القيادي بالنسبة للمجتمع العربي الكبير ، بما أتاحت الحياة التجارية لقريش من ذلك ، وأتاحه حج العرب إلى مكة .

---

(١٤) أعيان علماء ليبيا / ٦٤ لناصر الشريف ، وأحال على كتاب رياض النفوس .

ويشرح أبو بكر الصديق ﵁ ذلك ويسوّغ في حديثه للأنصار يوم السقيفة سبب تصدّيه للخلافة ويقول : (إنما جِـيْبَـت العربُ عنا كما جِيْبَت الرّحى عن قُطبها ، فُكنّا وسطاً ، وكانت العرب حوالينا كالرّحى)[١٥] .

والجَوْبُ : قطعك الشيء ، كما يُجابُ الجيب ، جِـيْبَـت العربُ أي خُرِقـت العرب عنا فكانت قريش القطب الذي تدور عليه العرب ، وهي المنزلة القيادية التي نشأت بتدرج وعلى مدى طويل من غير اصطناع وتكلف .

وأهل الحواضر عموماً يكونون أوعى من أهل البداوة وأشد مراساً للسياسة ، ثم أهل العواصم أكثر انفعالاً بها من أهل الأطراف ، وأي مدينة أو إقليم يكثر فيه الأدب وتداول العلم والبحث الفكري يصير بعد دهر مؤهلاً لتأثير قيادي فيما حوله .. ولأن هذه الظاهرة موجودة : فإن التوجه الدعوي مال ذاتياً لأن يتقصد السيطرة من خلالها على بعض الحركة الحيوية وأن يكتشف الفرص المتاحة من حوله لينميها .

والكتلة الفلسطينية الجهادية الناصرة للقضية الفلسطينية وصلت إلى هذه الدرجة من الامتلاء بالزخم الكامل وإمكانية سريان طرائقها وخططها وقناعاتها وتجاربها إلى كل قضية أخرى فيها ضُهدة وظلم ، وكان أوضح ذلك تأثيرها المباشر والحاسم في " القضية العراقية " وسرعة الاستجابة العراقية لنداء الجهاد ، فتكاملت القضيتان ، وتداخلتا ، واتحد مصيرهما ، وذلك أوفى نجاح " حماس " .

◻ نبقى الأُهْبَة ... ولا نشغلنا الأُبّهة

ومثلما استحال هذا النجاح والامتزاج فَخْراً : فإنه يضع ضريبة مشتركة على القضيتين : أن تستوعبا دروس المرحلة جيداً ، على ضوء الوعي القديم ، طالما أن **التجربتين الانتخابيتين في العراق وفلسطين** ليس بينهما غير أربعين يوماً فقط ،

---

(١٥) لسان العرب ١ / ٥٢٦ .

والوعظ الجامع لهما : أن لا تلقيا السلاح مهما بدت مكتسبات السياسة والانتخابات وافرة ، وإنما أجلُ وضعِه : أن يكون انسحاب المحتل ، وزوال آثار الاحتلال ، ورجوع البلاد إلى أهلها ، واستعادة الحقوق .

● **أهم شيء : أن لا يقع الجهادان في الخدعة الديمقراطية ، والاكتفاء بمنصب وزاري ، بل ورئاسي .**

وفي الأيام الغوابر ، قبل ستين سنة : جاهد محمد ناصر وحزبُ ماشومي وجناحُه الضارب " دارُ الإسلام " حتى تحقق استقلال اندونيسيا بعد الحرب العالمية الثانية ، **وكانت الفئة العلمانية المصلحية تريد سرقة الثورة** والاستئثار بها دون دار الإسلام وماشومي وعموم الحركة الإسلامية ، لكنها تخاف ما بيدها من سلاح ، فكانت خطة " الرئيس سوكارنو " الذكية : أن يجعل الرجل الصالح الدكتور محمد ناصر رئيس حزب ماشومي : رئيساً للوزراء ، لتُصدقُه نفسُه أنه صاحب السلطة الفعلية ، **فلما اطمأنّ : زيّن له أن استقرار اندونيسيا رهن بإلقاء المجاهدين السلاح وتسليمه للسلطة** ، من أجل إتاحة حكم مركزي قوي ، **فبذل محمد ناصر جهداً مع دار الإسلام ، ووظّف كل أدوات المنطق والجدال لإقناعها** ، مؤمناً أنه لا خوف من ذلك ، لكونه هو رئيس الوزراء ، وأبى قادة دار الإسلام وعاندوا ، فزاد ضغطه عليهم حتى أنزلهم من الجبال ، وأخرجهم من الغابات التي تحصنوا فيها ، **وانتزع منهم السلاح** ، حتى إذا ما أتمّ ذلك : عزله سوكارنو بما معه من قوة ، **وعاد محمد ناصر يلوم نفسه حتى مماته ، وعاد قادة دار الإسلام يوسعونه تقريعاً ، ولاتَ حينَ مَندم بعدما فقد ذراعه العسكري الضارب** ضربة ماحقة لم تقم له قائمة مرة أخرى ، **وسهل عليه سجنهم وممارسة أنواع الاستبداد ضدهم ، وما كان الاستئناف ممكناً حتى لو توفر السلاح ثانية ، بسبب الصدمة المعنوية التي أحدثها القرار القيادي الخاطئ الموغل في الخطأ وتبسيط الأمور وإبداء السذاجة ، ولمكانة العامل النفسي المتردي بعد انتزاع عنوان الشرف وشارته وأداته ، فإن التأجيج والحماسة وأنواع الاندفاع التي تبنيها المناهج**

التربوية في سنوات : يمكن أن تُبددها انتكاسة نفسية واحدة متولدة من موقف غير واع ، ومضت تلك التجربة درساً للجهادين العراقي والفلسطيني معاً أن يتخذا الانتخابات والاستيزار والوظائف وسيلة من الوسائل السلمية الخادمة للضغط القتالي ، ولكن من دون اعتبار ذلك نهاية ، وبلا تعطيل للأهداف الإستراتيجية الجهادية الكبرى ، وبلا إلقاء السلاح ، بل حتى صياغة اتفاقيات الاستقلال والحرية واسترجاع الحقوق تقتضي استمرار وجود السلاح فترة بعدها لضمان التنفيذ وحصول المطالب ومنع التحايل ، وأي نزول من جبالنا التنظيمية التي اعتصمنا بها فإنه يعني : كشف أسرارنا ، وتخدير الهمم الدفاقة ، وبذر بذور الاختلاف في مجموعة المجاهدين بسبب تعدّد الاجتهاد السياسي بين رافض ومؤيد ، وفي الشأن الفلسطيني يتواجه اليوم رصيدان يتنافسان : رصيد الجهاد والإيمان والصدق والإخلاص ، ورصيد أُوسلو والخنوع والفساد الإداري والتسلقات على أكتاف المستضعفين ، وما ينبغي أن يَخدع الخَّبُّ " خالداً " ، ويذكر "خالد " جيداً كيف كان في السبعينات في مسجد القطان بمحلة النقرة في الكويت يجمع اليافعين من أبناء الجالية الفلسطينية ليلقي فيهم " الراشد " درساً عن ثلاثية الصف الإسلامي وتربية الصفوة وشعور الاستعلاء والمفاصلة ، أو عن المعادلات الفقهية الجهادية ومتوالياتها ، أو عن الخطو الموزون وإبداع التخطيط ، وكيف كانت تلك الجلسات التربوية مثالاً للمحاضن التي نشأت فيها بعض قيادات " حماس " وترعرع فيها بعض مقاتليها .

ثم قادة الجهاد العراقي يذكرون الإيماء جيداً إلى قمر عالٍ لا يغيب ، وفجرٍ يُبشر ، وشمس ساطعة لا تفتر ، وقبلهما : يوم الحرب : ذاك الحديث المبكر عن انعدام الأمن الجهادي في ظل المخابرات ، والدعوة إلى جهاد فوري بعد أن تنقطع الصواريخ ويكون جندي المارينز وجهاً لوجه مع عراقي رافض يجاهد الكافرين ، وقد زادته الأيام موعظة أن يحتفظ بقوته حتى بعد الانسحاب الأميركي **ليعالج احتمالات الحرب الأهلية** من طرف يغالب حكمة التاريخ مغالبة ويريد إلغاء

الطرف الآخر ، وقد تداخلت معه الرغبات الشعوبية الآثمة ، **وأباطيلُ قـُنـّنت في دستور ظالم في غفلة من انتباهة الأحرار وصارت تعتصم به الخطط اليهودية التي تريد تقسيم العراق وتـختفي وراء دغدغات اصطلاح الفدرالية .**

● وهذا " الاعتـداد الصلب " كـله قد أنتج عدداً وافراً من"مـــذاهـب العـــمل " و " معـادلات الأداء " أصـبحت تـشكل بمجموعهـا **منهجـاً متـمـيزاً في " الجهـاد المعاصر " وفقهه واجتهاداته المضافة إلى كتلة " الجهـاد الإسـلامي " المـوروث** عـبر القرون كابراً عن كابر ، وبطلاً عن بطل ، ومجتهـداً عـن مجتهـد ، ومـا ينبغـي أن يكون منّا اليوم شذوذ أو إغـراب أو لـين ، بـل الاعتـصام بالمـأثور عـن الثقـات واجب ، ونزيد زيادة خير ، ونستنبط للواقع الجديد ما يناسبه .

❑ نستمسك **بمذهب الاستظلال تحت سحاب السماء** وأغصان زيتـون خـضر وسعف نخل ، **لا تحـت سـرادق** تنـاثرت علـى أطرافـه قطـرات دمـاء المـسلمين المظلومين .

❑ ونفاخر باكتشافنا **لمذهب الاستقلال في يوم الاختلاط** .

❑ ونوالي مذهب الكراهة التنزيهية الحنيفية لمقاربة مصادر التلوث .

❑ ونأخذ بعزيمة الانفطام ومذهب تحريم المراضع إلا من ثدي طاهر .

❑ ونشمخ **بمذهب الاستعلاء في الطريق المستقيم السامي** .

❑ ونميل مع مذهب الاحتياط الفقهي في الخروج من الشك إلى اليقين .

❑ **ونتغنـى بأغاني العفاف وأناشيد البراء والولاء** .

● وفي كل ذلك مواثيق وعهود وعقود ، واثقنا بها الله ، وجعلنا الأيـام تـشهد علينا ، والناس شهود ، وكتبنا قصصاً ، وضربنا أمثلة ، وصدحنا بأبيات التفـاؤل والرجاء والأمل .

ثـُـم اللهُ أغيَر ... وهو ولي القَدَر .

▫ مصالحنا تحدّدها تجاربنا ... وننطلق من فكرة مركزية

ويرغب البعض أن نخرج من ضيق الاعتداد الصلب إلى سعة التقدير المصلحي ، وذلك صواب يحتاج التدقيق ، فإن التوسع ينبغي أن يكون وفق مفاد الفقه ، وفقهاء "حماس" و "الجهاد العراقي" أجرأ الناس في الموازنات والنظرات النسبية ، وجولاتهم عريضة في ميادين الإفتاء المصلحي ، ولكن طريقة الفقهاء أجمعين أن يكون هناك التزام بمفاد التجريب ، وهو حتم من بعد التزام النص الشرعي ، ومفاد التجريب قد يكون بعضه مما يستوي فيه البشر ، ولكن أكثره إنما هو فهم إيماني يحتكره المؤمن ولا يقترب منه شرقي وغربي ، وبعضه إلهام يخص الله به المخلصين الأتقياء ، لذلك يجفل المفتي الجهادي من تهورٍ ، ومن سذاجة ، ومن ثقةٍ بكافر ، ومن التِماس خيرٍ لدى ظالم وإن كان مسلماً ، ومن قسوةِ قلب واختلاط نية لدى حليف وإن كان مقاتلاً أو معارضاً للعولمة ، والقيادي المسلم يُشفق لدمعة يتيم ، وآهة أرملة ، وولولة أُم ، لكنه يُدرك أن حكمة الله في جعل البشر يتدافعون ويتحاربون من أجل رفع الفساد في الأرض : تقتضي الإذعان لحقائق الأذى ، وأن الأمل يستلزم الألم ، و "حماس" لن تبيع تراث الدعوة في الفكر والعفاف والنقاء والصفاء جزافاً ، وهي الكريمة أُخت الحملات الجهادية الكريمة ، ولكنها البخيلة برصيدها من المكرمات لا تُبذره ، وهي تجاهد مع صفوف جهاد أُخرى كريمة لا تدّعي احتكار حق دونها ، ولكنها اشترطت شروطاً جهاراً نهاراً ، وينبغي أن يتعامل المتعامل مع تصورها الجهادي الكامل دون أن يتجزأ ، فإن الابتسارَ انتحار .

● وهذا التصور يقوم على فكرة مركزية في تخطيطها ينبغي أن يفهمها الجندي المقاتل كمثل فهم القيادي لها : أن فقه "حماس" يقصد تأخير "الصلح" و "السلام" و "التطبيع" مع إسرائيل أطول فترة ، وإلى حين أن يُتاح تأسيس دولة إسلامية أو مجموعة دول إسلامية تتولى القضية الفلسطينية بإخلاص وشجاعة ، وفراسة "حماس" في ذلك صحيحة ، وجاءت قضية العراق الجهادية ببرهان

صدقها ، فإنّ إسرائيل إنما تحيا بكفالة أميركا وتطوعها لحمايتها ، وضربات الجهاد العراقـي توشك أن ترغم أميركا على الانسحاب ، وفي دارها تلاوم شـديد قـد يُطـّور الانسحاب إلى خطة انكفاء أميركي عام ربمـا يتوسـع حتـى يـصل درجـة التخلّي عن إسرائيل ، فتكون نهاية إسرائيل متصورة ، وقد بدا الموقف الأوربـي يميل لمثل ذلك ، وللصين والشرق وروسيا انشغال بالخروج مـن شِـباك العولـمـة الأميركية ، ومن ثم يُـتاح لدولة إسـلامية أو دولـة مخلـصين أن تـستثمر ظـرف ضعف الظهير العالمي لإسرائيل يوماً ما لتصول جمهرة مؤمنة صولتها لإزالة دولة إسرائيل ، والتطور السياسي الذي تشهده البلاد العربية والعالم الإسلامي يوحي بصيرورة الأمور إلى أيادٍ نظيفة ، وقد أفلست الحكومات والأحـزاب ، وشـاعت الصحوة الإسلامية ، ومارسـت الـسياسة ، وأتقنـت الجهـاد ، وجـاء الاحـتلال الأميركي للعراق ليوقـظ الطاقات الإسلامية مـن سُـباتها ، ويفـك الخطـط مـن عِقالها ، ويوجه أحاسيس الجهاد نحو عليائها ، وقراءة المستقبل تـحتمل تـصديق الأحلام ، وتكمن قرائن في وُعود الدّين ، ومن كل ذلك يتشكل " مذهب حماس " ، وبحوث الفكـر الإسـلامي تمـلأ الأسمـاع ، ومـشاهد الزحـف تمـلأ الأبـصار ، وتـتناقلها الفضائيات ، وبصبرِ بضع سنين أُخـرى تمتلـئ القلـوب بثقـة ووعـي وأفراح .

□ النصر وليد المنهجية ... والأناة

● وتـجبه المجاهد الريادي دومـاً تناقـضات في تـصرفات الفـضائل الـسياسية والجهادية ، وتكون في بعض الأحيان صعبة التأويـل ، ولا يمكـن تخريجهـا وفـق موازين الفقه وقواعد التخطيط ، وتكون إلى الغموض أقرب ، وتلـك طبيعـة في الحياة الإنسانية لا تبرأ منها شخـصـيات العـاملين ، ولمـثلها رشّح الخليفة المأمونُ " الأنـــاةَ " أن تكون مقدمة لما يرجو من وضوح وقرار صائب ، فقال لعبـد الله بـن طاهر رئيس شرطته :

(تَثَبَّتْ ، فإن الله ﷻ قد قطع عُذر العجول بما يُمكنه من التثبّت ، وأوجب الحُجة على القلِق بما بصَّره من فضل الأناة)[١٦] .

وهي جملة قالها في سياق رقابته الإدارية اليومية ، لكنها رسخت كحكمة سياسية وتخطيطية رفيعة المبنى والمعنى ، والدعاة المسلمون والمجاهدون أولى من يجددها اليوم ، وأن تشتهر عنهم رَويّة وإصغاء بالحسنى وتأملات عند المشاكل وتضارب القول والمفاد والمواقف والبيانات والمناهج ، **فإن هذه الحكمة تندبهم إلى أن يسمعوا بعقولهم وقلوبهم لا بآذانهم ، وما ينبغي أن يستفزهم إغراب مُغرب فيخرجوا إلى ردود فعل سريعة تزيد الأمرَ التباساً ، وإنما تكون لهم محاكمات الحكيم الذي يتفكر ساعة قبل أن ينطق ، وأما الجفلات واللسان اللاذع فهي شغل الذي لا تعقله أعراف وآداب الأداء الجهادي والدعوي ، ولم يتفهم قواعد العدل والقضاء ، ولم تطب نفسه بوداعة الأساليب التربوية** ، وهذه الحكمة المأمونية كما أنها تهذيب لنا نحن أهل الإيمان ، فإنها تحذير أيضاً للعجول والحاسد والمنافس ، ولكل من يضيق صَدُره عندما يرى نجاح رجال الصحوة الإسلامية ، والشواهد الحيوية كثيرة الإشارة إلى أن مقدمات بعض الفتن والمشاكل المؤخرة لنيل الأمة مصالحها إنما كمنت في تصرفٍ ظالمٍ وتزويري جنح إليه صاحبُ سلطةٍ عجول يتجنب الرويّة ويحتكر الحقوق ، فتميل النفوس المظلومة إلى الرد والعناد والتحدي ، فتكون مشكلة تدلف منها أخلاط وشوائب وأسواء ، **ورائد السلامة والمصلحة العامة يلعن الشيطان ويلوذ أولاً بركن علم النفس الإيماني ، فيعفو ويسامح** ، فأيما تحرّشٍ بعد ذلك وإسراف في العدوان فإنه يوشك أن يدفع إلى ردود ، فإن النفوس قد حباها خالقها بعزةٍ فطرية يزيدها الإيمان توكيداً ويجعلها رأس الشرف ، **وعندئذ تصدق حكمتنا التجريبية الأولى التي تنصح بأن يكون "الاعتداد الصلب" هو العلاج لمادة الإزعاج ◻◻◻**

---

(١٦) البصائر ١ / ٢٢٦ .

❑❑ حديث اليوم فخر جهادي تنحت منه خطوات تائهة ، وإيجاب تعكر عليه متواليةُ سلبياتٍ سُنّية ، وخبرُ دعاة وعاة رفعوا الأذان بالتكبير والتحذير فكذبهم السذّج الغافلون ، حتى إذا أحاطت المصيبة بالعراق لاذ المتضرر بالمبادر يريد منه المعجزة بعد أن خذله ، ووقف غير العراقي يتطوع بالدعاء ويمد يده بجيوبه مراراً ، يظن المكتوي السجين الذبيح أنه سيُخرج له حفنة من نقود يدبّر بها أمره ويحوّل مأساته إلى صمود واستدراك : فإذا به يُخرج منديله ليمسح به دموعاً عاطفية قذفت في قلبه معنى الاكتفاء بها عن خطط عقلانية للإصلاح والرد والعلاج ، ومع ذلك تبقى في نفس الكسير سلوة تخفف آثار المنظر ، فإن هذا العاطفي الماسح لدموعهِ أعلى ذوقاً من آخر تحدث عنه الرافعي قبل سبعين سنة في " الأيدي المتوضئة " أخرج منديله بعد تفتيش جيوبه ، فتمخط !!

● ولتقريب المعنى من الحقائق وإنزاله على الواقع : يكفينا أن نقول : أن **الأحزاب الشيعية التي تمكنت من الاستئثار بحكم العراق في الحكومة الانتقالية برئاسة الجعفري من خلال تحالفها العتيد مع الحملة الأميركية ، ومن خلال انسحاب أهل السنة من العملية السياسية بتشجيع من هيئة العلماء وضغط من تنظيم القاعدة : استطاعت تصدير نفط قيمته عدة مليارات من الدولارات بواسطة إيران من دون تسجيله رسمياً ، وذهبت هذه المليارات إلى حساباتها الحزبية وإلى الحسابات الشخصية لقادة هذه الأحزاب وقادة ميليشيات بدر وجيش المهدي ، وبذلك حققت تفوقاً حاسماً على الجهود السنية وضمنت رصيداً مستقبلياً يضاف إلى ضمانات إيران لها** ، ثم أحرقت طابقين من وزارة النفط فيهما الوثائق والحسابات ، لطمس أدلة السرقة ، ولأهل السُنة تبرعات تأتي من الخارج بالقطّارة ، وبأرقام متواضعة ، فقارن وتأمل !!

▫ عِقاب .. في صورة انسحاب

● بمقابل هذا : **تحقق المقاومة الجهادية العراقية ضغطاً كبيراً على الجيش الأميركي** ، وأقل منه على القوات العراقية المتعاونة مع الجهد الأميركي ، ويزداد عدد قتلى المارينز وسقوط طائرات الهليكوبتر واحتراق سيارات الهامفي ، **إلى درجة أنتجت معارضة أميركية للحرب قوية تصاعدت وتيرتها خلال الأشهر الأخيرة لتشمل عدداً من كبار الجنرالات ورجال الكونغرس** ، حتى انقلب عدد من القادة الذين يعتمدهم وزير الدفاع رامسفيلد عليه ، وتضاعف الإعلام الأميركي المعادي للحرب ولسياسة بوش ، واستقال رئيس المخابرات الأميركية الجديد وتبع "تنت" الأول ، ونطق وزير الخارجية السابق "باول" بما لا يرضي البيت الأبيض ، وانفضحت قصص المعلومات الخادعة التي قدمتها إيران والأحزاب الشيعية والكردية العراقية إلى الإدارة الأميركية وانكشفت سذاجة معاهد البحوث الأميركية وسطحية دوائر التخطيط فيها رغم الإمكانات الهائلة ، بل وما هو أكبر من السذاجة من خضوعها لطلبات اللوبي الصهيوني التي لا تراعي المصالح الأميركية البحتة وتوصي بما يتوافق مع خطط إسرائيل ، **ونتج من كل ذلك حال بائس لسلطة الاحتلال الأميركي جعلها تفكر جدياً في ربيع ٢٠٠٦ بالانسحاب التام من العراق خلال سنة ، وقفاً لنزيف المارينز والخزينة الأميركية ، ويعني ذلك فشلاً تاماً لأفكار العولمة العسكرية التي أطالت التبشير أيام الغزو بعملية عالمية واسعة** تتخذ من العراق موضع قَدَم أولي وتنتشر بعده في العالم الإسلامي .

● **وهذا إيجاب بلا شك ، ونصر يُسجل للمقاومة الجهادية ، ولكن جهات متهورة في الكيان الأميركي تريد أن تحوله إلى سلب وانتقام من العراق من خلال انسحاب سريع غير منهجي ولا منضبط بجدول يتيح التدرج ومعالجة قضية الفراغ الذي سيحصل ، وذلك لأن المعادلة العراقية الداخلية مختلة اختلالاً كبيراً لصالح الأحزاب الشيعية ، بما تملك من ظهير إيراني وتفوق في النفوذ من خلال**

قوات وزارة الداخلية والميليشيات وبعض النفوذ في الجيش ، ثم لصالح الأحزاب الكردية العلمانية ، بما لها من قوات البيشمركه ، ونفوذها في الجيش ، وحيازتها للسلاح الثقيل الذي ورثته عن فيلقين من فيالق جيوش صدام استولت عليهما فور الانهيار الذي اقترن بالحرب ، **وأما أهل السُنة فلا يملكون شيئاً من ذلك ، سوى نجدة المقاومة الجهادية لهم** ، وهي نجدة قد تؤدي إلى الحفاظ على أهل السنة في ديارهم في الأنبار والموصل وأنحاء سامراء وتكريت وبعض بغداد وديالى ، ولكنها لا تؤدي إلى حكم بقية أنحاء العراق لو أرادت الجهات الأخرى في المعادلة العراقية التخلي عن وحدة العراق وتقسيمه استثماراً لحالة الفراغ التي يتيحها انسحاب أميركي سريع ، **بل يصل الأمر إلى درجة أن لا تتاح إمكانية قيام فيدرالية سنية قوية بمقابل فيدرالية الأكراد القوية بنفط كركوك وغيره ، وفدرالية الجنوب الشيعية القوية بنفط الجنوب المستثمر وغير المستثمر ، وسيكون تقليم إقليم أهل السُنة** ، باستيلاء الفدرالية الشيعية على البادية وما فيها من ثروات محتملة ، وإضافة الأكراد لمناطق شرق الموصل وخطوط الزاب الأعلى ونهر الزاب الأسفل وأنحاء الحويجة إلى فدراليتهم مع أنها مناطق عربية ، كما أعلن مسعود البارزاني في خارطته الرسمية لكردستان ، **ويكون بعد ذلك استيلاء الأحزاب الشيعية على فدرالية مدينة بغداد المركزية التي كفلها الدستور الجديد ، وتسعى الأحزاب الشيعية اليوم من خلال تفوقها في البرلمان ونفوذها في الوزارات السيادية في الحكومة الدائمة ومخططاتها الإسكانية إلى تحقيق هجرة شيعية ضخمة من الجنوب إلى داخل مدينة بغداد بحجم يضمن أكثرية ساحقة لهم ، والضغط على أهل السُنة للهجرة من بغداد إلى المحافظات أو إلى خارج العراق ، وقد حصل ذلك بشكل واسع يدل على انهزامية قطاع كبير من أهل السُنة ، وإسرافهم في الأخذ بالرخص دون العزائم والثبات ، حتى بات من المرجح أن الفدرالية السُنية من خلال كل هذا المسلسل البائس ستكون ضعيفة اقتصادياً وخدمياً وسكانياً ، بل وهناك تخطيط لها أقسى وأظلم وأسوأ ، يتمثل في**

احتمال تمزيقها إلى عدة فدراليات سنية ضعيفة ، كل محافظة سنية تكون فدرالية ، وقد بدأ محافظ الموصل يدندن حول هذا المعنى ، ثم إغـراء أميركـا لـلأردن بـأن تحتل الأنبار وتضيفها إلى أملاكها ، بزعم أن تنظـيم القاعـدة سـيتمركز في خـط الفرات ويكون بؤرة للإرهاب العالمي ، فإن لم يكن هـذا فـإن الجيـوش العربيـة والإسلامية ستأتي بديلة عن الأميركان وتتولى تدجين المناطق السنية ، إذ هي غير قادرة على ممارسة أي ضـغط علـى المنـاطق الـشيعية ، بـسبب الحمايـة الإيرانيـة والإمداد العسكري لهم ، ولا على الأكراد لحصانة جبال كردستان الـتي أرهقـت جيـوش صـدام ومـن قبلـه ، فتعـود الجيـوش المـستوردة مـن العـالمين العربـي والإسلامي غير قادرة على إثبات مقدرتها وكفاءتها إلا على رؤوس أهـل الـسُنة المساكين ، أو تضطر المقاومة لقتالهم ، فيكون نزيف الدم الإسلامي من الجانبين ، ويكون استمرار الأزمة في الديار السنية إذ غيرها يبني ويتخذ خطط إنمـاء وتنهـال عليه المساعدات الدولية .

● هذا حديث إحباط في يوم تراد فيه أحاديث تشجيع وتثبيت ، لكن هذا هـو الواقع بلا رتوش ، وهذه هي الأحداث المتوقعة في النظر التحليلـي الـواعي بـلا تدليس .

بل وهناك ما هو أدهى ، فإن الجيوش الأميركية جزمت بقرار الانسحاب ، لا بتأثير ضربات المقاومة الجهادية فقـط ، بـل بتـأثير خططهـا في تحجـيم الطمـوح النووي الإيراني أيضاً ، وخبر ذلك بإيجاز : أن أميركا تريد توجيه ضـربة جويـة وصاروخية للبنية التحتية الإيرانية ، وربما ضربة بقنبلة نيوترونية صـغيرة لمفاعـل بوشهر ومواطن نووية أخرى ، وهي تخاف إن فعلت ذلك أن تتحرك الأحـزاب الشيعية العراقية بحكم تحالفاتها الإستراتيجية المصيرية المذهبية مع إيران لـضرب القوات الأميركية بعد أن استخدمتها لإزالة صدام وخدمتها مـن خـلال تعـاون ثلاث سنوات في مجال إرهاق أهل السُنة بسبب سُـنية الجهـاد العراقـي ، لـذلك تحرص أميركا الآن على الانسحاب من العراق لتتمكن من توجيه ضربة لإيـران

من دون أن تراق دماء مارينز أخرى ، وقد بدأ الدم البريطاني يُراق في البصرة وما حولها بأيادي رجال الأحزاب الشيعية بتحريك من المخابرات الإيرانية ومشاركة منها ، وذلك نذير يدل على واقعية التخوفات الأميركية من مقاومة شيعية ، هي ليست من الجهاد بشيء ، ولكنها فذلكة في خدمة المخطط الشيعي ، وتدبير لنجدة إيران ، بعدما استنفذت القيادات الشيعية أغراضها من حملتها الناجحة الذكية لتوريط أميركا في العراق .

▫ كُن لاعب سيرك .. لكن لا تلعب بالنار !!

● والبعض يشكك في جدية الخلاف الإيراني الأميركي ، ويزعم أنه تمثيلية ، وأن دلائل التعاون المشترك بينهما دهراً لا تسمح باعتقاد صدق التباين في المواقف .

ولسنا مع هذا التشكيك ، بل **نرى أميركا جادة في خلافها مع إيران ، ولكنه خلاف ينحصر في قضية حيازة السلاح النووي فقط ، وأميركا يروق لها فيما عدا ذلك بقاء إيران خنجراً شيعياً في خاصرة العمل الإسلامي السني في العالم الإسلامي كله** ، وفي العراق بخاصة ، والخليج وجزيرة العرب بدرجة ثانية ، حتى أن أميركا أعلنت مؤخراً عن خطتها في تقليص اعتمادها على نفط الخليج والمنطقة إلى حدود ١٠٪ فقط قبل حلول عام ٢٠٢٠ ، وستبقيه أداة سيطرة فقط على الصين والهند واليابان عبر الضغط والتوزيع واحتكار البيع ، وأما الاستهلاك الأميركي للنفط العربي فسيقل ويقارب الصفر .

أما استثناء السلاح النووي الإيراني ووضع أميركا لخطوطها الحمراء عليه وتحريكها لأوربا ضد إيران : فإنه استثناء لا ينبع من ذات المصالح الأميركية ، وإنما من احتمالات تشكيل هذا السلاح النووي لخطر على إسرائيل في المستقبل ، فإسرائيل لا تخاف قادة إيران الحاليين أن يستعملوا ضدها سلاحاً نووياً في وقت كان الدعم اللوجستي الإسرائيلي لإيران بالأمس القريب على أوسع نطاق أيام الحرب العراقية الإيرانية ، وإنما خوف إسرائيل كان من الجيش العراقي الذي

تسود أوساطه تربية عميقة ضد الصهيونية والولاء لقضية فلسطين، ولكن إسرائيل تخاف من نزوة محتملة عند حاكم يحكم إيران في المستقبل ويريد أن يسجل بطولة ويضغط على الغرب بالتحرش بإسرائيل .

● ومع ذلك فهذا هو الاحتمال الأضعف ، وهو السبب الثانوي ربما ، وإنما السبب الأهم في نظرنا ولم ينتبه له كل الإعلام العربي والعالمي : **أن إسرائيل تتخوف من أن يؤدي امتلاك إيران لقنبلة نووية إلى سباق تسلح في المنطقة كلها ، والمظنون أن حكام العرب أقصر باعاً من أن يسعوا إلى سلاح نووي ، وذلك بعيد ، ولكن الخطر إنما يُتوقع من تركيا مهما كانت درجة تعاونها مع أميركا وإسرائيل ، لأن تاريخ العلاقات الإيرانية الصفوية التركية العثمانية هو تاريخ عدائي تنافسي كان على طول المدى قاسياً ، ولا ينسى التركي أبداً ضرب الصفويين للجيوش العثمانية من الخلف حين اندفعت في أوربا ، ومعركة تبريز جزء من مخزن الآلام الدفين العميق ، والمصالح المؤكدة في خطط الأمن الاستراتيجي التركي توصي بالتكافؤ الحتمي مع إيران ، ولا تسمح بأي خلل لصالح إيران أبداً ، فإذا حازت إيران سلاحاً نووياً فإنه يلزم ومن باب الضرورة أن تحوزه تركيا** ، بسعي ذاتي منها ، أو بمعونة أميركية ، ولا يُغني الانتماء المحتمل لتركيا للاتحاد الأوربي ، بل لابد من قوة ذاتية .

● ومع ذلك ، وإلى هذا الحد : فإن إسرائيل قد تبقى غير خائفة ، لأن درجة التعاون بين تركيا وإسرائيل عميقة جداً ، وتكاد تضمن ولاء جنرالات الجيش الأتاتوركي لها ، **ولكن هلعها ووجلها لا من النظام الحاضر في تركيا ، وإنما من تنامي التيار الإسلامي التركي** الذي ما يزال حتى الآن محدوداً وفيه من اللين ما فيه ، ولبعض رجال الحزب الحاكم الإسلامي التوجه الآن " تأول عريض " في المجال السياسي يخرجهم إلى الإغراب والالتقاء مع المصالح الأميركية ، ومع المصالح الإسرائيلية تبعاً لذلك ، وفراسة الأستاذ أربكان كانت صادقة في ذلك ، **ولكن هذا التيار الإسلامي التركي مرشح للتوسع ، والصلابة ، واقتباس الوعي**

من التجربة ، والتوبة من اللين ، والانعتاق من السياسة المرحلية إلى التشدد في الثوابت ، ونمو التيار الإسلامي في العالم العربي سيترك آثاره الإيجابية عليه ، والصحوة الإسلامية العالمية لها تأثيرات أخرى مضافة ، مما يجعل إسرائيل تتخوف من مستقبل تسقط فيه تركيا في الحضن الإسلامي ، وعندئذ تكون قنبلتها النووية خطرة على إسرائيل ، ولأن جذرها إيراني : فإن هذا الجذر يجب أن يُقطع ، وإن كان غير ضار بمفرده ، ولكن احتمالات التوالد والسياق والعدوى والامتداد تجعله ضاراً .

▫ فُتات للتابع .. أوفر من رغيف " دون كبشوت "

● **هذا التراجع الأميركي** عن خطة إطالة المكوث في العراق ، والذي سببه مزدوج يتجلى في ضغوط المقاومة وفي تجنيب الجيش الأميركي ضربة شيعية لو قصفت أميركا وإسرائيل إيران : **منح إيران موقفاً متفوقاً في العراق** ، فوق موقفها التعاوني القوي مع أميركا في ارض العراق منذ التصعيد للغزو الأميركي وأثناء الحرب لخلع صدام وإلى الآن ، فالتقاء المصالح ، ورغبة اللوبي الصهيوني الأميركي في تحطيم العراق وجيشه وبنيته التحتية : جعل القيادة الأميركية تغض الطرف على الأقل عن النشاط التخريبي للمخابرات الإيرانية في العراق ، من قتل كبار الضباط والطياريين بخاصة الذين آذوا إيران سابقاً ، وضماناً للجيش العراقي الجديد أن لا يكون فيه هؤلاء قادة، ومن قتل العلماء التنمويين وخبراء العلوم التطبيقية ، وقتل شيوخ العلم الشرعي من أهل السُنة ، وشيوخ العشائر ، وتجار أهل السُنة ، وطاب للثلة الأميركية المتعاونة مع إسرائيل ذلك وفسحوا المجال لإيران أن تقوم بما قامت نيابة عنهم ، ويلاحظ أن إيران كبلد نفطي قد استفادت من ارتفاع أسعار النفط ضعفين بسبب مشكلة العراق ، فحازت عشرات المليارات سنوياً مجاناً ، مما أتاح لها توظيف بعضها في إسناد نشاطها هذا في العراق وفي الصرف على الأحزاب الشيعية العراقية ، في الوقت الذي خاف فيه آل سعود من عمل مقابل، وخافت الكويت والإمارات والبحرين ، **مع أن**

القنبلة النووية الإيرانيـة تـشكل أكـبر خطـر مباشـر علـى الخلـيج علـى المـدى الاستراتيجي ، وان النفوذ الإيراني المتعاظم في العراق الذي هـو بـوابة العـالم العربي يشـكل عنـصر تنـغيص دائـم على جمـيع بلاد العـرب القـريـبة منـه ، وكان وعي ملك الأردن لخـطر " الهلال الشيعي " جيداً ، ولكنه أحجم عن إسـناد وعيه بفعل وعمل وخطة ، وحرفته تقارير مخابراته الـتي تتـوهم الخطـر في تنظـيم القاعدة عن مجابهة الاختراق الإيراني ، مع أن مخاطر القاعدة ثانوية وآنية بالنـسبة إلى الخطر الإيراني الذي يستند إلى التشنج الصفوي القديم قبـل خمـسمائة سـنة ، وترشحه حالة الانكفاء الأميركي المتوقعة إلى أن يكون طويـل الجثمـة إن لم يكـن دائماً ، **وكل ذلك يُفسر نظرتنا التي كررناها في جعل الغزو الإيراني للعراق أكبر وأخطر من الغزو الأميركي** ، وأغلب دعاة الإسلام في العالم لا يستوعبون ذلك ، وتخدعهم الدعاية الإيرانية ، وهم يصدرون عـن وهـم التقريـب بـين المـذاهب ، ودعاوى الوحدة الإسلامية ، وإنكار إيران لما يُنسب لها ، استعمالاً لمبـدأ التقيـة ، **إذ " خنجر قُم " يعمل عمله من تحت الرداء طعناً في خاصرة العرب : " العراق "** ، وما لا نقوله أكبر، فمن ذا الذي خارج العراق يُصدقنا لو قلنـا : إن القتـل علـى الهوية بلغ أن يذهب المؤمنون لصلاة الفجر ليشاهدوا جثـث خمـسة عـشر شـهيداً لشباب يجمعهم اسم " عُمر " ، وفي مكان آخـر يجمعهـم اسـم " عثمـان " ؟! ولكـن ذلك حَدث ، أو أن الأستاذ الجامعي يرفض ترشيح اسم كل طالب اسمه " عمر " ، أو " عبد الرحمن " !! أو أن المدرس في الثانوية يحرم كل عمر من فرصة النجـاح !! ولكن ذلك حصل ، وكل " عائشة " نالها تعب مماثل في المدارس ودواوين الحكومة.

▫ التخريج الشرعي والواقعي .. ينفي الشبهة الزرقاء

● هذا الحال الشيعي المنتعش المنتفش الذي أجاد بمهارة استخدام قوتي أميركا وإيران معاً : هو الـذي يفـسر اضـطرار مـعـظم قيادات أهـل الـسُنة للموافقـة على " المشاركة في العملية السياسية " ، وبخاصة نظرية " الحزب الإسلامي العراقي " في العمل ، وتلك هي الخلفية النفسية التي أحاطـت برجالـه وجعلـتهم يجزمـون

بصواب هذه المشاركة وأنها الحل الواقعي المؤكد لأزمة أهل السُنة أمام تنامي السطوة الشيعية ، وتأسس من خلال المحاورات والجدل والنشاط الفكري والإعلامي للحزب منطق كامل يستدل بالأحداث الجارية والنصوص الشرعية ، وأُثيرت محاكمات فقهية من مكامنها في كتب العز بن عبد السلام وابن تيمية وابن القيم والشاطبي تشرح معاني الضرورات وتعرض الآفاق الفسيحة الممتدة لاجتهادات المصالح وسد الذرائع ، وحصل تقعيد واستلهام للتاريخ ، مع إنزال كل ذلك على واقع المرحلة في العراق من خلال إحصاء ودراسات ميدانية أظهرت صدق الحزب في توجهه السياسي ، ودِقّة القول الاستنتاجي الذي تفرضه وصايا ومنهجيات علم التخطيط ومعادلات اتخاذ المواقف ، **والذي أتاح ذلك أن الحزب قوة تنظيمية منتشرة في جميع العراق تعمل وفق طريقة متطورة تستثمر ثقافات متقدمة تملكها جمهرة أعضائه وخبرة عريقة ترسخت لدى كتلته القيادية عموماً ، فجاءت خطة المشاركة السياسية أبلغ وأصوب من مقاطعة شاملة صمّاء صلبة مالت إليها هيئة علماء المسلمين ، واتهامات وتخوينات سارعت إليها عناصر تنظيم القاعدة** والبعض القليل من فصائل المقاومة العراقية ، وجاء رفض هذه الجهات مستنداً إلى قول تعميمي يرى حرمة الممارسة السياسية في ظل الاحتلال ، وذلك أصل تدل عليه الأحكام الشرعية الصريحة ليس لذي تقوى أن يجادل في صحته ، ولكن الحالة العراقية حالة فريدة يحكمها الانقسام المذهبي والعرقي ، والمنافس قد استثمر بنجاح وما زال يستثمر مظلة الاحتلال لتحقيق تفوق مرشح للديمومة لأجيال من خلال تقنينه لتفوقه وتضمينه الدستور وامتلاك زمام الإدارة والقوى المسلحة وإسناده بالمال والنفوذ الإعلامي والعلاقات الإقليمية والدولية .

إن العراق ينفرد بوضع خاص ، وفيه انقسام مذهبي وعرقي ، فإذا لم نشارك سياسياً فإن الطرف الآخر سيستأثر بكل الموجود ويستبد ويوظف الإمكانات الحكومية وأجهزة الجيش والشرطة والمخابرات لضربنا وضرب عموم أهل السنة،

وهذا الذي حدث فعلاً حين حصل غيابنا ، وتحولت ميليشيات الأحزاب إلى كتائب عسكرية حكومية تضربنا تحت غطاء القانون ، وبتأييد من الأميركان ، ونحن نعلم أن المقاطعة هي حكم أصلي ولكن المشاركة في مثل هذه الأوضاع العراقية إنما هي استثناء تبيحه أحكام الضرورات والمصالح ، وهذا هو التخريج الفقهي الذي استندنا إليه ، **وفقه الواقع غير فقه الخيال والمثال** ، والـمُعَذب الذي توجع رأسه الضربات له نمط من التفكير يخالف تفكير الرافل في الحرية ، جزماً .

وندعو المستغرب إلى أن يأتي إلى العراق ثلاثة أيام ويعيش تحت أثقال أخبار الأجساد المكوية بالجمر ، المقطوعة الرؤوس ، المثقوبة بالمثاقب الكهربائية ، المتهرئة بآثار الأحماض والنايترك أسِد : ليدرك مدى الوطأة التي يئن تحت عنفها أحرار العراق وتكون خلفية لإفتاء المفتي ، والفقهاء الذين علمونا أحكام التعفف السياسي الشرعي والاستعلاء على الكافر المحتل هم أنفسهم الذين أفتونا بمراعاة فقه الضرورات والمصالح وتجويز المشاركة السياسية ، **ولذلك أيدت جهتان هذه الخطة في الممارسة البرلمانية ثم الحكومية : المقاومة العراقية الجهادية النقية الجادة بفصائلها الكبيرة القوية مع فصائل عديدة أصغر ، وسبب تفهمها للخطة السياسية أنها منظمات عراقية صميمة تفهم الواقع العراقي والمعادلات الصعبة القومية والمذهبية ، لا كمثل قيادات القاعدة الغريبة التي لا تفهم خصوصيات المجتمع العراقي ... والجهة الثانية المؤيدة للعملية السياسية : عامة جمهور أهل السُنة ، حتى في مثل الفلوجة التي أرهقها العدوان الأميركي عليها ، ومعظم أئمة المساجد وخطباء الجمعة ، وشيوخ العشائر ، والطبقة المثقفة ، ودليل ذلك سعة المشاركة في عملية الانتخابات البرلمانية ، وحصول انتعاش للحزب الإسلامي والتفاف جماهيري أوسع من السابق وارتفاع سمعة قيادته ، ودخول جهات سنية أخرى معه في حلف عبر " جبهة التوافق "**، وازدياد القبول لقناة " بغداد " الفضائية وصيرورتها المصدر الإعلامي الأول لأهل السُنة ولدى المتعاطفين مع القضية العراقية في العالم العربي ، ووصل أمر إذاعة " دار السلام " التابعة للحزب إلى أن

تكون إذاعة شعبية دخلت كل بيت ومقهى ، وصارت المفضلة عند كل سائق حافلة وسيارة أُجرة يُسمعها لركاب سيارته .

● وليس من شرط صواب خطة الحزب العصمة ، فإنها لا تنبغي لبَشَر ، ولكن نسدد ونقارب ، ومن الخطأ نتعلم الصواب ، وكان صدام قد عزل الجميع عن الممارسة الحزبية والسياسية ، فضمرت الخبرة العملية لدى أغلب العراقيين ، إلا عند من استقل ورعته أميركا، كالأحزاب الكردية ، أو ارتبط بالخطتين الأميركية والإيرانية ، فكفلتا له الخبرة والنصيحة ، **وبقيت القيادات السنية تتلفت وتلوذ بعفافها وتستنجد بفطرتها الإيمانية وعطايا النفس الجهادية الاستعلائية ذات المعاني السامية** ، والإيمان يزيد وينقص ، فيزيد وعيها أيضاً ، بالبركة، وينقص ، ولحكمة يريدها الله ويمتحن بها عباده ليصفيهم ، ومن خلال معاناة التردد بين الاجتهادات حصل خطأ الموافقة على الدستور بوعد تعديله ، وأخطاء قبله تم الاستدراك عليها ، ولا يستحسن الحكماء إرهاق المخطئ باللوم ، حتى ليكاد يستهلك نفسه ومعنوياته ، ولكنهم يوصون المنكبح أن يقوم ويستأنف ويصارع قَدَر السوء بقَدَر خير ، **ورايات المؤمنين لا تحركها نفخات ، ولكنها ترفرف بريحٍ طيبةٍ ، من الله هبوبُها ، يُسندها استغفار ونفحات** ، وسلوة الجميع أن قلوب الرهط الذي يقود : نقية ، والنوايا صحيحة ، والوعي منحة ، والمبالغة في السجود والذلة إلى الله : تجلب العزة وفقه المواقف .

◻ المعاني الواسعة لعملية المشاركة السياسية

● **ومن خلال المحاورات ومحاولات تفهيم الناس : نكاد نكتشف أن تردد معظم المعترضين على العملية السياسية إنما حصل من تصور ضيق لمعناها ومداها وآفاقها ومجالاتها ، ولا يلحظون آثارها الإستراتيجية البعيدة ، ويظنون أنها عملية حصول على مناصب وزارية فقط ، وليس كذلك الأمر ، بل هو أعمق واشمل وأوسع ، فإن عنوان " المشاركة السياسية " إنما هو إيجاز لسلسلة طويلة مترابطة من الأعمال** ، تبدأ بالدستور ، وقد فشلنا في تحقيق تأثير في صياغته حتى الآن ، ونجح

المنافس وأدخل مشروعه فيه ، وهناك أمل تعديل ليس بقوي ، ولكن ما بعد هذه الحلقة من السلسلة إنما هي حلقات كثيرة نبذل وسعنا في تحقيق أقصى المصالح فيها ، بدأت بدخول الانتخابات البرلمانية ، وقد شابها تزوير ، ولكن صرنا شركاء في البرلمان ونستطيع الاعتراض وإبلاغ مطالبنا ، وسيكون لنا مجال التأثير في صياغة عشرات القوانين المهمة التي تحدد الحقوق وشكل الدولة وصلاحيات الوزارات ، **ووجودنا البرلماني سيؤثر في اتخاذ المواقف السياسية المهمة ، والمعاهدات السياسية والدفاعية والاقتصادية ، والاتفاقات الدولية** ، والعلاقات بهيئة الأمم والمنظمات العربية والإسلامية وأشكال التعاون مع الدول ، والعلاقات بهيئة الأمم والمنظمات العربية والإسلامية وأشكال التعاون مع الدول ، **ومن حلقات المشاركة : حيازة بعض النفوذ في المواقع الرئاسية للدولة ، وبعض الوزارات ، ندرأ من خلالها ضرراً ونجلب مصلحة ، ونقلل درجة احتكار المنافس لها ، وأهم من الوظائف المدنية : تحقيق حضور في القوات المسلحة التي هي مستند كل حاكم يريد أن ينفرد ، فقد تحقق وسيتحقق وجود سني يمنع استخدام المنافس للقوة المسلحة ضدهم كما حصل في الفترة الانتقالية** ، مع رقابة على ذلك مهما كانت منقوصة ، وأكثر المعترضين لا يرون هذه الميزات ويظنون أن المنتسب السني للقوات المسلحة ستستخدمه أميركا لضرب المقاومة ، ولا يرون احتمالات تفلّته من ذلك ، ودفاعه عن أهله ، **ثم حصلت مشاركة سنية في مجلس الأمن الاستراتيجي العراقي ، وهيئات أمنية أخرى ، من خلالها سيتحقق توازن في الحالة الأمنية العامة** وأحوال المعتقلين والسجناء وتقليل المداهمات وتفتيش البيوت وإقلاق القرى والبيوت السنية ، كالذي حصل سابقاً ، **ثم ستتحقق مشاركة في هيئات عامة حكومية مهمة تبلغ قرابة العشرين هيئة** ، وهي غير الوزارات المعروفة ، مثل البنك المركزي ، وديوان الرقابة المالية ، ومجلس القضاء الأعلى ، والهيئة العليا للانتخابات، وهيئة اجتثاث البعث ، وأكثر المعترضين لا يعلمون خبر هذه الهيئات والمؤسسات وأدوارها المهمة ، **ومن أهمها : هيئة تحقيق**

التوازن الوظيفي والحقوقي والمالي في الوزارات ومرافق الدولة والمؤسسات والجامعات ، بحيث تتعادل مشاركات العرب والأكراد والشيعة والسنة والأقليات تبعاً للأعداد النسبية لهم ، حتى في القوات المسلحة والشرطة وحيازة البعثات والمنح المالية والأعمال التنموية ، بحيث لا يحصل احتكار فئة لهذه الميزات دون الآخرين، وهذه قضية مهمة ، ثم في الاتفاق أن تكون الوظائف الكبرى مشمولة بذلك ، من وكلاء الوزارات والمدراء والعمادات والسفارات والقنصليات ، وتنتظرها فرص لتعيين عدد كبير من أهل السُنة في هذه الدرجات الوظيفية العليا بهم يتحقق التوازن في الدولة ، وكل ذلك سيتيح مقدرة وكفاية لتأسيس الفدرالية السنية إذا أسسها الآخرون واضطررنا لذلك ، وجعلها قوية وموحدة وليست عدة فدراليات سنية ضعيفة ، وهذا مكسب لا نسعى له ، لأننا نؤمن بوحدة العراق ومركزية الحكومة ، ولكنها خطوة قد تكون اضطرارية إذا لجأ غيرنا إلى الاعتصام بفدراليات خاصة بهم ، إذ ليس من المعقول آنذاك أن نبقى تحت حكم واستبداد الآخرين الذين بدرت منهم سوابق ظالمة لنا ، **ثم في العملية السياسية فوق ذلك : ممارسة إعلامية حُرة نحتاجها لإبلاغ صوت أهل السُنة ، وتنظيم حزبي علني قانوني يستفيد من المعطيات المتاحة لحشد أهل السُنة وتثقيفهم سياسياً وتنموياً وأمنياً ، وسلسلة لا آخر لها من تأسيس جمعيات المجتمع المدني** ، من ثقافية وإغاثية وتعليمية وصحية ، لرفع المستويات والمشاركات الشعبية ، **مع مجال للاستثمار والتجارة** ، وتنمية الحركة النسوية ، وتربية الأطفال ، ورعاية الشباب والجيل الصاعد ، **وتحصيل المنافع الخدمية عبر سلسلة طويلة من المجالس البلدية** واللجان ، وتحصيل حقوق الشهداء والمساجين والمتضررين ، **ثم حصول الخبرة السياسية والإدارية لألوف من رجال ونساء أهل السُنة** من خلال كونهم وزراء ووكلاء ومدراء ونواب برلمان وأعضاء مجالس بلدية وسفراء وضباط جيش وشرطة ، بهم وبخبرتهم : تتعادل الحياة في المناطق السُنية وتتحقق المصالح المعاشية وتُصان الدماء والأعراض والأموال ، **وكل**

ذلك إنما هو من الميزات التي تتيحها المشاركة السياسية وتقلل منها المقاطعة إلى درجة كبيرة ، والماهر الذكي يستطيع أن يُحقق نوعاً من التوازي بين العمل السياسي وأداء جهادي قائم لم يزهد به أحد ونفخر به ونبرأ من مضاددة له ، ولو أن عقلاء أهل السُنة تأملوا جميع هذه العطايا التي تتيحها خُطة المشاركة السياسية المتوازية مع الخطوط الجهادية : لأدركوا أن نظرية العمل السياسي إنما هي جهاد أيضاً ، وضرورة مرحلية ، واحتياط مستقبلي، وتدبير استراتيجي يلحظ الغد والتبعات والضرائب الفادحة للعزلة ، والاستعمار الأميركي راحل، وتبقى أصالة العراق .

● **والخلاصة** : أنها سلسلة مكاسب متتالية تحصلت من العملية السياسية ينبغي استحضارها عند تقويم أدوارنا وخططنا ، وما المقاعد الوزارية غير حلقة واحدة في هذه السلسلة :

□ فأول ذلك : وجودنا في البرلمان نمثل أهل السُنة ، بحيث نناقش ونعارض ونقيم التحالفات مع الأكراد ربما للضغط وإيصال مطالبنا ورفع أصواتنا ونحفظ المصالح الكبرى للعراق .

□ والمواقع الرئاسية التي تمنح أهل السُنة هيبة معنوية ومكانة نفسية ، مع المطالبة بحقوقهم .

□ ثم تحقيق حضور فاعل في القوات المسلحة عبر حيازة وزارة الدفاع المهمة جداً ، والتي سَتُحيّد التفوق الشيعي في وزارة الداخلية ، مع حضور في الهيئة الأمنية العليا يؤمن لنا دفع المفاسد .

□ ثم المناصب الوزارية ، ووزارة التخطيط لها أثر فاعل من ناحية إشرافها على إعادة إعمار العراق وصرف الأموال الآتية من الدول خارج الميزانية .

□ وتحقيق وجود عريض في مناصب وكلاء الوزارات والمدراء والسفراء وكبار الموظفين ، وعبر هيئة إعادة التوازن : توظيف كثرة من أبناء السُنة ، وإرسال البعوث التعليمية ، وتحقيق رقابة على المناهج الدراسية .

□ والمشاركة النسبية في معظم الهيئات الخاصة التي لا ترتبط بوزارة معينة ، وهي في حدود ثلاثين هيئة ، ومما لم نسمه مثلاً : هيئة النزاهة ، وهيئة الاتصالات ، وهيئة الإعلام .

□ والنفاذ إلى مجالس البلديات ، وحفظ حقوق أهل السُنة في كل قضاء وناحية ومحلة .

□ والسيطرة على المناطق السُنية لتأسيس فدرالية سُنية واحدة ، لا التشرذم إلى عدة فدراليات ، مع إيجاد وسائل لخدمة هذه الفدرالية وإنجاح قيامها وأدائها .

□ والاستمرار في العمل التنظيمي السياسي العلني بلا تضييق .

□ وخدمة أغراضنا عبر سلسلة من جمعيات المجتمع المدني من دون تحرش بنا .

□ وإنعاش الحركات النسوية والشبابية وتربية الناشئة وإتاحة المحاضن المساعدة على إنماء الطاقات .

□ واحتمال عودة النشاط التجاري الاستثماري والحياة الطبيعية .

□ وإطلاق سراح بعض المعتقلين ، ووقف النزيف .

فهذه أكثر من عشرة أنواع من الفوائد جلبتها أو ستجلبها المشاركة السياسية ، وتعدمها المقاطعة ، والعاقل يوازن ولا يتيح مجالاً للمنافس أن يحتكر السلطة والإمكانات الوظيفية والقوة العسكرية ، فيضربه بلا رحمة ، وذكريات وزير الداخلية " صولاغ " المريرة يجب أن تكون حاضرة عند المقارنة والتقويم .

وكل ذلك يشجعنا على منح ثقتنا للقيادة السياسية السُنية التي بذلت ما استطاعت ، وناورت وصبرت على لأواء المفاوضات الصعبة .

أما أن يكون الائتلاف الشيعي حاز أشياء أكثر منا : فلأن مقاعده أكثر ، وإن كان بعضها بالتزوير ، ولأن أمواله أكثر ، ومعه ضغط إيراني ، وله ولاء لأميركا بدأ منذ أيام المعارضة في الخارج قبل الحرب ، وينبغي ألا يغيب عن البال أنه دخل الحياة السياسية بصفٍ موحدٍ ودخلها أهل السُنة متفرقين في عدة قوائم انتخابية ، بل بعضهم دخلها ضمن قائمة إياد علاوي .

● ومع ذلك فإنه حتى العنفوان الطائفي : ربما تهذبه أعمالنا التربوية والفكرية والإعلامية ، لأنه نشأ في المجال المغلق ، وحياة الانفتاح العصرية ضده ، وقد تنحت منه بتدريج ، والاستقرار السياسي ربما يولد استقراراً نفسياً ومحاكمات عقلية وأساليب منطقية تميل بالتوتر إلى تعايش ، وبالصدود إلى محاورة ، وبالحياة العراقية كلها إلى استرسال في رحاب الفطرة إذا انكفأت إيران ورحلت أميركا ، وليس ذلك على الله ببعيد ، وهو عنصر الأمل الواعد بمقابل الصورة الإحباطية الأولى ، وهذا أمر تَلزمه خطة دعوية إسلامية شمولية وسطية ذات أنفاس طويلة ورؤى إستراتيجية المدى ، وهو الشيء الذي ينقص أهل السُنة في العراق ، ويوجب على الحزب الإسلامي العراقي أن ينتبه إليه في غمرة كثافة أعماله اليومية السياسية ، ولو أن أهل السُنة وجنود تنظيم القاعدة أنصفوا أنفسهم ورعوا مستقبلهم لأدركوا أن بداية إصلاح حالهم وحال العراق إنما تكمن في انتمائهم إلى صفوف الدعوة الإسلامية ، والحزب الإسلامي جزء منها ، مع الالتزام بمنهجية تربوية وفكرية وعقيدية تصحح لهم ممارساتهم وتكمل لهم مفاخرهم الجهادية بمكملات تجودها وتضمن توازنها واعتدالها وتتيح وتيرة إنتاجية لها تستدرك على النقص وتستكمل المصالح ، والكلام يصدق على الأحزاب الشيعية وعامة عناصر المجتمع الشيعي العراقي أيضاً : **أن تعتدل ، وتترك سياسة الاغتيال ، وتطلب التعايش السلمي ، وتفاصل إيران وخططها ، وتستقل ، وتتحاور مع الجهد الدعوي المقابل** ، ثم لعل الله يقذف في قلوب الأكراد معنى الأخوة الإيمانية الإسلامية والروح العراقية بدل التصعيد القومي ، ليتم أمر العراق ، وليس لنا من خلاف معهم غير ذلك .

▫ الأسارير البيضاء أحسمُ من الأسرار السوداء

● وهذه أُمنيات نعلم أنها بعيدة ، وتثير ابتسامة استخفاف لدى من يُراقب الساحة العراقية ، ونحن أول من يعجب لهذا الجزاف ، لما نرى من غليان القلوب

ومن الاحتكام إلى لغة العنف وسلاح الميليشيات ، **ولكننا نتحدث عن تغيّر يمكن أن يطرأ بعد جيل كامل** ، بل وجيلين ، لأن الحياة المدنية العصرية فيها شيوع ثقافة واختلاط وحوار وغزو فضائيات وكثافة انترنيت ، وكل ذلك ضد **" الدائرة المغلقة " المُحكمة الإغلاق المنعزلة التي أتاحت سابقاً انفراد قادة التشيع الدينيين والسياسيين بجمهورهم** ، فلم يسمع غير قولهم ووصفهم ، والانفتاح المتزايد سيجلب تفكيراً متزايداً ، وتساؤلات ، وعمليات نقد ومقارنة ومقايسة ، ويتطور الأمر إلى نقاش واعتراض ، وتجربة نمو الفكر اليساري في البيئة الشيعية دليل على صدق التوقع ، وضعف المنطق الاستدلالي في الدوائر العلمية الشيعية يوحي بتمرد عقلاني يفرض نفسه في أوساط المثقفين غداً ، كما كان الأمر في إيران من هبوط نظرية الخمينية بعد تحليقها ، فهي لم تمكث في أذهان الناس غير عشر سنوات ، ثم بدأ خطها البياني ينحدر ، والحركة الإصلاحية الإيرانية كما كانت سياسية : كانت فكرية فقهية نفسية ، وغلواء " قُم " تتعرض لتشريح في الجامعات الإيرانية وأوساط الخريجين والتكنوقراط .

وتزداد هذه التوقعات قوة إذا علمنا أن **النفوذ الشيعي العراقي السياسي الحالي إنما يعتمد بالدرجة الأولى على الطبقة الفقيرة المسحوقة الأُمية التي تشكل الجمهور الأعظم من سكان المحافظات الجنوبية** ، فولاؤها مطلق للزعامات الشيعية السياسية ، لا لضعف قدرة المحاورة والنقاش فقط ، بل للرهق النفسي الذي تعيش فيه ولا تشعر به ، واليأس المدمر ، والإحباط المتراكم الموروث عن الآباء جيلاً بعد جيل ، **لأن المحيط يفتقد " الطبقة الاجتماعية الوسطى " التي يتعادل بوجودها سياق الأداء الاجتماعي والسياسي والنفسي** ، فالطبقة المسحوقة الدنيا لم يكن أمامها على المدى التاريخي الماضي سوى الطبقة العليا ، من بين حاكم وإقطاعي وتاجر متمول وعالم شرعي يحرص على نصيبه في خُمس مال الكادحين ، وهي حالة واضحة في تحليلات الدكتور علي الوردي ، أستاذ علم الاجتماع المعروف ، الذي كان يمثل أحد طلائع النهضة الشيعية العراقية الحديثة ،

وما زالت هذه الظاهرة مستمرة بشكل ما ، **وهذا الفقدان للطبقة الوسطى يجعل الفقير المعدم يائساً من الارتقاء بحاله ، لأن صعوده إلى المستوى الأعلى صعب ، بل مستحيل ، فيخنع ويرضى بقسمته ويتنازل عن حق النقاش والحوار ، بينما لو كانت الطبقة الوسطى موجودة فإن نقلته لها وصعوده إلى مستواها يكون يسيراً مُتصوَّراً ، فيسعى لذلك ويدأب ، ثم إذا صار متوسطاً : تلمح له إمكانية نقلة ثانية ليكون قيادياً وضمن الطبقة العليا ، فيتكرر سعيه** أو سعي أولاده على الأقل ، ولكن وجود الطبقتين فقط يقذف في قلب المسحوق مزيد إحباط يلقنه لأولاده ، وفي قلب المتنفذ مزيد تكبّر وسلطوية وكبت .

واليوم تفتح الحياة العصرية أوسع الأبواب لنشوء الطبقة الوسطى في الجنوب ، وستنشأ معها فنون منطق عقيدي وفكري وسياسي جديد يعترض على المخططات الدموية للأحزاب الشيعية الحالية ، وعلى الزعامات نفسها ، وسيساعد على هذا التحول أن طبيعة أمة العرب أنها " أمة نَصّيّة " تلوذ بالنصوص المروية وتقلل نقاشها لها ، لأن عرب الجاهلية كانوا أُمة لا فلسفة لها وتحكمها بقايا الحنيفية الإبراهيمية ، بينما الفرس أُمة فلسفية كلامية عقلية ، ورثت ذلك من الزرادشتية ، ونمو التيار العقلي اليوم في إيران ضد مقولات قُم : سيكون له أثر وتصدير إلى العراق ، فيقتدي الجيل الشيعي العراقي القادم به ، وتكون حيصة ، تنفجر ، لتستقر الحياة العراقية بعدها وينفتح مجال الحوار السني الشيعي الهادئ ، والتباين الطبقي الذي أسلفنا خبره كان له مثيل في الكويت والإمارات وعموم الخليج ، وكانت طبقة الأمراء وتجار اللؤلؤ تقابلها طبقة الغواصين والكادحين المسحوقة الخانعة ، فلما صار إنتاج النفط : نشأت طبقة وسطى عبر التعليم وتوزيع الأموال ومظاهر التنمية ، وبدأت عناصر الطبقة الجديدة تناقش وتطالب الشيوخ بحُريّات وحقوق ، ولمن يتوغل في التأمل والرصد مزيد فراسة تنبيه عن أوصاف جيل شيعي لاحق في العراق يختلف بإذن الله عما تريده خطط المصادمة وخطط التوظيف الصفوي لطاقاته .

● وإذا كان الأمر كذلك ، وينفتح باب هذا الأمل المستقبلي لتخفيف جثمة الغلو والتطرف الحالية : **فإن المنطق يهدي إلى أن تكون المشاركة السياسية هي الوسيلة التي تؤدي إلى الهدوء الموصل إلى الحوار والتفهيم والتبدل النفسي .**

ولن نزعم أن ذلك يكون سهلاً ، **ولا يراد لهذه المشاركة أن تكون داجنة تعوّل على هذا الاحتمال التحليلي فقط ، بل يلزم أن تكون صلبة حافظة للحقوق وتلوذ بالعزة الإيمانية ، لأننا أبناء يومنا هذا ، وهذا اليوم نحن في موقف المظلوم المعتدى عليه ، وقد أسرف المقابل في القتل والتعكير ، وحَرَمنا من الفرص ، واستبدّ بنا تحت مظلة الاحتلال وبردف من إيران ، ولابد من أن تسلك المشاركة السياسية سلوك الندّ للندّ** ، وان تمثل أماني الناس ومطالبهم العادلة ، والمقاومة الجهادية رديف لها في ذلك ونصير بحول الله ، ولكن حال التوتر يرهق الشعوب إذا طال أمده ، فنتخذ من المشاركة وسيلة لتأسيس الحوار والنقد وانتظار نضوج الجيل الجديد المنفتح الذي يمكن أن يستجيب لنداء الإيمان ويتفهم مصلحته ومصالح الآخرين ، ويعزل القيادات المتطرفة المنغلقة ، ومثل هذا التوقع إنما ترجحه المشاركة السياسية ، لأنها تتيح العيش المشترك ، ويبقى العنف خلال سنتين وثلاث ربما، لكنه يكون في خطٍ تنازلي وتخف شدة الأحداث تدريجاً حتى يصل إلى أدنى درجاته ، وبغير المشاركة تبقى طرائق العنف متصاعدة .

□ لا .. للشُبهة الحمراء

كذلك فإن نظرية المشاركة السياسية تفترض وبشواهد منطقية أنها الوسيلة الأهم لتقليل احتمالات الحرب الأهلية الشيعية السُنية في العراق ، وربما الكردية العربية التركمانية ، لأن للتوترات قابلية العدوى والانتقال ، وجهات التوتير والتأزيم تسعى لذلك ، من يهودية وإيرانية، بل وتسعى لها مدرسة أميركية تطيع اللوبي الصهيوني الأميركي موجودة داخل جسم الجيش الأميركي العامل في العراق ، وفي البنتاغون والبيت الأبيض ، والحرب الأهلية عنوان مخيف لذي العقل والقلب الحي ، وشرها مستطير يطال الجميع ، وفيها قتل ذريع ودمار البلد

والأموال، وتولّد أمراضاً نفسية تنخر في النفوس لجيلين وثلاثة ، ولذلك يحرص العقلاء على تجنبها عبر ممارسة المشاركة السياسية العزيزة التي لا تلين لخطط الضيم ، ولكنها تداري وتماري بالحسنى والوسائل السلمية ، **وواهم هو المجاهد الذي يظن أن مواقفه الحربية فقط هي التي تنجد القضية السُنية** ، لأن غاية ذلك أن يستقل بمنطقته ، وهذا يوفره تأسيس الفدرالية السُنية بطرق سلمية ولا يحوج لحرب ، وأما أن يتغلب على شيعي وكردي إذ هما أقوياء الآن فذلك محال .

ويجب أن يكون واضحاً لكل مهتم بالقضية السنية : الفرق الكبير بين الاستعداد للحرب الأهلية ، والثبات إذا أراد الخصم أو الكيد الخارجي أن يجرنا إليها ، **وبين السعي للتصعيد وإشعال فتيل الحرب الأهلية واعتمادها كحل سياسي للأزمة ، فنحن لا نؤمن أبداً بالدفع نحو الحرب** ، ونعتقد أن ما يُنسب إلى الزرقاوي من مهاجمة الحسينيات والقتل العشوائي للجمهور الشيعي المشارك في المناسبات الشيعية إنما هو خطأ محض مثيل لخطأ الميليشيات الحزبية الشيعية التي هاجمت المساجد السُنية قبل وبعد تفجير قبة الهادي في سامراء ، **بل لا قيمة لقتل بسطاء الناس مقابل القتل النخبوي الانتقائي لنبلاء أهل السُنة الذي تمارسه الميليشيات** ، ولكن إذا هوجمنا وأراد ظالم أن يقحمنا في حرب أهلية رغم أنوفنا : صبرنا ، ودافعنا عن المستضعفين ، ولن نُعطي الدنية في الدين ، والفرق واضح بين الحالتين ، وإنما اقتنعنا بالمشاركة السياسية مستحضرين فائدتها المؤكدة في تجنيب كل الأطراف العراقية مخاطر الحرب الأهلية أو استمرار وتيرة التوتر الاستنزافي الطويل الأمد ، **والذي يقود الناس تلزمه تقوى الله تجفله عن استرخاص الدماء وإراقتها ما استطاع ، وقد بدأت تسود في العراق فتاوى دموية تستهين بأرواح المسلمين من كل الأطراف ، وتلك بدعة خوارجية مقيتة تتفلسف بالتكفير والإخراج عن الملة ، وتمنح شباباً أغراراً صفة الإمارة الميدانية الشرعية بالباطل ، ويزعم لهم شباب مثلهم سعة الفتوى بإزهاق الأرواح ، آخذين بظاهر النصوص دون دراية فقهية ، وأصبحت تقوى الله وخوف الإثم وخطأ الاجتهاد**

آخر ما يُفكر به هؤلاء ، وتلك فتنة ينبغي أن نسعى جميعاً لوأدها والتضييق عليها والإنكار على مثيريها ، شيعياً كان أو سنياً ، فإن لدماء أهل القِبلة حرمة مؤكدة ، والعبث بالأرواح فسوق ، ولولا وجود شبهة التأؤل لقلنا بكفر الذين يمارسون القتل ... ولا حول ولا قوة إلا بالله.

▫ ثم لا .. أخرى .. للشبهة الصفراء

● **ونحن نتوقع انفتاحاً في المحيط الكردي يُماثل الانفتاح المرتقب في البيئة الشيعية ، خلال جيل أيضاً ، لأن تربية الأحزاب الكردية العلمانية لأتباعها اعتمدت الغلواء القومية ، حتى خرجت إلى إفراط مبالغ فيه يشمئز من اللغة العربية** ويرفع مفرداتها من اللغة الكردية المعاصرة ، ويستبدلها بمفردات فارسية وانكليزية !! ويتنكر لمساهمات الأكراد النبيلة في التاريخ الإسلامي ، وفي مقدمتها بطولة " صلاح الدين الأيوبي " ، ويعتبرها خيانة وصرفاً لجهود كردية في قضية عربية ، ويسبونه ، بل بلغت الردة عن الإسلام لدى الدكتور جمال رشيد أحمد مستشار الرئيس مسعود البارزاني أن اصدر كتاباً في أوائل سنة ٢٠٠٦ عن " تاريخ الكرد والكردستان " وأقحم فيه أخباراً عن النبي ﷺ باطلة هي أشد من الطعن الذي صدر في الصحيفة الدانمركية ، فزعم أنه ﷺ كان ابن زنا ولدته أُمه بعد أربع سنوات من موت أبيه عبد الله ، وأنه وجد نفسه (أمام قضية معقدة تتعلق بالانتماء البايولوجي لمحمد) .. ويتساءل : (مَن كان والد محمد الحقيقي ؟).. ويقول : (الجواب يحتاج إلى صراحة تاريخية أكثر) ، وذلك في ص٤٠٥ من كتابه الرديء .. وهذه رِدّة بإجماع فقهاء المسلمين ، والعياذ بالله ، وهي نوع من الإساءة المتعمدة التي تتكلفها الدوائر الفكرية في الأحزاب الكردية العلمانية من أجل قطع صلة الكرد بالإسلام .

وسوف لن يتوقف هذا الاسترسال المغرض ، الذي بدأ بفصل عن " الماركسية اللينينية " في ميثاق حزب الاتحاد الكردستاني الذي كتبه طالباني ، ولن يكون طعن مستشار البارزاني الأخير في المسلسل ، **ولكن الموقف الشعبي الكردي هو**

الذي يكمن فيه الأمل باستدراك قوي يكون فيه الوفاء للإسلام ولتاريخ الكرد المشرف المشحون بالمواقف البطولية والخيرية النقية المنحازة للإيمان وأهله ، ونحن نلحظ في الأفق الكردي بوادر صحوة إسلامية رشيدة ووعي سياسي يبرأ من الارتباط بأميركا وأوربا وإيران ، وهو الذي سيكون حليفنا الواعد وظهيرنا الموثوق ، وأي حلف سياسي حالي تجمعنا فيه الضرورات المرحلية والإستراتيجية سيبقى ناقصاً وتعكّر عليه الشبهات الفكرية والعقيدية ، ولن يكون سوى مرحلة نحو ذاك الحلف الإسلامي الذي نرنو إليه مع الشعب الكردي ... تحت ظلال القرآن □□□